٢٦٦
ز ر م

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية القرآن الكريم والدراسات العليا
قسم التفسير

دراسة تقويمية لكتاب

مناهل العرفان

للزرقاني

رسالة مقدمة لنيل درجة العالمية "الماجستير"

أعدها

خالد بن عثمان السبت

أشرف عليها

فضيلة الشيخ د./

عبد العزيز بن عبد الفتاح القاري

١٤١١ هـ

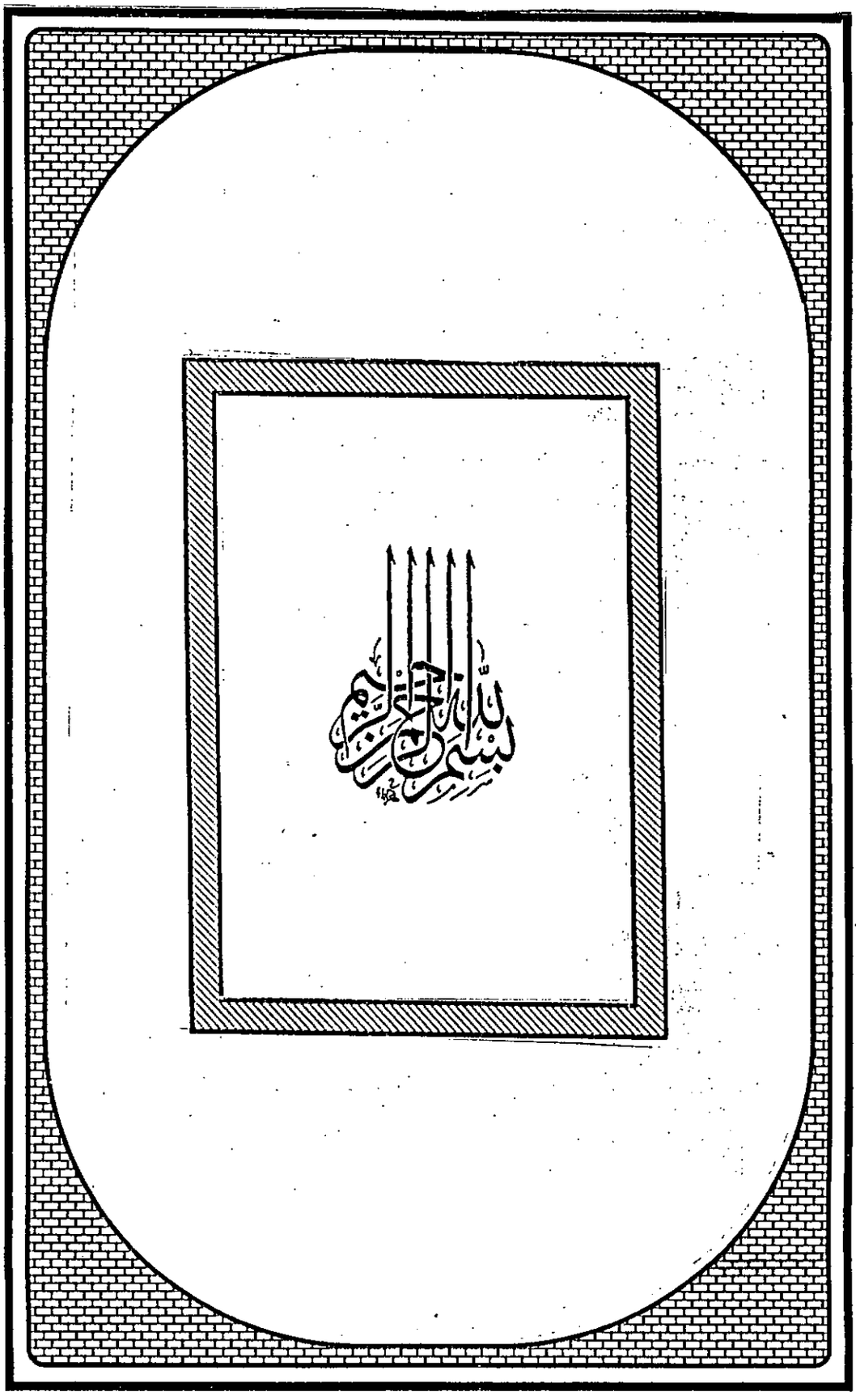
بسم الله الرحمن الرحيم

المملكـــة العربيـــة السعوديـــــــة
الجامعة الإسلامية في المدينة النبويـة
كلية القرآن الكريم والدراسات الإسلامية
قســـــم التفسيـــــر

٤٣٤/١/٢

دراســـة تقـويميـــة
لكتـــاب منـاهـــل العرفـــان للـــزرقـــانـــي

رســالة مقدمــة لنيل درجــة العالمية
الماجســـتير

أعـدهـــا
خـالـد بن عثمـــان السـبت

أشـرف عليهـــا
فضيـلة الشـيخ د/ عبـد العـزيـز بن عبـد الفتـاح القـاريء

١٤١١ هـ

الحمد لله وحده والصلاة والسلام
[illegible] الطالب خالد السيت
[illegible] بعد مناقشة الرسالة وعدل
[illegible] تعديل وتصويب وليه الموفق

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله
وعلى آله وصحبه

وبعد فقد اطلعت على ما قام به
الطالب من تصويب وتعديل ووجدته
قد وفى بالمطلوب منه والله ولي التوفيق

كتبه عضو المناقشة
حكمت بشير ياسين

١٤٢٥/٥/١٢هـ

المـقـــــدمـــــــة

وتشمل بعد التوطئة :

أولا : أهمية الموضوع

ثانياً : سبب اختياره

ثالثاً : ذكر الصعوبات التي واجهت كتابته

رابعاً : منهج البحث

خامساً : خطة البحث

بســـم الـلـه الـرحـمـن
الـرحـيـــــم

توطئة :

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له ،وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

أما بعد : فإنه لما كان شرف العلم بشرف المعلوم ، كانت العلوم القرآنية فى موضع الصدارة من بين سائر العلوم ، وعلت منزلتها إلى القمة من بين الفنون ؛ فصار مَثَلُ علم القرآن - كما قال عبد العزيز الكناني(١)رحمه الله :"مثل الأسد لايُمَكّن من غيله (٢) سواه" . (٣)وقال الحسن رحمه الله :"علم القرآن ذكر لا يعلمه إلا الذكور من الرجال" .(٤) فهوبحق أصل العلوم وينبوعها الذي لا ينضب ، ﴿ما فرطنا في الكتاب من شيء﴾ . (٥)

قال الإمام الشافعي رحمه الله : "جميع ماتقوله الأمة شرح للسنة ، وجميع السنة شرح للقرآن ، وجميع القرآن شرح لأسماء الله الحسنى وصفاته العليا" .(٦) هذا وإن أولى ما اتجهت إليه الهمم ، واشرأبت إليه العزائم ، وُضربت فيه أكباد المطايا من الإبل ، هوذلك العلم القرآني الرفيع .

وهذا هوالذي حدا بالعلماء الربانيين من هذه الأمة أنْ يُشمروا عن سواعد الجد ، فأضحوا من علمه يغترفون ، وللبحث عن كنوزه وجواهره يغوصون ، فحصَّل كل منهم بحسب ما يستوعبه إخاذه(٧) من تلك الدرر ، فأمسوا لمولاهم شاكرين ،

---

١ عبد العزيز الكناني : هو عبد العزيز بن يحيي بن عبد العزيز بن مسلم الكناني المكي توفي بعد سنة ثلاثين ومائتين . التقريب(١/٥١٣).

٢- الغيل الشجر الملتف والمراد هنا: موضع الأسد . ومنه قول كعب بن زهير رضي الله عنه يمدح رسول الله ﷺ:

من خادر من ليوث الأسد مسكنه من بطن عثّر غِيْل دونه غِيْل

انظر القاموس مادة [الغيل] (ص١٣٤٤) ، شرح قصيدة بانت سعاد للتبريزي (ص٣٤).

٣- البرهان (١/٧).

٤- المصدر السابق (١/٧).

٥- الانعام(٣٨) .

ولحقه مؤدين ، فاخرجوا زكاة علومهم بالتعلم تارة ، وبالتصنيف أخرى ، فجاءت تصانيفهم تفوق الحصر والعد ، وثرواتهم زائدة على الحد ، فأصبحنا أمام مكتبة واسعة الأرجاء ، زاخرة بالمصنفات في شتى العلوم النافعة لا سيما العلوم القرآنية .

فكان من حقهم علينا ، ومن واجبنا نحوهم ؛ بل ونحو ديننا ، أن نحفظ تلك الجهود المشكورة ، ونقوم بخدمتها قدر الطاقه والاستطاعة ، سواء كان ذلك بالتنقيب عنها والاحتفاظ بها ، أو تحقيقها ودراستها ، أو بطبعها ونشرها بين التائقين لها ، أو بإيجاد دراسات تشرح طرائقها ، وتبين منا هجها ، وتستخلص مزاياها وفرائدها .

ولما كانت بعض تلك المصنفات ـ على جليل قدرها وسعة محتواها ـ لا تخلو أحيانا مما قد يُكدِّر بعض صفوها ، أويقلل من سنا ضوئها وعبيق رياحينها ، أردت أن أرفع عن هذا الكتاب ماوقع فيه من كدر ، فشحذت الهمة للقيام بذلك الواجب ، وإن لم أكن له بكفؤ ، ولا للتقدم إليه بأ هل ، ولكن الذي ساق إليه ، وقوى العزم عليه ، وجود المعين (بعد الله) ـ أعني المشرف حفظه الله ـ والمرشد إذا ادلهم الليل البهيم ، فاستعنت بالله وهوللعون أهل ، فشرعت في تسطير صفحات هذا الموضوع (وهو دراسة تقويمية لكتاب مناهل العرفان) ، ودراستة مباحثه ومسائله ، وهوالمسئول وحده التوفيق والسداد .

في النهاية مادة [أخذ] (١/٢٨)، وانظر القاموس مادة [الاخذ] (ص٤٢١).

أولا : أهميـة هذا الموضـوع:

تتلخص أهمية هذا الموضوع في الأمور الآتيه :

١ ـ أنه يبحث في العلوم القرآنية ، وحسبك بهذا شرفا!

٢ ـ أهمية الكتاب الذي جرت عليه الدراسة وهو(مناهل العرفان في علوم القرآن) للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني رحمه الله .

٣ ـ أنه يوضح للقارئ منهج أهل السنة والجماعة ومذهبهم في كثير من القضايا الاعتقادية التي خالفهم فيها المؤلف .

المؤلف

ثانيا : سبب اختياره :

١ ـ أن ذلك الكتاب جمع ما بين تحقيق المتقدمين وأسلوب المعاصرين ؛ فصار سائغا يناسب المتخصصين وغيرهم من المثقفين ، فالكل لا يجد كلفة في فهمه .

٢ ـ الرغبة في المشاركة في خدمة التراث العلمي .

٣ ـ أهمية الكتاب ، وسعة انتشاره ، وإقبال الناس عليه ، حتى إنه قد تُرجم في حياة المؤلف إلى لغات متعددة ، كما أنه يدرس في بعض الكليات في الأزهر وغيره ؛ وقد ألفه رحمه الله لطلاب الدعوة والإرشاد في الأزهر (١).

٤ ـ وقوع كثير من المخالفات في الكتاب ، سواء في موضوع العقيدة أوغيره من الموضوعات ، ومن تلك المخالفات ما يثير الدهشة !!

٥ ـ مثل هذا الموضوع يثري حصيلة الباحث العلمية ،خاصة فيما يتعلق بعلوم القرآن ، إذ أنه يتعرض لأهم مباحثه ويدرسها ، كما أنه يدفعه لقراءة كتابات المتقدمين في تلك المباحث ، وكتابات المتأخرين ، حتى يوجد شيئا من المقارنة بين تلك المؤلفات .

٦ ـ النصح للأمة ؛ وذلك بتنبيه من يقرأ ذلك الكتاب بما وقع فيه المؤلف من مخالفات ، وتعريفه وجه الصواب فيها .

٧ ـ تحقيق رغبة المؤلف رحمه الله ، إذ أنه كان يرجو من قراء كتابه هذا أن يطلعوه على عيوبه ومآخذه كي يصلحها ، فقد كتب ذلك في أول الجزء الأول وفي آخره ، وفي آخر الجزء الثاني !!

وإليك شيئا من كلامه رحمه الله :

قال (١) : ورجائي من كل ناظَر يطلع على عيب أن يدلني عليه ، ويرشدني إليه ، فالدين النصيحة ، والمسلمون بخير ما تعاونوا ، وما نجح سلفنا الصالح ، وكانوا خير أمة أخرجت للناس ، إلا بهذه الفضيلة

، وإنه ليحلولي أن أقول هنا ما قاله عمر بن الخطاب رضي الله عنه : "رحم الله رجلا أهدى إلي عيوب نفسي" اهـ

وقال في آخر ورقة من الجزء الأول : "وأرجوكل من يطلع عليه أن يلتمس لي العذر إن كنت قصرت وأن يرشدني إلى شاكلة الصواب إن كنت أخطأت ..." اهـ

وقال في أخر صفحة من الجزء الثاني - قبل الفهرس - "ونرجوا من كل مطلع على هذا الكتاب ، أن يتفضل فيدعولنا بالخير ، وأن يزودنا بملاحظاته ، واستدراكاته ، فإن الدين النصيحة ، والمؤمنون بخير ما تناصحوا" . اهـ

هكذا كان حرص المؤلف رحمه الله على التعرف على ما وقع في هذا الكتاب من خلل وليس هذا بمستغرب ؛ فقد كان أهل العلم يحرصون أشد الحرص على التعرف على أوهامهم وتقويمها ؛ فهذا الإمام عبد الغني المقدسي (ت ٦٠٩هـ) رحمه الله يقول : "لما رددت على أبي عبد الله الحاكم "الأوهام التي في المدخل" بعث إلي يشكرني ، ويدعوا لي ، فعلمت أنه رجل عاقل" اهـ (١)بل كان بعضهم يجعل المجال مفتوحاً لغيره ليزيد على كتابه مما فات مؤلفه ، كما جاء ذلك صريحاً في آخر رسالة "التبيين لأسماء المدلسين" (٢) حيث قال تلميذ المؤلف (٣) رحمهما الله : "هذا آخر ما علقه شيخنا أمتع الله بحياته من المدلسين ، فمن وجد بعد ذلك منهم أحداً فليلحقه في مكانه ، فإنه قابل للزيادة" اهـ (٤) .

ونحن وإن لم ندرك المؤلف أيام حياته فقد حققنا ذلك بعد وفاته ، كما أننا ندعوا له بالمغفرة والرحمة والرضوان .

ثالثاً : ذكر الصعوبات التى واجهتها أثناء كتابة هذاالموضوع:

١- سعة الموضوع وتشعبه .

٢- كثرة المآخذ على الكتاب مما احتاج إلى الكثير من الوقت لدراستها وتحرير القول فيها .

٣- ندرة المصادر التي تحدثت عن ترجمة المؤلف رحمه الله .

١- (ج١ / و)

١- سير أعلام النبلاء (١٧/٢٧٠) .

٢- من تأليف سبط بن العجمي .

٣- وهو عمر بن النصيبي .

٤- مجموعة الرسائل الكمالية (ص٣٦٠) .

رابعاً : منـهـج البحـث : ويتلخص ذلك فيما يلى :

١ـ حرصت على أن أستدل بما صح من الأحاديث فقط ، وما كان ضعيفاً تركته ، وإن ذُكر فمع بيان ضعفه .

٢ـ في الكلام على أسلوب المؤلف ، أومنهجه ، أوعقيدته ، أوغير ذلك مما يتطلب التمثيل من أقواله ، أكتفي بذكر بعض الأمثلة دون الاستقراء لجميع المواضع .

٣ـ قد أُغفل الكلام على مسألة من المسائل التي تعرض لها المؤلف بذكر الأقوال دون أن يرجح ، فلا أتعرض لها ، لأنه لم يبين فيها رأيه .

٤ـ لما كنت مخالفا لمنهج المؤلف في عرض الشبه ، لم أتعرض لمناقشة المؤلف فيما وقع له من مخالفات فيها ، لأني لا أوافقه على مبدأ عرض الشبه أصلا .

٥ـ إن وجدت لكلام المؤلف محملا حسنا ـ غير بعيد ـ يمكن أن يُحمل كلامه عليه ، قدمت ذلك ، ولم أتعرض لذلك الكلام

٦ـ مسائل العقيدة هي أهم المسائل التي يجب أن يبين فيها الحق ، ولذلك فإني قد أُطيل النفَس في معالجتها ، خاصة إذا أطال النفس في تقرير قول مخالف فيها ، كما في مسألة القرآن والصفات .

٧ـ قمت بتخريج الأحاديث التي أستدل بها ، وعزوت الآيات إلى سورها في الهوامش ، كما عرّفت بالأعلام غير المشاهير . (١) .

خامساً : خطـة البحـث :

قسمت هذا البحث إلى مقدمة ، وتمهيد ، وأقسام ثلاثة وخاتمة .

بينت في التمهيد ما يأتي :

١ـ معنى العلم والقرآن .

٢ـ معنى علوم القرآن .

٣ـ بيان موضوع هذا العلم ، وفائدته ، وأهميته ، وغايته .

٤ـ نشأته وتطوره .

٥ـ بيان أول من صنف فيه تصنيفا مستقلا .

أما القسم الأول فهويتضمن دراسة موجزة عن المؤلف رحمه الله من الجوانب الآتيه :

١ـ التعريف بالمؤلف (اسمه ، ونسبه ، ومولده) .

٢ـ حياته العلمية .

٣ـ عقيدته من خلال كتابه (مناهل العرفان) .

٤ـ عصره : أ ـ من الناحية السياسية والاجتماعية .

ب ـ من الناحية العلمية

٥ـ مؤلفاته .

٦ـ وفاته .

وأما القسم الثاني من البحث فهويتعلق بجملة من القضايا المشتركة بين كثير من مباحث الكتاب ، وقد حصرنا هذه القضايا في اثني عشر مطلباً ، وهي كما يأتي :

المطلب الأول : في ذكر مدى استفادة المؤلف ممن سبقه في التأليف في هذا الفن .

المطلب الثاني : أثر الكتاب على ما كُتب بعده في هذا الفن .

المطلب الثالث : في بيان مدى استيفاء المؤلف لمباحث هذا العلم .

المطلب الرابع : في ذكر إضافات المؤلف في هذا الكتاب إجمالا .

المطلب الخامس : في بيان منهج المؤلف في هذا الكتاب .

المطلب السادس : في أسلوب المؤلف .

المطلب السابع : ذكر الأهداف التي رمى المؤلف لتحقيقها في هذا الكتاب .

المطلب الثامن : ذكر مباحث الكتاب .

المطلب التاسع : في توثيق المادة العلمية ، والاهتمام بالعزو ، مع الدقة في النقل .

المطلب العاشر : ذكر المميزات الخاصة في «مناهل العرفان» وبيان منزلته بين الكتب المؤلفة في هذا الفن .

المطلب الحادي عشر : ذكر مصادر المؤلف .

المطلب الثاني عشر : في التنبيه على بعض المآخذ المشتركة بين بعض مباحث هذا الكتاب .

وأما القسم الثالث من هذه الرسالة فهو يعنى بدراسة كل مبحث على حده من حيث :

١ـ بيان مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ، ونذكر القضايا التي ناقشها فيه .

٢ـ الإشارة إلى إضافات المؤلف في ذلك المبحث ، إن وجدت .

٣ـ مناقشة المؤلف في مسائل من ذلك المبحث .

ثم الخاتمة وفيها ذكر النتائج الرئيسية لهذا البحث.

هذا وأسأل الله بأسمائه الحسنى ، وصفاته العلى أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه ، وأن يغفر لنا الزلل ، ويسددنا بالقول والعمل ، والكتب بالقلم إنه على ذلك قدير .

التـــمـهـيـــــد

ويشمـــــل:

أولا : تعريف (علوم القرآن)

ثانياً : موضوع علوم القرآن

ثالثاً : فائدته

رابعاً : أهميته

خامساً : غايته

سادساً : نشأته وتطوره والمراحل التي مر بها

سابعاً : ذكر أول ما أُلف في هذا الفن (حسب الاصطلاح المتأخر)

أولا : معنى (علوم القرآن) :

لكي نصل إلى المعنى المراد من (علوم القرآن) لا بد لنا من أن نحلل أجزاء هذا المركب ، ونُعرِّف كل جزء من أجزائه فنقول :

العلوم : جمع علم ، والعلم قيل : هو الاعتقاد الجازم الثابت المطابق للواقع .

وعرفه بعضهم بأنه : صفة توجب تمييزاً لا يحتمل النقيض .

وقيل : هو إدراك الشئ بحقيقته . وذهب آخرون إلى أنه لا يحد .(١)

القرآن في اللغة :(٢)اختُلف فيه هل هو مهموز ، أو غير مهموز ، على قولين :

الأول : أنه غير مهموز ، وبه يقرأ ابن كثير ، وهو قول الشافعي (٣) .

الثاني : أنه مهموز ، وعليه الأكثر .

ثم اختلف فيه أهل العلم من جهة الاشتقاق وعدمه ، على قولين أيضا :

الأول : أنه عَلَم على كتاب الله تعالى ، مثل التوراة والإنجيل،وهو قول

.....

١ - انظر معانيه وإطلاقاته في : تاج العروس (٤٠٥/٨) ، المفردات (٣٤٣) ، شرح الكوكب المنير (٦٠/١-٦٧) التعريفات (٢٠٠) ، محيط المحيط (٦٢٨) ، الكليات (٢٠٤/٣-٢١٣،٢١٩/٤،٢٢٠-٢٩٦) ، كشاف اصطلاحات الفنون (١٠٥٥/٢-١٠٦٠) ، ترتيب القاموس (٣٠١/٣) ، الإحياء (٢٤/١) ، الكافية في الجدل (ص٢٦) ، الحدود في الأصول للباجي (ص٢٤)، المعجم الفلسفي (٩٩/٢) ، المختصر في أصول الفقه (ص٣٥) ، التحرير لا بن الهمام (ص٨) ، شرح مختصر ابن الحاجب (٤٦/١،٤٧) ، المسودة (٥٦١) ، البرهان في أصول الفقه (١٢٤/١-١٢٥،٤١٩-٤٧٨)، شرح السلم المنورق للمولوي (ص٤٢) ، مناهل العرفان (١/ص٧) وانظر أيضا كشف الظنون (١/المقدمة ص٣-٦) .

٢- انظر : تفسير ابن جرير (٩٤/١-٩٧) ، المفردات (ص٤٠٢) ، تهذيب الأسماء واللغات (٨٣/٣-٨٥) ، لسان العرب (٤٢/٣-٤٣) ، النهاية (٣٠/٤-٣١) ، بصائر ذوي التمييز (٢٦٢/٤-٢٦٣) ، الصحاح (٦٥/١) ، الكليات (٣٤/٤) ، محيط المحيط (٧٢٢) ، التحبير (٣٨-٣٩) .

الشافعي .

الثاني : أنه مشتق ، لكن اختلف أصحاب هذا القول في الأصل الذي اشتُق منه على أقوال متعددة .

فالقائلون بأنه غير مهموز لكنه مشتق ، منهم من ذهب إلى أنه مأخوذ من قرنت الشئ بالشئ إذا ضممت أحدهما إلى الآخر . وسُمي القرآن بذلك لاقتران سوره وآياته وحروفه ، فهو مشتق من قرن ، والاسم (قُران) غير مهموز ، ومن هذا يقال للجمع بين الحج والعمرة (قِرَان) .

وذهب الفراء(١) إلى أنه مأخوذ من (القرائن) وذلك أن الآيات يصدق بعضها بعضاً ، ويشابه بعضها بعضاً ، فهي قرائن .

وكما أن الخلاف وقع بين هؤلاء في مادة اشتقاقه ، فقد وقع مثل ذلك أيضاً للقائلين بأنه مهموز ..

فقالت طائفة : إنه مصدر من القراءة . قال أبو الحسن اللحياني :(٢) "يُقال : قرأت القرآن فأنا أقرأه قراءة، وقرأً وقُرآناً . وهو الاسم"اهـ وهو مثل الرجحان والكفران والغفران . قال حسان بن ثابت رضي الله عنه ، في عثمان رضي الله عنه :

ضحوا بأشمط عنوان السجود به ... يقطع الليل تسبيحا وقرآنا .

ثم إن المقروء يسمى قرآن أيضا ، لأن المفعول يسمى بالمصدر ، كما قالوا للمشروب شراب ، وللمكتوب كتاب .

والأصل في هذه اللفظة ـ قرأ ـ الجمع فهي تدور عليه .. ولذا يُقال : ما قَرَأت الناقة سلى قط . إذا لم يضطم رحمها على ولد ، ومنه قول بعضهم :

..... هجان اللون لم تُقْرِ جنينا(٣).

أي لم تجمع جنيناً وتقول قرأت الشئ قرآناً أي جمعته وضممت بعضه إلى بعض . ومنه قُرء المرأة ، وهو أيام اجتماع الدم في رحمها .

وبناء على ذلك فقد ذهب بعض أهل العلم إلى أن القرآن سُمي بذلك لأنه

.....

١- أبو زكريا يحيي بن زياد بن عبدالله الفراء الكوفي النحوي توفي سنة (٢٠٧هـ) سير أعلام النبلاء (١١٨/١٠).

٢- على بن المبارك اللحياني . (غلام الكسائي) وقد أخذ عنه ، كما تتلمذ عليه أبو عبيد القاسم بن سلام ، له كتاب النوادر . الفهرست (١/ص٥٤) معجم المؤلفين (١٧٤/٧) .

٣- اللسان مادة (قرأ) .

يجمع السور فيضمها . وقيل سُمي به لأنه جُمع فيه القصص ، والأمر ، والنهي ، والوعد ، والوعيد . أو لأنه جامع ثمرة كتب الله المنزلة، أو لجمعه ثمرة جميع العلوم. ولا منافاة بين هذه الأمور فكلها صحيح وثابت ، والله أعلم .

القرآن في الاصطلاح : هو كلام الله المنزل على محمد ﷺ ، بواسطة جبريل عليه السلام ، المعجز بأقصر سورة منه . (١)وهذا التعريف جامع مانع ؛ ويمكن أن يزاد عليه (المتعبد بتلاوته) ولا ضرورة لهذه الزيادة فالمعنى تام بدونها .

محترزات التعريف :

قولنا : " كلام الله" أخرج غيره من كلام الإنس ، والجن ، والملائكة .وهذا القيد يُخرج الأحاديث النبوية ، كما يخرج الأحاديث القدسية ، على قول .

قولنا : " المنزل" . أخرج كلامه سبحانه الذي لم ينزله .

قولنا : " على محمد ﷺ " أخرج ما أنزل على غيره من الأنبياء .

قولنا : " المعجز بأقصر سورة منه" يُخرج الأحاديث القدسية (بناء على القول بأنها كلام الله لفظا ومعنى) .

تنبيه : الأشاعرة والماتريدية قد لا يعارضون في مثل هذا التعريف، فهم يقولون : " القرآن كلام الله" . لكنهم يريدون معناه ، ويقولون بأن الكلام يُعبر به عن المعنى القائم في النفس ، في بعض المواضع ، دون اللفظ .

وهذا مردود عند أهل السنة ، لأن الكلام في الكتاب والسنة واللغة إذا أطلق فإنه يُراد به اللفظ والمعنى ، مثل إطلاق لفظ " الإنسان" على مجموع الروح والجسد .

وفي تعريف القرآن لم نُقيد قولنا : " كلام الله" بـ "لفظه ومعناه" لأن الكلام عند الإطلاق يتجه إلى مجموع اللفظ والمعنى ؛ هذا هو الأصل ، وسيتبين ذلك عند مناقشة المؤلف في هذه المسألة في المبحث الأول ، من القسم الثالث من هذا

البحث إن شاء الله(١) .

تعريف علوم القرآن باعتباره علماً على ذلك الفن :

لم أجد لأحد من المتقدمين تعريفاً له بهذا الاعتبار ، وإنما وجدت ذلك لبعض المعاصرين ، حيث حاولوا تعريفه بمفهومه الشامل ، فوقعت تعريفاتهم له متقاربة في المعنى مع بعض التفاوت في الألفاظ ..

فعبر عنه البعض بقوله : (هو مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله ، وترتيبه ، وجمعه ، وكتابته ، وقراءته ، وتفسيره ، وإعجازه ، وناسخه ، ومنسوخه ، ودفع الشُبه عنه ، ونحو ذلك) . (٢) .

وهذا التعريف عليه مأخذان .. الأول منهما : هو أنه عرفه بذكر بعض أجزائه على وجه التمثيل مع كون التعريف مسهباً .

والثاني : أنه عد التفسير من بين علومه ، فكأنه جزء من أجزائه المختلفة !!

والحق أن عامة العلوم المتعلقة بالقرآن ، ومنها ما عده صاحب التعريف - غير التفسير - تدور حول تفسيره ، أو تيسير السبيل إلى ذلك ، وهذا هو السر في تصدير عدد من المفسرين كتبهم في التفسير بمقدمات تتعلق ببيان بعض العلوم القرآنية . (٣)وعبر عنه آخر بقوله : " العلم الذي يتناول الأبحاث المتعلقة بالقرآن ، من حيث معرفة أسباب النزول ..." الخ (٤)وهذا كسابقه .

وعرفه ثالث بقوله : "هو عبارة عن مجموعة من المسائل يبحث فيها عن أحوال القرآن الكريم ، من حيث نزوله وأداؤه وكتابته ، وجمعه وترتيبه في المصاحف ، وتفسير ألفاظه ، وبيان خصائصه وأغراضه" . (٥) وهذا التعريف ليس بأسعد حظاًمن سالفيه .

والتعريف الرابع وهو أجودها : "هو علم يضم أبحاثا كلية هامة ، تتصل بالقرآن العظيم من نواحي شتى ، يمكن اعتبار كل منها علماً متميزاً "(٦)وهو

.....

١انظر (ص ١٣١ ، ١٤٠) .

٢المناهل(١/٢٠) ، ونحوه في موارد الظمآن في علوم القرآن (ص٧) .

٣انظر علوم القرآن د/ عدنان زرزور (ص١٢٣-١٢٤).

٤- انظر مباحث في علوم القرآن للقطان (ص١٥) .

٥- انظر مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح (ص١٠) .

٦- مقدمة التحقيق لكتاب فنون الأفنان (ص٧١).

التعريف المختار.

ثانيا : موضوعه :

إن موضوع هذا العلم هو القرآن الكريم من جوانبه المختلفة (١) .

ثالثاً : فائـــدتـه: (٢)

١ـ يعين على فهم القرآن الكريم ، واستنباط الأحكام والآداب منه، كما يجعل صاحبه مؤهلا لتفسيره .

٢ـ يُعرف الدارس بتاريخ هذا الكتاب العظيم ، من حيث مبدأ نزوله ، ومدته ، وطريقة هذا النزول ، وأماكنه ، وأوقاته .. والأحداث التي نزل فيها.

٣ـ يوفر للدارس الكثير من العلوم والمعارف الهامة التي تتعلق بالقرآن الكريم .

٤ـ يسلح من وقف عليه ، وفهمه ، بسلاح قوي يمكنه من إزالة الإشكالات التي قد تقع للبعض ، ويجعله قادراً على دحض شبه المضللين .

٥ـ يُوجد المَلَكة والقدرة على إدراك مواطن العبر ، والحجج ، والأحكام، من القرآن العظيم .

رابعاً : أهميته : (٣)

إن هذا العلم هو الميزان الدقيق الذي يستعين به المفسر على فهم كلام الله تعالى ، كما أنه يمنعه من الخطأ والشطح في التفسير غالباً .

هذا وإن مَثَل هذا العلم بالنسبة للتفسير ، ونسبته إليه ، كنسبة علم النحو للعربية ، وكمنزلته في التمكين من سلامة النطق العربي ، والكتابة العربية، وفهم نصوصها ، ونظيره أيضا علم أصول الفقه وقواعده بالنسبة للفقه ، وكذا علم المصطلح، بالنسبة للحديث النبوي .

فبهذا العلم يُعرف صحيح التفسير من فاسده ، كما أن علم النحو به يعرف صحيح الكلام من خطئه ، وعلم المصطلح يعرف به صحيح الحديث من غيره .

خـامـسـاً : غـايـتـه : (١) معرفة معاني النظم القرآني ، وتوضيح آياته وبيان معانيها وغوامضها، وإبراز أحكامها ، ومن ثم العمل بمقتضاها لتحصيل سعادة الدنيا والآخرة .

سادساً : نشأة هذا العلم وتطوره والمراحل التي مر بها :(٢)

١ـ القرن الأول للهجرة :

أ ـ العهد النبوي:

نزل القرآن الكريم على النبي ﷺ والعرب أهل فصاحة وسليقة تمكنهم من فهم كثير من آياته ، وكان إذا أشكل عليهم شيء من معانيه أو أحكامه سألوا رسول الله ﷺ فبينه لهم ، وكان صلوات الله وسلامه عليه يفسر لهم بعض آياته ويعلمهم أحكامه ، ويُقرىء كل واحد منهم على الحرف الذي يتيسر له القراءة به ، كما تعلم أولئك الصحابة ناسخه ومنسوخه وشاهدوا نزوله ، وعرفوا أوقات هذا النزول، وأماكنه وأسبابه ، إن كان من ذوي الأسباب ، وكان أحدهم لا يتجاوز بضعا من آياته حتى يفهمها ويعمل بها .

هذا وقد كان للنبي ﷺ جماعة من أصحابه يكتبون له كل ما يتنزل من القرآن في حينه ، فلم ينزل شيء من آياته وسوره إلا وقد كتبوه ، لكنه كان مفرقا في الأكتاف والعسب وما إلى ذلك من الوسائل التي كانوا يكتبون عليها آنذاك .

وكان إذا نزل على النبي ﷺ شيء من القرآن أرشدهم إلى موضعه من السورة التي هو جزء منها .

فجاءت الآيات مرتبه في السور ـ كما نقرؤها ـ اليوم بأمر النبي ﷺ وبيانه .

ب ـ عهد الخلفاء الراشدين :

لما قُبض رسول الله ﷺ ، وصار الخليفة من بعده أبابكر الصديق رضي الله

.....

١ـ انظر أصول التفسير وقواعده (ص٣١) .

٢ـ راجع ما كتبه محقق فنون الأفنان (ص٧٢ـ٧٣) ، التحبير (ص٢٨) ، ومقدمة أبي الفضل إبراهيم على الإتقان (١/٧ـ٨) ، مقدمة السيوطي على الإتقان (١/٤ـ١٨) ، مباحث في علوم القرآن د/ صبحي الصالح (١١٩ـ١٣٦) ، مناهل العرفان (١/٢١ـ٣٣) ، مباحث في علوم القرآن للقطان (٩ـ١٥) ، أصول التفسير وقواعده (٣٢ـ٣٥) ، علوم القرآن د/ عدنان زرزور (١٢٤ـ١٢٦) .

عنه ، وارتد كثير من العرب عن الإسلام .جاءت حروب الردة التي راح ضحيتها ما يقارب السبعين من القراء ، مما حدا بعمر رضي الله عنه أن يطلب من أبي بكر رضي الله عنه جمع القرآن ، فكان ذلك .

ومنذ ذلك الوقت أصبح القرآن مجموعاً في صحف بعد أن كان مفرقا في العُسب ، واللِّخاف،(١) وقطع الأكتاف ..

ولما كانت خلافة عثمان رضي الله عنه ، واختلف الناس في القراءة ، وكادت الفتنة أن تقع بينهم في ذلك ، قام عثمان رضي الله عنه فجمعهم على مصحف واحد مرسوم بدقة متناهية ، وأمر بما سواه من المصاحف أن تحرق درءاً للفتنة .

ومنذ كتابة ذلك المصحف ظهر ما يُسمى بـ (الرسم العثماني) للمصاحف ، والذي صار سُنَّة مُتَّبعة إلى هذا اليوم في كتابتها .

هذا وإن من الأعمال والجهود التي بُذلت في عصر الخلفاء ، ما نقله السيوطي - بدون سند-عن ابن أشته (٢) في كتابه "المصاحف" عن ابن سيرين ، وفيه :

أن عليا رضي الله عنه كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ ، وأن ابن سيرين قال : فطلبت ذلك الكتاب ، وكتبت فيه إلى المدينة ، فلم أقدر عليه . (٣)

وقد ساق الحافظ ابن عبد البر رحمه الله بسنده إلى ابن سيرين رحمه الله أنه قال : "لما بويع أبو بكر أبطأ علي عن بيعته ، فجلس في بيته ، فبعث إليه أبو بكر : ما بطأك عني ؟! أكرهت إمرتي ؟! فقال علي : ما كرهت إمارتك ، ولكني آليت أن لا أرتدي ردائي إلا إلى صلاة ، حتى أجمع المصحف . قال ابن سيرين : وبلغني أنه كتبه على تنزيله ولو أصيب ذلك الكتاب لوُجد فيه علم كثير" .

قال ابن عبد البر : "أجمع أهل العلم بالحديث أن ابن سيرين أصح التابعين مراسل ، وأنه كان لا يروي ولا يأخذ إلا عن ثقة ، وأن مراسله صحاح كلها ، ليس كالحسن وعطاء في ذلك ، والله أعلم . اهـ (٤) .

.....

١- هي حجارة بيض رقاق ، واحدتها (لَخْفة). انظر : القاموس مادة (اللخف) (ص ١١٠٢).

٢- ابن أشته : محمد بن عبد الله بن أشته اللوذري الاصبهاني سكن مصر وتوفي فيها سنة (٣٦٠هـ) . طبقات الداوودي (٢/ص١٦١) .

وإن مما نُقل في ذلك العهد أيضا أن عليا رضي الله عنه أمر أبا الأسود الدؤلي (١) بوضع قواعد النحو (٢) صيانة للنطق ، وضبطاً للقرآن ، فكانت هذه بداية لإعراب القرآن (٣).

جـ - فترة ما بعد الخلافة حتي نهاية القرن الأول الهجري :

ذُكر أن زياداً (٤) أمر أبا الأسود الدؤلي فوضع قواعد الشكل .

قال الداني :(٥) اختلفت الرواية لدينا فيمن ابتدأ بنقط المصاحف من التابعين، فروينا أن المبتدىء بذلك كان أبا الأسود الدؤلي ، وذلك أنه أراد أن يعمل كتاباً في العربية يقوم الناس به ما فسد من كلامهم ، إذ كان قد نشأ ذلك في خواص الناس وعوامهم ، فقال : أرى أن أبتدئ بإعراب القرآن أولا . فأحضر من يمسك ، المصحف وأحضر صبغاً يخالف لون المداد ، وقال للذي يمسك المصحف عليه : إذا فتحتُ فاي فاجعل نقطة فوق الحرف ، وإذا كسرتُ فاي فاجعل نقطة تحت الحرف ، وإذا ضممت فاي فاجعل نقطة أمام الحرف ، فإن أتبعت شيئاً من هذه الحركات غنة ، يعني تنوينا ، فاجعل نقطتين . ففعل ذلك حتى أتى على آخر المصحف .

ورُوينا أن المبتدىء بذلك كان نصر بن عاصم الليثي (٦) وأنه الذى خمسها

.....

أيضاً عند ابن أبي شيبة في المصنف (٥٤٥/١٠)،وابن الضريس في فضائل القرآن (ص٧٦) الأرقام (٢٢،٢١) ، وأورده السيوطي في الإتقان (١٦٥/١،١٦٦) .

١- أبو الأسود الدؤلي : ظالم بن عمرو الدؤلي واضع علم النحو كان فقيها وشاعرا وفارساً وأميراً سكن البصرة في خلافة عمر وولي إمارتها في خلافة علي [illegible] وتوفي بالبصرة سنة (٦٩هـ). تهذيب تاريخ دمشق (١٠٧/٧) ، الأعلام (٢٣٦/٣) .

٢- انظر فضائل القرآن لابن كثير (ص٢٤) .

٣- هذا هو المشهور بين النحاة ؛ وهذه القصة رواها أبو القاسم الزجاجي في أماليه بإسناد لايثبت . انظر الأشباه والنظائر في النحو للسيوطي ٢٦/١ ـ٢٧.

٤- زياد بن أبيه أمير من الدهاة الفاتحين، من أهل الطائف، اختلفوا في اسم أبيه فقيل : عبيد الثقفي وقيل أبو سفيان، كان مولده سنة (اهـ) ووفاته سنة (٥٣هـ) . ميزان الاعتدال (٨٦/٢) ، الأعلام (٥٣/٣) .

٥- الداني : هو عثمان بن سعيد بن عثمان بن سعيد بن عمر الداني مقرئ حافظ محدث مفسر ولد سنة (٣٧١هـ) وتوفي بدانية سنة (٤٤٤هـ) . شذرات الذهب (٢٧٢/٣)،معجم المؤلفين (٢٥٤/٦) .

٦- نصر بن عاصم الليثي : من أوائل واضعي النحو توفي سنة (٨٩هـ)،البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة (ص٢٣٢)،الأعلام (٢٤/٨).

وعشرها .

ورُوينا أن ابن سيرين كان عنده مصحف نَقَطَه يحيى بن يعمر (١) وأن يحيى أول من نقطها ... وأكثر العلماء على أن المبتدىء بذلك أبو الأسود الدؤلي ؛ جعل الحركات والتنوين لا غير ، وأن الخليل بن أحمد (٢) هو الذى جعل الهمز والتشديد والروم والإشمام (٣)وذهب البعض إلى أن الحجاج هو أول من أمر بنقط المصاحف وبتجزئتها .

ومن الجهود المبذولة في هذه الفترة بهذا المضمار أن يحيى بن يعمر (ت ٨٩هـ) كتب مؤلفاً في " القراءة" جمع فيه اختلافات المصاحف المشهورة .(٤) وقيل إن سعيد بن جبير رحمه الله (ت ـ٩٤هـ،وقيل٩٥هـ) كتب تفسيراً للقرآن لعبد الملك بن مروان (ت ـ٨٦ هـ)(٥) لما طلب منه ذلك (٦).

وقد جاء في ترجمة عطاء بن دينار :(٧)"قال أحمد بن صالح : ... وتفسيره فيما يروي عن سعيد بن جبير صحيفة .." اهـ(٨) .

وقال ابن أبي حاتم : "سُئل أبي عن عطاء بن دينار فقال : هو صالح الحديث إلا أن التفسير أخذه من الديوان ، فإن عبد الملك بن مروان كتب يسأل سعيد بن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن ، فكتب سعيد بن جبير بهذا التفسير إليه ، فوجده عطاء بن دينار في الديوان فأخذه فأرسله عن سعيد بن جبير اهـ (٩) .

١- يحيى بن يعمر البصري العدواني، أول من نقط المصاحف، ولد بالأهواز، وسكن البصرة وبها توفي سنة (٨٩هـ) وقيل: (١٢٩هـ) . سير أعلام النبلاء (٤/٤٤١) ، الاعلام (٨/١٧٧) .

٢- الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي الأزدي من أئمة اللغة والأدب وواضع علم العروض ولد بالبصرة سنة (١٠٠هـ) وتوفي بها سنة (١٧٠هـ) . سير أعلام النبلاء (٧/٤٢٩)،الاعلام (٢/٣١٤) .

٣- النقط للداني (ص١٢٩) (وهو مطبوع مع كتاب المقنع لنفس المؤلف) .

٤- مقدمة تفسير ابن عطية (١/٣٥) ، تهذيب التهذيب (١١/٣٦٦) ، تاريخ التراث العربي (١/٢٢) .

٥- الطبقات الكبرى (٥/١٦٥) ، المعارف (٤٤٥) ، تاريخ بغداد (١٠/٣٨٨) ، سير أعلام النبلاء (٤/٢٤٦) ، تهذيب التهذيب (٦/٣٧٣) ، شذرات الذهب (١/٩٧) .

٦- الفهرست (٣٧) .

٢ ـ القرن الثاني للهجرة :

في هذا القرن بدأت تكثر التآليف خاصة في التفسير والحديث ؛ وإليك بعض المؤلفات التي وُجدت في ذلك القرن :

١ـ التفسير لمجاهد بن جبر (ت١٠٤هـ)(١) .

٢ ـ التفسير للضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥هـ) .(٢).

٣ ـ التفسير لعكرمة مولى ابن عباس رضى الله عنه (ت ١٠٧هـ). (٣).

٤ ـ التفسير لمحمد بن كعب القرظي (ت ١٠٨هـ) .(٤) .

٥ ـ (عد الآي) و(نزول القرآن) للحسن البصري (ت ١١٠هـ) .(٥) .

٦ ـ التفسير لعطاء بن أبي رباح (ت ١١٤هـ) .(٦) .

٧ ـ (عوائر القرآن) و(الناسخ والمنسوخ) لقتادة السدوسي (ت ١١٧هـ، وقيل ١١٨هـ). (٧) .

٨ ـ (اختلافات مصاحف الشام والحجاز والعراق) و(المقطوع والموصول)

.....

١ ـ المعارف (٤٤٤) ، تذكرة الحفاظ (٩٢/١) غاية النهاية (٤١/٢) كشف الظنون (٤٥٨/١) تاريخ التراث (٧٠/١) .

٢ـ الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني (أبو القاسم) مفسر مشهور، توفي بخراسان (١٠٥ هـ) سير أعلام النبلاء (٥٩٨/٤)، تهذيب التهذيب (٣٩٧/٤) طبقات المفسرين للداوودي (٤٧/٢) كشف الظنون (٤٥٢/١) ، معجم المؤلفين (٥ /٢٧) تاريخ التراث العربي(٧٢،٧١/١) .

٣ـ طبقات المفسرين للداوودي (٣٨٦/١) ، كشف الظنون (٤٥٣/١) .

٤ـ محمد بن كعب القرظي هو من حلفاء الأوس، سكن الكوفة، ثم المدينة، وهو من أعلم الناس بالتفسير توفى سنة (١٠٨ هـ) وقيل غير ذلك . سير أعلام النبلاء (٦٥/٥) ، المعارف (٤٥٨) تهذيب التهذيب (٣٧٣/٩) كشف الظنون (٤٥٧/١) .

٥ـ المعارف (٤٤٠) ، الفهرست (٣٦) تذكرة الحفاظ (٧١/١) غاية النهاية (٣٣٥/١) تهذيب التهذيب (٢٤٠/٥) كشف الظنون (٤٤٦/١) تاريخ التراث (٧٢،٢٥/١).

٦ـالمعارف (٤٤٤) تذكرة الحفاظ (٩٨/١) البداية والنهاية (٣٠٦/٩)،تهذيب التهذيب (١٧٩/٧) كشف الظنون (٤٥٣/١) تاريخ التراث العربي (٧٤،٧٣/١) .

٧ـالطبقات الكبرى (٧/قسم ٢/ص ١) تهذيب التهذيب (٣١٥/٨) ، تاريخ التراث العربي (٢١/١، ٧٥)معجم الأدباء (٩/١٧) تذكرة الحفاظ (١٢٢/١) البداية والنهاية(٣١٣/٩) غاية النهاية (٢٥/٢) كشف الظنون (٤٥٦/١) .

لعبد الله بن عامر اليحصبي (ت ١١٨) (١) .

و غير هؤلاء كثير كشعبة ، وسفيان بن عيينة ، ووكيع، وابن جريج ، (٢) ، وابن وهب (٣) .

و كان الغالب في التآليف في ذلك العصر الرواية والنقل، وربما أُدمج التفسير بغيره من الحديث في كتاب واحد .

هذا وقد اكتفينا بما ذكرنا سابقا من أجل التمثيل فقط ، وإلا فالتآليف في ذلك الوقت أكثر مما ذكرت بكثير جداً، وإذا أردت أن تطلع على المزيد من ذلك راجع ما كُتب في المبحث الثاني من القسم الثالث من هذا البحث (٤) .

٣ـ القرن الثالث للهجرة :

في هذا القرن اتسعت دائرة التآليف ، ونمت عمّا كانت عليه في السابق بكثير، وإليك بعض ما كتب آنذاك في التفسير وتوابعه :

١-(الناسخ والمنسوخ) . لعبد الوهاب الخفاف (ت ٢٠٤ هـ) (٥).

٢ ـ (الناسخ والمنسوخ) لحجاج الأعور (ت ٢٠٦) (٦).

.....

١- عبد الله بن عامر بن يزيد أبو عمران اليحصبي الشامي أحد القراء السبعة، ولى قضاء دمشق في خلافة الوليد بن عبد الملك ، ولد بالبلقاء سنة (٨ هـ) وتوفي في دمشق سنة (١١٨ هـ) . سير أعلام النبلاء (٢٩٢/٥) ، الأعلام (٩٥/٤) ، الجرح والتعديل(١٢٢/٥)، الفهرست (٣٩،٣١) ، الميزان(٤٤٩/٢) .

٢- ابن جريج هو عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج أبو الوليد وأبو خالد فقيه الحرم المكي وهو أول من صنف التصانيف في العلم بمكة كان مولده سنة (٨٠ هـ) ووفاته سنة (١٥٠ هـ) . سير أعلام النبلاء (٣٢٥/٦) ، الأعلام (١٦٠/٤).

٣- هو عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري بالولاء المصري أبو محمد فقيه من أصحاب مالك رحمه الله ولد سنة (١٢٥ هـ) وتوفي سنة (١٩٧ هـ).سير أعلام النبلاء (٢٢٣/٩) الأعلام (١٤٤/٤) .

٤- ص ١٧١ فما بعدها.

٥- عبد الوهاب الخفاف هو عبد الوهاب بن عطاء الخفاف ، أبو نصر العجلي مولاهم البصري نزيل ، بغداد توفي سنة (٢٠٤) وقيل غير ذلك . سير أعلام النبلاء (٤٥١/٩)، التقريب (١/ص ٥٢٨)، تاريخ بغداد (٦١،١١)، تذكرة الحفاظ (٣٣٩/١) ، تهذيب التهذيب (٣٩٨/٦) ، طبقات المفسرين للداوودي (٣٦٩/١) .

٣ ـ (إعراب القرآن) لعبد الملك بن حبيب القرطبي (ت ٢٣٩هـ) (١) .

٤ـ (إعراب القرآن) لأبي حاتم ، سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٤٨هـ)(٢).

٥ـ (إعراب القرآن) لأبي العباس المبرد (ت ٢٨٦هـ) (٣) .

٦ـ (إعراب القرآن) لأبي العباس ثعلب (ت ٢٩١هـ) (٤).

وغيرهم كثير، كابن المديني (ت ٢٣٤هـ) حيث ألف في (أسباب النزول) ، وأبي عبيد (ت ٢٢٤هـ) والذي كتب في (القراءات) و(الناسخ والمنسوخ) ، و(فضائل القرآن)، وابن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) في مشكل القرآن، وعبد الرزاق (ت ٢١١) في (التفسير) ...الخ .

٤ـ القرن الرابع للهجرة :

و في هذا القرن ازدهر التأليف ازدهاراً ملموسا في جميع العلوم، وتفنن العلماء فيه بالتصنيف والتأليف، وكثر ذلك واتسع، حتى غدا من العسير على الباحث أن يجمع ما كُتب في ذلك القرن في نوع واحد من العلوم فضلا عن جميعها .

وسوف أكتفي بذكر بضعة نماذج من المؤلفات في التفسير وعلومه ، دون الإطالة بتعداد التآليف التي لا يمكن حصر جانب منها كما أسلفت .. وإليك ما وعدت :

---

١ ـ هو عبد الملك بن سليمان بن هارون السلمي الإلبيري القرطبي أبو مروان عالم الاندلس في زمانه ولد في ألبيرة سنة (١٧٤ هـ) وسكن قرطبة وتوفي فيها سنة (٢٣٨ هـ) .الأعلام (١٥٧/٤)، سير أعلام النبلاء (١٠٢/١٢)، كشف الظنون (١٢٣/١) .

٢- أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني إمام في اللغة والشعر من أهل البصرة توفي سنة (٢٤٨ هـ). الأعلام (١٤٣/٣) ، سير أعلام النبلاء (٢٦٨/١٢)، كشف الظنون (١٢٣/١).

٣- هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الأزدي البصري ، كان آية في النحو ، وتوفي أول سنة (٢٨٦ هـ) . سير أعلام النبلاء (٥٧٦/١٣)، كشف الظنون (١٢٣/١) .

٤- ثعلب هو أحمد بن يحيى بن زيد بن سيّار الشيباني بالولاء أبو العباس المعروف بثعلب إمام الكوفيين في النحو واللغة ولد ببغداد سنة(٢٠٠ هـ) وتوفي فيها سنة (٢٩١هـ). الأعلام (٢٦٧/١) ، سير أعلام النبلاء (٥/١٤)، كشف الظنون (١٢٣/١) .

١ـ (الحاوي في علوم القرآن) لمحمد بن خلف بن المرزبان (ت ٣٠٩) (١).

٢ـ (الاستغناء في علوم القرآن) لمحمد بن علي الأدفوي (ت ٣٨٨هـ) (٢).

٣ ـ (تفسير القرآن) لأبي الحسن الأشعري (ت ٣٢٤هـ) (٣) وهذا الكتاب قال عنه مؤلفه : "وألفنا كتاب تفسير القرآن ،رددنا فيه على الجُبَّائي (٤)والبلخي (٥) ما حرفا من تأويله" أهـ وقد ظن بعض الفضلاءُ أن اسم هذا الكتاب (المختزن في علوم القرآن) ولا أظن هذا الظن صحيحاً، لأن كتاب المختزن في موضوع آخر تماماً، إذ يقول عنه مؤلفه : وألفنا كتاباً في ضروب من الكلام سميناه (المختزن) ذكرنا فيه

١ـ محمد بن خلف بن المرزبان هو ابن بسام أبو بكر المحولي مؤرخ مترجم عالم بالأدب توفي سنة(٣٠٩ هـ) الأعلام (١١٥/٦)، الفهرست (٩٥،١٦٦،١٦٧)،طبقات الداوودي (١٤٦/٢)، تاريخ بغداد (٢٣٧/٥)، تذكرة الحفاظ (٧٥٧/٢)، ويقع هذا الكتاب في (٢٧) جزءاً ولم يتم العثور عليه إلى اليوم ، والذي يظهر أنه كتاب في التفسير.

٢ـ محمد بن علي الأدفوي نحوي مفسر من أهل أدفو بصعيد مصر الأعلى كان يبيع الخشب في القاهرة ولد سنة (٣٠٤ هـ) وتوفي سنة (٣٨٨هـ) في القاهرة . الأعلام (٢٧٤/٦) ، كشف الظنون (٤٤١،٧٩/١)، تاريخ التراث العربي (١٠٦/١)، طبقات القراء (٢ /١٩٨ ،٢٨٠) ، طبقات المفسرين للسيوطي (٩٧) ، معجم البلدان (١٦٩/١)، قال الداوودي في طبقاته (١٩٧/٢) : "وله كتاب تفسير القرآن سماه "الاستغناء" في مائة وعشرين مجلداً صنفه في اثنتى عشرة سنة أ.هـ وعنوانه في تاريخ التراث " الاستغناء في علوم الدين " . وذكر سزكين في تاريخ التراث (١٠٧/١) له نسخة غير مكتملة في مكتبة سليم أغا برقم (٦٣) . وتوجد له نسخة أخرى في مكتبة الاسكندرية برقم (٣٥٩٩) . وقد قام أحد الباحثين بعمل دراسة على هذا الكتاب وتحقيق لسورة الفاتحة منه في رسالة ماجستير في جامعة الإمام عام ١٤٠٥هـ .

٣ـ سير أعلام النبلاء (١٥/ص ٨٨) .

٤ـ أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي البصري من أئمة المعتزلة بالبصرة ولد سنة (٢٣٥ هـ) وتوفي سنة (٣٠٣ هـ) . شذرات الذهب (٢٤١/٢) وابنه هو أبو هاشم عبد السلام الجبائي وهو معتزلي من كبارهم كأبيه توفي سنة (٣٢١هـ) . تاريخ بغداد (١١/٥٥ـ٥٦) .

٥ـ أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن محمود الكعبي البلخي من كبار المعتزلة توفي سنة (٣١٩هـ) وقيل سنة (٣١٧هـ) تاريخ بغداد (٣٨٤/٩) . اهـ تبيين كذب المفتري (ص ١٣٤) ، وانظر سير أعلام النبلاء (١٥/ص ٨٨ .)

مسائل للمخالفين، لم يسألونا عنها، ولا سطروها في كتبهم، ولم يتجهوا للسؤال، وأجبنا عنها بما وفقنا الله تعالى له" اهـ (١) .

ثم رأيت الداوودي (٢) رحمه الله سماه (المختزن في علوم القرآن) !! وقال عنه :"... كتاب عظيم جداً، بلغ فيه سورة الكهف، وقد انتهى مائة جزء، وقيل إنه أكبر من هذا .." اهـ (٣) فالله تعالى أعلم .

٦- تفسير ابن جرير الطبري (جامع البيان في تفسيرالقرآن) (ت ٣١٠هـ) وهو مطبوع ومشهور .

و بما سبق تكون قد عرفت الخطوات التي مر بها هذ العلم حتى دُوِّن حسب مفهومه الاصطلاحي الذي مر معنا .

ثم تتابع التأليف في كل الفروع والمباحث المتعلقة بالقرآن الكريم، سواء كان ذلك بطريقة الإفراد لها في التأليف، أو كان ذلك بضم بعضها إلى بعض، وجعلها في كتاب واحد .

و نظراً لكثرة المؤلفات في علوم القرآن المختلفة، وإتماماً للغرض الذي من أجله تعرضنا لهذه القضية - وهو التعريف بالأطوار التي مرت بها علوم القرآن، بمفهومه الشامل - فلا أرى حاجة للاستمرار في تعداد المؤلفات التي وُضعت لمعالجة مبحث خاص من مباحثه ؛ بل سوف أكتفى بذكر بعض المؤلفات التي جمعت جملة من علومه فأقول :

صنف الإمام ابن الجوزي رحمه الله (ت ٥٩٧هـ) كتابين في هذا الموضوع، الأول منهما هو : (فنون الأفنان في عيون علوم القرآن) وهو مطبوع . والآخر وهو كتاب (المجتبى في علوم تتعلق بالقرآن).

بعده جاء السخاوي (ت ٦٤٣هـ)(٤) - وهو علم الدين - فألف (جمال القراء وكمال الإقراء) وهو مطبوع متداول .

.....

١- تبيين كذب المفتري (١٣٣) .

٢- محمد بن علي بن أحمد الداوودي المصري حافظ مفسر أخذ عن السيوطي توفي سنة (٩٤٥ هـ)، شذرات الذهب (٢٦٤/٨)، معجم المؤلفين (٣٠٤/١٠) .

٣- طبقات المفسرين للداوودي (٣٩٨/١)، وانظر كشف الظنون (٤٤٠/١) .

٤ - السخاوي هو علم الدين أبو الحسن علي بن محمد بن عبد الصمد المصري السخاوي الشافعي ولد سنة (٥٥٨ هـ) أو (٥٥٩ هـ) وتوفي سنة (٦٤٣ هـ) سير أعلام النبلاء (١٢٢/٢٣) .

ثم صنف أبو شامة رحمه الله (ت ٦٦٥)(١) كتاب " المرشد الوجيز في علوم تتعلق بالكتاب العزيز" وخصه ببعض مهمات هذاالعلم، دون التعرض لغيرها . وهو مطبوع أيضاً .

بعد ذلك ألف الطوفي (ت ٧١٦) (٢)كتاب "الإكسير في علوم التفسير" وقد طُبع أيضاً .

ثم جاء الزركشي (٣) (ت ٧٩٤هـ) بكتاب " البرهان في علوم القرآن" . وهو مطبوع ومشهور أيضا .

و بعده ألف جلال الدين البلقيني (٤) (ت٨٢٤هـ) كتاب "مواقع العلوم من مواقع النجوم" وقد قال عنه السيوطي :"فرأيته تأليفاً لطيفاً، ومجموعا طريفا، ذا ترتيب وتقرير، وتنويع وتحبير" اهـ (٥) و في نفس القرن ألف محمد بن سليمان الكافيجي (٦) (ت٨٧٣هـ) كتابا في هذا الموضوع قال عنه السيوطي بعد وقوفه عليه : فإذا هو صغير الحجم جداً ، وحاصل ما فيه بابان ... فلم يشف لي ذلك غليلا، ولم يهدني الى المقصود سبيلا ."اهـ(٧).

بعد ذلك كله طالعنا السيوطي (ت٩١١هـ) بكتابه (التحبير في علوم التفسير)

.....

١- هو عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان بن أبي بكر المقدسي الدمشقي الشافعي، محدث، حافظ ، مؤرخ، مفسر،فقيه ،أصولي، مقرىء، نحوي، ولد بدمشق سنة (٩٩٥هـ) وقتل بها سنة (٦٦٥هـ) . البداية والنهاية (٢٥٠/١٣) ، معجم المؤلفين (١٢٥/٥) .

٢- هو نجم الدين أبو الربيع سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم بن سعيد الطوفي الحنبلي ولد سنة بضع وسبعين وستمائة بقرية طوفا من أعمال صرصر . وتوفي سنة ست عشرة وسبعمائة . شذ رات الذهب (٣٩/٦).

٣- هو بدر الدين أبو عبد الله محمد بن بهادر بن عبد الله المصري الزركشي الشافعي ولد سنة (٧٤٥ هـ) وتوفي سنة (٧٩٤ هـ).شذرات الذهب (٣٣٥/٦) .

٤- جلال الدين البلقيني : عبد الرحمن بن عمر بن رسلان الكناني البلقيني ولد سنة (٧٦٣هـ) ، وتوفي سنة (٨٢٤هـ).شذرات الذهب (١٦٦/٧)، معجم المؤلفين (١٦٠/٥)، الأعلام (٣٢٠/٣) .

٥- الإتقان ٥/١ .

٦- محمد بن سليمان بن سعد بن مسعود الرومي الحنفي لقب بالكافيجي لكثرة إشتغاله بالكافية في

أولا ، ثم بكتابه الموسوعي (الإتقان في علوم القرآن).

ثم جاء بعده شمس الدين محمد بن أحمد الحنفي المالكي المعروف بابن عقيلة (ت ١١٥٠) فألف كتاب "الزيادة والإحسان في علوم القرآن (١)ثم استمر التأليف في هذا المجال على ما كان عليه، حتى جاء هذا العصر الذي ظهرت فيه كثير من المؤلفات في هذا الموضوع، منها كتاب (التبيان في علوم القرآن) .. للشيخ طاهر الجزائري .(٢) (٣) ، وكتاب " منهج الفرقان في علوم القرآن" لمحمد علي سلامة (٤)، وكتاب " مناهل العرفان في علوم القرآن" لمحمد بن عبد العظيم الزرقاني، وكتاب " مباحث في علوم القرآن" للدكتور صبحي الصالح، وكتاب " مباحث في علوم القرآن" للشيخ مناع القطان، وكتاب علوم القرآن للدكتور عدنان زرزور، وكتاب " التعريف بالقرآن والحديث" للزفزاف ، وكتاب علوم القرآن للدكتود محمد الصباغ .

وبما سبق تكون قد عرفت أن هذه المباحث المجتمعة لم تكن قد أخذت وصفاً مستقلا في أوائل عهود التأليف، بل كانت مفرقة في كتب التفسير والحديث والأصول، أو كان التأليف يقتصر على جزئية أو نوع خاص من أنواعه .

هذا وقد كان عدد من المفسرين - قديما وحديثا- يضعون لتفاسيرهم مقدمات تشتمل على جوانب مختلفة في علوم القرآن، كما فعل الإمام ابن جرير ، والراغب الأصفهاني (٥) والقرطبي ، وابن عطية ، والسيوطي ، الذي صنف كتابه الإتقان ليكون مدخلا إلى تفسيره الذي شرع في تأليفه ولم يتمه " مجمع البحرين" . (٦) ومثلهم كذلك القاسمي (٧)والشنقيطي .

١- يوجد منه نسختان احداهما في مكتبة نوشهر في تركيا برقم (٢٢٣/٢) والاخرى في مكتبة حكيم أوغلي علي باشا (١٠٥/٨) .

٢ - اختصر فيه الاتقان للسيوطي .

٣- طاهر بن صالح بن أحمد الجزائري ، ثم الدمشقي ، كان من أعضاء المجمع اللغوي العلمي العربي ، وأجاد أكثر اللغات الشرقية مولده سنة (١٢٦٨هـ) ووفاته سنة (١٣٣٨هـ) . الأعلام (٢٢١/٣ - ٢٢٢) .

٤- عالم مشارك في علوم القرآن والمنطق والمناظرة ولد في بلدة زرقان بمصر ، وتخرج بالأزهر ، ودرّس بكلية أصول الدين بالأزهر . توفي سنة (١٣٦٢ هـ) . معجم المؤلفين (١٣/١١) .

٥- هو الحسين بن محمد بن المفضل المعروف بالراغب أديب لغوي حكيم مفسر ، توفي سنة (٥٠٢هـ) . معجم المؤلفيين (٥٩/٤) .

٦- اسم هذا الكتاب "مجمع البحرين ومطلع البدرين" قال عنه في الإتقان :"وقد جعلته - أي الإتقان - مقدمة للتفسير الكبير الذي شرعت فيه وسميته بمجمع البحرين ومطلع البدرين الجامع لتحرير الرواية وتقرير الدراية" اهـ الاتقان (١٤/١) .

٧- هو جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق ولد في دمشق سنة(١٢٨٣ هـ) وتوفي بها سنة (١٣٣٢هـ) . الأعلام(١٣٥/٢) .

والحاصل أن التأليف في علوم القرآن بالمعنى الأعم جاء متأخراً عن التأليف في نظائره من قواعد العلوم وأصولها وضوابطها .. كعلم النحو ، ومصطلح الحديث ، وأصول الفقه .

قال السيوطي رحمه الله : "ولقد كنت في زمان الطلب أتعجب من المتقدمين إذ لم يدونوا كتاباً في أنواع علوم القرآن ، كما وضعوا ذلك بالنسبة إلى علم الحديث" اهـ (١) .

وقال في مقدمته لكتاب التحبير : "وإن مما أهمل المتقدمون تدونيه ، حتى تحلى في آخر الزمان بأحسن زينة ، علم التفسير، الذي هو كمصطلح الحديث" اهـ (٢) .

سابعاً ذكر أول كتاب أُلف في علوم القرآن بمعناه المصطلح عليه :

إنه ليس من السهل أن نحكم على كتاب ما بأنه أول ما أُلف في علوم القرآن ، وإنما يمكننا أن نذكر أول كتاب وقفنا عليه في هذا الشأن .

وقد ذهب الكافيجي (ت ٨٧٩ هـ) إلى أنه هو أول من دوّن كتاباً في هذا الموضوع كما نقل ذلك عنه السيوطي . (٣) .

واختار السيوطي القول بأن كتاب " مواقع العلوم من مواقع النجوم" الذي ألفه جلال الدين البلقيني (ت ٨٢٤ هـ) هو أول ما أُلف في هذا الشأن . (٤) .

وهذا مستغرب منه مع قوله في مقدمة الإتقان - بعد أن قرر ما سبق - : "ومن المصنفات في هذا النمط - وليس في الحقيقة مثله (أي الإتقان) ولا قريبا منه ، وإنما هي طائفة يسيرة ، ونبذة قصيرة - فنون الأفنان في علوم القرآن لابن الجوزي ، وجمال القراء للشيخ علم الدين السخاوي، والمرشد الوجيز في علوم تتعلق بالقرآن العزيز لأبي شامة ..."اهـ(٥) مما يدل على أنه وقف على هذه الكتب وهي متقدمة على كتاب البلقيني . !! .

١- الاتقان (٤/١) .

٢- التحبير ص (٢٨)

هذا وقد اختلفت أنظار المعاصرين في تحديد المجُلي (١) في هذا الشأن، فذهب بعضهم إلى أنه الحوفي (ت ٤٣٠ هـ) (٢) في كتابه البرهان (٣) .

وهذا الكتاب يقع في ثلاثين مجلداً !! وقد وقفت على بعضه ، (٤). وبعد النظر فيه ألفيته كتاباً من كتب التفسير، وطريقته في تفسيره إيراد الآيات القرآنية ، ثم يتكلم على الإعراب ، والوقف ، والتمام ، وما تضمنته الآيات من فوائد، ثم تجده يقول : القول في القراءة .. ثم يقول : القول في المعنى والتفسير .. وهكذا . فهو كتاب تفسير منظم على نحو ما سبق . (٥) .

وقد ذهب آخرون إلى أن أول ما ألف في هذا الشأن هو كتاب ابن المرزبان (ت ٣٠٩) هـ المسمى بـ " الحاوي في علوم القرآن" . (٦) .

وهذا الكتاب يقع في سبعة وعشرين جزءاً ، وهذا يدل على أنه كتاب في التفسير ، لا ما نحن فيه ، والله أعلم .

واختار الأستاذ أبو الفضل إبراهيم كتاب الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) ليكون المتقدم في هذا الشأن (٧) وهذا بعيد غاية البعد، إذ هو مسبوق قطعاً وبقرون من الزمان !! .

---

١ - المجلي يطلق على السابق الأول في حلبة الخيل . انظر القاموس مادة (الجلي) ص ١٦٤١ ، تاج العروس مادة (جلو) ٧٧/١٠.

٢- هو علي بن ابراهيم بن سعيد أبوالحسن الحوفي من أهل الحوف بمصر توفي سنة (٤٣٠ هـ) . سيرأعلام النبلاء (٥٢١/١٧) ، الأعلام (٢٥٠/٤) .

٣- مناهل العرفان (٢٦/١،٢٧) ، مباحث في علوم القرآن للقطان ص (١٤) .

٤- وهو من خزائن المكتبة الوطنية بتونس ورقمه (١٨٤٨٧) ، وهو من مصورات مكتبة المخطوطات بالجامعة الاسلامية ورقمه (٣٧٩٥ / ف)

٥- وانظر أيضاً كلام الزرقاني عنه في مناهل العرفان (٢٨/١) .

٦- انظر مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح (ص١٢٤) .

٧- انظر مقدمته على الإتقان (٧/١) .

وأحسب أنه من المتعذر القول بأن كتاباً بعينه هو أول ماكتب في هذا الفن ؛ لكن يكن أن يقال : هو أول ماوقفنا عليه من مؤلفات هذا الفن (١).

ثامناً : كلمة موجزة حول عنوان الرسالة :

المراد بهذه الدراسة الجمع بين ذكر المحاسن وابرازها وتوضيح منهج المؤلف وما شابه ذلك من الأمور الهامة بالإضافة إلى التنبيه على المآخذ جملة وتفصيلا ومناقشتها وبيان وجه الصواب فيها .

وهذه حقيقة التقويم إذ أنه يعني التثمين كما يعني تقويم المعوج (٢).

١- تنبيه ذهب البعض إلى القول بأن كتاب عجائب علوم القرآن المنسوب لابن الانباري هو أول المؤلفات

القسم الأول : دراسة المؤلف

وتشـــمل :

أولا : اسمه ونسبه .

ثانياً : مولده .

ثالثاً : حياته العلمية .

رابعاً : عقيدته من خلال كتابه مناهل العرفان .

خامساً : عصره .

سادساً : مؤلفاته .

سابعاً : وفاته .

أولا :اسمه ونسبه :

هو الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ، من أهالي الجعفرية (السنطة) ، في المحافظة الغربية من مصر ، ونسبته إلى زرقان وهي منطقة تابعة لمحافظة المنوفية .

ثانياً :مولده :

لم نستطع التعرف على العام الذي ولد فيه مؤلفنا رحمه الله ، وإنما يغلب على الظن أنه ولد في مطلع القرن الرابع عشر الهجري .

ثالثاً :حياته العلمية (١) :

التحق الشيخ رحمه الله بالمعهد الأحمدي عام (١٩١١ م)، ثم تخرج من كلية أصول الدين، وقد نال العالمية عام (١٩٢٥ م) ، وعُين مدرساً بمعهد الزقازيق عام (١٩٢٦ م) ، ثم نقل إلى معهد طنطا، ثم عُين إماماً ، ثم نُقل مدرساً بمعهد القاهرة، ومنه إلى كلية أصول الدين عام (١٩٣٩ م) حيث درّس بها علوم القرآن والحديث ، بتخصص الدعوة والإرشاد .

رابعاً : عقيدته من خلال كتابه مناهل العرفان :

يتجلى من استقراء المواضع التي تطرق المؤلف فيها لبعض مسائل العقيدة أنه يعتقد معتقدالأشاعرة ، ويتبع منهجهم !! (٢)فهو ينقل عن محمد عبده ما يدل على أن إثبات وجود الصانع هو أول واجب على المكلف ..!! (٣) وهذه المسألة من المسائل التي يدندن حولها المتكلمون من الأشاعرة حيث يدّعون أن أول واجب على المكلف النظر ، أو القصد إلى النظر ..

هذا فيما يتعلق بأول الواجبات، أما كلامه في الصفات فهو كثير جداً .. ومن ذلك أنه يصرح بنفي العلو والاستواء تارة ، ويعرض بنفيهما تارة بعبارات مجملة موهمة، كنفي التحيز، والجهة ، وما إلى ذلك مما يُتوصل به إلى معان باطلة . (٤)

---

١ - في هذه الفقرة واللتين قبلها انظر الأعلام (٢١٠/٦)، سلسلة التراجم الأزهرية (كلية أصول الدين) لمحمد حسين النجار ص (٨٥)، فهارس المكتبة الأزهرية (١٩٤/١،٤٧٧/٧) .

٢- تنبيه : قد لا يكون الكلام للمؤلف في جميع المواضع ، بل قد يورد بعض النقولات مستأنساً بها، أو لغرض معين معه إقرار ما تضمنته من المخالفات !! وهذا النوع - فيما أظن - له حكم كلام المؤلف

ثم يؤول العلو بعلو المكانة ، والاستواء بالاستيلاء .

ثم يبني على هذه العقيدة عقائد أخرى مختلفة، فهو يرى أن معنى إنزال القرآن أي الاعلام (١) !! فراراً من إثبات النزول الحقيقي، لأنه لا يعتقد أن الله تعالى متصف به . كما أنه لا يثبت نزولا للرب يليق بجلاله وكماله . (٢) .

وهكذا يُجري التأويل ـ التحريف ـ في صفة اليد ، (٣) والوجه (٤)، والعين (٥) ، والمجيء (٦) ، والكلام (٧) .

كما أنه يعد آيات الصفات من المتشابه من جهة المعنى (٨)، وينسب التفويض إلى السلف ، (٩)وينفي أن يكون ظاهر نصوص الصفات مراداً لله عز وجل(١٠)، لأنه يظن أنه يقتضي التشبيه (١١).

بل يصرح بأن إبقاء آيات الصفات على ظواهرها لم يقل به أحد من المسلمين، وإنما هو رأي لبعض اليهود والنصارى والمجوس(١٢)!! وأما في أفعال العباد ،(١٣) ومسألة التحسين والتقبيح ،(١٤) فمذهبه فيهما لا يختلف عن مذهبه فيما تقدم من المسائل .

كما أنه جرى على بعض أصولهم وقواعدهم ، كترك الأخذ بأحاديث الأحاد في العقائد ،(١٥) وكتقديم العقل وتأويل النقل حينما يتعارض العقل والنقل

.....

١- انظر المناهل (١/٣٣،٣٦،٢/١٩٢) .

٢- المصدر السابق (٢/١٩١ـ١٩٣)

٣- المصدر السابق (٢/١٨٧،١٩١)

٤- المصدر السابق (٢/١٨٧) .

٥- المصدر السابق (٢/١٨٧) .

٦- المصدر السابق (٢/١٨٧) .

٧- المصدر السابق (١/٨ـ١٥،٢/١٧) .

٨- المصدر السابق (١/٧٣ـحاشية١،٢/١٨٢ـ١٩٨)

٩- المصدر السابق (١/٧٣ـحاشية١،٢/١٧٥،١٧٧،١٧٩،١٨٢ـ١٩٨) .

١٠- المناهل (٢/١٨٢ـ١٨٨) .

١١- المناهل (٢/١٨٤،١٨٦) .

١٢- المناهل (٢/١٨٨) .

١٣- المناهل (١/٥٠٩) .

١٤- المناهل (٢/٩٧،١٢٧).

القطعيان (١) (٢) .

خامساً : عصره : (٣) .

أ- من الناحية السياسية والاجتماعية :

إذا أردنا أن نتحدث عن الحالة المتدهورة التي وصلت اليها الأحوال السياسية والاجتماعية في عصر المؤلف، فإنه لا بد لنا من أن نشير إلى الإرهاصات والمقدمات التي أدت إلى الوصول إلى تلك الحالة المشار إليها ، فنقول :

دخلت مصر تحت سلطان العثمانيين عام(٩٢٣هـ) على يد السلطان سليم الذي جعل القُوى فيها تدور على ثلاثة محاور وهي :

الأول : قوة الباشا.

الثاني : قوة الجيش ، وقد جعله ست فرق .

الثالث : قوة المماليك .

ثم أناط بكل طرف من هذه الأطراف مهمة يقوم بها .

وقد فعل هذا كله من أجل ضمان بقاء سيطرته عليها ؛ فإذا ما أراد الباشا - مثلا - أن يستقل بالسلطة ويستقل عن السيادة العثمانية، فإنه سيواجه قوتين من الداخل، قبل مواجهة الجيوش العثمانية .

بيد أن هذا النظام كان قد أثمر أسوأ الثمار ، حيث أصبح الصراع محتدماً بين هذه القوى الثلاث، وصارت المؤامرات ترتب على قدم وساق إلى أن آل الأمر إلى سيطرة الجيش والمماليك ، أما الوالي - الباشا - من قبل العثمانيين فلم يبق له حول ولا طول، بل كان موضع تسلط واعتداء القوتين الأخريين فإذا سَلِمَ من الجيش لم يسلم من المماليك .

و إن مما يبين لك الحالة التي بلغ إليها هذا الأمر، أنه تعاقب على مصر

١- المناهل (٤٩١/١) .

٢- المناهل (٥٣٢/١) .

٣- من المعلوم أنه لا يمكن أن يتعارض العقل الصحيح مع النقل الصحيح الصريح بحال من الأحوال،

منذ دخول العثمانيين لها (سنة ٩٢٣ هـ) إلى أن تولى محمد علي (١) سنة (١٢٢٠هـ) ما يقارب من (١٢٥ والياً) .

ولما كانت الولاية بهذه المثابة، أصبح هَمّ أكثر الولاة جمع أكثر ما يمكنه جمعه من الأموال ، في الفترة القصيرة التي تستمر فيها ولايته ، إلى أن يذهب ويأتي مثله وهكذا .

وكان الشعب هو الضحية دائماً .

هذا وقد كانت جميع أراضي مصر تابعة للسلطان من الناحية القانونية ، كما كانت مقسمة إلى إقطاعات موزعة على أفراد يُسمَّون "ملتزمين" بحيث لا تُنزع منهم ، كما تنتقل إلى ورثتهم . وكان هؤلاء يعهدون بزراعة الأرض إلى الفلاحين فكان كل فلاح يختص بقطعة من الأرض يرثها أبناؤه من بعده، ولا تنزع منهم .. وعلى هؤلاء الفلاحين وأولئك الملتزمين خراج يدفعونه نقداً أو عيناً .

ولما كان عهد السلطان سليمان القانوني بدأ نظام الامتيازات الأجنبية ، وكان ذلك في سنة (٩٤٢ هـ) حيث أبرم فرانسوا الأول حاكم فرنسا معاهدة تحالف مع السلطان سليمان ضد أسرة " الهاسبورج" حاكمة النمسا وأسبانيا ، وبموجب هذه المعاهدة أُعطيت فرنسا بعض الامتيازات، حيث أُتيح للرعايا الفرنسيين المقيمين بأنحاء الدولة العثمانية أن يتحاكموا إلى قنصلياتهم ، كما أُعفوا من الضرائب .

وهذه الامتيازات التي لم تكن ناتجة عن ضعف الدولة آنذاك ، وإن كانت قد أثرت بعد ذلك أشد التأثير في إضعاف الدولة، وهيمنة تلك الدول على أقطار مختلفة داخلة تحت السلطة العثمانية .

ولم تلبث هذه المعاهدة أن جُددت في عهد السلطان أحمد خان في سنة (١٠٢٦) هـ

كما أبرمت انجلترا وهولندا معاهدتين مماثلتين حصلتا بموجبهما على إطلاق حرية سفن تلك الدول في التجول في أرجاء المياه الإقليمية للدولة العثمانية ، كما خولتها دخول موانيها وهي رافعة أعلامها ، بالإضافة إلى إتاحة الحرية لرعايا تلك الدول في التحاكم إلى قنصلياتهم

.....

١- محمد علي باشا : هو ابن إبراهيم أغابن علي مؤسس أخر دولة ملكية بمصر ألباني الأصل مستعرب ولد في قولة سنة(١١٨٤ هـ) وتوفي بمصر سنة (١٢٦٥ هـ) .الأعلام (٦/٢٩٨ ، ٢٩٩) .

ولما كان عهد السلطان إبراهيم خان الأول (١٠٤٩ ـ ١٠٥٨ هـ) ازداد نفوذ المماليك بمصر ، وتعاظمت قوتهم، بيد أنهم انقسموا إلى حزبين متنافسين، كان القاسم المشترك بينهما هو العمل الدائب على استعادة سلطان المماليك على مصر .

هذا وقد بلغ هذا التنافس بينهما إلى حد وقوع الاشتباكات والقتال بين هذين الحزبين .. والذي كان للدولة العثمانية ضلع في وقوعه والتحريض عليه، لإضعاف تلك القوة المتزايدة؛ بل إن الدولة العثمانية حاولت جاهدة أن تبيد المماليك على يد واليها على مصر " محمد راغب باشا" (١) (١١٥٧ـ١١٦١) هـ والذي أرادوا الإيقاع به لما علموا بمهمته ففر هارباً .

كما حاول أحد الولاة من بعده (٢)وفي حدود سنة (١١٨١ هـ) أن يقوم بنفس المهمة، فحاصره المماليك وعزلوه سنة (١١٨٢ هـ) على يد أحد زعمائهم (٣) والذى استطاع أن يعزل الوالي الموفد من قبل السلطان بدلا من ذلك الذي عُزل (٤) فأصبح الزعيم المملوكي (٥) هو الزعيم الفعلي لمصر . بل إنه تمرد على العثمانيين، ووضع عنهم تلك الجبايات التي كانت تُرسل إليهم، وامتد سلطانه إلى الحجاز والشام وحالف الروس ضد العثمانيين ، إلا أن قائده(٦) انقلب عليه وجلس على عرشه ، وأعاد مصر إلى حضرة العثمانيين مرة أخرى.

و قدأغرى هذا التصرف الدولة العثمانية أن ترسل والياً من قبلها على مصر (٧) إلا أن ذلك القائد(٨)احتجزه ولم يمكنه من أي سلطة .

وفي هذا الوقت بدأت قوة انجلترا تظهر وتبرز على الساحة ، بعد أن أنهت قوة البرتغال وسيطرتها على المحيط الهندي .

.....

١- محمد راغب باشا : هو سياسي تركي مولده ووفاته بالأستانة عُين والياً على مصر سنة (١١٥٩ـ ١١٦١) ثم بالرقة ثم بحلب ثم بالشام إلى أن ولي الصدارة العظمى في الدولة العثمانية . وكان مولده سنة (١١١٠ هـ) ووفاته سنة (١١٧٦ هـ)،الأعلام (١٢٣/٦) .

٢- هو محمد راقم باشا.

٣- هو: علي بك .

٤- هو: محمد راقم باشا .

٥- هو : علي بك

وقد كانت شركة الهند الشرقية ، قد أنشبت أظفارها في القارة الهندية ، وبدأت تحتل على شواطئها في الشرق والغرب مناطق تحولها إلى قلاع .

وكان من الطبيعي أن توجه انجلترا التفاتها إلى المنطقة الإسلامية التي كانت الممر الطبيعي لتجارة الشرق المتجهة نحو أوربا ، فبدأت أساطيلها تنفذ إلى الخليج بعد أن طردت البرتغال . إلا أن شمال البحر الأحمر ظل مغلقاً في وجهها لحظر العثمانيين عليها دخول تلك المنطقة ، نظراً لقرب الأماكن المقدسة .

لكن الانجليز تمكنوا من التفاوض مع أحد الولاة المماليك (١) على دخول السفن والمتاجر الانجليزية إلى مصر ، ومن ثم الاتفاق النهائي على ذلك في عهد الذي خلفه على عرش مصر(٢)، ففتح لهم ميناء السويس ، ولما توفي هذا وخلفه وزيران له ،(٣)، عقدا معاهدة مع فرنسا خولتها امتيازات وتسهيلات جمركية في الموانئ المصريه ، وعينت لها قنصلا عاماً ـ وكان من كبار التجار الداعين للاستعمار ـ هناك ، مما حدا بانجلترا أن تعين لها قنصلا عاما في مصر أيضا ؛ مما أثار غضب العثمانيين .

وبعد ذلك بسنتين جاءت الحملة الفرنسية سنة (١٢١٣ هـ) بقيادة نابليون ، والتي كانت مكونة من (٣٥) ألف جندي ، ومعهم العلماء الذين جاءوا لإحياء الآثار الفرعونية ، من أجل إضاعة الهوية الإسلامية لأهالي مصر، وكان عدد هؤلاء العلماء (١٤٦) عالماً .

وقد وقعت بعض المعارك بينهم وبين المماليك والتي انتهت لصالح الفرنسيين فدخلوا الاسكندرية والقاهرة .

ولقد عمد نابليون قائد الحملة إلى سياسة خبيثة لتثبيت مركزه وللتأثير على الأهالي فأصدر الكثير من المنشورات التي يتظاهر فيها بالتعاطف مع الخلافة ومع الدين الإسلامي ؛ بل إنه تظاهر في بعضها بالإسلام واستخف عقول الكثيرين ، وأظهر التنديد بعقيدة النصارى من حيث نسبة الولد إلى الله تعالى .

وقد أحضر معه مطبعة بالأحرف العربية ، الأمر الذي يسر عليه ذلك التضليل الكبير؛ وكان من سياسته الماكرة الإكثار من إقامة الحفلات التي أراد من خلالها

---

١ ـ هو علي بك

٢ ـ هو أبو الذهب .

٣هما : مراد بك ، وخليل بك .

كسب رضا وتأييد المسلمين هناك ، فأقام احتفالا بعيد المولد النبوي - كما يسمونه - واحتفالا آخر بعيد المسيح وهكذا.

وقد بدأ بإيجاد بعض الدراسات لمشروع حفر القناة ، إلا أنه لم يتم .

هذا ومن الجدير بالذكر أن نابليون كان قد أحضر معه حشداً من الداعرات المومسات من فرنسا لنشر الفساد والسفور بين المسلمين في مصر .

ولم تلبث الأمور في فرنسا أن تردت ، مما اضطر نابليون إلى العودة ثانية إليها ومخلفاً وراءه "كليبر" قائداً للحملة ، والذي قتله سليمان الحلبي (١) بعد أن قضى كليبر على مظاهرة للأهالي في القاهرة استمرت (٣٧) يوماً ، فخلفه جاك منو على رئاسة الحملة ، فوقعت بينه وبين الانجليز المرابطين بأساطيلهم قرب الاسكندرية بعض الوقائع ، والتي هزم فيها ، وجاءه في نفس الوقت جيش للعثمانيين في البر ، وأسطول لهم في البحر ، مما اضطره إلى كتابة معاهدة خرج بمقتضاها من مصر ، بعد أن بقيت الحملة بمصر ثلاث سنين .

بيد أن الانجليز خلفوا الفرنسيين ، فبقيت فلولهم في القاهرة والاسكندرية ، مما أدى إلى وقوع فوضى شنيعه في مصر ، حيث صارت القوى أربع وهى :

قوة العثمانيين ، والانجليز ، والمماليك ، والشعب ، الذي بدأ يبرز فيه بعض الزعماء ويحركونه ، و بالرغم من خروج الانجليز عام (١٢١٦ هـ) إلا أن هذه الفوضى قد استمرت أربع سنوات متتالية ، حاول فيها كل فريق القضاء على الأخر ، فأعدم العثمانيون الكثير من زعماء المماليك غدراً ، وتخاصم الشعب مع العثمانيين ، مما أتاح لمحمد علي البروز في الساحة كطرف عسكري يوالي الشعب وزعماءه ، ويتقرب إليهم بشتى الأساليب الماكرة ، مع العمل "خفية" على ضرب تلك القوى ببعض ، حتى صفا له الجو ، فأصبح هو القوة المحركة للأحداث في مصر ، وقد استطاع أن يهزم أسطولا انجليزيا جاء في سنة (١٢٢٢ هـ) ، وأن يردهم خائبين ، مما جعل الأنظار تتجه إليه والقلوب تتعلق به .

وقد كانت توجهات هذا الطاغية وأحفاده متجهة إلى فرنسا ، حتى جاء عهد

توفيق باشا (١) الذي حول الولاء والعبودية إلى انجلترا .

وقد عمل محمد علي جاهداً على تغريب مصر ، وبدأ في هذا المسار من حيث وقف الفرنسيون ، فواصل مشروعاتهم التغريبية ، وأقرها ودعمها ، وكان الفرنسيون هم المقربين والمستشارين والخبراء في دولته ؛ كما أبقى على قوانينهم الوضعية التي أصدرها نابليون ، فلم يحرك منها ساكناً .

واستمرت الحال على ذلك في عهد محمد علي وابنه إبراهيم (٢) حتى جاء عهد عباس الأول (٣)، والذي أضعف الجيش ، وألغى الكثير من المدارس ، وقصرها على واحدة في سنة (١٢٦٦ هـ) .

لكن عباساً الأول لم يلبث أن قتل ، وجاء بعده سعيد بن محمد علي (٤)(١٢٧٠ هـ) وكان سعيد مغرماً بالأوربيين ، خاصة الفرنسيين منهم ؛ وكان قد سافر إلى فرنسا ليتربى هناك ويتعلم ، وكان على علاقة قوية مع نائب القنصل الفرنسي بالاسكندرية ، ولما سافر سعيد إلى فرنسا وطّد الصلة أكثر بأسرة ذلك النائب

ولما عرض ذلك الفرنسي على سعيد فكرة حفر قناة السويس وافق عليها سعيد مباشرة ، وأعطى امتياز هذا المشروع الضخم لهذا الصديق الوفي ، كما أعطاه قسماً من الأرض الواقعة هناك بلا ثمن .

هذا وقد اشترى سعيد نصف أسهم القناة ، مع الاحتفاظ بـ (١٥) بالمائة من نسبة الأرباح أما باقي الأسهم فقد عرضت في عواصم أوربا وتمت تغطيتها هناك .

ثم بدأ الشروع في الحفر سنة (١٢٧٥ هـ) وخصص له سعيد (٢٥) ألف عامل من الشعب المصري يعملون به بصورة مستمرة .

وفي عهده بدأت عملية الاقتراض من الممولين الأوربيين ، فاقترض قرضين

١هو محمد توفيق باشا بن إسماعيل بن إبراهيم بن محمد علي تولى السلطة في مصر سنة (١٢٩٦هـ) ولد سنة (١٢٦٩ هـ) وتوفي سنة (١٣٠٩هـ) ،الأعلام (٦٥/٦) .

٢- هو إبراهيم باشا بن محمد علي باشا قائد مشهور من ولاة مصر اشتهر بقوته وكثرة انتصاراته ولد سنة (١٢٠٤) هـ وتوفي سنة (١٢٦٤) هـ . الأعلام (٧٠/١) .

٣هو عباس باشا بن طوسون بن محمد علي ثالث الولاة من أسرة محمد علي وكان مولده سنة (١٢٢٨هـ) ووفاته سنة (١٢٧٠) هـ . الأعلام (٢٦١/٣) .

٤- هو محمد سعيد باشا بن محمد علي الكبير من ولاة مصر ولد في الاسكندرية سنة (١٢٣٧هـ وفي عهده بدأ حفر قناة السويس سنة (١٢٧٦هـ وكانت وفاته سنة (١٢٧٩هـ . الأعلام (١٤٠/٦) .

توفي بعدهما سنة (١٢٧٨ هـ) وخلفه إسماعيل باشا(١)الذي عاش في فينا سنتين ، وتربى وتعلم في باريس .

وقد نُقل عنه أنه قال. "أريد أن أجعل مصر قطعة من أوربا" ولذا أنشأ القناطر والطرق المشابهة لبعض شوارع باريس ، وأنشأ المسارح ، والتي كانت تعتمد على الفِرَق الإفرنجية في أول الأمر ، إلى أن تخرج على أيديهم بعض العرب فقاموا بالدور على الوجه الأكمل .

وقد أغرق إسماعيل مصر بالديون التي كان ينفقها في شهواته وقصوره ورشاواه.

وفي عهده ازداد البحث عن الآثار في مصر ، وافتتح المتحف المصري أيضاً .

واستمرت سياسة الاقتراض في عهده ، حتى رهن مقابلها الكثير من الإقطاعات والعوائد المالية من السكك الحديدية وغيرها .

وفي سنة (١٢٨٨ هـ) جاء إلى مصر جمال الدين الأفغاني (٢)، وبقي فيها أربعين يوماً سافر بعدها إلى تركيا ، ثم عاد ثانية إلى مصر ، وبقي في ضيافة الخديوي إسماعيل سنة (١٢٨٨ هـ) .

ولما كان الخديوي إسماعيل غارقاً في شهواته ، باع ما في حوزة مصر من أسهم القناة - بعد أن صارت حكومته على وشك الإفلاس - على انجلترا بعد أن عرضها إسماعيل في باريس ، فأسرع رئيس وزراء بريطانيا - اليهودي آنذاك - (٣)في شرائها لما لذلك من أثر كبير في تسهيل عملية التدخل في شئون مصر ، كما حدث بالفعل فيما بعد .

ثم انتهزت انجلترا فرصة توجه احتياج إسماعيل لها ، فأرسلت له مستشاراً مالياً ليدرس أحوال مصر ، مما حدا بفرنسا أن ترسل موظفاً فرنسياً ليقدم إلى إسماعيل مشوراته ومقترحاته في علاج ماليته

بعد ذلك خرجت البعثة الاستشارية الانجليزية بوجوب خضوع مالية مصر للمشورة الأوربية ووجود مصلحة للرقابة على مالية الدولة يرأسها إنجليزي ، وعلى

١- إسماعيل باشا بن إبراهيم بن محمد علي الكبير خديوي مصر ولد في القاهرة سنة (١٢٤٥ هـ) وتعلم بها ثم في فرنسا وولي مصر سنة (١٢٧٩هـ) وتوفي سنة (١٣١٢هـ).الأعلام (٣٠٨/١) .

الخديوي أن يحترم مقترحاته .

وفي ذلك الوقت أيضاً تم إنشاء المحاكم المختلطة للرعايا الأجانب ، والتي جعلت مختصة بالمنازعات المدنية والمالية دون الجنايات ونحوها التي كانت تفصل في القنصليات .

كما عين إسماعيل بعض الأمريكيين والإنجليز والفرنسيين قادة للأساطيل والقوات البرية ، بل كان رئيس الأركان المصري أمريكياً ، وكان أمثال هؤلاء يوضعون على رأس المراكز العلمية أيضاً .

ولما توقف إسماعيل في سنة (١٢٩٣ هـ) عن دفع الديون ، وأجل ذلك ثلاثة أشهر ، هدده الغربيون بالتدخل العسكري ، فأراد أن يهدأ من غضبهم فأنشأ صندوقاً للدين ، وجعل مهمته تسلم المبالغ المخصصة للتسديد مباشرة من المصالح المحلية ، وخصص له إيرادات كثير من المديريات والمحافظات ، وجعل الإشراف عليه بواسطة مندوبين من الدول الأوربية الدائنة

ثم أنشأ مجلساً أعلى للمالية ، يتألف من عشرة أعضاء ، نصفهم من أوربا ، وكان رئيسه هو أحد أعضاء مجلس الشيوخ الإيطالي .

ثم تم الاتفاق بين فرنسا وإنجلترا على وجوب فرض الرقابة الأوربية على مالية مصر ، وأن توضع السكك الحديدية وميناء الاسكندرية تحت إدارة لجنة مختلطة من الأوربيين والمصريين ، فوافق إسماعيل على ذلك ، فأتاح للرقيبين الأوربيين فرصة ابتزاز الأموال من مصر إلى حد أنهما باعا لشركة إنجليزية عظام الموتى البالية ، وأعطياها حق تصدير ذلك من مصر ، كما سمحا لها أن تتخذ من المقابر المصرية القديمة مخازن للفوسفات .

كما عين إسماعيل "نوبار" باشا الأرمني النصراني ، رئيساً للوزراء ووزيراً للخارجية .

كما جعل "ريفرز ولسون" البريطاني وزيراً للمالية . و"دي بليميز" الفرنسي وزيراً للأشغال .

ولم يلبث هذان أن أعلنا إفلاس الدولة ، مما أثار الشعب ، وجعلهم يطالبون بعزلهم ، ففعل إسماعيل ، مما أغضب عليه إنجلترا وفرنسا ؛ فأوعزا للسلطان العثماني عزله ، وتولية ابنه محمد توفيق ، فكان لهم ذلك .

ومن هنا بدأ النفوذ الإنجليزي يطغى ويزداد ، لأن توفيق كان يصب ولاءه

لانجلترا ، فأعاد الرقابة الثنائية على مالية مصر ، وعين اللورد كرومر مفتشاً على الإيرادات ، والمسيودي بلينيز رقيباً على الحسابات والدين العمومي .

هذا وإن مما زاد الأمر سوءاً والتدخل تمكناً هو قيام توفيق هذا ببيع نصيب مصر من أرباح القناة .

وقد كان توفيق يقرب الأتراك والشراكسة على العرب ، ونفى جمال الدين الأفغاني مؤسس الحزب الوطني ، وقام بعض قادة الجيش من الشراكسة بإبعاد العرب وتقريب الشراكسة والأتراك مما أثار الكثيرين من العرب في الجيش وغيره ، مما أدى إلى بروز النعرة القومية والثورة من قبل بعض الضباط والجنود العرب على بعض القادة الأتراك والشراكسة ، حتى حصلوا مرادهم ، مما أغراهم بالقيام بثورة أخرى مماثلة من الضباط والجنود الذين يزيدون على أربعة آلاف جندي وضابط وطالبوا بالبرلمان ، وباستقالة الوزارة الحالية ، وكان على رأس هؤلاء المتظاهرين أحمد عرابي.(١) .

فما كان من الخديوي إلا أن نزل عند رغبتهم ، وعين عرابي على الحربية ، الأمر الذي جعله يحيل ما يقرب من ثلاثمائة ضابط إلى التقاعد فتآمروا على قتله ، فنفى منهم أربعين إلى خارج مصر .

وبعد أن أصبحت الوزارة الجديدة أكثر أعضاءها من الوطنيين ، صارت لهم السيطرة عليها ، بل وعلى زمام الأمور - إلى حد ما- في مصر ، وقد حصل بينهم وبين الخديوي مشادات كثيرة ، أدت إلى حل الوزارة وتشكيلها مرات متعددة . وفي هذه الظروف رأت إنجلترا وفرنسا أن الوقت قد حان ، والمبرر قد وجد للتدخل العسكري في مصر ؛ فجاءت قطع الأسطولين إلى ميناء الاسكندرية ، وطالبوا بإبعاد عرابي وإقالة الوزارة الحالية ، وذلك في سنة (١٢٩٩هـ) فحقق لهم توفيق كل ما أرادوا ، إلا أن الجيش التابع له ، (٢)والشعب المعجب بزعامته ، رفض ذلك ، مما جعل الخديوي يعيده في منصبه .

وكانت إنجلترا تريد التدخل بأي صورة ، مما جعلها تفتعل بعض الأحداث

١- هو أحمد عرابي بن محمد عرابي زعيم الثورة التي اشتهرت باسمه نفاه الإنجليز إلى جزيرة سيلان

لتبرر لنفسها حق التدخل في مصر ؛ فوقعت مذبحة الاسكندرية ، وهددت إنجلترا من ترميم القلاع الواقعة في الاسكندرية .

فلما رأت فرنسا ذلك التصميم من إنجلترا سحبت أسطولها ، فبقيت انجلترا تضرب بسفنها الحربية جميع قلاع الاسكندرية وضواحيها ، حتى احتلتها ، ثم أخذت السويس ، ثم وقعت اشتباكات بين الإنجليز وبين لفيف من الجيش والشعب بزعامة عرابي ، فكانت الهزيمة من نصيب عرابي ومن معه ، فدخل الإنجليز القاهرة ، وألغوا الجيش المصري ، وسجنوا أكثر من ثلاثين ألفاً من العلماء والزعماء والضباط وعامة الناس .. لأنهم اشتركوا في مقاومة الإنجليز .

وكثر النفاق فى كثير من الناس مع الإنجليز ، والتودد إليهم ؛ وفي سنة (١٣٠٠ هـ) حاكموا عرابي ورفاقه فنفوهم إلى سيلان ، ونفي محمد عبده (١) إلى الشام ثلاث سنين ، وتم تعيين اللورد كرومر قنصلا عاماً على مصر ، فألغى المصانع والمؤسسات البحرية ، وجعل القيادات في الشرطة وغيرها من الإنجليز ، كما كون جيشاً مصرياً قوامه ستة آلاف ، وجعل قادته من الإنجليز أيضاً .

وكانت السودان ـ وهي في ذلك الوقت تشمل دولا متعدده اليوم ـ تابعة لمصر ، فأمر بإخلائه وتم تقسيم مناطقه على دول أوربية مختلفة ؛ كما أنشأ مجلس شورى القوانين ، الذي كانت مهمته إصدار القوانين الوضعية ، وعين محمد عبده بعد عودته من المنفى في عضويته .

كما تم اقتراض تسعة ملايين جنيه ، من أجل دفعها للرعايا الأجانب تعويضاً لهم عما حصل في الاسكندرية لما ضربت بمدافع الإنجليز ؛ كما تم تعيين أحد الإنجليز مستشاراً في القضاء .

وفي سنة (١٣٠٩ هـ) توفي الخديوي توفيق ، وخلفه الخديوي عباس حلمي الثاني(٢)، والذي جاء من فينا ولم يكن قد جاوز الثامنة عشرة من عمره فحاول أن يثبت وجوده وقدرته على تسيير دفة الحكم في البلاد ، إلا أن نفوذ كرومر كان قد

١ـ هو محمد عبده بن حسن خير الله من آل التركماني مفتي الديار المصرية وتلميذ الأفغاني ، وهو من رواد المدرسة العقلية وكان داعية إلى التقريب ما بين المسلمين وبين الحضارة الغربية ، كما كان صديقاً حميماً للورد كرومر . كان مولده سنة (١٢٦٦هـ) ووفاته سنة (١٣٢٣هـ) . الأعلام (٦/٢٥٢) .

٢ـ هو عباس حلمي بن توفيق بن إسماعيل أحد حكام مصر من أسرة محمد علي تعلم بالقاهرة ثم في فينة تولى مصر سنة ١٣٠٩ كان مولده سنة (١٢٩١) ووفاته سنة (١٣٦٣) ، الأعلام (٣/٢٦٠ـ٢٦١) .

تفاقم واستفحل ، حتى هيمن على جميع المجالات الحيوية وأفسدها .

وقد كان كرومر يقول : "إن مهمة الرجل الأبيض الذي وضعته العناية الألهية على رأس هذه البلاد هو تثبيت دعائم الحضارة المسيحية الى أقصى حد ممكن بحيث تصبح هى أساس العلاقات بين الناس" .

و لما شكى المنصرون كرومر إلى الحكومة البريطانية ، بدعوى تضييقه عليهم ؛ جمعهم وقال : هل تتصورون أنني يمكن أن أضيق عليكم ؟ ولكنكم تخطفون الأطفال من الشوارع ، وتخطفون الرجال لتنصيرهم ، فتستفزون المسلمين ، فيزدادون تمسكاً بدينهم ، ولكني اتفقت مع شاب تخرج في كلية اللاهوت بلندن ليضع سياسة تعليمية ستحقق أهدافكم" (١)كما قام كرومر بتسيير حملة السودان لكي يجعله تحت سيطرة الإنجليز ، بدعوى أنهم هم الذين دخلوه واحتلوه بعد أن خرج منه المصريون .

هذا وقد قامت صداقات حميمة بين كرومر ومحمد عبده الذي أضحى مفتياً لمصر ، و عضواً في مجلس شورى القوانين .

وقد كان محمد عبده والكثير من تلامذته يدعمون سياسة الإنجليز ومناهجهم ويصدرون لهم الفتاوى التي توافق أهوائهم . وقد تجرأ عفريت من هؤلاء ، ويدعى قاسم أمين ،(٢) فأصدر كتاباً سماه "تحرير المرأة" دعى فيه إلى السفور وطرح الحجاب ، إلا أنه تحفظ فيه بعض التحفظ ، ثم أصدر كتاباً آخر أسفر فيه عن خبثه ومقاصده ، سماه "المرأة الجديدة" وكان الذي يدعمه هو ذلك المفتي ! إن لم يكن هو الذي كتبه له .(٣)و في ذلك العهد وقعت حادثة غريبة ، عرفت بـ "حادثة دنشواي" وملخصها أن خمسة من الإنجليز ذهبوا إلى الصيد في دنشواي، فأصابت نيرانهم بعض الأهالي ، فهرب هؤلاء الإنجليز ، وكان أحدهم قد أصيب بضربة شمس توفي على إثرها ، كما قرر ذلك الأطباء ؛ إلا أن كرومر لم يرض بذلك ، فقام بإعدام عدداً من أهالي تلك القرية ، وسجن الكثير منهم سجناً يتراوح بين التأبيد والستة

١- واقعنا المعاصر ص٢١٦ .

٢- قاسم بن محمد أمين المصري ، أصله من الأكراد ، ولد في بلدة طره بمصر سنة (١٢٨٢هـ) ودرس

أشهر .. الأمر الذي أغضب عليه الشعب ، وأثّر على مركزه ، فقدم استقالته سنة (١٣٢٥ هـ) وخلفه جورست .

وفي تلك السنة تقريباً تم تأسيس ثلاثة أحزاب ، كلها يدندن حول الوطنية .

وأنشأت هذه الأحزاب صحفاً تدعو إلى مناهجها .. وتطالب بخروج الإنجليز وإن كانت الأساليب تختلف بينها من حزب لآخر .

و في سنة (١٩١١ م) توفي جورست ، وخلفه كتشنر الذي جرى على سياسة سَلَفَيْه ؛ وقد كان الخديوي وزعماء الأحزاب الوطنية ، يسافرون في كل سنة إلى أوربا ، ليستجدوا زعماءها ، وأصحاب الكلمة فيها ، علهم ينظرون في قضيتهم المهضومة .

ومن بين الوطنيين بدأ يبرز رجل ويُلَمَّع لتلتف حوله الجماهير ، وهذا الرجل هو سعد زغلول ،(١)الرجل العلماني ، القومي ، الوطني ، الذي يَعُدّه الإنجليز من أصدقائهم ، وهو واحد من صنائعهم ودُماهم .

و في سنة (١٩١٤ م) اشتعلت الحرب العالمية الأولى ، وكان الخديوي قد زار تركيا ، وجرت هناك محاولة لقتله ، لكنه نجا من تلك المحاولة مع كونه قد أُصيب بإصابات بالغة ، لكنه شُفي منها ، وأراد العودة إلى مصر ، فمنعته إنجلترا من ذلك ، فبقي في تركيا .

و لما انضمت تركيا إلى المانيا ضد فرنسا وروسيا .. أعلنت إنجلترا ضمها إلى مصر ، وجعلها تحت سيادتها .. ومن هنا بدأت التحركات في تركيا لتسيير جيش لإنقاذ مصر ، مما أبهج الخديوي ، إلا أنه اكتشف بعد ذلك أنه غير مرغوب فيه ، وأن النعرة التركية غالبة على ذلك الجيش ، فعزم الخديوي على السفر إلى فينّا ، فأعلنت انجلترا خلعه ، وأقرت الحماية على مصر وعينت مكانه الأمير حسين كامل (٢)عام (١٩١٤ م) ، كما تم تعين مكماهون معتمداً على مصر بدلا من كتشنر .

و في تلك الظروف الحرجة ، بدأ تدفق الجنود المحالفين لإنجلترا ،

١- سعد باشا بن إبراهيم زغلول - لازم الأفغاني ثم تلميذه محمد عبده - تولى وزارة المعارف وغيرها وكان على رأس الوفد المصري وهو الذي سرق الثورة المصرية فجعلها وطنية لا صلة لها بالدين (عليه من الله ما يستحق) كان مولده سنة (١٢٧٣هـ) ووفاته سنة (١٣٤٦هـ) . الأعلام (٣٨/٣) .

٢- السلطان حسين بن كامل بن إسماعيل باشا تعلم بالقاهرة وباريس أقيم سلطاناً على مصر بعد تنحية عباس حلمي الثاني . ولد سنة (١٢٧٠هـ) وتوفي سنة (١٣٣٦هـ)،الأعلام (٢٥٢/٢) .

وحشدهم في مصر ، وقد أساء هؤلاء الجنود التعامل مع الأهالي ؛ بل ظنوا أنهم دخلاء في مصر ، وانتهكوا الأعراض ، وسرقوا الأموال ، وانتهبوها .. وتم أخذ كثير من أموال الشعب ودوابهم ، بل وأبنائهم للقيام بخدمات للجيوش الإنجليزية وحلفائها .

و في سنة (١٣٣٤ هـ - ١٩١٦ م) عُزل مكماهون ، وخلفه رجنالدونجت ، وبعد ذلك بسنة توفي السلطان حسين ، وخلفه السلطان أحمد فؤاد .(١) .

و في سنة (١٩١٩ م) وضعت الحرب العالمية أوزارها ، وكان الشعب المصري يتململ طيلة فترة الاحتلال البريطاني لبلاده ، وازداد هذا الضيق والضجر في السنين التي استمرت فيها الحرب العظمى ، فكان انتهاء تلك الحرب فرصة مواتية لتعبير الشعب عن غضبه المختزن من السابق ، والذي له أسبابه الكثيرة ؛ كعزل مصر عن دولة الخلافة ، وإهانة كرامة ذلك الشعب ، واستغلال خيراته ، والسيطرة على أراضيه ومرافقه ... فقام ذلك الشعب بثورة عامة ، يوجهها الأزهر ورجاله بالدرجة الأولى ..

و هنا يأتي دور الزعامات المصطنعة لتقوم بدور التوجيه ؛ ومن هذه الزعامات سعد زغلول ، الذي أشرنا إليه سابقا ، والذي كان يعيش بالقاهرة ويسكن بجواره أو قريباً منه محمد محمود باشا(٢) وهو أحد الشخصيات البارزة آنذاك ، كما أنه من صنائع الإنجليز ، وأحد تلاميذهم .

و في أيام الثورة ، مر به سعد زغلول ، فاستوقفه محمد محمود وقال له : "إن الشعب يغلي ... ولابد أن نصنع شيئاً" فرد عليه سعد : "وماذا نصنع والحماية معلنة على البلاد ؟" . فقال محمد : "ولكن الشعب في حالة فوران شديد ، وإذا لم نفعل شيئاً فسيفوتنا القطار !" .

و في اليوم التالي شكل سعد زغلول وفده الثلاثي المعروف ، المكون منه ،

١- هو الملك أحمد فؤاد الأول ابن الخديوي إسماعيل تعلم بالقاهرة وبجنيف وإيطاليا ، تولى مصر سنة (١٣٣٥هـ) ، ولد سنة (١٢٨٤هـ) وتوفي سنة (١٣٥٥هـ) . الأعلام (١/١٩٦) .

ومن عبد العزيز فهمي ،(١) ومحمد باشا شعراوي ، وذهبوا إلى المندوب البريطاني لتقديم مطالب الأمة ! وطالبوا بتغيير الأحوال ، وأخبروا بفوران الشعب ، فقال لهم المندوب : كأنكم تريدون الاستقلال ! فقال سعد : نعم نريد الاستقلال ! وبدأ هؤلاء الزعماء يدندنون حول هذه الكلمة منذ ذلك الحين ! فاستدعاهم قائد الحامية الإنجليزية وتوعدهم ، ثم اعتقل بعضم - ومن بينهم سعد زغلول - ونفاهم إلى مالطا ،

مما زاد في حدة الأمر ، وكثف من مقاومة الشعب و تحديه ، فوقعت كثير من المصادمات بين الشعب وجنود الاحتلال ، وجرت أعمال لتخريب السكك الحديدية ، وخطوط التلغراف ، والقناطر .. فاضطرت بريطانيا أن ترسل اللورد اللنبي ليكون مندوباً لها في مصر ، بدلا من ونجت ، فوصل إليها وهو يهدد ويمني ؛ ولما سبر الأمور ، ودرس أسباب الثورة ومنابعها ، ورأى تأثير الأزهر عليها ، كتب لحكومته كتاباً عن الثورة جاء فيه : "إن الثورة تنبع من الأزهر وهذا أمر له خطورته البالغة ... أفرجوا عن سعد زغلول، وأوعيدوه إلى القاهرة !" وبالفعل أفرج عن سعد زغلول ورفاقه ، كما سُمح له بالسفر إلى أوربا- وكان قد مُنع من ذلك - وعاد سعد يحمل شعاراً للثورة "الدين لله والوطن للجميع" !! فحول الثورة إلى ثورة وطنية لا علاقة للدين بها ! .

ثم اشتركت النساء "فجأة" في الثورة ، وعلى رأسهن صفية زغلول ، زوجة سعد ،زغلول وأحرقن الحجاب ، وأبدين السفور !.

كما اتحد الوطنيون والأقباط ، إلى درجة أنهم قاموا برفع أعلام وصفوا عليها الصليب والنجمة من الهلال !! حتى قال شاعرهم :

يآل عيسى إننا إخوانكم فدعوا الوشاة وكذبوا النماما (٢)

و قال :

يامصر إنا فيك قوم واحد نحيى المسيح ونرفع الإسلاما (٢)

و في قصيدة أخرى : (٢)

يا صاحب الاهرام إن محمداً من ولد هاجر زوج إبراهيما

قبطية من آل مصر وأنجبت فينا رسولا هادياً ورحيما

١- عبد العزيز فهمي باشا ابن الشيخ حجازي عمرو . تعلم بالأزهر ثم بمدرسة الحقوق بالقاهرة وهو أحد مؤسسي الوفد المصري سافر مع سعد زغلول إلى باريس وانتخب رئيسا لحزب الأحرار سنة (١٩٢٤م) . كانت ولادته سنة (١٢٨٧هـ) ووفاته سنة (١٣٧٠هـ) . الأعلام (٢٤/٤) .

٢- انظر "موسوعة تاريخ مصر ص ٥٦٧"

فالمسلمون اليوم إن نزعوا إلى رعى القرابة كان ذاك قديما
نصب يزيد العنصرين تآلفـاً وينيل مصر معـزة ونعيمـا
ضم الهلال إلى الصليب فمرحباً بالشـارتين تعانقت تسليماً

و مع وجود هذه الثورة إلا أن الاحتلال الحقيقي بقي بعدها قرابة ثلاثين عاماً في مصر ، عمل فيها على نشر الفساد الفكري والخلقي بشكل مدروس ومركز ، والله المستعان .

ب ـ من الناحية العلمية :

امتازت مصر على سائر البلاد الإسلامية بوجود الأزهر منذ أمد بعيد ، حيث كان قلعة قوية جداً ، يفد إليه الدارسون من شتى الأقطار ، ليحصلوا العلوم المختلفة بين أروقته .

و لم يكن هناك ما ينافسه أو يضاهيه لا سيما في مصر !

و لما جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر سنة (١٢١٣ هـ) كان يصحبها (١٤٦) عالماً في شتى التخصصات العلمية ، وإن كان الغرض الأساسي من مجيئهم هو قلب أفكار المصريين ، وتحويلها إلى المناهج الغربية ، وكذلك إحياء الآثار الفرعونية ، لإضاعة هوية المسلمين هناك .

و كانت الحملة قد جاءت بالمطبعة ـ والتي وُجدت لأول مرة في مصر ـ لطبع منشوراتها التي تضلل بها المسلمين سياسيا وفكريا ! (وإن كانت المطبعة قد انتفع المسلمون بها فيما بعد بطبع الكتب الإسلامية والعربية ...)

كما قام نابليون بإنشاء المعهد العلمي المصري ، الذي وظف فيه هؤلاء العلماء ، وحث الأهالي على إرسال أبنائهم فيه !!

و لما خرج الفرنسيون من مصر بقيت مطبعتهم وبعض باحثيهم وباحثي الآثار الفرعونية ، ولم يبرحوا أرض مصر !!

حتى إذا آل الأمر إلى محمد علي قربهم وأدناهم ، بل وأرسل البعثات المتتالية إلى بلادهم ليكونوا أساتذة بعد عودتهم من فرنسا !!

فأرسل أول بعثة تعليمية إلى فرنسا عام (١٢٤٢) هـ وكان عددهم أربعين طالبا ،
ألحق بهم فيما بعد أربعة طلاب .

المعروف رفاعة الطهطاوي(١) ، الذي كان قد ذهب معهم إماماً يصلي بهم فرجع وهو أكثرهم شروداً وانحرافاً عن منهج الله عز وجل ، فصار من أكبر دعاة التغريب في مصر ، وألف كتاباً في الدعوة للأخذ بما عليه أولئك الغربيون ، ودعا فيه إلى حرية المرأة ، والرقص ، واعتبره حركات رياضية موقعة على أنغام الموسيقى .

و من الطريف أنه لما حضر أهله لاستقباله عند عودته من باريس ، أشاح عنهم في ازدراء ، ووسمهم بأنهم فلاحون لا يستحقون شرف استقباله .

و قد اقترح بعض الفرنسيين على محمد علي أن ينشئ مدرسة للطب لتخدم الجيش في معاركه ، ففعل ذلك ثم أرسل بعثة أخرى إلى فرنسا ، ثم ثالثة إلى فرنسا والنمسا وإنجلترا ، عام (١٢٤٥ هـ) ، وكان عدد طلاب هذه البعثة ٢٤ طالباً .

ثم أنشأ الترسانة البحرية على يد مهندس فرنسي ، وأنشأ مدرسة بحرية يقوم عليها أساتذة من فرنسا.

و في عام (١٢٥٢ هـ) تم إنشاء دار الكتب ، ومدرسة الألسن، بناء على اقتراح تقدم به رفاعة الطهطاوي ، وكان الغرض منها إيجاد الكفاءة لدى طبقة من المجتمع ليكونوا على صلة بين الثقافة الشرقية والغربية ، وينهضوا بالإدارة الحكومية ، وليعرِّبوا الكتب الإفرنجية ، وخاصة الفرنسية ، وكان ناظر هذه المدرسة هو رفاعة الطهطاوي نفسه !

وكام يدرِّس في هذه المدرسة اللغات الأجنبية ، والشرائع الأرضية وغيرها.

و في نفس العام تم إنشاء ديوان المدارس "وزارة المعارف" وأسندت إدارته لأحد خريجي البعثة الثانية(٢) ، وكان من بين أعضائه رفاعة الطهطاوي وغيره من زملائه الذين عادوا من أوربا .

و في سنة (١٢٦٠ هـ) تم إرسال أعظم بعثة إلى إنجلترا، وقد كان الكثير من أفرادها هم من الأسرة المالكة ، ولذا سُمِّيت هذه البعثة بـ "بعثة الأنجال" وكان عدد أعضائها (٢٨) عضوا ، وكانت هي البعثة الخامسة إلى أوربا .

و في سنة (١٢٦٣هـ) تم إرسال بعثات من أذكياء الأزهر لدراسة الحقوق في

١- رفاعة الطهطاوي : رفاعة بن رافع بن بدوي الطهطاوي تعلم في الازهر وابتعث إماماً وواعظاً مع بعثة الشباب الموفدين إلى أوربا فرجع يحمل الفكر الغربي ويدعوا إليه وإلى السفور . ولد سنة (١٢١٦هـ) وتوفي سنة (١٢٩٠هـ) . الاعلام(٣/٢٩)

٢- هو : مصطفى مختار بك .

فرنسا !!

ثم أُرسلت بعدها بعثة إلى إنجلترا في نفس العام . وبعد ذلك بسنة تم إنشاء ديوان للترجمة تحت رئاسة رفاعة الطهطاوي ، كان الغرض منه نقل المعارف الأوربية ! وإن كان الواقع أن الذي نُقل غالباً كتب القوانين والقصص والمسرح ..إلخ.

و لما كان عهد عباس الأول قام بإلغاء المدارس ، وقصرها على واحدة سنة (١٢٦٦ هـ) إلا أن المنصرين استطاعوا أن يفتحوا مدارس أوربية وأمريكية لتقوم بدور التنصير في مصر ، سنة (١٢٧٠ هـ) وكانت هذه المدارس مخصصة للبنين ، وبعد ذلك بسنتين تم افتتاح مدارس للبنات على يد الإرسالية الأمريكية .

و في عهد الخديوي إسماعيل قامت زوجته (جشم آفت) (١) بافتتاح مدرسة للبنات ، كما وضع رفاعة الطهطاوي كتاباً للبنين والبنات سماه "المرشد الأمين للبنين والبنات" .

و في ذلك العهد جاء جمال الدين الأفغاني ، والذي التف حوله كثير من الطلبة ، وتلقفوا أفكاره ومبادئه ، وصاروا يدعون إليها ، حتى صارت تلك الأفكار مدرسة معروفة في مصر ، قربت المستعمرين وأدنتهم .

و كان من أبرز تلامذتها محمد عبده ، الذي يعتبر استاذاً لقاسم أمين وأمثاله من دعاة التغريب في مصر !

هذا وقد عملت هذه المدرسة على التقريب بين الإسلام وبين ماعند الغربيين ، فوقع أصحابها في مزالق عظيمة !

كما حاول بعض أقطاب هذه المدرسة ، التدخل في شئون الأزهر وتغيير نظامه لتقويض أركانه ! فطالبوا بتعديل برامجه ومناهجه ، وإدخال العلوم العصرية في تخصصاته ، وأُصدرت قوانين بهذا الصدد عام (١٣١٣).

ولما كان عهد عباس حلمي الثاني بدأ العمل في مشروع الجامعة المصرية ، إلا أنه توقف لعدة سنوات لظروف الحرب العالمية الأولى . وقد وضع للجامعة لجنة تحضيرية ، كان سعد زغلول وكيلا لرئيسها، وقاسم أمين سكرتيراً للجنة !!

كما قام كرومر بتعيين دنلوب (١)سكرتيراً عاماً لوزارة المعارف ، ثم جعله مستشاراً في الوزارة !!

فعمد دنلوب إلى افتتاح مدارس لا تُعلم الدين ! ويتخرج الطالب منها بعد أربع سنوات براتب أربعة جنيهات ، بينما خريج الأزهر الذي يدرس عشرين سنة لا يجد العمل ! وقد يحصل عليه براتب ضئيل يقارب (١٢٠) قرشاً !!

كما جعل دنلوب مرتبات المدرسين، وأصحاب المؤهلات العالية اثني عشر جنيهاً ، سوى مدرسي اللغة العربية ، فجعل راتبه أربعة جنيهات !!

فصار الناس يلزمون أبناءهم بالتوجه إلى مدارس دنلوب "الحديثة" ، ويمنعونهم من الدراسة في الأزهر ، أو التخصص باللغة!! فصار لايأتي غالباً إلا الضعفاء من الطلبة ، أو الفقراء الذين لا يستطيعون تحمل نفقات تلك المدارس!!

فصار الأزهر يخرج - في كثير من الأحيان - نماذج هزيلة سواء من الناحية العلمية أو الاجتماعية !!

كما جعل مدرس التربية الإسلامية من أضعف الأساتذة شخصية ، وأسوئهم هيئة ! وغالباً ما يكون مسناً يضحك منه أشقياء التلاميذ في مدارس دنلوب !!

كما جعل دنلوب درس الدين في آخر الدروس ، بحيث تكون أذهان الطلاب مرهقة !! كما جعله مادة إضافية كالرياضة والرسم !!

ثم قام بإنشاء مدرسة عليا للمعلمين ، تقوم بصقل مجموعة من طلاب تلك المدارس ليصبحوا معلمين لما تعلموا من انحرافات ! وكان المتفوقون في تلك المدرسة يرسلون غالباً إلى أوربا ليصاغوا صياغة نهائية على الطريقة الدنلوبية !!

كما تم تعيين سعد زغلول وزيراً للمعارف ، وقاسم أمين رئيساً للجنة التحضيرية التي وُضعت للجامعة المصرية .

كما طالب بعض أقطاب مدرسة الأفغاني بإنشاء مدرسة للقضاء الشرعي -

---

١ - دنلوب هو قسيس تخرج من كلية اللاهوت بلندن أحضره كرومر إلى مصر ليضع لها سياسة تعليمية تحقق أهداف المنصرين . واقعنا المعاصر (٢١٦،٢١٧)

غيرالأزهر ـ فتم لهم ذلك ، لتخريج قضاة لا يعرفون إلا القوانين الأرضية!!

هذا وقد عمل المستعمرون جاهدين على جعل مصر محطة للأفكار والمبادئ المخالفة للإسلام ، لتُصدَّر فيما بعد إلى سائر البلاد الإسلامية ! بعد أن كان الأزهر يقوم بالدور المضاد تماماً .

وقد كان من العوامل التي ساعدت على ذلك ـ غير ما سبق ـ نشاط الترجمة التي كانت في الغالب منصبة على كتب الأدب الافرنجي، والقصص، والمسرحيات ، إضافة إلى أنواع الفساد الأخرى، كالقوانين ونحوها!!

كما وجد في القاهرة ـ بالذات ـ "صالونات" يلتقي فيها "بعض" رواد الأدب والإفساد الفكري ؛ كان من أشهرها صالون " نازلي فاضل " (١) الذي كان يحضره اللورد كرومر نفسه ، فضلا عن سعد زغلول ، ومحمد عبده (٢)، اللذين قد فتنا بأدبها ولباقتها !!

كما كان هناك صالون "مي زيادة" (٣) وهي أديبة وشاعرة لبنانية مسيحية!!

وصالون هدى الشعراوي (٤)، داعية السفور المعروفة ! وقد كانت مأوى لدعاة تحرير المرأة .

وقد كانت "نازلي" صاحبة الصالون الأول ، أميرة من أسرة محمد علي ، وقد تعلمت على طريقة الغربيين ، وتخلقت بأخلاقهم .

وكانت الصحف في ذلك الوقت تنشر التغريب على قدم وساق ! وكان من أشهرها ثلاث صحف كانت قد أُسست على أيدي نصارى لبنانيين !الأولى : دار الأهرام لآل تقلا !الثانية : دار الهلال لآل زيدان! والثالثة دار المقطم لآل صروف !.

ولما تم إنشاء مشروع الجامعة المصرية ، وفتحت أبوابها للطلاب كان

١ـ هي أميرة متحررة من أسرة محمد علي بمصر ، ولها مجلس في دارها تلتقي فيه بالأدباء .. وكان من زبائنها اللورد كرومر ولطفي السيد وسعد زغلول وقاسم أمين ومحمد عبده ومصطفى فهمي. واقعنا المعاصر (ص٣١٠).

٢ـ وكان من رواده أيضاً : لطفي السيد وقاسم أمين ومصطفى فهمي والد صفية زوجة سعد زغلول .

٣ـ مي زيادة هي ماري بنت الياس زيادة أديبة نصرانية كان لها مجلس مع الأدباء في دارها في كل ثلاثاء،

الأساتذة فيها - في الغالب - من المستشرقين أمثال "مرجوليوث" (١) أو من المستغربين أمثال طه حسين (٢) !

وقد كان التخطيط لهذه الجامعة أن تكون معقلا يخرج طلاباً لايمتون للدين بصلة ، ولا يعرفون للشرع حرمة ! وإنما قبلتهم أوربا وحدها .

هذا وقد عاث فيها أولئك الأساتذة فساداً ، فأجهدوا عقولهم في حبك الشبه الموجهة للإسلام وكتابه ونبيه ﷺ ، وكتبوا الأبحاث والمؤلفات لتحقيق هذه الغاية ، وكانت الهجمة شرسة إلى حد كبير ، مما حدا بالكثير من الغيورين على هذا الدين أن يجردوا أقلامهم لبيان حقائقه ورسوخ دعائمه ..

وكان من بين هؤلاء من لم يكن لديهم من القوة ما يهاجمون به دعاة التغريب والتشكيك ، فوقفوا في موقع المدافع ! واكتفوا بذلك ! كما ضعف آخرون فتضعضعت أقدامهم فأبدوابعض التنازلات ! وظهر آخرون بدور الوساطة والتوفيق بين الفريقين فأبدوا إسلاماً مصطبغاً بصبغة غربية مشوهة ! وليتهم سكتوا . والله المستعان (٣).

سادساً : مؤلفاته :

أشار المؤلف رحمه الله في كتابه مناهل العرفان إلى أن له مؤلفاً سماه "المنهل الحديث في علوم الحديث" (٤) ، بالإضافة إلى كتابه الذي اشتهر به

---

١ - (مرجليوث) هو دافيد صمويل مرجليوث إنجليزي بروتستانتي من كبار المستشرقين ؛ والذين نذروا أنفسهم للطعن في هذا الدين وتشكيك أهله به . ولد بلندن سنة (١٢٧٤هـ) وتوفي بها سنة (١٣٥٩هـ) ، الأعلام (٣٢٩/٢) .

٢- هو طه بن حسين بن علي بن سلامة، عُين وزيراً للمعارف المصرية وكان داعية للتغريب معروف له مؤلفات فيها ما يوجب ردته ككتاب "في الشعر الجاهلي" ولد سنة (١٣٠٧هـ) وتوفي سنة (١٣٩٣هـ)، الأعلام (٢٣١/٣).

٣- بالرغم من تلك الظلمات المتراكبة التي أشرت إليها سواء فيما يتعلق بالناحية السياسية والاجتماعية أو الناحية العلمية فقد وُجدت دعوات اسلامية تنادي بعودة الخلافة وبالرجوع إلى المصادر الأصيلة ، وترفض التغريب بشتى صوره ؛ كما ظهرت مدارس سلفية وعلماء أفذاذ كان لهم أثر بارز في المجتمع أمثال الشيخ محمد رشيد رضا ، والشيخ أحمد شاكر ، والشيخ محب الدين الخطيب ، والشيخ محمد حامد الفقي الذي أسس جماعة أنصار السنة عام (١٣٤٥هـ) .

وهناك علماء آخرون كان لهم أثر بارز في تنقية التراث والمحافظة عليه ، فهم من رواد الحركة العلمية المعاصرة أمثال الشيخ محمد منير الدمشقي ، والأستاذ محمد فؤاد عبدالباقي ، والأستاذ عبد الرحمن الجزيري (ت١٣٦٠هـ) والأستاذ عبدالسلام هارون ، وغيرهم كثير رحمه الله جميعاً وعاملهم بلطفه وعفوه .

وقد كان للمؤلف رحمه الله أثر بارز وجهد فعال في مجال الخطابة والتدريس ، وتوعية الجيل بما يحاك له من تضليل ومكر وتضييع للهوية الإسلامية .

٤- المناهل (١٣٧/٢،١٤٤)

"مناهل العرفان في علوم القرآن" وهو موضوع البحث ، كما أن له بحثاً في الدعوة والإرشاد (١).

كما أن للمؤلف بحثاً في البدع وموقف الإسلام منها ، فرغ من وضعه سنة (١٣٦٢هـ) وضعه للمتخصصين في الدعوة والإرشاد ، بكلية أصول الدين في الأزهر .

ويوجد منه نسخة في مجلد (مطبوع سنة ١٣٦٢ هـ) في المكتبة الأزهرية (٢).

تنبيه : قال الزركلي : "من كتبه : مناهل العرفان .. وبحث في الدعوة والإرشاد" اهـ (٣) .

ولعل هذا البحث هو الذي أشرت اليه قبل والله أعلم .

وهذا القدر هو الذي توصلتُ إلى معرفته فيما يتعلق بتآليفه سوى المقالات التي كان ينشرها في المجلات، كمجلة الهداية الإسلامية (٤).

سابعاً :وفاته :

توفي المؤلف رحمه الله سنة (١٣٦٧هـ)(٥).

تنبيه : لم أتمكن من الوقوف على مراجع كافيه تتصل بترجمة المؤلف رحمه الله ، وذلك غاية ما وقفت عليه ، وقد عزمت السفر إلى مصر من أجل البحث عن مصادر جديدة ، إلا أن الأستاذ الدكتور "محمد بحيري" حفظه الله أخبرني أنه بحث فلم يجد سوى ترجمة مختصرة أفادني بها جزاه الله خيراً .

١- الأعلام (٢١٠/٦)

٢فهارس الازهرية (٧/ص٤٧٧)

٣- الأعلام (٢١٠/٦)

٤-انظر على سبيل المثال في تلك المجلة عدد شهر ربيع الأول من عام (١٣٥٢هـ)

٥- الأعلام (٢١٠/٦) ، فهارس الأزهرية (١٩٤/١ ، ٤٧٧/٧)

القسم الثاني :الدراسة الإجمالية للكتاب

وتشمل الدراسة : اثني عشر مطلباً هي كالآتي :

المطلب الأول : في ذكر مدى استفادة المؤلف ممن سبقه في التأليف في هذا الفن .

المطلب الثاني : أثر الكتاب على ما كتب بعده في هذا الفن .

المطلب الثالث : في بيان مدى استيفاء المؤلف لمباحث هذا العلم .

المطلب الرابع : في ذكر إضافات المؤلف في هذا الكتاب إجمالا .

المطلب الخامس : في بيان منهج المؤلف في هذا الكتاب .

المطلب السادس : في أسلوب المؤلف .

المطلب السابع : ذكر الأهداف التي رمى المؤلف لتحقيقها في هذا الكتاب .

المطلب الثامن : ذكر مباحث الكتاب .

المطلب التاسع : في توثيق المادة العلمية ، والاهتمام بالعزو ، مع الدقة في النقل .

المطلب العاشر : ذكر المميزات الخاصة في «مناهل العرفان» وبيان منزلته بين الكتب المؤلفة في هذا الفن .

المطلب الحادي عشر : ذكر مصادر المؤلف .

المطلب الثاني عشر : في التنبيه على بعض المآخذ المشتركة بين بعض مباحث هذا الكتاب .

المطلب الأول : في ذكر مدى استفادة المؤلف ممن سبقه في التأليف في هذا الفن : .

المؤلف رحمه الله ـ كغيره من أهل العلم ـ يعترف بفضل من سبقه من المؤلفين على تأليفه ،فهو يقول في أول هذا الكتاب : "... على أنني في هذه المحاولة لا أدعي أنني أنشأت وابتكرت ، ولا أحدثت وابتدعت ، بل قصاراي أنني فهمت وأحسنت العرض ، إذا كنت قد وفقت .

أما المادة نفسها فالفضل فيها لعلماء هذه الأمة ، الذين أبلوا في جمعها بلاء حسنا ، ولم يخرجوا من الدنيا إلا بعد أن شقوا لنا الطريق ، وقربوا لنا البعيد .." اهـ(١).

وقال في موضع آخر : "... مستمداً معارفه ـ بعد فتوح الله وتوفيقه ـ مما كتب علماء الإسلام قديماً وحديثاً في القرآن الكريم وعلومه ، والتفسير ومقدماته ، وعلم تاريخ التشريع ، وعلمي الكلام والأصول ، وعلوم اللغة ومعاجمها ، وعلمي الفلسفة والاجتماع ، وعلمي النفس والأخلاق، وبعض البحوث المنثورة هنا وهناك، في غضون الرسائل والمجلات، من عربية صميمة، ومترجمة منقولة ..." اهـ (٢) .

هذا من حيث الإجمال ، أما من حيث التفصيل ، فإن المؤلف قد أحال في هذا الكتاب إلى أكثر من مائة مصدر ، لاتكاد تزيد تلك الإحالات في المصدر الواحد على ستة مواضع ، اللهم إلا الإحالة على كتاب الاتقان للسيوطي فإنها زادت على العشرين مرة ، علماً بأن المؤلف رحمه الله لا يعزو الكلام إلى مصدره في أحيان كثيرة ، وفي بعض المواضع يعزوه إلى مصدره الأصلي مع كونه قد أخذه من مصدر ثانوي ! وهذا كثير سأورد لك بعضاً من صوره وشواهده في موضع قادم إن شاء الله تعالى (٣)

والذى أظنه صواباً أن الباحث لا يستطيع القول بأن المؤلف ركن إلى مُؤَلَّف بعينه وبنى كتابه ـ في الغالب ـ عليه ، لأن المقارنة بين ما كتب المؤلف ،

١ـ المناهل (١/ب)

وما كتبه سابقوه ، توصلنا إلى ما قررت آنفاً .

هذا وقد كنت أظن قبل دراسة هذا الكتاب - كما يظن الكثير من الدارسين - أن الزرقاني إنما أعاد صياغة ما في الإتقان والبرهان !!

وهذا لا يصح البتة !! نعم لقد استفاد المؤلف رحمه الله مما كتبه السيوطي في مواضع متعددة من هذا الكتاب، إلا أن تلك المواضع قد تضيع بين مباحثه ومسائله !

ومن الأمثلة على المواضع التي استفادها المؤلف من غيره :

١ - ما كتبه المؤلف حول موضوع "أول ما نزل من القرآن" فقد استفاد كثيراً من كتاب الإتقان، حتى إنه ساق الأقوال التي ذكرها السيوطي ، وبنفس الترتيب الواقع في الإتقان .

٢ - في موضوع آخر ما نزل ، اقتبس المؤلف قدراً لا بأس به من ذلك الموضع من كتاب الاتقان للسيوطي أيضاً ، حتى في بعض النصوص التي أوردها السيوطي هناك .

ومما يبين ذلك أن الكثير من الآثار و نسبتها إلى مصادرها ؛ بالإضافة إلى الأقوال في المسألة ، مأخوذة من الإتقان في ذلك المبحث، كما يظهر ذلك عند المقارنة .

٣ - استمد المؤلف كثيراً من مادة المبحث الثالث "نزول القرآن والوحي" من الإتقان للسيوطي ، والذي اقتبس بدوره كثيراً من مادته من كتاب البرهان للزركشي .

٤ - يعد مبحث أسباب النزول مقتبس بأجمعه تقريباً من كتاب الإتقان ، مع تقديم وتأخير يسيرين ، بالإضافة إلى تغيير بعض العبارات والأساليب ! اللهم إلا موضوع "عموم اللفظ وخصوصه" فإنه ذكر فيه أدلة الفريقين ، وصاغها بصياغة منطقيه ، وليس ذلك كله مأخوذاً من الإتقان .

أما ما يتعلق بفوائد معرفة أسباب النزول ،فإن السيوطي قد نقل ذلك من البرهان مع اختلافات يسيرة جداً ، ثم نقلها الزرقاني من السيوطي مع شيء من

التقديم والتأخير، والزيادة والحذف ، وكان عدد تلك الفوائد عند السيوطي ستاً ، فزاد عليها الزرقاني واحدة .

٥ ـ في موضوع "ترتيب الآيات والسور" يكاد يكون كلام المؤلف رحمه الله عبارة عن إعادة صياغة وترتيب لما كتب السيوطي لا غير !.

٦ ـ استقى المؤلف رحمه الله من كتاب "النبأ العظيم" في مبحث "أسلوب القرآن الكريم" . وقد صرح بذلك بقوله : ".. يحلو لي أن أسوق إليك هنا كلمة ... وهي لصديقنا العلامة الجليل محمد عبد الله دراز(١) في كتابه "النبأ العظيم" ، الذي اقتبسنا منه فيما يتصل بإعجاز القرآن كثيراً .."اهـ (٢) . وأنت ترى ذلك جلياً حينما تطالع ما كتبه الزرقاني في ذلك المبحث ، وما كتبه دراز في النبأ العظيم ، فعامة ما كتبه الزرقاني هناك إنما هو مقتبس ـ بعبارته أحياناً ـ من كلام دراز، مع شيءمن التقديم والتأخير، والزيادة والحذف. (٣) .

كما استفاد المؤلف من الدكتور دراز في كتابه "مدخل إلى القرآن الكريم" حيث تجد شيئاً من التشابه في مواضع متعددة(٤) .

وهذه مجرد نماذج وأمثله تدل على غيرها ، ولم يقصد منها الاستقراء والتقصي ، فليس هذا محله .

لكن لا تحسبن هذا الأمر هو الغالب على الكتاب ، بل الأمر ما ذكرت لك فيما سبق والله المستعان .

١ـ محمد عبد الله الدراز هو فقيه متأدب مصري أزهري كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر، سافر إلى فرنسا وحصل من هناك على درجة الدكتوراه توفي سنة (١٣٧٧هـ) . الأعلام (٢٤٦/٦)

٢ـ انظر المناهل (٢٢٢/٢) .

المطلب الثاني : أثر الكتاب على ما كُتب بعده في هذا الفن : .

لقد اخترت كتابين من الكتب المؤلفة في علوم القرآن ، والتي جاءت بعد كتاب الزرقاني من حيث الفترة الزمنية ، فقارنت بين جميع مباحثهما ومباحثه ، وهذان الكتابان هما :

١ - مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح .

٢ - مباحث في علوم القرآن للشيخ مناع القطان .

هذا بالإضافة إلى المقارنة مع بعض التآليف ، ككتاب "التفسير والمفسرون" للدكتور الذهبي رحمه الله ، وكتاب "النبأ العظيم" ، و"مدخل إلى القرآن الكريم" للدكتور دراز رحمه الله وغيرهامن الكتب التي قارنت بينها وبينه في مواضع معدودة من مباحثه .

وقد كانت نتيجة تلك المقارنات هي أن عدداً من أصحاب تلك التآليف استفادوا - بدرجات متفاوته - من كتابنا هذا . لكن ذلك كله لم يكن بالصورة التي كنت أتوهمها من أن البعض من تلك التآليف يعد تلخيصاً لما في مناهل العرفان ، بل أفادوا منه بقدر مع استقلالية في البحث والمصادر غالباً .

هذا وإن مما يعين على معرفة تلك الاستفادات المشار اليها مقارنتي مباحث الزرقاني رحمه الله بما عند السيوطي والزركشي قبله في كل موضع ، وبهذا العمل يسهل التعرف على وجود المسائل والفوائد ، ومدى توفرها في تلك المؤلفات المتقدمة على مُؤَلف الزرقاني ، وأحياناً تكون تلك المعلومات من إضافات الزرقاني العلمية في هذا الكتاب .

وبعد هذا يمكننا أن نشير إلى بعض النماذج التي يمكن أن يقال بأنها مقتبسة من كتاب الزرقاني رحمه الله ، ومأخوذة منه ، فمن ذلك :

١ - أننا نجد الزرقاني رحمه الله قد تعرض لذكر معنى "أسباب النزول" الأمر الذي تابعه عليه القطان في مباحثه (١) والله أعلم .

٢ - نجد أن الزرقاني رحمه الله تعرض لذكر الفوائد المترتبة على معرفة

١- انظر المناهل (٩٩/١) ، مباحث في علوم القرآن (ص٧٩) .

أول ما نزل وآخر ما نزل ، وقد تابعه على ذلك القطان أيضاً .(١)

٣ ـ استفاد الدكتور صبحي الصالح في مبحث "النسخ" من كتابه مما كتبه الزرقاني حول هذا الموضوع في مناهله ، وهذه الاستفادة وإن لم تكن كثيرة ، إلا أنها تعد من أكثر المواضع التي أفاد فيها من الزرقاني نسبياً في ذلك الكتاب .

أما ما كتبه الشيخ مناع القطان في مباحثه حول نفس الموضوع فهو يعد تلخيصاً واختصاراً لما سطره الزرقاني إلا ما شاء الله .

٤ ـ وقعت جملة من الاستطرادات عند تعريف القطان للقرآن ، وهذا ما حصل للزرقاني في ذلك الموضوع .

٥ ـ الناظر في كتاب "النبأ العظيم" ، وكتاب "مباحث في علوم القرآن" للقطان ، يجد أنهما يسوقان عدداً من الشبه في عدد من المواضع ، ثم يحاولان الإجابة عنها ، وهذا هو المنهج الذي اعتمده الزرقاني في مناهله .

٦ ـ في موضوع الوحي وأدلته أورد الزرقاني مسألة التنويم المغناطيسي من جملة الأدلة العلمية على الوحي .

وقد أورد ذلك التنويم الدكتور دراز في "النبأ العظيم" مصرحاً باطلاعه على كلام الزرقاني ، إلا أن هناك فرقاً بينهما من حيث وجه الاستدلال .

وقد جاء ذكر هذا التنويم في كتاب القطان في مبحث "الوحي" أيضاً ، إلا أنه استفاده من كتاب "النبأ العظيم" والمؤدَّى واحد .(٢)

٧ ـ عقد المؤلف في أوائل مباحثه ، مبحثين خاصين بذكر بعض التعريفات الهامة ، مع عرض مقدمات تشمل موضوع هذا العلم وفائدته .. ونشأته وتطوره ... إلخ .

وهذا الأمر تابعه عليه الشيخ القطان في كتابه المشهور .

٨ ـ خالف الزرقاني رحمه الله الزركشي والسيوطي من جهة ترتيب المباحث والموضوعات ، فكان رأيه أن يبدأ أولا ـ بعد التعريفات والمقدمات ـ بموضوع "نزول القرآن والوحي" ، وقد حصل هذا الأمر في مباحث القطان كذلك .

٩ ـ تابع القطان المؤلف رحمه الله في تعداده شعبة ووكيع وسفيان في أول

المصنفين في التفسير(١) ، مع أن هذا غير مُسلَّم كما سيأتي (٢).

وكما تابعه على ذكر كثير من أوائل المصنفين في بعض أنواعه(٣) ؛ علماً بأن الكثير من ذلك لا يُسلَّم له ، كما ستعرف فيما بعد إن شاء الله تعالى . (٤).

ومن ذلك أيضاً أنه تابعه - ونقل كلامه - (٥)في أن أول من ألف في علوم القرآن "مجموعة" الحوفي ، وهذا لا يصح لما سأبينه لك في موضع آت إن شاء الله .

وهناك أمور أخرى اقتبسها القطان من مناهل العرفان تجدها بالمقارنة بين كلامهما على تاريخ هذا العلم ونشأته وتطوره ..

كما أفاد الدكتور صبحي الصالح من مناهل العرفان أيضاً في الفصل الأول من الباب الثالث ، والذي تكلم فيه عن تاريخ هذا العلم .(٦)وقبل أن أختم الكلام في هذا الموضوع أود أن ألفت نظرك إلى أن ما كتبه الدكتور صبحي الصالح في هذا الموضوع ، وما كتبه الشيخ مناع القطان ، ليس هو تلخيصاً لما ذكره الزرقاني في مناهله ، بل ولا السيوطي في إتقانه ، خلافاً لما قد يُتوهم كما أسلفت .

ومعلوم أن أهل العلم كانوا ولا زالوا ، يستفيد بعضهم ممن سبقه ، وينتفع بما كتبه .

١- انظر المناهل (٢٤/١) ، مباحث في علوم القرآن (ص١٢) .

٢- انظر ص ١٧٣

٣- انظر مناهل العرفان في علوم القرآن (ص١٢-١٣)

٤- انظر ص ١٧٠ فمابعدها.

٥- انظر مباحث في علوم القرآن (ص١٣،١٤)و انظر المناهل (٢٧/١-٢٨) .

٦- انظر مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح (ص١١٩-١٢٦).

المطلب الثالث : في بيان مدى استيفاء المؤلف لمباحث هذا العلم : .

إن عدة المباحث التي عقدها المؤلف في هذا الكتاب بلغت سبعة عشر مبحثاً لا غير . وهذا العدد يُعد ضئيلا إذا ما قارناه بعدد الأنواع والمباحث التي تعرض لها السيوطي في كتاب "التحبير" ، والتي زادت على المائة بنوعين ! أو قورن ذلك بعدد المباحث والأنواع التى جمعها في كتابه الآخر وهو "الإتقان" ، والتي بلغت ثمانين نوعاً .

وذلك العدد ضئيل كذلك إذا ما قورن بعدد الأنواع التي حررها الزركشي في برهانه"!

ولكن يجب أن نلفت نظرك في هذه الناحية إلى أمرين اثنين وهما :

الأول : أنك وبمجرد اطلاعك على فهارس كتاب المناهل ، تدرك أن المؤلف تعرض في هذا الكتاب لأهم مباحث وأنواع ذلك الفن الموسوم بـ "علوم القرآن" .

وهذا أمر حسن ولا ضير فيه على منهج المؤلف رحمه الله ، وقد سبقه إلى اختيار بعض الموضوعات عدد من المتقدمين ممن صنفوا في هذا المجال من مجالات العلم كابن الأنباري ، وأبي شامة ، وغيرهما رحمهم الله أجمعين .

الثاني : وهو أن الأحوال والظروف العصيبة التي أخرج فيها المؤلف هذا الكتاب لم تساعده على مواصلة الكتابة في موضوعات أخرى ، فنسأل الله تعالى أن يجزل له المثوبة والأجر على أن أخرج لنا هذا القدر الهام ، الذي أصبح فيه الكتاب بحق من أهم كتب هذا الفن .

هذا وقد صرح المؤلف رحمه الله بما ذكرته لك آنفاً بقوله عند ذكر كلمة الختام : "أما بعد ؛ فإن الكلام في إعجاز القرآن طويل ، وعلاج جميع الشبهات التي لفقها أعداء الإسلام أطول ، حتى لقد اطلعت على رسالة خبيثة أسموها كتاب "حسن الإيجاز في إبطال الإعجاز فوجدتها قد حملت من الأكاذيب والأراجيف ، ومن اللف والدوران ، أشكالا وألواناً في الصحيفة الواحدة ... ولو أننا استقصينا وجوه الرد على مثل هذه الرسالة لاقتضانا الأمر كتاباً كبيراً كاملا ، ... ثم أنى لنا ذلك الرد المسهب الآن ! وأزمة الورق طاحنة ، وأدوات الطباعة عزيزة ، حتى لقد اضطرنا من أجل هذا أن نقف في الكتابة عند هذا الحد (بالطبع) ، ولقد كنا نود

تبيح المحظورات ..." اهـ (١) .

و قد أشار المؤلف رحمه الله تعالى إلى هذه الأزمة في مقدمة الطبعة الثالثة من الكتاب أيضا(٢) .

وبعد أن عرفت عذر المؤلف في الاقتصار على هذا القدر من الأنواع ، وعرفت منزلة تلك الأنواع التي ذكرها من بين سائر أنواع العلوم القرآنية ، ننتقل بك إلى ذكر المباحث التي أغفل المؤلف ذكرها وقد ذكرها الزركشي أو السيوطي رحمهما الله تعالى فنقول :

أ- ذكر المباحث الزائدة على ما ذكر الزرقاني - من كتاب البرهان للزركشي : -

١ - معرفة المناسبات بين الآيات(٣) .

٢ - معرفة الفواصل ورؤوس الآي(٤) .

٣ - جمع الوجوه والنظائر(٥) .

٤ - علم المتشابه(٦) .

٥ - علم المبهمات (٧) .

٦ - أسرار الفواتح والسور (٨) .

٧ - خواتيم السور(٩) .

٨ - معرفة ما وقع فيه من غير لغة أهل الحجاز من قبائل العرب(١٠) .

٩ - معرفة ما فيه من غير لغة العرب(١١).

---

١ المناهل (٢/٣٣٣)

٢- المناهل (١/أ)

٣- البرهان (١/٣٥)

٤- البرهان (١/٣٥)

٥- البرهان (١/١٠٢)

٦- البرهان (١/١١٢)

٧- البرهان (١/١٥٥)

٨- البرهان (١/١٦٤)

٩- البرهان (١/١٨٢)

١٠- البرهان (١/٢٨٣)

١٠ ـ معرفة غريبه(١) ·

١١ ـ معرفة التصريف(٢) ·

١٢ ـ معرفة الأحكام من جهة إفرادها وتركيبها (٣) ·

١٣ ـ معرفة كون اللفظ والتركيب أحسن وأفصح (٤) ·

١٤ ـ معرفة توجيه القراءات وتبين وجه ما ذهب إليه كل قارئ (٥) ·

١٥ ـ معرفة الوقف والابتداء (٦) ·

١٦ ـ معرفة فضائله (٧) ·

١٧ ـ معرفة خواصه (٨) ·

١٨ ـ هل في القرآن شيء أفضل من شيء ؟(٩) ·

١٩ ـ آداب تلاوته وكيفيتها (١٠) ·

٢٠ ـ في أنه هل يجوز في التصانيف والرسائل والخطب استعمال بعض آيات القرآن ؟(١١) ·

٢١ ـ معرفة الأمثال الكائنة فيه (١٢) ·

٢٢ ـ معرفة أحكامه (١٣) ·

٢٣ ـ معرفة جدله (١٤) ·

١١ـ البرهان (٢٨٧/١)

١ـ البرهان (٢٩١/١)

٢ـ البرهان (٢٩٧/١)

٣ـ البرهان (٣٠١/١)

٤ـ البرهان (٣١١/١)

٥ـ البرهان (٣٣٩/١)

٦ـ البرهان (٣٤٢)

٧ـ البرهان (٤٣٢/١)

٨ـ البرهان (٤٣٤/١)

٩ـ البرهان (٤٣٨/١)

١٠ـ البرهان (٤٤٩/١)

٢٤ ـ معرفة الموهم والمختلف (١)

٢٥ ـ بيان معاضدة السنة للقرآن (٢)

٢٦ ـ وجوه المخاطبات والخطاب في القرآن (٣)

٢٧ ـ بيان حقيقته ومجازه (٤)

٢٨ ـ في الكناية والتعريض في القرآن (٥)

٢٩ ـ في أقسام معنى الكلام (٦)

٣٠ ـ في أساليب القرآن ، وفنونه البليغة (٧) (٨).

٣١ ـ في الكلام على المفردات من الأدوات .(٩)

تنبيه : .

١ ـ هذه الأنواع قد يداخلها بعض الجزئيات التي تكلم عليها المؤلف في موضع من كتابه .

٢ ـ قد نغفل ذكر بعض الأنواع لأنها موجودة من حيث الجملة في المناهل ، وإن كانت متضمنة لبعض المسائل أو التفاريع التي قد يفردها السيوطي في مبحث خاص .

و من أمثلة ذلك ، مبحث "المكي والمدني" فهو موجود في مناهل العرفان ، وكذلك في البرهان ، وقد ضمنه الزركشي بعض الجوانب التي قد تفرد في نوع خاص ، مثل ما نزل ليلا ، (١٠) و ما نزل مشيعا(١١) .

١٤- البرهان (٢/٢٤) .

١- البرهان (٢/٤٥) .

٢- البرهان (٢/١٢٩) .

٣- البرهان (٢/٢١٧) .

٤- البرهان (٢/٢٥٥) .

٥- البرهان (٢/٣٠٠) .

٦- البرهان (٢/٣١٦) .

٧- البرهان (٢/٣٨٢) .

٨- تنبيه : عقد الزرقاني مبحثاً خاصاً في أسلوب القرآن لكنه تكلم فيه عن خصائص الأسلوب القرآني دون التعرض للأساليب ذاتها كما فعل الزركشي والسيوطي .

٩- البرهان (٣/١٧٥) .

ب ـ ذكر الأنواع الزائدة في التحبير على مناهل العرفان :

١ـ الحضري والسفري (١).

٢ـ النهاري والليلي (٢).

٣ـ الصيفي والشتائي (٣).

٤ـ الفراشي (٤).

٥ـ النومي (٥).

٦ـ ما عرف تاريخ نزوله عاماً وشهراً ويوماً وساعة (٦).

٧ ـ ما نزل فيه ولم ينزل على أحد قبل النبي ، وما أنزل منه على بعض الأنبياء (٧).

٨ ـ ما تكرر نزوله (٨).

٩ ـ مانزل مفرقاً وما نزل جمعاً (٩).

١٠ ـ قراءات النبي ﷺ (١٠).

١١ ـ كيفية التحمل (١١).

١٢ ـ العالي والنازل (١٢).

١٠ـ البرهان (١/١٩٨).

١١ـ البرهان (١/١٩٩).

١ـ التحبير (ص٦٣).

٢ـ التحبير (ص٧٤).

٣ـ التحبير (ص٧٩).

٤ـ التحبير (ص٨٣).

٥ـ التحبير (ص٨٤).

٦ـ التحبير (ص٩٧)

٧ـ التحبير (ص١٠٧).

٨ـ التحبير (ص١١١).

١٣ ـ المسلسل (١) .

١٤ ـ الابتداء والوقف (٢) .

١٥ ـ الإمالة (٣).

١٦ ـ المد (٤) .

١٧ ـ تخفيف الهمز (٥) .

١٨ ـ الإدغام (٦) .

١٩ ـ الإخفاء والإقلاب(٧) .

٢٠ ـ مخارج الحروف (٨) .

٢١ ـ الغريب (٩) .

٢٢ ـ المُعرَّب (١٠) .

٢٣ ـ المجاز (١١) .

٢٤ ـ المشترك (١٢) .

٢٥ ـ الترادف (١٣) .

١٢- التحبير (ص١٦٤) .

١- التحبير (ص١٧١) .

٢- التحبير (ص١٧٤) .

٣- التحبير (ص١٨١) .

٤- التحبير (ص١٨٣) .

٥- التحبير (ص١٨٥) .

٦- التحبير (ص١٨٩) .

٧- التحبير (ص١٩٣) .

٨- التحبير (ص١٩٤) .

٩- التحبير (ص ١٩٨)

١٠- التحبير (ص ٢٠٠) .

١١- التحبير (ص ٢٠٣) .

١٢- التحبير (ص ٢١٤) .

١٣- التحبير (ص ٢١٦) .

٢٦ ـ المشكل (١).

٢٧ ـ المجمل والمبين (٢).

٢٨ ـ الاستعارة (٣).

٢٩ ـ التشبيه (٤).

٣٠ ـ الكناية والتعريض (٥).

٣١ ـ العام الباقي على عمومه (٦).

٣٢ ـ المخصوص والذي أُريد به الخصوص (٧).

٣٣ ـ ما خص فيه الكتاب السنة وما خصت فيه السنة الكتاب (٨).

٣٤ ـ المؤول (٩).

٣٥ ـ المفهوم (١٠).

٣٦ ـ المطلق والمقيد (١١).

٣٧ ـ الإيجاز والإطناب والمساواة (١٢).

٣٨ ـ الأشباه (١٣).

٣٩ ـ الفصل والوصل (١٤).

١- التحبير (ص ٢٢١).

٢- التحبير (ص ٢٢٤).

٣- التحبير (ص ٢٢٦).

٤- التحبير (ص ٢٣٠).

٥- التحبير (ص ٢٣٢).

٦- التحبير (ص ٢٣٥).

٧- التحبير (ص ٢٣٦).

٨- التحبير (ص ٢٤٠).

٩- التحبير (ص ٢٤٣).

١٠- التحبير (ص ٢٤٥).

٤٠ ـ القصر (١) .

٤١ ـ الاحتباك (٢) .

٤٢ ـ القول بالموجب (٣) .

٤٣ ـ المطابقة (٤) .

٤٤ ـ المناسبة (٥) .

٤٥ ـ المجانسة (٦) .

٤٦ ـ التورية والاستخدام (٧) .

٤٧ ـ اللف والنشر (٨) .

٤٨ ـ الالتفات (٩) .

٤٩ ـ الفواصل والغايات (١٠) .

٥٠ ـ أفضل القرآن وفاضله ومفضوله (١١) .

٥١ ـ مفردات القرآن (١٢) .

٥٢ ـ الأمثال (١٣) .

١٤- التحبير (ص ٢٧٤) .

١- التحبير (ص ٢٧٨) .

٢- التحبير (ص ٢٨٢) .

٣- التحبير (ص ٢٨٥) .

٤- التحبير (٢٨٧) .

٥- التحبير (ص ٢٨٩) .

٦- التحبير (ص ٢٩٢) .

٧- التحبير (ص ٢٩٦) .

٨- التحبير (ص ٢٩٨) .

٩- التحبير (ص ٢٩٩) .

١٠- التحبير (ص ٣٠٣) .

١١- التحبير (ص ٣٠٥) .

١٢- التحبير (ص ٣١٠) .

١٣- التحبير (ص ٣١٤) .

٥٣ ـ آداب القارىء والمقرىء (١) .

٥٤ ـ تسمية السور (٢) .

٥٥ ـ الأسماء (٣).

٥٦ ـ الكنى والألقاب (٤) .

٥٧ ـ المبهمات (٥) .

٥٨ ـ أسماء من نزل فيهم القرآن (٦) .

٥٩ ـ التاريخ (٧) .

و هذه الأنواع وإن كانت متداخلة في الغالب إلا أنّا نذكرها على طريقته في التقسيم .

جـ ـ وأما الموضوعات الزائدة في كتاب الإتقان فهي : ـ

١ ـ معرفة الحضري والسفري (٨) .

٢ ـ معرفة النهاري والليلي (٩) .

٣ ـ ذكر الصيفي والشتائي (١٠) .

٤ ـ الفراشي والنومي (١١) .

٥ ـ الأرضي والسمائي (١٢) .

١ـ التحبير (ص ٣١٧) .

٢ـ التحبير (ص ٣٦٨) .

٣ـ التحبير (ص٣٧٨) .

٤ـ التحبير (ص ٣٨٩) .

٥ـ التحبير (ص ٣٩١) .

٦ـ التحبير (ص ٤٣٧) .

٧ـ التحبير (ص ٤٤١) .

٨ـ الإتقان (١/ ٥١) .

٩ـ الإتقان (١/٦٠) .

٦ ـ فيما أنزل من القرآن على لسان بعض الصحابة (١) .

٧ ـ ما تكرر نزوله (٢) .

٨ ـ ما تأخر حكمه عن نزوله وما تأخر نزوله عن حكمه (٣) .

٩ ـ ما نزل مفرقاً وما نزل جمعاً (٤) .

١٠ ـ مانزل مشيعاً وما نزل مفرداً (٥) .

١١ ـ ما أنزل منه على بعض الأنبياء ، وما لم ينزل منه على أحد قبل النبي ﷺ (٦) .

١٢ ـ معرفة أسمائه وأسماء سوره (٧) .

١٣ ـ عدد سوره وآياته وكلماته وحروفه (٨) .

١٤ ـ معرفة العالي والنازل من أسانيده (٩) .

١٥ ـ معرفة الوقف والابتداء (١٠) .

١٦ ـ بيان الموصول لفظاً المفصول معنى (١١) .

١٧ ـ الإمالة والفتح وما بينهما (١٢) .

١٨ ـ الإدغام والإظهار والإخفاء والإقلاب (١٣) .

١- الإتقان (١/٩٩) .

٢- الإتقان (١/١٠٢) .

٣- الإتقان (١/١٠٤)

٤- الإتقان (١/١٠٧) .

٥- الإتقان (١/١٠٩) .

٦- الإتقان (١/١١٢) .

٧- الإتقان (١/١٤٣) .

٨- الإتقان (١/١٨٤) .

٩- الإتقان (١/٢٠٧) .

١٠- الإتقان (١/٢٣٠) .

١١- الإتقان (١/٢٥٢) .

١٢- الإتقان (١/٢٥٥) .

١٣- الإتقان (١/٢٦٣) .

١٩ ـ المد والقصر (١) .

٢٠ ـ تخفيف الهمز (٢) .

٢١ ـ كيفية تحمله (٣) .

٢٢ ـ آداب تلاوته وتاليه (٤) .

٢٣ ـ معرفة غريبه (٥) .

٢٤ ـ فيما وقع فيه بغير لغة الحجاز (٦) .

٢٥ ـ فيما وقع بغير لغة العرب (٧) .

٢٦ ـ معرفة الوجوه والنظائر (٨) .

٢٧ ـ معرفة الأدوات التي يحتاج إليها المفسر (٩) .

٢٨ ـ معرفة إعرابه (١٠) .

٢٩ ـ قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها(١١) .

٣٠ ـ في مُقدَّمه ومؤخره (١٢) .

٣١ ـ عامه وخاصه (١٣) .

٣٢ ـ مجمله ومبينه (١٤) .

١ـ الإتقان (٢٧١/١) .

٢ـ الإتقان (٢٧٧/١) .

٣ـ الإتقان (٢٧٩/١) .

٤ـ الإتقان (٢٩٢/١) .

٥ـ الإتقان (٣/٢) .

٦ـ الإتقان (٨٩/٢) .

٧ـ الإتقان (١٠٥/٢)

٨ـ الإتقان (١٢١/٢)

٩ـ الإتقان (١٤١/٢) .

١٠ـ الإتقان (٢٦٠/٢) .

٣٣ ـ مشكله وموهم الاختلاف والتناقض (١) .

٣٤ ـ مطلقه ومقيده (٢) .

٣٥ ـ منطوقه ومفهومه (٣) .

٣٦ ـ وجوه مخاطباته (٤) .

٣٧ ـ حقيقته ومجازه (٥) .

٣٨ ـ تشبيهه واستعاراته (٦) .

٣٩ ـ كناياته وتعريضه (٧) .

٤٠ ـ الحصر والاختصاص (٨) .

٤١ ـ الإيجاز والإطناب (٩) .

٤٢ ـ الخبر والإنشاء (١٠) .

٤٣ ـ بديع القرآن (١١) .

٤٤ ـ فواصل الآي (١٢) .

٤٥ ـ فواتح السور (١٣) .

١٤- الإتقان (٣/٥٣) .

١- الإتقان (٣/٧٩) .

٢- الإتقان (٣/٩١) .

٣- الإتقان (٣/٩٥) .

٤- الإتقان (٣/٩٩) .

٥- الإتقان (٣/١٠٩) .

٦- الإتقان (٣/١٢٨) .

٧- الإتقان (٣/١٤٣) .

٨- الإتقان (٣/١٤٩) .

٩- الإتقان (٣/١٦١) .

١٠- الإتقان (٣/٢٢٥) .

١١- الإتقان (٣/٢٤٩) .

١٢- الإتقان (٣/٢٩٠) .

١٣- الإتقان (٣/٣١٦) .

٤٦ ـ خواتم السور (١) .

٤٧ ـ مناسبة الآيات والسور (٢) .

٤٨ ـ الآيات المشتبهات (٣) .

٤٩ ـ العلوم المستنبطة من القرآن (٤) .

٥٠ ـ أمثال القرآن (٥) .

٥١ ـ أقسام القرآن (٦) .

٥٢ ـ جدل القرآن (٧) .

٥٣ ـ فيما وقع في القرآن من الأسماء والكنى والألقاب (٨) .

٥٤ ـ المبهمات (٩) .

٥٥ ـ أسماء من نزل فيهم القرآن (١٠) .

٥٦ ـ فضائل القرآن (١١) .

٥٧ ـ في أفضل القرآن وفاضله (١٢) .

٥٨ ـ مفردات القرآن (١٣) .

٥٩ ـ خواص القرآن (١٤) .

١ـ الإتقان (٣/٣١٩) .

٢ـ الإتقان (٣/٣٢٣) .

٣ـ الإتقان (٣/٣٣٩) .

٤ـ الإتقان (٤/٢٤) .

٥ـ الإتقان (٤/٣٨) .

٦ـ الإتقان (٤/٤٦) .

٧ـ الإتقان (٤/٥٢) .

٨ـ الإتقان (٤/٥٨) .

٩ـ الإتقان (٤/٧٩) .

١٠ـ الإتقان (٤/١٠١) .

٦٠ ـ غرائب التفسير (١) .

هذه جملة ما في الإتقان من مباحث لم يذكرها الزرقاني في مناهل العرفان ، والله تعالى أعلم .

١٤- الإتقان (١٣٧/٤) .

١- الإتقان (٢٠٢/٤) .

المطلب الرابع : في ذكر إضافات المؤلف في هذا الكتاب إجمالا : .

إن ما نذكره هنا إنما هو مقتصر على الأنواع والمباحث الزائدة على الأنواع التي ضمنها الزركشي والسيوطي كتبهما .

أما المسائل الفرعية والجزئيات فسيأتي التنبيه عليها في القسم الثالث من هذه الرسالة ـ إن شاء الله تعالى ـ مقسمة على مباحث الكتاب ، والتي تبلغ سبعة عشر مبحثاً .

ثم اعلم أن المباحث التي يمكن أن تعتبر من إضافات المؤلف على ما كتبه الزركشي والسيوطي رحمهما الله تعالى أربعة ، بغض النظر عن وجود بعض الجزئيات المندرجة تحتها في الإتقان أو البرهان .

وهذه المباحث هي :

١ـ المبحث الأول : في معنى علوم القرآن(١) .

٢ـ المبحث الثاني : في تاريخ علوم القرآن(٢) .

٣ـ المبحث الثالث عشر : في ترجمة القرآن وحكمها تفصيلا(٣) .

٤ـ المبحث السادس عشر : في أسلوب القرآن الكريم(٤) .

وهذا المبحث الأخير وإن كان رسمه موجوداً في الإتقان والبرهان ، إلا أنه في الحقيقه يتحدث عن خصائص الأسلوب القرآني ، وستأتي الإشارة إلى ذلك (٥) ـ إن شاء الله تعالى ـ وعليه فمادة هذا المبحث عند الزرقاني تختلف عنها عند الزركشي والسيوطي . وكان المفروض أن يكون عنوانه عند الزرقاني مطابقاً لما ذكرت من مضمونه .

وبهذا الاعتبار يمكننا أن نعتبر هذا المبحث ـ بهذه الصورة ـ إضافة قدمها المؤلف في هذا الكتاب .

---

١ المناهل (١/٥).

٢ـ المناهل(١/٢١) .

تنبيه : كلامنا هنا في المباحث المضافة ،و إلا فالقالب الذي وُضع فيه الكتاب يعد إضافة جديدة كذلك .

المطلب الخامس : في بيان منهج المؤلف في هذا الكتاب :

يمكننا أن نلخص المنهج الذي سار عليه المؤلف في كتابه هذا بالنقاط التالية:

١ـ فيما يتعلق باختيار الأنواع والمباحث المتعلقة بالقرآن فقد اختار المؤلف أكثرها أهمية كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق .

٢ـ عقد الزرقاني رحمه الله في هذا الكتاب سبعة عشر مبحثاً ، وجعل كل مبحث منها يضم مسائل منوعة تندرج تحته ، كما وضع لكثير من هذه المسائل والتفريعات عناوين خاصة تدل عليها . وقد أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه بقوله : "وسأجعل نقاط المنهج المقرر عناوين بارزة بين المباحث التي يقوم عليها هذا الكتاب ، مقتفياً في الغالب أثر تلك النقط في التسمية والأسلوب"(١) اهـ .

٣ـ يُعنى المؤلف ببيان معنى العنوان الذي وضعه للمبحث إن كان الأمر يتطلب ذلك . فنجده يقول ـ مثلا ـ "المبحث الثالث في نزول القرآن" ثم يذكر تحته "معنى نزول القرآن" (٢) ، وكذلك يفعل في عدد من الموضوعات ، كأسباب النزول(٣) ، ونزول القرآن على سبعة أحرف (٤)، والمكي والمدني (٥) ...إلخ .

٤ـ من الملامح البارزة في هذا الكتاب أنه يذكر تحت المبحث ـ في كثير من الأحيان ـ فوائد معرفة أو دراسة هذا المبحث .. فهو يقول تحت مبحث "أول ما نزل وآخر ما نزل" : فوائد الإلمام بأول ما نزل وآخره(٦). وتحت مبحث "أسباب النزول" يقول : فوائد معرفة أسباب النزول(٧). وهكذا يصنع في مبحث نزول القرآن على سبعة أحرف (٨) ـ وإن كانت الفوائد هنا تتعلق باختلاف القراءة وتعدد الاحرف وكذا في موضوع المكي والمدني(٩) و...إلخ

١ـ المناهل (١/٥) .

٢ـ المناهل(١/٣٣).

٣ـ المناهل (١/٩٩).

٤ـ المناهل (١/١٣٠،١٤٦) .

٥ـ المناهل (١/١٨٥ـ١٨٦) .

٥ ـ يحاول المؤلف عند أي مناسبة أن يبين طبيعة العلاقة القوية بين الإسلام والعلم ، وأن الإسلام يدعو إلى العلم والبحث والنظر في الكون والنفس..(١) .

٦ـ العمل على إبراز أسرار التشريع وحكمه كلما دعى المقام لذلك ، ليبرهن على أن هذا الدين هو دواء البشرية ، وسبيل كمالها ونجاحها(٢) .

٧ـ يورد المؤلف ـ رحمه الله ـ خلاف أهل العلم في المسألة التي هوبصددها ـ غالباً ـ مع عرض أدلتهم ومناقشتها ، ثم يذكر القول الراجح (٣) .

٨ـ بعد كل مبحث يسوق المؤلف جملة من الشبه المتعلقة بموضوعه ، ثم يحاول الإجابة عنها .

٩ـ ينبه المؤلف أحياناً على الحكمة المتعلقة ببعض أمور التشريع وما جرى مجراه ، كذكره لحكمة نزول القرآن منجماً ،(٤) وحكمة تسوير السور (٥) ، وحكمة النسخ (٦) ، وغير ذلك (٧) .

١٠ـ يختم المؤلف بعض المباحث بخاتمة مختصرة ، أو كلمة في المبحث ، أو تعقيب ، أو فذلكة لمادته(٨) .

١١ـ يكتفي المؤلف بذكر بعض الأمثلة من القرآن تحت كل مبحث دون محاولة الاستيعاب (٩) .

هذا وقد التزم المؤلف رحمه الله بالمنهج الذي رسمه في مقدمة الكتاب ووفى به .

١ـ انظر المناهل (١/جـ ، ١٧ ، ١٨ ، ٥٠ ، ٥٨).

٢ـ انظر المناهل (١/ج).

٣ـ انظر في ذلك ـ على سبيل التمثيل ـ المواضع الآتية من المناهل (١/٧ ، ٨ ، ١٥ ، ١٦ ، ٣٩ ، ٤٠ ، ٤٢ ، ٤٤ ، ٨٦ ، ٩٧ ، ١١٨ ، ١٤٦) فما بعدها ، (٤٢٨ ، ٤٣٣ ، ٥٢٢).

٤ـ المناهل (١/٤٦).

٥ـ المناهل (١/٣٤٤).

٦ـ المناهل (٢/٩٠).

٧ـ انظر المناهل(٢/١٧٨ ، ٢٣٣).

٨ـ انظر المناهل (١/٣٢ ، ٣٣ ، ٨٤ ، ٩٧ ، ٥٧٢ ، ٥٧٤ ، ٢/٦٨ ، ٣٣١).

٩ـ انظر المقدمة (١/٥).

المطلب السادس : في أسلوب المؤلف :

صاغ المؤلف ـ رحمه الله ـ كتابه هذا في قالب يجمع بين السلاسة والمتانة وقد صرح بذلك عند ذكره الأهداف التي من أجلها وضع كتابه هذا فقال : "أولها : أن تكون كتابتي من النسق الأزهري الجديد في تفكيره وفي تعبيره ، بحيث يتيسر فهمه وهضمه للقراء ، من أبناء هذا الجيل ، سواء منهم المحقق الأزهري ، والمثقف المدني ، فإن لكل زمان لغة ولساناً ، ومنطقاً وبرهانا ... على أنني في هذه المحاولة لا أدعي أنني أنشأت وابتكرت ، ولا أحدثت وابتدعت بل قصاراي أنني فهمت وأحسنت العرض ..." اهـ(١) .

وقال في موضع آخر : "وسأحاول فيما أكتبه أن أمزج بين حاجة الأزهريين إلى البحث والتحليل ، وبين رغبات جماهير القراء المعاصرين في تقريب الأسلوب وتعبيد السبيل ، ما وسعني الإمكان . وسأضطر بسبب ذلك إلى شيء من الإسهاب والتطويل ، ولكنها تضحية ضئيلة بجانب تأدية رسالتنا في وجوب الاتصال الديني بالجماهير ..." اهـ(٢) وقد أوقعته تلك المحاولة في الإسهاب فعلا ، فجاء الكتاب مطولا ؛ مع أنه لو سلم من ذلك الإسهاب لسقط ما يقارب نصف حجمه الحالي أو ثلثه ! (٣) .

كما وقعت في هذا الكتاب كثير من الاستطردات التي زادت في ضخامته !(٤).

هذا وقد صاغ المؤلف رحمه الله كتابه بعبارة أدبية جيدة ،(٥) يتخللها في أحيان كثيرة حكم رقيقة ، وأمثال بليغة ، (٦) مع العلم بأن هذه السلاسة قد يتعكر صفوها عند تعثرها ببعض الأساليب المنطقية أحياناً . (٧).

كما كان يرنو المؤلف إلى الأسلوب الذي يبعث الهمم على العمل الدائب

١ـ انظر المناهل (١/ب).

٢ـ المناهل (٤/١) .

٣ـ للاطلاع على بعض صور الإسهاب انظر (٤/١ ، ١٦ ـ ٢٠ ، ٨٤ ، ٣٣٣ ، ٢٤٢ ، ٣٢٩ ، ٤٧٤).

٤ـ لمعرفة بعض الاستطرادات انظر (٦٦/١ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ٣٥٤) .

٥ـ انظر نموذجاً على ذلك (ص١) من المقدمة .

لنصرة هذا الدين ، مع الاعتزاز به ، والانقياد إلى تعاليمة . وقد صرح بهذا في مقدمته فراجعها إن شئت . (١) .

١ـ (١/ هـ) .

المطلب السابع : ذكر الأهداف التي رمى المؤلف لتحقيقها في هذا الكتاب :

لقد لخص لنا المؤلف رحمه الله ، الأهداف التي حاول تحقيقها بما حاصله:(١).

١ـ أن تكون كتابته من النسق الأزهري الجديد في تفكيره وتعبيره ، بحيث يتيسر فهمه على أبناء هذا العصر ، سواء منهم المتخصص أو المثقف ..

٢ـ معالجة الشبه التي يثيرها أعداء الإسلام .

٣ـ إظهار الرابطة القوية بين الإسلام والعلم في كل مناسبة ، دفعاً لظن بعض الملبسين أو المُلبَّس عليهم أن العلم محارَب من قِبَل الدين !

٤ـ تجلية أسرار التشريع وحِكَمِه إذا احتمل المقام لذلك ، ليُعلم أن الإسلام دواء البشرية وغاية كمالها .

٥ـ إيقاظ همم القراء ، وإحياء عزائمهم ، ليحملوا رسالة الإسلام فيبلغوها إلى العالم أجمع .

هذا وقد وُفق المؤلف رحمه الله ـ بنسبة كبيرة ـ إلى تحقيق ماكان يصبو إليه فجاء الكتاب معبراً عن هذه الأمور الخمسة بصورة واضحة .

المطلب الثامن : ذكر مباحث الكتاب :

سبقت الإشارة إلى أن هذا الكتاب حوى سبعة عشر مبحثاً من مباحث علوم القرآن ، وهذه المباحث هي :

١ـ المبحث الأول : في معنى علوم القرآن .

٢ـ المبحث الثاني : في تاريخ علوم القرآن .

٣ـ المبحث الثالث : في نزول القرآن .

٤ـ المبحث الرابع : في أول ما نزل وآخر ما نزل من القرآن .

٥ـ المبحث الخامس : في أسباب النزول .

٦ـ المبحث السادس : في نزول القرآن على سبعة أحرف .

٧ـ المبحث السابع : في المكي والمدني من القرآن .

٨ـ المبحث الثامن : في جمع القرآن الكريم وما يتعلق به .

٩ـ المبحث التاسع : في ترتيب آيات القرآن وسوره .

١٠ ـ المبحث العاشر : كتابة القرآن ورسمه ومصاحفه .

١١ـ المبحث الحادي عشر : في القراءات والقراء والشبهات فيهما .

١٢ـ المبحث الثاني عشر : في التفسير والمفسرين وما يتعلق بهما .

١٣ـ المبحث الثالث عشر : في ترجمة القرآن وحكمها تفصيلا .

١٤ـ المبحث الرابع عشر : في النسخ .

١٥ـ المبحث الخامس عشر : في محكم القرآن ومتشابهه .

١٦ـ المبحث السادس عشر : في أسلوب القرآن الكريم .

١٧ـ المبحث السابع عشر : في إعجاز القرآن وما يتعلق به .

المطلب التاسع : في توثيق المادة العلمية ، والاهتمام بالعزو ، مع الدقة في النقل :

يلاحظ على المؤلف ما يلي :

١ـ أنه ينقل في عدد من المواضع من هذا الكتاب عن كثير من العلماء ، بواسطة كتاب آخر ، كالإتقان للسيوطي ! فهو يعوّل على المصادر البديلة ، أو الثانوية ، ويدع المصادر الأصلية ، ونسبة هذا الأمر في كتابه هذا كبيرة !!

ومن أمثلة ما سبق :

أـ قال المؤلف (ص١١٩ من الجزء الأول) :"...وإلى هذا يشير ابن تيمية بقوله : "قد يجيء كثيراً من هذا الباب ... ـ إلى قوله ـ ولغيره ممن كان بمنزلته" اهـ .

وهذا في الحقيقة إنما نقله المؤلف بواسطة الإتقان للسيوطي (٨٦/١) ؛(١) ذلك أنه أورده كما أورده السيوطي ـ فيه شيء من التغيير ـ بينما عبارة شيخ الإسلام رحمه الله في مقدمته تتضمن بعض الاختلافات عن النص الذي أورده السيوطي والزرقاني ، وتعرف ذلك بالمقارنة . (٢)

ب ـ قال المؤلف (٣٤٠/١) ما نصه : "أجل انعقد الإجماع على ذلك تاماً لا ريب فيه . وممن حكى هذا الاجماع جماعة منهم الزركشي في البرهان ، وأبو جعفر (٣) في المناسبات ، إذ يقول ما نصه :"ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه ﷺ وأمره ، من غير خلاف في هذا بين المسلمين ... " اهـ.

وعبارة السيوطي في الإتقان (١٧٢/١) : "الاجماع والنصوص المترادفة على أن ترتيب الآيات توقيفي ، لا شبهة في ذلك ، وأما الإجماع فنقله غير واحد ، منهم الزركشي في البرهان ، وأبو جعفر بن الزبير في مناسباته ، وعبارته : "ترتيب الآيات في سورها واقع بتوقيفه صلى الله عليه وسلم وأمره ، من غير خلاف في هذا بين المسلمين ." . اهـ.

فأنت تلاحظ أن نقله عن الزركشي ، وأبي جعفر بن الزبير ، جاء عن طريق

١ـ علماً بأن السيوطي يختصر غالباً في الروايات وسائر النقولات .

الإتقان .

وسيأتيك مزيد من الأمثلة عند ذكر "الأمثلة المشتركة" قريباً إن شاء الله تعالى .

٢ـ في أحيان متعددة ينقل المؤلف كلاماً لأحد العلماء ولا يشير إلى ذلك !!

وقد يكون النقل عبارة عن تهذيب لمبحث بجملته ، دون نسبة شيء من ذلك إلى قائله الأصلي وكاتبه .

ومن أمثلة ذلك :

أـ أن ما كتبه المؤلف حول موضوع "ترتيب الآيات والسور" (٣٣١/١) يعد إعادة صياغة وترتيب لما ذكره السيوطي في الإتقان حول هذا الموضوع (١٧٢/١ فما بعدها) .

ب ـ اقتبس المؤلف كثيراً من كلامه على موضوع "نزول القرآن والوحي" (٣٣/١) من كلام السيوطي في الإتقان (١١٨/١ فما بعدها) دون الإشارة إلى ذلك .

وسيأتي المزيد من الأمثلة عند ذكر "الأمثلة المشتركة" قريباً بمشيئة الله تعالى .

٣ـ عندما نقارن النصوص التي ينقلها المؤلف عن غيره بمواضعها الأصلية ؛ نجد أن نقل المؤلف تفوته الدقة في عدد لابأس به من تلك النقولات ، ومن الأمثلة على ذلك :

أـ قال المؤلف رحمه الله (٨٦/١) : "روى البخاري ومسلم "واللفظ للبخاري" عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها أنها قالت : "أول ما بُدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم ... إلخ .

وبالمقارنة مع لفظ البخاري في الصحيح نجد بعض الاختلافات بين اللفظين!!(١) .

ب ـ قال المؤلف (٨٨/١) : "القول الثالث : أن أول ما نزل هو سورة الفاتحة ، وقد استدل أصحاب هذا الرأي بما رواه البيهقي في الدلائل بسنده عن

١ـ قارن مع البخاري كتاب الوحي باب ١/حديث٣ .

أبي ميسرة (١) .." وذكر الحديث ..

ولكن لفظ الحديث عند البيهقي في الدلائل (١٥٧/٢) فيه اختلافات عما نقله الزرقاني .

جـ عند ذكر المؤلف أدلة نزول القرآن على سبعة أحرف قال ـ حديث رقم (٢) (١٣٣/١)ـ : "وروى البخاري ومسلم أيضاً (واللفظ للبخاري) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : " سمعت هشام بن حكيم (٢) يقرأ سورة الفرقان ..." إلخ . وهذا اللفظ الذي نقله عن البخاري فيه اختلافات مع مافي الصحيح ، تُعرف بالمقارنة . (٣).

د ـ في ص(١٣٦) من الجزء الأول حديث رقم (٥) قال المؤلف ـ رحمه الله ـ وروى الترمذي عن أُبي بن كعب أيضاً قال : ... " . وإذا رجعت إليه في سنن الترمذي تجد اختلافاً بين ما نقل الزرقاني وبين لفظ الترمذي في السنن . (٤)

هـ ـ في (ص٩٠ من الجزء الأول سطر٩٠٨) ، قال المؤلف : "الثاني : أن آخر ما نزل هو قول الله تعالى في سورة البقرة أيضاً : ﴿ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا ... ﴾ أخرجه البخاري عن ابن عباس ، والبيهقي عن ابن عمر" اهـ .

والصواب عن عمر رضي الله عنه . (٥).

و ـ نقل المؤلف (ص١٨ من الجزء الأول) ، حديثاً عزاه إلى مسلم ، وإذا راجعته هناك رأيت اختلافاً بين اللفظين (٦).

وهذه الأمثلة إنما هي في نقل الروايات الحديثية ، أما النقولات من كلام

١ـ أبو ميسرة هو عمرو بن شرحبيل أبو ميسرة الهمداني الكوفي وهو من المخضرمين توفي سنة (٦٣) هـ انظر سير أعلام النبلاء (١٣٥/٤) ، تقريب التهذيب (٧٢/٢) .

٢ـ هو هشام بن حكيم بن حزام بن خويلد القرشي الأسدي صحابي ابن صحابي أسلم يوم الفتح وتوفي بعد سنة (١٥ هـ) . التقريب (٣١٨/٢)، الأعلام (٨٥/٨).

٣ـ انظر البخاري مع الفتح (٣٣/٩) رقم (٤٩٩٢) .

٤ـ انظر سنن الترمذي رقم (٢٩٤٤) .

٥ـ راجع ذلك عند ابن ماجه رقم (٢٢٧٦) ، وابن كثير في التفسير (٥٨/٢) ، والسيوطي في الدر المنثور

أهل العلم فإليك بعض الأمثلة عليها :

أ- في ص(١٣٨-١٣٩) من الجزء الأول ، نقل المؤلف كلاماً لابن الجزري (١) رحمه الله تعالى وإذا قارنت ما نقل بما هو مثبت في النشر(٢) رأيت أن النقل لم يكن دقيقاً .

ب - نقل المؤلف (٥/١) كلاماً للغزالي في كتابه الإحياء ، وإذا راجعته في الإحياء (٣٣/١) ألفيت أن المؤلف تصرف فيه بشكل واضح .

جـ - قال المؤلف (٤٨٤/١) "السطر الأخير" : "قال السيوطي في الإتقان: "ورد عن ابن عباس في التفسير ..." إلى آخر صفحة (٤٨٥) - وبالمقارنة مع الإتقان (٢٠٨/٤) "السطر الذي قبل الأخير" إلى ما قبل نهاية ص(٢٠٩) بسطر- يتبين لنا أن المؤلف تصرف كثيراً بعبارة السيوطي رحمه الله ، دون الإشارة لذلك التصرف .

ذكر بعض الأمثلة المشتركة بين بعض تلك المؤاخذات :

أ - قال السيوطي رحمه الله في الإتقان (٧٧/١ (سطر ٩)) : "وأخرج النسائي .." إلخ .

فنقل مثل ذلك الزرقاني (٩٠/١) علماً بأن الأثر ليس في السنن الصغرى - المطبوع - للنسائي ، وإنما هو في سننه الكبرى ، كما نبه على ذلك الأستاذ أحمد شاكر (٣) عند تعليقه على الأثر رقم (٦٣١١،ج/٦/٤٠) من تفسير ابن جرير بقوله : "وذكره ابن كثير (٦٩/٢) عن رواية النسائي فهو يريد بها السنن الكبرى ، وكذلك صنع السيوطي في الإتقان ٣٣/١..." اهـ

مع العلم أن الزرقاني لم يبين أنه أخذه من طريق السيوطي !

ومما يؤيد أنه ينقل منه دون أن يشير إلى ذلك ، أنه قال (في ص٩٢ ، من

١- ابن الجزري هو محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف أبو الخير شمس الدين العمري الشافعي شيخ القراء في زمانه ومن حفاظ الحديث ، ولد في دمشق سنة (٧٥١ هـ) ومات في شيراز سنة (٨٣٣هـ) ونسبته (ابن الجزري) إلى جزيرة ابن عمر . البدر الطالع (٢٥٧/٢)، الأعلام (٤٥/٧) ، معجم المؤلفين (٢٩١/١١).

٢- النشر (٢٢/١).

٣- هو أحمد بن محمد شاكر بن أحمد عبد القادر عالم بالحديث النبوي ولد في القاهرة سنة (١٣٠٩) هـ سماه أبوه "أحمد ، شمس الائمة أبا الأشبال" توفي بالقاهرة سنة (١٣٧٧) هـ . الاعلام (٢٥٣/١) . معجم المؤلفين (٣٦٨/١٣) .

الجزء الأول ـ أسفل الصفحة ـ): "التاسع أن آخر ما نزل ... ـ إلى قوله ـ أخرجه ابن جرير عن معاوية بن أبي سفيان . قال ابن كثير : هذا أثر مشكل .." إلخ

وهذا كله مأخوذ من الإتقان بحروفه ! (١) .

ولكي تتوثق من أنه يأخذ من السيوطي كثيراً دون الإشارة لذلك ، ما عليك إلا أن تلقي نظرة على تخريج الروايات والآثار في كتابه ، وتقارنها بما في الإتقان من الروايات ؛ بل نفس الروايات (في الغالب) مأخوذة من الإتقان ، لكن دون الإشارة لذلك .

ومما يؤيد هذا أيضاً أن المؤلف رحمه الله قال (ص٩٦ ، من الجزء الأول) : "قال ابن جرير في تفسير الآية المذكورة : "الأولى أن يتأول ..." إلخ ما نقل من كلام ابن جرير ؛ ثم عقبه الزرقاني بكلام يعرف من وقف على ذلك النقل عن ابن جرير في كتاب الإتقان ، ووقف على تعقيب السيوطي عليه ، أن الزرقاني أخذ ذلك كله من الإتقان ، والله أعلم . (٢) .

وإن مما يزيدنا وثوقاً من أن المؤلف نقل ذلك من الإتقان ، أن نقلهما جاء متوافقاً ، بينما هو مخالف لما في ابن جرير رحمه الله (٣) . (٤) .

ب ـ قال المؤلف رحمه الله (ج/٢/٢٦٧) : "روى مسلم في صحيحه عن جابر قال : "كنا إذا أتينا في سفرنا على شجرة .." إلخ .

وهذا الحديث إنما نقله المؤلف من كتاب "النبأ العظيم" بل ونقل الكلام الذي بعده دون الإشارة إلى شيء من ذلك" .

والحديث ليس هذا لفظه في مسلم ، وإنما هو بهذا اللفظ في النبأ العظيم !

قال الدكتور دراز رحمه الله : "ومن ذلك ما رواه ابن حبان في صحيحه عن أبي هريرة ، ورواه مسلم في صحيحه عن جابر قال ... (وذكره) .(٥) فأخذ المؤلف من ذلك التخريج آخره !

١ـ انظر الإتقان (١/٨٠).

٢ـ انظر الإتقان (١/٨٨) قوله "تنبيه" .

والحديث ساقه ابن كثير في تفسيره (٧٩/٢) من طريق ابن مردويه (١)بسنده عن أبي هريرة بلفظ مقارب لما أثبته الزرقاني ـ رحمه الله ـ وعزاه لابن حبان أيضاً .

وقد أخرجه ابن حبان من حديث جابر (رقم ٢٨٧١/الإحسان) (٢) بلفظ آخر .

كما أخرجه من حديث أبي هريرة ، ولفظه : " كان رسول الله ﷺ، إذا نزل منزلا .." إلخ بلفظ مغاير لما أثبته الزرقاني كذلك (٣) .

وحديث جابر عند مسلم أوله : "أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا بذات الرقاع (٤) ... " إلخ بلفظ مغاير لما في المناهل أيضاً .

ج ـ نقل المؤلف (٣٥١/١) عن الزركشي قوله : "والخلاف بين الفريقين لفظي ... ـ إلى قوله ـ بحيث يبقى لهم فيه مجال للنظر ، وسبقه في ذلك جعفر بن الزبير" اهـ (٥).

والحقيقة أن المؤلف نقل ذلك عن طريق الإتقان ! إضافة إلى ما في ذلك النقل من التغاير في بعض المواضع بينه وبين ما في الإتقان(٦) ، وكذلك ما بينه وبين البرهان .

ثم إن القائل : "وسبقه في ذلك ..إلخ" هو السيوطي ، وليس ذلك تابعاً لكلام الزركشي ! .

وإليك عبارة الزركشي : "والخلاف يرجع إلى اللفظ ، لأن القائل بالثاني يقول : إنه رمز إليهم بذلك لعلمهم بأسباب نزوله .. ـ إلى أن قال ـ وبحيث بقي لهم فيه مجال للنظر" اهـ (٧) .

د ـ قال المؤلف (٣٤٤/١) : " قال صاحب الكشاف في فوائد تفصيل القرآن وتقطيعة سوراً كثيرة ما نصه : " منها (أي الفوائد) أن الجنس ..ـ إلى قوله ـ إلى

١ـ هو أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك الاصبهاني ، محدث أصبهاني ، ولد سنة (٣٢٣هـ) ، وتوفي سنة (٤١٠هـ) . سير أعلام النبلاء (٣٠٨/١٧) .

٢ـ وانظر أيضاً رقم (٢٨٧٢/الإحسان)

٣ـ انظره في موارد الظمآن في زوائد ابن حبان (ص٤٣٠) .

٤ـ مسلم رقم (٨٤٣) .

٥ـ هكذا في المناهل ، وهو في الإتقان (وهو الصواب) أبو جعفر .

٦ـ قارن مع الإتقان (١٧٧/١) .

٧ـ انظر في البرهان (٢٥٧/١) .

غير ذلك من الفوائد" اهـ.

وهذا النص إنما نقله المؤلف من الإتقان ـ مع كونه وقع فيه تحريفات يسيرة ـ الذي نقله بدوره من البرهان ، مع وقوع كثير من التحريفات في النقل أيضاً ، فنقل الزرقاني عبارة السيوطي ! علماً بأن نصه في الكشاف لا يطابق ما أثبته الزركشي ، ولا السيوطي ، ولا الزرقاني ، بل هناك بعض الاختلافات (١).

هـ ـ قال المؤلف (٩٤/١) روى الطيالسي (٢) في مسنده عن ابن عمر قال :"نزل في الخمر ثلاث آيات ..." إلخ الحديث

وقد نقل المؤلف ذلك ـ حرفياً ـ بواسطة الإتقان (٣) الذي وقع في نقله من الطيالسي (٤) بعض الاختلاف ، الذي انتقل إلى المناهل أيضاً .

و ـ قال السيوطي في الإتقان (٨٠/١) : "وأخرج ابن مردويه من طريق مجاهد عن أم سلمة قالت : آخر آية نزلت هذه الآية : ﴿ فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل .. ﴾ (٥) إلى آخرها .

قلت : وذلك أنها قالت : يا رسول الله أرى الله يذكر الرجال ولا يذكر النساء"فنزلت : ﴿ ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض ﴾ (٦) ، ونزلت ﴿إن المسلمين والمسلمات ..﴾(٧) ، ونزلت هذه الآية ، فهي آخر الثلاثة نزولا ، أو آخر ما نزل بعد ما كان ينزل في الرجال خاصة" (٨) اهـ.

وقد نقله الزرقاني هكذا :".... ودليل هذا القول ما أخرجه ابن مردويه من طريق مجاهد عن أم سلمة أنها قالت : آخر آية نزلت هذه الآية : "فاستجاب ..." إلى آخرها ، وذلك أنها قالت يا رسول الله ، أرى الله يذكر الرجال ولا يذكر

١ـ قارن مابين الكشاف (٤٨/١) ، والبرهان (٢٦٥/١) ، والإتقان (١٨٧/١) ، ومناهل العرفان (٣٤٤/١) .

٢ـ هو سليمان بن داود بن الجارود مولى قريش من كبار الحفاظ فارسي الأصل ولد سنة (١٣٣) هـ وتوفي سنة (٢٠٤ هـ) ، تاريخ بغداد ٢٤/٩ ، الأعلام (١٢٥/٣) .

٣ـ الإتقان (٧٥/١) .

٤ـ انظر مسند الطيالسي رقم (١٩٥٧،ص٢٦٤) .

٥ـ آل عمران (١٩٥) .

النساء ، فنزلت : "ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض" ، ونزلت : ﴿إن المسلمين والمسلمات ..﴾، ونزلت هذه الآية ، فهي آخر الثلاثة نزولا ، وآخر (١) ما نزل بعدما كان ينزل في الرجال خاصة" اهـ (٢)

وقد ظن المؤلف أن عبارة "وذلك أنها قالت ..." فما بعدها من تمام الرواية ، بينما هي ليست منها (٣) في الواقع ، وقبلها - كما رأيت عند السيوطي - عبارة : "قلت" أي السيوطي ، وهذا الظن من المؤلف رحمه الله حمله على أن يعقب على ذلك بقوله : "ومن السهل رد الاستدلال بهذا الخبر على آخر ما نزل مطلقاً ، وذلك لما يصرح به الخبر نفسه من أن الآية المذكورة آخر الثلاثة نزولا ، وآخر ما نزل بالإضافة إلى ما ذكر فيه النساء ، أى فهى آخر مقيد لا مطلق ، وليس كلامنا فيه" اهـ (٤) .

ز- عند سياق المؤلف (٨٧/١ سطر ٣) لحديث الطبراني (٥) قال : "وصحح الطبراني ..." إلخ . وهنا ثلاث ملاحظات : -

الأولى : أن التصحيح ليس من كلام الطبراني ؛ بل هو من عند السيوطي ؛ كما في الإتقان (١/ ٦٨) ، حيث قال : "وأخرج الطبراني في الكبير بسند على شرط الصحيح .." !! .

الثانية : أن الحديث يقع في الجزء المفقود من معجم الطبراني ! .

الثالثة: أن الزرقاني أخذه عن طريق السيوطي ، ولم ينبه إلى ذلك .

ح - قال السيوطي رحمه الله : "فصل : وعد قوم كلمات القرآن سبعة وسبعين ألف كلمة ، وتسعمائة وأربعاً وثلاثين كلمة . وقيل : وأربعمائة وسبع وثلاثون ومائتان وسبع وسبعون ، وقيل غير ذلك .

قيل : وسبب الاختلاف في عد الكلمات أن الكلمة لها حقيقة ومجاز ، ولفظ

١- الصواب "أو" كما في الإتقان .

٢- المناهل (٩١/١) .

٣- الرواية موجودة في الدر المنثور (١١٢/٢) فراجعها إن شئت .

٤- المناهل (٩١/١) .

٥- الطبراني هو سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي أبو القاسم ، أصله من طبرية الشام وإليها نسبته ولد سنة (٢٦٠ هـ) وتوفي سنة ٣٦٠ هـ) . سير أعلام النبلاء (١١٩/١٦) ، الأعلام (١٢١/٣)

ورسم ، واعتبار كل منها جائز ؛ وكل من العلماء اعتبر أحد الجوائز" . اهـ .

ثم قال السيوطي بعده : "فصل .... وقد قال السخاوي : لا أعلم لعدد الكلمات والحروف من فائدة ، لأن ذلك إن أفاد فإنما يفيد في كتاب يمكن فيه الزيادة والنقصان ، والقرآن لا يمكن فيه ذلك اهـ (١)

وجاء في مناهل العرفان : "ملاحظة : ذكر بعضهم أن كلمات القرآن (٧٧٩٣٤) أربع وثلاثون وتسعمائة وسبعة وسبعون ألف كلمة ؛ وذكر بعضهم غير ذلك . قيل : وسبب الاختلاف في عدد الكلمات أن الكلمات لها حقيقة ومجاز ، ولفظ ورسم ، واعتبار كل منها جائز ، وكل من العلماء اعتبر أحد ما هو جائز . قال السخاوي : "ولا أعلم لعدد الكلمات والحروف من فائدة ، لأن ذلك إن أفاد فإنما يفيد في كتاب يمكن فيه الزيادة والنقصان ، والقرآن لا يمكن فيه ذلك" اهـ . (٢) .

وهذا مقتبس كله من الإتقان ، حتى ما نقله عن السخاوي ، ومما يبرهن على ذلك أن العبارة التي نقلها آنفاً عن السخاوي مطابقة لما نقله السيوطي عنه ، وأنت قد علمت أن السيوطي غالباً يختصر النقولات ، ويتصرف فيها، دون الإشارة إلى ذلك ،

وقد وقع مثل هذا التصرف في هذا النقل عن السخاوي ، وإليك عبارة السخاوي في كتابه جمال القراء (٢٣١/١) : ".. وقد عدوا كلمات كل سورة وحروفها ، وما أعلم لذلك من فائدة ، ولأن ذلك إن أفاد ، فإنما يفيد في كتاب تمكن الزيادة والنقصان منه والقرآن لايمكن ذلك فيه" اهـ.

المطلب العاشر : ذكر المميزات الخاصة في (مناهل العرفان) وبيان منزلته بين الكتب المؤلفة في هذا الفن .

يمكننا أن نلخص أهم مميزات هذا الكتاب بما يلي :

١ ـ أن جميع مباحثه تعتبر مهمة وضرورية لطالب هذا العلم ، بل إنها أهم مباحث هذا العلم .

٢ ـ أن مؤلفه اطلع على كتب كثيرة ، منها المتقدم ومنها المتأخر ، فجاء كتابه هذا مكتبة واسعة تضم الفوائد والتحقيقات المستمدة من سائر التخصصات العلمية .

٣ ـ جمع مؤلفه في تأليفه بين التحقيق العلمي ، والأسلوب العصري ، فكان تناول الكتاب أمراً ميسوراً على غير المتخصصين ، كما أن المتخصصين يجدون فيه بغيتهم .

٤ ـ ظهرت في هذا الكتاب عدة مباحث لم يتطرق إليها قبله الزركشي ولا السيوطي في كتابيهما .

٥ ـ سَطَّرت صفحات هذا الكتاب يدُ عالم بما يكتب ، له شخصيته وأسلوبه الخاص به .

٦ ـ كانت السمة الأدبية ظاهرة في أسلوب كاتبه في جميع المباحث ، مما يمتع القارىء له من ناحية ، ثم يكسبه الذوق الأدبي من ناحية أخرى .

٧ ـ تجد في هذا الكتاب الربط المستمر بين الدين والمعارف الأخرى ، الإضافة إلى محاولة بيان أسرار التشريع وحِكَمه .

٨ ـ لم يتابع المؤلف في تأليفه هذا الكتاب أساليب من سبقه في كثرة التنويع لعلوم القرآن ، بل أدمج الأنواع المتشابهة في بعض ، وجعلها تحت مبحث واحد .

و بناء على ذلك كله اعتُبِرَ هذا المُؤَلف من المراجع الأساسية في موضوع علوم القرآن ، ولذا حظي بشهرة واسعة ، حتى أضحى من أكثر كتب الفن ذيوعاً وتداولا.

المطلب الحادي عشر في ذكر المصادر التي استفاد منها المؤلف (ولو بواسطة):

قال الزرقاني في أول كتابه : "أما بعد ، فهذا كتاب "مناهل العرفان في علوم القرآن" كتبته تحقيقاً لرغبة ... مستمداً معارفه ـ بعد فتوح الله وتوفيقه ـ مما كتب علماء الإسلام قديماً وحديثاً في القرآن الكريم وعلومه ، والتفسير ومقدماته ، وعلم تاريخ التشريع ، وعلمي الكلام والأصول ، وعلوم اللغة العربية ومعاجمها ، وعلمي الفلسفة والاجتماع ، وعلمي النفس والأخلاق ، وبعض البحوث المنثورة هنا وهناك ، في غضون الرسائل والمجلات ، من عربية صميمة ، ومترجمة منقولة" اهـ

وبعد هذا العرض الإجمالي لأنواع الفنون التي استقى المؤلف مادة كتابه منها ؛ إليك أسماء المؤلفات التي استفاد المؤلف من مادتها في هذا الكتاب (ولو بواسطة):

١ـ الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز (في التصوف) (١) / جمعه : أحمد بن مبارك .

٢ـ إتحاف فضلاء البشر / أحمد بن محمد البنا (ت ١١١٧هـ) (٢) .

٣ـ الإتقان في علوم القرآن / جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) (٣).

٤ـ إحياء علوم الدين / أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) (٤) .

٥ـ أساس البلاغة / جار الله الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) . (٥) .

٦ـ أسباب النزول / أبو الحسن الواحدي (ت ٤٦٨هـ) . (٦) .

٧ـ إلجام العوام عن علم الكلام / أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) . (٧) .

٨ـ الأم / محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) . (٨) .

.....

١ ـانظر المناهل (١/٣٧٥) .

٢ـ انظر المناهل (١/٣٨٦) .

٣ـ المناهل (١/٣٨، ١٧٤، ٣٣٩، ٣٤٢، ٤٠٥، ٤٢٢، ٤٢٦، ٤٥٨، ٤٧٧، ٤٨٢، ٤٨٤، ٤٨٦، ٤٨٧، ٥١٧، ٥٢٩، ٥٤٧، ٢/٥٧، ١٦٩، ١٧٣، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥)

٤ـ انظر المناهل (١/٥١٣، ٥١٥، ٥٥٨) .

٥ـ المناهل (٢/٥) .

٩ـ انجيل متى .(١) .

١٠ـ انجيل مرقس . (٢) .

١١ـ البحر المحيط (في الأصول) / بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) . (٣) .

١٢ـ البحر المحيط (في تفسير القرآن) / محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الأندلسي (ت ٧٤٥هـ)(٤) .

١٣ـ البرهان في علوم القرآن / بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ)(٥) .

١٤ـ البيان / لأبي طاهر بن أبي هاشم . (٦) .

١٥ـ تاريخ القرآن / أبو عبد الله الزنجاني (ت ١٣٦٠هـ) .(٧) .

١٦ـ تأويل مشكل القرآن / عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٠هـ وقيل ٢٧٦هـ) . (٨) .

١٧ـ التبيان في آداب حملة القرآن / شرف الدين النووي (ت ٦٧٦هـ) .(٩) .

١٨ـ تطور الأمم / ألفه أحد الفلاسفة الغربيين . (١٠) .

١٩ـ تفسير الآلوسي (روح المعاني) / شهاب الدين الآلوسي (ت ١٢٧٠هـ) . (١١)

٢٠ـ تفسير البغوي (معالم التنزيل) / محمد بن الحسين البغوي (ت ٥١٦هـ) (١٢) .

٢١ـ تفسير التستري / أبو محمد سهل بن عبد الله التستري (ت ٢٨٣هـ) .

.....

١ـ المناهل (٢/٨٨) .

٢ـ المناهل (٢/٨٨) .

٣ـ المناهل (١/٢٧،٥٧/٢،٦٩) .

٤ـ المناهل(١/٣٨٢،٣٨٤،٣٨٧) .

٥ـ المناهل (١/٤٧٨،٥٤٦) .

٦ـ المناهل (١/٤١٩) .

٧ـ المناهل (٢/٤) .

٨ـ المناهل (١/٢٦٩،٢٧٠) .

٩ـ المناهل (١/٨،١٨٢،٣٦٠،٣٥١،٣٧٨،٤٠٢،٤٠٤) .

١٠ـ المناهل (١/٤٧٧) .

١١ـ المناهل (١/٣٥٨،٣٧٩،٤٧٣،٥٥٢) .

١٢ـ المناهل (٢/٦) .

(١) ·

٢٢ـ تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم) / لمحمد بن محمد العمادي (ت ٩٥١هـ) · (٢) ·

٢٣ـ تفسير ابن عربي / محيي الدين بن عربي (ت ٦٣٨هـ) · (٣) ·

٢٤ـ تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) / عبد الحق ابن غالب بن عطية (ت ٥٤٦هـ) (٤) ·

٢٥ـ تفسير القرآن العظيم / الحافظ عماد الدين بن كثير (ت ٧٧٤هـ) · (٥) ·

٢٦ـ التفسير الكبير / الفخر الرازي (ت ٦٠٦هـ) · (٦) ·

٢٧ـ تفسير المنار / محمد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ) · (٧) ·

٢٨ـ تفسير النسفي (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) / عبد الله بن أحمد النسفي (ت ٧٠١هـ)(٨) ·

٢٩ـ التلويح في كشف حقائق التنقيح / سعد الدين التفتازاني (ت ٧٩٢هـ)(٩)

٣٠ـ التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد / للحافظ أبي عمر بن عبد البر (ت ٤٦٣هـ) ·(١٠) ·

٣١ـ التنبيه على فضل علوم القرآن / لأبي القاسم النيسابوري (ت ٤٠٦هـ) (١١)

٣٢ـ تهذيب الأسماء واللغات / شرف الدين النووي (ت ٦٧٦هـ) · (١٢) ·

.....

١ـ المناهل (١/٥٥٣) ·

٢ـ المناهل (١/٢٦٢، ٢/٢٥٦) ·

٣ـ المناهل (١/٥٥٤) ·

٤ـ المناهل (١/٣٤٩) ·

٥ـ المناهل (١/٢٩٣، ٢/٦) ·

٦ـ المناهل (١/٧٣) ·

٧ـ المناهل (١/٢١٦، ٢٦١، ٥٢٠) ·

٨ـ المناهل (٢/٢٩٧) ·

٣٣ـ التوراة (السفر الأول) ٠ (١) ٠

٣٤ـ جامع البيان في القراءات السبع / أبو عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) ٠ (٢)

٣٥ـ الجامع لشعب الإيمان / أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ٠ (٣) ٠

٣٦ـ جمال القراء وكمال الإقراء / علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣ هـ) ٠ (٤) ٠

٣٧ـ جمع الجوامع / تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (ت ٧٧١هـ) ٠ (٥) ٠

٣٨ـ الجواهر في تفسير القرآن الكريم / طنطاوي جوهري (ت ١٣٥٨هـ) ٠ (٦)

٣٩ـ حاشية البناني على جمع الجوامع / عبد الرحمن بن جار الله البناني (ت ١١٩٨هـ) ٠ (٧) ٠

٤٠ـ حاشية ترشيح المستفيدين ٠ (٨) ٠

٤١ـ حاشية عبد الحكيم على المطول / الملا عبد الحكيم السيالكوتي الهندي (ت ١٠٦٧هـ) (٩) ٠

٤٢ـ حاشية على شرح الدردير (١٠) لمختصر خليل (في فروع الفقه المالكي) / محمد بن أحمد الدسوقي المالكي (ت ١٢٣٠هـ) ٠ (١١) ٠

.....

١٢ـ المناهل (٤٩٧/١) ٠

١ـ المناهل (٨٧/٢،٨٨) ٠

٢ـ المناهل (١/ ٤١٥) ٠

٣ـ المناهل (٣٧٣/١) ٠

٤ـ المناهل (٢٤٥/١) ٠

٥ـ المناهل (١٠٥/١،١٢٩،٤٢٩) ٠

٦ـ المناهل (٣٢٢/١) ٠

٧ـ المناهل (٤٣٠/١) ٠

٨ـ المناهل (٥٧/٢) ٠

٩ـ المناهل (٤٧١/١) ٠

١٠ـ هو أحمد بن محمد بن أحمد العدوي المالكي الأزهري (أبو البركات) الصوفي (ت ١٢٠١هـ) ٠ معجم المؤلفين (٦٧/٢) ٠

٤٣ـ حاشية على شرح الدواني (١) للعقائد العضدية / محمد عبده (ت ١٣٢٣هـ) (٢) .

٤٤ـ حواشي المنهج في فقه الشافعية . (هكذا) ؟! (٣).

٤٥ـ درة التنزيل وغرة التأويل (في الآيات المتشابهات) / فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) (٤) .

٤٦ـ رد الآيات المتشابهات إلى الآيات المحكمات / محمد بن أحمد بن اللبان (ت ٧٤٩هـ) . (٥) .

٤٧ـ الرسالة / محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) (٦) .

٤٨ـ زاد القراء . (٧) .

٤٩ـ السنن / الحارث بن أسد المحاسبي (ت ٢٤٣هـ) . (٨) .

٥٠ـ السيرة الحلبية (إنسان العيون) / علي بن برهان الدين الحلبي (ت ١٠٤٤هـ) . (٩) .

٥١ـ الشاطبية (حرز الأماني ووجه التهاني ، في القراءات السبع) / القاسم ابن فيرة بن خلف بن أحمد الشاطبي (ت ٥٩٠هـ) . (١٠) .

٥٢ـ الشخصية الإنسانية / ميرس الإنجليزي . (١١) .

٥٣ـ شرح التفتازاني على العقائد النسفية / سعد الدين التفتازاني . (١٢) .

.....

١١ـ المناهل (٢/٥٧) .

١ـ هو جلال الدين ، محمد بن أسعد الصديقي الدواني (ت ٩٠٨هـ) . كشف الظنون (٢/١١٤٤) .

٢ـ المناهل (١/٥١٥، ٢/١٩٢) .

٣ـ المناهل (١/٣٧٢) .

٤ـ المناهل (٢/٢٠٢) .

٥ـ المناهل (٢/١٩٣) .

٦ـ المناهل (١/٤٧) .

٧ـ المناهل (١/٣٩٦) . ولم أقف على من ذكره غير المؤلف وكذلك لم أتمكن من معرفة مؤلفه .

٨ـ المناهل (١/٢٤٣) .

٩ـ المناهل (٢/٥٢) .

٥٤ـ شرح الزرقاني على المواهب (شرح المواهب اللدنية بالمنح المحمدية) [في السيرة النبوية] / محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المالكي (ت ١١٢٢هـ) . (١) .

٥٥ـ شرح الطيبة / أبو القاسم ، محمد النويري المالكي (ت ٨٥٧هـ) . (٢) .

٥٦ـ شرح العقيلة . (٣) (٤) .

٥٧ـ شرح العيني على البخاري (عمدة القاري ، شرح صحيح البخاري) / لبدر الدين أبي محمد ، محمود بن أحمد العيني (ت ٨٥٥هـ) (٥) .

٥٨ ـ شرح القاموس (تاج العروس من جواهر القاموس) / محمد بن محمد ا بن محمد بن عبد الرزاق الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) . (٦) .

٥٩ـ شرح المحلي على جمع الجوامع / جلال الدين ، محمد بن أحمد المحلي (ت ٨٦٤هـ) . (٧) .

٦٠ـ طبقات القراء (غاية النهاية في طبقات القراء) / محمد بن محمد بن الجزري (ت ٨٣٣هـ) . (٨) .

٦١ـ طبقات المفسرين / جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) . (٩) .

٦٢ـ طيبة النشر في القراءات العشر / محمد بن محمد الجزري (ت ٨٣٣هـ) . (١٠) .

.....

١- المناهل (٥٢/٢) .

٢- المناهل (٤٠٦/١، ٤١٢، ٤٢١) .

٣- المناهل (٣٧١/١) .

٤- قال في كشف الظنون : "[عقيلة أتراب القصائد في أسنى المقاصد] وهي نظم المقنع للداني ، منظومة رائية في رسم المصحف ، للشيخ أبي محمد ، قاسم بن فيره الشاطبي (ت ٥٩٠هـ) . وشرحها برهان الدين الجعبري (ت ٧٣٢هـ) وسماه : "جميلة أرباب المراصد" . وعلم الدين السخاوي (ت ٦٤٣هـ) سماه : "الوسيلة إلى كشف العقيلة ..." اهـ (مع شيء من الاختصار) . وذكر شرّاحاً آخرين ، ولا أدري أي تلك الشروح يعني المؤلف . انظر (كشف الظنون (١١٥٩/٢) .

٥- المناهل (٢٦٠/١) .

٦- المناهل (٦/٢) .

٧- المناهل (١١٧/١، ١٢٩) .

٨- المناهل (٤٤٩/١) .

٩- المناهل (٤٩٨/١) .

٦٣ـ عقائد النسفي / نجم الدين ، أبو حفص ، عمر بن محمد النسفي (ت ٥٣٧هـ) (١) .

٦٤ـ فتاوى ابن الصلاح / أبو عمرو ، عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري المعروف بابن الصلاح (ت ٦٤٢هـ) . (٢) .

٦٥ـ القاموس المحيط / مجد الدين ، محمد بن يعقوب الفيروزابادي (ت ٨١٧هـ) . (٣) .

٦٦ـ القدح المعلى (٤) (٥) .

٦٧ـ القراءات للواسطي (تحفة البررة في القراءات العشر)(٦) / أبو محمد عبد الله بن عبد المؤمن الواسطي (ت ٧٤٠هـ) . (٧) .

٦٨ـ القرآن والعلوم العصرية / طنطاوي جوهري (ت ١٣٥٨هـ) (٨) .

٦٩ـ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل / أبو القاسم جار الله ، محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) . (٩) .

٧٠ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون / المولى مصطفى بن عبد الله القسطنطني ، الرومي الحنفي (المعروف بحاجي خليفة) (ت ١٠٦٧هـ) . (١٠) .

٧١ـ الكواكب الدرية . (١١) .

.....

١٠ـ المناهل (٤١١/١) .

١ـ المناهل (٥٤٦/١) .

٢ـ المناهل (٥٤٦/١) .

٣ـ المناهل (١٣٦/١، ١٤٦، ٣٤٣، ٤٠٠، ٤٧٢/٢، ٧٦، ١٦٦) .

٤ـ نسبه المؤلف لابن حزم ، ولم أعثر له على كتاب بهذا الاسم . وهناك كتاب اسمه "قدح المعلى" للحافظ أبي محمد عبد الكريم الحلبي (ت ٧٣٥هـ) . انظر : كشف الظنون (١٣١٦/٢) .

٥ـ المناهل (٢٦٨/١) .

٦ـ وللمؤلف "الكنز في القراءات العشر" جمع فيه بين الإرشاد للقلانسي والتيسير للداني ، وزاده فوائد . انظر كشف الظنون (١٥١٩/٢) .

٧ـ المناهل (١٧٤/١) .

٨ـ المناهل (٥٧٠/١) .

٧٢ـ الكون الغامض / السير جميس جينز . (١) .

٧٣ـ لسان العرب المحيط / محمد بن مكرم بن علي الأنصاري (ت ٧١١هـ)(٢)

٧٤ـ اللوائح / لأبي الفضل الرازي .(٣) .

٧٥ـ مجلة الأزهر (٤) .

٧٦ـ مجلة (ذي مسلم رفيو) [بلكنو الهند] . (٥) .

٧٧ـ مجلة الفتح . (٦) .

٧٨ـ مجمع البيان لعلوم القرآن / أبو علي الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي الرافضي (ت ٨٣٥هـ) . (٧) .

٧٩ـ المجموع شرح المهذب / محيي الدين أبو زكريا النووي (ت ٦٧٦هـ) . (٨) .

٨٠ـ محاضرات الفيكنت دي طرازي . (٩) (١٠) .

٨١ـ المحلى / أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (ت ٤٥٦هـ) .(١١)

.....

١ـ المناهل (٢/٢٥٣) .

٢ـ المناهل (٢/٦) .

٣ـ المناهل (١/١٤٨) .

٤ـ المناهل (١/٣٩١/٢،٣٠/٥٩،٦٦،٢٨٠،٢٨٣) .

٥ـ المناهل (٢/٣٥) .

٦ـ المناهل (٢/٢٧٨) .

٧ـ المناهل (١/٢٧٤) .

٨ـ المناهل (١/٢٦٨/٢،٥٦) .

٩ـ المناهل (٢/٤) .

١٠ـ قال عنها المؤلف في حاشية كتابه : "هي محاضرات ظفرت بها في نسخة مخطوطة تحت عنوان "القرآن : محاضرات علمية تاريخية" ألقاها سنة (١٩٤١م) الفيكنت فليب دي طرازي ، مؤسس دار الكتب في بيروت والعضو في عدة مجامع علمية شرقية وغربية . المناهل (٢/٤) .

١١ـ المناهل (٢/٥٨) .

٨٢ـ المحيط البرهاني في الفقه النعماني ٠ (١) (٢) ٠

٨٣ـ مختار الصحاح / زين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي (ت بعد سنة (٦٦٦هـ) ٠(٣) ٠

٨٤ـ المدونة / أبو عبد الله ، عبد الرحمن بن القاسم المالكي (ت ١٩١هـ)٠(٤)٠

٨٥ـ المرشد الوجيز في علوم تتعلق بالقرآن العزيز / عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المقدسي (ت ٦٦٥هـ) ٠(٥) ٠

٨٦ـ المسائل الخمس / أحمد بن فارس بن زكرياالقزويني الرازي(ت٣٩٥هـ)٠(٦)٠

٨٧ ـ المستدرك على الصحيحين / أبو عبد الله ، محمد بن عبد الله ، الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ) ٠(٧) ٠

٨٨ـ المستصفى (في أصول الفقه) / أبو حامد ، محمد بن محمد الغزالي (ت٥٠٥هـ) ٠ (٨) ٠

٨٩ـ معاني القرآن / يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ) ٠ (٩) ٠

٩٠ـ المغني / موفق الدين ، أبو محمد ، عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة (ت ٦٢٠هـ) ٠ (١٠) ٠

٩١ـ المفردات في غريب القرآن / أبو القاسم ، الحسين بن محمد (الراغب الأصفهاني) (ت ٥٠٢هـ) ٠ (١١) ٠

.....

١ـ المناهل (٢٠٦/١) ٠

٢ـ هناك كتابان عند الحنفية بهذا الاسم ؛ الأول منهما لبرهان الدين محمود بن تاج الدين أحمد البخاري الحنفي (ت ٦١٦هـ) ٠ والآخر لرضي الدين محمد بن محمد السرخسي ٠

٣ـ المناهل (٢٠٦/٢) ٠

٤ـ المناهل(٥٧/٢)٠

٥ـ المناهل (٤١٦/١) ٠

٦ـ المناهل (٣٤٦/١)٠

٧ـ المناهل (٤٨١/١) ٠

٨ـ المناهل (١٠٦/١، ٤٢٤، ٦٤/٢) ٠

٩٢- المقاصد في علم الكلام (مقاصد الطالبين في علم أصول الدين) / سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني (ت ٧٩١هـ) (١) .

٩٣- مقدمة ابن خلدون / عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن خلدون (ت٨٠٨هـ) .(٢).

٩٤- مقدمة في أصول التفسير / أحمد بن عبد الحليم بن تيمية (ت ٧٢٨هـ) . (٣) .

٩٥- المقنع في رسم المصحف / أبو عمرو ، عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤هـ) . (٤) .

٩٦- ملحق لمجلة الأزهر . (٥) .

٩٧- المناسبات (البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن) / أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي (ت٧٠٨هـ) .(٦) .

٩٨- منجد المقرئين ومرشد الطالبين / شمس الدين محمد بن محمد بن الجزري (ت٨٣٣هـ) . (٧) .

٩٩- الناسخ والمنسوخ / علي بن محمد بن محمد بن إبراهيم الخزرجي (ابن الحصار) (ت ٦١١هـ) . (٨) .

١٠٠- الناسخ والمنسوخ في القرآن الكريم / أبو جعفر بن أحمد بن إسماعيل الصفار (ت ٣٣٨هـ) . (٩) .

١٠١- النبأ العظيم / د . محمد عبد الله دراز . (١٠) .

١٠٢- النشر في القراءات العشر / شمس الدين محمد بن محمد (ابن الجزري)

.....

١- المناهل (٦/١) .

٢- المناهل (٢٧/١،٣٧٣).

٣- المناهل (١٠٢/١،١١٩،٤٩٢) .

٤- المناهل (٣٧١/١) .

٥- المناهل (٤٥/٢) .

٦- المناهل (٣٤٠/١) .

٧- المناهل (٤٠٥/١،٤٣٤،٤٦٠) .

٨- المناهل (١٩١/١) .

٩- المناهل (١٥٥/٢،١٥٦) .

١٠- المناهل (١٣٥/١،٢١٤/٢،٢٢٢) .

(ت ٨٣٣هـ) . (١) .

١٠٣ـ نكت الانتصار لنقل القرآن / أبو بكر الباقلاني (ت ٤٠٣هـ) . (٢) .

١٠٤ـ النهاية والدراية . (٣) .

١٠٥ـ نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار ، شرح منتقى الأخبار / محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٥هـ) . (٤) .

١٠٦ـ الهيئة والإسلام / هبة الله الشهر ستاني (الرافضي) . (٥) .

١٠٧ـ الوجيز (في فروع الشافعية) / أبو حامد الغزالي (ت ٥٠٥هـ) . (٦) .

تنبيه : كثير من هذه المصادر إنما استفاد منها المؤلف ونقل عنها بواسطة كتاب آخر كالإتقان مثلا .

ولما كان يصعب تمييز مانقل عنه بواسطة عن غيره رأيت أن أورد جميع المصادر التي أشار إليها مع هذا التنبيه الذي بين عينيك (٧).

.....

١ـ المناهل (٤١٨/١) .

٢ـ المناهل (٣٧٣/١) .

٣ـ المناهل (٥٥/٢) .

المطلب الثاني عشر : في التنبيه على بعض المآخذ المشتركة بين بعض مباحث هذا الكتاب :

١ ـ يلاحظ القارىء لصفحات هذا الكتاب ، وقوع بعض العبارات أو النقولات ذات الطابع الصوفي ، ومن الأمثلة على ذلك :

أ ـ قوله عن البوصيري(١) .. رجل شاعر كشرف الدين البوصيري ـ رحمه الله ـ لا ريب أنه كان يحمل في نفسه قوة شاعرة ، يستطيع أن يصوغ بها ما يشاء من غرر القصائد ، وعندما أتجهت شاعريته فعلا أن يمتدح أفضل الخليقة صلوات الله وسلامه عليه بقصيدته المعروفة بالهمزية .... إلخ (٢) .

و حال البوصيري ، وهمزيته ، مما لا يخفيان على طالب العلم ، إن شاء الله تعالى . فمن أبيات الهمزية قوله :

إنما فضلك الزمان وآيا تك فيما نعده الآناء (٣).

ب ـ قال المؤلف في قوله تعالى : ﴿ .. ياأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ﴾ . أي هداية ونوراً تفرقون به بين الحق والباطل ، وبين الرشد والغي ، كما جاء في بعض وجوه التفاسير . وذلك أن المجاهدة تؤدي إلى المشاهدة ، والعناية بطهارة القلوب وتزكية النفوس ، تفجر الحكمة في قلب العبد .." ثم نقل كلاماً للغزالي في الخلوة والكشف .. إلخ (٤) .

جـ ـ يقول المؤلف : "ويرحم الله ابن عطاء الله السكندري (٥). إذ يقول

---

١ ـ شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد بن عبد الله الصنهاجي البوصيري المصري نسبته إلى بوصير بمصر ولد في بهشيم (من أعمال البهنساوية) سنة (٦٠٨ هـ) وتوفي في الاسكندرية سنة (٦٩٦هـ) . شذرات الذهب (٥/٤٣٢) ، الأعلام (٦/١٣٩) .

٢ـ مناهل العرفان (١/١١) ، وانظر (٢/٢٤٧). ووجه ايراد هذا النموذج هو أن المؤلف عمد إلى اختيار ذلك الشاعر وهمزيته ليمثل بهما دون غيرهما مما يدل على حسن رأيه فيه وفي قصيدته .

٣ـ راجع الهمزية (ص ٩١ من مجموع مهمات المتون) وهذا البيت الذي ذكرت تجده ص (١١٦) ، وراجع أيضاً قصيدته المسماة بالبرده ص (٨١) من نفس المصدر .

٤ـ المناهل (١/٣٠٤) .

٥ـ لعله احمد بن محمد الكركي السكندري الصوفي صاحب كتاب "مراتب السلوك إلى منازل الملوك" المتوفى سنة تسعمائة تقريباً . معجم المؤلفين (٢/١٤٥) . وهناك آخر أيضاً يقال له : أحمد بن محمد بن عبد الكريم بن عطاء الله الإسكندري ، متصوف شاذلي (ت سنة ٧٠٩ هـ) . الأعلام (١/٢٢١) .

في حِكَمه : "لا تترك الذكر لعدم حضورك مع الله فيه ؛ لأن غفلتك عن وجود ذكره ، أشد من غفلتك في وجود ذكره ، فعسى أن يرفعك من ذكر مع وجود غفلة ، إلى ذكر مع وجود يقظة ، ومن ذكر مع وجود يقظة إلى ذكر مع وجود حضور ، ومن ذكر مع وجود حضور ، إلى ذكر مع وجود غيبة عما سوى المذكور ، وما ذلك على الله بعزيز اهـ (١) .

٢ـ الاتجاه الأشعري ، والخلط في كثير من مسائل الإعتقاد:

سبق وأن تحدثنا عن عقيدة المؤلف من خلال كتابه (٢) ، وبيّنا موقفه من كثير من صفات الله عز وجل ، ومتابعته للمتكلمين في مسائل أخرى كالتحسين والتقبيح ، وجعل الصفات من المتشابه في المعنى ، وقوله بأن الإيمان بمعنى التصديق ، وتقريره لكسب الأشعري .

ثم إن المؤلف يسمي الأشاعرة "أهل السنة" في مواضع كثيرة من هذا الكتاب (٣) ، كما أنه يسمي التوحيد بعلم الكلام (٤) . وسيأتي الجواب عن ذلك كله في موضعه إن شاء الله تعالى.

٣ ـ تأثر المؤلف بمدرسة الأفغاني وتلميذه محمد عبده : ـ .

ظهرت في مصر مدرسة فكرية زرع بذورها جمال الدين الأفغاني ، وتعاهدها بالسقي تلميذه محمد عبده ، وبغض النظر عما يدور حول هاتين الشخصيتين ، فإن أمرهما كان قد استفحل ، وفكرهما قد ذاع وانتشر !

و كانت تلك المدرسة تقوم على أفكار متعددة ،منها الميل إلى الغرب ، ومحاولة التوفيق بين حقائق الإسلام ، وبين ما عند أولئك الغربيين ، مع تقديم كثير من التنازلات في سبيل تلك الغاية

و قد تنبه اللورد كرومر (المعتمد البريطاني في مصر) إلى ذلك الميل إلى

١ـ المناهل (٢/٢٧) .

٢ـ ص (٣٠).

٣ـ انظر على سبيل المثال (١/٣٥،٥٣٦،٥٦٤/٢،١٢٧) حيث يورد أقوال الأشاعرة وينسبها إلى أهل السنة

الغرب في فكر أصحاب تلك المدرسة ، فأشار إلى ذلك في تقريره لسنة (١٩٠٦م) والذي قدمه للبرلمان الإنجليزي في سنة (١٩٠٧ م) والذي وصف فيه برنامج تلك المدرسة ، ، وأنه يقوم على "التعاون مع الأوربيين ـ لا معارضتهم ـ في إدخال المدنية الأوربية إلى بلادهم" . ونصح بتشجيعهم وبين عزمه على وضع مقاليد الأمور في أيديهم !. (١).

و قد كانت فتاوى مشاهير هذه المدرسة تُطوِّع الناس للمستعمرين ، وقوانينهم وأنظمتهم

و ليس هذا هو مجال الكلام على تلك المدرسة ، وإنما مرادنا أن بعض أفكارها كانت قد امتدت لتصل إلى كثير من الكُتَّاب والمفكرين في تلك الآونة .

و الزرقاني رحمه الله كان قد عاصر عهد الاستعمار الإنجليزي على مصر ، كما عاصر شراسة الهجمة الموجهة إلى الإسلام وأهله عسكريا وفكريا .. كما شاهد أثر تلك الهجمة على أبناء المسلمين ، لا سيما المثقفين منهم ، فحاول رحمه الله ـ كما حاول غيره ـ أن يرد شيئاً من تلك الهجمة ، وأن يظهر الإسلام بمظهر يجذب أولئك الشاردين عن منهجه ، المنبهرين بمظاهر التقدم الأوربي فبلغ به ذلك الحرص إلى الوقوع في ثلاثة محاذير ، وهي :

١ ـ ملاحقة الشبه التي كان يثيرها الغربيون ضد الإسلام ، ومحاولة الرد عليها . وسيأتي الكلام على هذا المأخذ قريباً إن شاء الله تعالى . (٢) .

٢ ـ الكتابة من منطلق دفاعي في كثير من الأحيان ، وهذا يؤدي بصاحبه ـ في الغالب ـ إلى تقديم بعض التنازلات في سبيل التغلب على الهجمة الموجهة ضد هذا الدين .

و كان المؤلف رحمه الله يهدف دائما إلى إبراز التآخي بين الإسلام والعلم ، ويحاول أن يجلي أسرار التشريع ، ويبرهن على كماله وشموله ... وهذا كله حق لا غبار عليه .

لكن المؤلف رحمه الله لم يسلم من تلك التنازلات التي أشرنا إليها ، بل وضع قاعدة قال فيها : "إنه إذا توقف الدفاع عن الإسلام على التأويل لهذه

١ـ انظر واقعنا المعاصر (٣١٢) ، وانظر تقرير كرومر عن هذه المدرسة وعن صاحبها محمد عبده في كتاب موسوعة تاريخ مصر (١٢٤٦/٣) ، وراجع ١٣٦٠ ـ ١٣٦١)

٢ـ انظر (ص ١٠٨) .

المتشابهات ، وجب تأويلها بما يدفع شبهات المشتبهين ، ويرد طعن الطاعنين" اهـ(١).

وحينما تحدث المؤلف عن "وفاء الإسلام بحاجات البشر .. قال : "تاسعاً : محاربة الاسترقاق في المستقبل ، وتحرير الرقيق الموجود بطرق شتى ..." (٢) . وأنت على علم بأن الإسلام يقر الرق بطرقه المشروعة ، ولا يحاربه ، وسيأتي الكلام على ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى .(٣) .

و قال المؤلف عن تهذيب الإسلام لغريزة حب البقاء والعلو ،وتوجيه الإسلام لهما : "وهذه غريزة حب البقاء والعلو في الإنسان ، وقد نأى بها القرآن أيضاً عن الظلم والبغي ، وذهب بها إلى حيث الدفاع عن النفس ،والعرض ، والدين ، والوطن ، وقاد بها عباد الله إلى الحق والخير .." اهـ (٤) .

وهذا الكلام يُفهم منه أنه يرى أن الجهاد في الإسلام إنما شُرع للدفاع فقط .

و للمؤلف كلام حول هذا الموضوع يحتمل هذا ويحتمل غيره و الله تعالى أعلم (٥) .

٣ ـ تنزيل بعض الحقائق الشرعية على النظريات العلمية

و قد أسرف العقلانيون المعاصرون ـ أصحاب تلك المدرسة ـ في تحريف معاني كثير من النصوص الشرعية ، والتي تتعلق بأمور غيبية ، وحملوها على معانٍ بعيدة مخالفة ، لتقريبها إلى أذهان الغربيين وأذنابهم ، بدعوى أنهم لا يؤمنون إلا بالحس والمادة .

فجاء كلام أولئك المحرفين محطماً الكثير من الحقائق الشرعية ، والأمور الغيبية ،كالجن والملائكة والطير الأبابيل وما إلى ذلك ..

بل إن الأمر لم يقف عند هذا الحد ، فقد حاول بعض الكُتّاب أن يُدخل كل قضية برّاقة في إطار الإسلام ، وأنه (أي الإسلام) سبق إلى ذلك ودعا إليه ! فألف

١ـ المنار (١٨٢/٢) .

٢ـ المنار (٢٤٨/٢) .

بعضهم كتاباً سماه "الاشتراكية في الإسلام" ، وذهب آخر إلى أن الإسلام اشتراكي معتدل ، وأقحم ثالث الديمقراطية" في إطار الإسلام ،(١) ، وتبرأ آخرون من الحدود والحجاب !!

و المؤلف رحمه الله لم يكن بهذه المثابة ولله الحمد ، إلا أنه لم يَخْلُ كلامه في أحيان قليلة جداً من تأثر بمثل هذا المسلك (٢) .

٤ ـ عدم الدقة في التعريفات ، والتعمق فيها في بعض المواضع :

ينبغي أن يكون التعريف جامعاً مانعاً ، واقعاً في أقصر عبارة تؤدي إلى المعنى . وهذا ما لا نجده في كثير من تعريفات المؤلف وإليك مثالا على ذلك :

ـ لما عرّف المؤلف "علوم القرآن" قال :"إنه مباحث تتعلق بالقرآن الكريم من ناحية نزوله ،وترتيبه ، وجمعه ، وكتابته ، وقراءته ، ، وتفسيره ، ، وإعجازه ، وناسخه ، ومنسوخه ، ودفع الشبه عنه ونحو ذلك ." اهـ (٣) .

وأنت ترى أن هذا التعريف يقوم على إيراد الأمثلة والأنواع الداخلة تحت هذا العلم ، وكان يكفيه أن يقول مثلا .. هو مجموعة من المباحث الكلية المتعلقة بالقرآن ، يصلح أن يكون كل منها علماً قائماً بذاته" .

و في بعض التعريفات نلاحظ أن المؤلف يورد الأقوال المتعددة لأصحاب المشارب المختلفة ، من مناطقة وفلاسفة ولغويين وأصوليين .. كما فعل عند تعريفه للعلم وللقرآن (٤).

١ـ انظر كتاب الديمقراطية في الإسلام للعقاد .

٢ـ انظر المناهل (١/ ٥٩ ـ ٦٥) .

٣ـ المناهل (١/٢٠) .

٤ـ المناهل (١/ ٥ ـ ١٤) .

وللشاطبي رحمه الله في الموافقات بحث رصين ماتع ، بين فيه أن التعمق في التعريفات أمر حائد عن الجادة ، مخالف لمنهج الكتاب والسنة وسلف الأمة (١).

٥ـ وقوع المؤلف في شيء من الإسهاب الذي طال به الكتاب ، والاستطراد الذي خرج به عن موضوعه في مواضع متعددة ، وقد أشرنا إلى بعض تلك المواضع فيما سبق . (٢) .

٦ـ الاقتصار على هذا القدر فقط من المباحث المتعلقة بعلوم القرآن ، وقد بينا عذر المؤلف ـ رحمه الله ـ في ذلك . (٣).

٧ـ عمد المؤلف رحمه الله في كتابه هذا إلى عرض الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام ، ثم حاول الرد عليها ، وقد جعل ذلك هدفاً من جملة الأهداف التي من أجلها وضع هذا الكتاب ، حيث قال : "ثانيها ـ أي أهدافه ومحاولاته ـ أن أعالج شبهات عصرنا الراهن ، علاجاً ينحي الأذى عن طريق عشاق الحق ، وطلاب الحقيقة ، ورواد البحث ، ومريدي الإسلام ..." اهـ(٤)وقال في مقدمة الكتاب (ص٤) : "وسأعرض ـ بعون الله وتأييده ـ لعلاج الشبهات التي أطلق بخورها أعداء الإسلام ، وسددوا سهامها الطائشة إلى القرآن ، ..." اهـ(٥).

وقد أشار إلى غرضه هذا في مواضع أخرى من الكتاب ؛ كما بين سبب اهتمامه بالرد على تلك الشبهات . (٦) .

هذا وقد انساق وراء هذا المنهج ـ منهج تتبع الشبه والرد عليها ـ كثير من الأفاضل في تلك الفترة خاصة ، فوضع بعضهم مؤلفات خاصة في الشبه ، ثم حاولوا الرد عليها، (٧) وبعضهم ضمن ذلك كتاباته حول القرآن ، ، أو السنة أو التاريخ ...

.....

١ ـ انظره لزاماً في الموافقات (١/٥٦ ـ ٦٠) "المقدمة السادسة".

٢ـ انظر (ص ٧٨).

٣ـ انظر (ص٦٠) .

٤ـ المناهل (١/ج) .

٥ـ المناهل (١/٤)

٦ـ المناهل (١/٢٠،٣٢،٨٤،١٩٨،٢٠٨،٢٣٨) .

إلخ . (١) بل إن بعضهم (٢) وضع كتاباً سماه "الإسلام في قفص الاتهام" ! وصوَّر على الغلاف الخارجي لذلك الكتاب صورة نافذة عليها قضبان الحديد ، يبدو وراءها مسجد !!

وصِيْغَ الكتاب على طريقة الحوار الذي يُدار بين القاضي ، والمحامي ، والحاجب ، والمتهم ، الذي هو الإسلام ... !

ووضع بدلا من الفصول جلسات متتابعة ، لتكتمل الصورة في تلك المحاكمة !

وأود هنا أن ألفت نظرك إلى بعض الأمور المتعلقة بالشبه التي أوردها المؤلف ، وأجوبته عنها وهي :

١ـ ليست جميع الشبه التي أوردها المؤلف رحمه الله هي شبهاً بالمعنى المتبادر إلى الذهن ، بل إن عدداً لا بأس به منها إنما هو عبارة عن أدلة لبعض العلماء حول مسألة فقهية أو ما يشبه ذلك ، ساقها المؤلف في معرض ذكر أقوال العلماء المختلفة في بعض القضايا التي تعرض لها . وهذا النوع لا إشكال فيه ، ولا غبار على نقله وذكره ؛ بل هو مطلوب في موضعه .

٢ـ بعض الشبه التي ساقها المؤلف في هذا الكتاب لا تستحق الذكر ولا الالتفات لسخافتها وضعفها المتناهي ، وإليك نموذجاً من هذه الشبه :

قال المؤلف رحمه الله "الشبهة الثامنة : "يقولون إن محمداً كان عصبياً حاد المزاج ، وكان مريضاً بما يسمونه "الهستريا" ، فالوحي الذي كان يزعمه ما هو إلا أعراض لتلك الحالة التي أصيب بها! (٣) .

٣ـ أحياناً تأتي الردود غير محكمة ، (٤) وقد يجتهد في الجواب عن الشبهة مع العلم بأنها تقوم على حديث موضوع أو ضعيف ، بل قد تتضمن ردود المؤلف بعض المخالفات !! وأضرب لك مثلا على ذلك ؛ وهو محاولة رد المؤلف على الشبه التي أثيرت حول أسلوب القرآن ، المكي والمدني ، والتي كان من جملة جواب المؤلف عنها : أن "الإيجاز مظهر رقي المخاطب وآية فهمه وذكائه ، بحيث يكفيه من الكلام موجزه ، .. أما من كان دونه ذكاء وفهماً ، فلا سبيل إلى إفادته إلا بالإسهاب والبسط .."

.....

١ ـ انظر مثلا في كتاب "النبأ العظيم" ، وكتاب "مباحث في علوم القرآن للقطان".

٢ ـ هو الاستاذ شوقي أبو خليل .

٣ـ المناهل (٧٤/١) .

٤ـ انظر مثالا على ذلك (١٩٩/١) .

إلخ كلام المؤلف . (١)وهذا الكلام فيه من الغض من أهل المدينة مالا يخفى ، والله المستعان .

هذا وإن الضعف في الجواب عن الشبه والوقوع في مخالفات من أجل ردها والجواب عنها كانا قد وقعا لكثير ممن تصيدوا الشبه ، وحاولوا الإجابة عنها ، أمثال الرازي في تفسيره ، والذي قيل إنه : "يورد شبه المخالفين في المذهب والدين على غاية ما يكون من التحقيق ، ثم يورد مذهب أهل السنة على غاية من الوهاء" (٢)

٤ـ أسرف المؤلف في ذكر الشبه وعرضها ، حتى زادت على المائة في هذا الكتاب ! وطريقة المؤلف في عرض الشبه والتنقير عنها ، ثم محاولة الجواب عليها مرفوضة ، لمخالفتها لمنهج أهل السنة والجماعة في هذا المجال .

فأهل السنة والجماعة ينهون عن عرض الشبه ، وعن سماعها ، ويمنعون من مناظرة أصحابها والرد عليهم إلا في بعض الحالات القليلة .

ونحن نبين لك هذا الإجمال بشيء من التفصيل فنقول :

أولا : ذكر الأحوال التي يمنع أهل السنة فيها من مناظرة أهل الشبه ومن سماعها :

أـ حينما يكون صاحب الشبهة مغموساً في باطله ، طالباً لنصرته ، مبتغياً التشكيك في الحق ، فإنه لا يُرد عليه ولا يُناظر ، ولا يُسمع لقوله (٣)، إلا في حالات قليلة سيأتي الكلام عليها .

وقد كان السلف على هذه الطريقة سائرين ، وإليك بعض مواقفهم وأقوالهم في هذا الأمر : .

١ـ دخل رجلان على محمد بن سيرين من أهل الأهواء فقالا : "ياأبا بكر نحدثك بحديث؟ قال : لا . قالا فنقرأ عليك آية من كتاب الله ؟ قال: لا ، قال : تقومان عني وإلا قمت . فقام الرجلان فخرجا . فقال بعض القوم : ما كان عليك أن

.....

يقرأ آية ؟ قال : إني كرهت أن يقرأ آية فيحرفانها فيقر ذلك في قلبي " .(١) .

٢ـ قال رجل لابن سيرين : "إن فلاناً يريد أن يأتيك ولا يتكلم بشيء ، قال : قل لفلان : لا ، ما يأتيني ، فإن قلب ابن آدم ضعيف ، وإني أخاف أن أسمع منه كلمة فلا يرجع قلبي إلى ما كان" .(٢)

٣ـ قال معمر (٣) : كان ابن طاوس (٤) جالساً فجاء رجل من المعتزلة فجعل يتكلم . قال : فأدخل ابن طاووس أصبعيه في أذنيه ، وقال لابنه : أي بني : أدخل أصبعيك في أذنيك ، واشدد ، ولا تسمع من كلامه شيئاً" .

قال معمر : يعني أن القلب ضعيف .(٥).

٤ـ قال عبد الرزاق : قال لي إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى : (٦) أرى المعتزلة عندكم كثيراً ! قلت : نعم ، وهم يزعمون أنك منهم" قال : أفلا تدخل معي هذا الحانوت حتى أكلمك ؟ . قلت : لا . قال لم ؟ . قلت : لأن القلب ضعيف ، والدين ليس لمن غلب" .(٧)

٥ـ عن سلام بن أبي مطيع : (٨) أن رجلا من أصحاب الأهواء قال لأيوب السختياني : (٩) "يا أبا بكر : أسألك عن كلمة . قال أيوب : ـ وجعل يشير بأصبعه

.....

١ـ الإبانة الكبرى رقم (٣٩٨) ، الشريعة (ص٥٧) ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة رقم (٢٤٢) .

٢ـ الإبانة الكبرى رقم (٣٩٩) .

٣ـ هو معمر بن راشد بن أبي عمرو الأزدي الحداني بالولاء ، أبو عروة ، فقيه حافظ من أهل البصرة ، ولد فيها سنة (٩٥هـ) وسكن اليمن وتوفي سنة (١٥٣هـ) . سير أعلام النبلاء (٥/٧) ، الأعلام (٢٧٢/٧) .

٤ـ هو عبد الله بن كيسان اليماني أبو محمد ، مات سنة اثنين وثلاثين بعد المائة . التقريب (٤٢٤/١) .

٥ـ المصدر السابق رقم (٤٠٠) ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم (٢٤٨) .

٦ـ إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى ، سمعان الأسلمي ، أبو إسحاق من أهل المدينة وهو من شيوخ الشافعي ، توفي سنة (١٨٤ هـ) . سير أعلام النبلاء (٤٥٠/٨) ، الأعلام (٥٩/١) .

٧ـ الإبانة الكبرى رقم (٤٠١) ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم (٢٤٩) .

٨ـ سلام بن أبي مطيع هو أبو سعيد الخزاعي مولاهم البصري مات سنة أربع وستين بعد المائة . التقريب (١/ص٣٤٢) .

٩ـ هو أيوب بن أبي تميمة ، كيسان السختياني البصري تابعي فقيه ، حافظ ، ولد سنة (٦٦هـ) وتوفي سنة (١٣١ هـ) . سير أعلام النبلاء (١٥/٦) ، الأعلام (٣٨/٢) .

ـ ولا نصف كلمة ، ولا نصف كلمة . (١) .

٦ـ عن طلحة بن خصيف قال : أشهد أن في التوراة : ياموسى لا تخاصم أهل الأهواء فيقع في قلبك شيء فيدخلك النار" . (٢) .

٧ـ عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله قال :"من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل" . (٣) .

٨ـ قال سهل بن مزاحم (٤): "مثل الذي يتنازع في الدين مثل الذي يشتد على شرف المدينة ، إن سقط هلك ، وإن نجا لم يُحمد" . (٥) .

٩ـ قال رجل لمالك رحمه الله : "يا أبا عبد الله ، وما عليك أن أكلمك ؟ قال : فإن كلمتك فرأيت الحق فيما كلمتك ؟ قال : تتبعني ؟ قال نعم . قال : فإن خرجت من عندي على الذى فارقتني عليه ، فأقمت سنة تقول به ، ثم لقيك رجل من أصحابك فكلمته فقال لك أخطأ مالك . أترجع إلى قوله ؟ قال نعم . قال : فإنك أقمت سنة بقوله تقول ، ثم رجعت إلي فقلت لي : لقيت فلاناً فيما كلمتك به ، فقال لي كيت وكيت ، فرأيت أن الحق في قوله فاتبعته ، فقلت لك أنا : أخطأ فلان الأمر في كذا وكذا . فعرفت أن قولي أحسن من قوله ، تتبعني ؟ قال نعم . قال : فهكذا المسلم! مرة كذا ومرة كذا ؟ ! (٦) .

١٠ـ عن هشام بن حسان(٧) قال : "جاء رجل إلى الحسن ، فقال : يا أبا سعيد تعال حتى أخاصمك في الدين . فقال الحسن : أما أنا فقد أبصرت ديني ، فإن كنت أضللت دينك فالتمسه" .(٨) .

.....

١ـ الشريعة (ص٥٧) ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم (٢٩١) ، شرح السنة للبغوي (ص ٢٢٧) ، الإبانة الكبرى رقم (٤٠٢) ، (٤٨٢) .

٢ـ الإبانة الكبرى رقم(٥٥٥،٥٥٦) ، الشريعة (ص٥٧) .

٣ـ الإبانة الكبرى رقم (٥٦٥،٥٦٦،٥٦٨،٥٦٩،٥٧٠،٥٧٧،٥٧٨،٥٧٩،٥٨٠) ، وفي الصغرى رقم (٢٢٧) ، الشريعة (ص٥٦) ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم (٢١٦) .

٤ـ سهل بن مزاحم ، من أهل مرو ، وكان فقيهاً ، مفتياً ، عابداً ، ويكنى : بأبي بشر . طبقات ابن سعد (ج٧/ج٢/ص١٠٧) .

٥ـ الإبانة الكبرى رقم (٥٦٧) .

١١ـ قال محمد بن النضر الحارثي : (١) من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة ، نُزعت منه العصمة ، ووُكل إلى نفسه" . (٢) .

١٢ـ عن مسلم بن يسار : (٣) لا تمكن صاحب بدعة من سمعك ، فيصب فيها ما لا تقدر أن تخرجه من قلبك" .(٤)

١٣ـ وعن سفيان الثوري : "من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة خرج من عصمة الله ، ووكل إلى نفسه" .(٥) .

١٤ـ عن ابن عون قال: (٦) لا يُمكّن أحد منكم أذنيه من هوى أبداً" .(٧).

١٥ـ قال أحمد بن أبي الحواري : (٨) قال لي عبد الله بن البسري ـ وكان من الخاشعين ما رأيت قط أخشع منه ـ : ليس السنة عندنا أن ترد على أهل الأهواء ، ولكن السنة عندنا أن لا تكلم أحداً منهم" . (٩) .

١٦ـ وعن أيوب السختياني : "لست براد عليهم بشيء أشد من السكوت" . (١٠)

١٧ـ عن حنبل بن إسحاق قال : (١١) كتب رجل إلى أبي عبد الله رحمه الله

.....

٨ـ الإبانة الكبرى رقم (٥٨٦)، الشريعة (ص٥٦) .

١ـ محمد بن النضر الحارثي هو أبو عبد الرحمن الكوفي ، عابد أهل زمانه بالكوفة . سير أعلام النبلاء (١٧٥/٨).

٢ـ الإبانة الكبرى رقم (٤٣٤،٤٤٢،٤٤٣) ، والصغرى رقم (١٦١) ، اللالكائي رقم (٢٥٢) .

٣ـ مسلم بن يسار الأموي بالولاء فقيه ناسك من رجال الحديث سكن البصرة وتوفي فيها سنة (١٠٨ هـ) . سير أعلام النبلاء (٥١٠/٤) ، الأعلام (٢٢٣/٧) .

٤ـ الإبانة الكبرى رقم (٤٣٦) .

٥ـ المصدر السابق رقم (٤٤٤) .

٦ـ عبد الله بن عون بن أرطبان المزني بالولاء من الحفاظ توفي سنة (١٥١ هـ) . سير أعلام النبلاء (٣٦٤/٦)، الأعلام (١١١/٤) .

٧ـ الإبانة الكبرى رقم (٤٤٦) .

٨ـ أحمد بن أبي الحواري ، وأبو الحواري هو عبد الله بن ميمون . أصله من الكوفه ولد سنة (١٦٤هـ) وتوفي سنة (٢٤٦ هـ) . سير أعلام النبلاء (٨٥/١٢) .

٩ـ الإبانة الكبرى رقم (٤٧٨) .

١٠ـ الإبانة الكبرى رقم (٤٧٩) .

١١ـ حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال الشيباني من حفاظ الحديث وهو ابن عم الإمام أحمد وتلميذه خرج إلى واسط وتوفي بها سنة (٢٧٣ هـ) . سير أعلام النبلاء (٥١/١٣) ، الأعلام (٢٨٦/٢) .

كتاباً يستأذنه فيه أن يضع كتاباً يشرح فيه الرد على أهل البدع ، وأن يحضر مع أهل الكلام فيناظرهم ، ويحتج عليهم ، فكتب إليه أبو عبد الله : "بسم الله الرحمن الرحيم ، أحسن الله عاقبتك ، ودفع عنك كل مكروه ومحذور ، الذي كنا نسمع ، وأدركنا عليه من أدركنا من أهل العلم ، أنهم كانوا يكرهون الكلام والجلوس مع أهل الزيغ ، وإنما الأمور في التسليم والانتهاء إلى ما كان في كتاب الله وسنة رسول الله ، لا في الجلوس مع أهل البدع والزيغ لترد عليهم ، فإنهم يلبسون عليك ، وهم لا يرجعون ، فالسلامة إن شاء الله في ترك مجالستهم ، والخوض معهم في بدعتهم وضلالتهم ، فليتق الله أمرؤ ، وليصر إلى ما يعود عليه نفعه غداً من عمل صالح يقدمه لنفسه ، ولا يكن ممن يحدث أمراً ، فإذا هو خرج منه أراد الحجة فيحمل نفسه على المحال فيه وطلب الحجة لما خرج منه بحق أو بباطل ليزين به بدعته وما أحدث ، وأشد من ذلك أن يكون قد وضعه في كتاب قد حمل عنه فهو يريد أن يزين ذلك بالحق والباطل وإن وضح له الحق في غيره ، ونسال الله التوفيق لنا ولك والسلام" (١) .

١٨ ـ عن سفيان الثوري أنه قال : "من سمع بدعة فلا يحكها لجلسائه ، لا يلقيها في قلوبهم" . (٢) .

١٩ ـ قال مجاهد : "قيل لابن عمر : إن نجدة (٣) يقول كذا وكذا . فجعل لا يسمع منه كراهية أن يقع في قلبه منه شيء" . (٤) .

٢٠ ـ عن أبي أمامة (٥) قال : "ما كان شرك قط إلا كان بدوه تكذيب بالقدر ، ولا أشركت أمة قط إلا بدوه تكذيب بالقدر ، وإنكم ستبلون بهم أيتها الأمة ، فإن لقيتموهم فلا تمكنوهم من المسألة فيدخلوا عليكم الشبهات" . (٦) .

.....

١ـ الإبانة الكبرى لابن بطة رقم (٤٨١) .

٢ـ شرح السنة للبغوي (١/ص ٢٢٧) .

٣ـ نجدة بن عامر الحروري الحنفي رأس الفرقة النجدية وهي منسوبة إليه ولد سنة (٣٦هـ) وتوفي سنة (٦٩هـ) . لسان الميزان (١٤٨/٦) . الاعلام (١٠/٨) .

قال ابن بطة (١) رحمه الله بعد أن ساق جملة من الآثار في هذ الموضوع : "فالله الله يا معشر المسلمين ، لا يحملن أحداً منكم حسن ظنه بنفسه ... على المخاطرة بدينه في مجالسة بعض أهل هذه الأهواء ، فيقول أداخله لأناظره ، أو لأستخرج منه مذهبه ، فإنهم أشد فتنة من الدجال ، وكلامهم ألصق من الجرب ، وأحرق للقلوب من اللهب ، ولقد رأيت جماعة من الناس كانوا يلعنونهم ويسبونهم فجالسوهم على سبيل الإنكار والرد عليهم ، فما زالت بهم المباسطة ، وخفي المكر ، ودقيق الكفر ، حتى صبوا إليهم" (٢) .

وأقوال أهل العلم مستفيضة في هذا المعنى ، وما ذكرناه فيه تنبيه على غيره(٣) ، والله المستعان .

ب ـ والحالة الثانية التي يتمنعون فيها عن الرد فهي التي لا يأمن فيها الراد على الشبهة على نفسه من الانجراف معها ، أو كان علمه قاصراً ، فيكون الرد ضعيفاً ، فيتغلب صاحب الشبهة ، فيحصل بذلك فتنة .

ثانياً : ذكر الحالات التي يرخصون فيها بسماع الشبهة ومناقشتها :

أ ـ إذا كان صاحب الشبهة طالباً للحق ، منقاداً إليه ، وكان الذي عُرضت عليه الشبهة متمكناً من الجواب عنها ، ولم يكن بالحضرة من يخشى عليه من سماعها ، فلا مانع من الجواب عنها ، لكن دون التكلف والتمحل والتعمق الذي قد نُهينا عنه .

و لهذا قال ابن عون : "سمعت محمد بن سيرين ينهى عن الجدال إلا رجلا إن كلمته طمعت في رجوعه" (٤) (٥)

ب ـ والحالة الثانية هي التي عبر عنها ابن بطة بقوله "ورجل آخر يحضر في

.....

١ـ عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان أبو عبد الله العكبري من فقهاء الحنابلة توفي سنة (٣٨٧ هـ) . ـ تاريخ بغداد (٣٧١/١٠) .

٢ـ الإبانة الكبرى (ج ٤٧٠/٢) .

٣ـ انظر الإبانة الكبرى ، الأرقام (٣٠٧،٣١٠،٣٣٥،٣٨٦،٣٨٧،٣٩٤،٣٩٥،٣٩٦،٣٩٧،٣٩٩،٤٠٣،٤٠٤،٤٣٢،٤٤٩،٤٥٨،٤٧٦،٤٨٠، ٤٨٤،٤٨٥،٤٨٧،٦٠٩،٦١٠) ، الشريعة (ص ٥٦،٥٧) ، اللالكائي الأرقام (٢٤٠،٢٤٦) ، طبقات الحنابلة (١٨/٢) .

٤ـ الإبانة الكبرى رقم (٦٨١) .

٥ـ انظر الكلام في هذه الحالة في كتاب الإبانة الكبرى (ج ٢/ص ٥٤٠،٥٤١) ، الشريعة (ص ٦١) .

مجلس أنت فيه حاضر ، تأمن فيه على نفسك ، ويكثر ناصروك ومعينوك ، فيتكلم بكلام فيه فتنة وبلية على قلوب مستمعيه ، ليوقع الشك في القلوب ، لأنه هو ممن في قلبه زيغ ، يتبع المتشابه ابتغاء الفتنة والبدعة وقد حضر معك من إخوانك وأهل مذهبك من يسمع كلامه إلا أنه لا حجة عندهم على مقابلته ، ولا علم لهم بقبيح ما يأتي به ، فإن سكت عنه لم تأمن فتنته بأن يفسد بها قلوب المستمعين ، وإدخال الشك على المستبصرين ، فهذا أيضاً مما ترد عليه بدعته وخبيث مقالته ، وتنشر ما علمك الله من العلم والحكمة ولا يكن قصدك في الكلام خصومته ولا مناظرته وليكن قصدك بكلامك خلاص إخوانك من شبكته ، فإن خبثاء الملاحدة إنما يبسطون شباك الشياطين ليصيدوا بها المؤمنين ، فليكن إقبالك بكلامك ونشر علمك وحكمتك وبشر وجهك وفصيح منطقك على إخوانك ، ومن قد حضر معك ، لا عليه ، حتى تقطع أولئك عنه وتحول بينهم وبين استماع كلامه ، بل إن قدرت أن تقطع عليه كلامه بنوع من العلم تحول به وجوه الناس عنه فافعل . ا . هـ .

ثم ساق عن مثنى بن الحارث أنه قال : "سمعت بشر بن الحارث (١)سئل عن الرجل يكون مع هؤلاء أهل الأهواء في موضع جنازة ، أو مقبرة ، فيتكلمون ويُعرِّضون ، فترى لنا أن نجيبهم ؟ فقال إن كان معك من لا يعلم فردوا عليه لئلا يرى أولئك أن القول كما يقولون . وإن كنتم أنتم وهم فلا تكلموهم ، ولا تجيبوهم" .(٢)

ج ـ إذا ذاعت الشبهة وانتشرت ، وخُشي التلبيس على الناس بسببها ، فحينئذ يضطر أهل السنة إلى الرد عليها ، كما حصل في عصر الإمام أحمد رحمه الله من فتنة القول بخلق القرآن (٣).

تنبيه : الكلام في الفقه والمناظرة فيه ، ليس ذلك كله داخلا في كلامنا هذا ، مع مراعاة الآداب والشروط التي لابد من توافرها في حال المناظرة .(٤) .

.....

١ـ بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء الحافي مات ببغداد لإحدى عشرة ليلة خلت من ربيع الأول سنة (٢٢٧ هـ) . التهذيب (١/٣٨٩) .

كيفية معالجة الشبه :

إن عرض الشبه ومحاولة الرد عليها منهج مرفوض ، إلا في حالات معينة مرّ ذكرها فيما سبق ، فالأصل هو عدم الالتفات إليها ، ولا إلى أصحابها ، حتى لا تصير كتب أهل السنة معابر وقناطر تسير عليها شبه المغرضين ، هذا بالإضافة إلى ما يجلبه هذا المنهج من تضخيم للشبهة وإذاعة لها .

و الذي ينبغي أن يُفعل هو تأصيل علوم الشريعة ، ونشر حقائقها بين الناس ، وإذا فعلنا ذلك فإن تلك الشبه لا تنطلي على الناس ولا يغترون بها .

و حينما نكون على هذا المنهج ، فإنه إن عرض لنا إشكال بيّنّا حله بطريقة سهلة ، وهكذا .

و لعله من المناسب أن أمثل لك على ذلك :

١ ـ قال الزركشي رحمه الله في البرهان (٢٥١/١) : "واعلم أن عدد سور القرآن العظيم باتفاق أهل الحل والعقد مائة وأربع عشرة سورة ،كما هي في المصحف العثماني . أولها الفاتحة وآخرها الناس . قال مجاهد : "وثلاث عشرة" بجعل الأنفال والتوبة سورة واحدة لاشتباه الطرفين ، وعدم البسملة ، ويرده تسمية النبي ﷺ كلا منهما .

و كان مصحف ابن مسعود اثنا عشر (١)، لم يكن فيها المعوذتان ، لشبهة الرقية .

و جوابه : .

أ ـ رجوعه إليهم .

ب ـ وما كتب الكل .(٢) .

و في مصحف أبي: ست عشرة ، وكان دعاء الاستفتاح والقنوت في آخره كالسورتين ، ولا دليل فيه ، لموافقتهم ، وهو دعاء كُتب بعد الختمة" ا . هـ (٣) .

فانظر ما تضمنه كلامه رحمه الله ـ من حين قوله : "وكان مصحف ابن مسعود ... إلخ" ـ من إشكالات أجاب عنها وأزالها دون إثارة زوبعة حولها أو إعطائها

.....

١ـ هكذا في المطبوع .

٢ـ الترقيم (ا ، ب) من وضعي وليس ذلك في البرهان .

٣ـ البرهان (٢٥١/١) .

أكبر مما تستحق .

٢ ـ قال الزرقاني رحمه الله : "شبهة وتفنيدها : يقولون : إن ابن أبي داود (١)أخرج بسنده عن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال :"أتى الحارث بن خزيمة(٢) (٣) بهاتين الآيتين من آخر سورة براءة ، فقال : أشهد أني سمعتهما من رسول الله ووعيتهما . فقال عمر : أنا أشهد لقد سمعتهما ، ثم قال : لو كانتا ثلاث آيات لجعلتهما على حدة ، فانظروا آخر سورة من القرآن فألحقوهما في آخرها" . يقولون هذا الحديث يدل على أن ترتيب الآيات لم يكن في القرآن كله بتوقيف ، إنما كان عن هوى من الصحابة وعن تصرف منهم ، ولو في البعض .." ا . هـ (٤) .

ثم شرع المؤلف بذكر الجواب عن هذه الشبهة ، ونحن نقارن عرضه ذلك بعرض إمامين لها :

الأول هو السيوطي في الإتقان ، حيث قال بعد أن تكلم على أن ترتيب الآيات أمر توقيفي : "... نعم يشكل على ذلك ما أخرجه ابن أبي داود- وذكر الأثر السابق ،ثم عقبه بقوله ـ : .. قال ابن حجر : ظاهر هذا أنهم كانوا يؤلفون آيات السور باجتهادهم ، وسائر الأخبار تدل على أنهم لم يفعلوا شيئاً من ذلك إلا بتوقيف .." ا . هـ (٥)

و الثاني هو الحافظ ابن حجر رحمه الله حيث ساق هذه الرواية سياقاً طبيعياً في الفتح وعقبها بقوله : "فهذا إن كان محفوظاً احتمل أن يكون قول زيد ابن ثابت "وجدتها مع ابن خزيمة، ولم أجدها مع غيره" أي أول ما كتبت ، ثم جاء الحارث بن خزيمة بعد ذلك ، أو أن أبا خزيمة هو الحارث بن خزيمة ، لا ابن أوس .

.....

١ـ ابن أبي داود : عبد الله بن سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني من حفاظ الحديث ولد بسجستان سنة (٢٣٠ هـ) وتوفي ببغداد سنة (٣١٦) . سير أعلام النبلاء (٢٢١/١٣) ، الاعلام (٩١/٤) .

٢ـ الحارث بن خزيمة بن عدي بن غنم بن سالم بن عوف ، أنصاري خزرجي قيل بأنه شهد بدراً ومات بالمدينة سنة(٤٠ هـ) الإصابة (٢٧٧/١) ، الفتح (١٥/٩) .

وأما قول عمر : "لو كانت ثلاث آيات" فظاهره أنهم كانوا يؤلفون آيات السور .." (١) ، (٢) .

.....

١ـ الفتح (١٥/٩) .

٢ـ حول معرفة المنهج في معالجة الشبه يراجع ـ لزاماً ـ ماكتبه الأستاذ محمد قطب حفظه الله في كتابيه : "شبهات حول الإسلام (مقدمة الطبعة الحادية عشرة للكتاب) ، وواقعنا المعاصر (٥١٠ ـ ٥١٦) ولولا خشية الإطالة لنقلت كلامه حفظه الله فإنه هام جداً .

و راجع أيضاً رسالة بعنوان "الطريقة المثلى للمحافظة على كرامة الإسلام ورد عادية الطاعنين عليه" لمحمد أحمد الغمراوي .

القسم الثالث

الدراسة التفصيلية لكل مبحث

المبحث الأول

في معنى علوم القرآن

وتشمل الدراسة :

أولا : مدى استيفاء المؤلف لمادة هذاالمبحث وذكر القضايا التي ناقشها فيه .

ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث .

ثالثاً : مناقشة المؤلف في قضايا ومسائل من هذا المبحث .

أولا : مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث، وذكر القضايا التي ناقشها فيه :

إن الكلام على معنى لفظ إضافي مركب، كعلوم القرآن مثلا ـ كما هو عنوان هذا المبحث ـ يحتاج منا إلى تعريف كل جزء من أجزاء تركيبه على حدة، ثم ذكرمعناه باعتبار الإضافة .

فإذا نظرنا إلى ما كتبه المؤلف ـ رحمه الله ـ حول هذا المعنى، نجد أنه قد أوفاه، وزاد عليه أيضاً أموراً لا حاجة إليها في التعريف .

فقد ساق للعلم تعاريف متعددة مختلفة باختلاف الفنون التي استمده منها، فعرّفه عند الحكماء، والمتكلمين، وفي لسان الشرع العام، وعند الماديين، وكذا علماء التدوين .

ثم ابتدأ بتعريف القرآن في اللغة، ثم في الاصطلاح، وعند المتكلمين، والأصوليين والفقهاء، وعلماء العربية .

وقبل الشروع في تعريفه "بالمعنى الإضافي" تعرض لأسمائه، ونوع عَلَميته، (هل هو علم شخصي، أو علم جنس)، ثم تكلم في صياغة التعاريف للأعلام، وهل هي ممنوعة أو ممكنة ؟ ثم بين أن القرآن يطلق على الكل، وعلى أبعاضه .

بعد ذلك جاء الكلام على معنى "علوم القرآن" بالمعنى الإضافي، وأتبع ذلك بكلام على قضايا لا تمت إلى التعريف بصلة، كبيان أن القرآن كتاب هداية وإعجاز، وأنه يحض على الانتفاع بالكون، وعلى إعجازه العلمي، وختم المبحث ببيان المراد بـ "علوم القرآن" بالمعنى المدون وموضوعه وثمرته .

والحقيقة أنه يكفينا عن هذه الإطالة كلها، ذكر معنى كل جزء من هذا المركب على حدة، في اللغة وفي الاصطلاح، ثم بيان معناه باعتباره مركباً كما أسلفنا في أول الكلام . والله أعلم .

ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث .

إذا رجعنا إلى بعض الكتب المعتمدة في هذا الفن، قبل عصر المؤلف والتي قارنا بينها وبين هذا الكتاب (١)، فإننا لا نجد أحداً من أصحابها أفرد التعريف بمثل ما أفرده به المؤلف، وإنما نجد أن بعضهم يتطرق إلى تعريف القرآن فحسب ـ وهو أحد شقي هذا التركيب ـ عند ذكره لأسماء القرآن، كما فعل ذلك السخاوي(٢) والزركشي ، (٣) والسيوطي ، (٤) رحمهم الله تعالى .

غير أننا نجد الزركشي (رحمه الله) أفرد فصلين بعد المقدمة، فتكلم في الأول منهما عن علم التفسير من حيث معناه، واستمداده، وأشار إلى مناهج المفسرين في تفاسيرهم، وسبب الحاجة إليه .

والفصل الآخر جعله في (علوم القرآن) والمراد : العلوم الدائرة في فلكه، والداخلة تحته، وذكر ما اشتمل عليه هذا العلم إجمالا .

وعليه فيكون المؤلف قد تفرد عنهم بتشييت هذا المبحث في كتابه بالصورة التي عرفت في الفصل السابق .

.....

١ ـ سبق ذكر هذه الكتب وتحديدها في ص(٥٤)حاشية) .

٢ـ جمال القراء (١/٢٣ ـ ٣٣) .

٣ـ البرهان (١/٢٧٣ ـ ٢٨٢) .

٤ـ الإتقان (١/١٤٣) .

«ثالثاً : مناقشات للمؤلف في مسائل تتعلق بهذا المبحث»

وهي :

١ ـ هل العلم في اللغة مصدر يرادف الفهم ؟!

٢ ـ بيان أن القرآن العظيم كلام الله لفظاً ومعنى ، وليس هو عبارة أو حكاية عن كلامه

المسألة الأولى : هل العلم في اللغة مصدر يرادف الفهم؟!

قال المؤلف (رحمه الله) في تعريفه للعلم في اللغة : "والعلم في اللغة مصدر يرادف الفهم والمعرفة" . ا . هـ(١) وهذا الإطلاق فيه تجوز، لأن بينهما فرقاً من حيث المورد والمتعلق ؛ فالعلم والمعرفة أعم من الفهم مورداً ومتعلقاً ؛ أما من حيث المورد : فإن العلم مورده القلب والحواس، بينما ينحصر مورد الفهم في القلب فقط .(٢)

وأما من حيث المتعلق : فإن متعلق العلم المعاني والذوات، ومتعلق الفهم المعاني فقط ؛ فتقول فهمت المعنى الذي أردت، ولا تقول فهمت الدار أو الدابة مثلا، وتقول : عرفت زيداً ولا تقول : فهمت زيداً ..(٣) فالفهم مختص في الدلالة على المعاني، وآلة حصوله هي القلب فقط .(٤) قال في تاج العروس في معنى "فهمه" : "أي (علمه وعرفه بالقلب) فيه إشارة إلى الفرق بين الفهم والعلم ؛ فإن العلم مطلق الإدراك، وأما الفهم فهو سرعة انتقال النفس من الأمور الخارجية إلى غيرها، وقيل : الفهم تصور المعنى في اللفظ، وقيل : هيئة للنفس يتحقق بها ما يحسن .(٥) وفي إحكام الآمدي(٦) : "الفهم : جودة الذهن من جهة تهيؤه لاقتناص ما يرد عليه من المطالب ..." ا . هـ(٧).

وفي الفروق اللغوية : "الفرق بين الفهم، والعلم : أن الفهم هو العلم بمعاني الكلام عند سماعه خاصة . ولهذا يقال : فلان سيء الفهم، إذا كان بطيء العلم، بمعنى ما يسمع، ولذلك كان الأعجمي لا يفهم كلام العربي ، ولا يجوز أن يوصف الله بالفهم، لأنه عالم بكل شيء على ما هو به فيما لم يزل، وقال بعضهم : لا يستعمل الفهم إلا في الكلام، ألا ترى أنك تقول : فهمت كلامه، ولا تقول : فهمت ذهابه

.....

١ـ المناهل (٥/١) .

٢ـ انظر لسان العرب (٨٧٠/٢) مادة(علم).

٣ـ انظر محيط المحيط (٧٠٤)، البستان (١٨٥٥) .

٤ـ انظر العلم والعلماء (١٣، ١٤) .

٥ـ راجع الإنصاح (١٤٨/١،١٤٩) .

٦ـ هو سيف الدين علي بن أبي علي، المتكلم، ولد بآمد، وقدم بغداد ثم تحول إلى الشام، ومات في صفر سنة (٦٣١ هـ) وله ثمانون سنة . لسان الميزان (١٣٤/٣) .

٧ـ تاج العروس (١٦/٩) مادة (علمه).

ومجيئه، كما تقول : علمت ذلك .

وقال بعضهم : الفهم يكون في الكلام وغيره من البيان كالإشارة؛ ألا ترى أنك تقول : فهمت ما قلت، وفهمت ما أشرت به إلي" (١) ا . هـ .

المسألة الثانية : في بيان أن القرآن كلام الله حقيقة، لفظه ومعناه، وليس عبارة أو حكاية عن كلام الله تعالى(١) .

جرى المؤلف (رحمه الله) ـ عند تعريفه للقرآن ـ على مذهب الأشاعرة، فبعد أن ذكر أن الكلام إذا أطلق قد يراد به المعنى المصدري، أو المعنى الحاصل بالمصدر، وجعل كل قسم من هذين لفظي ونفسي، وبين مراده بذلك، ثم ساق ما يظنه دليلا على قوله وليس هو بدليل في الحقيقة، قرر بعد ذلك أن الذين يقولون بأن القرآن غير مخلوق ـ وهم أهل الكلام في نظره ـ يقولون بالكلام النفسي،(٢) ويقرون بقدم الكلام الإلهي، وينزهونه عن الحوادث ، وأعراض الحوادث (٣) ومرادهم بذلك أنه لا يتكلم بحرف ولا صوت، ولا تجدد لهذه الصفة، ولا حدوث من حيث آحاد الكلام . هذا حاصل كلامه وملخصه ؛ وإليك نصوصاً منه: ـ

قال (ص٨ ـ ١٠/من الجزء الأول) : "ومعلوم أيضاً أن الإنسان له كلام قد يُراد به المعنى المصدري، أي التكلم، وقد يراد به المعنى الحاصل بالمصدر، أي المتكَلَّم به . وكل هذين المعنيين : لفظي ونفسي .

فالكلام البشري اللفظي بالمعنى المصدري : هو تحريك الإنسان للسانه وما يساعده في إخراج الحروف من المخارج .

والكلام اللفظي بالمعنى الحاصل بالمصدر : هو تلك الكلمات المنطوقة، التي هي كيفية في الصوت الحسي، وكلا هذين ظاهر لا يحتاج إلى توضيح .

أما الكلام النفسي بالمعنى المصدري، فهو تحضير الإنسان في نفسه بقوته المتكلمة الباطنة للكلمات التي لم تبرز إلى الجوارح، فيتكلم بكلمات متخيَّلة يرتبها في الذهن، بحيث إذا تلفظ بها بصوت حسي كانت طبق كلماته اللفظية .

والكلام النفسي بالمعنى الحاصل بالمصدر : هو تلك الكلمات النفسية ، والألفاظ الذهنية المترتبة ترتباً ذهنياً منطبقاً عليه الترتب الخارجي . (ثم ساق بعض ما يراه دليلا على الكلام النفسي ، ثم عقبه بقوله) : كذلك القرآن كلام الله ـ ولله

.....

١ـ راجع : شرح العقيدة الطحاوية . (١٣٠ ـ ١٣٣) .

٢ـ انظر المناهل (١/ص٩) .

٣ـ راجع المناهل (١/ص١٠،ص ١١، ص ١٤) .

المثل الأعلى ـ قد يطلق ويراد به الكلام النفسي، وقد يطلق ويراد به الكلام اللفظي، والذين يطلقونه إطلاق الكلام النفسي هم المتكلمون فحسب، لأنهم المتحدثون عن صفات الله تعالى النفسية من ناحية ..."

وقال تحت عنوان "القرآن عند المتكلمين" : "ثم إن المتكلمين حين يطلقونه على الكلام النفسي يلاحظون أمرين ـ وذكر الأمر الأول وقال عقبه ـ: ثانيهما : أنه كلام الله، وكلام الله قديم غير مخلوق، فيجب تنزهه عن الحوادث وأغراض الحوادث .

وقد علمت أن الكلام النفسي البشري يطلق بإطلاقين :

أحدهما : على المعنى المصدري .

وثانيهما : على نظير المعنى الحاصل بالمصدر للبشر .

فكذلك كلام الله النفسي يطلق بإطلاقين :

أحدهما : على نظير المعنى المصدري للبشر .

وثانيهما : على نظير المعنى الحاصل بالمصدر للبشر .

وإنما قلنا (على نظير) لما هو مقرر من وجوب تنزه الكلام الإلهي النفسي عن الخلق وأشباه الخلق .

فعرفوه بالمعنى الأول الشبيه بالمعنى المصدري البشري . وقالوا : "إنه الصفة القديمة المتعلقة بالكلمات الحكمية، من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس" .

وهذه الكلمات أزلية مجردة عن الحروف اللفظية والذهنية والروحية، وهي مرتبة غير متعاقبة، كالصورة تنطبع في المرآة مترتبة غير متعاقبة ..." إلى أخر كلامه (١) .

ولا شك أن هذا الكلام قد اشتمل على كثير من الباطل، كما سنبين ذلك إن شاء الله تعالى بعد قليل ، فنحصر الكلام في هذا المقام في الأمور الآتية :

١ـ بيان أصل قولهم ومنشئه .

٢ـ إظهار حقيقة قولهم .

٣ـ ذكر شبهتهم والجواب عنها .

٤ـ بيان الحق في ذلك ، وهو مذهب أهل السنة والجماعة .

وهذا أوان الشروع في المقصود فنقول في :

الأمر الأول : في بيان أصل قولهم ومنشئه :

إعلم أن السلف رضوان الله عليهم أجمعين، لم يختلفوا في أن القرآن كلام الله حقيقة، وأنه غير مخلوق، حتى ظهرت الجهمية، وابتدعت القول بخلق القرآن، ونفي الصفات، وأخذ بقولهم المعتزلة، ودعوا الناس إليه، وامتحنوهم بسببه، فأنكر السلف عليهم هذه المقوله، وأبطلوها ، وكفروا قائلها، حتى جاء قوم زعموا التحقيق والمعرفة، لكن بضاعتهم من الكتاب والسنة مزجاة ضعيفة، فناظروا هؤلاء وخاصموهم ـ مع أنهم أخذوا نصف مقالتهم في القرآن ، في حقيقة المتكلم ـ فذهبت المعتزلة إلى أن المتكلم من فَعَلَ الكلام، ولو أنه أحدثه في غيره . وهم يريدون بهذا : أن الله يخلق الكلام في غيره، مع أنه هو المتكلم به، لأن الكلام لا يكون إلابقدرة ومشيئة من المتكلم، وأن كلاماً لا زماً لذات المتكلم لا يعقل، وهذا مبني على أصولهم في أن الصفات منفصلة عن الذات، وأن القول بأنها لازمة للذات إما أن يقال : إنها كائنة بعد أن لم تكن، وهذا يستلزم حلول الحوادث بذات الله تعالى، وإما أن يقال، بأنها أزلية . وهذا عندهم يستلزم تعدد القدماء. ولم يتصور هؤلاء مذهب أهل السنة ؛ وهو : أن الصفات ملازمة للذات ـ وهذا لا يمنع تعلق كلامه تعالى ونزوله ومجيئه (وغير ذلك من الصفات الفعلية) بمشيئته وقدرته ـ ورأوا[٢] أيضاً أن جعل الكلام معنى واحداً ـ كما هو مذهب الأشاعرة ـ مكابرة للعقل . فعندهم[٣] : أن كل ما كان متعلقاً بالقدرة والمشيئة، فهو مخلوق، كما تبين، ومن ذلك الكلام .

بينما الكُلابية والأشاعرة ذهبوا إلى أن المتكلم من قام به الكلام، وإن لم يكن تكلمه بقدرته ومشيئته، فجعلوه بمنزلة الحي الذي قامت به الحياة .

فكل طائفة من الطائفتين أخذت شطر الحق، فالمعتزلة أخذوا أنه فاعل ، وأن ذلك بقدرته ومشيئته، والأشاعرة أخذوا قيام الكلام بذات المتكلم، وأنه ملازم لها . (١)

١ـ انظر : مجموع فتاوى ابن تيمية (١٢/١٧٨، ١٨٠ ـ ١٨٤، ٣١٢، ٣١٥، ٣٧٠ ـ ٣٧١، ٣٧٥ ـ ٣٨٠، ٤١٧، ٤٤٩، ٥٩٤) .

٢ ـ أي أهل السنة .

٣ ـ أي الأشاعرة .

وأختم هذا التوضيح بنقل كلام للسجزي (١) رحمه الله في رسالته لأهل زبيد جاء فيها : "... إنه لم يكن خلاف بين الخلق على اختلاف نحلهم ، من أول الزمان، إلى الوقت الذي ظهر فيه ابن كلاب ، (٢) والقلانسي (٣)، والأشعري، وأقرانهم، الذين يتظاهرون بالرد على المعتزلة، وهم معهم، بل أخس حالا منهم في الباطن، من أن الكلام لا يكون إلا حرفاً وصوتاً ذا تأليف واتساق ، وإن اختلفت به اللغات، وعبر عن هذا المعنى الأوائل، الذين تكلموا في العقليات، وقالوا : الكلام : حروف متسقه، وأصوات مقطعة، وقالت ـ يعني علماء العربية ـ : الكلام : اسم وفعل وحرف جاء لمعنى ... فالإجماع منعقد بين العقلاء على كون الكلام حرفاً وصوتاً ؛ فلما نبغ ابن كلاب وأضرابه، وحاولوا الرد على المعتزلة من طريق مجرد العقل، وهم لا يخبرون أصول السنة، ولا ما كان السلف عليه، ولا يحتجون بالأخبار الواردة في ذلك زعماً منهم أنها أخبار آحاد، وهي لا توجب علماً، وألزمهم المعتزلة بأن الاتفاق حاصل على أن الكلام حرف وصوت، ويدخله التعاقب والتأليف، وذلك لا يوجد في الشاهد إلا بحركة وسكون، ولا بد من أن يكون ذا أجزاء وأبعاض، وما كان بهذه المثابة لا يجوز أن يكون من صفات ذات الله تعالى، لأن ذات الحق لا توصف بالاجتماع والافتراق، والكل والبعض، والحركة والسكون، وحكم الصفة الذاتية حكم الذات، قالوا : فعلم بهذه الجملة أن الكلام المضاف إلى الله تعالى خلق له، أحدثه وأضافه إلى نفسه، كما نقول "خلق الله، وعبد الله، وفعل الله" . "قال : فضاق بابن كلاب وأضرابه النَّفَس عند هذا الإلزام، لقلة معرفتهم بالسنن، وتركهم قبولها، وتسليمهم العنان إلى مجرد العقل، فالتزموا ما قالته المعتزلة، وركبوا مكابرة العيان، وخرقوا الاجماع المنعقد بين الكافة، المسلم والكافر، وقالوا للمعتزلة : الذي ذكرتموه ليس بحقيقة الكلام وإنما سُمي ذلك كلاماً على المجاز ، لكونه حكاية ، أو

.....

١ـ السجزي هو الإمام العالم الحافظ شيخ السنة أبو نصر، عبيد الله بن سعيد بن حاتم بن أحمد الوائلي، البكري، السجستاني شيخ الحرم، توفي بمكة في المحرم سنة (٤٤٤) هـ . سير أعلام النبلاء (١٧/ص٦٥٤) .

٢ـ ابن كلاب هو : رأس المتكلمين في زمانه بالبصرة أبو محمد عبد الله بن سعيد بن كلاب القطان توفي

عبارة عنه . وحقيقة الكلام : معنى قائم بذات المتكلم، فمنهم من اقتصر على هذا القدر، ومنهم من احترز عما علم دخوله على هذا الحد، فزاد فيه : "تنافي السكوت والخرس والآفات المانعة فيه من الكلام" ثم خرجوا من هذا إلى أن إثبات الحرف والصوت في كلام الله تجسيم، وإثبات اللغة فيه تشبيه ... فألجأهم الضيق مما دخل عليهم في مقالتهم إلى أن قالوا : "الأخرس متكلم، وكذلك الساكت والنائم، ولهم في حال الخرس والسكوت والنوم كلام هم متكلمون به، ثم أفصحوا بأن الخرس والسكوت والآفات المانعة من النطق ليست بأضداد الكلام، وهذه مقالة تبين فضيحة قائلها في ظاهرها من غير رد عليه، ومن علم منه خرق إجماع الكافة، ومخالفة كل عقلي وسمعي قبله، لم يُناظر بل يجانب ويقمع (١) " ا. هـ كلامه رحمه الله مع شيء من الاختصار .

.....

١ـ انظر : درء تعارض العقل والنقل (٢/٨٣ ـ ٨٦) (بتصرف) .

الأمر الثاني : في ذكر حقيقة قولهم :

لا يختلف الأشاعرة مع المعتزلة في أن القرآن المتلو المكتوب في المصاحف مخلوق .

فأصل القرآن عندهم : أي ـ الأشاعرة ـ عبارة عن المعنى الذي قام بنفس الله تعالى ، وأن الله خلقه (١) في الهواء ، أو في اللوح المحفوظ ، أو في نفس الملك ، وعندهم : أن القرآن الذي هو كلام الله يستحيل أن يقرأ ، لأنه ليس بحروف ولا أصوات ، وإنما هو معنى واحد قائم في الذات ، ليس سوراً ولا آيات ، وهذا الذي نسمعه ليس كلام الله تعالى ؛ بل هم ينزهون الله عن ذلك ؛ وإنما هو عبارة عنه ، ودال عليه . وهو مخلوق كما تقدم . كما يُعبَّر عن الأخرس الذي لا يستطيع النطق ، بل كما يُعبَّر عن حال الشيء ، فيقال : قال كذا وكذا بلسان حاله ، لما لا يقبل النطق ، فالأخرس أحسن حالا منه

فجبريل فهم عن الله تعالى معنىً مجرداً قائماً بنفسه فعبر عنه ؛ فهو الذي أحدث نظم القرآن ، والملك لم يسمع من الله شيئاً ، ولا النبي ، لا موسى ولا غيره ؛ وعليه فما أوحاه الله إلى النبي بالإلهام أو المنام أشرف من تنزيل القرآن على الرسول على هذا التقدير ، فالقرآن جاء بواسطة ، بخلاف الإلهام ، والثاني أعلى وأشرف .

وقد يستغرب البعض إضافة القول بخلق القرآن إلى الأشاعرة ، وهو معذور في هذا بعض العذر ، لأن الأشاعرة اعتادوا التدليس والتزييف الكثير في هذه المسألة بالذات ، ونصبوا أنفسهم خصوماً للمعتزلة ، وجعلوا من أنفسهم حماة للعقيدة والشريعة ، ضد المعتزلة والفلاسفة وغيرهم ، ولم يقفوا عند هذا الحد ، بل ادعوا أنهم هم أهل السنة والجماعة ، وهم في الحقيقة كما قال عنهم شيخ الإسلام ابن تيمية : "لا للإسلام نصروا ولا للفلاسفة كسروا" (٢) . والخاصل أن هذا القول ـ أعني نسبة الاشاعرة إلى القول بخلق القرآن ـ قد قاله كثير من أهل العلم ، سواء من أهل السنة ، أو من غيرهم ، بل إن الاشاعرة أنفسهم أقروا به في كتبهم ، كما

.....

١ـ أي : اللفظ .

سأبين قريباً إن شاء الله تعالى .

وممن قرر ذلك عنهم من أهل السنة : الإمام ابن القيم رحمه الله تعالى حيث قال : "وبعض متأخريهم صرح بأن الله خلق تلك المعاني في قلب الرسول ، وخلق العبارة الدالة عليها في لسانه ، فعاد القرآن إلى عبارة مخلوقة دالة على معنى مخلوق في قلب الرسول . ويعجب هذا القائل من نصب الخلاف بينهم وبين المعتزلة . وقال : ما نثبته نحن في المعنى القائم بالنفس فهو من جنس العلم والإرادة ، والمعتزلة لا تنازعنا في ذلك ، غاية ما في الباب : أنا نحن نسميه كلاماً وهم يسمونه علماً وإرادة ، وأما هذا النظم العربي الذي هو حروف وكلمات ، وسور وآيات ، فنحن وهم متفقون على أنه مخلوق ، لكن هم يسمونه قرآناً ، ونحن نقول : هو عبارة عن القرآن ، أو حكاية عنه . ـ قال ابن القيم ـ : فتأمل هذه الأخوة التي بين هؤلاء وبين المعتزلة ، الذين اتفق السلف على تكفيرهم ، وأنهم زادوا على المعتزلة في التعطيل ، فالمعتزلة قالوا : هذا الكلام العربي هو القرآن حقيقة لا عبارة عنه ، وهو كلام الله (١) ا. هـ .

ونقل رحمه الله أيضاً كلاماً لابن عقيل (٢) حول هذا الموضوع ، جاء فيه : "... يزخرفون للعوام عبارة يَتَوَقون بها إنكارهم ، ويدفنون فيها معنى لو فهمه الناس لعجلوا بوارهم ، ويقولون : تلاوة ومتلو ، وقراءة ومقروء ، وكتابة ومكتوب ؛ هذه الكتابة معلومة ، فأين المكتوب ؟ وهذه التلاوة مسموعة ، فأين المتلو ؟ يقولون : القرآن عندنا قديم ، قائم بذاته سبحانه .

وإنما هي زخارف لبسوا بها ضلالتهم ، وإلا فالقرآن مخلوق عندهم لا محالة .

فقد انكشف للعلماء منهم هذه المقالة ، يقدمون رجلا نحو الاعتزال ، فلا يتجاسرون ، ويؤخرون أخرى نحو أصحاب الحديث ليستتروا ، فلا يتظاهرون ؛ إن قلنا ما مذهبكم في القرآن ؟ قالوا : قديم غير مخلوق .

وإن قلنا : فما القرآن ؟ أليس هو السور المسورة ، والآيات المسطرة ، في الصحف المطهرة ؟ أليس هوالمحفوظ في صدور الحافظين ؟ أليس هو المسموع من

.....

١ـ مختصر الصواعق المرسلة (٤٤٨) .

٢ـ ابن عقيل الحنبلي هو : علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي ، الظفري الحنبلي ، (أبو الوفاء) فقيه أصولي ، مقرىء ، واعظ ، ولد ببغداد سنة (٤٣١) هـ ، وتوفي سنة (٥١٣) هـ . سير أعلام النبلاء (١٩/٤٤٣) .

ألسنة التالين ؟ . قالوا : إنما هو حكايته ، وما أشرتم إليه عبارته ، وأما القرآن فهو قائم في نفس الحق ، غير ظاهر في إحساس الخلق ، فانظروا معاشر المسلمين إلى مقالة المعتزلة ، كيف جاءوا بها في صورة أخرى" (١) ا. هـ .

ثم ذكر ابن القيم (رحمه الله) ما فرعوا على هذا الأصل الذي بنوه ، فقال : "منها أن كلام الله لا يتكلم به غيره ، فإنه عين القائم بنفسه ، ومحال قيامه بغيره ، فلم يتل أحد قط كلام الله ، ولا قرأه .

ومنها : أن هذا الذي جاء به الرسول ﷺ ليس كلام الله إلا على سبيل المجاز .

ومنها : أنه لا يقال إن الله تكلم ، ولا يتكلم ، ولا قال ولا يقول ، ولا خاطب ولا يخاطب ...

ومنها : أنهم قالوا: لا يجوز أن ينزل القرآن إلى الأرض ، فألفاظ النزول والتنزيل ، لا حقيقة لشيء منها عندهم .

ومنها : أن القرآن القديم لا نصف له ولا ربع ، ولا خمس ولا عشر ، ولا جزء له البتة .

ومنها : أن معنى الأمر هو معنى النهي ، ومعنى الخبر والاستخبار ، وكل ذلك معنى واحد بالعين .

ومنها : أن نفس التوراة هى نفس القرآن ، ونفس الإنجيل والزبور ، والاختلاف في التأويلات فقط .

ومنها : أن هذا القرآن العربي تأليف جبريل أو محمد ، أو مخلوق ، خلقه الله تعالى في اللوح (٢) ... إلخ ا. هـ

وذكر نحو ما ذكرنا أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية (٣) ، والآلوسي (٤) "الابن"

.....

١ـ مختصر الصواعق المرسلة : (٤٤٩ ـ ٤٥٠) .

٢ـ المصدر السابق (٤٢٨ ـ ٤٣١) .

٣ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٧٦/١٢ ـ ٣٨٠) .

(١) والسفاريني (٢) . (٣)

ومن أمثلة ما جاء في كتبهم أنفسهم : قول الغزالي في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد : "وأما الحروف فهي حادثة ، وهي دلالات على الكلام ، والدليل غير المدلول ، ولا يتصف بصفة المدلول ..." (٤) ا. هـ .

وجاء في شرح الجوهرة : "قال أهل السنة ـ يعني الأشاعرة ـ .. صفة أزلية قائمة بذاته تعالى ، ليست بحرف ولا صوت ، منزهة عن التقدم والتأخر ، والإعراب والبناء ، ومنزهة عن السكوت النفسي ... وقالت الحشوية وطائفة سموا أنفسهم بالحنابلة . كلامه تعالى هو الحروف والأصوات المتوالية المرتبة ، ويزعمون أنها قديمة ... واعلم أن كلام الله يطلق على الكلام النفسي القديم ، بمعنى أنه صفة قائمة بذاته تعالى ، وعلى الكلام اللفظي بمعنى أنه خلقه .... ومع كون اللفظ الذي نقرؤه حادثاً ، لا يجوز أن يقال : القرآن حادث إلا في مقام التعليم ... فإن من أضيف له كلام لفظي دل عرفاً أن له كلاماً نفسياً ، وقد أضيف له تعالى كلام لفظي كالقرآن ، فإنه كلام الله قطعاً ، بمعنى : أنه خلقه في اللوح المحفوظ ، فدل التزاماً على أن له تعالى كلاماً نفسياً ، وهذا المراد بقولهم : القرآن حادث ، ومدلوله قديم ...

وقال أيضاً : ومذهب أهل السنة ، أن القرآن بمعنى الكلام النفسي ليس بمخلوق ، وأما القرآن بمعنى اللفظ الذي نقرؤه فهو مخلوق ، لكن يمتنع أن يقال : القرآن مخلوق ويراد به اللفظ الذي نقرؤه ، إلا في مقام التعليم ... وهل القرآن بمعنى اللفظ المقروء أفضل أو سيدنا محمد ﷺ ؟ ـ إلى أن قال ـ والحق أنه ﷺ أفضل ، لأنه أفضل من كل مخلوق ، كما يؤخذ من كلام الجلال المحلي (٥) على

.....

١ـ جلاء العينين (٣٠٤ ، ٣١٠) .

٢ـ السفاريني هو محمد بن أحمد بن سالم بن سليمان السفاريني ، النابلسي الحنبلي ، محدث ، فقيه ، أصولي ، ولد بسفارين من قرى نابلس سنة (١١١٤) هـ وتوفي بنابلس سنة (١١٨٨) هـ . معجم المؤلفين (٢٦٢/٨) .

٣ـ لوامع الأنوار البهية (١٦٤/١ ـ ١٦٧) .

٤ـ الاقتصاد في الاعتقاد (٧٧ ـ ٧٨) .

٥ـ هو : محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن هاشم المحلي ، المصري ، الشافعي (جلال الدين) ، مفسر ، فقيه ، نحوي ، أصولي ، ولد بالقاهرة سنة (٧٩١) هـ ، وتوفي سنة (٨٦٤) هـ .

البردة ..." ا. هـ وعقبه بقوله : (انتهى من حاشية الشيخ الأمير) .

وقال الناظم : فكل نص للحدوث دلا ... احمل على اللفظ الذي قد دلا (١)

ولما حكى الإيجي (٢) قول المعتزلة في القرآن أتبعه بقوله : "وهذا لا ننكره ، لكنا نثبت أمراً وراء ذلك وهو المعنى القائم بالنفس ... إلخ كلامه (٣) (٤) ا. هـ .

ولعل هذا القدر فيه كفاية في توضيح وبيان ما ينطوي عليه قول هؤلاء لكل عاقل مسترشد .

وبما أسلفت يتبين لك بطلان قول المؤلف عن المتكلمين : ".. والمقرون لحقيقة أن القرآن كلام الله غير مخلوق ..."(٥) .

الأمر الثالث : ذكر شبهتهم والجواب عنها :

إن غاية ما تمسك به هؤلاء لا يخلو من واحد من أربعة أمور :

١ـ الاستدلال بآية ، أو أثر لا يدل على مرادهم .

٢ـ التمسك برواية شاذة على أقل تقدير ، وإلا فهي منكرة .

٣ـ الاحتجاج ببيت شعر مطعون في لفظه ومعناه ، ونسبته ، والمنسوب إليه .

٤ـ الأخذ بشبهة عقلية عليلة .

وقبل الشروع في الجواب عن شبههم ، لا بد من توضيح نقطة أساسية يعتمد عليها الكلام في هذا الموضوع اعتماداً أساسياً وهي :

ذكر مسمى الكلام عند الاطلاق ، وبيان بعض ما يتعلق بذلك من

.....

البدرالطالع (٢/١١٥).

١ـ انظر شرح جوهرة التوحيد (٧١ ـ ٧٣، ٩٤ ـ ٩٥) .

٢ـ هو : عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الغفار بن الإيجي الشيرازي ، الشافعي ، (عضد الدين) ولد بإيج من نواحي شيراز سنة (٧٠٨) هـ ، وتوفي سنة (٧٥٦) هـ . البدر الطالع (١/ص٣٢٦) .

٣ـ المواقف في علم الكلام (٢٩٣ ـ ٢٩٤)

٤ـ انظر أيضاً : قواعد العقائد للغزالي (٥٨ ـ ٥٩، ١٨٢ ـ ١٨٦) ، أصول الدين للبغدادي (١٠٦ ـ ١٠٨) ،

المهمات : (١) .

وهذه المسألة قد كثر فيها الاضطراب ، ووقع الغلط منذ وقت متقدم ، وافترق الناس فيها إلى مذاهب شتى وهى : ـ

١ ـ أن الكلام اسم للفظ فقط . وهو قول كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم وطائفة من المنتسبين إلى السنة ، وهو قول النحاة ، لأن صناعتهم متعلقة بالألفاظ .

٢ ـ قال ابن كُلاب وأكثر اتباعه : إنه اسم للمعنى فقط ، وإطلاقه على اللفظ مجاز لأنه دال عليه .

٣ ـ أنه مشترك بين اللفظ والمعنى . وهو قول بعض المتأخرين من الكُلابية .

٤ ـ أنه مجاز في كلام الله ، حقيقة في كلام الآدميين ، لأن حروف الآدميين تقوم بهم ، فلا يكون الكلام قائماً بغير المتكلم ، بخلاف الكلام القرآني ، فإنه لا يقوم بالله تعالى ، فيمتنع أن يكون كلامه . وهذا منقول عن الأشعري رحمه الله .

٥ ـ أنه اسم عام للفظ والمعنى جميعاً ، يتناولها عند الإطلاق ، أما إذا قُيد فيراد به اللفظ تارة والمعنى تارة أخرى . وهذا هو الحق الذي عليه أهل السنة والجماعة .

ولفظ "الكلام" عند الإطلاق يماثل لفظ "الإنسان" إذا أُطلق ، فكما أن الإنسان عند الإطلاق يشمل الروح والجسد ، فكذلك الكلام عند الإطلاق يشمل اللفظ والمعنى . وإن كان مع القرينة قد يُراد به أحدهما دون الاخر .

واستعمال لفظ "الكلام" في اللفظ الدال على المعنى ، أكثر في اللغة من استعماله في المعنى المجرد عن اللفظ ، بل لا يوجد قط إطلاق اسم الكلام ولا أنواعه كالجزاء ، والتصديق ، والتكذيب ، والأمر والنهى على مجرد معنى الكلام من غير شيء يقترن به من عبارة ولا إشارة ولا غيرهما ، وإنما يستعمل مقيداً ،وإذا

١ـ الكلام في بيان مسمى الكلام جمعته ولخصته من المواضع الآتية : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية (ج٦/٥٣٣، ج ٧/١٣٢ ـ ١٧٠،١٤٠ ـ ١٧١، ج١٢ /٣٤،٣٥،٣٦،٦٧،٦٨،٣٧٦ ـ ٣٨٠، ج ١٣/٨، ج ١٧/٣٣،٣٦ ـ ٣٩، جـ ٣٣/١٧٢) ، شرح العقيدة الطحاوية : (١٢٩ ـ ١٣٠) ، درء تعارض العقل والنقل جـ (٤/٣٢٩) ، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين : (٣١٤،٣١٥،٣١٦،٣١٧) ، مختصر الصواعق المرسلة (٤٤٧ ـ ٤٥٠) ، الإيمان لابن تيمية (١٢٦ ـ ١٣٤) ، الفتاوى الكبرى جـ (٥/٢٠٢).

كان الله تعالى إنما أنزل القرآن بلغة العرب ، فهي لا تعرف التصديق والتكذيب وغيرهما من الأقوال ، إلا ما كان معنى ولفظاً ، أو لفظاً يدل على معنى ، ولهذا لم يجعل الله أحداً مصدقاً للرسل بمجرد العلم والتصديق الذي في قلوبهم حتى يصدقوهم بألسنتهم ؛ ولا يوجد من كلام العرب أن يقال : فلان صدق فلاناً ، أو كذبه ، إذا كان يعلم بقلبه أنه صادق ، أو كاذب ، ولم يتكلم بذلك ؛ كما لا يقال أمره ، أو نهاه ، إذا قام بقلبه طلب مجرد عما يقترن به من لفظ أو إشارة أو نحوهما .

ولما قال النبي ﷺ : "إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها شيء من كلام الناس .." (١) وقال "إن الله يحدث من أمره ما شاء ، وإن مما أحدث أن لا تتكلموا في الصلاة ..." (٢)اتفق العلماء على أنه إذا تكلم في الصلاة عامداً بغير مصلحتها بطلت صلاته ، واتفقوا كلهم على أن ما يقوم بالقلب من تصديق بأمور دنيوية ، وطلب لا يبطل الصلاة ، وإنما يبطلها التكلم بذلك ، فعُلم اتفاق المسلمين على أن هذا ليس بكلام .

وفي الصحيحين أيضاً ، عن النبي ﷺ ، أنه قال : "إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ، ما لم يتكلموا أويعملوا به" . (٣) فقد أخبر أن الله تعالى عفى عن حديث النفس إلا أن تتكلم ، ففرق بين حديث النفس ، وبين الكلام ، وأخبر أنه لا يؤاخذ به حتى يتكلم به ، والمراد : حتى ينطق به اللسان ، باتفاق العلماء ، فعلم أن هذا هوالكلام في اللغة ، لأن الشارع ـ كما قررنا سابقاً ـ إنما خاطبنا بلغة العرب .

وأيضاً فقد جاء في السنن أن معاذاً قال للرسول ﷺ : "يا رسول الله ! وإنا لمؤاخذون بما نتكلم به ؟! فقال : "وهل يكب الناس في النار على وجوههم ، أوقال

.....

١ـ رواه أحمد : الفتح الرباني جزء (٤/٧٣) ، وأبوداود رقم (٩١٢) والنسائي رقم (١٢٢١) ، والبيهقي (جـ ٢/ص ٢٤٨ ، ص ٢٦٠) ، وابن حبان في صحيحه (الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان) جزء (٤/ ص٧ رقم (٢٢٤٠ ، ٢٢٤١) . من حديث ابن مسعود . قال الالباني : صحيح . انظر صحيح الجامع رقم (١٨٨٨) .

٢ـ رواه مسلم (١/٣٨١،٣٨٢) ، والنسائي رقم (١٢١٨) وأبوداود برقم (٩١٨،٩١٩) ، وأحمد : انظر الفتح

على مناخرهم ، إلا حصائد ألسنتهم" (١). فبين أن الكلام إنما هوما يكون باللسان .

وفي الصحيحن عنه ﷺ أنه قال : "أصدق كلمة قالها الشاعر : كلمة لبيد : ألا كل شيء ما خلا الله باطل)(٢) وفي الصحيحن أيضاً عنه ﷺ أنه قال : كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن : "سبحان الله وبحمده ، سبحان العظيم" (٣) وقد قال تعالى : ﴿وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لابائهم ، كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا﴾ (٤) . وفي الصحيحين عن النبي ﷺ أنه قال "أفضل الكلام أربع ، سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر" (٥) . وقال تبارك وتعالى : ﴿إليه يصعد الكلم الطيب و العمل الصالح يرفعه﴾ (٦) .

وفي الجملة ؛ فحيث ذكر الله في كتابه عن أحد من الخلق ؛ من الأنبياء أو أتباعهم ، أو مكذبيهم أنهم قالوا ، ويقولون ، وذلك قولهم ... فإنما يعني به المعنى مع اللفظ ، فهذا اللفظ وما تصرف منه من فعل ماض ومضارع وأمرومصدر واسم فاعل من لفظ القول و الكلام و نحوهما ، إنما يعرف في القرآن والسنة وسائر كلام العرب إذا كان لفظاً و معنى ، وكذلك أنواعه كالتصديق والتكذيب ، والأمر والنهي وغير ذلك . ولم يكن في مسمى الكلام نزاع بين الصحابة و التابعين لهم بإحسان ، وتابعيهم ، لا من أهل السنة ولا من أهل البدعة ، كما قدمنا في أول الكلام على هذه القضية .

.....

١- رواه الترمذي رقم (٢٦١٦) ، وانظر : صحيح الترمذي رقم (٢١١٠) ، وابن ماجه رقم (٣٩٧٣) ، وانظر صحيح ابن ماجه رقم (٣٢٠٩) ، والحاكم (٤١٢/٢) ، وأورده ص (٧٦) مختصراً دون هذه الجملة ، وابن أبي شيبة في كتاب الإيمان ص (٢) ، وأحمد (جـ ٥/ص ٢٣٧) ، ومختصراً ص (٢٤٨) وانظر إرواء الغليل (١٣٨/٢) رقم (٤١٣) ، صحيح الجامع رقم (٥٠١٢) .

٢- البخاري كتاب (٦٣) باب (٣٦) ، كتاب (٧٨) باب (٩٠) ، كتاب (٨١) باب (٢٩) ، ومسلم كتاب الشعر ، حديث رقم (٢-٦) .

٣- البخاري كتاب (٨٠) ، باب (٦٥) ، كتاب (٨٣) باب (١٩) ، كتاب (٩٧) باب (٥٨) ، ومسلم حديث رقم (٢٦٩٤) .

٤- الكهف : (٥).

٥- البخاري كتاب (٨٣) باب (١٩) واللفظ له ، ومسلم ، كتاب (٣٨) باب (٢) .

٦- فاطر (١٠) .

بل أول من عُرف في الإسلام أنه جعل مسمى الكلام المعنى فقط ، هو ابن كُلاّب ، وهو متاخر ، وقد أنكر عليه العلماء ذلك وردوه .

فيمتنع أن يكون الكلام الذي هو أظهر صفات بني آدم ـ كما قال تعالى : ﴿فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾ (١) ـ لم يعرفه أحد من الصحابة ، والتابعين ، وتابعيهم ، حتى جاء ابن كلاب !

والعجيب أن هؤلاء مقرون ـ في الأصول ـ أن اللفظ المشهور ، الذي تتداوله الخاصة والعامة ، لا يجوز أن يكون موضوعاً لمعنى دقيق ، لا يدركه إلا خواص الناس ؛ ومع ذلك ناقضوا أنفسهم في هذه المسألة ، وجعلوا النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة ، الدالة على قول السلف ، من قبيل المجاز ! قال ابن القيم رحمه الله : "هب أن ذلك يمكن في موضع ، واثنين ، وثلاثة ، وعشرة ، أفيسوغ حمل أكثر من ثلاثة آلاف ، وأربعة آلاف موضع كلها على المجاز ؟! وتأويل الجميع بما يخالف الظاهر ؟!

ولا تستبعد قولنا : "أكثر من ثلاثة آلاف" فكل آية ، وكل حديث إلهي ، وكل حديث فيه الإخبار عما قال الله تعالى ، أو يقول ، وكل أثر فيه ذلك ، إذا استُقْرئت زادت على هذا العدد ، ويكفي أحاديث الشفاعة ، وأحاديث الرؤية ، وأحاديث الحساب ، وأحاديث تكليم الله لملائكته...." ا. هـ (٢)

وبعد أن تبين لك هذا الجانب الضروري في هذه المسألة ، ننتقل بك بعد ذلك إلى استعراض أهم ما تمسك به هؤلاء من الشبه والجواب عنها .

النوع الأول من هذه الشبه وهي :ـ

الاستدلال بظواهر بعض النصوص ، التي لا تصلح دليلا على دعواهم ، ومن ذلك : قوله تعالى : ﴿فأسرها يوسف في نفسه﴾(١) وقوله : ﴿ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول﴾(٢) ، وقوله : ﴿واذكر ربك في نفسك﴾ (٣) وقوله : ﴿وأسرواقولكم أو أجهروا به ..﴾(٤) ، وقول عمر رضى الله عنه "زورت مقالة أعجبتني .." (٥) .

وأشباه ذلك مما تعرف بطلان الاحتجاج به هنا ؛ إذا تبين لك معناه ، وهذا موضع بيانه :

فقوله : ﴿ويقولون في أنفسهم ...﴾ (٦) إن كان المراد أنهم قالوه سراً ، فلا حجة فيه على مدعاهم ، وهذا هو الذي ذكره المفسرون ، قالوا كانوا يقولون سام عليك ، فإذا خرجوا يقولون في أنفسهم ـ أي يقول بعضهم لبعض ـ لو كان نبياً عذبنا بقولنا له ما نقول . فأطلقوا لفظ القول هنا ، والمراد به ما قالوه بألسنتهم ، لأنه النجوى والتحية التي نُهوا عنها ، كما قال الله تعالى : ﴿ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ، ثم يعودون لما نُهوا عنه ، ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول ، وإذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ، ويقولون في أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول﴾ (٧) وهذا الذي عليه أكثر المفسرين ، وعليه تدل نظائره ، فإن النبي ﷺ قال : "يقول الله تعالى : ".. فإن ذكرني في نفسه ، ذكرته في نفسي ، وإن ذكرني في ملأ ، ذكرته في ملأ خير منهم" (٨) ليس المراد أنه لا يتكلم به بلسانه ، بل المراد أنه ذكر الله بلسانه ، ولكن سراً .

.....

١ ـ يوسف (٧٧) .

٢ـ المجادلة (٨) .

٣ـ الأعراف (٢٠٥) .

٤ـ الملك (١٣) .

٥ـ هذا لفظ البخاري عن ابن عباس ، كتاب (٨٦) باب (٣١) ، وساقه في كتاب فضائل الصحابة في الباب الخامس من حديث عائشة رضى الله عنها ولفظه هناك : "هيأت كلاماً قد أعجبني" . ورواه مسلم مختصراً عن ابن عباس : كتاب (٢٩) باب (٤) .

٦ـ المجادلة (٨) .

٧ـ المجادلة (٨) .

٨ـ رواه مسلم ، كتاب (٤٨) حديث رقم (٢٦٧٥) .

وكذلك قوله تعالى : ﴿واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ودون الجهر من القول ...﴾ (١) هو الذكر باللسان ، ويدل على ذلك قوله : ﴿ودون الجهر ...﴾ .

وقوله : ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور﴾ (٢) فالمراد به : القول الذي تارة يسر به ، فلا يسمعه الإنسان ، وتارة يجهر به فيسمعونه ، كما يقولون : أسر القراءة وجهر بها ، وصلاة السر ، وصلاة الجهر ، ولهذا لم يقل : قولوه بألسنتكم ، أو بقلوبكم ، وما في النفس لا يتصور الجهر به ، وإنما يجهر بما في اللسان ، وقوله : ﴿ إنه عليم بذات الصدور ﴾ (٣) من باب التنبيه . يقول : إنه يعلم ما في الصدور . فكيف لا يعلم القول ، كما قال في الآية الأخرى : ﴿ وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى ﴾ (٤) ، فنبه بذلك على أنه يعلم الجهر ، ويدل على ذلك أنه قال : ﴿ وأسروا قولكم أو اجهروا به ، إنه عليم بذات الصدور ﴾ (٥) ، فلو أراد بالقول ما في النفس ، لكونه ذكر علمه بذات الصدور ، لم يكن قد ذكر علمه بالنوع الآخر وهو الجهر . وإن قيل : نبه . قيل : بل على القسمين . وأما قوله ﴿ آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام إلا رمزا ﴾ (٦) فإنه قال في الموضع الآخر : ﴿ ثلاث ليال سويا ﴾ (٧) وهناك لم يستثن شيئاً ، والقصة واحدة ، وهذا يدل على أن الاستثناء منقطع ، والمعنى : آيتك ألا تكلم الناس ، لكن ترمز لهم رمزا . كنظائره في القرآن .

وقوله : ﴿ فأوحى إليهم ﴾ (٨) هو الرمز .

وأما قول عمر ـ رضي الله عنه ـ : (زورت مقالة أعجبتني ....) فهو حجة عليهم لا لهم . قال أبو عبيد : " التزوير : إصلاح الكلام وتهيئته " . ثم نقل عن بعضهم قوله : " المزور في الكلام ، والمزوق واحد ، وهو : المصلح الحسن . وقال

.....

١ـ الأعراف (٢٠٥) .

٢ـ الملك (١٣) .

٣ـ الملك ١٣

٤ـ طه ٧

٥ـ الملك ١٣

غيره : زورت في نفسي مقالة : أي : هيأتها (١) لأقولها . فلفظها يدل على أنه قدر في نفسه ما يريد أن يقوله ولم يقله . فعلم أنه لا يكون قولا إلا إذا قيل باللسان ، وقبل ذلك لم يكن قولا ، لكن كان مقدراً في النفس ، يراد أن يقال ، كما يقدر الإنسان في نفسه أن يحج وأن يصلي وأن يسافر ، إلى غير ذلك ، فيكون لما يريده من القول والعمل صورة ذهنية مقدرة في النفس ، ولكن لا يسمى قولا وعملا إلا إذا وجد في الخارج ، كما أنه لايكون حاجاً ومصلياً إلا إذا وجدت هذه الأفعال في الخارج ، ولهذا كان ما يهم به المرء من الأقوال المحرمة ، والأفعال المحرمة ، لا تكتب عليه ، حتى يقولهاأويفعلها ، وما هم به من القول الحسن ، والعمل الحسن ، إنما يكتب له به حسنة واحدة ، فإذا صار قولا وفعلا كتب له به عشر حسنات إلى سبعمائة ، وعُوقب عليه . (إذا قال أو فعل).

وإذا استقرأت اللغة ، وما جاء في الكتاب والسنة ، وتتبعت النصوص الواردة في ذلك ، عرفت أن الكلام لا يمكن أن يطلق ويراد به المعنى فقط .

بل إن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى قال في بعض المواضع : "والذي يقيد بالنفس لفظ "الحديث" يقال : حديث النفس ، ولم يوجد عنهم ـ أي الصحابة والتابعين وأهل السنة عامة ـ أنهم قالوا : كلام النفس ، وقول النفس ، كما قالوا :حديث النفس ، ولهذا يعبر بلفظ الحديث عن الاحلام التي تُرى في المنام ، كقول يعقوب عليه السلام : ﴿ويعلمك من تأويل الأحاديث﴾ (٢) وقول يوسف : ﴿علمتني من تأويل الأحاديث﴾ . (٣) وتلك في النفس لا تكون باللسان ، فلفظ الحديث قد يقيد بما في النفس ، بخلاف لفظ الكلام فإنه لم يعرف أنه أريد به ما في النفس فقط" ا. هـ .(٤) ولكننا نقول : هب أن بعض ما سبق من النصوص يراد به ما يدور في النفس ، وأنه ليس له تعلق باللسان لوجود القيد والقرينة الدالة على ذلك ، فمن أين لكم حمل مسمى الكلام عند الإطلاق على المعنى دون اللفظ ؟! ومن

.....

١- وقد مر بك في الصفحة قبل السابقة ذكر الرواية الثانية بلفظ "هيأت" .

٢- يوسف (٦) .

٣- يوسف (١٠١) .

٤- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٧/١٣٥ـ١٣٦).

ثم التعسف في حمل النصوص المستفيضة على هذا القول الفاسد ؟! (١) .

النوع الثاني من هذه الشبه :

وهو حديث شاذ على أقل تقدير ، وإلا فهو منكر ، كما تقدم .

وهو ما رواه الطبراني في الصغير والأوسط ، من طريق شهر بن حوشب ، عن أم سلمة رضي الله عنها ، أنها سمعت رسول الله ﷺ ، وسأله رجل فقال : "إني لأحدث نفسي بالشيء ، لو تكلمت به لأحبطت أجري ، . فقال : "لا يلقى ذلك الكلام إلا مؤمن" . وهذا لفظه في الصغير .

قال الطبراني : "لم يروه عن أبان بن تغلب إلا سيف بن عميرة ، ولا يروى عن أم سلمة إلا بهذا الإسناد" . ا. هـ وقال الهيثمي : "في إسناده سيف بن عميرة ، قال الأزدي (٢): يتكلمون فيه(٣)" ا. هـ

وإسناده عند الطبراني هكذا : ثنا الحسين بن حباش (٤) الحماني الكوفي ، ثنا محمد بن عبد الحميد العطار الكوفي ، ثنا سيف بن عميرة ، عن أبان بن تغلب ، ثنا سماك بن حرب ، عن شهر بن حوشب ، عن أم سلمة ...

و هو في الأوسط بنفس الإسناد ، وبلفظ مقارب للأول ، فعن شهر بن حوشب قال : "كنا عند أم سلمة فسألها (٥) عن حروف القرآن ، فقال رجل : يا أم المؤمنين ، إني لأحدث نفسي بالشيء لو تكلمت به لأحبطت أجري ، ولو اطُّلع علي لضُربت عنقي . قالت : سمعت رسول الله ﷺ يُسأل عن مثل ما سألت عنه فقال : "لا يلقي ذلك الكلام إلا مؤمن" . (٦) .

.....

١ـ عامة الكلام في هذا الموضوع إنما هو مستفاد من هذه المواضع ـ وأغلبه لابن تيمية رحمه الله مع شيء من التصرف ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (ج٧/١٣٢ـ١٤٠،ج١٥/٣٥ـ٣٦) ، جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (٣١٦ـ٣١٧) .

٢ـ هو عبد الغني بن سعيد بن علي بن سعيد بن بشر الأزدي ، الإمام الحافظ ، الحجة ، النسابة ، توفي سنة (٤٠٩هـ) . الأنساب المتفقة (ص٧) ، سير أعلام النبلاء (١٧/٣٦٨) .

٣ـ مجمع الزوائد : (١/٣٤) .

٤ـ هكذا عند الطبراني في الصغير (١/١٢٩) ، وفي تاريخ بغداد (٧/٣٠٢) : "الحسن" وفي لسان الميزان : "الحسن بن حساس" (٢/١٩٨) ، وفي المعجم الاوسط : "الحسن بن خناس" (١/١٩٦/أ) وهذا من

الكلام على إسناد الحديث :

١ـ شهر بن حوشب : قال عنه الحافظ في التقريب (١/٣٥٥) : صدوق كثير الإرسال ١هـ وتركه شعبة ، وضعفه موسى بن هارون (١)، وقال النسائي : ليس بالقوي ، وقال الساجي (٢) : فيه ضعف ، وليس بالحافظ . وقال ابن حبان : كان ممن يروي عن الثقات المعضلات ، وعن الأثبات المقلوبات . وقال ابن عدي(٣) : وعامة ما يرويه شهر وغيره من الحديث فيه من الإنكار ما فيه ، وشهر ليس بالقوي في الحديث ، وهو ممن لا يحتج بحديثه ، ولا يتدين به . وقال البيهقي : ضعيف . وقال ابن حزم : ساقط . وقد وثقه آخرون . (٤)

٢ـ سماك بن حرب : قال عنه الحافظ في التقريب (١/٣٣٢) :"صدوق ، وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة ، وقد تغير بآخره ، فكان ربما يلقن" . اهـ . وقال أحمد : مضطرب الحديث ، وكان شعبة يضعفه . وقال ابن عمار (٥) : يقولون إنه كان يغلط ، ويختلفون في حديثه . وكان الثوري يضعفه بعض الضعف ، وكذا ابن المبارك . قال يعقوب (٦) وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة . وهو في غير عكرمة صالح ، وليس من

.....

٦ـ المعجم الأوسط (١/١٩٦/أ) .

١ـ موسى بن هارون بن عبد الله بن مروان الحمال ، أبو عمران البزاز ، الإمام الحافظ الحجة الناقد ، ولد سنة (٢١٤)هـ ، وتوفي سنة (٢٩٤)هـ ، سير أعلام النبلاء (١٢/ص١١٦) ، تقريب التهذيب (٢/ص٢٨٩) .

٢ـ الساجي هو : زكريا بن يحيي بن عبد الرحمن البصري الساجي ، أبو يحيي ، فقيه محدث ، خبير بعلل الحديث توفي بالبصرة ، سنة (٣٠٧) هـ . لسان الميزان (٢/٤٨٨) ، تقريب التهذيب (١/ص٣٦٢) .

٣ـ ابن عدي هو : الإمام الحافظ ، الناقد ، أبو أحمد ، عبد الله بن عدي بن عبد الله ، بن محمد بن مبارك بن القطان الجرجاني ، ولد سنة (٢٧٧)هـ ، توفي في جمادى الآخرة سنة (٣٦٥)هـ . سيرأعلام النبلاء (١٦/ص١٥٤) .

٤ـ انظر تهذيب التهذيب (٤/٣٢٤ـ٣٢٦) .

٥ـ ابن عمار هو : محمد بن عبد الله بن عمار بن سوادة ، الأزدي ، النامدي ، أبو جعفر ، البغدادي ، المخرمي ، نزيل الموصل ، أحد الحفاظ المكثرين ، توفي سنة (٢٤٢) هـ . تهذيب التهذيب (٩/ص٢٣٦) .

٦ـ يعقوب بن سفيان بن جوان الفارسي ، الفسوي الإمام ، الحافظ ، الحجة ، ولد في حدود سنة (١٩٠)هـ وتوفي سنة (٢٧٧)هـ . سيرأعلام النبلاء (١٣/١٨٠) .

المتشبتين ، ومن سمع منه قديماً ، مثل شعبة ، وسفيان ، فحديثهم عنه صحيح مستقيم . والذي قاله ابن المبارك إنما نرى أنه فيمن سمع منه بآخره . وقال النسائي : ليس به بأس ، وفي حديثه شيء . وقال ابن حبان : يخطىء كثيراً . وقال النسائي : كان ربما لقن ، فإذا انفرد بأصل لم يكن حجة لأنه كان يلقن فيتلقن .(١) .

٣ـ أبان بن تغلب : قال عنه في التقريب (٣٠/١) : "ثقة ، تكلم فيه للتشيع"اهـ . وقال الجوزجاني (٢) : زائغ مذموم المذهب مجاهر. (٣) وذكره العقيلي (٤) في كتابه الضعفاء ؛ ونقل بعض أقوال من رماه بالتشيع .(٥) .

٤ـ سيف بن عميرة : قال الأزدي : يتكلمون فيه . وذكره ابن حبان في الثقات ، وقال : يُغْرب .(٦) وقال في التقريب (٣٤٤/١) : "صدوق له أو هام" . اهـ . واكتفى الذهبي في الميزان بنقل قول الأزدي .(٧)

٥ـ محمد بن عبد الحميد العطار الكوفي : قال ابن حبان : من أهل الكوفة ، يروي عن سيف بن عميرة ، وأبي نعيم ، روى عن عبيد بن كثير (٨) ، وأهل بلده . (٩)

٦ـ الحسن بن حباش الحماني : قال بعضهم (١٠) : "... وكان الكلام فيه كثيراً ، وكان في الظاهر يظهر الأمانة ، وكان يُرمى بغير ذلك في الدين بأمر عظيم". وقال أبو الحسن محمد بن محمد بن رباح النحوي (١١) : "أتيته في يوم من شهر

.....

١ـ انظر : تهذيب التهذيب (٢٠٤/٤ـ٢٠٥) ، تاريخ بغداد (٢١٤/٩) .

٢ـ الجوزجاني هو : إبراهيم بن يعقوب بن إسحاق الجوزجاني السعدي الدمشقي ، (أبو إسحاق) محدث ناقد ، توفي بدمشق سنة (٢٥٩)هـ وقيل غير ذلك . تهذيب التهذيب (١٥٨/١) .

٣ـ تهذيب التهذيب (٨١/١) .

٤ـ العقيلي هو : الإمام الحافظ الناقد ، أبو جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حماد العقيلي الحجازي ، توفي سنة (٣٢٢)هـ . سيرأعلام النبلاء (٢٣٦/١٥) .

٥ـ الضعفاء (٣٦/١) .

٦ـ الثقات (٢٩٩/٨) .

٧ـ ميزان الاعتدال (٢٥٦/٢) .

٨ـ عبيد بن كثير هو : عبيد بن أبي عبيد ، واسم أبي عبيد : كثير ، مولى أبي رهم تابعي جليل ،

رمضان ، ومعي ابن هيثم فخرج إلينا وهو يتخلل ، وفي يده أثر قلية صفراء(١) فكل رجال هذا الاسناد متكلم فيهم ، إما من قبل الحفظ ، أو من جهة العدالة ، فضلا عن مخالفته لرواية الثقات ، وأيضاً فإن متنه : "لا يلقى ذلك الكلام" مخالف للمعهود في الكتاب والسنة ، ولغة العرب ، وذلك في عدم إطلاق الكلام وإرادة المعنى النفسي ، وإنما يكون ذلك بالتقييد كما تقدم ، والعجيب أن هؤلاء يعرضون عن الأدلة الكثيرة من الكتاب والسنة ، والمشهور في اللغة ، وينقبون عن مثل هذه الروايه الضعيفة ، مع أن هذا المعنى جاء بروايات كثيرة متعددة .

ومن المعلوم أيضاً أن القوم ليسوا بأهل نقل وأثر ، وإنما عمدتهم عقولهم في مثل هذا الباب ، فيأخذون من الكتاب والسنة ما وافق عقولهم ، وما خالفها نبذوه وتركوه ، وإن كان صحيحاً صريحاً ، وتراهم يحتجون أيضاً بمثل بيت الأخطل النصراني (٢)، في مثل هذه المسألة الخطيرة !! ولو أردنا أن نناقش على طريقتهم ، لأمكننا أن نقول : إن قوله "لا يلقى ذلك الكلام" بعد قول السائل "إني لأحدث نفسي ..." واقع على تقدير محذوف مقيد للمراد ، دل عليه اسم الإشارة في قوله "ذلك" فيكون التقدير : "لا يلقى ذلك الكلام النفسي ـ المشار إليه ـ إلا مؤمن . كما هو مقيد في السؤال أيضاً فاكتفى باسم الإشارة . ولكنا لم نُرد هذه التكلفات ، ولا نوافق عليها ...

و معنى الحديث مشهور ومعروف ، روي عن عدد من الصحابة غير أم سلمة رضي الله عن الجميع ، وليس في شيء من رواياته تلك اللفظة المتقدمة ... ومن ذلك ما أخرجه مسلم (٣) وأحمد (٤) وأبو داود (٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ... وفيه : "ذلك صريح الإيمان" . وعند مسلم (٦) أيضاً والطبراني (٧) في الكبير

---

١ ـ تاريخ بغداد (٣٠٢/٧،٣٠٣)لسان الميزان (١٩٨/٢).

٢ـ الأخطل هو : غياث بن غوث بن الصلت بن طارقة بن عمرو التغلبي ، الملقب بالأخطل ، أبو مالك ، شاعر نصراني كثير الخطل ، ولد سنة (١٩)هـ وتوفي سنة (٩٠)هـ ، طبقات فحول الشعراء للجمحي (١/ص١٤٥) ، سير أعلام النبلاء (٥٨٩/٤) .

٣ـ شرح النووي على مسلم ، جزء : (١٥٣/٢) .

٤ـ الفتح الرباني (١/ص١١١) ، رقم (٩٣) .

٥ـ عون المعبود جزء (١٤/ص١٣ـ ص١٥) .

٦ـ شرح النووي على مسلم ، جزء : (١٥٣/٢) .

٧ـ مجمع الزوائد (٣٣/١) .

عن ابن مسعود مرفوعاً "... تلك محض الإيمان" . وأخرج نحوه عبد الرزاق(١) في المصنف ، عن الزهري مرسلا وفيه : "... وذلك صريح الإيمان" . وأخرج أبو داود(٢) أيضاً قريباً من هذا المعنى عن ابن عباس مرفوعاً ، وآخر موقوفاً . وكذا نحوه عند الطبراني في(٣) الصغير ، عن ابن عباس مرفوعاً ، إلا أن فيه : "ذلك صريح الإيمان" .

وساق حول هذا المعنى الحافظ ـ في المطالب العالية ـ (٤) عن أبي بن كعب ، وابن عباس ، وعائشة ، وزرارة بن أوفى(٥) ، وكذا الهيثمي ، في مجمع الزوائد (٦) ، عن عائشة ، ونسبه إلى أحمد ، وأبي يعلي(٧) ، وعن أنس أيضاً عند أبي يعلى . وساق الهيثمي (٨) أيضاً عن عمارة بن أبي الحسن (٩) أو ابن حسن ، عن عمه مرفوعاً ، ونسبه إلى البزار (١٠) . (١١) .

النوع الثالث من شبههم :

وهو بيت يُنسب لرجل نصراني يقال له الأخطل !! وهو قوله :

.....

١ـ المصنف/لعبد الرزاق/رقم/(٢٠٤٣٩)/ح (١١)/ص (٢٤٣) .

٢ـ عون المعبود جزء (١٤/١٣ـ١٥)

٣ـ المعجم الصغير (٢/١١٥) .

٤ـ المطالب العالية (٣/٩٦ـ٩٧) .

٥ـ زرارة بن أوفى هو : الإمام الكبير ، قاضي البصرة ، أبو حاجب العامري البصري . قال الذهبي : "صح أنه قرأ في صلاة الفجر ، فلما قرأ : ﴿فإذا نقر في الناقور﴾ خر ميتاً . وكان ذلك في سنة ثلاث وتسعين . سيرأعلام النبلاء (٤/٥١٥).

٦ـ مجمع الزوائد (١/٣٣) .

٧ـ أبو يعلى هو الإمام الحافظ ، شيخ الإسلام ، أبو يعلى ، أحمد بن علي بن المثنى بن يحيى بن عيسى بن هلال التميمي الموصلي ، محدث الموصل ، وصاحب المسند والمعجم . ولد في ثالث شوال سنة (٢١٠)هـ وتوفي في سنة (٣٠٧)هـ . سيرأعلام النبلاء (١٤/ص١٧٤) .

٨ـ مجمع الزوائد (١/٣٥) .

٩ـ عمارة بن أبي الحسن الأنصاري المازني ، المدني يقال له رؤية للنبي ﷺ ، ووهَّم الحافظ من عده صحابياً . التقريب (٢/ص ٤٩) .

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جُعل اللسان على الفؤاد دليلا .

و يمكن أن نلخص الجواب عن هذه الشبهة بما يلي (١) :

١ـ أن هذا البيت ليس له وجود في ديوان المذكور ، وقد صرح بذلك جماعة من أهل العلم ، حتى قال أحدهم : (٢) "قد فتشت دواوين الأخطل العتيقة ، فلم أجد هذا البيت فيها" اهـ(٣) . وهو مثبت في الزيادات على الديوان المطبوع . قال شيخ الإسلام ابن تيمية (رحمه الله) : "ولو احتج محتج في مسألة بحديث أخرجاه في الصحيحين عن النبي ﷺ ، لقالوا : هذا خبر واحد ، ويكون مما اتفق العلماء على تصديقه وتلقيه بالقبول ، وهذا البيت لم يثبت نقله عن قائله بإسناد صحيح ، لا واحد ولا أكثر من واحد ، ولا تلقاه أهل العربية بالقبول ، فكيف يثبت به أدنى شيء" (٤) ا. هـ فنطالبهم بإثبات هذا البيت له بنقل الثقات ، ولا تكفي الشهرة ، لأن الفاسد قد يشتهر .

٢ـ قال بعض أهل العلم : إن صواب البيت : "إن البيان لفي الفؤاد" ، وليس : "الكلام" .

٣ـ أن هذا البيت مخالف لمعهود الكتاب ، والسنة ، ولغة العرب .

٤ـ أن أهل اللغة المتقدمين ، والناطقين بها ، تكلموا في مسمى الكلام ، وعرفوا المراد به ، ومثل هذا لا يحتاج الناس في معرفته إلى قول شاعر ، بل إنهم استعملوا هذه المسميات في المراد بها ، ولم يعهد منهم أن يقولوا : المراد باليد كذا وبالرأس كذا ، وبالكلام كذا ، فعلم أن الشاعر لم يرد بهذا أن يذكر مسمى "الكلام" وإنما أراد : أن أصل الكلام من الفؤاد ، وهو المعنى . فإذا قال الإنسان بلسانه ما ليس في قلبه ، فلا تأبه به ، وهذا كحال المنافقين الذين يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم ، ولهذا قال قبله :

لا يعجبنك من أثير لفظه حتى يكون مع الكلام أصيلا ❁

١ـ : انظر جلاء العينين في محاكمة الأحمدين (٣١٦،٣١٧) ، العينين والأثر في عقيدة أهل الأثر (٨٣) فما بعدها . مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (ج ١٣٢/٧ ـ ١٤٠) ، شرح العقيدة الطحاوية (١٣٠ ـ ١٣٣) .

٢ـ هو : محمد بن الخشاب رحمه الله .

٣ـ العين والأثر (ص ٩١) .

٤ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (ج ١٣٨/٧) .

❁ ـ انظر معجم شواهد العربيه ٢٧١ .

إن الكلام لفي الفؤاد وإنما جُعل اللسان على الفؤاد دليلا

فنهاه أن يُعجب بظاهر قوله ، حتى يعلم ما في قلبه .

هـ أن قوله في البيت الذي قبله : "مع الكلام" ، دليل على أن اللفظ الظاهر قد سماه كلاماً ، وإن لم يعلم قيام معناه بقلب صاحبه ، وهذا حجة عليهم ، فقد اشتمل شعره على هذا وهذا ، بل قوله : "مع الكلام" مطلق ، وقوله : "إن الكلام لفي الفؤاد" : أراد به أصله ومعناه المقصود به ، واللسان دليل على ذلك .

و بالجملة فمن أراد أن يعرف مسمى الكلام في لغة العرب وغيرهم بقول شاعر فهو من أبعد الناس عن معرفة طرق العلم ، ثم إن هذا الشاعر من المولدين ، وليس من الشعراء القدماء .(١)

٦ـ على تقدير أن البيت "إن الكلام ..." ، فيحمل ذلك على المبالغة من الشاعر بترجيحه الفؤاد على اللسان ، لأن من لم يتصور ما يقول لا يوجد منه كلام . فعقلاء الناس يكون كلامهم بعد التروي واستحضار المعاني في القلب ، كما قيل : "لسان الحكيم من وراء قلبه ، فإن كان له محل قاله ، وإن لم يكن ، سكت ، وكلام الجاهل على طرف لسانه" .

و حمله بعضهم(٢) على المجاز ، وساق عدداً من الأدلة على ذلك (٣) .

٧ـ أن الشاعر نصراني مثلّث من عباد الصليب ، والنصارى قد ضلوا في مسمى الكلام ومعناه ، وزعموا أن عيسى عليه السلام هو نفس الكلمة ، وذهبوا إلى القول بحلول اللاهوت بالناسوت ، وأن شيئاً من الإله قد حل بأحد من الخلق !! فهل يكون قول من هذه حالهم حجة يرجع إليها ويتحاكم عندها ؟! .

و الحقيقة أن قول الأشاعرة له شبه قوي بقول النصارى في مسألة حلول اللاهوت بالناسوت ! كما ذكر ذلك ابن أبي العز الحنفي (٤) (٥) ، وقبله ابن

.....

١ـ هذا الكلام والذي قبله من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية (بتصرف) انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (ج٧/١٣٨) فما بعدها .

٢ـ هو المواهبي رحمه الله

٣ـ انظر العين والأثر ص ٨٣ فما بعدها ، وص ٩١ فما بعدها .

القيم (١) رحمهم الله تعالى ، فإنهم يقولون : كلام الله هو المعنى القائم بذاته ، بحيث لا يمكن سماعه ، وأما النظم المسموع فهو مخلوق ، فإفهام المعنى القديم بالنظم المخلوق يشبه امتزاج اللاهوت بالناسوت عند النصارى . وما أحسن ما ذكره ابن القيم رحمه الله تعالى في نونيته حول هذه الشبهة حيث قال :

ودليلهم في ذاك بيت قاله فيما يقال الأخطل النصراني
ياقوم قد غلط النصارى قبل في معنى الكلام وما اهتدوا لبيان
ولأجل ذا جعلوا المسيح إلههم إذ قيل كلمة خالق رحمن
ولأجل ذا جعلوه ناسوتاً ولا هوتاً قديماً بعد متحدان
ونظير هذا من يقول كلامه معنى قديم غير ذي حدثان
والشطر مخلوق وتلك حروفه ناسوته لكن هما غيران
فانظر إلى ذا الاتفاق فإنه عجب وطالع سنة الرحمن(٢).

٨ـ أن معنى هذا البيت غير مستقيم لأن لازمه تسمية الأخرس متكلماً لقيام الكلام بقلبه ، وإن لم ينطق به ولم يسمع منه .

و بعد أن عرفت هذا كله فهل يسوغ اطراح كلام الله وكلام رسوله ، وتحريفه عن معناه ، وتغيير لغة العرب تصحيحاً لكلام هذا النصراني الخبيث ، وصيانة له ، وحمل كلام الله ، وكلام رسوله ، وما جاء في لغة العرب ، على المجاز ؟! (٣).

.....

١ـ شرح نونية ابن القيم/لابن عيسى/(١/٢٦٤ ـ ٢٦٥) .

٢ـ شرح نونية ابن القيم/لابن عيسى/(١/٢٦٤ ـ ٢٦٥) .

٣ـ انظر : العين والأثر (ص ٨٣) فما بعدها ، و(ص ٩١) فما بعدها.

النوع الرابع من الشبه :

وهي شبهة عقلية كما سترى إن شاء الله تعالى (١) ..

إعلم أن السبب الأساسي لضلال هؤلاء في هذه المسألة خاصة ، وفي كثير من المسائل غيرها ، إنما هو اعتمادهم على عقولهم القاصرة ، وفرط ثقتهم بها ، حتى إنهم جعلوها أصلا يقدمونه على الكتاب والسنة ، فلا يقبلون من الكتاب والسنة إلا ما كان موافقاً لهاتيك العقول !! مما أدى بهم إلى رد كثير من النصوص ، والوقوع في التناقض ، والله المستعان .

ومن المعلوم أن العقول لا يمكن أن تحيط بالخالق تبارك وتعالى ، لأن لها نظاماً محدداً ، فإن تجاوزته ضلت وتاهت ....

و الحقيقة أن الأشاعرة إنما أرادوا تنزيه الخالق ، ونفي مشابهته للمخلوقين فعطلوا عنه الصفات ، زاعمين أن إثباتها يوجب التشبيه ، كما توهموا ذلك فهم شبهوا ثم عطلوا ، وكل معطل فهو مشبه .

و قد قالوا هنا : كلام الله منزه عن سمات الحدوث لأن الصوت والحرف لازمهما الحدوث ، وزخرفوا كلامهم بفلسفة غريبة حيث سموا مسألة الصفات الاختيارية المتعلقة بالقدرة والمشيئة بـ "حلول الحوادث" قالوا : إذا أثبتنا له نزولا ، ومجيئاً ، وكلاماً ، بمشيئته وقدرته لزم من ذلك أن تكون حالّة به ، وهي حادثة ، وما كان قابلا لحلول الحوادث ، فهو حادث ، ولأن كونه قابلا لها إن كانت من لوازم ذاته كان قابلا لها في الأزل ، فيلزم جواز وجودها فيه ، والحوادث لا تكون أزلية ، لأن ذلك يقتضي وجود حوادث لا أول لها ، وهذا محال .

و زادوا على ذلك أن جعلوا من لوازم الكلام بصوت وحرف ، وجود الفم واللسان والشفتين !! والله تعالى منزه عن ذلك .

هكذا زعموا وهم ـ كما أسلفنا ـ معارضون للعقل والنقل ، بل إن زعمهم

.....

١ ـ في هذه القضية انظر إن شئت : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية : (ج٦/٢٩٠ـ٣٠١، ٥٣٥ـ٥٣٧، ٥٣٩ ـ ٥٤٤ ج ٤٩/١٢ ـ ٥٠، ٩٤ ـ ٩٥، ١١٧ ـ ١٣٥، ١٤٩ ـ ١٥١، ١٥٧ ـ ١٥٨، ١٦٥ ـ ١٦٦، ١٧٩ ـ ١٨٠، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٧١ ـ ٢٧٤، ٣٠١ ـ ٣٠٨، ٣٧٦ ـ ٣٨٧، ٥٥٢، ٥٥٥ ـ ٥٥٨، ٥٨٣، ٥٨٧ ـ ٥٨٩ ج ٨٦/١٧ ـ ٨٨، ١٤٩، ١٥٠) ، الإبانة في

الكبار من المتأخرين معترفون بأنه ليس لهم حجة عقلية على نفي ذلك ... (١)

قال ابن القيم رحمه الله : "والبلية العظمى ، نسبة ذلك إلى الرسول ﷺ ، وأنه جاء بهذا ودعا إليه الأمة وأنهم أهل الحق ، ومن عداهم أهل الباطل ، وجمهور العقلاء يقولون : إن تصور هذا المذهب كاف في الجزم في بطلانه ، وهو لا يتصور إلا كما تتصور المستحيلات الممتنعات ، وهذا المذهب مبني على مسألة إنكار قيام الأفعال والأمور الاختيارية بالرب تعالى ، ويسمونها "مسألة حلول الحوادث" وحقيقتها : إنكار أفعاله وربوبيته وإرادته ومشيئته" . ا . هـ .(٢) وقد أجاب ابن قدامة رحمه الله عما توهموه من التشبيه من وجوه متعددة وهي :

١ ـ أن الاتفاق في أصل الحقيقة ليس بتشبيه ، كما أن إدراك البصر بأنه إدراك المبصرات ، والسمع في أنه إدراك المسموعات ... ليس بتشبيه ، كذلك هذا .

٢ ـ أنه لو كان تشبيهاً لكان تشبيههم أقبح ، وأفحش ، على ما ذكرناه .

٣ ـ أنهم نفوا هذه الصفة بكون هذا تشبيهاً ، فينبغي أن ينفوا سائر الصفات من الوجود والحياة والسمع والبصر وغيرها" . ا. هـ .(٣) : كما فعلت الجهمية والمعتزلة . ونقل ابن تيمية عن الخلال(٤) "أنبأنا أبو بكر المروذي(٥) : سمعت أبا عبد الله ـ وقيل له : إن عبد الوهاب(٦) قد تكلم ، وقال : من زعم أن الله كلم موسى بلا صوت فهو جهمي عدو الله ، وعدو الإسلام ـ فتبسم أبو عبد الله وقال: ما

.....

١ - للفائدة راجع كلام ابن تيمية رحمه الله في مجموع الفتاوى (٦/٢١٧ ـ ٢٢٤)

٢ـ مختصر الصواعق المرسلة (٤٢٦ ـ ٤٢٧) .

٣ـ نقلته بواسطة كتاب العين والأثر مع شيء من الاختصار والتصرف اليسيرين . ص (٨٣) فما بعدها ، ص (٩١) فما بعدها .

٤ـ هو الإمام الفقيه ، الحافظ ، شيخ الحنابلة في وقته ، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون ، بن يزيد البغدادي الخلال ، ولد سنة ٢٣٤ هـ أو في التي تليها ، وتوفي سنة (٣١١) هـ . سير أعلام النبلاء (١٤/٢٩٧) .

٥ـ هو الإمام الفقيه المحدث ، شيخ الإسلام ، أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروذي ، نزيل بغداد ، وصاحب الإمام أحمد . ولد في حدود المائتين . وتوفي في جمادى الأولى سنة (٢٧٥) هـ . سير أعلام النبلاء (١٣/١٧٣) .

٦ـ عبد الوهاب الوراق : هو عبد الوهاب بن عبد الحكم بن نافع ،الإمام ، القدوة ، أبو الحسن ، البغدادي الوراق . مات سنة(٢٥١) . سير أعلام النبلاء (١٢/٣٢٣) .

أحسن ما قال عافاه الله"(١) . فلم يلتفت هذا الإمام إلى ذلك القصد المشار إليه . وتنزيه الخالق عن مشابهة المخلوقين أمر متفق عليه ، وإنما نخالفهم في نفيهم للحرف والصوت ، كما خالفهم في مقالتهم سائر الطوائف .

وهم إما أن يقولوا : هذا هو كلام الله ، أو لا . فإن قالوا بأنه كلام الله ، لزمهم أن يكون كلامه مخلوقاً ، وإن قالوا : ليس ذلك كلام الله ، فقد خالفوا المعلوم بالاضطرار من الشرع واللغة ؛ وإن قالوا : نسمي ذلك كلام الله ، وهذا كلام الله ، كلاهما حقيقة بطريق الاشتراك اللفظي . قيل لهم فإذا أثبت أن الكلام المخلوق في غيره هو كلام له حقيقة بطل أصل حجتهم التي احتجوا بها ، حيث قالوا : الكلام لا يكون كلاماً إلا لمن قام به ، ولا يكون المتكلم بكلام يحل في غيره .

ويقول لهم خصومهم أيضاً : إثبات المعنى الذي أثبتموه ، غير هذه الحروف والأصوات ، يحتاج إلى إثبات وجوده ، ثم إثبات قدمه ، ثم إثبات حدوثه ، وكل من هذه المقامات أنتم فيها منقطعون (٢) .

مع أن هذا القول له من اللوازم الفاسدة الشيء الكثير ، كجعل قوله ﴿لعن الذين كفروا من بني إسرائيل ...﴾(٣) كقوله : ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ...﴾(٤) ونحو ذلك .(٥) .

و مما يلزم منه أيضاً أن يجعلوا العلم والقدرة والإرادة ... شيئاً واحداً ، كما أن الحقائق المتنوعة شيئاً واحداً ، فالخبر هو عين الأمر والنهي ، وهذا من جنس قول القائلين بوحدة الوجود .

يضاف إلى ذلك أن قولهم لا يكمن أن يتصور ، والتصديق فرع عن التصور ؛ فليبينوا معناه أولا ، ثم ليجهدوا في إثباته ، ولو سلمنا أنه متصور ؛ فيقال لهم : ما الدليل على قدمه ؟ ثم ما الدليل على إثباته ؟!

"ويقال لهم أيضاً : قولكم : الصوت والحرف عبارة عنه . أتعنون به الأصوات

.....

١- درء تعارض العقل والنقل (٢/٣٧ ـ ٣٩) .

٢- انظر مجموع فتاوى ابن تيمية ١٢/١٨٩ ـ ١٩١ .

المسموعة من القراء ، أو الحروف الموجودة في التلاوة والمصاحف ، وأما حروفاً وأصواتاً غير هذه ؟

فإن قالوا : بالأول ، كان باطلا من وجوه :

١ ـ أن كل من أجاد القراءة عبّر عما في نفس الله من غير أن يكون الله عبر عما في نفسه ، فيكون المخلوق أقدر من الخالق .

٢ ـ أن كثيراً من القراء ، أو أكثرهم ، لا يفقهون أكثر معاني القرآن ، والتعبير عما في نفس المعبِّر فرع على معرفته ، فمن لم يفهم جميع معاني القرآن ـ كلام الله ـ فكيف يعبِّر عن تلك المعاني ؟!

٣ ـ أن الناس لا يفهمون معاني القرآن إلا بدلالة ألفاظ القرآن على معانيه ، فإذا سمعوا ألفاظه وتدبروه كان اللفظ لهم دليلا على المعاني ، والمستدل باللفظ على المعنى الذي أراده المتكلم يمتنع أن يكون هو المعبر باللفظ عن المعنى ، فإن المعبر باللفظ عن المعنى يعرف المعنى أولا ، ثم يدل غيره عليه بالعبارة ، والناس في القرآن على ضد هذه الحال ، فيمتنع أن يكونوا هم المعبرين به .

٤ ـ أن كل واحد منهم يعلم أنه تعلم القرآن العربي من غيره ، وأنه ليس له فيه إلا الحفظ والتبليغ والأداء ، بل يعلم أنه إذا حفظ خطب الخطباء ، وشعر الشعراء ، لم يكن هو المعبر عما في أنفسهم بذلك الكلام ، بل يكون الكلام كلامهم ، وهو قد حفظه وأداه وبلغه ، فكيف بكلام رب العالمين .

٥ ـ كل واحد يعلم بالاضطرار أن نفس القرآن العربي كان موجوداً قبل وجود القراء ، وأن الناس إنما تلقوه عن محمد صلى الله عليه وسلم"(١) .

قال ابن القيم رحمه الله : "كل ما في القرآن ، من ذكر كلامه وتكليمه ، وأمره ونهيه ، دال على أنه تكلم حقيقة لا مجازاً ، وكذلك نصوص الوحي الخاص ، كقوله تعالى : ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح ...﴾(٢) قال الجارودي : "سمعت الشافعي يقول : أنا مخالف ابن علية في كل شيء ، حتى في قول لا إله إلا الله ! أنا أقول : لا إله إلا الذي كلم موسى من وراء حجاب . وهو يقول لا إله إلا الله الذي خلق كلاماً أسمعه موسى) . وقد نوّع الله تعالى هذه الصفة في

.....

١ـ ما بين الاقواس من كلام ابن تيمية مع تصرف يسير . انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١٢/١٩٤ ـ ١٩٦) .

٢ـ النساء (١٦٣) .

إطلاقها عليه تنويعاً يستحيل معه نفي حقائقها ، بل ليس في الصفات الإلهية أظهر من صفة الكلام والعلو والفعل والقدرة بل حقيقة الإرسال تبليغ كلام الرب تبارك وتعالى ؛ و إذا انتفت حقيقة الكلام انتفت حقيقة الرسالة والنبوة ، والرب تبارك وتعالى يخلق بقوله وكلامه كما قال تعالى : ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً ...﴾(١) فإذا انتفت حقيقة الكلام عنه ، انتفى الخلق ، وقد عاب الله آلهة المشركين بأنها لا تَكَلَّم وتُكَلِّم عابديها ولا ترجع إليهم قولا ؛ والجهمية : وصفوا الرب تبارك وتعالى بصفة هذه الآلهة ، وقد ضرب الله تعالى لكلامه واستمراره ودوامه المثل بالبحر يمده من بعده سبعة أبحر ، وأشجار الأرض كلها أقلام ، فيفنى المداد والأقلام ، ولا تنفد كلماته أفهذا صفة من لا يتكلم ، ولا يقوم به كلام ؟! فإذا كان كلامه وتكليمه ، وخطابه ونداؤه ، وقوله ، وأمره ونهيه ، ووصيته ، وعهده ، وإذنه ، وحكمه، وإنباؤه، وإخباره،وشهادته ؛ كل ذلك مجازاً لا حقيقة له ، بطلت الحقائق كلها ، فإن الحقائق إنما حقت بكلمات تكوينية ، ﴿ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون﴾ (٢)فما حقت الحقائق إلا بقوله وفعله ا . هـ(٣) .

ثم إن هذه الصفة ـ أعني الكلام ـ من صفات الكمال ، وفقدها أو العجز عنها نقص بلا شك ، والذي يتكلم بمشيئته وقدرته أكمل ممن لا يتكلم بمشيئته وقدرته ، فلازم قولهم أن يكون المخلوق أكمل من الخالق !! تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

قال ابن القيم في نونيته :

أيكون إنسان سميعاً مبصراً متكلماً بمشيئة وبيان

إلى أن قال :

والله أعطاه ذاك وليس هـ ـذا وصفه فاعجب من البهتان (٤) .

و أما جعلهم الشفتين واللسان والفم ... من لوازم الكلام بحرف وصوت فإن هذا باطل أيضاً لأدلة كثيرة منها : ما جاء في تكلم الأيدي والأرجل والجلود ، وتحديث الأرض ، كما في سورة الزلزلة ، وأيضاً ما جاء في تكلم الحجر والشجر

.....

١- يس (٨٢) .

في آخر الزمان ، كما جاء في مسلم (١) وغيره ، وإخباره عن اليهود ...

و كذا ما ورد في تسليم الحجر على النبي ﷺ (٢) وحنين الجذع (٣) وتسبيح الطعام (٤) وغير ذلك ، وكل ذا ، لا يلزم منه وجود فم ولا لسان ...

ثم إن هذا القول ـ كما أسلفنا ـ مبني على تشبيه الله تعالى بخلقه ، وقياسه عليهم ، وشأن الله أعظم ، وأجل من أن يقاس بهم ، فيقدر له ما يجوز وما يمتنع ، وما يليق ، وما لا يليق ، بل هو أعلم بنفسه تبارك وتعالى ، ولا أحد من الخلق يحيط به علما .

ثم إن الآيات والأحاديث الدالة على الصفات الاختيارية ـ التي يسمونها حلول الحوادث ـ كثيرة جداً ، كقوله : ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة ...﴾ (٥) فالتصوير وقع بعد الخلق ، وكذلك ما بعده . ومثل قوله تعالى : ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن ...﴾(٦) فقد وقع هذا القول بعد الخلق ، لا في الأزل . وكقوله تعالى : ﴿فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوءاتهما ... ـ إلى قوله ـ ونادهما ربهما ..﴾ (٧) فالنداء هنا وقع بعد الأكل من الشجرة ، وكقوله تعالى : ﴿فلما أتاها نودي يا موسى﴾ (٨) (٩)

و لا يكون النداء أيضاً إلا بصوت . قال ابن القيم رحمه الله بعد أن ذكر نداء الله لموسى :

أفتسمع الأذنان غير الحرف و الصوت الذي خصت به الأذنان
و كذا النداء فإنه صوت بإجـ ماع النحاة وأهل كل لسان
لكنه صوت رفيع وهو ضـ د للنجاء كلاهما صوتان . (١٠) .

.....

١- صحيح مسلم رقم (٢٩٢١) .

٢- مسلم رقم (٢٢٧٧) .

٣- صحيح البخارى جزء (٤/ص ١٧٣ ـ ص ١٧٤) .

٤- البخاري جزء (٤/ص ١٧١) .

٥- الأعراف (١١) .

٦- آل عمران (٥٩) .

٧- الأعراف (٢٢) .

٨- طه (١١) .

٩- انظر مجموع الفتاوى (٦/٢١٧ ـ ٢٢٤) .

١٠- انظر : شرح نونية ابن القيم/لابن عيسى (١/٢٢٤ ـ ٢٣٠) .

بيان مذهب أهل السنة والجماعة في كلام الله تعالى :

اتفق أهل السنة على أن الله تعالى يتكلم إذا شاء متى شاء ، وأن القرآن كلام الله غير مخلوق لفظاً ومعنى ، وأن صفة الكلام بالنسبة لله تعالى أزلية النوع حادثة الآحاد . أي أن آحاد الكلام يتجدد ...

ذكر كلام أئمة أهل السنة في كلام الله تعالى :

نقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن أبي القاسم إسماعيل التيمي الأصبهاني الشافعي (١) ـ من كتابه "الحجة على تارك المحجة" ـ قوله : "أجمع المسلمون على أن القرآن كلام الله ، وإذا صح أنه كلام الله ، صح أنه صفة الله تعالى ، وأنه موصوف به ... والدليل على أن القرآن غير مخلوق : أنه كلام الله ، وكلام الله سبب إلى خلق الأشياء ، قال الله تعالى : ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ...﴾ (٢)أي أردنا خلقه وإيجاده وإظهاره ، فقوله : "كن" كلام الله وصفته، والصفة التي منها يتفرع الخلق والفعل ، وبها يتكون المخلوق ، لا تكون مخلوقة ، ولا يكون مثلها للمخلوق ، والدليل على أنه كلام لا يشبه كلام المخلوقين : أنه كلام معجز ، وكلام المخلوقين غير معجز ..." (٣) . ا.هـ .

و قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "قول الجمهور وأهل الحديث وأئمتهم أن الله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ، وأنه يتكلم بصوت ، كما جاءت به الآثار ، والقرآن وغيره من الكتب الإلهية كلام الله تكلم به بمشيئته وقدرته ، ليس ببائن عنه مخلوقاً . ولا يقولون : إنه صار متكلماً بعد أن لم يكن متكلماً ، ولا أن كلام الله تعالى من حيث هو حادث ، بل مازال متكلماً إذا شاء ، وإن كان كلم موسى وناداه بمشيئته وقدرته ، فكلامه لا ينفد ، كما قال تعالى : ﴿قل لو كان البحر مداداً

.....

١ ـ هو الإمام الحافظ ، شيخ الإسلام ، أبو القاسم ، إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد بن طاهر القرشي التيمي ، الأصبهاني ، الملقب بقوام السنة ، ولد سنة (٤٥٧ هـ) وتوفي سنة (٥٣٥

لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مدداً﴾ (١) ا. هـ . (٢) .

و قال الطبري رحمه الله : "القرآن كلام الله وتنزيله ، إذ كان من معاني توحيده ، فالصواب من القول في ذلك عندنا : أنه كلام الله غير مخلوق ، كيف كُتب ، وحيث تُلي ، وفي أي موضع قُرىء ؛ في السماء وُجد وفي الأرض حيث حفظ ، في اللوح المحفوظ كان مكتوباً ، وفي ألواح صبيان الكتاتيب مرسوماً ..." (٣) اهـ .

و نقل شيخ الإسلام ابن تيمية ، عن أبي الحسن الكرجي (٤) الشافعي في كتابه : "الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول" كلاماً أسنده للشيخ أبي حامد الاسفراييني (٥) يقول فيه : "مذهبي ، ومذهب الشافعي ، وفقهاء الأمصار : أن القرآن كلام الله غير مخلوق ، ومن قال مخلوق فهو كافر ، والقرآن : حمله جبريل . مسموعاً من الله تعالى ، والنبي ﷺ سمعه من جبريل ، والصحابة سمعوه من رسول الله ﷺ ، وهو الذي نتلوه نحن بألسنتنا ، وفيما بين الدفتين ، وما في صدورنا ، مسموعاً ، ومكتوباً ، ومحفوظاً ، ومنقوشاً ، وكل حرف منه ـ كالباء والتاء ـ كله كلام الله ، غير مخلوق ، ومن قال : "مخلوق . فهو كافر ، عليه لعائن الله ، والملائكة ، والناس أجمعين" ا. هـ (٦) .

ذكر بعض ما استدل به أهل السنة ـ من الكتاب والسنة واللغة ـ على صحة مذهبهم :

فمن الكتاب قوله تعالى : ﴿والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك

.....

١ـ الكهف ١٠٩ .

٢ـ مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ١٧٣/١٢ .

٣ـ صريح السنة (١٨ ـ ١٩) .

٤ هو : محمد بن عبد الملك بن محمد بن عمر بن محمد الكرجي الشافعي ، أبو الحسن ، فقيه ، محدث ، مفسر ، ولد في ذي الحجة سنة (٤٥٨) هـ ، وتوفي في شعبان سنة (٥٣٢) هـ . البداية والنهاية (٢١٣/١٢) .

٥ـ هو الإمام أبو حامد ، أحمد بن أبي طاهر محمد بن أحمد الإسفراييني ، شيخ الشافعيه ببغداد ، ولد سنة (٣٤٤) هـ ، وتوفي سنة (٤٠٦) هـ . سير أعلام النبلاء (١٩٣/٧) .

٦ـ درء تعارض العقل والنقل (٩٤/٢) .

بالحق ...﴾(١) وقوله : ﴿حم ، تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم﴾ (٢) وقوله ﴿حم ، تنزيل من الرحمن الرحيم﴾(٣) ، وقوله ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق ...﴾ (٤) وغيرها من نظائرها . بالإضافة إلى الآيات الدالة على أن الله متكلم حقيقة ، كقوله تعالى : ﴿وكلم الله موسى تكليما﴾ (٥) ، ﴿منهم من كلم الله﴾ (٦) ، ﴿وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله﴾ (٧)

و من أمثلة ذلك من السنة : ما أخبر به النبي ﷺ عن تكلم الله بالوحي كقوله : "إذا تكلم الله بالوحي سمع أهل السماوات .." (٨) وكقوله : "يحشر الله العباد ، فيناديهم بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب ...."(٩) .

أما اللغة : "فإن أهلها قسموا الكلام إلى : اسم وفعل وحرف ، واتفق الفقهاء كافة على أن من حلف ألا يتكلم ، لا يحنث بدون النطق ، وإن حدثته نفسه.

فإن قيل : الأيمان مبناها على العرف . قيل : الأصل عدم التغيير . وأهل العرف يسمون الناطق متكلماً ، ومن عداه ساكتاً أو أخرساً . فإن قالوا : قوله تعالى ﴿إذا جاءك المنافقون قالوا : نشهد إنك لرسول الله ، والله يعلم إنك لرسوله ﴾ (١٠) أكذبهم الله تعالى في شهادتهم ، ومعلوم صدقهم اللساني فلا بد من إثبات الكلام النفسي ، ليكون الكلام عائداً إليه . فالجواب أن الشهادة : الإخبار عن الشيء مع

.....

١ـ الأنعام (١١٤) .

٢ـ غافر (١) .

٣ـ فصلت (١) .

٤ـ النحل (١٠٢) .

٥ـ النساء (١٦٤) .

٦ـ البقرة (٢٥٣) .

٧ـ التوبة (٦) .

٨ـ البخاري ، كتاب التوحيد باب (٣٢) .

اعتقاده ، فلما لم يكونوا معتقدين ذلك الشيء ، كذبهم الله تعالى"(١) (٢) .

تنبيه (رقم ١)

قال المؤلف في ١/ص (١٠) : "وكلام الله قديم غير مخلوق ..." اهـ وجاء نحو هذا الكلام في مواضع أخرى من الكتاب ، وهذا بلا شك مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة ـ وقد عرف مراده في ذلك ـ فأهل السنة يعتقدون أن أصل الصفة أزلي وأن آحادها حادث ، وليس معنى قولهم "حادث" أي مخلوق ، لا بل المراد أنه متعلق بالمشيئة والقدرة ، فيتكلم متى شاء ، بما شاء ، كيف شاء ، تبارك وتعالى .

و مرادهم بأزلية الصفة : أنه لم يطرأ عليه هذا الوصف بعد أن لم يكن .

و أول من عُرف أنه أطلق القديم على القرآن ، هو : أبو عبد الله محمد بن سعيد بن كُلاب .(٣)

تنبيه (رقم ٢)

حينما تكلم المؤلف على نزول القرآن والوحي ، قرر هناك أن جبريل ﷺ سمع القرآن من الله تعالى مباشرة(٤) ، ورد سائر الأقوال الأخرى في المسألة . وهذا الكلام مخالف لما هو مقرر عند الأشاعرة في مذهبهم ، وهو مناقض لما ذكره المؤلف في المسألة التي كنا بصدد الكلام عنها .

بل قال بعد ذلك تحت عنوان "ما الذي نزل به جبريل ؟" : ـ "ولتعلم في هذا المقام ، أن الذي نزل به جبريل على النبي ﷺ ، هو القرآن باعتبار أنه

.....

١ـ ما بين الأقواس : من كلام المواهبي (مع التصرف) . انظر العين والأثر (ص ٨١،ص ٨٢) .

٢ـ للتعرف على المزيد في هذا الجانب ، انظر : الجواب الواضح المستقيم في كيفية إنزال القرآن الكريم (ص ٣ ، ٤) . أربع البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة ، ص (٤ ـ ٦) ، مجموع فتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية (٥٤٤/٦) شرح نونية ابن القيم لابن عيسى (٢٦٢/١ ـ ٢٦٣) ، عقيدة السلف وأصحاب الحديث ـ ضمن مجموعة الرسائل المنيرية ، جزء (١/ص ١٠٧ ـ ١٠٩) ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٣٦/٢) فما بعدها ، كتاب التوحيد ، لابن خزيمة (٣٢٨/١ ـ ٤٠٤) ، الصفدية (٥٥/٢) فما بعدها ، كتاب رد الدارمي (عثمان بن سعيد) على بشر المريسي (ص ١٠٦) فما بعدها ، التنكيل (٣٦٠/٢) ، مجموعة الرسائل والمسائل جزء (٣) بكامله من (ص ٣٣٤ ـ ص ٥٠٩) ، قاعدة في صفة الكلام لابن تيمية ضمن مجموعة الرسائل المنيرية (٢/ص ٣١ ـ ٣٥) .

٣ـ انظر مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٣٠١/١٢) فما بعدها ، (٥٨٩ ، ٥٩٠) ، التوحيد لابن مندة (١٧١/٢ ـ ١٧٢) .

٤ـ انظر المناهل (٤١/١) .

الألفاظ الحقيقية المعجزة من أول الفاتحة إلى آخر سورة الناس . وتلك الألفاظ ، هي كلام الله وحده ، لا دخل لجبريل ، ولا لمحمد في إنشائها وترتيبها.. وقد أسفَّ بعض الناس فزعم أن جبريل كان ينزل على النبي ﷺ بمعاني القرآن ، والرسول يعبر عنها بلغة العرب . وزعم آخرون : أن اللفظ لجبريل ، وأن الله كان يوحي إليه المعنى فقط . وكلاهما قول باطل أثيم ، مصادم لصريح الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، ولا يساوي قيمة المداد الذي يكتب به . وعقيدتي أنه مدسوس على المسلمين في كتبهم ، وإلا فكيف يكون القرآن حينئذ معجزاً واللفظ لمحمد أو لجبريل ؟! ثم كيف تصح نسبته إلى الله واللفظ ليس لله ؟! مع أن الله يقول : ﴿حتى يسمع كلام الله﴾ (١)إلى غير ذلك بما يطول بنا تفصيله ..." (٢) ا. هـ .

و ليت المؤلف رحمه الله اعتمد هذا الكلام في معنى القرآن وأراحنا !! والله المستعان .

المبحث الثاني

«تاريخ علوم القرآن»

و تشمل الدراسة :

أولا : مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ، وذكر القضايا التي ناقشها فيه .

ثانياً: إضافات المؤلف في هذا المبحث .

ثالثاً : مناقشة المؤلف في قضايا ومسائل من هذا المبحث .

أولا : «مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ، وذكر القضايا التي ناقشها فيه» :

اشتمل هذا المبحث على كل ماله تعلق أساسي ينضوي تحت عنوان : "تاريخ علوم القرآن" إلا أنه حينما عرض لذكر التأليف فيه بالمعنى الإضافي ، وأوائل المؤلفين ، لم يذكر إلا جزءاً من علومه ، مع العلم أنه قد كتبت مؤلفات في أنواع كثيرة من علوم القرآن ، منذ ذلك الوقت المبكر . ولعل المؤلف رحمه الله لم يُرد الاستقصاء ، بل اكتفى بالتمثيل .

و قد أشار المؤلف إلى حال علوم القرآن في أول عهدها ـ قبل التدوين ـ وذكر بعض المشاهير من الصحابة والتابعين ، الذين كان لهم الحظ الأوفى من معرفة القرآن وتفسيره ، وما يتعلق به ، وهم أهل رواية هذه العلوم ، وبين سبب انتفاء الاحتياج إلى التدوين آنذاك .

ثم انتقل إلى عهد جديد وهو عهد التمهيد لتدوين علومه ، وذكر بعض الأعمال التي أُنجزت في ذلك ، كجمع المصاحف العثمانية ، ثم كتابة النحو ، ثم تنقيط المصاحف ...

بعد ذلك دخل عهد جديد من عهوده وهو بداية التأليف والتدوين في أنواع شتى من علوم القرآن ، وأشار إلى بعض المتصدرين في هذا المجال ، وبين العلم الذي عني به أولا من بين سائر علومه وهو (علم التفسير) .(١) .

بعد ذلك كله حاول المؤلف ـ رحمه الله ـ أن يحدد أول ما أُلّف فيه من الكتب على حسب الاصطلاح المتأخر ، وحاول أيضاً أن يجلي بداية ظهور هذا الاصطلاح ، ويذكر من ظهر على يده .

ثم تدرج المؤلف مع هذا الفن في العصور المتعاقبة إلى عصرنا الحاضر ، ذاكراً أطواره وأهم المؤلفات فيه في كل عصر ، إلى عصرنا الحاضر .

بعد ذلك ذكر خلاصة هذا التطور منذ ظهور أول مؤلف فيه إلى هذا العصر .

ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث .

إن المؤلفين الذين سبقوا الزرقاني إلى التأليف في علوم القرآن ، لم يفردوا الكلام في تاريخ هذا العلم بفصل أو مبحث خاص به ، وإنما يعرض بعضهم إليه عرضاً يسيراً في المقدمة ، كما فعل الزركشي في كتابه "البرهان" (١) حيث ذكر أشهر المفسرين من الصحابة ، ثم التابعين .

ولم يتعرض لذكر أول من ألف فيه لأنه ـ كما يظهر ـ يرى أنه لم يسبق إلى ذلك (٢) ، مع أنه نقل في "البرهان" من "جمال القراء" للسخاوي(٣) ، والمرشد الوجيز لأبي شامة . (٤)

و جرى السيوطي رحمه الله على طريقة الزركشي في هذه القضية ، حيث عرض لذلك في مقدمة كتابه "الإتقان" وذكر بعض من تقدمه في التأليف فيه كالكافيجي ، والبلقيني ، والزركشي ، وابن الجوزي ، وعلم الدين السخاوي ، وأبي شامة ...(٥)

و لم يتعرض لا الزركشي ولا السيوطي للكلام على أول ظهور هذا الاصطلاح مطلقاً .

أما التنبيه على أول من ألف في كل نوع من أنواعه فإنهما يذكران ذلك غالباً في بداية كلامهم على كل نوع في صلب الكتاب .

ولا شك أن إفراد المؤلف الكلام على تاريخ هذا العلم بمبحث خاص ، وتطرقه لكثير من التفاصيل في ذلك ، كما أشرنا سابقاً يعتبر إضافة جديدة .

ولا يفوتك أن الكلام على تاريخ أي علم وبداية تدوينه ، وأوائل المدونين له ... وما يتعلق بذلك من الأمور يعتبر أمراً ضرورياً ومهماً في الوقت نفسه ، وإذا كان الكلام في ذلك عن تاريخ علوم القرآن ، والسنة المشرفة ، كان ذلك أهم وأعظم .

.....

١ ـ البرهان في علوم القرآن (١/٩،٨) .

٢ـ البرهان (١/٩) .

٣ـ انظر البرهان (١/٣٣١) .

٤ـ انظر البرهان (١/٢٨١،٣١٩) .

٥ـ ذكرتهم حسب ذكر السيوطي لهم ولمؤلفاتهم ، ولم يُرد بذلك التدرج الزمني .

ثالثاً : مناقشات مع المؤلف في مسائل متعددة من هذاالمبحث :

وعددها ثمان مسائل وهي :

١ـ ذكر أول ما اتجهت إليه الهمم في التدوين (فيما يتعلق بالتفسير وعلوم القرآن) .

٢ـ ذكر أوائل المدونين للتفسير .

٣ـ ذكر أوائل المؤلفين في ناسخ القرآن ومنسوخه .

٤ـ ذكر أوائل المؤلفين في غريب القرآن .

٥ـ ذكر أوائل المؤلفين في إعراب القرآن .

٦ـ ذكر أوائل المؤلفين في القراءات .

٧ـ ذكر أوائل من ألف في علوم القرآن (حسب الاصطلاح المتأخر) .

٨ـ ذكر أول عهد لظهور هذا الاصطلاح .

تنبيه : عند الكلام على أول من ألف في ناحية من علوم القرآن ، أو في علوم القرآن نفسه ، لا أُعنى كثيراً بالتحديد الجازم الدقيق لأول من ألف فيه ، لأن ذلك يتطلب معرفة كل ما كُتب في ذلك ، وإنما أحاول أن أذكر أقدم ما وقفت عليه من أسماء الكتب المؤلفة في ذلك .

المسألة الأولى : ذكر أول ما اتجهت إليه الهمم في التدوين ، فيما يتعلق بالتفسير وعلوم القرآن :

يرى المؤلف أن الهمم في التدوين اتجهت أولا إلى التفسير . فهو يقول "اتجهت الهمم قبل كل شيء إلى التفسير"اهـ (١) .

و هذا غير مسلم ، لما أخرجه ابن أبي داود في "المصاحف" (ص ١٠) ، وابن أبي شيبة في المصنف (٥٤٥/١٠) ، وابن الضريس في الفضائل (ص ٧٦) ، وابن عبد البر في "التمهيد" (٣٠٠/٧) ، وابن كثير في الفضائل (ص ٢٣ ـ ٢٤) ، وعزاه السيوطي في الإتقان (١٦٥/١ ـ ١٦٦) لابن أشته في "المصاحف" بدون إسناد ، من طريق ابن سيرين عن علي ـ في بعضها ـ : "أنه كتب في مصحفه الناسخ والمنسوخ ـ قال ابن سيرين : "فطلبت ذلك الكتاب ، وكتبت فيه إلى المدينة فلم أقدر عليه" وفي بعض الروايات : "أنه كتبه على تنزيلة ـ قال ابن سيرين ـ : "ولو أُصيب ذلك الكتاب لوُجد فيه علم كثير".

و هناك غير هذه الروايات مما يد لنا على أن التأليف في عدد من علوم القرآن كان مبكر جداً ، ومن ذلك :

أن يحيى بن يعمر (٢) (ت ٨٩ هـ) ألف كتاباً في "القراءة" ، جمع فيه اختلافات المصاحف المشهورة.

و كتب الحسن البصري (٣) (ت ١١٠ هـ) كتاباً في "عد آى القرآن" وآخر في "نزول القرآن".

و صنف قتادة (٤) (ت ١١٧ ـ وقيل ـ ١١٨ هـ) كتاباً في تقسيم الآيات ، سماه : "عواشر القرآن" ، وآخر في "الناسخ والمنسوخ" .

و ألف أيضاً : عبد الله بن عامر اليحصبي (٥) (ت ١١٨ هـ) كتاباً سماه :

.....

١ـ (٢٤/١) من مناهل العرفان .

٢ـ مقدمة تفسير ابن عطية (٣٥/١) ، تهذيب التهذيب (٢٦٦/١١) ، تاريخ التراث العربي (٢٢/١) .

٣ـ غاية النهاية (٢٣٥/١) ، تهذيب التهذيب (٢٤٠/٥) ، تاريخ التراث العربي (٢٥/١) .

٤ـ الطبقات الكبرى ج ٧ (القسم الثاني) (ص ١) ، تهذيب التهذيب (٣١٥/٨) ، تاريخ التراث العربي (٢١/١) .

٥ـ معرفة القراء الكبار (١/ص ٨٢) ، الجرح والتعديل (١٢٢/٥) ، الفهرست (٣١،٣٩) ، ميزان الاعتدال (٤٤٩/٢) .

"اختلافات مصاحف الشام ، والحجاز ، والعراق" وآخر في : "المقطوع والموصول".

و هؤلاء كلهم كانت وفاتهم قبل (سنة ١٢٠ هـ) ، أما من كانوا بعدها فكثير جداً.

و كان المؤلف قد مثل على تقدم التأليف في التفسير بشعبة بن الحجاج (ت ١٦٠ هـ) وبسفيان بن عيينة (ت ١٩٨ هـ) ، وبوكيع بن الجراح (ت ١٩٦ هـ) . وقد رأيتَ تقدم أولئك عليهم بنحو قرن من الزمان ، علماً بأن هؤلاء الذين عدهم المؤلف لم يكونوا من أوائل من كتب في التفسير ـ كما سيأتي بيانه في الصفحة القادمة إن شاء الله تعالى ـ بل نستطيع أن نتقدم على هذا الزمن بقرن تقريباً ، حيث نصير إلى القرن الأول حيث كتب سعيد بن جبير رحمه الله تعالى لعبد الملك بن مروان كتاباً ، أو "صحيفة" في التفسير كما سنوضح ذلك إن شاء الله تعالى .

و على كلٍ ، فقد ظهر جلياً أن الهمم اتجهت في وقت مبكر جداً ومتقارب ـ من حيث التدوين ـ إلى الكتابة في شتى أنواع علوم القرآن ، كالتفسير والناسخ والمنسوخ وما يتعلق بالقراءات ... كما سبق بيانه .

و بما تقدم أيضاً يظهر لك ضعف ما ذهب إليه المؤلف (١) ، من أن ابن المديني (ت ٢٣٤) هـ وأبا عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤) هـ ... كانوا في مقدمة المؤلفين في بعض علوم القرآن الأخرى .

المسألة الثانية : في ذكر أوائل المدونين للتفسير :

اعتبر المؤلف شعبة بن الحجاج (ت ١٦٠) هـ ، وسفيان بن عيينة (ت ١٩٨) هـ ووكيع بن الجراح (ت ١٩٦) هـ ، من أوائل المؤلفين في التفسير(١) .

و هؤلاء الثلاثة كانت وفاتهم في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري ، بينما يوجد هناك من كتب في التفسير قبل ذلك . ومن هؤلاء مثلا :

١ـ سعيد بن جبير (ت ٩٤ ـ وقيل ـ ٩٥ هـ) . (٢).

جاء في ترجمة "عطاء بن دينار" : قال أحمد بن صالح : "... وتفسيره فيما يروي عن سعيد ابن جبير صحيفة"(٣) ا. ه

و قال ابن أبي حاتم : "سئل أبي عن عطاء بن دينار ، فقال : هو صالح الحديث ، إلا أن التفسير أخذه من الديوان ، فإن عبد الملك بن مروان كتب يسأل سعيد بن جبير أن يكتب إليه بتفسير القرآن فكتب سعيد بن جبير بهذا التفسير إليه ، فوجده عطاء بن دينار في الديوان فأخذه ، فأرسله عن سعيد بن جبير" ا. هـ

(٤) وكانت وفاة عبد الملك بن مروان سنة (٨٦ هـ) .(٥)

٢ـ مجاهد بن جبر (ت ١٠٤ هـ) (٦) .

٣ـ الضحاك بن مزاحم (ت ١٠٥ هـ) (٧) .

٤ـ عكرمة بن عبد الله (مولى ابن عباس) (٨) ، (ت ١٠٧) هـ .

٥ـ محمد بن كعب القرظي (ت ١٠٨ هـ) ، وقيل وفاته (١١٧ـ وقيل ـ ١١٩ ـ وقيل

.....

١ـ انظر (٢٤/١) من نفس الكتاب .

٢ـ الفهرست (ص ٣٧) .

٣ـ تهذيب التهذيب (١٧٩/٧) .

٤ـ الجرح والتعديل (٣٣٢/٦) ، معرفة القراء الكبار (٦٨/١) ، تذكرة الحفاظ (٧٦/١) ، طبقات المفسرين للداوودي (١٨٨/١) .

٥ـ الطبقات الكبرى (١٦٥/٥) ، المعارف لابن قتيبة (٤٤٥) ، تاريخ بغداد (٣٨٨/١٠) ، سير أعلام النبلاء (٢٤٦/٤) ، تهذيب التهذيب (٣٧٣/٦) ، شذرات الذهب (٩٧/١) .

٦ـ المعارف لابن قتيبة (٤٤٤) ، تذكرة الحفاظ (٩٢/١) ، غاية النهاية (٤١/٢) ، كشف الظنون (٤٥٨/١) ، تاريخ التراث العربي (٧٠/١) .

٧ـ تهذيب التهذيب (٣٩٧/٤) ، طبقات المفسرين للداوودي (٤٧/٢) ، كشف الظنون (٤٥٢/١) ، معجم المؤلفين (٢٧/٥) ، تاريخ التراث العربي (٧٢،٧١/١) .

٨ـ طبقات المفسرين للداوودي (٣٨٦/١) ، كشف الظنون (٤٥٣/١)

ـ ١٢٠ هـ وقيل غير ذلك)(١)

٦ـ الحسن البصري (ت ١١٠ هـ) (٢) .

٧ـ عطاء بن أبي رباح (ت ١١٤ هـ) (٣) .

٨ـ وهب بن منبه (ت ١١٤ ـ وقيل ـ ١١٠) هـ (٤) .

٩ـ قتادة بن دعامة السدوسي ت (١١٧ ـ وقيل ـ ١١٨ هـ) . (٥) .

١٠ـ عطاء بن دينار (ت ١٢٦ هـ) (٦).

١١ ـ إسماعيل السدي (ت ١٢٧ ـ وقيل ـ ١٢٨ هـ) (٧).

١٢ ـ عطاء الخراساني (ت ١٣٣ هـ) ، وقيل سنة (١٣٥ هـ) .(٨).

.....

١ـ المعارف لابن قتيبة (٤٥٨) ، سير أعلام النبلاء (٦٥/٥) ، تهذيب التهذيب (٣٧٣/٩) كشف الظنون (٤٥٧/١) .

٢ـ المعارف لابن قتيبة (٤٤٠) ، الفهرست (ص ٣٦) ، تذكرة الحفاظ (٧١/١) ، كشف الظنون (٤٤٦/١) ، تاريخ التراث العربي (٧٢/١) .

٣ـ المعارف لابن قتيبة (٤٤٤) ، تذكرة الحفاظ (٩٨/١) ، البداية والنهاية (٣٠٦/٩) ، تهذيب التهذيب (١٧٩/٧) ، كشف الظنون (٤٥٣/١) ، تاريخ التراث العربي (٧٣/١ ، ٧٤) .

٤ـ وهب بن منبه هو وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار اليماني ولد في زمن عثمان رضي الله عنه ، (سنة ٣٤ هـ) . المعارف (٤٥٩) ، معجم الادباء (٢٥٩/١٩) ، سير أعلام النبلاء (٥٤٤/٤) ، تذكرة الحفاظ (١٠٠/١) ، تهذيب التهذيب (١٤٧/١١) ، كشف الظنون (٤٦١/١) شذرات الذهب (١٥٠/١) .

٥ـ معجم الادباء (٩/١٧) ، تذكرة الحفاظ (١٢٢/١) ، البداية والنهاية (٣١٣/٩) ، غاية النهاية (٢٥/٢) ، تهذيب التهذيب (٣١٥/٨) ، كشف الظنون (٤٥٦/١) ، تاريخ التراث العربي (٧٥/١) .

٦ـ تهذيب التهذيب (١٧٩/٧) ، كشف الظنون (٤٥٣/١) ، معجم المؤلفين (٢٨٣/٦) ، تاريخ التراث العربي (٧٦،٧٧/١) .

٧ـ ـ هو إسماعيل بن عبد الرحمن بن أبي كريمة السدي ، أبو محمد القرشي ، مولاهم الكوفي الأعور ، وهو السدي الكبير . تهذيب التهذيب (٢٧٣/١) ، كشف الظنون (٤٤٨/١) ، معجم المؤلفين (٢٧٦/٢) ، تاريخ التراث العربي (٧٧،٧٨/١) .

١٣ ـ زيد بن أسلم (ت ١٣٦ هـ) (١) .

١٤ ـ الربيع بن أنس (ت ١٣٩ هـ) (٢) .

١٥ ـ شبل بن عباد (ت ١٤٨ هـ) (٣) .

١٦ ـ مقاتل بن حيان (ت ١٥٠ هـ) (٤) .

١٧ ـ مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠ هـ) (٥) .

.....

١- هو زيد بن أسلم العدوي ، مولى عمر رضي الله عنه ، يكني بأبي عبد الله . تهذيب التهذيب (٣٤١/٣) ، كشف الظنون (٤٤٨/١) .

٢- هو الربيع بن أنس البكري ، أو الحنفي ، بصري ، نزل خراسان . المعارف (٤٦٦) ، تاريخ التراث (٧٩/١ ، ٨٠) ، تقريب التهذيب (٢٤٣/١) .

٣- هو شبل بن عباد المكي القارى ، رمي بالقدر . غاية النهاية (٣٢٣/١) ، كشف الظنون (٤٥١/١) ، تاريخ التراث (٨٢/١) ، تقريب التهذيب (٣٤٦/١) .

٤- هو مقاتل بن حيان النبطي ، أبو بسطام البلخي ، الخزاز ، مات بالهند . الفهرست (ص ٣٧) ، كشف الظنون (٤٥٩/١) ، تاريخ التراث (٨٤/١) ، تقريب التهذيب (٢/ص ٢٧٢)

٥- هو مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي الخراساني ، أبو الحسن البلخي ، نزيل مرو . الفهرست (ص ٣٦،ص٢٢٧) ، تاريخ بغداد (١٦٠/١٣) ، تهذيب التهذيب (٢٤٩/١٠) ، كشف الظنون (٤٣٩/١ ، ٤٥٩) ، معجم المؤلفين (٣١٧/١٢) ، تاريخ التراث (٨٥/١) .

المسألة الثالثة في ذكر أوائل المؤلفين في ناسخ القرآن ومنسوخه . (١)

يرى المؤلف أن أبا عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) كان في مقدمة من ألف في موضوع الناسخ والمنسوخ .(٢) .

والمؤلف قد يُنازع فيما ذهب إليه ، لوجود المؤلفين في الناسخ والمنسوخ في القرآن قبل ذلك ومنهم :

١ ـ ما تقدم من أن ابن أشته أخرج عن ابن سرين ما يدل على أن علياً رضي الله عنه كان قد كتب في مصحفه "الناسخ والمنسوخ" وقدمنا لك أيضاً ، أن ابن سرين قال : "فطلبت ذلك الكتاب ، وكتبت فيه إلى المدينة فلم أقدر عليه" . (٣) .

٢ ـ قتادة بن دعامة السدوسي (ت ١١٧ ـ وقيل ـ ١١٨هـ) . (٤) .

٣ ـ محمد بن مسلم بن شهاب الزهري (ت ١٢٤هـ) (٥) .

٤ ـ عطاء بن أبي مسلم الخراساني (ت ١٣٥هـ) (٦) .

٥ ـ محمد بن السائب الكلبي (ت ١٤٦هـ) (٧) .

.....

١ ـ انظر الفهرست (ص ٦٢) .

٢ـ مناهل العرفان (١/ ٢٤) .

٣ـ الإتقان (١٦٦/١) ، وانظر : ص (١٦) مما سبق .

٤ـ طبقات المفسرين للداوودي (٤٧/٢) ، النسخ في القرآن الكريم للدكتور مصطفى زيد (٢٩٥/١) . وكتاب قتادة مطبوع بتحقيق الدكتور حاتم الضامن (مؤسسة الرسالة) .

٥ـ الناسخ والمنسوخ للنحاس (المقدمة ص ١٧) ، تذكرة الحفاظ (١٠٨/١) ، تهذيب التهذيب (٩/ ٣٩٥) ، النسخ في القرآن الكريم (٢٩٦/١) .

تنبيه هذا الكتاب مطبوع بتحقيق حاتم الضامن "مؤسسة الرسالة" .

٦ـ الناسخ والمنسوخ للنحاس (المقدمة ص ١٨) ، ميزان الاعتدال (١٩٨/٢) ، تهذيب التهذيب (١٩٠/٧) ، طبقات المفسرين للداوودي (٣٨٥/١) .

٧ـ هو محمد بن السائب بن بشر الكلبي ، أبو النضر الكوفي ، النسابة ، المفسر . الفهرست (ص ٤٠) ،

٦ ـ مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠هـ) . (١).

٧ـ الحسين بن واقد (ت ١٥٩ هـ) (٢).

٨ـ عبد الرحمن بن زيد (ت ١٨٢ هـ) . (٣).

٩ـ عبد الوهاب بن عطاء العجلي الخفاف (ت ٢٠٤ هـ)(٤) .

١٠ـ حجاج بن محمد الأعور (ت ٢٠٦ هـ)(٥) .

.....

١- مضت ترجمته في الصفحة قبل السابقة . وانظر أيضاً : الفهرست (ص ٤٠، ٢٢٧) ، طبقات المفسرين للداوودي (٣٣٠/٢) ، النسخ في القرآن الكريم (٢٩٩/١) ، تاريخ التراث (٨٥/١) ، وعده هبة الله بن سلامة من جملة الكتب التي أخذ عنها كتابه "الناسخ والمنسوخ" (ص٣١٣) .

٢- هو الحسين بن واقد المروزي ، أبو عبد الله القاضي . الفهرست (ص ٣٧) ، تهذيب التهذيب (٣٢١/٢) ، طبقات المفسرين للداوودي (١٦٣/١) ، النسخ في القرآن الكريم (٣٠٤/١) .

٣- هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم ، العدوي ، مولاهم . الفهرست (ص ٤٠، ٢٨١) ، تهذيب التهذيب (١٦١/٦) ، طبقات المفسرين للداوودي (٢٧١/١) ، النسخ في القرآن الكريم (٣٠٥/١) .

٤- تاريخ بغداد (٢١/١١) ، تذكرة الحفاظ (٣٣٩/١) ، تهذيب التهذيب (٣٩٨/٦) ، طبقات المفسرين للداوودي (٣٦٩/١) ، النسخ في القرآن الكريم (٣١٠/١) .

٥- الفهرست (ص ٤٠، ٢٣٦) تاريخ بغداد (٢٣٦/٨) ، تهذيب التهذيب (١٨٠/٢) ، طبقات المفسرين للداوودي (١٣١/١، ١٣٩) النسخ في القرآن الكريم (٣١١/١) .

المسألة الرابعة : ذكر أوائل المؤلفين في غريب القرآن (١) .

يرى المؤلف ـ رحمه الله ـ أن في مقدمة من ألف في "غريب القرآن" أبو بكر السجستاني (ت ٣٣٠ هـ)(٢) .

و هذا غير مسلم أيضاً ، لأن السجستاني مسبوق في التأليف في هذا الفن ، وممن سبقه إلى ذلك :

١ـ أبان بن تغلب (ت ١٤١ هـ)(٣)

٢ـ محمد بن الحسن بن أبي سارة الرؤاسي ، اللغوي (ت ١٧٠ هـ) (٤) واسم كتابه "معاني القرآن" .

٣ـ مؤرج بن عمرو السدوسي البصري (ت ١٧٤ هـ) (٥) .

٤ـ علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي الكوفي (الكسائي) (ت ١٨٩ هـ) . (٦)

.....

١- راجع الفهرست (ص ٣٧) .

٢- مناهل العرفان (٢٤/١) .

٣- هو أبان بن تغلب ـ بفتح المثناة ، وسكون المعجمة ، وكسر اللام ـ أبو سعد الكوفي . تهذيب التهذيب (٨١/١) ، كشف الظنون (١٢٠٧/٢) ، هدية العارفين (١/١) ، تاريخ التراث (٤٢/١) .

المسألة الخامسة : ذكر أوائل المؤلفين في إعراب القرآن .

اعتبر المؤلف أن إبراهيم بن علي بن سعيد الحوفي (ت ٤٣٠ هـ) كان في طليعة من ألف في إعراب القرآن الكريم ،(١) وهذا غير مستقيم لوجود من تقدمه إلى ذلك ، ومنهم :

١ـ أبو مروان عبد الملك بن حبيب المالكي القرطبي (ت ٢٣٩ هـ) . (٢) .

٢ـ أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني (ت ٢٤٨) هـ (٣) .

٣ـ أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (ت ٢٨٦) هـ (٤) .

٤ـ أبو العباس أحمد بن يحيى بن يزيد الشيباني ، المشهور بـ "ثعلب" (ت ٢٩١) هـ (٥)

.....

١ـ مناهل العرفان (٢٤/١) .

٢ـ سير أعلام النبلاء (١٠٢/١٢) ، كشف الظنون (١٣٣/١) .

٣ـ سير أعلام النبلاء (٣٦٨/١٢) ، كشف الظنون (١٣٣/١) .

٤ـ سير أعلام النبلاء (٥٧٦/١٣) ، كشف الظنون (١٣٣/١) .

٥ـ سير أعلام النبلاء (٥/١٤) ، كشف الظنون (١٣٣/١) .

المسألة السادسة في ذكر أوائل المصنفين في القراءات

ذهب المؤلف ـ رحمه الله ـ إلى أن علم الدين السخاوي (ت ٦٤٣) هـ أول من ألف في القراءات (١) . وهذا مردود أيضاً مع غرابته .(٢)قال ابن الجزري رحمه الله : "كان أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب "أبو عبيد القاسم بن سلام" (٣) ، وجعلهم فيما أحسب خمسة وعشرين قارئاً ، مع هؤلاء السبعة ، وتوفي سنة أربع وعشرين ومائتين . وكان بعده : أحمد بن جبير بن محمد الكوفي ، نزيل أنطاكيه . جمع كتاباً في قراءات الخمسة من كل مصر واحد . وتوفي سنة ثمان وخمسين ومائتين .

و كان بعده القاضي إسماعيل بن إسحاق المالكي . صاحب قالون ، ألف كتاباً في القراءات ، جمع فيه قراءة عشرين إماماً ، منهم هؤلاء السبعة . (وتوفي سنة ٢٨٢هـ) . وكان بعده الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، جمع كتاباً حافلا سماه : "الجامع" فيه نيف وعشرون قراءة . (توفي سنة ٣١٠ هـ) .. اهـ (٤) الخ كلامه رحمه الله . وذكر ابن الجزري رحمه الله في (غاية النهاية) عند ترجمته لـ : (الحسين بن عثمان بن ثابت البغدادي الضرير ت ٣٧٨ هـ) أنه أول من نظم القراءات السبع . (٥)

و هناك مؤلفات أخرى في القراءات وبعض ما يتعلق بها وُجدت في القرن الأول والثاني الهجري مثل :

١ـ "كتاب في القراءة" لـ "يحيى بن يعمر" (ت ٨٩ هـ) جمع فيه اختلافات المصاحف المشهورة (٦) .

٢ـ "اختلافات مصاحف الشام ، والحجاز ، والعراق" لعبد الله بن عامر

.....

١- مناهل العرفان (٢٥/١) .

٢- ولقد ناقض المؤلف كلامه هذا في (٤١٠/١) حيث اعتبر أبا عبيد القاسم بن سلام ، وأبا حاتم السجستاني وأبا جعفر الطبري ، واسماعيل القاضي ، في مقدمة المؤلفين في القراءات !! .

٣- الفهرست (٣٨) .

اليحصبي (ت ١١٨ هـ)(١) .

٣ـ "اختيار في القراءة على مذهب العربية" لمحمد بن عبد الرحمن بن محيصن (ت ١٢٣ هـ) .(٢) .

٤ـ "اختيار في القراءة" لعيسى بن عمر الثقفي (ت ١٤٩ هـ) (٣) .

٥ـ "القراءة" لحمزة الكوفي (ت ١٥٦ هـ) .(٤) .

٦ـ "القراءة" لنافع المدني (ت ١٦٩ هـ) (٥) .

٧ـ "القراءات" لهشيم بن بشير (ت ١٨٣ هـ) .(٦) .

.....

١ـ الفهرست (٣١) ، غاية النهاية (٤٢٣/١) ، تهذيب التهذيب (٢٤٠/٥) ، الأعلام للزركلي (٩٥/٤)، تاريخ التراث العربي (٢٥/١) .

٢ـ هو محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي ، مولاهم المكي ، قارئ مشهور من أهل مكة . الفهرست (٣٣) ، غاية النهاية (١٦٧/٢) ، تاريخ التراث العربي (٢٣/١) ، معرفة القراء الكبار (٩٨/١) .

٣ـ هو عيسى بن عمر النحوي ، أبو عمر ، الثقفي . الفهرست (٣٣ ، ٤٧) ، غاية النهاية (٦١٣/١) . ولأبي عمرو بن العلاء (ت ١٥٤) كتاب "القراءات" . الفهرست (ص ٥٣) .

٤ـ هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل ، الإمام ، أبو عمارة الكوفي ، مولى آل عكرمة بن ربعي التيمي ، الزيات ، أحد القراء السبعة . المعارف لابن قتيبة (٥٢٩) ، الفهرست (٣٢) ، غاية النهاية (٢٦١/١) ، معجم المؤلفين (٧٨/٤)، تاريخ التراث العربي (٣١/١) ، معرفة القراء الكبار (١/ص ١١١) .

٥ـ هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم ، القارئ ، المدني ، مولى بني ليث ، أصله من أصبهان ، وقد ينسب لجده . المعارف لابن قتيبة (٥٢٨) ، الفهرست (٣١) ، تذكرة الحفاظ (٩٩/١) ، غاية النهاية (٣٣٠/٢) ، تاريخ التراث العربي (٣٢/١) ، تقريب التهذيب (٢/ص ٢٩٥) .

٦ـ هو هشيم بن بشير بن القاسم بن دينار السلمي ، أبو معاوية بن أبي خازم ، الواسطي . الفهرست (٢٨٤) ، تاريخ التراث العربي (٨٨/١) ، تقريب التهذيب (٢/ص ٣٢٠) .

المسألة السابعة : ذكر أول من ألف في علوم القرآن

قال المؤلف رحمه الله تعالى (١/ص ٢٦) : "ولا نعلم أن أحداً قبل المائة الرابعة للهجرة ، ألف ، أو حاول أن يؤلف في علوم القرآن بالمعنى المدون ..." ا . هـ .

و هو يريد بهذا : "علي بن إبراهيم الحوفي" (١) صاحب كتاب : "البرهان في علوم القرآن" .

و يدل على ذلك قوله (١/ص ٢٧،ص ٢٨) تحت عنوان : "أول عهد لظهور هذا الاصطلاح" : "... لكني ظفرت في دار الكتب المصرية ، بكتاب لعلي بن إبراهيم بن سعيد ، الشهير بالحوفي ، المتوفى سنة (٣٣٠هـ) (٢) اسمه البرهان في علوم القرآن . وهو يقع في ثلاثين مجلداً ..." ا. هـ .

ثم قال : ".... وإذاً نستطيع أن نتقدم بتاريخ هذا الفن ... إلى بداية القرن الخامس ...." ا. هـ وقال : "(١/ص٣٢) في "الخلاصة" : "ويمكن أن نستخلص مما سبق : أن علوم القرآن كفن مدون استهلت صارخة على يد الحوفي ، في أواخر القرن الرابع ، وأوائل الخامس ..." ا. هـ ويمكن أن يُستدرك على المؤلف رحمه الله هنا في أمرين :

الأول : أن كتاب الحوفي هذا إنما هو كتاب تفسير وليس هو كتاباً في "علوم القرآن" حسب الاصطلاح المعروف ، وهو يقع في ثلاثين جزءاً ، كما قال ذلك المؤلف نفسه (٣) ، وقال مثله ياقوت في "معجم الأدباء" ، وسماه : "البرهان في تفسير القرآن" .

قال ياقوت : "بلغني أنه في ثلاثين مجلداً بخط دقيق"اهـ . (٤) . ونحوه قال الداوودي (٥) ، وقبله شيخه السيوطي (٦) ، وبمثل ذا سماه في كشف الظنون

.....

١ـ انظر الأنساب (٢٩٠/٢) ، معجم الأدباء (٢٢١/١٢) ، الكامل (١٩/٨) (الحاشية) ، إنباه الرواة للقفطي (٢١٩/٢) ، وفيات الأعيان (٣٠٠/٣) ، العبر (٣٦٣/٢) ، البداية والنهاية (٤٧/١٢) ، طبقات المفسرين للداودي (٣٨٨/١) ، مفتاح السعادة (٩٥/٢) ، كشف الظنون (١٢٢/١ ، ٢٤١) ، شذرات الذهب (٢٤٧/٣) .

(١) ، وأشار إلى أنه ذكر فيه الإعراب والغريب والتفسير .

أما في مفتاح السعادة فقد جعله كتاباً آخر غير التفسير ، فقد عد من مؤلفاته :

١ـ البرهان في تفسير القرآن

٢ـ علوم القرآن

٣ـ الموضح في النحو (٢)

و الظاهر أن الأول ، والثاني ، كتاب واحد ، وإنما بعضهم يسميه بـ "البرهان في تفسير القرآن" والآخر بـ "البرهان في علوم القرآن" .

و بعد أن تبين لك أنه كتاب في التفسير ، فلا يسوغ جعله كتاباً في علوم القرآن ، وكونه يذكر فيه الإعراب ، والغريب ، والقراءات ، ونحو ذلك ، لا يبرر تغيير موضوعه من "التفسير" إلى "علوم القرآن" ، وإلا فلنجعل كثيراً من كتب التفسير ـ بل أكثرها ـ التي تذكر هذه المباحث ، وتتعرض لها ، كتباً في علوم القرآن "حسب الاصطلاح المتعارف" وهذا لا يصح أبداً ، وإن كان المؤلف يقول بذلك فهناك من سبق الحوفي إلى التأليف بهذه الطريقة كالطبري مثلا ! .

و اسم الكتاب لا يؤثر أو يغير من الواقع شيئاً ، بعد أن عرفت موضوعه ، والله أعلم .

الثاني : لو افترضنا جدلا أن هذا الكتاب إنما هو في علوم القرآن ـ حسب الاصطلاح المتأخر ـ فهناك من سبقه إلى الكتابة في هذا الموضوع ، فلم يكن هو أول من كتب فيه كما هو رأي المؤلف .

فقد كتب "أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (٣) (ت ٣٢٨ هـ) كتاباً في علوم القرآن سماه "عجائب علوم القرآن" (٤) وهذا كما تلاحظ متقدم على "الحوفي" بنحو قرن من الزمان تقريباً ، لأن الحوفي توفي سنة (٤٣٠ هـ) كما مر معنا

.....

٥ـ طبقات المفسرين للداوودي(١/٣٨٨) .

٦ـ طبقات المفسرين للسيوطي(ص ٧٠) .

١ـ كشف الظنون (١/٢٤١) .

٢ـ مفتاح السعادة (٢/٩٥) .

٣ـ تذكرة الحفاظ (٣/٨٤٢) ، معرفة القراء الكبار (١/٢٨٠) ، طبقات المفسرين للداوودي (٢/٢٢٧) .

٤ـ يوجد منه نسخة في المكتبة البلدية في الاسكندرية برقم (٣٥٩٩) .

سابقاً .

و بعد كتابة تلك الأسطر ، تيسر لي الوقوف على كتاب الحوفي ، والذي أصبح من مصورات الجامعة الإسلامية ، برقم (ف/٣٧٩٥) فرأيته كتاباً من كتب التفسير ولا ريب ، فهو يذكر الآية ، أو الآيات ، ثم يورد الإعراب ، ثم يورد الوقف والتمام فيها ، ثم يورد ما تضمنته الآيات من الفوائد ونحوها .. ثم يقول : "القول في القراءة .." ثم يقول : "القول في المعنى والتفسير ..

و قد بين ذلك المؤلف رحمه الله فيما سبق .

ثم وقفت على كتاب ابن الأنباري رحمه الله ، فوجدته يتحدث عن موضوعنا الذي نحن بصدده ، وقد قال في أوله : "لما ألفت كتاب التلقيح في غرايب علوم الحديث ، رأيت أن تأليف كتاب في عجايب علوم القرآن أولى فشرعت في سؤال التوفيق ..." إلى أن قال : "باب ذكر نبذة من فضايل القرآن .. ، ثم قال : "باب في أن القرآن كلام الله غير مخلوق) ، ثم قال : "باب نزول القرآن على سبعة أحرف" ، وساق أربعة عشر قولا . ثم قال : "باب في كتابة المصحف وهجائه" ، ثم قال : "باب عدد سور القرآن ، وآياته ، وكلماته ، وحروفه ، ونقطه" . ثم قال : "باب ذكر أجزاء القرآن" . ثم قال : "باب عدد آيات السور" . وهكذا يسوق الأبواب .

«المسألة الثامنة : ذكر أول عهد لظهور هذا الاصطلاح»

ذهب المؤلف إلى أن أول عهد لظهور هذا الاصطلاح ، إنما كان في بداية القرن الخامس ، على يد : "الحوفي المتوفي سنة (٤٣٠ هـ)" . ونقلنا لك شيئاً من كلامه في المسألة السابقة .

و قد بينا أن كتاب الحوفي ، إنما هو في تفسير القرآن ، وأن المؤلف (١) ذكر هذا في كتابه ، ومع ذلك فقد اعتبره أول مؤلف في علوم القرآن ـ حسب الاصطلاح المتأخر ـ واعتبره أيضاً أول عهد ظهور هذا الاصطلاح !!

و الذي ينبغي لفت النظر إليه في هذه القضية هو أنه: إما أن يقال إن مراد المؤلف ـ "بأول ظهور هذا الاصطلاح" ـ إنما هو إطلاق هذا العنوان : "علوم القرآن" على الموضوع المصطلح عليه ، فقد تبين لك أن الحوفي مسبوق إلى ذلك .

و إما أن يكون مراده إنما هو أول ظهور هذا الإطلاق ، أو هذه العبارة : "علوم القرآن" سواء أُطلقت على التفسير ، أو على موضوعنا الذي نحن بصدده ، أو غير ذلك ، فإن الحوفي مسبوق إلى هذا أيضاً .

و ممن أطلق هذا العنوان ـ علوم القرآن ـ على مؤلفه قبل الحوفي :

١ـ محمد بن خلف بن المرزبان (ت ٣٠٩ هـ) وسماه "الحاوي في علوم القرآن" (٢) وهو كتاب في التفسير يقع في سبعة وعشرين جزءاً .

٢ـ أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت ٣٢٨ هـ) وسماه "عجائب علوم القرآن" وقد تقدم ذكره في المسألة السابقة.

٣ـ أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٣) (المتوفى سنة نيف وثلاثين وثلاثمائة ، وقيل بعد سنة عشرين ، وقبل سنة ثلاثين ، وقيل : سنة (٣٢٤) ، وقيل سنة (٣٣٤)) ، وسماه "المختزن في علوم القرآن" . (٤) وهو كتاب في التفسير ، قال عنه الداوودي : "... كتاب عظيم جداً بلغ فيه سورة الكهف ، وقد انتهى مائة جزء ، وقيل إنه أكبر من هذا" (٥) ا. هـ

١ـ أعني : الزرقاني رحمه الله .

٢ـ الفهرست (٩٥،١٦٦،١٦٧) ، تاريخ بغداد (٣٣٧/٥) ، تذكرة الحفاظ (٧٥٧/٢)،طبقات المفسرين للداوودي (١٤٦/٢) .

٣ـ تاريخ بغداد (٣٤٦/١١) ، تذكرة الحفاظ (٨٢١/٣) .

٤ـ راجع ما ذكرنا حول هذا الكتاب (ص٢٢) .

٤ـ محمد بن علي الأدفوي (١) (ت ٣٨٨ هـ) واسم كتابه : "الاستغناء في علوم القرآن" وهو في التفسير أيضاً . قال عنه الداوودي : "... وله كتاب "تفسير القرآن" ، سماه "الاستغناء" في مائة وعشرين مجلداً ، صنفه في اثنتي عشرة سنة"(٢) .

١ـ انظر طبقات المفسرين للداوودي (٣٩٨/١) ، كشف الظنون (٤٤٠/١) وراجع ص ٢٣ مما تقدم .

المبحث الثالث

في نـــــزول الـــــقرآن

وتشمل الدراسة :

أولا : مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث وذكر القضايا التي ناقشها فيه .

ثانياً إضافات المؤلف في هذا المبحث .

ثالثاً : مناقشة المؤلف في قضايا ومسائل من هذا المبحث .

أولا : مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث وذكر القضايا التي ناقشها فيه :

جرت عادة المؤلف ـ رحمه الله ـ في هذا المؤلَّف على استغلال الفرص التي تمر به في أحيان متعددة ، ليربط القضايا التي يناقشها بحياة الناس وواقعهم ، ويذكر أغلب ما تدعو إليه الحاجة للقارئ العادي ، أو المثقف ... فحينما يتكلم عن بعض المسائل المتعلقة بالقرآن وتعريفه ، نجده ينطلق من ذلك إلى الكلام على هداية القرآن ، وإعجازه ، ودعوته إلى العلم ، والنظر والتفكير السليم ... وهكذا .

و قد كان المتوقع ، أنه حينما يتكلم عن مبحث يتعلق بتنزيل القرآن والوحي ... أن يتطرق إلى موضوع هام وهو "حاجة البشرية إلى الوحي" لكنه لم يفعل .

ثم إن المؤلف حينما تعرض لتعريف الوحي في الاصطلاح ، أغفل الكلام على تعريفه لغة ... مع العلم أن هذه نقطة مهمة في هذا الموضوع ؛ و أمر آخر أيضاً وهو أن المؤلف لم يذكر أنواع الوحي بمعناه العام ... وكل من هذه القضايا الثلاث التي أشرت إليها قد ناقشها وبينها بعض من تكلم في هذا الموضوع الهام.

أما القضايا والمسائل التي ناقشها في هذا المبحث فهي كثيرة وإليك رؤوسها :

١ـ معنى نزول القرآن .

٢ـ تنزيلاته .

٣ـ كيفية أخذ جبريل للقرآن وعمن أخذه .

٤ـ ما الذي نزل به جبريل .

٥ـ النازل على النبي ﷺ سوى القرآن .

٦ـ مدة نزول القرآن على النبي ﷺ .

٧ـ دليل التنجيم للقرآن .

٨ـ حكمته .

٩ـ حقيقة الوحي ، وأنواعه ، وكيفياته .

١٠ـ الأدلة العلمية على الوحي .

١١ـ الدليل العقلي .

ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث

إن مما يلفت الانتباه حول هذا المبحث ، أن المؤلف وضعه في موضع مناسب له تماماً ، حيث جعله أول المباحث بعد الكلام على تعريف "علوم القرآن" ، والتعرض لتاريخه .

بينما نجد الزركشي ، والسيوطي مثلا ، لم يلتفتوا إلى هذه الناحية المهمة . وقد بين المؤلف وجهة نظره في هذا التصرف ، حيث قال في أوله : "هذا مبحث مهم في علوم القرآن ، بل هو أهم مباحثه جميعاً ، لأن العلم بنزول القرآن أساسي للإيمان بالقرآن ، وأنه كلام الله ، وأساس للتصديق بنبوة الرسول ﷺ ، وأن الإسلام حق . ثم هو أصل لسائر المباحث الآتية بعدُ في علوم القرآن . فلا جرم أن يتصدرها جمعاء ، ليكون من تقريره وتحقيقه سبيل إلى تقريرها وتحقيقها . وإلا فكيف يقوم البناء على غير أساس ودعام ؟" (١)و إن مما يُذكر للمؤلف في هذا المبحث ، حسن عرضه ، وتقسيمه للحِكَم والأسرار في تنجيم القرآن الكريم (٢) ، مع أن النقاط الأساسية (حول هذه المسألة) قد ذكرها السيوطي في الإتقان ، إلا أن المؤلف رتبها ، ونظمها وحرر الكلام فيها ، وأضاف إليها بعض الإضافات .

و من إضافات المؤلف أيضاً ، أنه طرق الكلام على ثبوت الوحي من ناحية العلم ، وساق على ذلك عدداً من الأدلة العلمية (٣) ، تبلغ ستة . وإن كان بعضها يحتاج إلى بعض التساؤلات عن مراد المؤلف . لاحتمال الكلام لمعان صحيحة ومعان باطلة .

و بعد ذكر الأدلة العلمية ، تعرض لذكر الدليل العقلي على الوحى (٤) أيضاً ، ثم تطرق للمعجزة بعد ذلك (٥) .

---

١ ـ المناهل (١/٣٣) .

٢ـ المناهل (١/٤٦ ـ ٥٥) .

٣ـ المناهل (١/٥٨ ـ ٦٥) .

٤ـ المناهل (١/٦٦) .

٥ـ المناهل (١/٦٦ ـ ٦٩) .

ثالثاً : مناقشة المؤلف في مسائل من هذا المبحث

وهي ثلاث مسائل :

الأولى : تتعلق «بنزول القرآن» وتحتها مسألتان :

أ ـ معنى نزول القرآن عند أهل السنة .

ب ـ إثبات صفة العلو لله تعالى .

الثانية : أهمية مسائل العقيدة وخطورة الانحراف في فهمها .

الثالثة : حول التنويم المغناطيسي والوحي .

المسألة الأولى : حول نزول القرآن .

وتحته مبحثان :

أ ـ معنى نزول القرآن عند أهل السنة .

ذكر المؤلف للنزول معنيين في اللغة :

١ـ الحلول في مكان ، والأوي به .

٢ـ انحدار الشيء من علو إلى سفل .

ثم عقب ذلك بقوله : "ولا ريب أن كلا هذين المعنيين ، لا يليق إرادته هنا في إنزال الله للقرآن ، ولا في نزول القرآن من الله ، لما يلزم من هذين المعنيين من المكانية والجسَمية ، والقرآن ليس جسماً حتى يحل في مكان ، أو ينحدر من علو إلى سفل . سواء أردنا به الصفة القديمة المتعلقة بالكلمات الغيبية الازلية ، أم أردنا به نفس تلك الكلمات ، أم أردنا به اللفظ المعجز ، لما علمت من تنزه الصفة القديمة ومتعلقها ، وهو الكلمات الغيبية ، عن الحوادث وأعراض الحوادث ، ولما تعرفه من أن الألفاظ أعراض سيالة تنقضي بمجرد النطق بها ...

و ليكن المعنى المجازي لإنزال القرآن ، هو الإعلام في جميع إطلاقاته ..." ا. هـ (١) والحق أن هذا الرأي من المؤلف غريب جداً ! لأنه يخالف النصوص المستفيضة من الكتاب والسنة ، الدالة على أن نزول القرآن هو نزول حقيقي ، وهو أيضاً مخالف للغة والعقل .

و قد سبق أن عرفت معنى القرآن عند المؤلف فيما سبق ، وبينا لك الحق الذي دل عليه الكتاب والسنة في هذه المسألة ، فلا حاجة إلى الإعادة .

و كما هو ملاحظ ، أن المؤلف قد نفى النزول الحقيقي للقرآن ، أياً كان معناه ، سواء قيل بأنه المعنى أو اللفظ أو مجموعهما ... واعتبر النزول بمعنى الإعلام !! متجاهلا ما ورد في كتاب الله تعالى ، وسنة رسوله ﷺ ، وما أثر عن سلف الأمة ، بل وما هو معروف من كلام العرب في لغتهم !!

و بعد أن عرفت قول المؤلف في معنى النزول ، اعلم "أن كثيراً من الناس ، فسروا النزول في مواضع من القرآن ، بغير ما هو معناه المعروف ، لا شتباه المعنى في تلك المواضع ، وصار ذلك حجة لمن فسر نزول القرآن بتفسير أهل البدع

١ـ المناهل (١/٣٤) .

فمن الجهمية من يقول : أنزل بمعنى خلق . كقوله تعالى : ﴿وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد﴾(١) أو يقول : خلقه في مكان عال ، ثم أنزله من ذلك المكان .

و من الكُلابية من يقول : نزوله بمعنى الإعلام به وإفهامه للملك ، أو نزول الملك بما فهمه . وهذا الذي قالوه باطل في اللغة ، والشرع والعقل ، كما سبق .

و المقصود هنا أن النزول ... في كتاب الله عز وجل "ثلاثة أنواع" وهي :

١ـ نزول مقيد بأنه منه .

٢ـ نزول مقيد بأنه من السماء .

٣ـ نزول غير مقيد ، لا بهذا ، ولا بهذا .

فالأول لم يرد إلا في القرآن ، كما قال تعالى ﴿والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق﴾ (٢) وقال تعالى : ﴿قل نزله روح القدس من ربك بالحق﴾ (٣) وقال تعالى ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾ (٤)

و التنزيل بمعنى المنزل ، تسمية للمفعول باسم المصدر ، وهو كثير ، ولهذا قال السلف : القرآن كلام الله ، ليس بمخلوق ، منه بدأ . وقال أحمد وغيره : وإليه يعود ...

و أما المنزل المقيد بالسماء : فقوله : ﴿فأنزلنا من السماء ...﴾ (٥) ، والسماء اسم جنس لكل ماعلا ، فإذا قيد بشيء معين تقيد به ، فقوله في غير موضع : ﴿من السماء﴾ مطلق . أي في العلو . ثم قد بينه في موضع آخر بقوله ﴿أأنتم أنزلتموه من المزن﴾ (٦) ، وقوله ﴿فترى الودق يخرج من خلاله﴾ (٧) أي أنه منزل من السحاب .

و مما يشبه نزول القرآن ، قوله : ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده﴾ (٨) ، فنزول الملائكة هو نزولهم بالوحي من أمره الذي هو كلامه ،

١ـ الحديد : ٢٥ .

٢ـ الأنعام (١١٤) .

٣ـ النحل (١٠٢) .

٤ـ الزمر (١) .

وكذلك قوله : ﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ (١) ، يناسب قوله : ﴿فيها يفرق كل أمر حكيم أمراً من عندنا إنا كنا مرسلين﴾ (٢) فهذا شبيه بقوله : ﴿قل نزله روح القدس ...﴾ (٣)

و أما المطلق ففي مواضع : منها : ما ذكره من إنزال السكينة بقوله : ﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين﴾ (٤) ، وقوله ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين﴾ (٥) إلى غير ذلك ...

و الملائكة قد تنزل على قلوب المؤمنين بالسكينة كقوله : ﴿إذ يوحي ربك إلى الملائكة أني معكم فثبتوا الذين آمنوا﴾ (٦) ، فذلك الثبات نزل في القلوب بواسطة الملائكة ، وهو السكينة .... ومنه حديث حذيفة رضي الله عنه الذي في الصحيحين ، عن النبي ﷺ ، قال : "إن الله أنزل الأمانة في جذر قلوب الرجال ، فعلموا من القرآن وعلموا من السنة ..." (٧) .

و الأمانة : هي الإيمان ، أنزلها في أصل قلوب الرجال ؛ وهو كإنزال الميزان والسكينة ... ؛ فقد تبين أنه ليس في القرآن ، ولا في السنة ، لفظ نزول إلا وفيه معنى النزول المعروف ، وهذا هو اللائق بالقرآن ، فإنه نزل بلغة العرب ، ولا تعرف العرب نزولا إلا بهذا المعنى ، ولو أريد غير هذا المعنى ، لكان خطاباً بغير لغتها ، ثم هو استعمال للفظ المعروف له معنى في معنى آخر ، بلا بيان ، وهذا لا يجوز بما ذكرنا ، وبهذا يحصل مقصود القرآن ، واللغة الذي أخبر الله تعالى أنه بينه ، وجعله هدى للناس ..." (٨).

٨- النحل (٢) .

١- القدر (٤) .

٢- الدخان (٤) .

٣- النحل (١٠٢) .

٤- التوبة (٢٦) .

٥- الفتح (٤) .

٦- الأنفال (١٢) .

٧- أحمد (٢٨٢/٥) ، البخاري الرقاق : (٢٥) ، فتن:(١٢) الإعتصام : (٢) ، مسلم : الإيمان : (٢٢٠) ، الترمذي : الفتن : (١٧) ، ابن ماجة: الفتن (٢٧) .

٨- ما بين الاقواس من كلام ابن تيمية "بتصرف يسير" الفتاوى (٢٤٦/١٢ ـ ٢٥٧) وانظر أيضاً كلامه رحمه الله في المجلد (١٢/ص ١١٨) فما بعدها ، و(جـ ١٥/٢٢١) .

والآيات الدالة على نزول القرآن ـ أو غيره من الوحي ـ كثيرة جداً ، حيث تقارب خمسين ومائة آية ؛ كقوله تعالى ﴿نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ...﴾(١) والروح الأمين : هو جبريل ﷺ ، كما جاء ذلك عن جماعة من السلف ، وقد جاءت هذه الأوصاف له في مواضع من القرآن كقوله عز وجل : ﴿فأرسلنا إليها روحنا ...﴾(٢) وكقوله : ﴿مطاع ثم أمين﴾(٣) .

و قال تعالى : ﴿ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده ...﴾(٤) . قال ابن كثير رحمه الله : (اي الوحي) اهـ .(٥) وكقوله تبارك وتعالى ﴿الله الذي خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن﴾(٦) وغير هذه الآيات كثير جداً ـ قد قدمنا بعضها فيما سبق ـ وكلها دالة على المعنى الذي ذكرت آنفا .

و لكي تعلم علماً لا يخالطه ريب ، بطلان ما ذهب إليه المؤلف : قدِّر (الإعلام) في هذه الآيات وأشباهها في موضع (الإنزال) ، ثم انظر كيف يكون التحريف لكتاب الله تبارك وتعالى بأسوأ أحواله وأبشع صوره . وهذا مما لا يُحتاج فيه إلى تكلف أو تمعن ، بل يتضح لمن له أدنى بصيرة .

و لكن إذا كان العقل أصلا ومصدراً مقدماً في التلقي على الوحي ، وقعت أمثال هذه الغرائب ، وحُرفت النصوص من أجل تقرير مذهب فاسد لا يقوم على مستند من الوحي .

و قد كان هذا الأمر ـ أعني مجيء الوحي من السماء ، ونزوله منها ـ معلوماً عند أهل الكتاب ؛ بل حتى عند العرب في حال شركهم وجاهليتهم ، ولهذا فقد سأل أهل الكتاب النبي ﷺ أن ينزل عليهم كتاباً من السماء يقرؤونه ، كما أخبر الله تعالى عن مطلبهم هذا بقوله : ﴿يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء ...﴾ (٧).

---

١ الشعراء (١٩٣) .

٢- مريم (١٧) .

٣- التكوير (٢١) .

٤- النحل (٢) .

أما المشركون : فقد طلبوا منه أموراً منها : ما ذكر الله بقوله : ﴿... أو ترقى في السماء ، ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه ...﴾(١) مع أنهم كانوا يقولون ذلك تعنتاً كما بين الله تعالى ذلك بقوله : ﴿ولو نزلنا عليك كتاباً في قرطاس فلمسوه بأيديهم لقال الذين كفروا ان هذا إلا سحر مبين﴾ (٢) كما أنهم أرادوا نزول الملك ، كما جاء في قوله تعالى مخبراً عنهم : ﴿قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة فإنا بما أرسلتم به كافرون﴾ (٣) ، و﴿ولو شاء الله لأنزل ملائكة﴾(٤) ، ﴿لولا أنزل عليه ملك﴾(٥) ، ﴿لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً﴾ (٦) ، ﴿وقال الذين لا يرجون لقائنا لولا أنزل علينا الملائكة﴾ (٧) والمراد بهذا كله نزول الملائكة من أعلى ؛ ولذا جاء في الجواب التصريح بذكر السماء بمثل قوله : ﴿قل لو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولا﴾(٨) وقد قال البخاري رحمه الله في صحيحه : "باب قول الله تعالى : ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾(٩) وقوله جل ذكره : ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾(١٠) ، وقال أبو حمزة(١١) عن ابن عباس : بلغ أبا ذر مبعث النبي ﷺ فقال لأخيه : اعلم لي علم هذا الرجل الذي يزعم أنه يأتيه الخبر من السماء (١٢)و من الأدلة على ذلك من السنة

١ـ الأسراء (٩٣) .

٢ـ الأنعام (٧) .

٣ـ فصلت : (١٤) .

٤ـ المؤمنون (٢٤) .

٥ـ الأنعام (٨) .

٦ـ الفرقان (٧) .

٧ـ الفرقان (٢١) .

٨ـ الإسراء (٩٥) .

٩ـ المعارج : (٤) .

١٠ـ فاطر : (١٠) .

١١ـ هو نصر بن عمران بن عصام الضبعي ، بضم المعجمة وفتح الموحدة بعدها مهملة ، أبو حمزة ، البصري ، نزيل خراسان . توفي سنة (١٢٨)هـ . التقريب (٢/ص٣٠) .

١٢ـ صحيح البخاري (٨/ص١٧٧) ، كتاب (٩٧) باب (٢٣) . وانظر مختصر العلو رقم (٣٩) .

ما رواه النواس بن سمعان (١) عن النبي ﷺ أنه قال : "إذا أراد الله عز وجل أن يوحي بالأمر ، تكلم بالوحي ، أخذت السماوات منه رجفة ، أو قال : رعدة شديدة خوفاً من الله ، فإذا سمع بذلك أهل السماوات ، صعقوا ، وخروا لله سجداً ، فيكون أول من يرفع رأسه جبريل ، فيكلمه الله من وحيه بما أراد ، ثم يمر جبريل على الملائكة ، كلما مر بسماء ، سماء ، سأله ملائكتها ، ماذا قال ربنا يا جبريل ؟!" فيقول جبريل ـ عليه السلام ـ قال الحق وهو العلي الكبير .... فينتهي جبريل بالوحي حيث أمر الله" (٢) .

و قد جاء نحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعاً(٣) ، وموقوفاً (٤) ، وأبي هريرة مرفوعاً(٥) وروي أيضاً عن الشعبي(٦) والضحاك(٧) ، وابن عباس(٨) مختصراً .

و جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أيضاً ، أنه قال : "كان رسول الله ﷺ جالساً في نفر من أصحابه ـ قال عبد الرازق ـ "من الأنصار" ، فرمى بنجم عظيم فاستنار . قال : ما كنتم تقولون إذا كان مثل هذا في الجاهلية ؟! قال : كنا نقول : يولد عظيم ، أو يموت عظيم ... ـ إلى قوله ﷺ ـ ولكن ربنا تبارك اسمه ، إذا قضى أمراً سبح حملة العرش ، ثم سبح أهل السماء الذين يلونهم ، حتى يبلغ التسبيح هذه السماء الدنيا ، ثم يستخبر أهل السماء الذين يلون حملة العرش

١ـ النواس بن سمعان هو النواس بن سمعان بن خالد الكلابي ، أو الأنصاري صحابي جليل سكن الشام . التقريب (٣٠٨/٢) .

٢ـ التوحيد لابن خزيمة رقم (٢٠٦) ، الأسماء والصفات للبيهقي (ص ٢٦٤ ، ٢٦٥) . وهو عند الطبراني في الكبير .

٣ـ سنن أبي داود مع عون المعبود (٦٥/١٣ـ٦٧) ، التوحيد لابن خزيمة رقم (٢٠٧) ، الأسماء والصفات للبيهقي (ص ٢٦٢، ٢٦٣) ، صحيح سنن أبي داود رقم ٣٩٦٤ .

٤ـ صحيح البخاري مع الفتح (٤٥٢/١٣) ، التوحيد لابن خزيمة رقم (٢٠٨ـ٢١١) ، الأسماء والصفات (ص٢٦٢) ، جامع الأصول رقم (٧٤٤) .

٥ـ البخاري مع الفتح (٤٥٣/١٣، ٣٨٠، ٥٣٧/٨) ، والترمذي رقم (٣٢٢٣) ، وابن ماجه رقم (١٩٤) وابن خزيمة في التوحيد رقم (٢١٢) ، الأسماء والصفات (٢٦١) ، وانظر جامع الأصول رقم (٧٧٣) .

فيقول الذين يلون حملة العرش : ماذا قال ربكم ؟! فيخبرونهم . ويخبر أهل كل سماء سماء ، حتى ينتهي الخبر إلى هذه السماء ويخطف الجن السمع ..."(١)

و ثبت عنه أيضاً رضى الله عنه ، أنه قال : بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ ، سمع نقيضاً من فوقه ، فرفع رأسه فقال : هذا باب من السماء فتح اليوم . لم يفتح قط إلا اليوم . فنزل منه ملك فقال : هذا ملك نزل إلى الأرض ، لم ينزل قط إلا اليوم ، فسلم وقال : أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي قبلك ، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة ...."(٢) ومن ذلك حديث أبي سعيد رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : "ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء ، يأتيني خبر السماء صباحاً ومساء" (٣) .

و أيضاً حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال : "كنت أمشي مع النبي ﷺ في حرث بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب ، فمر بنفر من اليهود ، فقال بعضهم : لو سألتموه ! فقال بعضهم : لا تسألوه ، فإنه يسمعكم ما تكرهون . فقالوا : يا أبا القاسم حدثنا عن الروح . فقام النبي ﷺ ساعة ، ورفع رأسه إلى السماء ، فعرفت أنه يوحى إليه ، حتى صعد الوحي ، ثم قال : "الروح من أمر ربي ، وما أوتيتم من العلم إلا قليلا"(٤) . ومثل هذا الأمر أوضح وأجلى من أن تساق له الأدلة :

"وليس يصح في الأذهان شيء ... ...إذا احتاج النهار إلى دليل" .

و لكنا هنا نشير إليها إشارات عابرة ، لكثرتها ... وبهذا تكون قد عرفت أن النزول للقرآن هو نزول حقيقي ، وليس بمجازي . وما توهمه المؤلف ـ رحمه الله ـ من استلزام ذلك للجسمية مبني على مذهب الأشعرية والكلابية من إنكار العلو لله عز وجل ، فهم لا يثبتون له العلو لأنهم يرون أن ذلك يستلزم إثبات الجهة والمكان ،

١- الإمام أحمد في المسند (٢١٨/١) واللفظ له،ومسلم رقم (٢٢٢٩)،والترمذي رقم (٣٢٢٤)،والأسماء والصفات (ص ٢٦٤) ، ومختصر العلو رقم (١٩) .

٢- رواه مسلم باب (٤٣) ، حديث رقم (٢٥٤) .

٣- البخاري في المغازي باب (٦١) ، مسلم في الزكاة حديث (١٤٤) .

٤- أحمد (٢٥٥/١) عن ابن عباس ، وحديث ابن مسعود (٤٤٤،٤١٤٣٨٩/١) ، والبخاري : كتاب الاعتصام : باب (٨،٣) ، كتاب العلم ، باب (٤٧) ، تفسير سورة الإسراء باب (١٣) ، كتاب التوحيد باب (٢٩،٢٨) ومسلم في صفات المنافقين رقم (٢٧٩٤) ، والترمذي رقم (٣٣٦٢،٣٣٦١) ، وانظر صحيح الترمذي رقم (٢٥١١) ، والواحدي (ص ٢٢٠) ، والسيوطي في أسباب النزول (ص ١٧٣) .

وهذا لا يلزم ، لأنا نقول : إن علوه سبحانه ليس كعلو خلقه ، وكذلك نزوله سبحانه إلى السماء الدنيا ، أو نزول القرآن منه ، ليس كنزول المخلوقين ، فلا مشابهة .

و سيأتي الكلام على صفة العو قريباً إن شاء الله تعالى . وبهذا تعلم أن ما ذكره المؤلف باطل بما ذكرنا من الأدلة ، ﴿أأنتم أعلم أم الله﴾ ؟ وقد ورد . النزول والعروج وأشباه ذلك في الكتاب والسنة لأمور كثيرة ومتنوعة ، كالسكينة في قوله تعالى : ﴿ثم أنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين ...﴾ (١) ، وقوله : ﴿فأنزل الله سكينته عليه ...﴾ (٢) ، وقوله : ﴿هو الذي أنزل السكينة في قلوب المؤمنين ...﴾ (٣) . وقد قال تعالى ﴿يعلم ما يلج في الأرض ، وما يخرج منها ، وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ...﴾ (٤) .

و من المعلوم أن مما يعرج من الأرض أرواح بني آدم ، كما جاء ذلك أيضاً في أحاديث متعددة كحديث البراء ـ الطويل ـ : "خرجنا مع النبي ﷺ في جنازة رجل من الأنصار ... ثم يجيء ملك الموت عليه السلام ، حتى يجلس عند رأسه فيقول : أيتها النفس الطيبة ، اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان ، قال : فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فيّ السقاء ، فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين ، حتى يأخذوها ، فيجعلوها في ذلك الكفن .. قال فيصعدون بها فلا يمرون ـ يعني بها ـ على ملأ من الملائكة ..." (٥) إلخ .

و مما يصعد أيضاً : الملائكة ، وأعمال بني آدم ، وغير ذلك .

قال تعالى : ﴿إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه﴾ (٦) قال ابن كثير : "يعني الذكر والتلاوة والدعاء . قاله غير واحد من السلف" اهـ وقال أيضاً :

١ـ التوبه (٢٦) .

٢ـ التوبة (٤٠) .

٣ـ الفتح (٤) .

٤ـ سبأ : (٢) ، الحديد (٤) .

: "وقوله تعالى ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ . قال علي بن أبي طلحة (١) ، عن ابن عباس رضي الله عنهما : "الكلم الطيب ذكر الله تعالى ، يصعد به إلى الله عز وجل ..." اهـ (٢)

قال ابن جرير : "وقوله ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ ، يقول تعالى ذكره : "إلى الله يصعد ذكر العبد إياه ، وثناؤه عليه ، ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ يقول : ويرفع ذكر العبد ربه إليه ، وعمله الصالح ، وهو العمل بطاعته .." اهـ (٣)

و قد صح عن النعمان بن بشير رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : "إن مما تذكرون من جلال الله : التسبيح والتهليل والتحميد ، ينعطفن حول العرش ، لهن دوي كدوي النحل ، تذكر بصاحبها . أما يحب أحدكم أن يكون له أو لا يزال له من يذكر به" (٤) .

وأخرج الطبري في تفسيره عن محمد بن إسماعيل الأحمسي قال : أخبرني جعفر بن عون عن عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي ، عن عبد الله بن المخارق عن أبيه المخارق بن سليم (٥) قال : قال لنا عبد الله : "إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله ؛ إن العبد إذا قال : سبحان الله وبحمده ، الحمد لله ، لا إله إلا الله ، والله أكبر ، تبارك الله ، أخذهن ملك ، فجعلهن تحت جناحيه ، ثم صعد بهن إلى السماء ! فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن ، حتى يحيي بهن وجه الرحمن ، ثم قرأ عبد الله : ﴿إليه يصعد

١ـ هو سالم ، مولى بني العباس ، سكن حمص ، أرسل عن ابن عباس ولم يره (والواسطة معروفة وهو مجاهد) ، توفي سنة (١٤٣هـ) وهو صاحب الصحيفة المشهورة باسمه في التفسير . التقريب (٣٩/٢) وطريقه عن ابن عباس صحيحة معلومة .

٢ـ تفسير ابن كثير (٥٤٩/٣) وانظر تفسير الطبري أيضاً (٢٢/ص١٢١) .

٣ـ تفسير الطبري (٢٢ : ١٢٠) .

٤ـ أحمد (٢٦٨/٤) ، وابن ماجة رقم (٣٨٠٩) [قال الألباني : "صحيح" . انظر صحيح ابن ماجة رقم (٣٠٧١)] والحاكم (٥٠٣/١) ، وقال : هذا حديث على شرط مسلم . وأقره الذهبي ، والذهبي في العلو ، انظر المختصر رقم (٣٢) .

٥ـ المخارق بن سليم الشيباني ، أبو قابوس ، مختلف في صحبته ، وذكره ابن حبان في ثقات التابعين . التقريب (٢٣٤/٢) .

الكلم الطيب ...﴾ (١) (٢) .

وقال الذهبي : وأخرج أبو أحمد العسال (٣)، بإسناد صحيح ، عن ابن مسعود أنه قال : " من قال سبحان الله ، والحمد لله ، والله أكبر ، تلقاهن ملك ، فعرج بهن إلى الله عز وجل فلا يمر بملأ من الملائكة ، إلا استغفروا لقائلهن ، حتى يحيي بهن وجه الرحمن عز وجل" . (٤) و ساق الطبري بإسناده ، إلى كعب الأحبار (٥) أنه قال : "إن لسبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، لدوياً حول العرش ، كدوي النحل ، يذكرن بصاحبهن ، والعمل الصالح في الخزائن"

١- الطبري (١٢٠/٢٢) .

٢- الكلام في سنده :

١- المخارق : قال في التقريب (٢٣٤/٢) : "مختلف في صحبته . وذكره ابن حبان في ثقات التابعين" . اهـ وفي التهذيب : "روى عنه ابناه : قابوس وعبد الله" اهـ (٦١/١٠) وانظر الثقات (٤٤٤/٥) ، الجرح والتعديل (٣٥٢/٨) ، التاريخ الكبير (٤٣٠/٧) .

٢- عبد الله بن المخارق : قال ابن أبي حاتم : كوفي روي عن أبيه مخارق بن سليم . روى عنه عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي ، وأبو العميس عتبة بن عبد الله ، وعبد الملك بن أبي عتبة . سمعت أبي يقول ذلك . وقال : ذكره أبي عن إسحاق بن منصور ، عن يحيي بن معين ، أنه سئل عن عبد الله بن المخارق بن سليم ، فقال : مشهور . [الجرح والتعديل (١٧٩/٥)] وذكره البخاري في تاريخه (٢٠٨/٥) وابن حبان في ثقاته (٥٤/٧) .

٣- عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي : قال الحافظ : "صدوق اختلط قبل موته . وضابطه : أن من سمع منه ببغداد فبعد الاختلاط" اهـ .. (التقريب ٤٨٧/١) ، التهذيب (١٩٠/٦) ، وابن عون ممن سمع منه قبل الاختلاط . راجع مقدمة ابن الصلاح ص (١٩٥) ، والعلل لاحمد : [النقرات (٥٧٥، ٤١١٤، ٥٠٤٣، ٥٠٨٣، ٥٨٣٦، ٦٠٢٤)] ونهاية الاغتباط (٢٠٥-٢١١) ، والكواكب النيرات (٢٨٢-٢٩٨) .

٤- جعفر بن عون : صدوق .

٥ - محمد بن إسماعيل الاحمسي : ثقة . ولا يخفى أن مثل هذا مما يتقوى بالشواهد والمتابعات ، وقد سبق حديث النعمان بن بشير بمعناه ، وسيأتي غيره بعده . وهو في حكم المرفوع .

٣- هو الإمام محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سليمان أبو أحمد العسال الاصبهاني ، ولد سنة (٢٦٧هـ) وتوفي سنة (٣٤٩هـ) . الأنساب (١٨٩/٤) ، سير أعلام النبلاء (٦/١٦) .

(١)و قد صح عن حذيفة رضى الله عنه ، مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال : يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب . حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ... وليسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة ، فلا يبقى في الأرض منه آية .." وهذا لفظ ابن ماجة . (٢)

فهذه النصوص صريحة في الصعود ، والنزول ، للكلام ، والذكر ونحوه وهي ترد فهم المؤلف وتبطله . بل قد ورد كثير من النصوص الدالة على أن القرآن يشفع لصاحبه ، ويخاصم عنه ، أو يخاصمه ، أيضاً ، ومن ذلك حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : إن سورة من القرآن ، ثلاثون آية ، شفعت لرجل حتى غفر له ، وهي "تبارك الذي بيده الملك" .(٣) ومن ذلك حديث ابن عمرو مرفوعاً : "الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة ، فيقول الصيام : أي رب : إني منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفعني فيه ، يقول القرآن : رب منعته النوم بالليل فشفعني فيه . فيشفعان ." (٤)و حديث أبي هريرة رضى الله عنه مرفوعاً : "يجيء صاحب القرآن يوم القيامة . فيقول القرآن : يارب حلِّه . فيلبس تاج الكرامة ، ثم يقول : يارب زده ، يارب ارض عنه ، فيرضى عنه . ويقال له : اقره وارقه ..." (٥) قالَ الترمذي : حسن صحيح .

١ـ تفسير الطبري (١٢٠/٢٢) . قال ابن كثير في تفسيره (٥٤٩/٣) : "وهذا إسناد صحيح إلى كعب الأحبار رحمة الله عليه ، وقد روى مرفوعاً" اهـ ثم ساق حديث النعمان . وذكره الذهبي في العلو [انظر المختصر رقم ١٠١] وصرح بثبوته عن كعب . وقال الألباني : أخرجهما أبو جعفر بن أبي شيبة ، في العرش ، بسندين صحيحين اهـ انظر كتاب العرش رقم (٤٤٤٣) .

٢ـ رواه ابن ماجة رقم (٤٠٤٩)[وانظر : صحيح ابن ماجة رقم ٣٢٧٣]والحاكم (٤٧٣/٤)،وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (٨٧) ، وتخريج صفة الفتوى ص (٢٨) ، وروى الدارمي نحوه موقوفاً على ابن مسعود برقم (٣٣٤٤ ، ٣٣٤٦) .

٣ـ الترمذي برقم ٣٠٦٥ [وانظر صحيح الترمذي رقم ٢٣١٥] ، وابن ماجة رقم (٣٧٨٦) [وانظر صحيح ابن ماجة رقم ٣٠٥٣] وابن حبان في صحيحه [انظر الإحسان (٨١/٢)] والحاكم في مستدركه (٤٩٧/٢) ، والمشكاة رقم (٢١٥٣) .

٤ـ الحاكم في المستدرك (٥٥٤/١) ، قال الهيثمي : حسن (انظر مجمع الزوائد ٣٨١/١٠) وقال (جزء ١٨١/٣) : "رواه أحمد والطبراني في الكبير ورجال الطبراني رجال الصحيح" . ا. هـ وهو مع أختلاف يسير جداً في اللفظ ، وقد ذكره عن ابن عمرو رضى الله عنهما في الموضعين .

٥ـ الترمذي (١٧٨/٥ [وانظر صحيح الترمذي ٩/٣] ، الحاكم (٥٥٢/١) ، كنز العمال (٥٢٠/١،٥٤١) ، صحيح الجامع (٣٢٤/٦) .

و أيضاً ما جاء عن ابن مسعود موقوفاً : "القرآن شافع مشفع ، وما حل مصدق .."(١) .

فعلى رأي المؤلف ، يكون هذا كله باطلاً ، ولا حقيقة له ، اللهم إلا معان مجازية ، أو تأويلات بعيدة ، بحجة أن ذلك يستلزم الجسمية والمكانية ... !! سبحانك هذا بهتان عظيم ؛ وهكذا ترد النصوص بمثل هذه الحجج ، وتكون الحجة في معان مخترعة ، ليس لها أساس ، لا من الشرع ولا اللغة ولا العرف !! كتفسير الإنزال هنا بالإعلام ... والله المستعان .

ب ـ في : «إثبات صفة العلو لله تعالى»

جاء في كلام المؤلف ـ على معنى نزول القرآن ـ ما يشير إلى أن علو الله تعالى إنما هو علو معنوي ، كما هو قول كثير من الأشعرية . وإليك كلامه : "... ويمكن أن يكون هذا التجوز من قبيل الاستعارة التصريحية الأصلية ، بأن يشبه إعلام السيد لعبده ، بإنزال الشيء من علو إلى سفل ، بجامع أن في كل من طرفي التشبيه صدوراً من جانب أعلى إلى جانب أسفل ، وإن كان العلو والسفل في وجه الشبه حسياً بالنسبة إلى المشبه به ، ومعنوياً بالنسبة إلى المشبه ..." ا. هـ (١) .

وهذه المسألة تعد من المسائل الكبار ـ بحق ـ والتي خالف فيها الجهمية أهل السنة والجماعة ، وإنما وقع ذلك بعد خلافة عمر بن عبد العزيز ـ رحمه الله ـ على يد الجعد بن درهم(٢) ، الذي قتله خالد بن عبد الله القسري(٣) ، يوم الأضحى ـ والقصة مشهورة ـ بعد خطبة العيد .

هذا وإني أجد نفسي ـ عند الكتابة في هذه المسألة ، وعند مراجعة ما كُتب فيها ـ متباطئاً أشد التباطؤ ، لشدة وضوحها ، وكثرة الأدلة عليها في الكتاب والسنة ، بل ومن الفطرة ، والعقل ؛ وما أكثر نصوص الأئمة فيها فما الذي أنقل هنا وما الذي أتركه ؟! ويتردد في النفس قول الشاعر :

و ليس يصح في الأذهان شيء إذا احتاج النهار إلى دليل .

و إن من المصادفات القليلة أني وقفت على كلام للحافظ الذهبي رحمه الله يصف التدليل على هذه المسألة بمثل ما وصفت هنا عند كلامه عليها في كتابه العلو حيث قال : "أنا أعد إيراد نصوص هذه المسألة للاحتجاج عياً ، أما سمعت قول القائل : وليس (٤) ... وذكره . !

---

١ المناهل (١/ص ٣٥) .

٢ـ الجعد بن درهم ، مؤدب مروان الحمار ، وهو من أهل الشام ، وهو شيخ الجهم بن صفوان ، وأول من ابتدع بأن الله ما أتخذ إبراهيم خليلا ولم يكلم موسى تكليماً . قتله خالد القسري يوم الأضحى . سير أعلام النبلاء (٥/٤٣٣) ، البداية والنهاية (١٠/١٩) .

٣ـ هو : أبو الهيثم ، خالد بن عبد الله بن يزيد بن أسد بن كرز البجلي القسري ، الدمشقي ، أمير العراقين لهشام . مات سنة (١٢٦هـ) . سير أعلام النبلاء (٥/٤٢٥) .

٤ـ مختصر العلو (ص ١٠٢) .

و قد صدق رحمه الله في هذا ، وما أبعد ...

و قد جاءت أكثر الكتابات في هذه المسألة على طريقة سرد الأدلة من الكتاب ، ثم السنة ، ثم من الفطرة ، ثم من المعقول ، ورأيت أن من أفضل من نوَّع الأدلة ـ من الكتاب والسنة ـ ورتبها ترتيباً حسناً ، ثم عقب ذلك بذكر الدليل الفطري والعقلي ، هو ابن أبي العز الحنفي رحمه الله في "شرحه للطحاوية" . فاستحسنت أن أورد هنا كلامه مختصراً ، وأكتفي بالتدليل على كل نوع من أنواع الأدلة على هذه المسألة بمثال أو مثالين . ثم أحيل بعد ذلك لبعض المراجع التي جاء فيها بيان هذه العقيدة ؛ وهذا أوان الشروع في المقصود فنقول :

اعلم أن أنواع الأدلة ـ من الأصلين ـ على علو الله عز وجل على خلقه ، تقارب العشرين نوعاً وهي :

١ ـ التصريح بالفوقية ، مقروناً بأداة "من" المعينة للفوقية بالذات ، كقوله تعالى : "يخافون ربهم من فوقهم" (١) .

٢ ـ ذكرها مجردة عن الأداة كقوله تعالى : ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ (٢) .

٣ ـ التصريح بالعروج نحو : ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ (٣) وقوله ﷺ : ﴿يعرج الذين باتوا فيكم فيسألهم ربهم﴾ . (٤) .

٤ ـ التصريح بالصعود إليه ، كقوله تعالى : ﴿إليه يصعد الكلم الطيب ...﴾ . (٥) .

٥ ـ التصريح برفعه بعض المخلوقات إليه : كقوله تعالى : ﴿بل رفعه الله إليه﴾ . (٦) وقوله ﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾ . (٧) .

٤ـ مختصر العلو (ص ١٠٢) .

١ـ النحل : (٥٠) .

٢ـ الأنعام : (١٨) .

٣ـ المعارج : (٤) .

٤ـ البخاري : المواقيت /(١٦) ، توحيد (٣٣،٢٣) ، بدء الخلق (٦) ، مسلم : مساجد (٢١٠) ، والنسائي في الصلاة (٢١) ، وأحمد (٢/٢٥٧،٣١٢،٤٨٦) .

٦ ـ التصريح بالعلو المطلق ، الدال على جميع مراتب العلو ، ذاتاً ، وقدراً ، وشرفاً ، كقوله تعالى : ﴿وهو العلي العظيم﴾ . (١) ، ﴿وهو العلي الكبير﴾ . (٢) .

٧ ـ التصريح بتنزيل الكتاب منه . كقوله تعالى : ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم﴾ . (٣) ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾(٤) .

٨ ـ التصريح باختصاص بعض المخلوقات بأنها عنده ، وأن بعضها أقرب إليه من بعض ، كقوله : ﴿إن الذين عند ربك ..﴾ (٥) ، ﴿وله من في السماوات والأرض ومن عنده ...﴾ (٦) ففرق بين (من له) عموماً ، وبين : (من عنده) من الملائكة ... خصوصاً .

٩ ـ التصريح بأنه تعالى في السماء ، وهذا عند المفسرين من أهل السنة على أحد وجهين : إما أن تكون "في" بمعنى "على" ، وإما أن يراد بالسماء : العلو . ولا يختلفون في ذلك ، ولا يجوز الحمل على غيره .

١٠ ـ التصريح بالاستواء مقروناً بأداة "على" مختص بالعرش ، الذي هو أعلى المخلوقات ، مصاحباً في الأكثر لأداة "ثم" ، الدالة على الترتيب ، والمهلة .

كقوله : ﴿ثم استوى على العرش﴾ (٧) ، وذلك في سبعة مواضع من القرآن العظيم .

١١ ـ التصريح برفع الأيدي إلى الله تعالى ، كقوله صلى الله عليه وسلم "إن ربكم حيي كريم ، يستحي من عبده أن يرفع إليه يديه ، فيردهما صفراً" (٨) .

١٢ ـ التصريح بنزوله كل ليلة إلى سماء الدنيا ، والنزول المعقول عند جميع

١ـ البقرة : (٢٥٥) .

٢ـ الحج (٦٢) .

٣ـ غافر : (٢) .

٤ـ الزمر : (١) .

٥ـ الأعراف : (٢٠٦) .

٦ـ الأنبياء : (١٩) .

٧ـ الأعراف : (٥٤) .

٨ـ بلفظ مقارب عند الترمذي [الدعوات (١١٨) ، صحيح الترمذي (١٧٩/٣) ، وأبو داود (الوتر : ٢٣) ، وابن ماجة في (الدعاء ١٣)صحيح ابن ماجة (٣٣١/٢) .

الأمم ، إنما يكون من علو إلى سفل . كقوله ﷺ : "ينزل ربنا .... " الحديث . (١) .

١٣ ـ الإشارة إليه حساً إلى العلو ، كما أشار إليه من هو أعلم بربه ، وبما يجب له ، ويمتنع عليه ، من جميع البشر ، لما كان بالمجمع الأعظم ، الذي لم يجتمع لأحد مثله ، في اليوم الأعظم ، في المكان الأعظم ، حيث قال لهم : "أنتم تُسألون عني ، فما أنتم قائلون ؟! قالوا ... فقال بأصبعه السبابة يرفعها إلى السماء .... قائلا : اللهم اشهد ..." . (٢) .

١٤ ـ التصريح بلفظ : "الأين " كقول أعلم الخلق به ، وأنصحهم لأمته ، وأفصحهم بياناً عن المعنى الصحيح بلفظ لا يوهم باطلا بوجه : "أين الله" (٣) .

١٥ ـ شهادته ﷺ ، لمن قال إن ربه في السماء ، بالإيمان .

١٦ـ إخباره تعالى عن فرعون أنه رام الصعود إلى السماء ، ليطلع إلى إله موسى فيكذبه فيما أخبره ، من أنه سبحانه فوق السماوات . فقال : ﴿يا هامان ابن لي صرحاً ...﴾(٤) فمن نفى العلو من الجهمية فهو فرعوني . ومن أثبته فهو موسوي محمدي .

١٧ ـ إخباره ﷺ أنه تردد بين موسى عليه السلام وبين ربه ليلة المعراج بسبب تخفيف الصلاة ، فيصعد إلى ربه ثم يعود إلى موسى ، عدة مرار (٥) .

١٨ ـ النصوص الدالة على رؤية أهل الجنة له تعالى ، من الكتاب ، والسنة ، وإخبار النبي ﷺ أنهم يرونه كرؤية الشمس ، والقمر ليلة البدر ، ليس دونه سحاب ، فلا يرونه إلا من فوقهم ... (٦) .

١ـ البخاري : كتاب التهجد باب (١٤) ، كتاب الدعوات ، باب (١٤) .

٢ـ وهذا من رواية مسلم : كتاب الحج باب (١٩/حديث ١٤٧) . وقد رواه البخاري بدون ذكر الشاهد هنا انظر : الحج باب (١٣٢) ، العلم : باب (٣٧) ، الأضاحي : باب : (٥) ، والفتن : باب (٨) ، والتوحيد باب : (٢٤) .

٣ـ الموطأ (حديث ١٤٦٤،١٤٦٥) . الطيالسي : (رقم ١١٠٥) ، الإيمان لابن أبي شيبة (رقم٨٤) ، المسند (٢/٢٩١،٤٤٧/٥،٤٤٨) مسلم (ك ٥/حديث ٣٣) ، السنة لابن أبي عاصم (برقم : ٤٨٩) ، البيهقي في الأسماء والصفات (ص ٥٣٢) ، وفي السنن (٧/٣٨٨) ورواه غيرهم .

الدليل الفطري :

إن الخلق بأجمعهم ، يرفعون أيديهم عند الدعاء ، ويقصدون جهة العلو بقلوبهم عند التضرع إلى الله تعالى . وقد ذكر محمد بن طاهر المقدسي(١) رحمه الله أن الشيخ أبا جعفر الهمداني حضر مجلس الأستاذ أبي المعالي الجويني، وهو يتكلم في نفي صفة العلو ، ويقول : كان الله ولا عرش ، وهو الآن على ما كان . فقال الشيخ أبو جعفر : أخبرنا ياأستاذ عن هذه الضرورة التي نجدها في قلوبنا ؟! فإنه ما قال عارف قط : ياألله ، إلا وجد في قلبه ضرورة لطلب العلو ، لا يلتفت يمنة ولا يسرة ، فكيف ندفع بهذه الضرورة عن أنفسنا ؟! قال : فلطم أبو المعالي على رأسه ونزل ، وأظنه قال : وبكى !! وقال : حيرني الهمداني حيرني !! أراد الشيخ : أن هذا أمر فطر الله عباده عليه ، من غير أن يتلقوه من المرسلين ، يجدون في قلوبهم طلباً ضرورياً يتوجه إلى الله ويطلبه في العلو .(٣)

الدليل العقلي :

أما ثبوت ذلك بالعقل ، فمن وجوه :

الأول : العلم البديهي القاطع بأن كل موجودين إما أن يكون أحدهما سارياً في الآخر ، قائما به ، كالصفات ، وإما أن يكون قائماً بنفسه ، بائناً من الآخر .

الثاني : أنه لما خلق العالم ، فإما أن يكون خلقه في ذاته أو خارجاً عن ذاته .

و الأول باطل . أما أولا : فبالاتفاق على بطلانه .

أما ثانياً : فلأنه يلزم أن يكون محلا للخسائس ، والقاذورات ، تعالى الله عن ذلك علواً عظيماً .

٦- شرح العقيدة الطحاوية (٢٣٨ ـ ٢٤٠) .

١- هو : محمد بن طاهر بن علي بن أحمد ، الإمام الحافظ ، الجوال الرحال ، ذو التصانيف ، أبو الفضل ابن أبي الحسين بن القيسراني ، المقدسي ، الأثري ولد ببيت المقدس في شوال سنة (٤٠٨ هـ) . وتوفي ببغداد منصرفاً من الحج ، في آخر ربيع الأول سنة (٥٠٧ هـ) . سير أعلام النبلاء (١٩/٣٦١) .

٣- شرح الطحاوية (٢٤٣) .

والثاني يقتضي كون العالم واقعاً خارج ذاته ، فيكون منفصلا فتعينت المباينة ، لأن القول بأنه غير متصل بالعالم ، وغير منفصل عنه ، غير معقول .

الثالث : أن كونه تعالى لا داخل في العالم ولا خارجه ، يقتضي نفي وجوده بالكلية ، لأنه غير معقول ، فيكون موجوداً إما داخله وإما خارجه ، والأول باطل . فتعين الثاني ، فلزمت المباينة (١) .

و من سمع أحاديث النبي ﷺ وكلام السلف وجد منه في إثبات هذه الصفة ما لا ينحصر . ولا ريب أن الله سبحانه لما خلق الخلق ، لم يخلقهم في ذاته المقدسة ، تعالى الله عن ذلك ، فإنه الأحد الصمد ... فتعين أنه خلقهم خارجاً عن ذاته ، ولو لم يتصف سبحانه بفوقية الذات ، مع أنه قائم بنفسه غير مخالط للعالم ، لكان متصفاً بضد ذلك ، لأن القابل للشيء ، لا يخلو منه أو من ضده ، وضد الفوقية السفول ، وهو مذموم على الإطلاق ، لأنه مستقر إبليس وأتباعه وجنوده ... وإذا كان صفة العلو والفوقية ، صفة كمال لا نقص فيه ، ولا يستلزم نقصاً ، ولا يوجب محذوراً ، ولا يخالف كتاباً ولا سنة ، ولا إجماعاً ، فنفي حقيقته يكون عين الباطل والمحال الذي لا تأتي به الشريعة أصلا . فكيف إذا كان لايمكن الإقرار بوجوده ، وتصديق رسله ، والإيمان بكتابه ، وبما جاء به رسوله ﷺ إلا بذلك ؟ فكيف إذا انضم إلى ذلك شهادة العقول السليمة ، والفطر المستقيمة ؟! (٢) .

فائدة :

صنف كثير من أهل العلم قديماً وحديثاً في مسألة العلو مصنفات خاصة ومن ذلك : ١ ـ كتاب العرش/ للحافظ محمد بن عثمان بن أبي شيبة (١).

٢ ـ إثبات صفة العلو لابن قدامة المقدسي .

٣ ـ الرسالة العرشية لشيخ الإسلام ابن تيمية .

٤ ـ العلو للعلي الغفار للذهبي .

و من المعاصرين "الشيخ حمود التويجري ، في رسالة سماها [إثبات علو الله ومباينته من خلقه] . وكل هذه الكتب مطبوعة ومتداولة ... وهناك غيرها كثير ... وإنما أردت التمثيل .

أما المؤلفات في موضوعات العقيدة المتنوعة ، فلا يكاد يخلو كتاب منها من الكلام في هذه المسألة ... ومن أفضل من جمع شتاتها ونقل كلام أهل العلم فيها العلامة ابن القيم رحمه الله في نونيته . حيث وضع فيها فصلا بعنوان : "فصل في الرد على الجهمية المعطلة القائلين بأنه ليس على العرش إله يعبد ، ولا فوق السماوات إله يُصلى له ويُسجد ، وبيان فساد قولهم عقلا ، ونقلا ، ولغة ، وفطرة" . وقد عرض في هذا الفصل لذكر الأدلة النقلية المتنوعة ـ التي تبلغ واحداً وعشرين نوعاً ـ والتي ذكرها شارح الطحاوية كما سبق . ونقل أيضاً إجماع الرسل على الفوقية عن جماعة من أهل العلم . وكذا نقل إجماع أهل العلم على القول بالعلو لله تعالى ... ونقل الإجماع عن جمع غفير جداً منهم ...(٢) .

١ـ هو أبو جعفر العبسي ، الكوفي ، إمام حافظ مسند ، توفي سنة (٢٩٧هـ) . السير (١٤/٢١).

٢ـ انظر النونية من (ص ٨٢ إلى ص ٩٦) .

المسألة الثانية : أهمية مسائل العقيدة ، وخطورة الانحراف في فهمها .

تحت عنوان "كيفية أخذ جبريل للقرآن ، وعمن أخذ" ، نقل المؤلف رحمه الله جملة من الأقوال المختلفة في هذه المسألة ، وبعد أن فرغ من ذلك عقب بقوله : "وأياً ما تكن هذه الأقوال ، فإن هذا الموضوع لا يتعلق به كبير غرض ، ما دمنا نقطع بأن مرجع التنزيل هو الله تعالى وحده" . اهـ(١) .

هكذا قال ! فالأمر سهل عنده !! سواء قلنا أن جبريل سمعه من الله ، أم أنه أخذه من الحفظة ، أم أنه أخذه من الهواء ، أو اللوح ، أو غير ذلك من الأقوال العجيبة في هذه المسألة الخطيرة العظيمة ، والتي تتعلق بصفة الرب تبارك وتعالى ـ وهي الكلام ـ وبالأصل العظيم للتشريع في هذا الدين !

كيف يكون الخلاف في مثل هذه القضية أمراً سهلا ؟!

إن خلافاً في مسائل الاعتقاد ليس كخلاف في غيرها ؛ فالأمر فيها أجل وأعظم .

كيف لا والنبي ﷺ قد اعتبر جميع الفرق المختلفة فيه في النار إلا واحدة !!

ولا يخفى ما للخلاف في هذه الأمور ـ بالذات ـ من تأثير بالغ في التفرقة بين الخلق ، والجفوة بينهم . ورحم الله أبا عثمان الرازي(٢) (ت ٢٩٨ هـ) حينما قال : "من خالف عقده عقدك خالف قلبه قلبك" . (٣).

إن المعتقدات التي يعتقدها الإنسان ، تكون هي الأصل والأساس لجميع أفكاره وتصرفاته ، وهي الدافع الحقيقي لها ، وبهذه المعتقدات يزن الأمور ، ويقوّم الأشياء ، ويوازن بينها ، وبها يحدد الأسس والمعايير ، للصواب والخطأ ، والحق والباطل ؛ لأنه أسيرها الذي لا تطلقه ، ورقيقها الذي لا تعتقه ؛ ولم تقم الأديان والمذاهب ، إلا على العقائد .

١- المناهل: ٤١/١ .

فإذا استقامت معتقدات الإنسان ، انجلت كثير من الشكوك والإشكالات المحيرة ، التي تعترضه ، وتعتريه ، وتقف في طريقه ، ووجد السعادة والراحة والطمأنينة والأمان ، واتجه بعقله وقلبه وجوارحه إلى معبوده وخالقه فعبده .

أما إذا كانت المعتقدات غير سليمة ، فإن صاحبها يبقى في قلق دائم ، وحيرة واضطراب ، يتخبط يميناً وشمالا ، لا يدري أحياناً ما يعبد ، وإلى من يصلي ويسجد ؟! لا يعرف إلى من يتوجه عند سؤاله وحاجته ...

و إذا أردت أن تعرف حقيقة هذا الكلام وثبوته ، فانظر إلى حال بعض من بلغ في البحث غايته ، ودرس المذاهب والمقالات ، وهو لا يزداد في هذا كله إلا حيرة وشكاً !!

و قد صور أحدهم حاله بقوله :

نهاية إقدام العقول عقال وغاية سعي العالمين ضلال

و أرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال

و لم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

إلى آخر الأبيات . ثم قال : "لقد تأملت الطرق الكلامية والمناهج الفلسفية فما رأيتها تشفي عليلا ، ولا تروي غليلا ..." .(١)و قال الآخر مصوراً حال أمثال هؤلاء الحيارى :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقن أو قارعاً سن نادم

وقال أحدهم وهو في ساعة الاحتضار لبعض جلسائه : ما تعتقده ؟! قال ما يعتقده المسلمون . فقال : وأنت منشرح الصدر لذلك ، مستيقن به ؟ فقال : نعم . فقال : اشكر الله على هذه النعمة ؟ لكني والله ما أدري ما أعتقد ، والله ما أدري ما أعتقد ، والله ما أدري ما اعتقد . وبكى حتى أخضل لحيته .

وقال الآخر : "أضطجع على فراشي وأضع اللحفة على وجهي ، وأقابل بين

---

١ ـ شرح الطحاوية ١٥٧ ، والفتاوى ٤/٧٢ ، ٧٣ ، درء التعارض ١/١٥٩ ـ ١٦٠ ، النبوات ٨٤ ـ ٨٥ ، شرح حديث النزول ١٧٦ المنار المنيف ٨٥ ، اجتماع الجيوش ٣٠٥ .

حجج هؤلاء وهؤلاء ، حتى يطلع الفجر ، ولم يترجح عندي منها شيء" !! (١)

هؤلاء ليسوا من العامة ، بل إنهم أساطين ، يقتدي خلق كثير من الناس بهم إلى هذه الساعة ! ... لا يدري بعضهم ما يعتقد !!

و الأمثلة أكثر من أن تحصر ، وإنما أردنا التمثيل فقط لمثل حال هؤلاء .

كم من الفرق بين من يعتقد أن معبوده متصف بالعلو ، وبين من لا يدري أين هو . أو يزعم أنه في كل مكان ، أو يصفه بصفة المعدوم ، فهو عنده لا فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال ولا داخل العالم ....إلخ الكلام المعروف عند بعضهم !!

و كم من الفرق العظيم بين من يقرأ القرآن ، وهو معتقد أنه كلام الله تعالى ، لفظه ومعناه ، وبين من يعتقد أنه كلام أحد من الخلق ؟!

من هنا تبين ما جر إليه مذهب الأشاعرة والكلابية في صفة الكلام ، وصفة العلو ، من الاختلاف حول هذا القرآن ، هل هو كلام الله ؟ أم الدال على كلام الله ؟ ومنهم من يقول : إنه من تعبير جبريل ، ومنهم من يقول : من تعبير محمد ﷺ ، وهذا معناه التشكيك في مصدر القرآن ، فكيف يستقيم قول المؤلف رغم هذا كله ؟!

إن معرفة الله تبارك وتعالى ، بأسمائه وصفاته ، معرفة صحيحة ، مبنية على النقل الثابت ، هي نقطة البداية للإنسان في رحلته إلى ربه تبارك وتعالى . وإن الضلال عن الله جل جلاله ، والجهل به ، هو نقطه الضياع في الحياة الإنسانية .

إن معرفته تبارك وتعالى ، كالأس للبنيان ، لا يقوم إلا به ، ولا يعتمد إلا عليه ، فقوته وثبوته ، بقوته وثبوته ، وإن ضعفه واهتزازه ، يورث ضعف البناء وانهياره.

"وخلاصة الكلام وسلالة المرام أن العقائد الصحيحة ، وما يقويها من الأدلة الصريحة ، كما تؤثر في قلوب أهل الدين ، وتثمر كمال الإيمان واليقين ، كذلك العقائد الباطلة ، تؤثر في القلب ، وتقسيه ، وتبعده عن حضور الرب ، وتسوده ، وتضعف يقينه ، وتزلزل دينه ، بل هي أقوى أسباب سوء الخاتمة ، نسأل الله العفو والعافيه . ألا ترى أن الشيطان إذا أراد أن يسلب إيمان العبد بربه ، فإنه لا يسلبه

منه إلا بإلقاء العقائد الباطلة في قلبه" (١)

و لهذه الأمور وغيرها ، كان التوحيد ـ وتقويم مسائل الاعتقاد المنحرفة عند الناس ـ أول دعوة الرسل إلى أقوامهم ، فكلهم يقول : ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ (٢).

و قد مكث ﷺ في مكة ثلاث عشرة سنة ، يقرر هذا المبدأ ويدعو إليه ، ولم تنزل كثير من التشريعات ـ بل أكثرها ـ إلا في المدينة بعد الهجرة .

و قد أمرنا الله عز وجل ، بالتعرف عليه ، وذلك بمثل قوله : ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك﴾ (٣) فالعلم مقدم على القول والعمل . وقال تعالى : ﴿واعلموا أن الله سميع عليم﴾ (٤) ، وقال : ﴿اعلموا أن الله شديد العقاب ، وأن الله غفور رحيم﴾ . (٥)

فإذا عرف العبد أن له رباً رحيماً ، فإنه لا ييأس ، ولا يقنط ، وإذا علم أن ربه سميع عليم ، فإنه يراقبه ويتقيه ويخافه ... وهكذا تؤثر أسماء الرب وصفاته تعالى في قلوب معتقديها .

و لقد كانت السور والآيات التي تحدثت عن أسماءه وصفاته ، هي أعظم السور والآيات وأشرفها في القرآن الكريم . فكانت "قل هو الله أحد" تعدل ثلث القرآن (٦) ، وكانت آية الكرسي ، أعظم آية فيه (٧) وكانت سورة الفاتحة أم

١ـ ما بين الاقواس من كلام : ملا علي القاري ، من شرح الفقه الاكبر (ص١٠) .

٢ـ الأعراف : (٥٩،٦٥،٧٣،٨٥) ، هود (٥٠،٦١،٨٤)

٣ـ محمد (١٩) .

٤ـ البقرة (٢٤٤) .

٥ـ آل عمران (٩٨) .

٦ـ كما في عدد من الأحاديث الصحيحة . انظر ابن ماجة (رقم ٣٧٨٧،٣٧٨٨)،أبو داود (رقم ١٤٤٨) ، البخاري (كتاب/٦٦ ، باب/١٣) ، مسلم (كتاب/٦ ، باب/٤٥) ، الترمذي (رقم ٢٨٩٩ ، ٢٩٠٠) ، والنسائي (رقم ٩٩٦) .

٧ـ مسلم (رقم ٢٥٨) ، أبو داود (رقم ١٤٤٧) .

وأعظم سورة
القرآن (١) وأوله ترتيباً في المصحف ، وهي السبع المثاني ، (٢) ، ولها من المزايا على غيرها الشيء الكثير الطيب ، وهي مشتملة على أصول الإيمان ، وركائز التوحيد بأنواعه الثلاثه (الألوهية ، والربوبية ، والأسماء والصفات) والمعاد والنبوات .(٣) .

قال صديق حسن خان ـ رحمه الله ـ : "فاعلم أن فاتحة الكتاب العزيز ، التي يكررها كل مسلم ، في كل صلاة مرات ، ويفتتح بها التالي لكتاب الله ، والمتعلم له ، فيها الإرشاد إلى إخلاص التوحيد في ثلاثين موضعاً ..." (٤) ثم عدها .

بل إن القرآن كله يدور حول هذا المحور ـ التوحيد ـ وما أحسن ما قاله الشافعي رحمه الله ، معبراً عن هذا المعنى بقوله : "جميع ما تقوله الأمة شرح للسنة ، وجميع السنة شرح للقرآن ، وجميع القرآن شرح أسماء الله الحسنى ، وصفاته العليا" .(٥) .

وقد سمى أبو حنيفة ـ رحمه الله ـ ، معرفة مسائل الاعتقاد ، بالفقه الأكبر .

قال الشيخ ملاعلي القاري(٦) ـ رحمه الله ـ : "قال الإمام ... أبو حنيفة الكوفي رحمه الله ، في كتابه المسمى الفقه الأكبر ، المشار به إلى أنه ينبغي أن يكون الاهتمام به هو الأكثر لأنه مدار الإيمان ، ومبنى صحة الأركان ، ومعنى غاية الإحسان ، ونهاية العرفان ..."(٧) اهـ

و قال أيضاً : "فابتداء كلامه سبحانه وتعالى في الفاتحة بـ ﴿الحمد لله رب

١- الدارمي (رقم ٣٣٧٦،٣٣٧٧) ، أبو داود (رقم ١٤٤٤) ، الترمذي (رقم ٢٨٧٥،٣١٢٥،٣١٢٤) ، النسائي (رقم ٩١٣،٩١٤) .

٢- قال تعالى ﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثاني والقرآن العظيم﴾ (الحجر ٨٧) ، وانظر : البخاري (كتاب/٦٥ ، باب/١) ، كتاب (٦٦ ، باب ٩) وارجع أيضاً إلى المراجع المرقومة في الحاشية السابقة .

٣- راجع : التفسير القيم (ص ٧ـ٣٧) ، مدارج السالكين (١/٢٤ ـ ٣٦) ، نظرة في تاريخ العقيدة (ص ٥) ، التوحيد محور الحياة (ص ١٥ ـ ص ١٦) كلاهما للدكتور عمر الأشقر .

٤- الدين الخالص (١/٩ ـ ١٦) .

٥- البرهان للزركشي (١/٦) .

العالمين﴾ (١)، يشير ، إلى تقرير توحيد الربوبية ، المترتب عليه توحيد الألوهية ، المقتضى من الخلق تحقيق العبودية ، وهو ما يجب على العبد أولا من معرفة الله سبحانه وتعالى ... بل غالب سور القرآن وآياته متضمنة لنوعي التوحيد ، بل القرآن من أوله إلى آخره في بيانهما ، وتحقيق شأنهما ، فإن القرآن إما خبر عن الله ، وأسمائه ، وصفاته ، وأفعاله ، فهو التوحيد العلمي الخبري ، وإما دعوته إلى عبادته وحده لا شريك له ، وخلع ما يعبد من دونه ، فهو التوحيد الإرادي الطلبي ، وإما أمر ونهي وإلزام بطاعته فذلك من حقوق التوحيد ومكملاته ، وإما خبر عن إكرامه لأهل التوحيد وما فعل بهم في الدنيا ويكرمهم به في العقبى ، فهو جزاء توحيده ، وإما خبر عن أهل الشرك ، وما فعل بهم في الدنيا من النكال ، وما يحل بهم في العقبى من العذاب والسلاسل والأغلال ، فهو جزاء من خرج عن حكم التوحيد . فالقرآن كله في التوحيد وحقوق أهله وثنائهم ، وفي شأن ذم الشرك ، وعقوق أهله وجزائهم . فـ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ (٢)توحيد ﴿الرحمن الرحيم﴾، توحيد ... (٣) اهـ(٤).

قال شارح الطحاوية : "... فإنه لما كان علم أصول الدين أشرف العلوم ، إذ شرف العلم بشرف المعلوم ، وهو الفقه الأكبر بالنسبة إلى فقه الفروع . ولهذا سمى الإمام أبو حنيفة رحمه الله تعالى ، ما قاله وجمعه في أوراق من أصول الدين : "الفقه الأكبر" وحاجة العباد إليه فوق كل حاجة ، وضرورتهم إليه فوق كل ضرورة ، لأنه لا حياة للقلوب ، ولا نعيم ولا طمأنينة إلا بأن تعرف ربها ومعبودها وفاطرها بأسمائه وصفاته وأفعاله ، ويكون مع ذلك كله أحب إليها مما سواه ، ويكون سعيها فيما يقربها إليه دون غيره من سائر خلقه ... فاقتضت رحمة العزيز الرحيم أن بعث الرسل به معرفين ... وجعل مفتاح دعوتهم وزبدة رسالتهم ، معرفة المعبود سبحانه بأسمائه وصفاته وأفعاله ، إذ على هذه المعرفة تبنى مطالب الرسالة كلها ، من أولها إلى آخرها" اهـ(٥)و يقول الأستاذ محمد قطب : "... إن أوسع موضوعات القرآن

١ـ الفاتحة (١) .

٢ـ الفاتحة (١) .

٣ـ الفاتحة (٢) .

٤ـ شرح الفقه الاكبر للقاري (ص ١٦) وانظر نحوه أيضاً في شرح الطحاوية (ص ٣٥ـ٣٦)

٥ـ شرح الطحاوية (١٣) .

جميعاً هو موضوع الألوهية ، هو قضية لا إله إلا الله ... إنه يخطر لنا لأول وهلة أن تركيز القرآن ـ وخاصة في السور المكية ـ على هذه القضية سببه أن القرآن كان يخاطب بادىء ذي بدء قوماً مشركين ، يشركون مع الله آلهة أخرى ، فكان من المناسب التركيز على قضية "لا إله إلا الله" لتصحيح عقائد أولئك المشركين ، ولكن استمرار القرآن في الحديث عن هذه القضية في السور المدنية ، وفي الكلام الموجه للمؤمنين خاصة ، الذين آمنوا واستقر الإيمان في نفوسهم حتى أنشؤوا أمة مسلمة ، ودولة مسلمة ، وجيشاً مسلماً يقاتل في سبيل الله ... قاطع الدلالة على أن القضية لها أهميتها الذاتية ، حتى لو كان المخاطبون مؤمنين ، فالتركيز عليها ناشئاً من إنكار المخاطبين بهذا القرآن أول مرة ، إنما هو ناشىء من أنها هي المفتاح الذي يفتح القلوب البشرية للخير ، وينشىء فيها الخير ، ويربيها على الخير ، وينتج منها الخير! وأنه لا يوجد مفتاح آخر لهذه القلوب يهيئها لما تهيئها لها لا إله إلا الله ! وحيث تكون القلوب منكرة تخاطب بهذه القضية ... وحين تكون مؤمنة تخاطب بها كذلك ليتعمق الإيمان فيها ويتجدد ، لأنه الزاد الذي لا زاد سواه ." اهـ(١) .

وإن العناية بهذا الجانب عناية فائقة ، هو مسلك المرسلين ، وسبيل أهل السنة والجماعة . ومن عرف حال الصحابة وتابعيهم ، وحال أئمة الإسلام المرضيين ، في شدتهم على من ابتدع وانحرف في هذا الجانب العظيم ؛ أدرك أهميتة في قلوبهم ، وعظيم منزلته ..(٢)

روى عبد الله بن أحمد في "الرد على الجهمية" بإسناده عن ابن المبارك أن رجلا قال له : يا أبا عبد الرحمن : قد خفت الله من كثرة ما أنا على الجهمية . قال : لا تخف ، فإنهم يزعمون أن إلهك الذي في السماء ليس بشيء .(٣)

١ـ واقعنا المعصر (١٧،١٨) .

٢ـ حول هذا الموضوع [الاهتمام بالعقيدة وتقديمها] راجع : مقدمة مختصر العلو للألباني ، مجلة البحوث الإسلامية [العدد الحادي عشر] : موضوع بعنوان "منهج السلف في العقيدة ، وأثره في وحدة المسلمين" للدكتور : صالح السحيمي ، (ص ١٧١) ، وفي العدد الخامس عشر موضوع بعنوان "اهتمام علماء المسلمين بعقيدة السلف ظروفه ، آثاره" للدكتور : أبو اليزيد أبو زيد

هكذا كان يفهم هذا الإمام الكبير ـ عليه رحمة الله ـ خطورة الانحراف في هذه الأمور ؛ ولم يكن يرى أنه أمر هين سهل لا يؤثر ، أو أنه لا يترتب عليه عمل!!

قال الذهبي ـ رحمه الله ـ وبلغنا عن أبي مطيع الحكم بن عبد الله البلخي(١) "صاحب الفقه الأكبر" ، قال : سألت أبا حنيفة عمن يقول : لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض . فقال : قد كفر ، لأن الله تعالى يقول : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾(٢) وعرشه فوق سماواته . فقلت : إنه يقول : أقول على العرش استوى ، ولكن قال لا يدرى العرش في السماء أو في الأرض . قال : إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر.(٣) وقال الذهبي أيضاً : وسمعت القاضي الإمام أبا محمد عبد الله بن أحمد المقدسي(٤) مؤلف "المقنع" ـ رحم الله ثراه ـ يقول بلغني عن أبي حنيفة رحمه الله ، أنه قال : من أنكر أن الله عز وجل في السماء فقد كفر.(٥) .

و جاء في "النصيحة في صفات الرب جل وعلا" : "استوى على عرشه فبان من خلقه ، ولا يخفى عليه منهم خافية ، علمه بهم محيط وبصره بهم نافذ ، وهو في ذاته وصفاته لا يشبهه شيء من مخلوقاته ... فبهذا الرب نؤمن ، وإياه نعبد ، وله نصلي ونسجد ، فمن قصد بعبادته إلى إله ليس له هذه الصفات ، فإنما يعبد غير الله ، وليس معبوده ذلك بإله ..." اهـ(٦) .

وبهذا تكون قد عرفت أن تهوين المؤلف ـ رحمه الله ـ الخلاف في كون جبريل أخذ القرآن من اللوح أو من غيره من المخلوقات ، أو أنه سمعه من الله تبارك وتعالى ؛ مجانب لمنهج أهل السنة ، وبعيد عن طريقة القرآن .

١ـ هو الحكم بن عبد الله أبو مطيع البلخي ، الفقيه صاحب أبي حنيفة ، توفي سنة (١٩٩ هـ) . ميزان الاعتدال (١/ص ٥٧٤) .

٢ـ طه (٥) .

٣ـ مختصر العلو (١٣٦) .

٤ـ أبو محمد عبد الله بن أحمد المقدسي هو المحدث الرحال محب الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن أبي بكر ، محمد بن إبراهيم السعدي ، المقدسي الصالحي ، الحنبلي . توفي في جمادى الآخرة سنة (٦٥٨ هـ) . سير أعلام النبلاء (٢٣/٣٧٥) .

٥ـ مختصر العلو (ص ١٣٧) .

٦ـ انظر النصيحة ص (٤ ـ ٥ ، ٣٦ ـ ٣٧) مطبعة المدني . .

المسألة الثالثة حول تشبيه الوحي بالتنويم المغناطيسي

عمد المؤلف إلى إثبات الوحي من ناحية العلم ـ المادي التجريبي ـ فساق عليه عدداً من الأدلة ، يهمنا الأول منها ، وهو : "التنويم الصناعي أو التنويم المغناطيسي"

و قد أشار المؤلف إلى جملة من الأمور التي أثبتها أولئك الماديون بواسطة هذا التنويم .(١)ثم أورد تجربة من ذلك التنويم ، شاهدها بنفسه في نادي جمعية الشبان المسلمين ، وحاصلها أن : أُستاذاً في التنويم المغناطيسي أحضر الوسيط ، وهو فتى فيه استعداد خاص للتأثر بالأستاذ،والأستاذ فيه استعداد خاص للتأثير على الوسيط ، فالأول ضعيف النفس ، والثاني قويها ...

نظر الأستاذ في عين الوسيط نظرات عميقة نافذة ، وأجرى عليه حركات يسمونها سحبات ، فما هي إلا لحظة ، حتى رأينا الوسيط يغط غطيط النائم ، وقد امتقع لونه ، وهمد جسمه ، وفقد إحساسه المعتاد ، حتى لقد كان أحدنا يخزه بالإبرة وخزات عدة ، ... فلا يبدي الوسيط حراكاً ، .. وهنالك تسلط الاستاذ على الوسيط يسأله : ماأسمك ؟ فأجابه باسمه الحقيقي . فقال الأستاذ : ليس هذا هو اسمك ، إنما اسمك كذا (وافترى عليه اسماً آخر) ثم أخذ يقرر في نفس الوسيط هذا الاسم الجديد الكاذب ، ويمحو منه أثر الاسم القديم الصادق ، بواسطة أغاليط يلقنها إياه في صورة الأدلة ، ... حتى خضع لها الوسيط وأذعن .

ثم أخذ الأستاذ ، وأخذنا نناديه باسمه الحقيقي ، المرة بعد الأخرى ، في فترات متقطعة ، وفي أثناء الحديث على حين غفلة ، كل ذلك وهو لا يجيب . ثم نناديه كذلك باسمه الموضوع فيجيب .." ! إلخ ما ذكره المؤلف حول هذه المشاهدة .

ثم عقب ذلك المؤلف بقوله : "وبهذه التجربة" ثبت لي أنا من طريق علمي ، ما قرّب إلي الوحي علمياً ، وما جعلني أعلله تعليلا علمياً ، فالوحي "عن طريق الملك" عبارة عن اتصال الملك بالرسول اتصالا يؤثر به الأول في الثاني ، ويتأثر فيه الثاني بالأول وذلك باستعداد خاص في كليهما ، فالأول فيه قوة الإلقاء والتأثير ، لأنه روحاني محض ، والثاني فيه قابلية التلقي عن هذا الملك لصفاء روحانيته وطهارة نفسه المناسبة لطهارة الملك ، وعند تسلط الملك على الرسول ، ينسلخ الرسول عن

حالته العادية ، ويظهر أثر التغير عليه ، ....

أتظن ـ أيها القارىء الكريم ـ أن المخلوق يستطيع أن يؤثر في نفس مخلوق آخر ذلك التأثير بواسطة التنويم المغناطيسي ثم لا يستطيع مالك القوى والقدر أن يؤثر في نفس من شاء من عباده بواسطة الوحي ؟ ... اهـ(١) .

و الذي نريد أن نلفت نظر القارىء إليه في هذا المقام هو أن تشبيه الوحي ومجيء الملك إلى الرسول البشري بالتنويم المغناطيسي أمر مرفوض ، إذ فيه انتقاص لمقام الوحي ، وللرسول ، وللمرسل إليه ، فإن ذلك التنويم أمر آخر ، لا يمت لهذا بأدنى صلة ، فلا يجوز أن نشبهه به لكي نقنع أولئك الماديين بهذه العقيدة (عقيدة الوحي) .

هذا وبغض النظر عن حقيقة التنويم المغناطيسي ، وأنواعه ، وما يُقبل منه "علمياً" وما يُرفض لأنه من قبيل الشعوذة ، أو الاستعانة بالشياطين(٢) والله المستعان.

١- المناهل (٥٨/١ ـ ٦٢) .

٢- لمعرفة تفاصيل وافرة عن هذا التنويم وأنواعه ، راجع كتاب "التنويم المغناطيسي بين الحقيقة والخرافة" . لمجدي الشهاوي ، التشريع الجنائي (٥٩١/١).

المبحث الرابع

«في أول ما نزل وآخر ما نزل»

وتشمل الدراسة :

أولا : مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث وذكر القضايا التي ناقشها فيه .

ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث .

ثالثاً : مناقشة المؤلف في مسائل من هذا المبحث .

أولا : مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث وذكر القاضايا التي ناقشها فيه .

لم يترك المؤلف رحمه الله شيئاً له أهميتة في هذا الموضوع ، إلا وقد تعرض له

فقد ذكر فوائد معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل ... ثم ذكر أربعة أقوال في أول ما نزل ، وعشرة في آخر ما نزل ـ أي مطلقاً ـ مع مناقشتها ، والترجيح فيما بينها .

و لم يتعرض المؤلف للكلام على الأوائل والأواخر المخصوصة بنفس العناية التي كانت متوفرة عند ذكر الأوائل والأواخر المطلقة ... وقد قصد ذلك وأراده ... وإنما ذكر بعض الأوائل والأواخر المخصوصة كأمثلة فقط . ثم ذكر بعض الشبه ، وأجاب عنها .

ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث :

لم أر للمؤلف إضافة تذكر في هذا المبحث ، سوى ذكر الفوائد المترتبه على معرفة أول ما نزل من القرآن ، وآخر ما نزل منه . (١).

ثالثاً : مناقشة المؤلف في مسائل من هذا المبحث

و هي

١ـ حكم الصلاة والتسليم على غير الأنبياء ، وكذا الترضي على غير الصحابة .

٢ـ آخر ما نزل من القرآن .

المسألة الأولى : «في حكم الصلاة والتسليم على غير الأنبياء و كذا الترضي على غير الصحابة » :

إن الذي دفع إلى الكتابة في هذه المسألة هنا ، هو أن المؤلف ـ رحمه الله ـ كان في بعض الأحيان يترضى على غير الصحابة (١) ، وهو أمر لا اعتراض عليه إذا كان قائله غير مداوم عليه (٢) ، كما هو الحال ـ أعني عدم المداومة ـ بالنسبة للمؤلف رحمه الله .إلا أن المؤلف ـ رحمه الله ـ يعقب ذكر علي رضي الله عنه بقوله "عليه السلام" في مرات عدة ، كما وقفت على ذلك في مواضع من هذا الكتاب . (٣) .

و هذا يحتاج منا إلى وقفة خاصة ، لبيان المسلك الذي يدعمه الدليل في هذا الجانب ، لا سيما أن تخصيص علي رضي الله عنه بالتسليم ، من بين سائر الصحابة ، رضوان الله عليهم أجمعين ، أثر من آثار الرافضة على بعض أهل السنة ! من أجل ذلك كله ، أحببت أن أبين هذه المسألة ، مع التي قبلها ، وأضم إلى ذلك ما قاربهما ، فأقول مستعيناً بالله :

إن الكلام في هذه القضية ، التي نحن بصددها ، يشتمل على المسائل الآتية :

١ـ حكم الصلاة على الأنبياء ، غير خاتمهم ﷺ ، وكذا التسليم . (٤) .

٢ـ حكم الصلاة على غير الأنبياء : وهم :

أ ـ الملائكة . (٥) .

ب ـ البشر من غير الأنبياء . (٦) .

٣ـ هل السلام بمعنى الصلاة في الحكم ؟ .

٤ـ القول في الترضي على غير الأصحاب رضي الله عنهم أجمعين . و إليك الكلام في كل مسألة من هذه المسائل ـ المتقدمة ـ وبيان القول الراجح فيها :

١ـ المناهل (٩٠/١) ، حيث عقب المؤلف اسم السيوطي رحمه الله بقوله "رضي الله عنه" .

٢ـ بالنسبة لغير الصحابة ، وإلا فهم يترضى عليهم كما هو معلوم .

٣ـ انظر المناهل (٢٤٦/١، ٣٢٤، ٢٤٨٦، ٧٠/٢) (في موضعين) .

١ـ حكم الصلاة ، والتسليم ، على سائر الأنبياء غير الرسول صلى الله عليه وسلم :(١) .

إعلم أنه لا خلاف في مشروعية الصلاة والتسليم على نبينا محمد ﷺ ، وأما غيره من الأنبياء ، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، فالظاهر مشروعية ذلك كله في حقهم أيضاً . إلا أن ذلك غير متأكد في حقهم كتأكديته في حق رسولنا صلى الله عليه وسلم ، حيث أمرنا بالصلاة والتسليم عليه صراحة في الكتاب والسنة كما هو معلوم .

و لم يرد نص صحيح ـ فيما أعلم والله أعلم ـ يأمرنا بالصلاة على سائر الأنبياء ـ سواه صلوات الله وسلامه عليهم ـ وإنما ورد في ذلك أحاديث لا يحتج بها لضعفها

و قد عقد البخاري رحمه الله ، في صحيحة باباً قال فيه : "باب هل يُصَلّى على غير النبي ﷺ ..." قال الحافظ في شرحه : "ويدخل في الغير : الأنبياء ، والملائكة ، والمؤمنون ..."(٢)اهـ

و نص ابن القيم(٣) رحمه الله ، وجماعة من أهل العلم على أنه يصلى ، ويسلم ، على سائر الأنبياء والمرسلين ، بل نقل النووي ، والقرطبي ، رحمهما الله تعالى الإجماع على ذلك(٤) .

١ـ انظر : لسان العرب (مادة : صلا) ٤٧٠/٢) ، جلاء الافهام (٢٧١) ، القول البديع (٤ ـ ٥٧) .

٢ـ الفتح (١٦٩/١١) .

٣ـ جلاء الأفهام (٢٧١) .

٤ـ الأذكار (ص ١٠٨) ، جلاء الأفهام (ص ٢٧٦) ، الشفا (١٨٦/٢) .

٢ـ حكم الصلاة على غير الأنبياء ، والمراد :

أ ـ الملائكة :

صرح بعض أهل العلم بأنه لا يوجد حديث ينص على الصلاة على الملائكة ، (١) وإنما يؤخذ ذلك من أحاديث غير صريحة بذلك .

و قد نقل النووي رحمه الله إجماع أهل العلم على جواز ذلك واستحبابه(٢).

ب ـ الصلاة على غير الأنبياء ، والملائكة استقلالا :

تجوز الصلاة على غير الأنبياء تبعاً ، بلا خلاف في ذلك بين أهل العلم ، أما على وجه الاستقلال ، فإن ، أهل العلم اختلفوا في ذلك على قولين :

الأول : المنع .

وإليه ذهب ابن عباس ، وطاوس ، وأبو حنيفة ، وابن عيينة ، والثوري ، ومالك ، وهو رواية عن أحمد ، وبه قال النووي ،و القرطبي وآخرون (٣) . (٤)و نقل عياض عن مالك رحمه الله ، أنه قال : "أكره الصلاة على غير الأنبياء ، وما ينبغي لنا أن نتعدى ما أمرنا به" (٥) اهـ . ونقل عنه ابن القيم أنه قال : "لم يكن ذلك من عمل من مضى" (٦) .

١ـ انظر القول البديع (ص ٥٤) ، الفتح (١١/١٧٠) ، عمدة القارى (١٨/٣٧٢) .

٢ـ الأذكار (ص ١٠٨) ، نزل الأبرار (ص ١٧٢).

٣ـ مثل : ابن تيمية (الجد) ، وابن جماعة ، وعياض ، وأبو المظفر الاسفرائيني ، وابن عبد البر ، وابن الأثير ، والخطيب البغدادي ، وبه قال البيهقي ، ونسبه عياض للشافعي رحمه الله . مع صرف النظر عن وجه المنع عند أصحاب هذا القول ، إذ أن بعضهم يحمله على التحريم وبعضهم على الكراهة ...

٤ـ انظر : النووي على مسلم (٧/١٨٥) ، تفسير ابن كثير (٣/٥١٦) ، جلاء الأفهام (ص ٢٧٧) ، الأذكار (١٠٨) ، الشفاء (٢/١٨٦،١٩٣) مجموع الفتاوى (٢٧/٤١٠) ، الفتح (١١/١٧٠) ، القول البديع (٥٤ ـ ٥٧) ، تفسير القاسمي (٨/٣٣٧ ، ٣٠٣) ، النهاية في غريب الحديث (٣/٥٠) ، الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع (٢/١٠٣،١٠٤) ، إرشاد طلاب الحقائق (١/٥٠٧) ، تذكرة السامع والمتكلم (ص ١٧٧) ،

هذا وقد أجاد الخطابي (١) رحمه الله حيث فصَّل في هذه المسألة وفرق ؛ فالصلاة التي بمعنى التعظيم ، لا تقال لغير النبي ﷺ ، والتي بمعنى الدعاء والتبريك ، تقال لغيره .

و اعتبر الأحاديث الواردة ، والدالة على الجواز ، محمولة على هذا المعنى الأخير(٢) ، وهذا تفصيل جيد .

أدلة المانعين :

١ـ حديث ابن عباس رضى الله عنهما موقوفاً : "لا تصلح الصلاة على أحد ، إلا على النبي ﷺ ، ـ وفي لفظ عند عبد الرزاق : إلا على النبيين ـ ولكن يدعى للمسلمين والمسلمات بالاستغفار" (٣).

٢ـ آثار عن بعض التابعين كعمر بن عبد العزيز .

٣ـ قالوا : هذا العمل من شعار أهل البدع ، فينبغي أن نخالفهم في ذلك .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "وهذا الذي قاله ابن عباس ، قاله لما ظهرت الشيعة ، وصارت تظهر الصلاة على علي دون غيره ، فهذا مكروه ، منهي عنه ، كما قال ابن عباس .." اهـ (٤)وبهذا احتج ابن القيم والنووي (٥) .

٤ـ قالوا : أصبحت الصلاة في لسان السلف مخصوصة بالأنبياء ، كما أن قولنا : "عز وجل" مخصوص بالله تعالى ، وعليه فلا يقال : أبو بكر ﷺ ، وإن كان معناه صحيحاً .(٦).

٥ـ قالوا : ليس هذا من عمل السلف .

١ـ هو الإمام الحافظ أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي . ولد سنة بضع عشرة وثلاثمائة ، وتوفى ببست سنة (٣٨٨هـ) . سير أعلام النبلاء (١٧/٢٣) .

٢ـ النهاية في غريب الحديث (٣/٥٠) ، وفي سنن البيهقي نحوه ، انظر (٢/١٥٣) من السنن الكبرى .

٣ـ أخرجه عبد الرزاق في المصنف (٢/٢١٦) ، وابن أبي شيبة في المصنف (٢/٥١٩) ، والبخاري في الصحيح (٧/١٥٧) ، ومسلم (١/٧٥٦) ، وأبو داود في السنن (٢/٢٤٦) والبيهقي في الشعب رقم (١٤٨٣) ، وفي السنن (٢/١٥٣) ، وإسماعيل القاضي (ص ٦٩) ، والطبراني في الكبير (١١/٣٠٥) ، رقم (١١٨١٣) ، والخطيب في الجامع رقم (١٣٠٩ ، ١٣١٠) ، وانظره في مجمع الزوائد (١٠/١٦٧) ، الفتح (١١/١٥٦) .

٤ـ مجموع الفتاوى (٢٢/٤٧٣ ، ٢٧/٤١١) .

٥ـ جلاء الأفهام (٢٧٨) ، الأذكار (١٠٨ ، ١٠٩) .

٦ـ النووي في الأذكار (ص ١٠٨ ـ ١٠٩) .

٦ـ احتجوا بقوله تعالى : ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً﴾ (١) قالوا : فنهى أن يدعى باسمه ﷺ كغيره ؛ قالوا : كذلك لا يسوغ أن تجعل الصلاة عليه كما تجعل على غيره في دعائه ، والإخبار عنه .

٧ـ قالوا : المشروع لنا في التشهد أن نسلم على عباد الله الصالحين ، ثم نصلي على النبي ﷺ فالصلاة عليه ﷺ ، حقه الذي لا يشركه فيه أحد .

٨ـ أن الأمر بالصلاة عليه ، ذكر في معرض حقوقه الخاصة به ، كلعنة من آذاه في الدنيا والآخرة ، وتحريم نكاح أزواجه ..

٩ـ شرع الله للمسلمين أن يدعو بعضهم لبعض ، ويترحم بعضهم على بعض ، وشرع لهم في حق النبي ﷺ أن يصلوا عليه في حياته وبعد موته .

القول الثاني : الجواز .

وعزاه عياض لعامة أهل العلم .(٢) .

أدلة أصحاب هذاالمذهب :(٣) .

استدل أصحاب هذا المذهب بأدلة كثيرة ، نلخص بعضها فيما يلي :

١ـ أمره تعالى لنبيه ﷺ ، بأخذه الصدقة والصلاة عليهم في قوله : ﴿خذ من أموالهم صدقة تطهرهم ... وصل عليهم ..﴾ (٤) ومعلوم أن الأئمة من بعده يأخذون الصدقة ، فيشرع لهم أن يصلوا على المتصدق ...

٢ـ حديث عبد الله بن أبي أوفى (٥) ، قال : "كان النبي ﷺ إذا أتاه قوم

١ـ سورة النور(٦٣) .

٢ـ به قال يحيى بن يحيى من المالكية ، وخصيف ، ومجاهد ، والحسن ، ومقاتل بن سليمان ، ومقاتل بن حيان ، وهو رواية عن أحمد ، وبه قال إسحاق ، وأبو ثور ، وابن جرير وعزاه ابن تيمية إلى أكثر أصحاب أحمد كالقاضي ، وابن عقيل ، والشيخ عبد القادر ، وبه قال شيخ الإسلام رحمه الله . وصنيع البخاري في الصحيح يشعر بذلك والله أعلم . انظر : الشفاء (١٨٦/٢) ، جلاء الأفهام (٢٨٠،٢٨١) ، القول البديع (٥٤ ـ ٥٧) ، مجموع الفتاوى (٤١٠/٢٧) .

٣ـ انظر : جلاء الأفهام (٢٨١،٢٨٢) ، الشفاء (١٨٦) .

٤ـ التوبة/(١٠٣) .

بصدقتهم قال : اللهم صل على آل فلان . فأتاه أبي بصدقته فقال اللهم صل على آل أبي أوفى" (١) قالوا : فالاصل عدم الاختصاص .

٣ـ حديث جابر حينما قالت امرأته : "يا رسول الله : صل علي وعلى زوجي صلى الله عليك وسلم : فقال صلى الله عليك ، وعلى زوجك" (٢) .

٤ـ حديث جابر ، أن علياً دخل على عمر وهو مسجى وقال : "صلى الله عليك ..." (٣) .

٥ـ ما رواه إسماعيل القاضي (٤) بسنده عن ابن عمر أنه كان يكبر على الجنازه ، ويصلي على النبي ﷺ ثم يقول : "اللهم بارك فيه وصل عليه ..." (٥)

٦ـ ما رواه مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : "إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان ... ـ وذكر قول أهل السماء فيها الى قولهم : ـ صلى الله عليك ، وعلى جسد كنت تعمرينه ..." (٦) .

قال ابن القيم : "هكذا قال مسلم عن أبي هريرة موقوفاً ، وسياقه يدل على أنه مرفوع ، فإنه قال بعده "وأن الكافر إذا خرجت روحه" قال حماد : وذكر من نتنها وذكر لعنها وتقول أهل السماء روح خبيثة جاءت من قبل الأرض قال : "فيقال انطلقوا به إلى جب الحزن" . قال أبو هريرة : فرد رسول الله ﷺ ريطة كانت على أنفه هكذا ، وهذا يدل على أن رسول الله ﷺ حدثهم بالحديث . وقد رواه

١ـ البخاري رقم (١٤٩٧ ، ٦٣٥٩) ، مسلم (١٨٤/٧) ، النسائي رقم (٢٤٥٩) ، أبو داود [مختصر السنن (١٥٢٧)] .

٢ـ قال الألباني : إسناده صحيح . انظر فضل الصلاة على النبي ﷺ لإسماعيل القاضي (ص ٧١) ، الجامع للخطيب رقم (١٣١١، ١٣١٣) ، والدارمي في المقدمة (١/ رقم (٤٦))،وأحمد (٣٠٣/٣) ، وابن أبي شيبة ٥١٩/٢ ، وأبا داود (١٥١٩) .

٣ـ الجامع للخطيب رقم (١٣١٤) .

٤ـ هو الحافظ أبو إسحاق إسماعيل بن إسحاق بن إسماعيل بن محدث البصرة حماد بن يزيد الأزدي ، مولاهم البصري المالكي ، قاضي بغداد ، ولد سنة (١٩٩هـ) وتوفى سنة (٢٨٢هـ) . سير أعلام النبلاء (٣٣٩/١٣) .

٥ـ فضل الصلاة على النبي ﷺ (ص ٧٩) وصححه الألباني .

٦ـ مسلم رقم (٢٨٧٢) .

جماعة عن أبي هريرة مرفوعاً منهم أبو سلمة (١) وعمروبن الحكم وإسماعيل السدي عن أبيه عن أبي هريرة وسعيد بن يسار (٢) وغيرهم (٣) اهـ

ووجه استدلالهم بذاالحديث ، أنه إذا جاز ذلك للملائكة ، فما المانع من جوازه للمؤمنين ؟ .

٧ـ قول النبي ﷺ : "إن الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة . يصلون على معلم الناس الخير" (٤) ، وقال تعالى : ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ (٥) ، وكذا صلاة الملائكة على من يصلي على النبي ﷺ كما ثبت ذلك عنه ﷺ .

٨ـ ما أخرجه مالك في الموطأ ، عن عبد الله بن دينار قال : "رأيت عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يقف على قبر النبي ﷺ فيصلي على النبي ﷺ ، وعلى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما" (٦) .

و لكل من أصحاب القولين جواب عن أدلة القول الآخر لم نتعرض له لترك الإطالة (٧) .

و لعل الأقرب أن يقال بجواز ذلك إن لم يكن ذلك على وجه الغلو والتعظيم وإنما هو على سبيل الدعاء ... ولم يلتزم ذلك في حق أحد بعينه ، بعد رسول الله ﷺ .

قال شيخ الإسلام : "وأما ما نقل عن علي : فإذا لم يكن على وجه الغلو ، وجعل ذلك شعاراً لغير الرسول ، فهذا نوع من الدعاء ، وليس في الكتاب والسنة ما يمنع منه ، وقد قال تعالى : ﴿هو الذي يصلي عليكم وملائكته﴾ ، وقال النبي

١ـ هو أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري المدني قيل اسمه عبد الله ، وقيل إسماعيل ، مات سنة (٩٤هـ) وكان مولده سنة بضع وعشرين . تقريب التهذيب (٤٣٠/٢) .

٢ـ أبو الحباب المدني ، اختلف في ولائه لمن هو ، وقيل : سعيد بن مرجانة . توفى سنة (١١٧هـ) وقيل غير ذلك . التقريب (٣٠٩/١).

٣ـ جلاء الأفهام (٢٨٢) .

٤ـ رواه الترمذي رقم (٢٦٨٥) وانظر صحيح الترمذي رقم (٢١٦١) .

ﷺ : "إن الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في مصلاه ..." وفي حديث قبض الروح : "صلى الله عليك ..." (١) .

و قال أيضاً : "... وأما الصلاة عليه ـ يعني علي رضي الله عنه ـ منفرداً ، فهذا ينبني على أنه هل يصلى على غير النبي ﷺ منفرداً ؟ ـ ثم أشار إلى الخلاف ، ورجح القول بالجواز ـ ... ولكن إفراد واحد من الصحابة ، والقرابة ، كعلي ، أو غيره بالصلاة عليه دون غيره ، مضاهاة للنبي ﷺ بحيث يجعل ذلك شعاراً معروفاً باسمه ، وهذا هو البدعة" (٢) اهـ.

و قال أيضاً : "ليس لأحد أن يخص أحداً بالصلاة عليه دون النبي ﷺ ، لا أبا بكر ولا عمر ولا عثمان ولا علياً ومن فعل ذلك فهو مبتدع ، بل إما أن يصلي عليهم كلهم أو يدع الصلاة عليهم كلهم ..." (٣) و قال الخطابي ـ معلقاً على حديث ابن أبي أوفى ـ : "الصلاة في هذا الموضع معناه الدعاء والتبرك ... وفيه دليل على أن الصلاة التي هي بمعنى الدعاء والتبريك يجوز أن يصلى بها على غير النبي ﷺ فأما الصلاة التي هي تحية لذكر رسول الله ﷺ ، فإنها بمعنى التعظيم والتكريم ، وهي خصيصة له لا يشركه فيها إلا آله ، وإنما يستحق المزكي الصلاة والدعاء ، إذا أعطى الصدقة طوعاً ..." (٤) .

و قال ابن القيم : "وفصل الخطاب في هذه المسألة : أن الصلاة على غير النبي ﷺ إما أن يكون آله وأزواجه ، وذريته ، أو غيرهم . فإن كان الأول ، فالصلاة عليهم مشروعة مع الصلاة على النبي ﷺ وجائزة مفردة .

و أما الثاني : فإن كان الملائكة ، وأهل الطاعة عموماً ، الذين يدخل فيهم الأنبياء وغيرهم جاز ذلك أيضاً ، فيقال : اللهم صلى على ملائكتك المقربين ، وأهل طاعتك أجمعين .

و إن كان شخصاً معيناً ، أو طائفة معينة ، كره أن يتخذ الصلاة عليه شعاراً لا يخل به . ولو قيل بتحريمه لكان له وجه . ولا سيما إذا جعلها شعاراً له ، ومنع منها نظيره أو من هو خير منه ، وهذا كما تفعل الرافضة بعلي رضي الله عنه ، فإنه حيث

١ـ الفتاوى (٢٢/٤٧٣ ـ ٤٧٤) .

٢ـ مجموع الفتاوى (٤/٤٩٦،٤٩٧) مختصر الفتاوى المصرية (ص ٣٠٢) .

٣ـ مجموع الفتاوى (٤/٤٢٠) .

٤ـ مختصر السنن (٢/٢٠٣) .

ذكروه قالوا : عليه الصلاة والسلام . ولا يقولون ذلك فيمن هو خير منه . فهذا ممنوع ، ولا سيما إذا اتخذ شعاراً لا يخل به ، فتركه حينئذ متعين . وأما إن صلى عليه أحياناً ، بحيث لا يجعل ذلك شعاراً كما يصلى على دافع الزكاة ، وكما قال ابن عمر للميت : "صلى الله عليه" وكما صلى النبي ﷺ على المرأة وزوجها ، وكما روى عن علي من صلاته على عمر ، فهذا لا بأس به . وبهذا التفصيل تتفق الأدلة وينكشف وجه الصواب ..." (١) .

هل السلام بمعنى الصلاة في الحكم ؟!(٢) .

فرق بعض أهل العلم بينه وبين الصلاة ، فمنعوا من الصلاة ، وقالوا بمشروعية السلام . في حق المؤمن سواء كان حياً أو ميتاً ، حاضراً أو غائباً ، ، فهو تحية أهل الإسلام ، ونسبه ابن تيمية إلى الجمهور

قالوا : فالمصلي يقول في تشهده : "السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين" ولا يقول : الصلاة علينا ..." .

و من أهل العلم من قال بجوازه في الحاضر ـ الحي والميت ـ دون الغائب ، فيكره في حقه .

وقد نقل النووي رحمه الله ، عن الجويني أنه "في معنى الصلاة ، فلا يستعمل في الغائب فلا يفرد به غير الأنبياء ، فلا يقال : علي عليه السلام ، وسواء في هذا الأحياء والأموات . أما الحاضر فيخاطب به ... وهذا مجمع عليه" (٣) . وقال الحافظ : "اختلف في السلام على غير الأنبياء بعد الاتفاق على مشروعيته في تحية الحي ، فقيل : يشرع مطلقاً ، وقيل بل تبعاً ولا يفرد أحد لكونه صار شعاراً للرافضه". (٤)اهـ وقال الخفاجي : "وقد قيل إن السلام مثل الصلاة ، مخصوص بالأنبياء أيضاً ، فلا يقال على غيرهم "عليه السلام" كما صرح به الفقهاء ، فهو مكروه تنزيهاً" ١ . هـ (٥) .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : من قال إن الصلاة على غيره ممنوع

١ـ جلاء الأفهام (٢٨٩،٢٩٠) .

٢ـ انظر : تفسير القاسمي (٣٠٤/٨) ، تفسير ابن كثير (٥١٦/٣) ، نزل الأبرار (ص ١٧٣ ـ ص ١٧٤) .

٣ـ الأذكار (١٩١) ، شرح مسلم (١٨٩/٧) .

منها ، طرد ذلك طائفة ، منهم أبو محمد الجويني فقالوا : لا يسلم على غيره . وهذا لم يعرف عن أحد من المتقدمين ، وأكثر المتأخرين أنكروه ، فإن السلام على الغير مشروع ... فالذين جعلوا السلام من خصائصه ، لا يمنعون من السلام على الحاضر ، لكن يقولون : لا يسلم على الغائب . فجعلوا السلام عليه مع الغيبة من خصائصه . وهذا حق ، لكن الأمر بذلك وإيجابه ، هو من خصائصه ، كما في التشهد ، فليس فيه سلام على معين إلا عليه ، وكذلك عند دخول المسجد ... وهذا يؤيد أن السلام كالصلاة ، كلاهما واجب له في الصلاة وغيرها . وغيره فليس واجباً إلا سلام التحية عند اللقاء ، فإنه مؤكد بالاتفاق" (١) ا . هـ .

وقال ابن كثير رحمه الله : "وقد غلب في هذا ـ يعني السلام ـ في عبارة كثير من النساخ للكتب أن يفرد علي رضي الله عنه بأن يقال : عليه السلام ، من دون سائر الصحابة ، أو : كرم الله وجهه ، وهذا وإن كان معناه صحيحاً و لكن ينبغي أن يُسوى بين الصحابة في ذلك فإن هذا من باب التعظيم والتكريم ، فالشيخان وأمير المؤمنين عثمان أولى بذلك منه رضي الله عنهم أجمعين" (٢) ا . هـ .

فالحاصل أن السلام على الحاضر لا إشكال فيه حياً أو ميتاً ، أما إذا كان المسلم عليه غائباً ، فالأصل الجواز ولا مانع منه إن لم يكن ذلك مخصصاً للبعض دون الآخرين ممن هم مثلهم أو أفضل منهم ... والذي يظهر أن هذا العمل إنما سرى لأهل السنة من تأثير الشيعة ، ومثل ذلك ما يقرن دائماً باسم علي بن أبي طالب رضي الله عنه من وصف الإمامة ، كقولهم "الإمام علي" ثم لا يطرق سمعك أبداً قرن ذلك بأحد الشيخين قبله ، مع أنهم أفضل منه !! والله أعلم .

١ـ الفتاوى (٢٧/٤١١ ـ ٤١٢) .

٢ـ تفسير ابن كثير (٣/٥١٦) .

الترضي على الصحابة والترحم على من بعدهم :

جرت العادة عند أهل العلم على الترضي على الصحابة عند ذكرهم ، والترحم على من بعدهم ، بيد أننا نجد أن أهل العلم لا يلتزمون هذا ، ولا يداومون عليه ، وإنما ذلك هو الغالب الذي جرى عليه العمل عندهم ، فأصبح الترضي شعاراً على الصحابة ، والترحم على من بعدهم .

و لكن ليس لدينا ما يمنع من الترضي على أحد ممن هو من غير الصحابة ...

قال النووي : "فصل: يستحب الترضي والترحم على الصحابة ، والتابعين فمن بعدهم من العلماء والعباد وسائر الأخيار ... وأما ما قاله بعض العلماء أن قوله "رضي الله عنه" مخصوص بالصحابة ، ويقال في غيرهم : "رحمة الله" فقط ، فليس كما قال ، ولا يوافق عليه ، بل الصحيح الذي عليه الجمهور استحبابه ، ودلائله أكثر من أن تحصر..." (١)اهـ وقال ابن جماعة (٢) ـ بعد ذكره الصلاة على النبي ﷺ عند ذكره والترضي عن الصحابة ـ : "وإذا مر بذكر أحد من السلف ، فعل ذلك أو كتب "رحمه الله" ولا سيما الائمة الأعلام" (٣) ١ . هـ .

و أخرج الخطيب بإسناده ، عن أبي الفضل العباس بن وهب بن عثمان الصياد يقول : "سمعت الربيع بن سليمان ـ وهو يقرأ عليه ـ حدثكم الشافعي . فغلط القارئ فلم يقل "رضي الله عنه" فقال الربيع ولا حرف حتى يقال "رضي الله عنه" . قال أبو الفضل : فينبغي أن لا يمر حديث فيه رسول الله ﷺ إلا قيل : ﷺ ، ولا يذكر أحد من أصحابه إلا قيل رضي الله عنه .(٤) ١ . هـ وترك التفريق في الترضي هو مقتضي كلام العراقي (٥) رحمه الله تعالى .

١- الأذكار (ص ١٠٩) .

٢- هو القاضي بدر الدين ، محمد بن إبراهيم بن سعد بن جماعة بن حازم بن صخر بن عبد الله الكناني الحموي الشافعي . ولد سنة (٦٣٩هـ) بحماة ،

المسألة الثانية : آخر ما نزل من القرآن :

ذكر المؤلف أول ما ذكر من الأقوال في هذه المسألة ، الآيات الثلاث التي في أواخر سورة البقرة ، والتي وقع الخلاف المشهور ، أيها نزل آخراً ؛ الأولى ، أو الثانية ، أو الثالثة ، على ثلاثة أقوال .

و هذه الآيات هي قوله تعالى : ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ..﴾ (١) وآية الربا (٢) ، وآية الدين . (٣) ثم عقب ذلك بقوله : "ويمكن الجمع بين هذه الأقوال الثلاثة بما قاله السيوطي رضي الله عنه من أن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف لأنها في قصة واحدة ، فأخبر كل عن بعض ما نزل بأنه آخر ، وذلك صحيح" . (٤) ثم قال : "أقول : ولكن النفس تستريح إلى أن آخر هذه الثلاثة نزولا هو قول الله تعالى : ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ...﴾ وذلك لأمرين : أحدهما : ما تحمله هذه الآية في طياتها من الإشارة إلى ختام الوحي والدين ، بسبب ما تحث عليه من الاستعداد ليوم المعاد ، وما تنوه به من الرجوع إلى الله ... وذلك كله أنسب بالختام من آيات الأحكام المذكورة في سياقها .

ثانيهما : التنصيص في رواية ابن أبي حاتم السابقة .

على أن النبي ﷺ عاش بعد نزولها تسع ليال فقط ، ولم تظفر الآيات الأخرى بنص مثله .. ا . هـ (٥) .

والاعتراض هنا على تحديد المؤلف الآخرية في النزول بهذه الآية ، علماً بأن آية الدين جاءت بعدها في الترتيب ، كما في المصحف الشريف ، ومعلوم أن ترتيب الآيات في القرآن أمر توقيفي لا دخل لأحد فيه ... وسيأتي تحقيق هذا في بعض المباحث القادمة ، إن شاء الله تعالى ، ثم إن تحديد آخر ما نزل ، أو أول ما نزل ، أمر يعتمد على النقل فقط . وليس للاجتهاد مجال فيه ، والمؤلف نفسه قد قرر هذا الأمر في أول سطر تحت عنوان هذا المبحث فقال : "مدار هذا المبحث على النقل والتوفيق ، ولا مجال للعقل فيه ، إلا بالترجيح بين الأدلة ، أو الجمع بينها

١- البقرة (٢٨١) .

٢- البقرة (٢٧٨) .

٣- البقرة (٢٨٢) .

٤- مناهل العرفان (٩٠/١) .

٥- (٩١/١) المصدر السابق .

فيما ظاهره التعارض منها" ١٠ هـ (١).

و قد تواردت الأدلة وتعددت في الدلالة على أن آخر ما نزل من القرآن هو أحد هذه الآيات الثلاث ـ وإن كان هناك ما يدل على غيرها ـ وهذا ظاهره التعارض ولا شك ، وفي مثل هذه الحال يكون الجمع بين النصوص المتعارضة أولى من اطراح بعضها وإعمال البعض الآخر ، فهذه خطوة تالية متأخرة عن الأولى رتبة ، كما هو مقرر في علم الأصول .

و المؤلف هنا لم يعمل بهذه القاعدة ، وإنما أخذ أحد هذه الأقوال وأهمل الباقي ... معللا ذلك بأمرين : الأول : استنباط من معنى الآية وما ترشد إليه ... والثاني : استدلال بأثر مقطوع ، من كلام سعيد بن جبير رحمه الله تعالى .

والاستدلال الأول لا يساعده على ما ذهب إليه ، لمخالفته للقاعدة التي أشرت إليها آنفاً... ولأن المحققين من أهل العلم سلكوا في هذه المسألة مسلكاً حسناً قريباً ، وليس فيه رد لشيء من النصوص الواردة في هذه الآيات ، بل إعمال لها جميعاً ... وهذا المسلك هو أن يقال : إن هذه الآيات نزلت دفعة واحدة ، كما في ترتيبها في المصحف ، فيمكن على هذا أن يقال : إن آية الربا مثلا آخر ما نزل من القرآن ، أو نقول : إن آية ﴿واتقوا يوماً ترجعون ...﴾(٢) هي كذلك باعتبار ما ذكرنا .

و أما استدلاله بالأثر السابق عن سعيد بن جبير ، فقد أخرجه ابن أبي حاتم من طريق ابن لهيعة ، ثني عطاء بن دينار ، عن سعيد بن جبير قال : "آخر ما نزل من القرآن كله ..." (٣) وابن لهيعة فيه الكلام المشهور (٤) وعليه فلا يصلح هذا الأثر حجة للمؤلف على قوله ..

بل لو فرضنا صحته لأمكن أن يقال : إنه لم يرد شيء مرفوع عن النبي ﷺ يحدد آخر ما نزل ، وإنما حدَّث كل بما بلغه . وكما أنه قيل في هذه الآية مثلا أنها آخر ما نزل ، فقد ورد في غيرها مثل ذلك ، أو أكثر منه ... ومن نظر في بعض كتب التفسير في المواضع التي قيل بأنها آخر ما نزل من القرآن عرف حقيقة ما ذكرت ، والله تعالى أعلم .

١ـ المناهل (١/٨٥) .

٢ـ البقرة (٢٨١) .

قال العلامة أحمد شاكر رحمه الله في تعليقه على الأثر الذي رواه الطبري بسنده عن ابن عباس رضى الله عنهما : "آخر آية نزلت على النبي ﷺ ﴿واتقوا يوماً ..﴾" : "وظاهر هذه الرواية عن ابن عباس يعارض ظاهر الرواية السابقة عنه ... أن آخر آية نزلت هي آية الربا .

قال الحافظ في الفتح : "وطريق الجمع بين هذين القولين [يريد الروايتين]: أن هذه الآية هي ختام الآيات المنزلة في الربا ، إذ هي معطوفة عليهن" ، ويشير إلى ذلك صنيع البخاري بدقته وثقوب نظره ! فإنه روى الحديث الماضي تحت عنوان/"باب ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾" فجعل بهذه الإشارة الموضوع واحداً والروايتين متحدتين غير متعارضتين .(١) اهـ .

و قال الحافظ عند كلامه على أثر ابن عباس رضي الله عنهما تحت الترجمة السابقة : "كذا ترجم المصنف بقوله : ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ...﴾ (٢) ولعله أراد أن يجمع بين قولي ابن عباس فإنه جاء عنه ذلك من هذا الوجه ، وجاء عنه من وجه آخر : آخر آية نزلت على النبي ﷺ : ﴿واتقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله﴾ ، أخرجه الطبري من طرق عنه ، وكذا أخرجه من طرق عن جماعة من التابعين، وزاد عن ابن جريج قال : "يقولون إنه مكث بعدها تسع ليال" ، ونحوه لابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير ، وروى عن غيره أقل من ذلك وأكثر ، فقيل : أحدى وعشرين ، وقيل سبعاً ، وطريق الجمع بين هذين القولين أن هذه الآية هي ختام الآيات المنزلة في الربا إذ هي معطوفة عليهن " (٣) اهـ .

وهذا هو الذي اختاره السيوطي ـ رحمه الله ـ أيضاً فقد قال : "ولا منافاة عندي بين هذه الروايات في آية الربا ، ﴿واتقوا يوماً﴾ ، وآية الدين ، لأن الظاهر أنها نزلت دفعة واحدة كترتيبها في المصحف ، لأنها في قصة واحدة ، فأخبر كل عن بعض ما أنزل بأنه آخر ، وذلك صحيح" (٤) اهـ .

تنبيه :

عند ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ القول الثامن في آخر ما نزل [وهو آخر

١- تفسير الطبري بتحقيق شاكر (٤٠/٦) (بتصرف يسير) .

٢- البقرة (٢٨١) .

٣ ـ فتح الباري (٢٠٥/٨) .

٤- الإتقان (٧٨/١) .

سورة براءة ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم ...﴾ (١) إلى آخر السورة] قال بعد ذلك : "ويمكن نقضه بأنه آخر ما نزل من سورة براءة لا آخر مطلق ، ويؤيده ما قيل من أن هاتين الآيتين مكيتان ، بخلاف سائر السورة . ولعل قوله سبحانه : ﴿فإن تولوا فقل حسبي الله﴾ (٢) إلخ . يشير إلى ذلك من حيث عدم الأمر فيه بالجهاد عند تولي الأعداء وإعراضهم" (٣)اهـ

و هذا النقض الذي ذكره المؤلف يحتاج إلى نقض أيضا ، فإنه غير مسلم له ، لأن الروايات جاءت مصرحة بأنها آخر ما نزل من القرآن ، وهذا لا يمكن توجيهه إلا بما أشرنا إليه فيما سبق بأن كل صاحب قول من هذه الأقوال ـ في آخر ما نزل ـ قال بما علم وبلغه .

ومن هذه الروايات التي ترد ما ذهب إليه المؤلف (٤) : ما أخرجه ابن جرير بسنده ، عن أُبَي بن كعب رضي الله عنه قال : آخر آية نزلت من القرآن : ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم ...﴾ (٥) إلى آخر الآية . وعنه أيضاً أنه قال : آخر آية نزلت على النبي ﷺ : ﴿لقد جاءكم رسول ...﴾. (٦).

وأخرج عنه أيضاً أنه قال : "أحدث القرآن عهداً بالله ، هاتان الآيتان : ﴿لقد جاءكم رسول من أنفسكم ...﴾ إلى آخر الآيتين .

وقد رواه الطبري أيضاً من طريق آخر عن قتادة عن أُبي بن كعب ... (٧) إلا

١ـ التوبة (١٢٨) .

٢ـ التوبة (١٢٩) .

٣ـ المناهل (٩٢/١) .

٤ـ ابن كثير (٢/ ٤١٩) وانظر الإتقان (٧٨/١،٧٩) .

٥ـ تفسير الطبري رقم (١٧٥١٣،١٧٥١٥) وهما من طريق علي بن زيد بن جدعان . قال عنه في التقريب (٢/ ٣٧): "ضعيف" وأخرجه أحمد [انظر الفتح الرباني (١٧٤/١٨)] .

٦ـ فيه علي بن زيد . وهو كسابقيه جاء من طريق شعبة عن علي بن زيد عن يوسف بن مهران ... إلا أنه في الأثرين الماضيين : عن ابن عباس عن أبي بن كعب . وهنا أسقط ابن عباس من الإسناد فرواه ابن مهران عن أبي مباشرة مع أنه لم يلقه . ففيه انقطاع . وهو عند الطبري برقم (١٧٥١٦). وأخرجه الحاكم في المستدرك (٣٣٨/٢) [من طريق شعبة عن يونس بن عبيد وعلي بن زيد]

أنه مرسل لأن قتادة لم يلق أُبياً .

و أخرج الإمام أحمد بسنده عن أبي بن كعب رضي الله عنه : "أنهم جمعوا القرآن في مصاحف في خلافة أبي بكر رضي الله عنه ، فكان رجال يكتبون ويملي عليهم أبي بن كعب ، فلما انتهوا إلى هذه الآية من سورة براءة ﴿ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم ...﴾(١) ، فظنوا أن هذا آخر ما أنزل من القرآن ، فقال لهم أبي بن كعب : إن رسول الله ﷺ أقرأني بعدها آيتين : ﴿لقد جاءكم رسول ...﴾ ثم قال : هذا آخر ما نزل من القرآن ، قال فختم بما فتح به ، بالله الذي لا إله إلا هو ، وهو قول الله تبارك وتعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحي (٢)إليه أنه لا إله إلا أنا ...﴾ (٣) (٤).

ثم إن أمر الله تعالى لنبيه ﷺ بأن يقول ﴿حسبي الله لا إله إلا هو ...﴾(٥) لا يعني أن هذا ممنوع منه بعد فرض الجهاد أبداً .

أما قول المؤلف بأن الآخرية هنا إنما هي بالنسبة لسورة التوبة ، فهو مناقض لما أورده قبل ، وفي نفس السطر ، (٦) من القول بأنهما مكيتان ... !! فكيف نوفق بين كونها مكية ، وبين كونها آخر ما نزل من سورة براءة ؟! لأن براءة كانت في أواخر ما نزل من القرآن ، وهي مدنية كلها بالاتفاق ، إلا الخلاف في هاتين الآيتين .

١ـ التوبة (١٢٧) .

٢ـ قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم "نوحي" بالنون ، وقرأ الباقون بالياء "يوحي" .

٣ـ الأنبياء (٢٥) .

٤ـ الفتح الرباني (٣٢/١٨) قال البنا : "وسنده حسن" وأورده الحافظ ابن كثير في تفسيره (٤١٩/٢) وقال : "هذا غريب" اهـ (ص ٣٣)

٥ـ التوبة (١٢٩) .

٦ـ المناهل (٩٢/١) .

المبحث الخامس

في أســـــباب الـــــنزول

وتـشـــــمل الـــدراســـــة :

أولا : مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ، وذكر القضايا التي ناقشها فيه .

ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث .

× تـنـبـيـــــــــهات .

أولا : مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث وذكر القضايا التي ناقشها فيه :

تعتبر كتابة المؤلف رحمه الله في هذا المبحث شاملة للموضوع من مختلف جوانبه .

فقد بين معنى سبب النزول ، ثم ذكر فوائد معرفة أسباب النزول ، وطريق معرفته ، وأشار إلى العبارة التي بها يعبر عنه ، ثم تكلم عن بعض المسائل المرتبطة بالموضوع مثل : الكلام فيما إذا تعددت الأسباب والنازل واحد . وعكس ذلك أيضاً ، وهو تعدد النازل والسبب متحد .

و من المسائل أيضاً : مسألة عموم اللفظ وخصوص السبب ، والأقوال في ذلك ... مع مناقشة أدلة كل قول ...

ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث :

يمكن أن نلخص إضافات المؤلف رحمه الله هنا بما يلي :

١ـ تكلم المؤلف على معنى سبب النزول ، وشرحه ، وذكر محترزاته مع التمثيل ... وهذا أمر لا نجده في البرهان ، ولا الإتقان ، بل ولا عند من تقدمها كالسخاوي وأبي شامة ، رحم الله الجميع .

و إن كان التعريف الذي ذكره المؤلف رحمه الله ، يفتقر إلى شيء من الاختصار والتركيز ، لأنه من المعلوم أن التعريفات تحتاج إلى اختصار وصياغة ، غير ما يحتاجه الكلام العادي أو الشرح ... وهذا يقع كثيراً للمؤلف رحمه الله ، وقد سبقت الإشارة إليه .

٢ـ عند ذكر المؤلف فوائد معرفة أسباب النزول ، فإنه رتبها ترتيباً جيداً للغاية ، مع أن الإشارة إلى كل واحدة منها موجودة في كلام غيره ـ إلا أنه صاغها ورتبها ، وشرحها بأسلوب حسن ـ سوى الفائدة السابعة ، (١) فإني لم أجدها عند غيره .

× **تنبيهات**

الأول :

عند قول المؤلف "رحمه الله" : "... أما إذا روي سبب النزول بحديث مرسل ، أي سقط من سنده الصحابي ، وانتهى إلى التابعي ، فحكمه أنه لا يقبل إلا إذا صح ، واعتضد بمرسل آخر ، وكان الراوي له من أئمة التفسير ، الآخذين عن الصحابة ، كمجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير" اهـ (١)

ولا يخفى على من له معرفة بعلوم الحديث ما في قبول المرسل من الخلاف الكثير ، والأقوال المتنوعة ... ولسنا هنا نرغب بذكر شيء منها أو مناقشته ...

و إنما أردت التنبيه على أن القيد الأخير الذي ذكره المؤلف وهو قوله : "وكان الراوي من أئمة التفسير ..." إلخ ليس بلازم ، ولم أر أحداً ذكره قبل المؤلف ، سوى السيوطي في الإتقان (٢) ، ولا أظن أن المؤلف ، ولا السيوطي قبله ، يرون رد المرسل الذي تعددت طرقه ، ووثقت حملته ، إذا كان راويه ليس من أئمة التفسير .

الثاني :

نقل المؤلف عن ابن تيمية رحمه الله ما يلي : "قد يجيء كثيراً من هذا الباب قولهم : هذه الآية نزلت في كذا ، لا سيما إن كان المذكور شخصاً ، كقولهم : إن آية الظهار نزلت في امرأة قيس بن ثابت (٣) ، وإن آية الكلالة..." (٤) .

و من المعلوم أن النازل في امرأة ثابت بن قيس هو آية الخلع ، (٥) ، أما آية الظهار فإنها نازلة في امرأة أوس بن الصامت (٦) . (٧) .

١ـ مناهل العرفان (١/١٠٧) .

٢ـ الإتقان (١/٩١) .

٣ـ الصواب "ثابت بن قيس" وهو : ثابت بن قيس بن شماس بن مالك ابن امرىء القيس الخزرجي ، أبو عبد الرحمن ، خطيب النبي ﷺ ، استشهد باليمامة سنة (١٢هـ) . تهذيب التهذيب (٢/١١) .

٤ـ المناهل (١/١١٩) .

٥ـ انظر تفسير ابن كثير (١/٢٧٣) ، سير أعلام النبلاء (١/٣١٢) ، فتح الباري (٩/٢٦٥) ، الإتقان (١/٨٥، ٨٦) .

٦ـ انظر تفسير ابن كثير (٤/٣١٨) .

٧ـ أوس بن الصامت الأنصاري ، الخزرجي ، بدري ، أخو عبادة بن الصامت . توفي أيام عثمان رضي الله عنه ، وله خمس وثمانون سنة . التقريب (١/٨٥) .

ثم إن النص الذي نقله المؤلف عن ابن تيمية موجود في كتابه "مقدمة في أصول التفسير" دون الخطأ الذي وقع للمؤلف . فقد قال ابن تيمية في الكتاب المشار إليه : "إن آية الظهار نزلت في امرأة أوس بن الصامت ..." (١).

المبحث السادس

في نـزول الـقـــرآن علـى سبـــعـة أحـــرف

و تـشـــمل الـــدراســـة:

أولا : مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ، وذكر القضايا التي ناقشها فيه .

ثانياً : مناقشة المؤلف في مسائل من هذا المبحث .

أولا : مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ، وذكر القضايا التي ناقشها فيه :

تكلم المؤلف رحمه الله في هذا المبحث عن سائر القضايا والمسائل المهمة التي تتعلق بنزول القرآن على سبعة أحرف ، ولم يترك شيئاً مهماً وله تعلق بهذا الموضوع ، إلا وقد أتى به .

و قد ذكر رحمه الله في هذا المبحث أدلة نزول القرآن على سبعة أحرف ، ثم تعرض لذكر الفوائد والحكم في نزول القرآن على سبعة أحرف ، ثم بين المراد بالسبعة الأحرف .

بعد ذلك تطرق إلى بيان أنها كلها صواب من عند الله لا يجوز إنكار شيء منها ، ثم نبه إلى مدى حرص الصحابة على القرآن من أن يتطرق إليه التبديل والتحريف .... وكل هذه الأمور التي مرت بك إنما هي فوائد استخلصها من الأحاديث التي ساقها في نزول القرآن على سبعة أحرف .

بعد ذلك تطرق لبيان معنى نزول القرآن على سبعة أحرف ... مع ذكر الأقوال في ذلك بأدلتها والترجيح ، ونسبة كل قول إلى قائله ..

ثم تعرض للكلام في بقاء الأحرف السبعة في المصاحف ... مع ذكر الأقوال ومناقشتها ... ثم ساق كعادته بعض الشبهات حول الموضوع ، ثم حاول الإجابة عنها(١).

ثانياً : مناقشة المؤلف في قضايا متعددة من هذا المبحث .

و هـــي :

١ـ حول تواتر حديث الأحرف السبعة .

٢ـ معنى نزول القرآن على لغات متعددة من لغات العرب .

٣ـ حول إمكانية تحديد الأوجه السبعة .

٤ـ هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف أو بعضها ؟

المسألة الأولى : حول تواتر حديث الأحرف السبعة :

أشار المؤلف ـ رحمه الله ـ إلى أن حديث الأحرف السبعة جاء من طرق مختلفة كثيره ... وعد من رواته من الصحابة واحداً وعشرين صحابياً ، ثم قال : "وكأن هذه الجموع التي يؤمن تواطؤها على الكذب ، هي التي جعلت الإمام أبا عبيد بن سلام يقول بتواتر هذا الحديث . لكنك خبير بأن من شروط التواتر ، توافر جمع يؤمن تواطؤهم على الكذب في كل طبقة من طبقات الرواية ، وهذا الشرط إذا كان موفوراً هنا في طبقة الصحابة كما رأيت فليس بموفور لدينا في الطبقات المتأخرة ..." اهـ (١) .

و أنت تعلم أن هذه الروايات الكثيرة سواء التي ذكرها أو غيرها مما لم يذكره ، جاءت بالأسانيد إلى المصنفين وأصحاب الكتب المعتمدة في السنة ، أو في بعض كتب التفسير ؛ بل إن بعضها جاء من طرق متعددة ، وبهذا تعلم أن الشرط هنا غير منتف بعد رتبة وطبقة الصحابة ، بل إنه في كل طبقة من طبقات الإسناد ، ثم إن توفره في الطبقات التي دون الصحابة آكد وأكثر منه في طبقتهم للأمر الذي ذكرت ؛ وأظن أن معرفة مثل هذا الحكم هنا بدهية جداً ، فلا تحتاج إلى كثرة نظر ، وطول فحص وتأمل ، فقد رواه أكثر من عشرين صاحباً ، وكل صحابي رواه عنه تابعي أو أكثر ... وهكذا ...

قال أبو عبيد رحمه الله بعد أن ساق بعض روايات حديث الأحرف السبعة : "قد تواترت هذه الأحاديث كلها على الأحرف السبعة ..." اهـ . (٢) .

و قال ابن الجزري ، بعد نقله حكم أبي عبيد بالتواتر : "وقد تتبعت طرق هذا الحديث في جزء مفرد جمعته في ذلك ، فروياه من حديث عمر بن الخطاب ، وهشام بن حكيم بن حزام (٣) ، وعبد الرحمن بن عوف ، وأبي بن كعب (٤) ...." وذكر جمعاً ممن رواه من الصحابة .

و إذا أردت أن تقف على أكبر قدر من روايات حديث الأحرف السبعة ،

١- المناهل (١/١٣٢) .

٢- فضائل القرآن لأبي عبيد (٣٠٧) .

فانظر على سبيل التمثيل لا الحصر : فضائل القرآن لأبي عبيد (ص ٣٠١ ـ ص ٣٠٧) ، تفسير الطبري (ج ١/ص ٢١ ـ ص ٦٧) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان (ج ٢/ص ٥٩ ـ ص ٦٣) ، الإبانة عن معاني القراءات (ص ٧٨ ـ ص ٨٥) الأحرف السبعة للداني (ص ١١ ـ ص ٢٢)، التمهيد (ج ٢٧٢/٧) ، مشكل الآثار (ج ٤/ص ١٨١ ـ ص ١٩٥) ، شرح السنة (ج ٤/ص ٥٠١ ـ ص ٥١٢) ، المرشد الوجيز (ص ٧٧ ـ ٩٠) ، جامع الأصول (ج ٢/ص ٤٧٧ ـ ص ٤٨٤) ، فضائل القرآن لابن كثير (ص ٢٦ ـ ص ٣١) ، مجمع الزاوائد (ج ٧/ص ١٥٠ ـ ص ١٥٤) ، كنز العمال (ج٢/ص٥٩١ـ٦١٠) ، بحثاً للدكتور عبد العزيز القارئ عن حديث الأحرف السبعة في مجلة كلية القرآن الكريم ـ في الجامعة الإسلامية ـ (ص ٢٧ ـ ص ٥٦) .

المسألة الثانية : معنى نزوله على لغات متعددة من لغات العرب

تعرض المؤلف ـ رحمه الله ـ لذكر بعض فوائد اختلاف القراءات ، وتعدد الأحرف التي نزل عليها القرآن فقال : "... جمع الأمة الاسلامية الجديدة على لسان واحد ، يوحد بينها ، وهو لسان قريش ، الذي نزل به القرآن الكريم ، والذي انتظم كثيراً من مختارات ألسنة القبائل العربية ، التي كانت تختلف إلى مكة في موسم الحج ، وأسواق العرب المشهورة . فكان القريشيون يستملحون ما شاءوا ، ويصطفون ما راق لهم من ألفاظ الوفود العربية القادمة إليهم من كل صوب وحدب ، ثم يصقلونه ، ويهذبونه ، ويدخلونه في دائرة لغتهم المرنة ، التي أذعن جميع العرب لها بالزعامة ، وعقدوا لها راية الإمامة ، وعلى هذه السياسة الرشيدة نزل القرآن على سبعة أحرف ، يصطفي ما شاء من لغات القبائل العربية ، على نمط سياسة القرشيين ، بل أوفق . ومن هنا صح أن يقال : إنه نزل بلغة قريش لأن لغات العرب جمعاء تمثلت في لسان القرشيين بهذا المعنى(١) ..." اهـ .

و هذا الفهم من المؤلف غير مسلم له ، لأنه معارض لأدلة ونقول متعددة ، تدل على خلافه ؛ وإن كان المؤلف قد سُبق إلى هذا الرأي ؛ فقد ذكر ابن الجوزي رحمه الله ، بعض الأقوال المختلفة في تحديد اللغات التي نزل عليها القرآن ، ثم عقب ذلك بقوله : "بل نقول نزل القرآن على سبع لغات فصيحة من لغات العرب ، وقد كان بعض مشايخنا يقول : كله بلغة قريش ، وهي تشتمل على أصول من القبائل، هم أرباب الفصاحة وما يخرج عن لغة قريش في الأصل لم يخرج عن لغتها في الاختيار(٢)" اهـ

و ليس ثمت اعتراض على أن قريشا هم أفصح العرب لغة ؛ ومما يساعدهم على ذلك أن العرب كانت تجتمع عندهم في المواسم في مكة والأسواق المجاورة لها كسوق عكاظ مثلا ، ولربما تحاكموا إليهم ... وقريش يسمعون كلامهم وأشعارهم ... وقد يقتبسون بعض ما أستحسنوه من كلام هؤلاء القبائل ويضيفوه إلى لغتهم (٣) ... كل هذا مسلم ؛ ولكن هل كل ما نزل عليه القرآن من اللغات هو داخل في لغة

قريش بهذا المعنى ؟! الواقع يدل على أن بعض الصحابة من قريش ، وهم من أعلم الناس بلغتهم ، وبالقرآن الكريم ، كانوا لا يفهمون بعض الكلمات في القرآن ، فلو كانت من لغتهم لعرفوا معناها ... كتوقف عمر رضي الله عنه في معنى "الأب" في قوله تعالى ﴿وفاكهة وأبا ...﴾(١) وتوقف ابن عباس رضي الله عنهما في معنى : ﴿فاطر﴾ حتى جاءه أعرابيان يختصمان في بئر وأحدهما يقول أنا فطرتها ... والحادثة مشهورة* ... ومما يدل على خلاف ما ذكره المؤلف ، أن بعض الصحابة مثل ابن عباس وجماعة من التابعين ، حاولوا تحديد اللغات التي نزل عليها القرآن بأسمائها(٢) ، وهذا يدل على أنهم يرون أنه نزل على سبع لغات متغايرة من لغات العرب ... وليس بلازم أن تكون داخلة تحت اللغة المتعارفة بين القرشيين ، بل قد تخفى عليهم كما مثلت ... بل إن الآثار مستفيضة في نسبة بعض الكلمات في القرآن إلى لغات أخرى سوى لغة قريش (٣) ، ثم إن التيسير والتسهيل الذي تعددت الأحرف من أجله قد لا يتحقق إلا بالصورة التي ذكرت .

أما ما ورد بأنه(٤) نزل على لغة قريش ، فإن ذلك محمول على الأغلبية ، أو يقال : إن ذلك باعتبار بدايةالنزول ، فإن اللغات الأخرى لم تنزل إلا بعد التوسعة بنزول الأحرف السبعة ـ والتي تعد اللغات المختلفة جزءاً منها ـ وذلك في المدينة بعد الهجرة .. أما في مكة فقد كان ينزل على لغة قريش .

"وقد يشكل هذا القول على بعض الناس فيقول : هل كان جبريل عليه السلام يلفظ باللفظ الواحد سبع مرات ؟ فيقال له : إنما يلزم هذا إن قلنا إن السبعة الأحرف تجتمع في حرف واحد ، ونحن قلنا : كان جبريل يأتي في كل عرضة بحرف إلى أن تمر سبعة"(٥) .

و قد نقل القرطبي عن الباقلاني أنه قال : "معنى قول عثمان : "فإنه نزل بلسان قريش" يريد معظمه وأكثره ، ولم تقم دلالة قاطعة على أن القرآن بأسره منزل بلغة قريش فقط ، إذ فيه كلمات وحروف هي خلاف لغة قريش ، وقد قال الله تعالى

١ـ عبس (٣١) . وقد ساقه ابن كثير في تفسيره وعقبه بقوله : " اسناده صحيح ، وقد رواه غير واحد عن أنس به" . ١٠ ـ ر

٢ـ انظر مثلا : تفسير الطبري (١/ص ٦٦ ـ ص ٦٧) وفنون الأفنان (ص ٢١٧) . تفسير ابن كثير ٤٧٣/٤ .

٣ـ انظر فضائل القرآن لأبي عبيد (ص ٣٠٨ ـ ص ٣١٧) .

٤ـ أعني القرآن الكريم .

٥ـ ما بين القوسين من كلام الزركشي رحمه الله : البرهان (٢٢٠/١) ، وانظر الإتقان (١٣٦/١) .

* أوردها ابن كثير في تفسيره ٥٤٦/٣ . وفي اسناد هذه الرواية ابراهيم بن مهاجر (وهو البجلي) قال عنه في التقريب : "صدوق لين الحفظ" أ.هـ انظر التقريب ٤٤/١ .

﴿إنّا جعلناه قرآناً عربياً﴾(١) ولم يقل "قرشياً" وهذا يدل على أنه منزل بجميع لسان العرب وليس لاحد أن يقول إنه أراد قريشاً من العرب دون غيرها ، كما أنه ليس له أن يقول : أراد لغة عدنان دون قحطان أو ربيعة دون مضر لأن اسم العرب يتناول جميع هذه القبائل تناولا واحداً" اهـ كلام الباقلاني

و نقل القرطبي أيضاً عن ابن عبد البر: "قول من قال : "إن القرآن نزل بلغة قريش معناه عندي في الأغلب ، والله أعلم ، لأن غير لغة قريش موجودة في صحيح القراءات من تحقيق الهمزات ونحوها ، وقريش لا تهمز" اهـ (٢) .

المسألة الثالثة : حول إمكانية تحديد الأوجه السبعة :

اختار المؤلف ـ رحمه الله ـ مذهب الرازي (١) في تحديد الأوجه السبعة فقال تحت عنوان "الأوجه السبعة في المذهب المختار" : ".. والذي نختاره ـ بنور الله وتوفيقه ـ من بين تلك المذاهب والآراء هو ما ذهب إليه الإمام أبو الفضل الرازي ..." اهـ (٢) ثم عد تلك الأوجه السبعة .

و أود أن أنبه هنا إلى ناحيتين اثنتين ، قبل ذكر الاعتراض على المؤلف في شيء مما قال ، وهما :

الأولى : موافقتي للمؤلف ـ رحمه الله ـ في أن معنى نزوله على سبعة أحرف ، أي أوجه ... (٣) .

الثانية : أن الأوجه السبعة التي حددها الرازي تعتبر شاملة لأكثر الأوجه التي ذهب إليها غيره ، فلا يخرج عن ذلك إلا القليل .

وبعد أن عرفت هذا ، فلتعلم أنه لم يرد عن النبي ﷺ شيء ثابت يحدد هذه الأوجه ... وكل ما ذكر من هذه الأوجه إنما ذكر من باب الاستنباط والاستقراء ... فقد يمكث إمام من أكبر أئمة هذا الشأن في محاولة لحصر هذه الأوجه وتحديدها مدة زمنية تزيد على ثلاثين عاماً ! ثم يأتي بعده من يستدرك عليه ! كل ذلك لأن العقول متفاوتة ، والأفهام متنوعة ، مع كثرة العلوم ، وصفة النقص اللازمة للعقل البشري ...

و عليه فإنه من الصعب ـ بعد أن نحدد المعنى المراد بنزول القرآن على سبعة أحرف ـ أن نحددتلك الأوجه السبعة ، ونحكم على ما خالفها بأنه باطل ومردود ، وليس معنا نقل من المعصوم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ نعتمد عليه فيما حددنا .

١ـ أعني أبا الفضل الرازي .

٢ـ المناهل (١/١٤٨) .

٣ـ وهذا ما ذهب إليه كثير من أهل العلم ، منهم : أبو الفضل الرازي ، وابن قتيبة ، والباقلاني ، وأبو العباس أحمد بن محمد بن واصل الكوفي ، وأبو طاهر بن أبي هاشم ، (وأبو العلاء الحسن بن أحمد ، ونسبه إلى مالك بن أنس) وأبو غانم المظفر بن أحمد بن حمدان ، وابن الجزري ، والسخاوي ، ومكي ، وأبو عمرو الداني وغيرهم ... راجع : النشر (١/٣٦ ـ ٤٢)، مشكل الآثار (٤/٣٦) ، المرشد الوجيز (١١٦ ـ ١١٨،١٢٣،١٣٦) ، الإبانة (٥٣ ـ ٥٨)، فنون الأفنان (٢٠٧،٢٠٩،٢١١) .

و لا يفوتنا أن ننبه إلى أن القائلين بأن معنى الأحرف : "الأوجه" قد اختلفوا في تحديد هذه الأوجه على أقوال تزيد على العشرة ، تتفاوت فيما بينها من حيث الشمول وعدمه ، تفاوتاً ظاهراً .

كل هذا الاختلاف لمحاولتهم تحديد هذه الأوجه ، وليس معهم ما يحدد ذلك تحديداً جازماً لا يرد عليه المعارض .

و لكن السلامة ـ كل السلامة ـ أن يقال بأن هذه الأوجه سبعة ، كالتقديم والتأخير ، والزيادة والنقصان ، والإبدال ... وما أشبه ذلك من أوجه التغاير ... ، وذكرنا لهذه الأوجه ، إنما هو على سبيل التمثيل والتوضيح ... لا الحصر والتحديد كما تقدم ..

و إذا أردت أن تعرف قرب ما ذكرنا فما عليك إلا أن تلقي نظرة فاحصة للاختلاف الواقع بين الأوجه التي حددها بعض أهل العلم فإنك تجد تداخلا بين كثير منها ، فلربما أمكن حصر سبعة اختارها بعضهم بوجهين اثنين أو ثلاثة ... وأكثرها قد لا يزيد على خمسة أوجه ، لتداخلها مع بعضها البعض .

و لكن بعض المحققين خرج من ذلك الحصر ... مثل أبي عمرو الداني رحمه الله فقد قال : "وأما في أي شيء يكون اختلاف هذه السبعة الأحرف ؟! فإنه يكون في أوجه كثيرة منها ... (١)" وذكر ما يقارب تسعة عشر وجهاً من أوجه التغاير ... الواقعة بين تلك الأحرف .

المسألة الرابعة : هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع الأحرف أو بعضها ؟ !

يرى الزرقاني ـ رحمه الله ـ أن المصاحف العثمانية حوت جميع الأحرف السبعة ، وأن ما خالفها مما نقل إلينا عن بعض الصحابة فهو منسوخ ... فاستمع إليه وهو يقول : "إن المصاحف العثمانية قد اشتملت على الأحرف السبعة كلها ولكن على معنى أن كل واحد من هذه المصاحف اشتمل على ما يوافق رسمه من هذه الأحرف ، كلا أو بعضاً ، بحيث لم تخل المصاحف في مجموعها عن حرف منها رأساً" (١) اهـ وبما أننا لم نطلع على جميع المصاحف العثمانية فمن الصعوبة بمكان أن نطلق مثل هذا الحكم ..

نعم هناك اختلافات متعددة بين النسخ التي أمر عثمان رضي الله عنه بكتابتها (٢) .

لكن هل هذه الاختلافات هي وحدها الاختلافات الثابتة بين الأحرف السبعة في الرسم أو أنها بعضها ؟ أو أنها كلها دائرة على حرف واحد لا تخرج عنه ؟! أو أنها بعض حرف ؟! كل واحد من هذه الاحتمالات قال به بعض أهل العلم

و لا سبيل لنا بالقطع بواحد منها أو ترجيحه على غيره إلا بتتبع الروايات والنصوص التي جاءت إلينا لتتضح لنا حقيقة الحال ، مع مقارنة ذلك بما هو مثبت في المصحف أيضاً .

و قد نقل السبب الذي من أجله جمع عثمان المصحف ، جماعة من أصحاب المصنفات المشهورة ، منهم الإمام البخاري في صحيحه حيث روى بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن حذيفة بن اليمان ، قدم على عثمان ، وكان يغازي أهل الشام في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى . فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف

١ـ المناهل (١/١٦٢) ، وأيضاً راجع : (١٦٨ ـ ١٧١) .

٢ـ انظر مثلا : فضائل القرآن لأبي عبيد (ص ٢٩٤) تحت عنوان "حروف القرآن التي اختلفت مصاحف أهل الحجاز وأهل العراق وهي أثنا عشر حرفاً" إلى (ص ٢٩٥) ، ثم عنوان "هذه الحروف التي اختلفت فيها مصاحف أهل الشام وأهل العراق وقد وافقت أهل الحجاز في بعض ، وفارقت بعضاً" (ص ٢٩٦ ـ ص ٣٠٠) .

ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك . فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ، فأمر زيد بن ثابت ، وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص (١) وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام (٢) ، فنسخوها في المصاحف ، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخه ، وأمروا بما سواه من القرآن في كل صحيفة ومصحف أن يحرق (٣)" .

فهذا النص واضح في أن عثمان رضي الله تعالى عنه أنما نسخ الصحف التي كتبها أبو بكر رضي الله عنه وليس فيه ما يدل على أنه نقص شيئاً منها أو زاد .

و قد ساق الحافظ عند شرحه للحديث ، رواية عمارة بن غزية (٤) ، وفيها أن حذيفة قال لعثمان : "أهل الشام يقرءون بقراءة أبي بن كعب فيأتون بما لم يسمع أهل العراق ، وإذا أهل العراق يقرءون بقراءة عبد الله بن مسعود ، فيأتون بما لم يسمع أهل الشام ، فيكفر بعضهم بعضاً" . قال الحافظ : "وأخرج ابن أبي داود أيضاً من طريق يزيد بن معاوية النخعي (٥) قال : إني لفي المسجد زمن الوليد بن عقبة في حلقة فيها حذيفة ، فسمع رجلا يقول قراءة عبد الله بن مسعود ، وسمع آخر يقول : قراءة أبي موسى الأشعري ، فغضب ، ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : هكذا كان من قبلكم اختلفوا ، والله لأركبن إلى أمير المؤمنين ..."(٦).

و قد ورد أيضاً ما يدل على وقوع قريب من هذا في المدينة نفسها ...

و هذا وغيره مثله ، يدل على الأمر الذي حمل عثمان على جمع الناس على مصحف واحد ، نسخ فيه الصحف التي كتبها أبو بكر رضي الله تعالى عنه .

لكن بقي علينا أن نعرف حقيقة جمع أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه ؛

١ـ سعيد بن العاص بن أمية الأموي ، كان عمره يوم وفاة النبي ﷺ تسع سنين ، ولاه عثمان على الكوفة ، ومعاوية على المدينة . توفي سنة (٥٨هـ) .التقريب (٢٩٩/١).

٢ـ عبد الرحمن بن الحارث بن هشام بن المغيرة المخزومي ، أبو محمد المدني ، له رؤية ، وكان من كبار ثقات التابعين . مات سنة (٤٣هـ) .التقريب (٤٧٦/١).

٣ـ البخاري مع الفتح رقم (٤٩٨٧) ، وانظر تفسير الطبري رقم (٦٢٥٩) .

٤ـ عمارة بن غزية بن الحارث الأنصاري ، المازني توفي سنة (١٤٠هـ) . التقريب (٥١/٢) .

هل جمع القرآن على السبعة أحرف ؟ أو أنه جمعه على حرف واحد ؟!

الظاهر أن أبا بكر رضي الله عنه جمع القرآن على العرضة الأخيرة ، التي عرضها رسول الله ﷺ على جبريل في العام الذي قبض فيه . (١) .

و حين ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، حديث عائشة ، وابن عباس ، في معارضة جبريل للنبي ﷺ القرآن ... قال : "والعرضة الآخرة هي قراءة زيد بن ثابت (٢) وغيره ، وهي التي أمر الخلفاء الراشدون ، أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، بكتابتها في المصاحف ، وكتبها أبو بكر وعمر في خلافة أبي بكر في صحف ... ثم أمر عثمان في خلافته بكتابتها في المصاحف ، وإرسالها إلى الأمصار ، وجمع الناس عليها ... فالذي عليه جمهور العلماء من السلف والأئمة أنها حرف من الحروف السبعة ، بل يقولون : إن مصحف عثمان هو أحد الحروف السبعة ، وهو متضمن للعرضة الآخرة التي عرضها النبي ﷺ على جبريل ، والأحاديث ، والآثار المشهورة ، المستفيضة تدل على هذا القول ..." ا . هـ (٣) وهذا هو السبب في أن عثمان رضي الله عنه لم يحرق الصحيفة التي عند حفصة ، كما حرق ما عداها من الصحف والمصاحف ، لأنها هي بعينها الذي كتبه . (٤)

و قال ابن عبد البر : "وأما حرف زيد بن ثابت ، فهو الذي عليه الناس في مصاحفهم اليوم وقراءتهم من بين سائر الحروف ، لأن عثمان جمع المصاحف عليه بمحضر جمهور الصحابة ، وذلك بين في حديث الدراوردي (٥) ، عن عمارة بن غزية

١ـ قال أبو عبد الرحمن السلمي : "كانت قراءة أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وزيد بن ثابت ، والمهاجرين والأنصار ، واحدة ، كانوا يقرءون القراءة العامة ، وهي القراءة التي قرأها رسول الله ﷺ على جبريل مرتين في العام الذي قبض فيه ، وكان زيد قد شهد العرضة الأخيرة ، وكان يقرئ الناس بها حتى مات ، ولذلك اعتمده الصديق في جمعه وولاه عثمان كتبة المصحف". اهـ نقلا عن البرهان (١/٢٣٧) .

٢ـ قال الزركشي رحمه الله : "واختلف في الحرف الذي كتب عثمان عليه المصحف ، فقيل : حرف زيد ابن ثابت ، وقيل : حرف أبي بن كعب ، لأنه العرضة الأخيرة التي قرأها رسول الله ﷺ وعلى الأول أكثر الرواة . ومعنى حرف زيد : أي : قراءته وطريقته" اهـ البرهان (١/٢٥٦) .

٣ـ انظر مجموع الفتاوى (١٣/٣٩٥) .

٤ـ انظر : فضائل القرآن لابن كثير (ص ٢٢،ص ٢٣) .

٥ـ هو الإمام المحدث عبد العزيز بن محمد ، أبو محمد الجهني ، مولاهم المدني الدراوردي . توفي سنة (١٨٧هـ) . سير أعلام النبلاء (٨/٣٦٦).

... وهو أتم ما روي من الأحاديث في جمع أبي بكر للقرآن ، ثم أمر عثمان بكتابة المصاحف بإملاء زيد ..." اهـ . (١) .

ونسب مكي (٢) رحمه الله القول بكتابة المصحف على حرف زيد ، الذي هو العرضة الأخيرة إلى أكثر الرواة (٣) وقد ساق البغوي في شرح السنة ، رواية تدل على ما ذكرنا آنفا ـ إن صحت الرواية ـ (٤) وهي ما روي عن مصعب بن سعد (٥) أنه قال : لما كثر اختلاف الناس في القرآن قالوا : قراءة ابن مسعود ، وقراءة أُبي ، وقراءة سالم مولى أبي حذيفة (٦) ، قال : فجمع عثمان أصحاب رسول الله ﷺ فقال : إني رأيت أن أكتب مصاحف على حرف زيد بن ثابت ، ثم أبعث بها إلى الأمصار . قالوا : نعم ما رأيت ... (٧).

و مما يدل على أن عثمان رضي الله عنه لم يجمع المصحف على الأحرف السبعة كلها ، ما أخرجه البيهقي في السنن بسنده ، عن علي رضي الله عنه قال : اختلف الناس في القرآن على عهد عثمان ، فجعل الرجل يقول للرجل : قراءتي خير من قراءتك ، فبلغ ذلك عثمان ، فجمنا أصحاب رسول الله ﷺ فقال : إن الناس قد اختلفوا اليوم في القراءة ، وأنتم بين ظهرانيهم ، فقد رأيت أن أجمع على قراءة واحدة . قال : فأجمع رأينا على ذلك . قال : وقال علي ! لو وليت مثل الذي ولي ، لصنعت مثل الذي صنع . وفي رواية : يرحم الله عثمان ، لو كنت أنا لصنعت في المصاحف ما صنع عثمان" (٨)

١ـ التمهيد (٢٩٩/٧) ، وراجع أيضاً (ص ٢٩٣ ، ص ٢٩٤) من نفس الجزء .

٢ـ هو الإمام المقرىء ، أبو محمد ، مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار ، القيسي القيرواني ، ثم القرطبي ، ولد بالقيروان سنة (٣٥٥هـ) ، وتوفي سنة (٤٣٧هـ) . سير أعلام النبلاء (٥٩٢/١٧) .

٣ـ انظر الإبانة (ص ٧٠ ـ ص ٧١) .

٤ـ وهي لا تصح .

٥ـ مصعب بن سعد بن أبي وقاص الزهري ، أبو زرارة المدني ، توفي سنة (١٠٣هـ) . التقريب (٢٥١/٢).

٦ـ هو سالم بن معقل ، من السابقين الأولين البدريين أصله من اصطخر . استشهد رضي الله عنه يوم اليمامة . سير أعلام النبلاء (١٦٧/١).

٧ـ شرح السنة (٥٢٤/٤) .

و ذهب إلى القول بأن القراءات السبع أو العشر ، إنما هي بعض الأحرف السبعة لا كلها ، أكثر العلماء كما أشار إلى ذلك ابن الجزري رحمه الله (١) ، وهو المذهب الذي ارتضاه ، وممن نسبه إلى الجمهور أيضاً ، السيوطي في الإتقان . (٢) وممن ذهب إلى هذا من العلماء : أبو العباس المهدوي رحمه الله (٣) ، والحافظ ابن حجر ، (٤) ، وغيرهم ...

و ذهب الطبري ، وابن عبد البر ، رحمهما الله تعالى ، إلى أنه ليس بأيدي الناس من الأحرف السبعة التي نزل القرآن عليها إلا حرف واحد . (٥) .

قال الحافظ : "والحق أن الذي جُمع في المصحف هو المتفق على إنزاله ، المقطوع به ، المكتوب بأمر النبي ﷺ ، وفيه بعض ما اختلف فيه الأحرف السبعة ، لا جميعها ، كما وقع في المصحف المكي : ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ (٦) في آخر براءة ، وفي غيره بحذف "من" ، وكذا ما وقع من اختلاف مصاحف الأمصار في عدة روايات ثابته في بعضها دون البعض ،... وهو محمول على أنه نزل بالأمرين معاً ، وأمر النبي ﷺ بكتابته لشخصين أو أعلم بذلك شخصاً واحداً ، وأمره بإثباتها على الوجهين ، وما عدا ذلك من القراءات مما لا يوافق الرسم فهو مما كانت القراءة جوزت به توسعة على الناس وتسهيلا ، فلما آل الحال إلى ما وقع من الاختلاف من زمن عثمان ، وكفَّر بعضهم بعضاً ، اختاروا الاقتصار على اللفظ المأذون في كتابته ، وتركوا الباقي ..." اهـ (٧) .

و قد أجاب الطبري رحمه الله عن سؤال متوقع ، وهو : كيف ساغ للصحابة رضوان الله عليهم ، وعلى رأسهم عثمان رضي الله عنه ، ترك شيء نزل به القرآن ، وتلقوه من رسول الله ﷺ ... ؟! فقال ما ملخصه : "إن الأمة أُمرت بحفظ

١ـ منجد المقرئين (ص ٥٦) ، النشر (٣١/١) .

٢ـ الإتقان (١٤١/١،١٤٢) .

٣ـ هو : أحمد بن عمار ، أبو العباس المهدوي ، المفسر المقرىء . توفي في حدود سنة (٤٣٠هـ) . طبقات المفسرين للسيوطي (ص١٩).

٤ـ الفتح (٣٠/٩) .

٥ـ انظر تفسير الطبري (٥٨/١،٥٩،٦٤،٦٥) ، التمهيد (٢٩٥/٧ ـ ٢٩٦) .

٦ـ التوبة (١٠٠) .

٧ـ الفتح (٣٠/٩) .

القرآن ، وخُيرت في قراءته وحفظه بأي تلك الأحرف السبعة شاءت ، كما أُمرت إذا هي حنثت في يمين ، وهي موسرة أن تكفر بأي الكفارات الثلاث شاءت : إما بعتق ، أو إطعام ، أو كسوة ، فلو أجمع جميعها على التكفير بواحدة من الكفارات الثلاث ، دون حظرها التكفير بأي الثلاث شاء المكفر ، كانت مصيبة حكم الله ، مؤدية في ذلك الواجب عليها من حق الله ، فكذلك الأمة ، أمرت بحفظ القرآن ، وقراءته ، وخُيرت في قراءته بأي الأحرف السبعة شاءت ، فرأت ـ لعلة من العلل أوجبت عليها الثبات على حرف واحدٍ ـ قراءته بحُرف واحد ، ورفض القراءة بالأحرف الستة الباقية ، ولم تحظر قراءته بجميع حروفه على قارئه بما أذن له في قراءته به »(١) .

و قال أيضاً : "... إن أمره إياهم بذلك ـ أي القراءة بما أرادوا من الأحرف السبعة ـ لم يكن أمر إيجاب وفرض ، وإنما كان أمر إباحة ورخصة . لأن القراءة بها لو كانت فرضاً عليهم لوجب أن يكون العلم بكل حرف من تلك الأحرف السبعة ، عند من تقوم بنقله الحجة ويقطع خبره العذر ، ويزيل الشك من قَرَأَةِ الأمة . وفي تركهم نقل ذلك كذلك أوضح الدليل على أنهم كانوا في القراءة مخيرين ، بعد أن يكون في نقلة القرآن من الأمة من تجب بنقله الحجة ببعض تلك الأحرف السبعة ، وإذا كان ذلك كذلك ، لم يكن القوم بتركهم نقل جميع القراءآت السبع ، تاركين ما كان عليهم نقله ، بل كان الواجب عليهم من الفعل ما فعلوا . إذ كان الذي فعلوا من ذلك كان هو النظر للإسلام وأهله . فكان القيام بفعل الواجب عليهم بهم أولى من فعل ما فعلوه ، كانوا إلى الجناية على الإسلام وأهله أقرب منهم إلى السلامة من ذلك" اهـ .(٢) .

و يطرأ هنا سؤال آخر يحتاج إلى جواب ، وهو : ما وجه اختلاف القراءات مع قولنا إن عثمان رضي الله عنه جمع الناس على حرف واحد ، هو حرف زيد بن ثابت ، الذي كانت عليه العرضة الأخيرة التي عرضها جبريل على الرسول ﷺ ؟!

و الجواب عن هذا السؤال هو أن يقال : إن المصاحف التي كتبها عثمان

رضي الله عنه كانت خالية من الشكل والنقط ... وكان الصحابة رضوان الله عليهم قد تفرقوا في الأمصار وكل منهم أخذ من القرآن نصيباً ، أو تعلم شيئاً منه من النبي ﷺ ، وقد تخالف قراءته قراءة غيره ، وهذا أمر معلوم ومشهور ، ثم إن أهل كل مصر كانوا قد قرأوا على قراءة من كان بمصرهم من أصحاب رسول الله ﷺ ، فأخذ أهل البصرة بقراءة أبي موسى ، وأهل الكوفه بقراءة علي وابن مسعود ... فلما أُمروا بأن يقرأوا بما وافق المصحف العثماني قرأ كل أهل مصر من قراءتهم التي تعلموها ما وافق رسم المصحف ، وأما ما خالفه فتركوا القراءة به ... (١) ومن ثم كان الاختلاف في القراءات .

أما الاختلافات الواقعة بين المصاحف ، فالظاهر أن ذلك كان موجوداً في صحف أبي بكر رضي الله عنه ، وأن النبي ﷺ كان قد أمر بكتابتها على تلك الأوجه التي كان بها اختلاف مصاحف الأمصار ، وقد تقدم كلام الحافظ رحمه الله تعالى حول هذا المعنى فراجعه .

و الخلاصة مما سبق أن يقال بأن جبريل كان يعرض القرآن على النبي ﷺ كل سنة عرضة ـ والظاهر أن كل عرضة كانت على حرف ـ(٢) وعرضه عليه في العام الذي قبض فيه عرضتين ، وكانت قراءة زيد هي العرضة الأخيرة ، التي جمع عليها أبو بكر رضي الله عنه القرآن في الصحف ، ثم نسخها عثمان رضي الله عنه في المصاحف ، مجرداً هذه المصاحف من الشكل والنقط ، ولم يمنع الناس من القراءة كما تعلموا ، إذا كانوا موافقين في قراءتهم لخط المصحف الذي كتبه ... ومن ثم وقع الاختلاف في القراءات ... وهذه القراءات الموجودة بين أيدينا هي بعض الأحرف السبعة التي نزل عليها القرآن ..

أما معنى نزوله على سبعة أحرف ، فقد قدمنا أنها سبعة أوجه ، كالتقديم والتأخير والإبدال ... إلخ .

١ـ راجع الإبانة (ص ٣٥ ـ ٣٨، ٥٠ ـ ٥٢) ، المرشد الوجيز (١٤٩ ـ ١٥١)، مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/٣٩٩ ـ ٤٠٢) ، منجد المقرئين (ص ٥٦) .

٢ـ أشار إلى ذلك أبو عمرو الداني رحمه الله . راجع الأحرف السبعة (ص ٤٦) .

تنبيه :

قال المؤلف رحمه الله : "إن توجيه هذا المذهب بما قاله أبو عبيد يقتضي أن ..فإن المقروء فيها كان واحداً لا محالة ، كسورة الفرقان بين عمر وهشام ، وسورة من آل حم بين ابن مسعود وصاحبه ، وقد صوب الرسول ﷺ قراءة كل من المختلفين ، وكلاهما قرشي" اهـ (١) .

و هذا ولا شك سهو من المؤلف رحمه الله ، لان ابن مسعود ـ كما هو معلوم ـ هذلي وليس بقرشي . (٢) وهذا الأمر أشهر من أن يتوقف عنده .

المبحث السابع :

في الـمكي والمـدني من القـرآن .

وتشـمل الـدراسـة :

أولا : مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ، وذكر القضايا التي ناقشها فيه .

ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث .

أولا : مدى استيفاء المؤلف مادة هذا المبحث وذكر القضايا التي ناقشها فيه :

اشتملت كتابة المؤلف رحمه الله تعالى في هذا المبحث على كل المهمات المتعلقه بمادته ، فجاءت كتابته فيه وافية لجميع جوانبه .

و أما القضايا التي تعرض لذكرها ، فهي متعددة ، كبيان الاصطلاحات في معنى المكي والمدني ، وأعقبه بذكر فوائد معرفة المكي والمدني ، ثم بين الطريق الموصلة إلى معرفته ، وما هي الضوابط التي يعرف بها هذا وذاك ... ثم تعرض لذكر السور المختلف في مكيتها ومدنيتها . وبين أيضاً أنواع السور المكية والمدنية ، وحدد لنا متى نصف السورة بأنها مكية أو مدنية ... ثم تعرض لقضايا أخرى لها تعلق بالموضوع ، آخرها بين فيها خواص السور المكية والمدنية ... ثم ذكر بعض الشبهات حول الموضوع ، وحاول الإجابة عنها .

ثانياً :إضافات المؤلف في هذا المبحث

يمكننا ان نحصر النقاط التي أضافها المؤلف هنا بثلاث ، وهي :

١ـ ذكر ثلاث فوائد لمعرفة المكي والمدني ، الأولى ذكرها قبله الزركشي ، والسيوطي ، رحمهما الله . أما الأخيرتان فلم يتعرضا لذكرها .

و هما : ١ـ معرفة تاريخ التشريع وتدرجه ...

٢ـ الثقه والاطمئنان بالقرآن العظيم ... (١) .

٢ـ بين لناالمؤلف متى نصف السورة بأنها مكية أو مدنية ... هل هو على أغلبية الآيات أو أنه على صدر السورة فإن نزل بمكة كانت مكية ، وإن نزل بالمدينة كانت مدنية . (٢) .

٣ـ ذكر تحت عنوان : "فروق أخرى بين المكي والمدني" ، جملة من خواص السور المكية ، وخواص السور المدنية ... (٣) مما لا تجده عند الزركشي ، ولا السيوطي ، رحمهما الله تعالى

---

١ المناهل (١/١٨٨) .

٢ـ المناهل (١/١٩٢) .

٣ـ المناهل (١/١٩٥ ـ ١٩٧) .

تنبيه :

عند ذكر المؤلف رحمه الله خصائص ومزايا المدني من القرآن ، قال : "ثالثاً سلوك الاطناب والتطويل في آياته وسوره . وذلك لأن أهل المدينة لم يكونوا يضاهئون أهل مكة في الذكاء والألمعية ، وطول الباع في باحات الفصاحة والبيان ، فيناسبهم الشرح والإيضاح ، وذلك يستتبع كثيراً من البسط والاسهاب ، لأن دستور البلاغة لا يقوم إلا على رعاية مقتضيات الأحوال ، وخطاب الأغبياء بغير ما يخاطب به الأذكياء ، "ولا ينبئك مثل خبير" اهـ (١) .

ثم ذكر نحو هذا الكلام أيضاً عند رده على الشبهة الثانية . (٢) .

و أقول : غفر الله للمؤلف ، فقد جمع أنفاسه وقواه ليرد على هذه الشبهة وما بين عينيه إلا ذلك ، فانتقص الأنصار ، ورماهم بما ليس فيهم ، من ضعف في البلاغة ، يسبقه ضعف في الذكاء ، وبطء في الفهم حتي وقع بما يخل بالأدب مع الصحابة حين قال "وخطاب الأغبياء ..." إلخ . ولا شك أنها زلة غير مقصودة . !! سبحانك هذا بهتان عظيم ..

إن المؤلف نفسه عندما تعرض للرد على الشبهة الثانية ـ وفيها ما يتعلق بقصر السور المكية وطول السور المدنية ـ قال "إن في القسم المكي سوراً طويلة مثل سورة الأنعام ، وفي القسم المدني سوراً قصيرة مثل سورة : "إذا جاء نصر الله والفتح" اهـ (٣) .

نعم إن أهل مكة أهل فصاحة لا يضاهيهم فيها غيرهم ... ولكن ذلك لم يكن سبباً في قِصَر السور المكية ، وذلك أن القرآن أنزل للناس جميعاً ، مكيهم ومدنيهم ، قرشيهم وهذليهم ، وأوسيهم ، وخزرجيهم ، وتميميهم ...

و قد دخل في الإسلام ـ في العهد المكي ـ أناس من غير أهل مكة ، كما جاء وفد من الأنصار إلى النبي ﷺ ، فبايعه على الإسلام ، ثم وفد آخر ... ونُقل جملة من القرآن العظيم ، إلى المدينة النبوية ـ قبل هجرته ﷺ إليها ـ وإلى غيرها من البلاد كالحبشة واليمن والشام ... فلم يكن الخطاب في السور المكية ـ كله ـ

متمحض لأهل مكة ، كما لم يكن القرآن في السور المدنية والآيات متوجه إلى الأنصار ...

ثم مَنْ هم أهل المدينة الذين نزل القرآن المدني والنبي ﷺ بين أظهرهم ؟! أليسوا هم المؤمنون من أهل مكة مع غيرهم من المؤمنين في المدينة النبوية ؟! ثم كيف يجيب المؤلف عن طول ـ وكثرة تفاصيل ـ سورة الأنعام؟! وهي نازلة في مكة جملة واحدة ؟! .

و كيف يجيب عن سورة "النصر" وهي نازلة في المدينة ؟! .

و حينما نزل صدر سورة "براءة" بعث بها النبي ﷺ مع علي ليقرأها على الناس يوم الحج الأكبر ... وهي ـ كما هو معلوم ـ لا تشبه السور المكية من حيث القصر .

وهذا أمر لا يحتاج إلى إطالة في الجواب عنه لوضوحه ، ولكن هكذا يفعل تتبع الشبه ومحاولة الرد عليها بأصحابه ، والله المستعان .

المبحث الثامن :

«في جمع القرآن الكريم وما يتعلق به»

و تشمل الدراسة :

أولا : مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث وذكر القضايا التي ناقشها فيه .

ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث .

ثالثاً : مناقشة المؤلف في مسائل من هذا المبحث .

أولا : مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث وذكر القضايا التي ناقشها فيه :

استوفى المؤلف رحمه الله جميع المسائل المهمة المتعلقة بجمع القرآن العظيم . وقد تطرق فيه إلى بيان إطلاقات الجمع ، ومراحله التي مر بها ، من حفظ ، وكتابة في أطوار ثلاثة . مبيناً دستور أبي بكر رضي الله عنه في جمعه له ، ومبرزاً مزايا تلك الصحف التي جمعها .

ثم دستور عثمان في جمعه للقرآن أيضاً ، ودوافع هذا الجمع ، والجمع الأول ، مع ذكر الفرق بينهما . مع الإشارة إلى تصرف عثمان رضي الله عنه إزاء الصحف والمصاحف المخالفة لمصحفه .

بعد ذلك ساق جملة من الشبة كعادته ، ثم حاول الجواب عنها .

و بعد أن فرغ المؤلف مما سبقت الإشارة إليه ، بدأ بالكلام على نواح لها ارتباط بموضوع جمع القرآن .

و الناحية الأولى التي تكلم عليها هي : "عوامل حفظ الصحابة للكتاب والسنة" وذكر تحتها ثلاثة عشر عاملا من عوامل الحفظ ، ثم أتبعها بذكر ستة عوامل خاصة بحفظ القرآن الكريم .

أما الناحية الثانية التي تعرض لها المؤلف فهى : "عوامل تثبت الصحابة من الكتاب والسنة" وعد تحت هذا عشرة عوامل ، ثم زاد عليها غيرها . وأشار بعدها إلى شيء من مظاهر هذا التثبت .

هذه أهم النقاط التي تطرق إليها المؤلف رحمه الله ، عرضتها عليك مجملة فراجعها ـ إن شئت ـ هناك مفصلة . والله المستعان .

ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث :

إن اضافة المؤلف في هذا المبحث على من سبقه ، بارزة جلية لمن نظر فيه ، وإن سبقه في الكتابة فيه السابقون

لقد ذكر المؤلف مسألتين مهمتين ، متعلقتين بهذا الموضوع ، ولهما أهمية كبرى فيه . فكانت الأولى : "في عوامل حفظ الصحابة للكتاب والسنة" وأشرنا فيما سبق إلى أنه ذكر تحت هذه المسألة ثلاثة عشر عاملا من عوامل الحفظ . ذكر بعدها ستة أخرى مختصة بحفظهم للقرآن .

أما المسألة الثانية ، فهي في عوامل تثبت الصحابة من الكتاب والسنة ، عد فيها أكثر من عشرة عوامل لهذا التثبت . ثم ذكر بعض مظاهر التثبت ، ثم أشار إلى مكانة الصحابة ، وعدالتهم ، وحكمة اختيار الله لهم لحمل شريعته الختامية .

و كل هذه الأمور تعتبر إضافات جديدة على ما كتبه غيره في هذا الموضوع .

ثالثاً : مناقشة المؤلف في قضايا من هذا المبحث .

وهـــي :

١ـ مدى اشتمال صحف أبي بكر ، ومصاحف عثمان ـ رضي الله عنهما ـ على الأحرف السبعة .

٢ـ حكم قراءة القرآن للحائض والنفساء والجنب .

ـ تنبيهات .

المسألة الأولى : مدى اشتمال صحف أبي بكر ، ومصاحف عثمان ـ رضي الله عنهما ـ على الأحرف السبعة :

قال المؤلف ـ رحمه الله ـ عند كلامه على جمع أبي بكر رضي الله عنه ـ : "ولا يغربن عن بالك أن هذا الجمع شاملا للأحرف السبعة ، التي نزل بها القرآن ..." (١) .

و قال عن جمع عثمان رضي الله عنه : "... لأنه رضي الله عنه ، قصد اشتمالها على الأحرف السبعة" اهـ (٢) .

و قد بينا لك فيما سبق أن أبا بكر رضي الله عنه ، كتب في الصُحف التي جمع القرآن فيها ، القراءة المشهورة ، وهي العرضة الأخيرة من جبريل على الرسول ﷺ ، وهي التي عليها حرف زيد بن ثابت ، والذى فعله عثمان رضي الله تعالى عنه ، أنه نسخ هذه الصحف في مصاحف بعث بها إلى عدد من الأمصار . والله تعالى أعلم .

المسألة الثانية : حكم قراءة القرآن للحائض والنفساء والجنب :

عند ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ العوامل الخاصة في حفظ الصحابة للقرآن الكريم قال : "سادسها : القداسة التي امتاز بها ... كنسبته إلى الله تعالى ، وكحرمة قراءته على الجنب والحائض والنفساء ، وكحرمة مس مصحفه وحمله ..." ا . هـ (١) .

و الوقفة هنا مع المؤلف هي في قوله : "وكحرمة قراءته على الجنب والحائض والنفساء"

و هذا القول مع أنه قول جمهور أهل العلم ، إلا أنه لم يثبت فيه شيء عن النبي ﷺ ، وجملة ما استدل به أصحاب هذا القول ، أحاديث ضعيفة مرفوعة إلى النبي ﷺ ، أو أقوال للصحابة ، أو من بعدهم ، وهذه منها الصحيح ومنها غيره .

و في هذا المقام يحسن عرض أدلة هذا القول ، ثم التعقيب عليها بما يناسب القواعد التي قررها أهل العلم في قبول الأحاديث ، والمرويات ، أو ردها ... بعد ذلك نبين القول الراجح في المسألة مدعماً بالدليل .

أ ـ ذكر الأحاديث المرفوعه التي استدلوا بها :

١ـ حديث عبد الله بن رواحة رضي الله عنه : "أن رسول الله ﷺ نهى أن يقرأ أحدنا القرآن وهو جنب" .

و في بعض الروايات عنه ، ذكر القصة المشهورة له ـ رضي الله عنه ـ مع زوجته ، حينما وقع على جاريته . وفيها إقرار النبي ﷺ له على ما فعل .

٢ـ حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه ، مرفوعاً إلى النبي ﷺ ، حيث قال : "لا تقرأ النفساء ، ولا الحائض ، من القرآن شيئاً" .

وفي بعض ألفاظه اختلاف يسير .

٣ـ حديث علي وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال لعلي : "يا علي إني أرضى لك ما أرضى لنفسي ، وأكره لك ما أكره لنفسي ، لا تقرأ القرآن وأنت جنب ..." .

و في بعض طرقه زيادة : "قلت ـ القائل هو أبو موسى ـ لعلي : إنه ﷺ كان يقرأ القرآن على كل أحيانه ، ليس الجنابة" .

١ـ المناهل (١/٣٠٨) .

٤ـ حديث عبد الله الغافقي رضي الله عنه قال : "أكل رسول الله ﷺ يوماً طعاماً ثم قال : استر علي حتى أغتسل"، فقلت له : أنت جنب ؟! قال نعم . فأخبرت بذلك عمر بن الخطاب ، فخرج إلى رسول الله ﷺ فقال : إن هذا يزعم أنك أكلت وأنت جنب ، فقال : "نعم . إذا توضأت أكلت ، وشربت ، ولا أقرأ حتى أغتسل" .

و هناك تفاوت في بعض الفاظ هذا الحديث .

٥ـ حديث ابن عمر مرفوعاً : "لا تقرأ الحائض ، ولا الجنب ، شيئاً من القرآن" .

و ليس في بعض ألفاظه ذكر الحائض .

٦ـ حديث علي مرفوعاً : "كان رسول الله ﷺ يخرج من الخلاء ، فيقرأ القرآن ، ويأكل معنا اللحم ، ولا يحجبه ـ أولا يحجزه ـ شيء عن القرآن ، إلا من الجنابة" . مع عدة اختلافات في لفظه .

ب ـ ومن أقوال وأحوال الصحابة ما يلي :

١ـ ما روي عن جابر رضي الله عنه أنه قال : "لا يقرأ الحائض ، ولا الجنب ، ولا النفساء القرآن" .

٢ـ ما روي عن علي رضي الله عنه أنه قال : "اقرأوا القرآن ، ما لم يصب أحدكم جنابة ، فإن أصابته جنابة ، فلا ولا حرفاً واحداً" . مع اختلاف في بعض ألفاظه عنه .

٣ـ ما روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال : "لا يقرأ الجنب" . وفي بعض ألفاظه "الحائض" دون الجنب ، وفي بعضها ورد الحائض والجنب .

٤ـ ما روي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يُقرئ رجلا ، فبال ابن مسعود ، فكف الرجل عنه . فقال ابن مسعود رضي الله عنه : "مالك" ؟ قال : إنك بلت . فقال ابن مسعود : "إني لست بجنب" .

٥ـ ما روي عن سلمان رضي الله عنه أنه أحدث فجعل يقرأ . فقيل له : أتقرأ وقد أحدثت ؟! قال : "نعم ، إني لست بجنب" .

١ـ الأسود النخعي : "لا يقرأ الجنب" . (١) .

٢ـ أبو العالية (٢) : "الحائض لا تقرأ القرآن" . (٣) .

٣ـ سعيد بن المسيب : "لا يقرأ الجنب القرآن" . (٤) .

٤ـ سعيد بن جبير : "لا يقرأ الجنب شيئاً من القرآن" . (٥) .

و عنه ـ في الحائض والجنب ـ "يستفتحون رأس الآية ، ولا يتمون آخرها" (٦)

٥ـ عطاء "(في الحائض والجنب) يستفتحون رأس الآية ، ولا يتمون آخرها" .

(٧) وسئل : ما تقرأ الحائض والجنب من القرآن ؟ فقال : أما الحائض فلا تقرأ

١ـ أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١/ص ١٠٢) ، وفي سنده : "إبراهيم بن مهاجر" قال عنه في التقريب (١/ص ٤٤) : "صدوق لين الحفظ" .

٢ـ هو : رفيع بن مهران ، أبو العالية الرياحي توفي سنة (٩٠هـ) وقيل (٩٣هـ) وقيل غير ذلك . التقريب (٢٥٢/١) .

٣ـ أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١/ص ١٠٣) ، والدارمي في سننه (رقم ١٠٠٠) . وهو صحيح الإسناد . وهو عند البيهقي تعليقاً في السنن (١/ص ٣٠٩) .

٤ـ ابن أبي شيبة في المصنف (١٠٣/١) ، وفي سنده : "حماد بن أبي سليمان" وهو صدوق له أوهام . كما قال الحافظ في التقريب ، مع رميه بالإرجاء . انظر التقريب (١/ص ١٩٧) مع أن شعبة الذي روى عنه هذا القول ، روى عنه ما يضاده من كلام ابن المسيب ، كما عند أبي عبيد ، وسيأتي إن شاء الله .

٥ـ أخرجه أبو عبيد في "فضائل القرآن" (رقم ٣٢٢) ، وفي سنده : "مروان بن شجاع" قال عنه في التقريب (٢٣٩/٢) : "صدوق له أوهام" وفي سنده أيضاً "خصيف بن عبد الرحمن" قال في التقريب : (٢٢٤/١) "صدوق سيء الحفظ ، خلط بآخره ، ورمي بالإرجاء" وهو عند البيهقي (١/ص ٣٠٩) تعليقاً .

٦ـ هذا القول عنه أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١/ص ١٠٢) ، وفي سنده "حماد بن أبي سليمان" وقد مر الكلام عليه في الراوية عن سعيد بن المسيب ، وهي التي قبل الرواية عن سعيد بن جبير . وقد روى ابن حزم في المحلى ـ بسنده ـ عن سعيد بن جبير ، من طريق حماد نفسه ، ما يعارض هذا الرأي ويضاده !! وسيأتي قريباً إن شاء الله تعالى .

و في إسناده أيضاً : "أبو خالد الأحمر" ، وهو "سليمان بن حيان" . قال عنه في التقريب : (٣٢٣/١) "صدوق يخطىء" اهـ وقد رواه الدرامي من طريقهما أيضاً رقم (٩٩٩) من السنن

٧ـ مصنف ابن أبي شيبة (١/ص ١٠٢) وفي سنده حجاج بن أرطاة . قال في التقريب (١/ص ١٥٢) "صدوق كثير الخطأ والتدليس" . وفيه أيضاً : أبو خالد الأحمر . وهو صدوق يخطىء كما مر معنا قريباً . ورواه الدارمي أيضاً في سننه رقم (٩٩٩) من طريقهما . ورواه البيهقي في السنن (١/ص ٣٠٩) تعليقاً .

شيئاً . (١) وأما الجنب فالآية تنفدها" . (٢) .

٦ـ إبراهيم النخعي : ـ في الحائض والجنب ـ "يستفتحون رأس الآية ، ولا يتمون آخرها" . (٣) و عنه أنه قال : "لا يقرأ ـ يعني الجنب ـ القرآن ولا آية . ـ وقال ـ إنه إذا قرأ صلى" . (٤).

٧ـ عامر الشعبي : "الجنب والحائض لا يقرأون القرآن" . (٥).

٨ـ مجاهد : "لا يقرأ الجنب القرآن" .(٦) .

١ـ رواه عبد الرازق في المصنف رقم (١٢٠٣) عن ابن جريج . وابن جريج هو السائل لعطاء .

٢ـ وعن عطاء أيضاً عند الدارمي رقم (١٠٠٤) أخبرنا يعلى ، ثنا عبد الملك ، عن عطاء : في المرأة الحائض تقرأ ؟ قال : لا ، إلا طرف الآية" وفي الرواية السابقة جاء التصريح بأن ابن جريج هو الذي سأله كما تقدم .

٣ـ الكلام عليه وتخريجه هو كما في التعليق على أثر عطاء السابق ، فالإسناد واحد . إلا أنه جاء من طريق حماد بن أبي سليمان ، لا حجاج بن أرطاة . وحماد تقدم أنه "صدوق له أوهام رمي بالإرجاء" .

٤ـ مصنف ابن أبي شيبة (١/ص ١٠٢) ورجاله ثقات . وروى أيضاً عنه بسند صحيح بلفظ "تقرأ مما دون الآية ولا تقرأ آية تامة" المصنف (١/ص ١٠٣) وروى أيضاً باسناد رجاله ثقات (١/ص ١٠٤) بلفظ "كان يقال : اقرأ القرآن على كل حال مالم تكن جنباً" . وأخرج عبد الرزاق في مصنفه (رقم ١٣٢٣) بسند صحيح متصل نحو ما تقدم . و رواه الدارمي في سننه من طريق سفيان قال : "بلغني عن إبراهيم ..." والذي رواه سفيان عنه هو منصور بن المعتمر الإمام المشهور ، كما جاء مصرحاً به عند عبد الرزاق في الرواية السابقة ، و راويه عن سفيان ثقة أيضاً . فصح الإسناد . وقد جاء في هذه الرواية الأخيرة زيادة "الحائض" أيضاً . سنن الدارمي رقم (٩٩٥) . ورواه أيضاً رقم (٩٩٨) من طريق حماد بن أبي سليمان عنه قال : "أربعة لا يقرأون القرآن .... [وذكر منهم الحائض والجنب] . وحماد بن أبي سليمان تقدم الكلام عليه قريباً . لكن ما ذكرت من الروايات عن إبراهيم هي متابعات لهذه الرواية .

٥ـ مصنف ابن أبي شيبة (١/ص ١٠٢) وفي إسناده "فراس بن يعلى الهمداني" قال في التقريب (٢/ص ١٠٨) :

٩ـ أبو وائل :(١) : "لا يقرأ الجنب والحائض القرآن" . (٢) .

١٠ـ الزهري : وسئل عن الجنب والنفساء والحائض . فقال لم يرخص لهم أن يقرأوا من القرآن شيئاً . (٣) .

١١ـ هشام بن حسان : "الجنب يسبح ، ويحمد الله ، ويدعو ، ولا يقرأ آية واحدة" . (٤) .

ما تقدم من الروايات هو غاية ما لدى القائلين بالمنع . وقد أشرنا لك في أول الكلام على هذه المسأله أنه لم يصح فيها شيء مرفوع إلى النبي ﷺ .

أما أقوال الصحابة ، فمنها الصحيح ، ومنها الضعيف . ومثلها أيضاً أقوال التابعين . علماً بأن أقوال التابعين ليست حجة .

و بعد هذا العرض الموجز لأدلة هذا القول نأتي هنا لمناقشة الأدلة المتقدمة فنقول :

أولا : الكلام على الروايات المرفوعة :

١ـ هو : شقيق بن سلمة الأسدي أبو وائل الكوفي ، مخضرم ، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز وله مائة سنة . التقريب (١/٣٥٤) .

٢ـ مصنف ابن أبي شيبة (١/ ص ١٠٢) وإسناده صحيح وأخرجه الدارمي في سننه رقم (١٠٠٣) بسند حسن مع زيادة في لفظه .

٣ـ سنن البيهقي (١/ص ٣٠٩) . وأخرج عبد الرزاق عن معمر قال : سألت الزهري عن الحائض والجنب أيذكران الله ؟ قال نعم . قلت : أفيقرآن القرآن ؟ قال : لا . قال معمر : وكان الحسن وقتادة يقولان:لا يقرآن شيئاً من القرآن" . المصنف رقم (١٣٠٢) فهذا القول ثابت عنه رحمه الله كما ترى والذي قدمنا عند البيهقي آنفاً في سنده "موسى بن عامر" قال في التقريب (٢/٢٨٥) : "صدوق له أوهام" . اهـ

ـ تنبيه : وقفت على رواية عند ابن أبي شيبة من طريق حفص بن غياث عن أشعث عن محمد قال : الحائض لا تقرأ القرآن" ، المصنف (١/ص ١٠٣) فمحمد لا أدري أهو الزهري أم ابن سيرين ؟ فكلاهما روى عنه أشعث !! وأشعث هذا لم أستطع أن أميزه أيضاً . لاني وقفت على ثلاثة كلهم يسمى أشعث وقد رووا عن الزهري ، وكذا ابن سيرين ، وكلهم روى عنهم حفص بن غياث . فالأول هو ابن سوار . وهو ضعيف . التقريب (١/ص ٧٩) . والثاني هو ابن عبدالملك . وهو ثقة . التقريب (١/ص ٨٠) . والثالث هو ابن عبد الله بن جابر وهو صدوق . التقريب (١/ص ٨٠) . فالله تعالى أعلم .

٤ـ مصنف عبد الرزاق برقم (١٣٠٩) وقد رواه عبد الرزاق عنه مباشرة .

الأولى : حديث ابن رواحة المتقدم . فقد رواه الدار قطني (١/ص ١٢٠) من طريق إسماعيل بن عياش (١) ، عن زمعة بن صالح (٢) ، عن سلمة بن وهرام (٣) ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، عن ابن رواحة . وهو بدون ذكر القصة المشهورة . وقال الدار قطني عقبه : "إسناده صالح ، وغيره لا يذكر عن ابن عباس" . اهـ وهو يشير إلى ما رواه أيضاً بسنده (١/ص ١٢٠) من طريق إسماعيل بن عياش ... كبقية الإسناد المتقدم ، إلا أنه رواه عكرمة ، عن ابن رواحة ، فحذف الواسطة بينهما .

و هي رواية منقطعة ، كما هو ظاهر . وفي هذه الرواية والتي قبلها علل أخرى غير الانقطاع في هذه الرواية . وأنبه هنا إلى واحدة من هذه العلل ، وهي أنه من رواية إسماعيل بن عياش وروايته عن غير أهل بلده ـ الشام ـ ضعيفه كما هو معلوم . وشيخه هنا هو "زمعة بن صالح" وهو من أصل يمني ونزيل في مكة . وعليه فلا تصح رواية إسماعيل عنه . إلا أن إسماعيل قد توسع في روايته عن زمعة . فروى الدار قطني بسنده (١/١٢٠) إلى أبي نعيم الفضل بن دكين (٤) ـ وهو إمام مشهور ـ عن زمعة . (٥)

و هذه الرواية منقطعة أيضاً ، فهي عن عكرمة عن ابن رواحة كالتي قبلها . (٦) لكن الدارقطني رحمه الله روى بسنده متابعاً آخر لإسماعيل في رواية متصله إلى ابن رواحة . وهو ما رواه بإسناده (١/ص ١٢١) من طريق عمر بن زريق ، عن زمعة ، عن سلمة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ... وفيه ذكر القصة المشهورة . وهذا المتابع ، وهو عمر بن زريق ، لم أجد له ترجمة .

وعلى كل حال ، فإن في جميع هذه الطرق ،غير ما ذكرت من العلل

١ـ إسماعيل بن عياش بن سليم العنسي ، أبو عتبة الحمصي ، توفي سنة أحدى ، أو اثنتين وثمانين ومائة ، وله بضع وتسعون سنة . التقريب (١/٧٣) .

٢ـ زمعة بن صالح الجندي اليماني ، نزيل مكة ، أبو وهب . التقريب (١/٢٦٣).

٣ـ سلمة بن وهرام اليمامي ، قال في التقريب . "صدوق من السادسة" اهـ . تقريب التهذيب (١/٣١٩) ، تهذيب التهذيب (١/١٤١).

٤ـ الفضل بن دكين الكوفي ، واسم دكين عمر بن حماد بن زهير التيمي ، مولاهم ، الاحول ، أبو نعيم الملائي . توفي سنة (٢١٨هـ) وقيل (٢١٩هـ) . التقريب (٢/١١٠).

المتقدمة، أن مدارها على زمعة بن صالح ، وسلمة بن وهرام .

أما الأول ، فقد قال عنه في التقريب (١/ص ٢٦٣) : "ضعيف" . (١)

و سلمة : قال عنه عبد الله بن أحمد : سألت أبي عن سلمة بن وهرام فقال : روى عن زمعة أحاديث مناكير ، أخشى أن يكون حديثه حديث ضعيف ... اهـ (٢) .

و قال ابن حبان في الثقات (٣) ؛ "يعتبر بحديثه من غير رواية زمعة بن صالح عنه" ا . هـ وفي التهذيب (٤) : قال أبو داود "ضعيف" اهـ . (٥) وقد قال عنه في التقريب : "صدوق" اهـ (٦) .

و قد أخرج هذه القصة ، ابن عساكر في تاريخه (٧) (٨) عن عبد العزيز الماجشون (٩) ، مرسلة . ورواها الذهبي (١٠) بسنده ، عن ابن الماجشون ، مرسلة أيضاً .

و أخرجها الذهبي أيضاً ، فقال : ابن وهب ، ثني أسامة بن زيد ، أن نافعاً حدثه قال : كانت لابن رواحة امرأة ...

و هذه رواية منقطعة أيضاً ، وأسامة بن زيد هذا ، إن كان ابن أسلم العدوي فهو ضعيف (١١) وإن كان الليثي فهو صدوق يهم (١٢) . وكلاهما من طبقة واحدة ،

١- وانظر الكلام عليه أيضاً في الكامل لابن عدي (ج ٣/ص ١٠٨٤) ، تنقيح التحقيق (ج ١/ص ٤٢٧) .

٢- الضعفاء الكبير رقم (٦٤٢) ، وراجع أيضاً الجرح والتعديل رقم (٧٦٢) .

٣- (٣٩٩/٦) .

٤- (١٤٢/٤) .

٥- وراجع الميزان (١٩٣/٢) .

٦- تقريب التهذيب (٣١٩/١) .

٧- هو الإمام العلامة الحافظ المحدث ثقة الدين ، أبوالقاسم الدمشقي الشافعي ، صاحب "تاريخ دمشق" ولد في المحرم سنة (٤٩٩هـ) وتوفي في رجب سنة (٥٧١هـ) . سير أعلام النبلاء (٥٥٤/٢٠) .

٨- تهذيب تاريخ دمشق (٣٩٥/٧) .

٩- هو : عبد العزيز بن عبد الله بن أبي سلمة ، ميمون ـ وقيل : دينار ـ أبو عبد الله ، وأبو الأصبغ ، التيمي مولاهم المدني ، والد المفتي : عبد الملك ابن الماجشون . توفي سنة (١٦٤هـ) وقيل (١٦٦هـ) . سير أعلام النبلاء (٣٠٩/٧).

١٠- سير أعلام النبلاء (٢٣٧/١ ـ ٢٣٨) .

١١- التقريب (٥٢/١) .

١٢- المرجع السابق .

ويرويان عن نافع . روى عنهما ابن وهب . فالله تعالى أعلم .

و قد ضعف النووي رحمه الله تعالى هذه القصة في المجموع . (١) وهذا هو الظاهر وإن كان الإمام ابن عبد البر رحمه الله قال : "وقصته مع زوجته ، حين وقع على أمته ، مشهورة ، ورويناها من وجوه صحاح ..." اهـ (٢) .

الثاني : حديث جابر (٣) رضي الله عنه ، أخرجه ابن عدي (٤) في الكامل (٦/ص ٢١٧٣) من طريق محمد بن الفضل ، عن أبيه ، عن طاوس ، عن جابر مرفوعاً . وفيه ذكر الحائض والنفساء ، دون الجنب . قال ابن عدي : "وهذا لا يروى إلا عن محمد بن الفضل ، عن أبيه ، عن طاوس" . اهـ .

و هذا الإسناد فيه والد محمد بن الفضل . وهو الفضل بن عطية المروزي ، نقل ابن أبي حاتم عن أبي الأحوص ـ (٥) عمر بن علي ـ أنه قال : ضعيف الحديث . اهـ(٦) .

و قال في الميزان : ضعفه الفلاس (٧) وابن عدي . وقال أبو زرعة (٨): لا بأس به (٩) اهـ

و في سنده أيضاً : محمد بن الفضل ، فقد نقل ابن عدي عن ابن معين أنه قال عنه : "ليس بشيء ولا يكتب حديثه" اهـ ونقل أيضاً عن أحمد أنه قال : ليس

١- (ج ٢/١٥٩) .

٢- الاستيعاب (٢/٢٩٦) .

٣- انظر نصب الرايه (١/ص ١٩٥) ، وتنقيح التحقيق (١/ص ٤٢٤) ، وضعفه الألباني في الإرواء (١/ص ٢٠٩) .

٤- هو الإمام الحافظ الناقد أبو أحمد ،عبد الله بن عدي بن عبد الله بن محمد بن مبارك بن القطان الجرجاني ، ولد سنة (٢٧٧هـ) وتوفي سنة (٣٦٥هـ) . سير أعلام النبلاء (١٦/١٥٤).

٥- هو عوف بن مالك بن نضلة ، الجشمي ، أبو الأحوص الكوفي ، من بني جشم بن معاوية بن بكر بن هوازن . قيل قتلته الخوراج أيام الحجاج . تهذيب التهذيب (٨/١٥٠).

٦- الجرح والتعديل (٧/ص ٦٤) .

٧- هو : عمرو بن علي بن بحر بن كنيز ، الحافظ ، الإمام المجود الناقد ، أبو حفص الباهلي ، البصري الصيرفي الفلاس ، ولد سنة نيف وستين ومائة . وتوفي سنة (٢٤٩هـ) . سير أعلام النبلاء (١١/٤٧٠)

بشيء . حديثه حديث أهل الكذب . (١) اهـ

و في التقريب (٢/ص ٢٠٠) : "كذبوه" اهـ

و رواه الدارقطني (٢) (٢/ص٨٧) من طريق محمد بن الفضل أيضاً عن أبيه ...

و في إسناده أيضاً : إبراهيم بن أحمد بن مروان : قال الدارقطني : ليس بقوي .

و أخرجه أبو نعيم في الحلية (٤/ص ٢٢) ، من طريق ابن الفضل كما عند ابن عدي .

فمثل هذا الإسناد لا يصح أبداً ، لما رأيت من الكلام فيه ، والله تعالى أعلم .

الثالث : حديث أبى موسى ، وعلي (٣) رضي الله تعالى عنهما .

و قد أخرجه البزار [كشف الأستار رقم (٣٢١)] هكذا :

ثنا محمد بن ثواب (٤)، ثنا عبد الرحمن بن هانىء(٥) ، عن عبد الملك بن حسين (٦) ، عن عاصم بن كليب (٧) ، عن أبي بردة عن أبي موسى .

و عن أبي إسحاق ـ وهو السبيعي ـ عن علي .

قالا : قال رسول الله ﷺ : "لا تقرأ القرآن وأنت جنب ..." .

فالراوي له عن أبي موسى هو ابنه أبو بردة . والراوي له عن علي هو أبو إسحاق السبيعي . وأبو إسحاق لم يدرك علياً رضي الله عنه . وقد ذكره الحافظ في

١ـ الكامل (٦/ص ٢١٧٠ ـ ص ٢١٧١) .

٢ـ قال الحافظ في التلخيص "(١/ص ١٣٨) رواه الدارقطني مرفوعاً . وفيه محمد بن الفضل وهو متروك" اهـ.

٣ـ انظر : تنقيح التحقيق (١/٤٢٣ ـ ٤٢٤) .

٤ـ محمد بن ثواب بن سعيد بن حصن الهباري ، الكوفي توفي سنة (٢٦٠هـ) . التقريب (٢/١٤٩) .

٥ـ عبد الرحمن بن هانىء بن سعيد الكوفي ، أبو نعيم النخعي ، سبط إبراهيم النخعي ، توفي سنة (٢١١هـ) . التقريب (١/٥٠١) .

٦ـ هو أبو مالك النخعي الواسطي ، اسمه عبد الملك وقيل : عبادة بن الحسين ، وقيل ابن أبي الحسين ويقال له : ابن ذر . التقريب (٢/٤٦٨).

٧ـ عاصم بن كليب بن شهاب بن المحنون ، الجرمي الكوفي ، توفي سنة بضع وثلاثين ومائة . التقريب (١/٣٨٥) .

"تعريف أهل التقديس" ، في المرتبة الثالثة من مراتب المدلسين (١) ، مع أنه ثقة ، كما في التقريب . (٢) لكن تقبل روايته إذا صرح بالسماع .

لكن رواه الدارقطني في سننه ، وفيه ذكر الواسطه بينهما ، وسيأتي قريباً إن شاء الله تعالى .

قال : الهيثمي في المجمع (١/ص ٢٧٦) : رواه البزار ، وفي إسنادهما (٣) أبو مالك النخعي ، وقد أجمعوا على ضعفه ا . هـ . وأبو مالك هذا هو عبد الملك ابن حسين . قال في التقريب (٤٦٨/٢) : "متروك" اهـ وشيخه عاصم بن كليب قال عنه في التقريب (٣٨٥/١) : "صدوق رمي بالإرجاء" . ا . هـ والراوي عن أبي مالك هو أبو نعيم النخعي ، وهو عبد الرحمن بن هانىء : قال في التقريب : "صدوق له أغلاط ، أفرط ابن معين فكذبه ، وقال البخاري : هو في الأصل صدوق اهـ (٤) . وقال أحمد : "ليس بشيء" اهـ (٥) وقال ابن عدي : "وعامة ماله لايتابعه الثقات عليه"اهـ (٦) .

و أخرجه الدارقطني (٧) بسنده ، من طريق أبي نعيم النخعي ـ عبد الرحمن بن هانئ ـ عن أبي مالك النخعي ، عن عاصم بن كليب ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى . فهذا كما مر معنا في رواية البزار المتقدمة . وقد سبق الكلام عليها فراجعه .

أما الرواية المشار إليها عن طريق أبي إسحاق ، عن علي ، فقد رواها الدارقطني أيضاً (١١٨/١) من طريق أبي نعيم النخعي ، عن أبي مالك النخعي ، عن أبي إسحاق السبيعي ، عن الحارث ـ وهو الأعور ـ عن علي . مع اختلافات في لفظه .

و هذه الرواية الأخيرة إضافة على أن فيها السبيعي ، وأبا مالك النخعي ، وكذا أبا نعيم النخعي ـ وقد مر الكلام عليهم قريباً ـ ففيها الحارث الأعور . قال

١- وهم من أكثروا من التدليس ، فلم يحتج الائمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع . ومن أهل العلم من رد حديثهم مطلقاً . ومنهم من قبلهم . راجع تعريف أهل التقديس (ص ١٠١) .

٢- (٢/ص ٧٣) .

٣- هكذا في المطبوع .

٤- التقريب (٥٠١/١) .

عنه في التقريب (١٤١/١) : "كذبه الشعبي في رأيه ، ورمي بالرفض ، وفي حديثه ضعف" اهـ..(١)

و قد أخرج الدار قطني (١١٩/١) متابعاً لأبي مالك النخعي ، وهو موسى الأنصاري ، الذي رواه عن عاصم بن كليب ، عن أبي بردة ، عن أبي موسى ... كما تقدم ،والراوي عن موسى الأنصاري هو أبو نعيم النخعي ، الذي تقدم الكلام عليه . ومع أني لم أتمكن من معرفة أبا موسى الأنصاري هذا ، إلا أن ذلك لا يؤثر ، حتى لو كان ثقة ، فإن في الحديث من العلل غير أبي مالك النخعي ، وعليه فالحديث لا يصح ، والله تعالى أعلم .

الرابع : حديث عبد الله الغافقي : أخرجه الطحاوي في شرح المعانى (٨٨/١) ، من طريق ابن لهيعة ، عن عبد الله بن سليمان ، عن ثعلبة بن أبي الكنود ، عن مالك بن عبادة(٢) الغافقي ... (٣) وكذلك أخرجه الدار قطني (١/ ١١٩) ، بلفظين متقاربين ، وكلاهما جاء من طريق ابن لهيعة ، عن عبد الله بن سليمان ... إلخ كما في الأول . وأخرجه البيهقي (٨٩/١) ، من طريق ابن لهيعة عن عبد الله بن سليمان ... إلخ أيضاً . وساق الحافظ في الإصابة (٣٦٤/٢) ، من طريق ابن لهيعة ... إلخ ، وقال : أخرجه البغوي ، والدارقطني ، والطبري ، والبيهقي ، وابن مندة"(٤) اهـ .

و قال في التعليق المغني على الدارقطني (١١٩/١) : "الحديث أخرجه أيضاً البيهقي ، وابن مندة في كتاب الصحابه ، عن ابن لهيعة ، عن عبد الله ... اهـ .

فظهر أن رواة هذا الحديث أخرجوه من طريق ابن لهيعة ، فمن بعده إلى عبد الله الغافقي رضي الله عنه ، فهو يدور على هؤلاء الثلاثه ، وهم ثعلبة بن أبي الكنود ، وعبد الله بن سليمان ، وابن لهيعة .

و ثعلبة بن أبي الكنود هو الحمراوي . ذكره البخاري في التاريخ الكبير (١٧٥/٢) ، وقال : "عن عائشة زوج النبي ﷺ . قال المقري : عن سعيد بن أبي

---

١ ـ تقدم الكلام عليه بأكثر من هذا فيما سبق .

٢ـ هكذا في المطبوع . وإلا فاسمه عبد الله بن مالك الغافقي . وهو كذلك في الإصابة ٣٦٤/٢ ، والدارقطني ١١٩/١ ، والبيهقي ٨٩/١ ، وعند الطحاوي في المعاني ٨٨/١ مالك بن عبادة كما مر بك فيما مضى .

٣ـ مالك بن عبادة الغافقي . أبو موسى المصري ، له صحبة . الجرح والتعديل (٨/ص٢١٢).

٤ـ هو الإمام الحافظ أبو عبد الله ، محمد بن أبي يعقوب ، إسحاق بن أبي عبد الله ، محمد بن يحيى بن مندة . ولد سنة (٣١٠هـ) وتوفي سنة (٣٩٥هـ) . سير أعلام النبلاء (٢٨/١٧).

أيوب (١) عن سليمان ابن أبي زينب (٢)" اهـ . وذكره ابن حبان في الثقات (٤/٩٩) وقال : يروي عن عائشة ، وعن سليمان بن أبي زينب اهـ .

و عبد الله بن سليمان هو البكري . قال في الجرح والتعديل (٥/٧٥) : روى عن ثعلبة بن أبي الكنود ، عن أبي موسى الغافقي . روى عنه ابن لهيعة . وروى عمر ابن سواد السرحسي (٣) المصري عن عبد الله بن كليب (٤) عنه" اهـ .

أما ابن لهيعة ، ففيه كلام مشهور ، وقد قال عنه في التقريب (١/٤٤٤) : "صدوق ... خلط بعد احتراق كتبه ، ورواية ابن المبارك ، وابن وهب عنه ، أعدل من غيرهما ..." اهـ .

و رواية البيهقي المتقدمة ، وردت من طريق ابن وهب عنه ، فزال المحذور .

١ـ سعيد بن أبي أيوب الخزاعي ، مولاهم ، المصري ، أبو يحيى بن مقلامي ، توفي سنة (١٩١هـ) وكان مولده سنة (١٠٠هـ) . التقريب (١/٢٩٢).

٢ـ سليمان بن أبي زينب الشامي ـ وعند بعضهم : السباي ـ روى عن ثعلبة بن أبي الكنود وسعيد بن سلمة المصري . وروى عنه : سعيد بن أبي أيوب . الجرح والتعديل (٤/ص١١٨).

٣ـ عمرو بن سواد بن الأسود بن عمرو بن محمد بن عبد الله بن سعد بن أبي سرح السرحسي المصري ، أبو محمد ، يروي عن أشعث بن شعبة وكان راوياً لابن وهب . الثقات (٨/٤٨٧) ، تهذيب

و قد تابعه الواقدي ، كما قال البيهقي (٨٩/١) ، وهو متروك .(١) عن عبد الله بن سليمان ...إلخ

لكن يبقي الكلام في ثعلبة ، وعبد الله بن سليمان ... ولم يُذكر فيهما جرحاً ولا تعديلا ... وابن حبان معروف بتساهله . والله أعلم . وقد ضعف هذا الحديث النووي في المجموع (١٥٩/٢) .

الخامس : حديث ابن عمر . وقد روي عنه مرفوعاً من ثلاث طرق وهي :

الطريق الأولى : عند ابن ماجة (رقم ٥٩٥) ، والترمذي (رقم ١٣١)، والطحاوي في شرح المعاني (١/ص٨٨) ، والعقيلي في الضعفاء الكبير (٩٠/١) ، والآجري في أخلاق حملة القرآن (رقم ٧٧) ، والبيهقي في السنن (٣٠٩،٨٩/١) ، وفي الشعب (٧٢/٥) ، رقم (١٩٣٤) والبغوي في شرح السنة (٤٢/٢) ، كلهم من طريق إسماعيل بن عياش ، عن موس بن عقبة (٢) ، عن نافع ، عن ابن عمر مرفوعاً .(٣) .

و قد أخرجه ابن عدي (٢٩٤/١) ، من طريق إسماعيل بن عياش ، ثنا عبيد الله (٤)و موسى بن عقبة عن نافع ... إلخ : قال ابن عدي : وهذا الحديث ، بهذا الإسناد ، لا يرويه غير ابن عياش ، وعامة من رواه عن ابن عياش ، عن موسى بن عقبة ، عن ابن عمر (٥)و زاد في هذا الإسناد عن ابن عياش : "ابراهيم بن العلاء (٦)، وسعيد بن يعقوب الطالقاني" (٧) فقالا : "عبيد الله وموسى بن عقبة" !! . ـ قال ابن عدي ـ وليس لهذا الحديث أصل من حديث عبيد الله . اهـ . وأخرجه

١ـ التقريب (١٩٤/٢) .

٢ موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي ، مولى آل الزبير ، ثقة فقيه ، إمام في المغازي . توفي سنة (١٤١هـ) . التقريب (٢٨٦/٢) .

٣ـ راجع تحفة الأشراف ، وكذا النكت الظراف (ج٦) رقم الأثر (٨٤٧٤) وانظر تنقيح التحقيق (٤١٩/١، ٤٢٠، ٤٢١) .

٤ـ عبيد الله بن عمر بن حفص بن عاصم بن عمر بن الخطاب ، المدني ، أبو عثمان ، توفي سنة بضع وأربعين ومائة . التقريب (٥٣٧/١) .

٥ـ هو عن موسى عن نافع عن ابن عمر . لكن لعله أراد أن يختصر .

٦ـ ابراهيم بن العلاء بن الضحاك ، بن المهاجر بن عبد الرحمن الزبيدي الحمصي ، المعروف بابن زبريق ، توفي سنة (٢٣٥هـ) وعمره (٨٣) سنة . التقريب (٤٠/١).

٧ـ سعيد بن يعقوب الطالقاني . (نسبة إلى الطالقان بلدة بمرو الروذ وبلخ) أبو بكر ، صاحب حديث ، ثقة ، توفي سنة (٢٤٤هـ) . التقريب (٣٠٩/١) .

أيضاً في ترجمة : "صالح بن أحمد بن أبي مقاتل" (١) .

قال ابن عدي : ثنا صالح ، عن الحسن بن عرفة(٢) ، ثنا إسماعيل بن عياش : ثنى موسى بن عقبة ، وعبيد الله بن عمر ..زاد صالح لنا : عن ابن عرفة عبيد الله ابن عمر عن موسى . (٣) .

حدثناه عن ابن عرفة جماعة من الشيوخ ، عن ابن عياش ، عن موسى ، عن نافع ، عن ابن عمر . وليس فيه "عبيد الله" وإنما سمع صالح أن الفريابي (٤) حدث به عن إبراهيم بن العلاء ، عن إسماعيل بن عياش ، عن عبيد الله ، عن موسى بن عقبة (٥). فأراد صالح أن يكون الحديث عنده يعلو (٦) ، فقال : ثناه ابن عرفة ، عن ابن عياش . زاد في إسناده عبيد الله" اهـ(٧) .

و أخرجه الدار قطني (١١٧/١) ، من طريق سعيد بن يعقوب الطالقاني ، نا إسماعيل بن عياش ، عن موسى بن عقبة ، وعبيد الله بن عمر ، عن نافع ...

قال الدار قطني : تابعه ـ أي سعيد بن يعقوب الطالقاني ـ ابراهيم بن العلاء الزبيدي ، عن إسماعيل ... اهـ ثم ساق بسنده عنه .

وهذا الحديث قد ضعفه جمع من العلماء ، منهم البيهقي ، حيث قال عنه : "ليس هذا بالقوي" اهـ (٨) .

و قال أيضاً (٨٩/١) : "قال محمد بن إسماعيل البخاري فيما بلغني عنه : إنما روى هذا إسماعيل بن عياش ، عن موسى بن عقبة . ولا أعرفه من حديث غيره .

١ـ وقال عنه ابن عدي ـ أي عن صالح ـ يسرق الأحاديث ، ويلزق أحاديث . تعرف بقوم لم يرهم على قوم آخرين لم يكن عندهم وقد رآهم . ويرفع الموقوف ، ويوصل المرسل ، ويزيد في الأسانيد" الكامل (٢٩٤/١) .

٢ـ الحسن بن عرفة بن يزيد العبدي ، أبو علي البغدادي ، توفي سنة (٢٥٧هـ) وقد جاوز المائة . التقريب (١٦٨/١) .

٣ـ هكذا في المطبوع ، والظاهر أن صوابه : "عن عبيد الله بن عمر ، وموسى" والله أعلم .

٤ـ هو : جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض أبو بكر الفريابي . ولد سنة (٢٠٧هـ) وتوفي في المحرم سنة (٣٠١هـ) . سير أعلام النبلاء (٩٦/١٤).

٥ـ في المطبوع : "عن عبيد الله بن موسى عن عقبة" وهذا خطأ مطبعي واضح .

وإسماعيل منكر الحديث عن أهل الحجاز ، وأهل العراق" اهـ وهذا الحديث من روايته عن الحجازيين . (١) .

قال البيهقي : "وقد روي عن غير موسى بن عقبة ، وليس بصحيح" اهـ (٢) .

و قال الترمذي : "حديث ابن عمر حديث لا نعرفه إلا من حديث إسماعيل ابن عياش ، عن موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ..." اهـ(٣) .

و قال العقيلي : ثنا عبد الله بن أحمد ، قال : عرضت على أبي حديثاً ـ وذكر هذا الحديث ـ قال أبي : هذا باطل . أنكره على إسماعيل بن عياش . يعني أنه وهم من إسماعيل بن عياش اهـ (٤) .

و قال ابن أبي حاتم في العلل (٤٩/١) : "سمعت أبي وذكر حديث إسماعيل ابن عياش ، عن موسى بن عقبة ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن رسول الله ﷺ قال : لا يقرأ الجنب ولا الحائض ... إلخ . فقال أبي : "هذا خطأ . إنما هو عن ابن عمر قوله" اهـ .

و قال في نصب الراية : (١٩٥/١) (٥): "قال في المعرفة : هذا حديث ينفرد به إسماعيل بن عياش ، وروايته عن أهل الحجاز ضعيفة ، لا يحتج بها ، قاله أحمد بن حنبل ، ويحيى بن معين ، وغيرهما من الحفاظ . وقد روي هذا عن غيره . وهو ضعيف . اهـ .

و قال الحافظ في التلخيص : "وفي إسناده إسماعيل بن عياش ، وروايته عن الحجازيين ضعيفة ، وهذا منها (٦) اهـ . وقال في الفتح (٤٠٩/١) : "ضعيف من جميع طرقه" اهـ .

و قال في الدراية : "وهو من رواية إسماعيل بن عياش ، عن موسى بن عقبة ، وهي ضعيفة" اهـ (٧) وحكم عليه النووي رحمه الله بالضعف أيضاً ، (٨) ، وابن

١ـ راجع تهذيب التهذيب في ترجمة موسى (٣٢١/١٠) .

٢ـ يأتي الكلام عليه قريباً إن شاء الله تعالى .

٣ـ سنن الترمذي (٢٣٦/١ـ٢٣٧) .

٤ـ الضعفاء الكبير (٩٠/١) .

٥ـ وانظر تنقيح التحقيق (٤٢٠/١) .

٦ـ التلخيص (١٣٨/١) .

٧ـ الدراية (٨٥/١ـ٨٦) .

تيمية (١) وكذا الألباني من المعاصرين . (٢) .

الطريق الثانية : عند الدار قطني (١١٧/١) من طريق عبد الملك بن مسلمة وحدثني المغيرة بن عبد الرحمن ، عن موسى بن عقبة عن نافع ... ولفظه : "لا يقرأ الجنب شيئاً من القرآن"(٣) . قال الدار قطني : "عبد الملك هذا كان بمصر ، وهذا غريب عن مغيرة بن عبد الرحمن وهو ثقة" اهـ . وهذه الطريق هي ضعيفة أيضاً ، لضعف عبد الملك بن مسلمة . فقد قال ابن أبي حاتم عنه : "سألت أبي عنه فقال : كتبت عنه وهو مضطرب الحديث . ليس بقوي . اهـ

و قال ابن أبي حاتم أيضاً : سألت أبا زرعة عنه فقال : ليس بالقوي وهو منكر الحديث . (٤) .

و قال في اللسان : "قال ابن يونس (٥) : منكر الحديث . وقال ابن حبان يروى المناكير الكثيرة عن أهل المدينة . (٦) اهـ .

و قال في التلخيص : "وصحح ابن سيد الناس (٧) طريق المغيرة وأخطأ في ذلك ، فإن فيها عبد الملك بن مسلمة ، وهو ضعيف . فلو سلم منه لصح إسناده . وإن كان ابن الجوزي ضعفه بمغيرة بن عبد الرحمن فلم يصب في ذلك فإن مغيرة ثقة ... (٨) اهـ .

مع أن الحافظ رحمه الله تعالى قال عن هذا الحديث في الدراية : "ظاهره الصحة"(٩) اهـ !! وضعفه الألباني أيضاً في الإرواء . (١٠)

٨- المجموع (١/١٥٥) .

١- الفتاوي (٢١/٤٦٠) .

٢- الإرواء (١/ رقم ١٩٢)، ضعيف ابن ماجه رقم (١٣٠،١٣١) وقال: منكر . اهـ وانظر المشكاة رقم (٤٦١) .

٣- راجع تنقيح التحقيق (١/٤١٩) .

٤- الجرح والتعديل (٥/٣٧١) .

٥- هو أحمد بن عبد الله بن يونس بن عبد الله بن قيس الكوفي التميمي اليربوعي ، توفي سنة (٢٢٧هـ) وعمره أربع وتسعين سنة . التقريب (١/١٩) .

٦- لسان الميزان (٤/٦٨) وانظر المجروحين لابن حبان (٢/١٣٤) .

٧- هو محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الله اليعمري ، الأندلسي ، الأشبيلي ، المصري

الطريق الثالثة : عند الدارقطني أيضاً (١/١١٨) ، من طريق إسماعيل الحساني عن رجل ، عن أبي معشر ، عن موسى بن عقبة ...

و هذا الاسناد فيه علتان وهما : الأولى : أبو معشر وهو نجيح . قال عنه في التقريب (٢/٢٩٨) : "ضعيف ... أسن واختلط" اهـ

الثانية الرجل المبهم الذي يرويه عن أبي معشر .

قال في نصب الراية (١/١٩٥) : "وهذا مع أن فيه رجلا مجهولا فأبو معشر رجل مستضعف إلا أنه يتابع عليه" اهـ وفي التلخيص (١/١٣٨) "فيه مبهم عن أبي معشر ، وهو ضعيف عن موسى" اهـ وقال ابن عبد الهادي (١)في التنقيح (١/٤١٩) : "فيه رجل مبهم وآخر ضعيف ، وهو أبو معشر ، نجيح بن عبد الرحمن" اهـ .

السادس : حديث علي (٢) رضي الله تعالى عنه . وقد روي عنه من عدة طرق وهي :

الطريق الأولى : طريق عبد الله بن سلمة ، عند الطيالسي في مسنده (١٠١) ، والحميدي (٣)رقم (٥٧) ، وأبو عبيد في فضائل القرآن رقم (٣٠٥) وابن الجعد (٤) رقم (٦١) ، وأحمد (ص٨٣ ، ٨٤ ، ١٠٧ ، ١٢٤)(٥) ، وأبو داود [عون المعبود (١/ص٣٨١)] ، وابن ماجة برقم (٥٩٤) ، والبزار رقم (٧٠٨) ، والنسائي رقم (٢٦٥) ،

٩ـ الدراية (١/٨٦) .

١٠ـ إرواء الغليل (١/٢٠٧ـ٢٠٨) .

١ـ محمد بن أحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة . شمس الدين المقدسي الحنبلي ، ولد في رجب سنة (٧٠٥هـ) وتوفي سنة (٧٤٤) . طبقات الحفاظ للداوودي (٢/ص٨٣) .

٢ـ راجع تنقيح التحقيق (١/٤٢١ـ٤٢٣) . وقد ضعف الألباني هذا الحديث . راجع : ضعيف ابن ماجة رقم (١٢٩) ، الإرواء رقم (١٩٢،٤٨٥) ، المشكاة رقم(٤٦٠) ، تمام المنه (ص١٠٨،١١٦) .

٣ـ عبد الله بن الزبير بن عيسى القرشي ، الحميدي المكي ، أبو بكر ، ثقة حافظ ، فقيه ، أجل أصحاب ابن عيينة ، مات سنة (٢١٩هـ) . التقريب (١/٤١٥) .

٤ـ هو أبو عبيد ، الإمام الحافظ أبو الحسن البغدادي الجوهري ، مولى بني هاشم ، ولد سنة (١٣٤هـ) وتوفي سنة (٢٢٣٠هـ) . سير أعلام النبلاء (١٠/٤٥٩) .

٥ـ وهو في النسخة التي حققها أحمد شاكر برقم (٦٢٧،٦٣٩،٨٤٠،١٠١١) ، وقال : إسناده صحيح . انظر رقم (٦٢٧) .

وأبو يعلي رقم (٤٠٦،٢٨٧) ، وابن الجارود (١)رقم (٩٤) ، وابن خزيمة رقم (٢٠٨) ، والطحاوي (١/ص٨٧) ، وابن حبان رقم (٧٩٧،٧٩٦) [من الاحسان] (٢) ، والآجري في أخلاق حملة القرآن رقم (٧٦) ، والدارقطني (١/ص١١٩) (٣) ، والحاكم (١٠٧/٤) (٤) ، والبيهقي (١/ص٨٨) من السنن ، وفي الشعب برقم (١٩٣٣) ، والبغوي (٤١/٢) (٥) ، كلهم من طريق شعبة ، عن عمرو بن مرة (٦)، عن عبد الله بن سلمة ، عن علي مرفوعاً . مطولا ومختصراً ، مع اختلافات عدة ، وتفاوت في ألفاظه .

و أخرجه الحميدي رقم (٥٧) ، والدار قطني (١١٩/١) ، من طريق مسعر عن عمرو بن مرة مرفوعاً أيضاً .

و أخرجه الحميدي رقم (٥٧) ، وأبو عبيد رقم (٣٠٦) ، وابن أبي شيبة (١٠٢/١) ، وأحمد (١٣٤/١) (٧) ، والترمذي رقم (١٤٦) ، والبزار رقم(٧٠٧) ، وأبو يعلي رقم (٣٤٨) ، و(٦٢٣،٥٧٩،٥٢٤) ، والطحاوي (١/ص٨٧) ، وابن عدي (١٤٨٧/٤) ، من طريق ابن أبي ليلى (٨)عن عمرو بن مرة ... مرفوعاً .

و أخرجه ابن أبي شيبة (١٠٤،١٠١/١) ، والترمذي رقم (١٤٦) ، والبزار رقم (٧٠٦) ، والنسائي رقم (٢٦٦) ، والطحاوي (٨٧/١) ، من طريق الأعمش ، عن عمرو بن مرة ... به مرفوعاً .

١- هو الإمام أبو محمد ، عبد الله بن علي بن الجارود النيسابوري ، الإمام الحافظ ، ولد في حدود الثلاثين ومائتين . وتوفي سنة (٣٠٧هـ) . سير أعلام النبلاء (٢٣٩/١٤) .

٢- وهو في(ج٢ص٨٥) .

٣- قال الدار قطني : قال سفيان : قال لي شعبة : ما أحدث بحديث أحسن منه . اهـ وراجع أيضاً العلل له ، سؤال رقم (٣٨٧) ، وفي الكامل لابن عدي (١٤٨٧/٤) قال سفيان : قال شعبة : لم يرو عمرو بن مرة أحسن من هذا الحديث . وقال شعبة : روى هذا الحديث عبد الله بن سلمة بعدما كبر . وقال ابن عيينة : قال لي شعبة : لا أروي أحسن منه عن عمرو بن مرة ... اهـ

٤- وقال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي (١٠٧/٤)

٥- وقال حسن صحيح

٦- عمرو بن مرة بن عبد الله بن طارق ، الجملي ، المرادي ، أبو عبد الله الكوفي ، الأعمى ، توفي سنة (١١٨هـ) . التقريب (٧٨/٢) .

و طريق عبد الله بن سلمة هذه ضعيفة . قال البخاري عن عبد الله بن سلمة هذا : "لا يتابع في حديثه . وقال أبو حاتم يعرف وينكر" (١)اهـ وقال في التقريب : صدوق تغير حفظه .(٢) اهـ

و قال المنذري : "وحكى البخاري عن عمرو بن مرة : كان عبدالله ـ يعني ابن سلمة ـ يحدثنا فتعرف وتنكر . وكان قد كبر . ولايتابع على حديثه .

و ذكر الإمام الشافعي رضى الله عنه هذا الحديث وقال : لم يكن أهل الحديث يثبتونه .

قال البيهقي : وإنما توقف الشافعي في ثبوت هذا الحديث لأن مداره على عبد الله بن سلمة الكوفي . وكان قد كبر وأنكر من حديثه وعقله بعض النكرة ، وإنما روى هذا الحديث بعد ما كبر . قاله شعبة . هذا آخر كلامه . وذكر الخطابي أن الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه كان يوهن حديث علي هذا ، ويضعف أمر عبد الله بن سلمة .(٣)اهـ .

و قال البزار : "وهذا حديث لا نعلمه يروى بهذا اللفظ إلا عن علي . ولا يروى عن علي إلا من حديث عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن سلمة عن علي . وكان عمرو بن مرة يحدث عن عبد الله بن سلمة فيقول : يعرف في حديثه وينكر" (٤) اهـ

و قال ابن الجارود : "وكان شعبة يقول في هذا الحديث : تعرف وتنكر . يعني أن عبد الله بن سلمة كان كبر حيث أدركه عمرو" (٥)اهـ

و نقل ابن عدي بسنده ، عن عمرو بن مرة قوله في عبد الله بن سلمة : "نعرف وننكر"

و نقل أيضاً قوله : "كان عبد الله بن سلمة يحدثنا وقد كبر فكنا نعرف وننكر".

و أخرج أيضاً عن شعبة عن عمرو بن مرة قال : "... ونحن نعرف من عقله وننكر . قال : ثم يقول أخرجته من عنقي إلى أعناقكم" . وأخرج عن شعبة عن عمرو بن مرة ، كما سبق وفيه : "فقال شعبة : والله لأخرجنه من عنقي ولألقينه في

١ـ التهذيب (٥/٢١٣)

٢ـ (١/ص٤٢٠) . وانظر نصب الراية (١/١٩٦) .

٣ـ مختصر سنن أبي داود (١/١٥٥) .

٤ـ البحر الزخار (٢/٢٨٧)

٥ـ المنتقى (ص٤١) .

أعناقكم" .

و نقل عن أحمد لم يرو أحد [لا يقرأ الجنب] غير شعبة ، عن عمرو بن مرة ، عن عبد الله بن سلمة عن علي"(١) .

و قال الترمذي عن هذا الحديث (١٤٦) : "حديث علي هذا حديث صحيح" اهـ ونقل الحافظ عن النووي في الخلاصة قوله : "خالف الترمذي الأكثرون فضعفوا هذا الحديث"(٢). ومال الحافظ إلى تحسينه ، فقال في الفتح (٤٠٨/١) : "وضعف بعضهم بعض رواته ، والحق أنه من قبيل الحسن ، يصلح للحجة" . اهـ .

الطريق الثانية : عن أبي الغريف الهمداني . عند الإمام أحمد ، هكذا : ثنا عائذ بن حبيب ، ثني عامر بن السمط (٣)، عن أبي الغريف ـ اسمه عبيد الله بن خليفة (٤) ـ .... وساقه المزي (٥)من طريق الإمام أحمد أيضاً (٦)، ورواه أبو يعلي رقم (٣٦٥) ، من طريق عائذ بن حبيب ، عن عامر بن السمط ... مثله .

قال الهيثمي : "رجاله موثوقون"(٧) .

و هذا الطريق فيه أبو الغريف الهمداني ، واسمه : "عبيد الله بن خليفة" ، قال عنه أبو حاتم : "ليس بالمشهور" . وسئل أيضاً : "هو أحب أليك أو الحارث الأعور" ؟ قال الحارث أشهر ، وهذا قد تكلموا فيه . وهو شيخ من نظراء أصبغ بن نباته (٨)" (٩) اهـ

١ـ الكامل (١٤٨٧/٤) .

٢ـ التلخيص (١/ص١٣٩) .

٣ـ عامر بن السمط . التميمي ، أبو كنانة الكوفي ، قال عنه في التقريب (ثقة من السابعة) . اهـ . التقريب (٣٨٧/١) .

٤ـ الفتح الرباني (٢/ص١٢١) رقم (٤٣٧) ، والمسند (١١٠/١) ، وفي طبعة شاكر برقم (٨٧٢) وقال أحمد شاكر إسناده صحيح . وقال في شرحه للترمذي (١/ص٢٧٥) : وهذا إسناد صحيح جيد اهـ .

٥ـ هو الإمام الحافظ جمال الدين أبو الحجاج يوسف بن الزكي عبد الرحمن بن يوسف القضاعي ثم الكلبي الدمشقي الشافعي ولد سنة (٦٥٤هـ) وتوفي سنة (٧٤٢هـ) . تذكرة الحفاظ (١٤٩٨/٤) .

٦ـ تهذيب الكمال (٢/ص٦٤٢) وانظر تنقيح التحقيق (٤٢٥/١) .

٧ـ مجمع الزوائد (٢٧٦/١) .

قال ابن عبد الهادي : ولم يبين أبو حاتم من تكلم فيه ، ولا بين الجرح ما هو" (١) اهـ وذكره ابن حبان في الثقات (٢). وقال في التهذيب : "ذكره ابن البرقي(٣) فيمن احتملت روايته وقد تكلم فيه"(٤) ا. هـ وقال في التقريب : "صدوق رمي بالتشيع"(٥) وسكت عنه البخاري اهـ(٦) .

و فيه أيضاً "عائذ بن حبيب . قال عنه في التقريب : "صدوق ورمي بالتشيع" (٧). قال الألباني : "لهذه الطريق علتين(٨) : الضعف ، والوقف . أما الضعف فسببه أن في سنده عامر بن السمط ، أبا الغريف(٩) . ولم يوثقه غير ابن حبان . وهو مشهور بالتساهل في التوثيق ... وقد خالفه من هو أعرف منه بالرجال : أبو حاتم الرازي . فقال في أبي الغريف هذا : ليس بالمشهور ... قد تكلموا فيه ، من نظراء أصبغ بن نباته" . وأصبغ هذا لين الحديث عند ابن أبي حاتم ، ومتروك عند غيره . ومنهم الحافظ ابن حجر ، فثبت ضعفه .

أما الوقف : فقد أخرجه الدارقطني ، وغيره ، عن أبي الغريف ، عن علي موقوفاً عليه(١٠) ... فقد عاد الحديث إلى أنه موقوف ، مع ضعف إسناده . فلا يصح شاهداً للمرفوع الذي قبله ، بل لعل هذا أصله موقوف أيضاً . أخطا في رفعه ولفظه عبد الله بن سلمة حين رواه في حالة التغير ، وهذا محتمل ، فسقط الاستدلال بالحديث على التحريم"(١١) اهـ

١ـ تنقيح التحقيق (٥٢٨/١) .

٢ـ (٦٨/٥)

٣ـ هم ثلاثة إخوة : (محمد ، وأحمد ، وعبد الرحيم) وقد ترجم لهم الحافظ الذهبي جميعاً في السير (٤٦/١٣ـ٤٩) . ولعل المذكور هنا هو : الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد الرحيم بن سعيد الزهري ، مولاهم المصري ، ابن البرقي ، المتوفي سنة (٢٤٩هـ) . السير (٤٦/١٣)

٤ـ تهذيب التهذيب (١٠/٧) .

٥ـ تقريب التهذيب (٥٣٢/١) .

٦ـ التاريخ الكبير (٣٨٠/٥) .

٧ـ تقريب التهذيب (٣٩٠/١) .

٨ـ الصحيح : "علتان"

٩ـ عامر بن السمط ـ وهو ثقة ـ يرويه عن أبي الغريف [وهو الذي فيه الكلام] فهما راويان لا راو واحد .

١٠ـ وسيأتي قريباً إن شاء الله في الكلام على الآثار الواردة عن الصحابة في هذه المسألة .

١١ـ تمام المنة (ص١١٧) ، وراجع الإرواء (٢/ص٢٤٣) .

الطريق الثالثة : طريق الحارث الأعور :

عند أحمد رقم (٦٨٦) من طريق إسرائيل (١) ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث ، عن علي ...

و ربما قال اسرائيل : عن رجل ، عن علي ، عن النبي ﷺ ..(٢)و هذا الإسناد فيه الحارث الأعور . قال عنه في التقريب (١٤١/١) : "كذبه الشعبي في رأيه ، ورمي بالرفض ، وفي حديثه ضعف . اهـ وفي الميزان (٤٣٥/١ـ٤٣٧): "روى مغيرة (٣)، عن الشعبي ، حدثني الحارث الأعور ، وكان كذاباً" اهـ ... وروى أبو بكر بن عياش (٤)، عن مغيرة ، قال : "لم يكن الحارث يصدق عن علي في الحديث" . اهـ وقال ابن المديني : "كذاب" اهـ وقال جرير بن عبد الحميد (٥): كان زيفاً اهـ وقال ابن معين : ضعيف .. ا هـ وقال الدار قطني : "ضعيف" ..ا. هـ وقال أيوب : "كان ابن سيرين يرى أن عامة ما يروي عن علي باطل" . اهـ وقال ابن حبان : "كان الحارث غالياً في التشيع ، واهياً في الحديث" . اهـ ـ قال الذهبي ـ : والجمهور علي توهين أمره ، مع روايتهم لحديثه في الأبواب ..." اهـ ما أردت نقله من الميزان للذهبي (٦) .

١ـ اسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي الهمداني ، أبو يوسف الكوفي ، ثقة من السابعة ـ كما في التقريب ـ مات سنة (١٦٠هـ) . التقريب (٦٤/١) .

٢ـ قال شاكر : إسناده ضعيف . اهـ .

٣ـ مغيرة بن مقسم الضبي ، مولاهم ، أبو هشام الكوفي ، الأعمى ، ثقة متقن . توفي سنة (١٣٦هـ) . التقريب (٢٧٠/٢) .

٤ـ أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي ، الكوفي ، المقرىء ، الحناط ، قيل كنيته اسمه ، وقيل اسمه محمد ، أو عبد الله ، أو سالم ، أو شعبة ، وقيل غير ذلك . توفي سنة (١٩٤هـ) وقد قارب المائة . التقريب (٣٩٩/٢) .

٥ـ جرير بن عبد الحميد بن قرط الضبي الكوفي ، نزيل الري ، وقاضيها ، قال في التقريب : "ثقة صحيح الكتاب ... مات سنة ثمان وثمانين وله إحدى وسبعون سنة" .اهـ التقريب (١٢٧/١) .

ثانياً : الآثار الموقوفة على الصحابة ، رضوان الله عليهم أجمعين :

الأول : أثر جابر بن عبد الله رضي الله عنه : أخرجه الدارقطني في سننه (١٢١/١) ، من طريق يحيى بن أبي أنيسة (١) ، عن ابن الزبير(٢) عن جابر قال : ...

قال الدارقطني "يحيى هو ابن أبي أنيسة ضعيف اهـ

و أخرجه البيهقي (٨٩/١) تعليقاً بقوله : "وروى عن جابر بن عبد الله من قوله ... وليس بقوي" اهـ

و الأمر كما قالا ؛ فان يحيى بن أبي أنيسة قال عنه في التقريب (٣٤٣/٢) "ضعيف".

و أعله الحافظ في التلخيص (١٣٨/١) بيحيى هذا . قال : "وهو كذاب"(٣) اهـ

الثاني : أثر علي رضي الله عنه . وقد جاء هذا الموقوف من طريقين بألفاظ متقاربة .

الطريق الأول : طريق أبي الغريف الهمداني (٤) ، عند الدارقطني (١١٨/١) ، من طريق يزيد بن هارون (٥) ، عن عامر بن السمط ، عن أبي الغريف ... قال الدارقطني : "وهو صحيح عن علي" اهـ

ووجدته عند عبد الرزاق رقم (١٣٠٦) ، من طريق الثوري عن عامر الشعبي عن أبي الغريف ...و عند ابن أبي شيبة (١٠٢/١) ، عن شريك (٦) عن عامر بن السمط عن

١- هو زيد ، وقيل أسامة الغنوي ، مولاهم ، أبو زيد الجزري . توفي سنة (١٤٦هـ) . تهذيب التهذيب (١٦١/١١) .

٢- لعل صوابه "أبي الزبير" .

٣- وراجع الدراية (٨٦/١) .

٤- انظر تنقيح التحقيق (٤٢٥/١) .

٥- يزيد بن هارون بن زاذان السلمي ، مولاهم ، أبو خالد الواسطي ، إمام ، ثقة ، متقن ، عابد ، توفي سنة (٢٠٦هـ) وقد قارب التسعين . التقريب (٣٧٢/٢) .

٦- شريك بن عبد الله النخعي الكوفي ، القاضي بواسط ، ثم الكوفة ، أبو عبد الله ، تغير حفظه منذ ولي القضاء بالكوفة ، وكان شديداً على أهل البدع . مات سنة (١٧٧هـ) وقيل (١٧٨هـ) . التقريب

أبي الغريف . والبيهقي (٨٩/١) مختصراً ، من طريق الحسن بن حي (١) ، عن عامر بن السمط ، عن أبي الغريف.

و أخرجه أيضاً (١ /٩٠) ، من طريق خالد بن عبد الله عن عامر بن السمط ، عن أبي الغريف .. وهو مختصر أيضاً .

و علة هذا الأثر ، أن مداره على أبي الغريف ، وقد تقدم الكلام عليه في حديث علي المرفوع . وعليه فلا يثبت هذا الأثر ، والله تعالى أعلم .

الطريق الثانية : طريق الحارث الأعور : عند عبد الرزاق (٢) ، عن الثوري ، عن أبي إسحاق ، عن الحارث . وهو عند ابن أبي شيبة (١٠٤/١) ، عن وكيع ، عن سفيان ... مثله . وأخرجه البيهقي (٨٩/١) من طريق أبي إسحاق ...

و مداره على الحارث الأعور ، وقد عرفت ما قيل فيه في حديث علي المرفوع ، الذي تقدم ذكره .

الثالث : أثر عمر رضي الله عنه .

أخرجه عبد الزراق رقم (١٣٠٧) ، عن الثوري ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن عبيدة السلماني (٣) ، قال : كان عمر ... وهذا إسناد صحيح لا إشكال فيه .

و أخرجه ابن أبي شيبة ، موصولا ومنقطعاً . أما الموصول (١٠٢/١) فمن طريق الأعمش عن شقيق .. كما عند عبد الرزاق مع اختلاف في لفظه . وأما المنقطع (١٠٣/١) ، فعن وكيع عن شعبة ، عن إبراهيم ، عن عمر ... وإبراهيم لم يدرك عمر رضي الله عنه . وكذلك أخرجه الدارمي أيضاً من طريق شعبة ... مثله .

و أخرجه الطحاوي (٩٠/١) ، من طريق الأعمش ... كما عند عبد الرزاق .

(٣٥١/١) .

١ـ هو الحسن بن صالح بن صالح بن حي ، وهو حيان بن شفي الهداني الثوري ، فقيه ، عابد ، ثقة مات سنة (١٩٩هـ) ، وكان مولده سنة (١٠٠هـ) . التقريب (١٦٧/١) .

وأخرجه البيهقي (٨٩/١) من طريق أيوب بن سويد (١)، عن سفيان ... إلا أنه لم يذكر عبيدة السلماني فيه ، فجاء منقطعاً . قال البيهقي : ورواه غيره عن الثوري ، عن الاعمش ، عن أبي وائل ، عن عبيدة ، عن عمر ، وهو صحيح اهـ وأخرجه البيهقي أيضاً (٨٩/١) ، من طريق سليمان بن حرب (٢)، عن شعبة ، عن الحكم (٣)، عن إبراهيم ، أن عمر ... وهو منقطع كذلك .

و على كلٍ فمثل هذا لا يؤثر لوروده متصلا في بعض الطرق كما رأيت .

و قد اختلفت عبارات هذا الأثر ، لا سيما من حيث الزيادة والنقص . فعند عبد الرزاق : لم يرد فيه سوى ذكر الجنابة ، وكذا عند الطحاوي ، والبيهقي .

و عند ابن أبي شيبة ، لم يرد فيه سوى ذكر الحائض ، في الإسناد المنقطع .

وفي إسناده المتصل عنده ، لم يذكر فيه سوى الجنب ، كما عند عبد الرزاق .

و عند الدارمي: "الجنب والحائض" ، وعقبه : "قال شعبة : وجدت في الكتاب : والحائض" . وأشار البيهقي إلى هذه الزيادة في سننه (٨٩/١) ، وقال : وهذا مرسل .

و هذا الأثر ، قد صححه الحافظ في التلخيص (١٣٨/١) ، والألباني في الإرواء (١/ص٢١٠) .

الرابع : أثر ابن مسعود رضي الله عنه . عند عبدالرزاق رقم (١٣١٩) ، عن معمر ، عن عطاء الخراساني ، قال : كان ابن مسعود .. وذكره .

و هذا الإسناد فيه علتان :

الأولى : أن عطاء لم يدرك ابن مسعود . فهو على هذا منقطع . أو مرسل

١ـ أيوب بن سويد الرملي ، أبو مسعود الحميري السيباني ، توفي سنة (١٩٣هـ) وقيل غير ذلك . التقريب (٩٠/١) .

٢ـ سليمان بن حرب الأزدي الواشحي ، البصري ، القاضي بمكة ، ثقة إمام ، حافظ ، توفي سنة (٢٢٤هـ) وله ثمانون سنة . التقريب (٣٢٢/١) .

٣ـ الحكم بن عتيبة الكندي ، مولاهم ، أبو محمد ، ويقال : أبو عبد الله ، ويقال : أبو عمر الكوفي ، ولد سنة (٥٠هـ) وتوفي سنة (١١٣هـ) وقيل غير ذلك . تهذيب التهذيب (٣٧٢/٢) .

بالمعنى الأعم للإرسال .

و الثانية : أن عطاء الخراساني صدوق يهم كثيراً ، ويرسل ، ويدلس ، كما قال ذلك عنه الحافظ في التقريب (٢/٢٣) .

و قد أخرج هذا الأثر ابن أبي شيبة (١:١٠٢) ، عن غندر (١)، عن شعبة ، عن حماد ـ (٢) هو ابن أبي سليمان ـ عن إبراهيم ، أن ابن مسعود ...

و هذا الإسناد فيه علتان أيضاً : وهما :

الأولى : أن إبراهيم ، وهو النخعي ، لم يدرك ابن مسعود .

و الثانية : أن حماد بن أبي سليمان : صدوق له أوهام ، كما في التقريب (١/١٩٧) ، فالطريقان مرسلان ، وكلاهما فيه ضعف غير الإرسال . وعليه فلا يتقوى أحدهما بوجود الآخر ، والله تعالى أعلم .

الخامس : أثر سلمان رضي الله عنه .

أخرجه الطحاوي (١/٩٠) ، من طريق حماد بن سلمة (٣)، عن عاصم الأحول(٤) عن عزرة(٥) ، عن سلمان ...

و عزرة هذا هو الخزاعي . ولم أجد في كل المصادر التي وقفت عليها في ترجمته ، من ذكر أنه روى عن سلمان . وكذلك لم أجد في ترجمة سلمان رضي الله عنه ، ذكر عزرة فيمن رووا عنه ...

١ـ هو محمد بن جعفر المدني ، البصري ، المعروف بغندر ومات سنة (١٩٤هـ) وقيل غير ذلك .التقريب (٢/١٥١) .

٢ـ حماد بن أبي سليمان بن مسلم الاشعري ، مولاهم ، أبو إسماعيل الكوفي ، فقيه صدوق ، له أوهام ، مات سنة (١٢٠هـ) أو قبلها . التقريب (١/١٩٧) .

٣ـ حماد بن سلمة بن دينار البصري ، أبو سلمة ، ثقة عابد ، تغير حفظه بآخره ، مات سنة (١٦٧هـ) . التقريب (١/١٩٧) .

فالظاهر أنه لم يروه عنه مباشرة . والله أعلم (١) . فإن ثبت أنه سمع منه فالأثر صحيح إن شاء الله .

هذا آخر أدلتهم التي أشرت إليها فيما سبق . وبهذا تعلم أن القول بالتحريم ليس عليه دليل من الكتاب والسنة الصحيحة ، وأن كل الأحاديث الواردة في ذلك ضعيفة .

و قد ثبت أن النبي ﷺ ، كان يذكر الله على كل أحيانه . كما جاء ذلك في حديث عائشة رضي الله عنها (٢) ، وهذا يشمل حال الجنابة وغيرها ، كما هو واضح حتى يوجد دليل يقوم على تخصيص حال الجنابة من هذا العموم الصريح .

و نسب يعقوب بن سفيان القول بالجواز إلى ابن عباس رضي الله عنه وقد أخرجه البخاري عنه تعليقاً (فتح الباري ٤٠٧/١) (٣) . كما أخرج هذا الأثر عن ابن عباس ، ابن حزم بإسناده ، ولفظه : "كان ابن عباس يقرأ البقرة وهو جنب" (٤) .

لكن في سنده يوسف بن السمتي(٥) : قال عنه في التقريب (٣٨٠/٢) : "تركوه ، و كذبه ابن معين" .اهـ .

و قد قال بالجواز جماعة من التابعين فمن بعدهم ومن هؤلاء : سعيد بن

١- راجع ترجمة عزرة في التاريخ الكبير (٧/ص٦٥)، والجرح والتعديل (٢١/٧) ، والثقات (٣٠٠/٧) ، وتهذيب الكمال (٩٣١/٢) ، وتقريب التهذيب (٢٠/٢)

٢- أخرجه البخاري تعليقاً في كتاب الحيض (باب رقم ٧) ، وفي كتاب الأذان (باب ١٩) ، ومسلم باب٣٠ حديث ١١٧) ، وأبو داود (عون المعبود رقم ١٨باب رقم ٩ كتاب الطهارة) ، وابن ماجة (رقم٣٠٢) ، وابن خزيمة رقم (٢٠٧) ، والطحاوي في شرح معاني الآثار (٨٨/١)،وابن حبان (الإحسان رقم ٧٩٨،٧٩٩) والبيهقي (٩٠/١) ، والبغوي(رقم٣٧٤) .

٣- المعرفة والتاريخ (٢٥٩/١) وكذا النووي في المجموع (١٥٨/٢) .

٤- المحلى(٧٩/١) .

٥- هو : يوسف بن خالد بن عمير السمتي ، أبو خالد البصري ، مولى بني ليث ، كان من فقهاء الحنفية وكذبه ابن معين ، مات سنة (١٨٩هـ) . التقريب (٣٨٠/٢)

المسيب (١) ، ونافع بن جبير(٢) (٣) ، وسعيد بن جبير(٤) ، وربيعة الرأي(٥) ، والطبري (٦).

قال النووي في المجموع (١٥٨/٢) : "وقال داود : يجوز للجنب والحائض قراءة كل القرآن . وروى هذا عن ابن عباس ، وابن المسيب . قال (٧) القاضي أبو الطيب ، وابن الصباغ ، وغيرهما ، واختاره ابن المنذر(٨) ، وقال مالك : يقرأ الجنب الآيات اليسيرة للتعوذ" اهـ وبالجواز قال البخاري أيضاً . وقد عقد في الصحيح باباً قال فيه : "باب تقضي الحائض المناسك كلها إلا الطواف بالبيت" ، وقال إبراهيم : لا بأس أن تقرا الآية . ولم ير ابن عباس بالقراءة للجنب بأساً . وكان النبي ﷺ يذكر الله في كل أحيانه . وقالت أم عطية (٩): كنا نؤمر أن يخرج الحيض ، فيكبرن بتكبيرهم ، ويدعون . وقال ابن عباس : أخبرني أبو سفيان أن هرقل دعا بكتاب النبي ﷺ فقرأ ، فإذا فيه : (بسم الله الرحمن الرحيم ويا أهل

١ـ بإسناد صحيح عند عبد الرزاق ، رقم(١٣٠٨) . وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن رقم (٣١٧) ، وابن أبي شيبة (١٠٣/١) ، وابن حزم في المحلى(٧٩/١) ، لكن إسناده عند غير عبد الرزاق فيه ضعف يسير ، يتقوى بطريق عبد الرزاق . وانظر المجموع (١٥٨/٢) .

٢ـ أخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن رقم(٣١٦) ، وابن أبي شيبة (١٠٤/١) ، وإسناده صحيح :

٣ـ نافع بن جبير بن مطعم النوفلي ، أبو محمد ، أو أبو عبد الله ، المدني ، تابعي فاضل ، توفي سنة (٩٩هـ) . التقريب (٢٩٥/٢) .

٤ـ أخرجه ابن حزم في المحلى . وفي سنده حماد بن أبي سليمان ، وقد سبق الكلام عليه . وقد أشرنا إلى رواية حماد ، عن سعيد بن جبير في منع الحائض والجنب من القراءة . وهو هنا ينقل عنه القول بالجواز !! وقد تكرر هذا مع غير سعيد بن جبير كعطاء ، وإبراهيم النخعي . وقد جود الألباني هذا الإسناد !! وهذا غريب كما تشاهد والله أعلم . انظر تمام المنة (ص١١٨) .

٥ـ المحلى (٧٩/١) .

٦ـ الفتح (٤٠٨/١) .

٧ـ هكذا في المطبوع و لعل الصواب "قاله" .

٨ـ هو الإمام الحافظ أبو بكر ، محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري ، نزيل مكة ، ولد في حدود

الكتاب تعالوا إلى كلمة) . وقال عطاء عن جابر : حاضت عائشة ، فنسكت المناسك غير الطواف بالبيت ، ولا تصلي . وقال الحكم (١): إني لأذبح وأنا جنب . وقال تعالى : ﴿و لا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ (الأنعام ١٢١) ـ ثم روى بإسناده عن عائشة رضي الله عنها في حجها ، وفيه ـ : "فافعلي ما يفعل الحاج ، غير أن لا تطوفي بالبيت ، حتى تطهري" .

قال الحافظ : [نقلا عن ابن رشيد(٢) تبعاً لابن بطال(٣) ، واستحسنه الحافظ] : "إن مراده الاستدلال على جواز قراءة الحائض والجنب ، بحديث عائشة رضي الله عنها ، لأنه ﷺ لم يستثن من جميع مناسك الحج إلا الطواف ، وإنما استثناه ، لكونه صلاة مخصوصة ، وأعمال مخصوصة ، وأعمال الحج مشتملة على ذكر، وتلبية ، ودعاء ، ولم تمنع الحائض من شيء من ذلك . فكذلك الجنب ، لأن حدثها أغلظ من حدثه ، ومنع القراءة إن كان لكونه ذكراً لله ، فلا فرق بينه وبين ما ذكر، وإن كان تعبداً ، فيحتاج إلى دليل خاص ، ولم يصح عند المصنف شيء من الأحاديث الواردة في ذلك ، وإن كان مجموع ما ورد في ذلك تقوم به الحجة عند غيره . لكن أكثرها قابل للتأويل كما سنشير إليه ،و لهذا تمسك البخارى ، ومن قال بالجواز غيره كالطبري ، وابن المنذر ، وداود بعموم حديث "كان يذكر الله على كل أحيانه" ، لأن الذكر أعم من أن يكون بالقرآن أو غيره ، وإنما فرق بين الذكر والتلاوة بالعرف"(٤) اهـ وهذا مذهب ابن حزم(٥) .

١- هو ابن عتيبة . تقدمت ترجمته .

٢- هو : أبو عبد الله محمد بن عمر الفهري ، السبتي ، حافظ ، مسند ، رحالة ، وكان مالكي المذهب ، توفي رحمه الله سنة (٧٢١هـ) ودفن بفاس . العبر (٦٣/٤) ، شذرات الذهب (٥٦/٦) .

٣- هو العلامة أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري القرطبي ثم البلنسي ويعرف بابن اللجام . توفي سنة (٤٤٩هـ) . سير أعلام النبلاء (٤٧/١٨) .

٤- الفتح (٤٠٧/١-٤٠٨) .

٥- المحلى(٧٧/١) .

تنبيهات :

التنبيه الأول :

عند كلام المؤلف رحمه الله ، في عوامل حفظ الصحابة للكتاب والسنة ، ذكر في العامل الثاني عشر : اهتداؤهم بهدي القرآن ، وتحليلهم حلاله ... ثم ذكر قوله تعالى : ﴿ياأيها الذين آمنوا إن تتقوا الله يجعل لكم فرقاناً ...﴾(٢) ، قال : "أي هداية ، ونوراً ، تفرقون به بين الحق والباطل ... وذلك أن المجاهدة تؤدي إلى المشاهدة ، والعناية بطهارة القلوب وتزكية النفوس تفجر الحكمة في قلب العبد . قال الغزالي رحمه الله :"أما الكتب والتعليم فلا تفي بذلك (أي بالحكمة تتفجر في القلب) بل الحكمة الخارجة عن الحصر والعد إنما تتفتح بالمجاهدة ومراقبة الأعمال ... والجلوس مع الله عز وجل في الخلوة ، مع حضور القلب بصافي الفكرة ، والانقطاع إلى الله عز وجل عما سواه ، فذلك مفتاح الإلهام ومنبع الكشف ، فكم من متعلم طال تعلمه ولم يقدر على مجاوزة مسموعه بكلمة ..."(٣) اهـ

وهذه "شنشنة أعرفها من أخزم" ، إذ أن هذا الكلام هو الذي يردده الصوفية

---

١ المناهل (٢٤١/١) .

٢ـ الأنفال(٢٩) .

٣ـ المناهل (٣٠٤/١) .

دائماً ويذكرونه في كتبهم ، ويحملون نصوص الوحيين مالا تحتمل من المعاني ، لتوافق بدعهم وأفعالهم واعتقاداتهم المنحرفة ... فأي مشاهدة يريد المؤلف بقوله : "المجاهدة تؤدي إلى المشاهدة" ؟! ثم انظر الكلام الذي نقله عن الغزالي ، وما فيه من العبارات الموهمة ، والمنكرة ، كالجلوس مع الله في الخلوة ... ومنبع الإلهام والكشف ... وغير ذلك من عباراته التي مرت بك . فهم قد اخترعوا لهم طريقاً وسبيلا غير سبيل المؤمنين ، ساروا عليها ، وزعموا أنها الموصلة إلى الله تعالى . بل إلى أعظم الدرجات ، وأعلى المقامات ، علماً بأن هذه الطريق الفاسدة لم يسلكها رسول الله ﷺ ولا أحد من أصحابه رضوان الله عليهم ...

و قد أحدث هؤلاء أموراً وتصرفات زعموا أنهم بها يتقربون إلى الله تعالى كالخلوة ، وتعذيب النفس بأساليب مختلفة ... وهم مع ذلك كله ، يحتقرون العلم بالشريعة ، ويسمونه علم "الظاهر" بينما لهم علم الباطن !! وهم وإن تعلموا علوم الشريعة في بعض الأحيان ، فإنما يفعلون ذلك تلبيساً على الناس وتقية .

نقل الشعراني(١)في طبقاته عن زكريا الأنصاري (٢) قوله : "... فأشار علي بعض الأولياء بالتستر بالفقه . وقال : استر الطريق ، فإن هذا ما هو زمانها . فلم أكد أتظاهر بشيء من أحوال القوم إلى وقتي هذا"(٣) اهـ وقال عن الجنيد (٤): "... فكان بعد ذلك يستتر بالفقه إلى أن مات"(٥) اهـ

و نقل أيضاً عن رسالة ابن عربي للرازي ، وفيها : "... إعلم يا أخي ... أن الرجل لا يكمل عندنا في مقام العلم ، حتى يكون علمه عن الله عز وجل بلا واسطة . من نقل أو شيخ . فإن من كان علمه مستفاداً من نقل أو شيخ ، فما برح عن الأخذ

١ـ هو : عبد الوهاب بن أحمد بن علي بن أحمد بن محمد بن موسى الشعراني ، الأنصاري ، الشافعي ، الشاذلي المصري ، صوفي ولد بمصر سنة (٨٩٨هـ) وتوفي بالقاهرة سنة (٩٧٣هـ) . شذرات الذهب (٣٧٢/٨) .

٢ـ هو : أبو يحيى ، زين الدين زكريا بن محمد بن أحمد بن زكريا الأنصاري الخزرجي السنكي الأزهري الشافعي ،ولد سنة (٨٢٦هـ) وقيل (٨٢٥هـ) وتوفي سنة (٩٢٥هـ) وقيل غير ذلك . شذرات الذهب (١٣٤/٨) .

٣ـ الطبقات الكبرى(١١١/٢) .

٤ـ الجنيد بن محمد بن الجنيد النهاوندي البغدادي . القواريري الصوفي ، ولد سنة نيف وعشرين ومائتين . سير أعلام النبلاء (٦٦/١٤) .

٥ـ الطبقات الكبرى (١٠/١) .

عن المحدثات ، وذلك معلول عند أهل الله عز وجل ، ومن قطع عمره في معرفة المحدثات ، وتفاصيلها ، فاته حظه من ربه عز وجل ، لأن العلوم المتعلقة بالمحدثات يفني الرجل عمره فيها ولا يبلغ إلى حقيقتها . ولو أنك يا أخي سلكت على يد شيخ من أهل الله عز وجل لأوصلك إلى حضرة شهود الحق تعالى ، فتأخذ عنه العلم بالأمور من طريق الإلهام الصحيح ، من غير تعب ، ولا نصب ، ولا سهر ، كما أخذه الخضر عليه السلام ، فلا علم إلا ما كان عن كشف وشهود ، لا عن نظر وفكر وظن وتخمين ، وكان الشيخ أبو يزيد البسطامي(١) رضي الله عنه يقول لعلماء عصره : أخذتم علمكم عن علماء الرسوم ميتاً عن ميت ، وأخذنا علمنا عن الحي الذي لا يموت . ـ إلى أن أوصاه بالعناية بالعلم بالله ، وبالدار الآخرة ثم قال ـ : وليس طريق الكشف عن هذين العلمين إلا بالخلوة ، والرياضة ، والمشاهدة ، والحزب الإلهي ..." اهـ

و نقل عنه أيضاً في قوله تعالى: ﴿و لو أن أهل القرى ...﴾ (٢)إلخ "أي أطلعناهم على العلوم المتعلقة بالعلويات والسفليات وأسرار الجبروت وأنوار الملك والملكوت ..."(٣) اهـ

و عند كلام الشعراني على الحجب والأستار التي تكون بين الأولياء و بين غالب الناس لجلالة هؤلاء الأولياء وعظم شأنهم ... قال : "ومنهم من يكون ستره بالاشتغال بالعلم الظاهر ، والخمول على ظاهر النقول ، حتى لا تكاد تخرجه عن آحاد طلبة العلم القاصرين ..." (٤) اهـ

و لما ذكر الغزالي في "بداية الهداية" بعض الآفات كالكبر والعجب والحسد ... قال :"فتأمل أيها الراغب في العلم هذه الخصال . واعلم أن أعظم الأسباب في رسوخ هذه الخبائث في القلب طلب العلم لأجل المباهاة والمناقشة ، فالعامي بمعزل عن أكثر هذه الخصال ، والمتفقه مستهدف لها ، وهو معرض للهلاك بسببها ، فانظر أي أمورك أهم ؛ أن تتعلم كيفية الحذر من هذه المهلكات ، وتشتغل

١ـ هو : أبو يزيد ، طيفور بن عيسى بن شروسان البسطامي له مقالات أخذت عليه في التصوف ، توفي ببسطام سنة (٢٦١هـ) . سير أعلام النبلاء (٨٦/١٣) .

بإصلاح قلبك وعمارة آخرتك ، أم الأهم أن تخوض مع الخائضين ، فتطلب من العلم ما هو سبب زيادة الكبر والرياء والحسد والعجب حتى تهلك مع الهالكين . ـ إلى أن قال ـ : فإذا عمرت بالتقوى باطن قلبك ، فعند ذلك ترتفع الحجب بينك وبين ربك . وتنكشف المعارف ، وتتفجر من قلبك ينابيع الحكمة ، وتتضح لك أسرار الملك والملكوت ، ويتيسر لك من العلوم ما تستحقر به هذه العلوم المحدثة ..."(١) اهـ

فالعلم هكذا عند هؤلاء الصوفية ، لا يحتاج إلى تعلم ولا نصب ، بل خلوات ومجاهدات ، بالإضافة إلى شيخ تكون بين يديه كالميت بين يدي الغاسل ، ينتج عن ذلك كرامات وتجليات وحكمة بلا حد ، وكشوفات وارتفاع الحجب بين العبد وبين الرب ، ومعارف لدنية ، وإلهام ... و... و..... بعد ذلك يأتي دور سقوط التكاليف ، ثم الاتحاد بين الخالق والخلق ... وغير ذلك مما هو معروف من الشطح والإلحاد والزندقة ...(٢).

التنبيه الثاني :

عند ذكر المؤلف مظاهر تثبت الصحابة ... قال : "ويشبه هذين الدستورين في جمع القرآن ، دستور أبي بكر في حماية السنة ، والحيطة لها ، والتثبت منها ، إذ جمع أصحاب رسول الله ﷺ ، وشاورهم في الأمر ، ثم انتهوا إلى اتباع ما يأتي : "أن ينظروا في خبر الواحد نظرة فاحصة ، يعرضونه على كتاب الله ، وما تواتر ، أو اشتهر من حديث رسول الله ﷺ ، فإن خالف شيئاً منها زيفوه وردوه ، وإن لم يخالف نظروا نظرة ثانية فيمن جاء به فلا يقبلون إلا ممن عرف بالعدالة والضبط والصدق والتحري ، وإلا طالبوه بالتزكية من طريق آخر يشهد معه ، ويروي ما رواه وبرغم هذا وذاك فقد التزموا التقليل من الرواية لأن الإكثار مظنة الخطأ ، ومثار

١ـ بداية الهداية (ص٦٥) .

٢ـ حول الرد على أرباب التصوف في تزهيدهم في العلم الشرعي ، انظر : بصائر ذوي التمييز (٨٨/٤) .

الاشتباه" (١) . اهـ

وهذا الكلام فيه عدة مغالطات أنبه عليها مع الاختصار :

الأولى : في ثبوت وقوع ما ذكر المؤلف من جمع أبي بكر رضي الله عنه للصحابة واتفاقهم على دستور في جمع السنة ... فإن هذا الأمر لا يعرف وقوعه من أبي بكر رضي الله عنه ، فضلا عن أن هذا الدستور ـ المزعوم ـ دستور مضطرب ، وغير مناسب لذلك العهد .

و إنما الذي يروى هو ما نقله الذهبي عن الحاكم بسنده ـ أي الحاكم ـ إلى عائشة رضى الله عنها أنها قالت : جمع أبي الحديث عن رسول الله ﷺ ، وكانت خمسمائة حديث ، فبات ليلة يتقلب كثيراً قالت : فغمني . فقلت : أتتقلب لشكوى أو لشيء بلغك ؟! فلما أصبح قال : أي بنية هلمي الأحاديث التي عندك ؛ فجئته بها . فدعا بنار فحرقها ، فقلت : لم أحرقتها . ؟! قال : خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل ائتمنته ووثقت ، ولم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذاك . قال الذهبي رحمه الله معقباً على هذه الرواية :"فهذا لا يصح والله أعلم"(٢) اهـ وعلى فرض صحته فليس فيه ما يدل على ما ذكره المؤلف فيما سبق . فليس لدينا ما يثبت ذلك الدستور والاجتماع من الناحية التاريخية والله أعلم .

الثانية : في قوله "أن ينظروا في خبر الواحد" . فهذا التقسيم المحدث لم يكن معروفاً في ذلك الوقت ، وهذا أمر بدهي فيما أظن ، لا يخفى على القارىء .

الثالثة : في قوله :"... فلا يقبلون إلا ممن عرف بالعدالة والضبط ..." كيف يقول المؤلف مثل هذا ويرتضيه وهو يعلم أن الصحابة كلهم عدول ، لا نحتاج إلى النظر في عدالتهم ؟!

الرابعة: في قوله :"أن ينظروا في خبر الواحد نظرة فاحصة يعرضونه على كتاب الله تعالى وما تواتر أو اشتهر من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم"

مع العلم أن المشهور داخل في رواية الآحاد . فما معنى عرضهم خبر الواحد على المشهور ؟! ولعل المؤلف يتوهم أن معنى خبر الواحد أي الذي لا يرويه إلا شخص واحد . لكن هذا ليس بمراد ، ولا يظن بمثل المؤلف رحمه الله مثل هذا الفهم . والله المستعان .

المبحث التاسع :

«في ترتيب آيات القرآن وسوره»

و يشمل :

أولا : مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ، وذكر القضايا التي ناقشها فيه .

ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث .

× تنبيهات .

أولا : مدى استيفاء المؤلف مادة هذا المبحث ، وذكر القضايا التي ناقشها فيه :

تعرض المؤلف رحمه الله تعالى للقضايا والمسائل المهمة المندرجة تحت عنوان هذا المبحث .. وقد جاءت كتابة الزركشي رحمه الله في هذا الموضوع(١) ، مقرونة بموضوع تقسيم القرآن بحسب سوره ، وبموضوع العدد أيضاً .

بينما كان تطرق السيوطي رحمه الله له (٢) مندرجاً تحت عنوان "جمع القرآن" .

أما الكلام في عدد السور والآيات ، فجاء عنده في مبحث آخر ، وهو "النوع التاسع عشر" ، فجعله مستقلا .

و أما الكلام في معنى السورة وفي تقسيم القرآن ، بحسب سوره ، فهو عنده مندرج تحت مبحث مستقل أيضاً ، وهو "النوع السابع عشر : في معرفة أسمائه وأسماء سوره" (٣) .

و المؤلف هنا ـ أعني الزرقاني ـ تطرق في كتابته في موضوع : "ترتيب الآيات والسور" إلى قضايا ليس لها تعلق مباشر في هذا الموضوع ، بل هي داخلة في مواضيع أخرى . كما هو الحال عند غيره كما مر بك آنفاً . وأعني بهذه القضايا البعيدة عن موضوع المؤلف ، مسألة تعداد السور ، وكذا عدد الآيات ، والخلاف في ذلك ومنشؤه ، وذكر عدد كلمات القرآن ، وحروفه ...

و على كلٍ ، فلم تستغرق هذه الأشياء سوى جزء يسير من هذا المبحث عند المؤلف رحمه الله .

أما المسائل التي تعرض لها المؤلف في هذا المبحث فنوجزها لك فيما يأتي :

١ـ معنى الآية وطريق معرفتها ، وعدد آيات القرآن مع الإشارة إلى الاختلاف في ذلك وسببه ، ثم فوائد معرفة الآيات .

٢ـ الكلام في ترتيب الآيات ، وأنه توقيفي ، ثم التعرض لعدد كلمات القرآن

---

١ ـ البرهان (٢٤٤/١) .

٢ـ الإتقان (١٧٢/١) .

٣ـ الإتقان (١٤٣/١، ١٥٠، ١٦٣) .

وحروفه .

٣ـ الكلام في معنى السورة ، وحكمة تسوير السور فيه .

٤ـ ذكر أقسام السور في القرآن .

٥ـ ترتيب السور والخلاف فيه ، وواجبنا نحوه .

ثم عرض بعض الشبه ، والجواب عنها .

ثانياً : إضافات المؤلف في هذاالمبحث :

في بيان معنى الآية من حيث إطلاقاتها ، ذكر الزركشي لها ثلاثة إطلاقات (١) وهي : ١ـ جماعة الحروف ٢ـ العجب ٣ـ العلامة . وأشار إلى المعجزة أيضاً . ولم يزد السيوطي على ما ذكره الزركشي شيئاً . (٢) بينما نجد المؤلف رحمه الله ، ذكر لها ستة إطلاقات ثم ربطها جميعاً بالمعنى الاصطلاحي . وهذه الاطلاقات هي : ١ـ المعجزة ٢ـ العلامة ٣ـ العبرة ٤ـ الأمر العجيب ٥ـ الجماعة ٦ـ البرهان والدليل (٣).

و ليس هناك ثمت إضافة على ما ذكرت ، بل إن كتابة المؤلف رحمه الله في هذا المبحث لم تكد تخرج عما ذكره السيوطي في الإتقان مع إعادة صياغة وترتيب والله المستعان .

١ـ البرهان (١/٣٦٦) .

٢ـ الإتقان (١/١٨٧) .

٣ـ فائدة : في "بصائر ذوي التمييز (٢/٦٥،٦٦) ، ذكر لها إثني عشر إطلاقاً .

× **تنبيهات :**

١ـ التنبيه الأول : "أقصر آية في القرآن" .

قال المؤلف رحمه الله "... وأقصر آية كلمة "يس" ، الواقعة في صدر سورة يس" (١)اهـ وقد ذكر جماعة من المحققين غير هذا . فقال الزركشي : (٢)"و أقصر آية فيه : "و الضحى" ، ثم "و الفجر" ، كل كلمة خمسة أحرف تقديراً ثم لفظاً ، ستة رسماً . لا "مدهامتان" لأنها سبعة أحرف لفظاً ورسماً ، وثمانية تقديراً" اهـ

و نقل الزركشي عن بعضهم (٣) قوله : "ليس في القرآن كلمة واحدة آية إلا "مدهامتان" . اهـ(٤).

و نقل عن الزمخشري(٥) : "الآيات علم توقيف لا مجال للقياس فيه . فعدوا "المر" آية حيث وقعت من السورة المفتتح بها . وهي ست . وكذلك "المص" آية و"المر" لم تعد آية ... "و طسم" آية في سورتيها . و"طه" ، و"يس" آيتان ... و"حم" آية في سورها كلها ... هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيئاً منها آية . اهـ

و قال الزركشي (٦) : "..و قد تكون الكلمة آية مثل : "و الفجر" "و الضحى" "و العصر" وكذلك "الم" ، و"طه" ، و"يس" ، و"حم" في قول الكوفيين ... وغيرهم لا يسمي هذه آيات بل يقول : هذه فواتح لسور" اهـ

و جاء في الإتقان (٧) : "قال أبو عمرو الداني : لا أعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله "مدهامتان" . وقال غيره : بل فيه غيرها مثل "والنجم" ، "والضحى" ، "والعصر" ، وكذا فواتح السور عند من عدها" . اهـ (٨) فتبين أن الكوفيين لا

١ـ المناهل "١/٣٣٧" .

٢ـ البرهان (١/٢٥٢) .

٣ـ هو ابن المنير .

٤ـ البرهان (١/٢٦٧) .

٥ـ البرهان (١/٢٦٧) .

٦ـ البرهان (١/٢٦٨) .

يعدون فواتح السور من الآيات المستقلة .

بل على قول من عد فواتح السور آيات مستقلة ، فإن القول بأن "يس" هي أقصر آيه غير مسلم ، فإن لها نظائر لها حكمها مثل "حم" و"طه" ونحو ذلك من الفواتح التي تشبهها .

و على كلٍ فهذه قضية يسيرة جداً لا تستحق أن يتوقف عندها كثيراً ، فالأمر سهل . والله المستعان .

٢ـ التنبيه الثاني :

قال المؤلف (١/٣٥٠) وروى البخاري عن ابن مسعود أنه قال ﷺ(١) قال في بني إسرائيل ، والكهف ، ومريم ، وطه والأنبياء :ـ "انهن من العتاق الأول .." اهـ

و هذا وهم من المؤلف رحمه الله فالحديث في البخاري موقوف على ابن مسعود رضي الله عنه .(٢)

٣ـ التنبيه الثالث :

لما ذكر المؤلف الأقوال الثلاثة في ترتيب سور القرآن لم يجزم بترجيح شيء منها على الآخر ، وإنما قال بعد أن ذكر القول الثالث ـ وهو القائل بأن ترتيب بعضها توقيفي والبعض الآخر اجتهادي ـ قال : "وقد ذهب إلى هذا الرأي فطاحل من العلماء ولعله أمثل الآراء ..." (٣)بل إنه في (ص٣٥١) (من الجزء الأول) هون الأمر وجعله سهلا لا يترتب عليه كبير أثر ....

و الحقيقة أن القول الذي ذكره قريب وإن كان الذي أقرب منه في نفسي هو قول مالك رحمه الله وغيره كشيخ الإسلام ابن تيمية وجمع من أهل العلم ؛ بل هو قول جمهور أهل العلم . وهو أن ترتيب السور أمر اجتهادي مفوض إلى الصحابة ، فلم يرد فيه توقيف من الشارع ، ولكني ومع تكرار النظر في حجة ومأخذ كل قول لم أتمكن من الجزم بصحة أحد هذه الأقوال على الآخر ...

لأجل هذا ولأجل أن المؤلف ـ رحمه الله ـ لم يجزم بترجيح قول على الآخر فإني أكتفي بما ذكرت ، وحسب المرء أن يقف عند حد ما يعلم ، والله المستعان .

١ـ هكذا في الكتاب .

٢ـ البخاري مع الفتح (٩/٣٩رقم٤٩٩٤) .

٣ـ المناهل (١/٣٤٩) .

٤ـ التنبيه الرابع :

قال المؤلف رحمه الله (٣٥١/١) : "أما ترتيب السور في التلاوة فليس بواجب إنما هو مندوب ..." . اهـ

و الأمر الذي أريد الإشارة إليه هو أن القول بالاستحباب هنا مخرج على القول بأن الترتيب أمر توقيفي وهذا على هذا القول مسلم لا إشكال فيه .

أما على القولين الآخرين فلا . لأن الاستحباب حكم شرعي لا يثبت إلا بدليل شرعي . والله أعلم .

المبحث العاشر :

«في كتابة القرآن ورسمه ومصاحفه»

و تشمل الدراسة :

أولا : مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ، وذكر القضايا التي ناقشها فيه .

ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث .

ثالثاً : مناقشة المؤلف في مسائل من هذا المبحث .

أولا : بيان مدى استيفاء المؤلف مادة هذا المبحث ، وذكر القضايا التي ناقشها فيه :

لم يذر المؤلف ـ رحمه الله ـ أمراً ذا أهمية يتصل بالموضوع إلا وتعرض له .. ومن ذلك أنه تكلم عن أمية العرب ، وشأن الكتابة عندهم ، ومن أين جاءتهم ... ثم انتقل إلى الحديث عن الكتابة في الإسلام ، وحرص الرسول ﷺ على نشرها ... وذكر بعض ما يدل على ذلك .. وهل تعلمها هو ﷺ أم لا ؟!

و أشار إلى كتابة الصحابة للقرآن بأمر النبي ﷺ .. ثم بين المراد برسم المصحف ، وذكر بعض من أفرده بالتأليف ، ثم انتقل إلى الحديث عن قواعد ذلك الرسم ، فذكر ست قواعد وهي : ١ـ قاعدة الحذف ٢ـ قاعدة الزيادة ٣ـ قاعدة الهمز ٤ـ قاعدة البدل ٥ـ قاعدة الوصل والفصل ٦ـ قاعدة ما فيه قراءتان . وشرح كل قاعدة من هذه القواعد الست .. ثم انتقل المؤلف إلى ذكر فوائد ومزايا الرسم العثماني ، فذكر له ست فوائد . بعد ذلك تعرض للكلام في مسألة وقع الاختلاف فيها بين أهل العلم وهي : "هل الرسم للمصحف أمر توقيفي ، أو أنه شيء اصطلاحي ؟" وهل يجب التزام هذا الرسم في المصاحف اليوم ؟! ثم أجاب عن نحو عشر شبه حول هذا المبحث . وتطرق بعْد ذلك إلى الكلام في مدى اشتمال المصاحف العثمانيه على الأحرف السبعة .. وأشار أيضاً إلى الأقوال في عدد المصاحف التي كتبها عثمان رضي الله عنه ، وبين طريقة عثمان في تثبيت القراءة بها ، حيث بعث مع كل مصحف قارئاً.ثم ناقش جزئية أو تساؤلا وهو مدى بقاء المصاحف التي أرسلها عثمان في ذلك العصر ... وقد بين المؤلف أيضاً حال هذه المصاحف في عهد عثمان رضي الله عنه ، ثم ماطرأ عليها بعد ذلك من النقط ، والتجزئة ، والشكل ، والكلام في أمور وقع فيها الخلاف بين العلماء من أشباه تلك المشار إليها .. ثم جعل مسك الختام في ذكر احترام المصحف وتعظيمه .

ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث :

يمكننا أن نحصر إضافات المؤلف في هذا المبحث على ما ذكره الزركشي والسيوطي في قضيتين اثنين :

الأولى: وهي بيانه ـ رحمه الله ـ بداية مجيء الكتابة لقريش ، وحالها عند العرب .. وأول عهدها عند الأنصار (١) .. وكذا إشارته إلى شأن الكتابة في الإسلام ، والكتاب في عهده الأول ، وحث الإسلام على تعلمها .(٢)

ثانياً : نبه المؤلف رحمه الله في هذا المبحث على فوائد ، ومزايا الرسم العثماني للمصاحف ، فذكر ست فوائد لذلك .(٣)

---

١ ـ المناهل (١/٣٥٥) .

٢ـ المناهل (١/٣٥٦) .

٣ـ المناهل (١/٣٦٦) .

ثالثاً : مناقشة المؤلف في مسائل من هذا المبحث .

و هي :

١ـ إثبات أمية النبي ﷺ .

٢ـ حول الأسرار التي يقال إنّ الرسم العثماني تضمنها .

٣ـ المراد بقوله تعالى : ﴿في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون﴾

٤ـ حكم مسّ المحدث ما يتصل بالمصحف من خريطة وغلاف وصندوق .

× تنبيهات .

المسألة الأولى : إثبات أمية الرسول ﷺ :(١).

وضع المؤلف في هذا المبحث عنواناً هو : "النبي ﷺ يقرأ ويكتب" ، قال فيه : "حتى لقد قيل : إن النبي ﷺ عرف القراءة والكتابة ، في آخر أمره ، بعد أن قامت حجته ..." (٢) ثم نقل عن الآلوسي رحمه الله ، الخلاف في المسألة ، وأدلة كل قول ... ثم عقب على ذلك بقوله : "... ثم إن التعارض ظاهر فيما بين هذه وتلك غير أنه تعارض ظاهري يمكن دفعه بأن نحمل أدلة الأمية على أولى حالاته ﷺ ، وأن نحمل أدلة كتابته على أخريات حالاته .." .(٣) .

و هذا القول مخالف للكتاب والسنة ، ولما هو معلوم من حال النبي صلوات الله وسلامه عليه . فقد وصفه الله تعالى بقوله : ﴿الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة والإنجيل...﴾ (٤) وبقوله ﴿فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون﴾ (٥)و بقوله : ﴿هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ..﴾ (٦).

فالأمية من الأوصاف اللازمة له ﷺ ، وهي أيضاً من أوصافه المثبتة في التوراة والإنجيل . بل لقد جاء القطع بهذا الوصف له ﷺ ونفي ما يخالفه عنه بقوله تعالى : ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون﴾ .(٧).

فإذا عرف النبي ﷺ القراءة والكتابة ارتفع عنه هذا الوصف ـ المثبت في القرآن ، وفي زبر الأولين ـ قطعاً . وهذا لا يجوز .

بل إن أميته معجزة من معجزاته ﷺ ، وفي كتابته انتفاء لها . حتى بعد

١ـ انظر : الخصائص الكبرى للسيوطي (٣/٢٧٠ـ٢٧٣) ، تفسير الآلوسي (ج٩/٧٩،ج٢١/٥٤)،تفسير القاسمي (٧/٣٦٨،١٤/١٥٦) ، مقدمة إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين (ص١٥) ، الرد الشافي الوافر على من نفى أمية سيد الأوائل والأواخر ، مرويات صلح الحديبية (٢٩٦ـ٣٠٠) ، أبو الوليد سليمان ابن خلف الباجي ، وكتابه التعديل والتجريح ... (١/١١٥ـ١٢٣) ، محمد رسول الله ﷺ (ص٦٣ـ ص٦٧) ، التراتيب الإدارية (١/١٧٢)،مدخل إلى دراسة القرآن الكريم (ص١٣٩) .

٢ـ المناهل (١/٣٥٧) .

٣ـ المناهل (١/٣٦٠) .

٤ـ الأعراف (١٥٦) .

٥ـ الأعراف (١٥٨) .

٦ـ الجمعة (٢) .

٧ـ العنكبوت (٤٨) .

البعثه وفي وقوع ذلك منه مدعاة لأن يرتاب فيه المبطلون كما أخبر الله عز وجل .

وقد روى الشيخان وغيرهما عن ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً : "إنا أمة أمية ، لا نكتب ولا نحسب"(١) . وهذا موافق لما سبق من الآيات القرآنية التي أوردتها .

إلا أنه قد وردت بعض الروايات الموهمة خلاف ما ذكرت ، وإليك ملخصها :

١ـ ما أخرجه جماعة ، منهم الشيخان ، عن البراء في صلح الحديبية وفيه : "فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب فكتب : هذا ما قاضى ..." إلخ وسيأتي الكلام عليه قريباً إن شاء الله .

٢ـ ما روي عن الشعبي أنه قال : "ما مات النبي ﷺ حتى كتب" .

٣ـ ما روي عن أبي كبشة السلولي(٢) ، وفيه : "أن النبي صلى الله عليه وسلم قرأ صحيفة لعيينة بن حصن وأخبره بمضمونها .

٤ ـ ما رواه الطبراني وأبو الشيخ عن عون بن عبد الله بن عتبة(٣) عن أبيه(٤) قال : "ما مات النبي ﷺ حتى قرأ وكتب . فذكرت هذا الحديث للشعبي فقال : صدق . سمعت أصحابنا يقولون ذلك .

٥ ـ ما روي عن النبي ﷺ أنه قال لمعاوية : "ألق الدواة ، وحرف القلم ..." إلخ

فكانت هذه الروايات سبباً لاختلاف أقوال أهل العلم في هذه المسألة إلى ثلاثة مذاهب وهي :

١ ـ الأول : ذهب الجمهور إلى أن تلك الروايات ضعيفة لا يثبت منها شيء (٥) سوى قصة الحديبية ، وهي قصة واحدة ، والكاتب فيها واحد ، وهو علي بن

١ـ البخاري (الفتح) (ج٤/ص١٢٦) ، كتاب الصوم باب (١٣) رقم (١٩١٣) ، ومسلم كتاب الصوم باب (٢) حديث (١٥) .

٢ـ قيل اسمه البراء بن قيس وأنكر ذلك بعضهم ، وهو من ثقات التابعين من أهل الشام . تهذيب التهذيب (٢٣٠/١٢) .

٣ـ عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي ، أبو عبد الله ، الكوفي ، ثقة عابد ، توفي قبل سنة

أبي طالب رضي الله تعالى عنه . وقد تعددت ألفاظ رواياتها وبعضها يبين البعض الآخر .

و قد جاء التصريح في أحدى رواياتها ـ وهي رواية المسور بن مخرمة (١)ـ بأن علياً رضي الله عنه هو الذي كتب .

أما الرواية الأخرى ـ التي سبقت ـ والتي قد يفهم منها أن الذي كتب هو الرسول ﷺ فإنها محمولة على محذوف مقدر بنحو : "فمحاها فأعادها لعلي فكتب" .

ودليل الحذف ما هو معروف من حال النبي ﷺ من أنه لا يكتب ، وقد جاء ذلك مصرحاً به في نفس الرواية بقوله : "فأخذ الكتاب ، وليس يحسن يكتب" . وبقوله "أرني إياها" . فلو كان كاتباً لما احتاج إلى أن يعرفه علي رضي الله عنه بمكانها (٢) .

أو يكون المراد بقوله : "فكتب" ، أي أمر بالكتابة . وهذا الأسلوب معلوم متداول كثيراً في الكتابة وغيرها . تقول : بنى عمر رضي الله عنه البصرة والكوفة . أي أمر بذلك ، ومثل هذا كثير جداً .. وقد ثبت أن النبي ﷺ كتب إلى الملوك في وقته كالمقوقس وكسرى ، وقيصر .. وإنما أمر كتابه بأن يكتبوا تلك الكتب .

قال القرطبي : "هذا هو الصحيح في الباب ، أنه ما كتب ولا حرفاً واحداً ، وإنما أمر من يكتب ، وكذلك ما قرأ ولا تهجى . فإن قيل : فقد تهجى النبي ﷺ حين ذكر الدجال فقال : "مكتوب بين عينيه (ك ا ف ر) وقلتم إن المعجزة قائمة في كونه أمياً . قال الله تعالى : ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ...﴾ الآية ، وقال : "إنا أمة أمية" فكيف هذا ؟!

فالجواب ما نص عليه ﷺ في حديث حذيفة ، والحديث كالقرآن ، يفسر بعضه بعضاً . ففي حديث حذيفة : "يقرؤه كل مؤمن ، كاتب وغير كاتب" فقد نص في ذلك على غير الكاتب ممن يكون أمياً . وهذا من أوضح ما يكون جلياً" اهـ (٣).

"وعلى تقدير حمله على ظاهره ، فلا يلزم من كتابة اسمه الشريف في ذلك

٥ـ انظر تفسير ابن كثير (٤١٧/٣) .

١ـ هو المسور بن مخرمة بن نوفل بن أهيب بن عبد مناف بن زهرة الزهري ، ابو عبد الرحمن . له ولأبيه صحبة (ت ٦٤هـ) . التقريب (٢٤٩/٢) .

٢ـ انظر الفتح (٥٠٤/٧) .

٣ـ تفسير القرطبي (٣٥٢/١٣ـ٣٥٣) .

اليوم وهو لا يحسن الكتابة ، أن يصير عالماً بالكتابة ، ويخرج عن كونه أمياً . فإن كثيراً ممن لا يحسن الكتابة يعرف تصور بعض الكلمات ، ويحسن وضعها بيده ، وخصوصاً الأسماء . ولا يخرج بذلك عن كونه أمياً . ككثير من الملوك" (١).

قال الذهبي رحمه الله : "ما كل من عرف أن يكتب اسمه فقط ، بخارج عن كونه أمياً لأنه لا يسمى كاتباً . وجماعة من الملوك قد أدمنوا في كتابة العلامة ، وهم أميون ، و الحكم للغلبة ، لا للصورة النادرة ؛ فقد قال عليه السلام "إنّا أمة أمية" أي : أكثرهم كذلك ، لندور الكتابة في الصحابة ..." (٢) اهـ

و قال في موضع آخر : "يجوز على النبي ﷺ أن يكتب اسمه ليس إلا . ولا يخرج بذلك عن كونه أمياً . وما من كتب اسمه من الأمراء والولاة إدماناً للعلامة(٣) يُعد كاتباً ؛ فالحكم للغالب لا لما ندر ، وقد قال عليه السلام : "إنا أمة أمية ! لا نكتب ولا نحسب" أي لأن أكثرهم كذلك . وقد كان فيهم الكتبة قليلا ... فقوله عليه السلام : "لا نحسب" ، حق . ومع هذا فكان يعرف السنين والحساب ، وقسم الفيء ، وقسمة المواريث بالحساب العربي الفطري ، لا بحساب القبط ، ولا الجبر والمقابلة ... وقد كان سيد الأذكياء ، ويبعد في العادة أن الذكي يملي الوحي وكتب الملوك ، وغير ذلك على كُتّابه ، ويرى اسمه الشريف في خاتمه ، ولا يعرف هيئة ذلك مع الطول ، ولايخرج بذلك عن أميته ، وبعض العلماء عد ما كتبه يوم الحديبية من معجزاته ، لكونه لا يعرف الكتابة وكتب ، فإن قيل : لا يجوز عليه أن يكتب فلو كتب لارتاب مبطل ولقال : كان يحسن الخط ، ونظر في كتب الأولين . قلنا : ما كتب خطاً كثيراً حتى يرتاب به المبطلون ، بل قد يقال : لو قال مع طول مدة كتابة الكُتّاب بين يديه : لا أعرف أن أكتب اسمي الذي في خاتمي ، لارتاب المبطلون أيضاً ، ولقالوا : هو غاية في الذكاء فكيف لا يعرف ذلك ؟ بل عرفه ، وقال : لا أعرف . فكان يكون ارتيابهم أكثر وأبلغ في إنكاره ، والله أعلم" (٤) . اهـ

و لعل الأقرب هو حمل الكتابة الواردة في حديث الصلح على الأمر بها ،

١- ما بين الأقواس هو من كلام الحافظ في الفتح (٥٠٤/٧) .

كما ذهب إليه ابن كثير(١) رحمه الله وغيره من المحققين . وهو المطابق لوصف النبي ﷺ في الكتب المنزلة ، والله أعلم .

الثاني : ذهب أبو جعفر السمناني (٢) ، وأبو ذر الهروي (٣) ، وأبو الوليد الباجي (٤) ، وأبو الفتح النيسابوري (٥) وابن الجوزي ، إلى أن الكتابة قد وقعت من النبي ﷺ يوم الحديبية ، وأن الحديث الوارد فيها محمول على ظاهره . ورأوا أن ذلك غير قادح في كونه أمياً ، ولا معارض للقرآن ، واعتبروا وقوع ذلك منه إنما هو من قبيل المعجزة . وذلك أنه كتب من غير سابق تعلم للكتابة ولاتعاط لأسبابها ، وإنما أجرى الله على يده وقلمه حركات كانت عنها خطوط مفهومها : "ابن عبد الله" لمن قرأها . فكان ذلك خارقاً للعادة . ولا يزول عنه بذلك اسم الأمي .

فقد كتب مع قول الراوي "ولايحسن أن يكتب" .(٦)

قال السيوطي : "وذكر عمر بن شبة (٧) في كتاب "الكُتَّاب" له ، أنه ﷺ كتب بيده يوم الحديبية ، وأنه لم يكن يعلم الكتابة قبل ذلك ، وأن ذلك من معجزاته أن علم الكتاب من وقته .." (٨) اهـ وهذا المذهب مردود بما قاله السهيلي : "وظن بعض الناس أنه كتب بيده . وفي البخاري أنه كتب وهو لا يحسن الكتابة ،

١- تفسير ابن كثير (٤١٧/٣) .

٢- هو العلامة أبو جعفر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد السمناني ، الحنفي (ت ٤٤٤هـ) . السير (٦٥١/١٧) .

٣- هو الإمام أبو ذر عبد بن أحمد بن محمد بن عبد الله بن غفير بن محمد بن السماك الأنصاري الهروي المالكي ،شيخ الحرم ، ولد سنة (٣٥٥هـ) وقيل : (٣٥٦هـ) . وتوفي سنة (٤٣٤هـ) . سير أعلام النبلاء (١٧/ ٥٥٤).

٤- هو القاضي أبو الوليد سليمان بن خلف ، بن سعد بن أيوب بن وارث التجيبي ، الأندلسي القرطبي الباجي ، الذهبي ولد سنة (٤٠٣هـ) وتوفي سنة (٤٧٤هـ) وعمره (٧١) سنة سوى أشهر . سير أعلام النبلاء (٥٣٥/١٨).

٥- هو ناصر بن سلمان بن ناصر بن عمران بن محمد الأنصاري ، النيسابوري ، الشافعي ، أبو الفتح ، ولد سنة (٤٨٩هـ) وتوفي بمرو سنة (٥٥٢هـ) . معجم المؤلفين (٧٠/١٣).

٦- تفسير القرطبي (٢٥٢/١٣، ٢٥٣) ، تاريخ ابن خلدون (٧٨٦/٤) ، الفتح (٥٠٤/٧) .

٧- عمر بن شبة بن عبدة بن زيد بن رائطة ، العلامة الحافظ الإخباري ، أبو زيد ، النميري البصري نزيل بغداد ، ولد سنة (١٧٣هـ) وتوفي سنة (٢٦٢هـ) . سير أعلام النبلاء (٣٦٩/١٢) .

٨- الخصائص الكبرى (٢٧٢/٣) .

فتوهم أن الله تعالى أطلق يده بالكتابة في تلك الساعة خاصة . وقال : هي آية . فيقال له: كانت تكون آية لولا أنها مناقضة لآية أخرى ، وهو كونه أمياً لا يكتب ، وبكونه أمياً في أمة أمية قامت الحجة ، وأفحم الجاحد ، وانحسمت الشبهة ، فكيف يطلق الله يده لتكون آية ؟! وإنما الآية أن لا يكتب . والمعجزات يستحيل أن يدفع بعضها بعضاً ، وإنما معنى "كتب" أي أمرأن يكتب . وكان الكاتب في ذلك اليوم علي ابن أبي طالب" اهـ (١) و لما أعلن الباجي هذا القول ، أنكر عليه الفقيه أبو بكر الصائغ وكفره بإجازة الكتب على النبي صلوات الله وسلامه عليه ، واعتبر ذلك تكذيباً للقرآن ، وأثيرت عليه الفتنة ، وقبح عليه عند العامة ، وتكلم به الخطباء على المنابر حتى قال شاعرهم :

برئت ممن شرى دنيا بآخرة وقال إن رسول الله قد كتبا (٢) .

الثالث : وهو مروي عن الشعبي ، وهو الذي جنح إليه المؤلف في كتابه المناهل . وخلاصة هذاالمذهب : أن النبي ﷺ ، ما مات حتى عرف القراءة والكتابة وأن هذا الأمر غير مناف للمعجزة ، ولا معارض للقرآن . وذلك أن المعجزة قامت بمجيء النبي ﷺ بما بهر عقول الناس ، من كلام الله المعجز .. وما ظهر على يديه من الآيات التي تفحم الخصم .. أما قوله تعالى : ﴿وما كنت تتلو من قبله من كتاب ..﴾ (٣) فهي تنفي عنه القراءة والكتابة قبل البعثة ، وليس فيها ما يدل على نفي ذلك بعد البعثة ... واستدلوا بالأحاديث السابقة ـ وقد أشرنا إلى ضعفها فيما سبق ، وبينا المراد بما ورد في صلح الحديبية ، فراجعه ـ ولا ريب أن هذا قول شاذ بعيد عما دل عليه القرآن والسنة المطهرة ، وما عرف وانتشر من أمية الرسول ﷺ . بل إن في حديث الصلح ، الذي استدلوا به رد عليهم . فقد صرح فيه الراوي بقوله "وليس يحسن يكتب" كما في رواية البخاري . وهذا قاطع الدلالة على ما ذكرنا . وجاء عند مسلم أنه ﷺ قال لعلي :"أرني مكانها" فأراه مكانها ..." فلو كان يعرف القراءة والكتابة لما احتاج لمثل هذا السؤال .

١ـ الروض الأنف (٣٦/٤) .

٢ـ انظر : نفح الطيب (٦٨/٢) ، تذكرة الحفاظ (١١٨٢/٣) ، سير أعلام النبلاء (٥٤٠/١٨)«طبقات الداوودي

هذا وقد يقول قائل : إذا كان الرسول ﷺ ليس هو الذي كتب تلك الكلمة في الحديبية ، فلماذا طلب من علي أن يريه مكانها ؟!

و الجواب على هذا يسير جداً !! وهو أن يقال : بأنه طلب منه أن يريه مكانها لكي يطمسها ، لأن علياً رضي الله عنه امتنع من ذلك .

ثم لو كان يعرف القراءة والكتابة لما احتاج أن يعرفه علي بمكانها كما بينا فيما سبق .

المسألة الثانية : حول الأسرار التي يقال إن الرسم العثماني تضمنها .

عند تعداد المؤلف لمزايا وفوائد الرسم العثماني قال : "الفائدة الثالثة : ـ الدلالة على معنى خفي دقيق كزيادة الياء في كتابة كلمة "أيد" من قوله تعالى :﴿و السماء بنيناها بأيد﴾ (١)إذ كتبت هكذا :"بأييد" وذلك للإيماء إلى تعظيم قوة الله التي بنى بها السماء ، وأنها لا تشبهها قوة على حد القاعدة المشهورة وهي : "زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى" .

و من هذا القبيل : كتابة هذه الأفعال الأربعة بحذف الواو ، وهي : "ويدعو الإنسان ، ويمحو الله الباطل ، يوم يدعو الداع ، سندعوا الزبانية" فإنها كتبت في المصحف العثماني هكذا :﴿ويدع الإنسان﴾ (٢)، ﴿ويمح الله الباطل﴾ (٣) ، ﴿يوم يدع الداع﴾ (٤)، ﴿سندع الزبانية﴾ (٥)ولكن من غير نقط ولا شكل في الجميع .

قالوا : والسر في حذفها من ﴿ويدع الإنسان﴾ (٦)هو الدلالة على أن هذا الدعاء سهل على الإنسان يسارع فيه كما يسارع إلى الخير! بل إثبات الشر إليه من جهة ذاته أقرب إليه من الخير . والسر في حذفها من "ويمح الله الباطل" الإشارة إلى سرعة ذهابه واضمحلاله .

و السر في حذفها من ﴿يوم يدع الداع﴾ الإشارة إلى سرعة الدعاء ، وسرعة إجابة الداعين . والسر في حذفها من ﴿سندع الزبانية﴾ (٧)الإشارة إلى سرعة الفعل وإجابة الزبانية ، وقوة البطش ! ويجمع هذه الإسرار قول المراكشي : "والسر في حذفها من هذه الأربعة : سرعة وقوع الفعل ، وسهولته على الفاعل ، وشدة قبول المنفعل المتأثر به في الوجود" أهـ (٨).

وقد يعجب القارىء الكريم من هذا الكلام ، ولورجع إلى ما كتبه الزركشي

١ـ الذاريات (٤٧) .

٢ـ الإسراء (١١) .

٣ـ الشورى (٢٤).

٤ـ القمر (٦) .

٥ـ العلق (١٨) .

رحمه الله في كتابه البرهان ، لما انقضى عجبه مما أورد في هذا الموضوع من الخفايا والأسرار !! والتي أخذ عامتها من كتاب "عنوان الدليل في مرسوم خط التنزيل" لابن البنا رحمه الله ، وإنك تستطيع أن تتصور كثرة ما أورده الزركشي رحمه الله من هذه الأسرار !! إذا علمت أن جميع ما كتبه في موضوع الرسم العثماني ـ عدا الورقتين الأوليين ـ يدور حول هذه الاستنباطات والاستخراجات لهذه المعاني الباطنة الخفية!!

و قد أطال في الموضوع كثيراً على غير عادته ، فكتب فيه ـ أي الزركشي ـ ما يقارب من أربع وخمسين صفحة ! وليس الخبر كالمعاينة ، فأظن أن مراجعته تكفي في الحكم ببطلانه .

و هذا في الحقيقة لا يخلو من حالين ؛ إما أن يكون علماً جليلا ينطوي على إعجاز وكنوز يصعب على البشر حصرها والإحاطة بها !! وإما أن يكون مجرد تكلفات وتخرصات ليس لها من الحقيقة أدنى نصيب ! وهذا هو الأقرب .

لو افترضنا أن الرسم أمر توقيفي ليس للصحابة ولا لغيرهم فيه أدنى تصرف ـ كما زعم بعضهم فإننا مع ذلك لا نستطيع أن نقرر تلك المعاني والاستنباطات المنطوية تحت تلك الاختلافات في الرسم في المواضع المختلفة للكلمة الواحدة . لأن استخراج هذه المعاني يحتاج إلى بيان الشارع لها ؛ لأنها خافية جداً . لكن سمة التكلف ظاهرة على ما ذكروا كما يظهر ذلك لكل من نظر في هذه الاستنباطات .

ثم إن هذه الطريقة ، وهذا المذهب الذي أشار إلى هذا الجانب العظيم والجليل المنطوي تحت ذلك الرسم القرآني الذي وقع في زمن عثمان رضي الله عنه لم يتداول بين أهل العلم ـ على أهميته وخطورته ـ ولم يشتهر ، بل لا يكاد يعرف قبل وجود ابن البنا في أواخر القرن السابع الهجرى . وهذا من أغرب ما يكون .

قال ابن خلدون رحمه الله :"ولا تلتفت في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم كانوا محكمين لصناعة الخط ، وأن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليست كما يتخيل ، بل لكلها وجه . يقولون في مثل زيادة الألف في "لأذبحنه" إنه تنبيه على أن الذبح لم يقع . وفي زيادة الياء في "بأييد" إنه تنبيه على كمال القدرة الربانية ، و أمثال ذلك مما لا أصل له إلا التحكم المحض .." اهـ

(١)

وهذا القول ـ فيما يظهر ـ مبني على أن الرسم العثماني كان بتوقيف من النبي ﷺ . "ولا ريب أن هذا غلو في تقديس الرسم العثماني ، وتكلف في الفهم ما بعده تكلف ، فليس من المنطق في شيء أن يكون أمر الرسم توقيفياً ، ولا أن يكون له من الأسرار ما لفواتح السور ، فما صح في هذا التوقيف حديث عن رسول الله ﷺ ، ولا مجال لمقارنة هذا بالحروف المقطعة ، التي تواترت قرآنيتها في أوائل السور ..." (٢) .

المسألة الثالثة : المراد بقوله تعالى ﴿في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون﴾

(١) قال المؤلف رحمه الله : "حتى لقد وصفه الحق جل شأنه بأنه كتاب مكنون ، وحكم بأنه لا يمسه إلا المطهرون ، وأقسم على ذلك إذ يقول : ﴿فلا أقسم بمواقع النجوم ..﴾(٢) " اهـ (٣).

والكتاب المكنون هنا ليس هو القرآن ، بل القرآن في هذا الكتاب المكنون الذي هو اللوح المحفوظ ، كما هو قول جماهير المفسرين من الصحابة فمن بعدهم .

قال الطبري رحمه الله : "وقوله : ﴿في كتاب مكنون﴾ يقول تعالى ذكره : هو في كتاب مصون عند الله ، لا يمسه شيء من أذى من غبار ولا غيره .

ثم ساق جملة مرويات تدل على هذا المعنى ومنها.

١ـ عن ابن عباس رضي الله عنه : ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ ، الكتاب الذي في السماء (٤).

٢ـ عن مجاهد (من طريق ابن أبي نجيح): القرآن في كتابه المكنون الذي لا يمسه شيء من تراب ولا غبار .

٣ـ عن جابر بن زيد (٥) وأبي نهيك (٦) هو كتاب في السماء . (٧).

وهذا القول هو الذي اختاره الزجاج (٨) (٩) ، ونقله الجصاص (١٠) عن

---

١ ـ الواقعة (٧٩) .

٢ـ الواقعة (٧٥) .

٣ـ المناهل (٤٠٣/١) .

٤ـ وإسناده لايصح لان في إسناده شريك عن حكيم . وحكيم هو ابن جبير الاسدي ، معروف بالرواية عن سعيد بن جبير وبرواية شريك بن عبد الله النخعي عنه . (انظر تهذيب الكمال ١٦٦/٧ ـ ١٦٧) وحكيم ضعيف . وشريك : صدوق يخطئ كثيراً وقد تغير حفظه والله أعلم .

٥ـ جابر بن زيد أبو الشعثاء الازدي ثم الجوفي البصري ، فقيه من ثقات التابعين ، مات سنة (٩٣هـ) . التقريب (١٢٢/١) .

٦ـ أبو نهيك الازدي البصري ، القارئ واسمه : عثمان بن نهيك ، تابعي ثقة . التقريب (٤٨٢/٢) .

٧ـ تفسير الطبري (٢٠٤/٢٧ـ٢٠٥) وفي سنده : محمد بن حميد الرازي قال عنه في التقريب : "حافظ ضعيف وكان ابن معين حسن الرأي فيه" ١٥٦/٢ .

٨ـ هو إبراهيم بن السري بن سهل ، أبو إسحاق النحوي الزجاج ، صاحب المصنفات الشهيرة ، توفي سنة (٣١١هـ) . تاريخ بغداد (٨٩/٦) .

٩ـ معاني القرآن (١١٥/٥) .

١٠ـ هو أحمد بن علي الرازي ، الحنفي ، المعروف بالجصاص ، أبو بكر ، ولد سنة (٣٠٥هـ) وتوفي سنة (٣٧٠هـ) . شذرات الذهب (٧١/٣) .

حماد (١) ، ورجحه البغوي (٢) ، والرازي (٣) ، والقمي (٤) (٥)، والسعدي ، حيث يقول : "وهذا الكتاب المكنون هو اللوح المحفوظ أي أن هذا القرآن مكتوب في اللوح المحفوظ ، معظم عند الله ، وعند ملائكته في الملأ الأعلى .

و يحتمل أن المراد بالكتاب المكنون هو الكتاب الذي بأيدي الملائكة الذين ينزلهم الله لوحيه ورسالته . وأن المراد بذلك أنه مستور عن الشياطين لا قدرة لهم على تغييره ولا الزيادة والنقص منه واستراقه" اهـ (٦)وقد نصر ابن القيم رحمه الله تعالى هذا الأخير من وجوه عدة وهي :

١ـ أنه وصفه بأنه مكنون . والمكنون : المستور عن العيون ، وهذا إنما هو في الصحف التي بأيدي الملائكة .

٢ـ أنه قال : ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ (٧)وهم الملائكة ، ولو أراد المؤمنين المتوضئين لقال : لا يمسه إلا المتطهرون . كما قال ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ (٨) فالملائكة مطهرون ، والمؤمنون المتوضئون متطهرون .

٣ـ أن هذا إخبار ، ولو كان نهياً لقال : لا يمسه ، بالجزم . والأصل في الخبر أن يكون خبراً صورة ومعنى .

٤ـ أن هذا رد على من قال : إن الشيطان جاء بهذا القرآن ، فأخبر تعالى أنه في كتاب مكنون لا تناله الشياطين ، ولا وصول لها إليه ، كما قال تعالى في آية الشعراء : ﴿وما تنزلت به الشياطين ، وما ينبغي لهم وما يستطيعون ، إنهم عن السمع لمعزولون﴾ (٩) وإنما تناله الأرواح المطهرة ، وهم الملائكة .

٥ـ أن هذا نظير الآية التي في سورة عبس ﴿فمن شاء ذكره في صحف مكرمة ،

١ـ أحكام القرآن (٣٠٠/٥) .

٢ـ تفسير البغوي (٢٨٩/٤) .

٣ـ التفسير الكبير (١٩٢/٢٩) .

٤ـ غرائب القرآن (٨٣/٢٧) .

٥ـ هو الحسن بن محمد بن الحسين القمي النيسابوري ، نظام الدين ، ويقال له الأعرج ، مفسر ، أصله من بلدة قم وسكن نيسابور ، وفاته بعد سنة (٨٥٠هـ) . بغية الوعاة (٥٢٥/١) ، الأعلام (٢١٦/٢) .

٦ـ تيسر الكريم المنان (٧٣/٨) .

مرفوعة مطهرة بأيدي سفرة ..﴾ (١) ثم نقل قول مالك المتقدم .

٦ـ أن الآية مكية ، في سورة مكية ، تتضمن تقرير التوحيد ، والنبوة ، والمعاد ، وإثبات الصانع ، والرد على الكفار ، وهذا المعنى أليق بالمقصود من فرع عملي ، وهو حكم مس المحدث المصحف .

٧ـ أنه لو أريد به الكتاب الذي بأيدي الناس لم يكن في الإقسام به على ذلك بهذا القسم العظيم كثير فائدة ، ومن المعلوم أن كل كلام فهو قابل لأن يكون في كتاب ، حقاً أو باطلا ، بخلاف ما إذا وقع القسم على أنه في كتاب مصون مستور عن العيون عند الله ، لا يصل إليه شيطان .. فهذا المعنى أليق وأجل وأخلق بالآية ولا شك" (٢) اهـ وفي قوله تعالى : ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ (٣) قال ابن جرير : "لا يمس ذلك الكتاب المكنون إلا الذين قد طهرهم الله من الذنوب .

ثم نقل جملة من المرويات عمن قال بأنهم الملائكة ، ومن ذلك :

١ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما ـ بسند مسلسل بالضعفاء ـ "إذا أراد الله أن ينزل كتاباً نسخته السفرة ، فلا يمسه إلا المطهرون . قال: يعني الملائكة . (٤) .

٢ـ عن سعيد بن جبير : الملائكة الذين في السماء . (٥) .

٣ـ عن جابر بن زيد ، وأبي نهيك ، وعكرمة ، ومجاهد ، وأبي العالية (٦) مثل ماسبق . (٧) .

واختاره أيضاً الزجاج (٨) ، والبغوي (٩) ، والرازي ،(١٠) ونسبه القرطبي وابن كثير لأنس .(١١) وعزاه ابن كثير أيضاً إلى مجاهد ، وعكرمة ، وسعيد بن جبير ، والضحاك ، وأبو الشعثاء جابر بن زيد ، وأبو نهيك ، والسدي ، وعبد الرحمن بن

١ـ عبس (١٢ـ١٦) .

٢ـ التفسير القيم (٤٨٢ـ٤٨٣) مع تصرف يسير .

٣ـ الواقعة (٧٩) .

٤ـ انظر أحكام القرآن للجصاص (٣٠٠/٥) والحلى (٨٣/١) .

٥ـ انظر أحكام القرآن للجصاص (٣٠٠/٥) المحلى (٨٣/١) .

٦ـ وفي سنده محمد بن حميد الرازي وقد سبق الكلام عليه ص ٣٢٩ .

٧ـ تفسير الطبري (٢٠٥/٢٧) .

٨ـ معاني القرآن (١١٦/٥) .

٩ـ تفسير البغوي (٢٨٩/٤) .

١٠ـ التفسير الكبير (١٩٥/٢٩) .

١١ـ الجامع لأحكام القرآن (٢٢٥/١٧) .

زيد بن أسلم ، وغيرهم . (١) .

وقال به من المتأخرين : القاسمي (٢) ، والسعدي (٣) ، وعزاه الواحدي والقاسمي إلى أكثر المفسرين (٤) .

قال ابن العربي : "وأما من قال : إنه الذي بأيدي الملائكة من الصحف ، فإنه قول محتمل ، وهو الذي اختاره مالك ، قال : أحسن ما سمعت في قوله : ﴿لا يمسه إلا المطهرون﴾ أنها بمنزلة الآية التي في "عبس وتولى" ﴿فمن شاء ذكره في صحف مكرمة ، مرفوعة مطهرة ، بأيدي سفرة ...﴾ (٥) يريد أن المطهرين هم الملائكة الذين وصفوا بالطهارة في سورة عبس . (٦) اهـ (٧) .

وهناك قول آخر نقله ابن جرير عن أبي العالية ، وابن زيد ، وهو أن المراد : "المطهرون من الذنوب" ، قال الطبري : "والصواب من القول في ذلك عندنا : أن الله جل ثناؤه أخبر أنه لا يمس الكتاب المكنون إلا المطهرون . فعم ولم يخصص بعضاً دون بعض ، فالملائكة من المطهرين ، والرسل والأنبياء من المطهرين ، وكل من كان مطهراً من الذنوب فهو ممن استثنى وعني بقوله ﴿إلا المطهرون﴾ (٨) اهـ .

١- تفسير ابن كثير (٤/٢٩٨) .

٢- تفسير القاسمي (١٦/٢٠) .

٣- تيسير الكريم المنان (٨/٧٣) .

٤- نيل المرام / لصديق حسن خان (ص٥١) ، تفسير القاسمي (١٦/٢٠) .

٥- الآيات (١٢ـ١٦) .

المسألة الرابعة : حكم مس المحدث ما يتصل بالمصحف من خريطة وغلاف وصندوق :

قال المؤلف رحمه الله (٤٠٤/١): "قالوا بوجوب الطهارة لمسه وحمله ، وكذلك ما يتصل به من خريطة وغلاف وصندوق على الصحيح" .اهـ

"فقولهم بوجوب الطهارة لمسه وحمله مسلم للنهي الوارد في ذلك ، أما تعدية الحكم إلى ما فوق ذلك كإيجاب الطهارة لمس صندوق المصحف مثلا ، أو ما يتصل به من خريطة أو غلاف ونحوهما ، فإنه غير مسلم ، بل يجوز حمله بعلاقته ، وهو قول أبي حنيفة (١) رحمه الله ، وهو مروي أيضاً عن الحسن ، وعطاء ، وطاوس ، والشعبي ، (٢) ، والقاسم ، وأبي وائل ، والحكم ، وحماد ، وسعيد بن جبير (٣) لأنه غير ماس له ، فلم يمنع منه ، كما لو حمله في رحله . ولأن النهي إنما هو عن المس ، فالحمل ليس بمس ، ولا ملزوم له ، فلم يتناوله النهي . ولا يقال : إنه يقاس على المس . لأن العلة ـ التي هي المس ـ غير موجودة في الفرع . وعليه فلو حمله في علاقه ، أو بحائل آخر بينه وبينه مما لا يتبعه في البيع جاز .(٤) .

وقد نقل ابن حزم عن مالك : "إن كان في خرج ، أو تابوت فلا بأس أن يحمله اليهودي ، والنصراني ، والجنب ، وغير الطاهر" (٥)اهـ .

١ـ المحلى (٨٤/١) .

٢ـ فضائل القرآن لأبي عبيد رقم (٩٠١) .

٣ـ المصدر السابق رقم (٩٠٤،٩٠٥) .

٤ـ انتهى من كلام ابن قدامه بتصرف : المغني (١٣٨/١) .

٥ـ المحلى (٨٤/١) .

× تنبيهات :

١ـ التنبيه الأول :

في (١/ص٣٩٢) قال المؤلف رحمه الله : "المصاحف التي نسخها عثمان رضي الله عنه كان مجموعها مشتملا على الحروف السبعة .." .اهـ .

وقال أيضاً : "ومن المتفق عليه أن هذه الصحف (١)كتب فيها القرآن بحروفه السبعة ، التي نزل عليها . ولم يرد أن عثمان أمرهم أن يتركوا ستة أحرف منها ويبقوا حرفاً واحداً ، كما ذهب إلى ذلك بعض العلماء .." اهـ (٢) .

وقد بينا لك فيما سبق أن عثمان رضي الله عنه كتب المصاحف على حرف واحد ، وهو حرف زيد بن ثابت رضي الله عنه .

ولم يقع الاتفاق على أن أبا بكر رضي الله عنه جمع في تلك الصحف الأحرف السبعة كلها .. بل إنه كتبها على القراءة المشهورة ، وهي العرضة الأخيرة .

وقد أسلفنا لك فيما تقدم بذكر من قال بمثل ذا فراجعه . والله أعلم .

٢ـ التنبيه الثاني :

نقل المؤلف رحمه الله عن النووي قوله : "ويستحب أن يقوم للمصحف إذا قُدم به عليه ، لأن القيام يستحب للعلماء والأخيار ، فالمصحف أولى" . اهـ (٣) .

وهذا القول مرفوض تماماً ، لأن الاستحباب حكم شرعي لا يثبت إلا بدليل ، ولا يوجد دليل من الكتاب والسنة يدل على ما ذكر .. وأعظم الناس تعظيماً للقرآن هو رسول الله ﷺ ، ثم أصحابه من بعده ، ولم يرد عن أحد منهم أنه فعل ذلك ، ونحن مطالبون بتتبع ذلك الهدي القويم ، فما لم يكن يومئذ ديناً لا يكون اليوم ديناً .

فهذا العمل يعد من الأمور المحدثة ، التي وقعت من بعدهم (٤) وقد حذرنا رسول الله ﷺ من هذه المحدثات في غير ما حديث . ولقد أحسن من قال :

وكل خير في اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف

ثم إن قياس القيام للمصحف على القيام للعلماء والأخيار ، غير صحيح ، لأن

١ـ يعني صحف أبي بكر رضي الله عنه .

الصورة المقيس عليها غير مسلمة ، لما ثبت من كراهة القيام ، أخذاً من حديث امتناع الصحابة عن القيام للنبي ﷺ ، لما يعلمون من كراهته لذلك .

المبحث الحادي عشر

في : «القراءات والقراء والشبهات فيهما»

وتشمل الدراسة :

أولا : مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث وذكر القضايا التي ناقشها فيه .

ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث .

× تنبيهات .

أولا : مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث وذكر القضايا التي ناقشها فيه :

من حيث استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ، فإنه قد حقق ذلك كعادته في المباحث المتقدمة .

أما عن القضايا التي تعرض لها فهي كثيرة جداً .

فقد قام بتقسيم هذا المبحث إلى قسمين ، وهما :

القسم الأول : ويتعلق بالقراءات من حيث معناها اللغوي ، والاصطلاحي ، ونشأتها ، وطبقات الحفاظ ، والمقرئين الأوائل ، وأعداد القراءات ، وضابط قبولها .. والكلام في هذه الضوابط وتعليلها .. وأنواع القراءات من حيث التواتر وعدمه .. وتكلم عن تواتر القرآن ، وحال القراءات السبع من حيث التواتر جملة وتفصيلا ، ثم حال القراءات الثلاث المتممة للعشر مع الترجيح .

القسم الثاني : وترجم فيه للقراء وأشهر من أخذ عنهم .. ثم بين حكم ما وراء العشر . وبعد ذلك عرض بعض الشبه ثم حاول الإجابة عنها .

ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث

تنحصر إضافات المؤلف في هذا المبحث في ثلاث نقاط وهي :

١ـ تعريفه للقراءات لغة واصطلاحاً .

٢ـ تعريفه للقراء لغة واصطلاحاً.

٣ـ ترجمته للقراء الأربعة عشر بتراجم مختصرة مستقلة .

× تنبيهات :

١ـ التنبيه الأول : قال المؤلف ـ رحمه الله ـ : "بل كان أول من صنف في القراءات أمثال أبي عبيد القاسم بن سلام ، وأبي حاتم السجستاني ، وأبي جعفر الطبري ، وإسماعيل القاضي"(١) اهـ .

ويلاحظ على هذا الكلام أمران :

الأمر الأول : أنه مناقض لما قرره سابقاً عند كلامه على أوائل المؤلفين في علوم القرآن المختلفة (٢٤/١،٢٥) حيث اعتبر أن علم الدين السخاوي ـ هو من علماء القرن السابع الهجري ـ في مقدمة من ألف في القراءات !! وقد نبهنا على هذا فيما سبق في المبحث الثاني ، فراجعه .

الأمر الثاني : أن هذا الرأي مخالف للواقع ـ مع مخالفته لكلامه المتقدم ـ وقد أخذه من السيوطي حيث قال : "فأول من صنف في القراءات : أبو عبيد القاسم بن سلام .."(٢) والذي نقله بدوره من ابن الجزري حيث قال : "فكان أول إمام معتبر جمع القراءات في كتاب . "أبو عبيد القاسم بن سلام .." (٣) .

وقد بينا فيما سبق (٤)أن هناك مؤلفات في القراءات وجدت في القرن الأول والثاني الهجريين . ومن ذلك كتاب "القراءة" (٥) ليحيى بن يعمر (ت٨٩)هـ جمع فيه اختلافات المصاحف المشهورة ، وكتب عبد الله بن عامر اليحصبي (ت١١٨)هـ كتاباً في اختلافات مصاحف الشام والحجاز والعراق ، (٦) وكتب ابن محيصن (ت١٢٣)هـ اختياراً في القراءة على مذهب العربيه ، (٧) وألف أبو عمرو بن العلاء (ت١٥٤)هـ كتاب "القراءات" ، (٨)ومثله أيضاً لعيسى بن عمر الثقفي (ت١٤٩)هـ ، (٩) وكتب

١ـ المناهل (٤١٠/١) .

٢ـ الإتقان (٢٠٦/١) .

٣ـ النشر (٣٤/١) .

٤ـ راجع المبحث الثاني .

٥ـ انظر غاية النهاية (٣٨١/٢) ، تاريخ التراث (٢٢/١) .

٦ـ انظر الفهرست (٣١) ، غاية النهاية (٤٣٣/١) ، تهذيب التهذيب (٢٤٠/٥) ، الأعلام (٩٥/٤) .

٧ـ الفهرست (٣٣) ، غاية النهاية (١٦٧/٢) ، تاريخ التراث (٢٣/١) .

٨ـ الفهرست (ص٥٣) [وتراجع الصفحة حسب الطبعة السابقة] .

٩ـ الفهرست (٤٧،٣٣) ، غاية النهاية (٦١٣/١) .

حمزة الكوفي (ت١٥٦)هـ كتاباً في القراءة . (١)ومثله أيضاً لنافع المدني (ت١٦٩)هـ ، (٢) وألف هشيم بن بشير (ت١٨٣)هـ كتاباً في "القراءات" (٣) .

و لا يخفى عليك أن جميع ما ذكرت من الكتب لا تعتبر جامعة للقراءات ، و إنما تعالج نواحي معينة محدودة ، أو تذكر قراءة واحدة .. سوى هذا الأخير . والله تعالى أعلم .

التنبيه الثاني : يعتبر الزرقاني أن اقتصار ابن مجاهد على هؤلاء القراء السبعة جاء مصادفة واتفاقاً من غير قصد ولا عمد حيث قال : "وجاء اقتصاره على هؤلاء السبعة مصادفة واتفاقاً من غير قصد ولا عمد . ذلك أنه أخذ على نفسه ألا يروى إلا عمن اشتهر بالضبط والأمانة وطول العمر في ملازمة القراءة ، واتفاق الآراء على الأخذ عنه ، والتلقي منه ، فلم يتم له ما أراده إلا عن هؤلاء السبعة وحدهم .." (٤) .

وهذا غير صحيح لما صرح به غير واحد من أهل العلم . وأكتفي هنا بنقل كلام الإمام مكي بن أبي طالب رحمه الله في هذه المسألة حيث قال : "فإن سأل سائل فقال : "لم جعل القراء الذين اختيروا للقراءة سبعة ، ألا كانوا أكثر أو أقل ؟!

فالجواب أنهم جعلوا سبعة لعلتين ، إحداهما : أن عثمان رضي الله عنه كتب سبعة مصاحف ، ووجه بها إلى الأمصار ، فجعل عدد القراء على عدد المصاحف . والثاني : أنه جعل عددهم على عدد الحروف التي نزل بها القرآن وهي سبعة ، على أنه لو جعل عددها أكثر أو أقل لم يمنع ذلك أن عدد الرواة الموثوق بهم أكثر من أن يحصى .." (٥) اهـ (٦)

١ـ المعارف لابن قتيبة (٥٢٩) ، الفهرست (٣٢) ، غاية النهاية (٢٦١/١) ، معجم المؤلفين (٧٨/٤) .

٢ـ المعارف لابن قتيبة (٥٢٨) ، الفهرست (٣١) ، تذكرة الحفاظ (٩٩/١) ، غاية النهاية (٣٣٠/٢) .

٣ـ الفهرست (٢٨٤) ، تاريخ التراث العربي (٨٨/١) .

المبحث الثاني عشر

في التفسير والمفسرين وما يتعلق بهما

وتشمل الدراسة :

أولا : مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ، وذكر القضايا التي ناقشها فيه .

ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث .

ثالثاً : مناقشة المؤلف في مسائل من هذا المبحث .

أولا : مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ، مع ذكر القضايا التي ناقشها فيه :

لقد تطرق المؤلف رحمه الله لكثير من مسائل وجزئيات هذا المبحث ، إلا أنه لم يستوعب كل ما كان ينبغي معالجته .

ويمكننا أن نورد المواضع التي قصر عنها كلام المؤلف في النقاط الآتيه :

١ـ لم يستوعب المؤلف ذكر جميع المراحل التي مر بها التفسير ، حيث أنه لم يذكر عهد النبي ﷺ ، ومعلوم أن ذلك العهد يعتبر المرحلة الأولى من مراحل التفسير .

٢ـ لما ذكر المفسرين من الصحابة ذكر ابن عباس وأشهر الطرق عنه .. ثم ذكر ثلاثة من المفسرين من أصحاب النبي ﷺ ، لكنه لم يتطرق لذكر الطرق عنهم .

٣ـ لم يتعرض المؤلف لذكر مصادر التفسير في عهد الصحابة ، كما لم يتحدث عن مزايا التفسير في هذه المرحلة .

٤ـ لم يذكر المؤلف مصادر التفسير في عصر التابعين ، ولا مميزات التفسير في ذلك العصر .

٥ـ لما ذكر المؤلف رحمه الله مدارس التفسير الثلاث لم يذكر شيوخها الذين أقاموها !!

٦ـ لم يتطرق المؤلف للتفسير الموضوعي البتة .

٧ـ لم يتعرض المؤلف للروايات الإسرائيلية ، ولم يذكر أقطابها .. كما لم يبين مبدأ دخولها في التفسير ولم يُعَرف بها ..

وإنما ذكر بعض أقطاب الروايات الاسرائيلية في معرض الرد على من اتهمهم فقط .

٨ـ لم يكن تعريفه كافياً وافياً بالغرض لعدد من المفسرين ، ولكتبهم ، فعلى سبيل التمثيل انظر :

أ- ترجمته لأبي الليث السمرقندي (١) (ج١/٤٩٧) .

ب ـ ترجمته للبغوي وتعريفه بكتابه : (ج١/٤٩٨)

٩- لم يتطرق المؤلف لذكر تفاسير الخوارج .

١٠- لم يتطرق المؤلف لذكر تفاسير الفلاسفة .

١١- لم يتطرق المؤلف لذكر تفاسير الفقهاء .

١٢- أهمل المؤلف الكلام على التفسير العلمي للقرآن ؛ اللهم إلا إشارة لهذا الموضوع عند كلام المؤلف على تفسير طنطاوي جوهري ، عند الكلام على مزج العلوم الأدبية والكونية وغيرها بالتفسير وسبب ذلك وأثره .

١٣- لم يتعرض المؤلف للتفسير في العصر الحديث ولا لأنواعه ..

١٤- لم يترجم المؤلف للمفسرين من التابعين ، وإنما اكتفى بذكر مقتطفات من توثيق أهل العلم لهم (٢) ، ومعلوم أن هذا وحده لا يفي بالغرض .

١٥- لم يرتب المؤلف كتب التفسير بالمأثور حسب الأقدمية الزمنيه .. ولم يترجم لجميع أصحابها .. كما لم يشر إلى تاريخ وفاة بعض (٣) منهم مع أن هذا من الأهمية بمكان ليعرف به تقدم الكتاب أو تأخره في الزمن .

١٦- لما تعرض المؤلف لذكر تفاسير أهل الرأي لم ينبه على الملاحظات والمؤاخذات المهمة على كل واحد منها . كما أنه حين ذكر تفسير ابن عربي لم ينبه على معتقده !!

أما ما يتعلق بالقضايا التي ناقشها ، فيمكن أن نجملها فيما يلي :

١- بين المؤلف معنى التفسير واشتقاقه ، ومعاني التأويل في اللغة والاصطلاح .

٢- بين المؤلف فضل التفسير وعظم الحاجة إليه .

٣- تعرض المؤلف لذكر أقسام التفسير .. فذكر التفسير بالمأثور وبدأ الكلام فيه من عصر الصحابة وذكر أشهر أصحابه منهم .. ثم انتقل للحديث عن التفسير في عصر التابعين ، وتكلم عن أصحابه وطبقاتهم ونقد المروي عنهم .. ثم شرع المؤلف

---

١ ـ هو الإمام الفقيه ، المفسر ، أبو الليث ، نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي الحنفي ، توفي سنة (٣٧٥هـ) . سير أعلام النبلاء (١٦/٣٢٢) .

٢- انظر المناهل (١/٤٨٧) .

٣- انظر المناهل (١/٤٩٦) .

في ذكر أسباب ضعف الرواية بالمأثور ..

بعد ذلك انتقل المؤلف إلى الحديث عن تدوين التفسير بالمأثور ، وذكر بعض المصنفات فيه مع الحديث عنها ـ أو بعضها ـ بشيء من الاختصار .

٤ـ تحدث المؤلف عن طرق المفسرين بعد العصر الأول ، فجعل التفسير على قسمين : أ ـ تفسير محمود . ب ـ تفسير مذموم ثم بين الميزان الذي يمدح به التفسير أو يذم ، مع بيان مراده بالتفسير المحمود ، والمذموم . فاعتبر التفسير المحمود ما كان أحد هذه الثلاثه :

أ ـ تفسير الصحابة والتابعين

ب ـ تفسير الذين اعتمدوا على أقوال الصحابة ، والتابعين بالأسانيد الصحيحة .

ج ـ تفسير أهل الرأي الموفق ..

واعتبر التفسير المذموم ، هو تفسير أهل الأهواء والبدع . وذكر نماذج لأشهر أصحابه . ثم تحدث المؤلف عن قضية التعصب للرأي ـ وليته أعرض عن ذلك ـ فأتى بما يحمد ويذم . وأسأل الله أن يعفو عنا وعنه .. وقد أطال في ذلك كثيراً ، واستطرد في بعض الأمثلة . ثم تكلم عن الموقف من الخلافيات !

٥ـ تحدث المؤلف عن التفسير بالرأي ، وبين المراد بالرأي هنا ، وضابطه في التفسير ، وما لا يجوز منه وما يجوز ...

ثم ذكر مآخذ التفسير بالرأي ، ونبه على ما ينبغي الابتعاد عنه في التفسير . بعد ذلك تعرض المؤلف لذكر العلوم التي يحتاجها المفسر ، ثم بين المؤلف الأقوال المختلفة في جواز التفسير بالرأي من عدمه .. مع ذكر أدلة كل فريق ، وجواب المخالفين عن ذلك .

ثم تطرق لبيان منهج المفسرين بالرأي ، ثم بين قانون الترجيح عند الاحتمال .

وبعد ذلك ذكر أوجه بيان السنة للقرآن ، والموقف عند التعارض بين التفسير بالرأي ، والتفسير بالمأثور ، ثم ذكر أشهر من ألف في هذا النوع من التفسير ، وتعرض لذكر بعض المصنفات فيه .

٦ـ انتقل المؤلف إلى الكلام عن تفاسير الفرق المختلفة ، كالتفسير الإشاري ،

ثم تحدث عن تفاسير الباطنية ، وعدد بعض فرقهم ، ثم انتقل إلى تفاسير الشيعة .

بعد ذلك بدأ الكلام على التفسير الإشاري ، وبين معناه ، وخلاف العلماء فيه ، وشروط قبوله ـ عنده ـ ثم بين أهم كتبه ، وذكر نماذج من كل كتاب من تلك الكتب ، ثم جاء الكلام عن تفاسير أهل الكلام كما تعرض لمن قاموا بمزج العلوم الأدبية والكونية وغيرها بالتفسير ، وبين سبب ذلك وأثره وما ينبغي مراعاته فيه .

ثانياً : ذكر الإضافات التي أضافها المؤلف في هذا المبحث :

نستطيع حصر الإضافات في هذا المبحث في نقطتين اثنتين وهما :

الأولى : أن المؤلف شرح ووضح تعريفه للتفسير ، وذكر محترزاته - (١) .

الثانية : تعرض المؤلف لذكر التفاسير المختلفة المناهج (٢) والاتجاهات .

وهذا وذاك مما لا نجده في الإتقان ولا في البرهان قبله .

ثالثاً : «مناقشة المؤلف في مسائل من هذا المبحث»

وهي

١ـ في بيان جواز قراءة الحائض والجنب القرآن .

٢ـ في بيان أن نصوص الصفات من المحكم وليست من المتشابه ، وأن السلف كانوا يعرفون معانيها دون كيفياتها .

٣ ـ في الكلام على بعض الأسانيد عن ابن عباس رضي الله عنهما .

٤ ـ في إثبات حجية خبر الأحاد في العقائد كما هو حجة في الأحكام .

٥ ـ في الإشارة إلى أن كتاب الواحدي في «أسباب النزول» و النحاس في «الناسخ و المنسوخ » ليسا من كتب التفسير .

٦ ـ الموقف الصحيح من الخلافات في قضايا الاعتقاد .

٧ ـ في الكسب وفعل العبد بين أهل السنة و الأشاعرة .

٨ ـ في بيان أن السلف تكلموا في أن الله تعالى خالق أفعال العباد ، وأظهروا ذلك

٩ ـ هل اندثرت طوائف الباطنية ؟!

١٠ ـ المتكلمون ليسوا حراساً للعقيدة .

١١ ـ أول واجب على المكلف .

١٢ ـ في الترجيح بين التفسير بالرأي و الاجتهاد و بين التفسير بالأثر عند التعارض .

١٣ ـ حول مصطلح أهل السنة و الجماعة .

١٤ ـ حقيقة الإيمان .

❀ ـ إيقاظات .

المسألة الأولى : في بيان جواز قراءة الحائض والجنب القرآن :

قال المؤلف رحمه الله : "... وكذلك المعارف الباحثة عن أحوال القرآن ، من حيث حرمة قراءته على الجنب ونحوها ..." (١) اهـ

وقد بينا لك فيما سبق (٢)أنه لايحرم على الجنب ولا الحائض قراءة شيء من القرآن ، فلا حاجة لإعادته هنا . والله أعلم .

المسألة الثانية : «في بيان أن نصوص الصفات من المحكم وليست من المتشابه وأن السلف كانوا يعرفون معانيها دون كيفياتها»

قال المؤلف رحمه الله في حاشية (ص٤٧٣) من الجزء الأول ما نصه : "وإنما قلنا في اصطلاح المفسرين ـ أي التأويل ـ ليخرج اصطلاح المتكلمين ومن جاراهم ، فإنهم يريدون من التأويل ما ذهب إليه الخلف من صرف نصوص ما تشابه من الكتاب والسنة عن ظاهره إلى معان تتفق وتنزيه الله تعالى عن المشابهة والمماثلة ، بخلاف ما ذهب إليه السلف من التفويض والإمساك عن تعيين معنى خاص" . اهـ

فأنت ترى هنا أنه اعتبر أن تأويلات الخلف واقعة في المتشابه من الكتاب والسنة .

ومن أول الأمور دخولا في المتشابه عندهم آيات الصفات ، كما هو معلوم .

ثم إنهم بنوا على ذلك أن السلف لم يكونوا يعرفون معانيها ، ولذا اضطروا إلى التفويض .وكل هذا غلط بين لمن عرف كلام السلف ومذهبهم ، لا سيما في موضوع الصفات .

ومن كان ذا علم بمذاهب الناس ومقالاتهم ، مع العلم بالكتاب والسنة فهو يجزم بأن مذهب المفوضة من أسوأ المذاهب وأبعدها(١)... فكيف ينسب هذا إلى السلف العظام .؟!

سبحانك هذا بهتان عظيم !!

وإنما أُتي المفوضة من جهة : "اعتقادهم أنه ليس في نفس الأمر صفة دلت عليها النصوص بالشبهات الفاسدة .. فلما اعتقدوا انتفاء الصفات في نفس الأمر ، وكان مع ذلك لابد للنصوص من معنى ، بقوا مترددين بين الإيمان باللفظ وتفويض المعنى ، وبين صرف اللفظ إلى معانٍ بنوع تكلف .. فصار هذا الباطل مركباً من فساد العقل ، والكفر بالسمع ، فإن النفي إنما اعتمدوا فيه على أمور عقلية ، ظنوها بينات ، وهي شبهات ، والسمع حرفوا فيه الكلم عن مواضعه . فلما انبنى أمرهم على

١- انظر درء التعارض (٢٠٥/١) .

هاتين المقدمتين ، نتج عن ذلك تجهيل السابقين .." (١) .

وأما الذين ظنوا أن الصفات من المتشابه وأن السلف لم يكونوا على علم بمعانيها فإنما أُتوا من أمور عدة :

الأول : ما نقله المفسرون عن بعض السلف ، من الوقف على قوله : "إلا الله" من قوله تعالى : ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ (٢)

والحقيقة أن هؤلاء الذين سمعوا هذا القول ، واحتجوا به على دعواهم ، بنوه على المعنى المتعارف عندهم للتأويل "وهو صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى معنى مرجوح ، لوجود القرينة الدالة على ذلك" . وهذا خلاف المعروف من معنى التأويل عند السلف فإن مراد السلف بالتأويل مغاير لمراد الخلف به .

فالتأويل يطلق عند السلف على التفسير ؛ فقولهم : تأويل هذه الآية كذا . أي تفسيرها . وكذا كان يطلق عندهم على نفس المراد بالكلام .. فتأويل الأمر هو نفس فعل المأمور ، وتأويل النهي هو ترك المنهي ، وتأويل الخبر هو وقوعه كما أخبر عنه .

ومما جاء على هذا المعنى قول سفيان بن عيينة : "السنة تأويل الأمر والنهي" .

وقول عائشة : "كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعة وسجوده : "سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي . يتأول القرآن" . (٣) .

فهذا ـ وغيره كثير ـ يدل على ما ذكرنا .. ومن أراد أن يفهم عبارات السلف ومدلولاتها ، فلابد وأن يعرف معهودهم في الخطاب .. وقد أطال الشاطبي رحمه الله ، في بيان هذا الأصل في كتابه العظيم "الموافقات" . فراجعه إن شئت . (٤) .

والحاصل أن ابن عباس هو من أشهر من نقل عنه الوقف على قوله : "إلا الله" ، وقد ثبت عنه الوصل .

وإنما يحمل المعنى في الوقف على تأويل الحقيقة والكنه والكيفية ، وهذا

١ـ مجموع الفتاوى (٥/٩،١٠) "" ما بين الاقواس هو نص كلام ابن تيمية رحمه الله .

٢ـ آل عمران (٧).

٣ـ البخاري : كتاب الصلاة ، باب التسبيح و الدعاء في السجود ، مسلم : كتاب الصلاة ، باب ما يقال

معنى صحيح فإن كيفية الذات والصفات لا يعلمها إلا الله ..

فمن أطلق التشابه على آيات الصفات وأحاديثها ، وأراد هذا المعنى فهو محق .

ولذا قال مالك ، وربيعة ، وأحمد ، وابن الماجشون ، وغيرهم من السلف : "الكيف مجهول" . فتأويل ما أخبر الله تعالى عن نفسه ، وعن اليوم الآخر ، هو نفس الحقيقة التي أخبر عنها ، وهذا مما لم نتوصل إليه . (١) .

لكن إن أريد بذلك التشابه هو التشابه في المعنى ، فإن هذا باطل ولا ريب (٢) ، لأنه يلزم من هذا القول لوازم باطلة ، إضافة لمخالفته للمنقول عن السلف ... فمن هذه اللوازم :

١ ـ أن يقال بأن في القرآن ما لا يعرف معناه ، لا من قبل الأمة فحسب ، بل من قبل الرسول ﷺ ، كما قال أكابر المفوضة . وهذا قدح في منزل القرآن ، وفيمن نزل عليه ـ ﷺ ـ كما أنه قدح في القرآن وفي أصحاب رسول الله ﷺ ..

ذلك أن الله تعالى أنزله هدى ، ووصف الرسول ﷺ بكونه هادياً ، وكذلك الحال بالنسبة لأصحابه . فكيف يقال بأنهم كانوا يجهلون أشرف ما فيه ، وهي معاني أسماء الله تبارك وتعالى وصفاته .؟! (٣) .

٢ ـ على القول بأن الرسول ﷺ كان يعلم معانيها ، لكن لم يبينها للأمة ، كما ذهب إلى ذلك طائفة أخرى من المفوضة (٤)، غير الذين سبق ذكرهم قبل ذا ، فيلزم من هذا البهت أمور :

أ ـ تهمة الرسول ﷺ بترك البلاغ في أهم المهمات ، وهي الأمور المتعلقة بالتوحيد .

ب ـ الطعن في القرآن وفي منزله ، لأنه قال فيه : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم ..﴾ (٥)، وأي نقص أعظم من ترك هذا الباب العظيم من أبواب التوحيد بلا بيان ؟!

١ـ انظر الفتاوى (٤/٦٧ـ٧٠، ٥/٣٤ـ٣٨، ١٣/٢٧٢ـ٢٨٤، ٢٨٨ـ٢٩٤)، درء التعارض (١/٢٠٧)، مختصر الصواعق (١٠٥ـ١٠٦) .

٢ـ انظر مختصر الصواعق (١٠٦) ، درء التعارض (١/٢٠٨) .

٣ـ الفتاوى (٤/٦٧ـ٧٠) (٥/٦ـ٨، ٣٤٠)، (١٣/٢٨٥ـ٢٨٧)، (١٧/٣٥٦ـ٣٦٢)، درء التعارض (١/٢٠٤)، (مختصر الصواعق ٧ـ٩) .

٤ـ درء التعارض (١/٢٠٤)، الفتاوى (٤/٦٧ـ٧٠، ٥/٣٤ـ٣٨، ١٣/٢٧٢ـ٢٨٤، ٢٨٨ـ٢٩٤، ١٧/٣٥٦ـ٣٦٢).

٥ـ المائدة (٣) .

واخبر أنه كتاب هداية مع كونه يوهم الكفر ..(١) .

جـ ـ أنه من المحال أن يعلم الرسول ﷺ أمته كل شيء ، ويترك هذا الباب فلا يبينه لهم !! وهو السراج المنير ، والهادي المبعوث بالكتاب ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه .. وقد أمر الناس بالرد إليه عند التنازع !!(٢) .

د ـ كيف يأمرنا باعتقاد الحق مع كونه لم يبينه لنا ، مع العلم أن ظاهره يوهم الكفر والتشبيه ـ كما يزعمون ـ فهذا مما ينزه عنه الرسول ﷺ .(٣).

٣ ـ إذا قالوا بأن الرسول ﷺ عرف معانيها وبينها ، لكن شغل الصحابة عن ذلك بالجهاد والدعوة إلى الإسلام ونشره في الأقطار ، ولم يتفرغوا لدراسة هذه النصوص ، والنظر في تأويلها ، كما يقول ذلك طوائف من المتكلمين .. فإن هذا يلزم منه أمور لا تحمد ومنها :

أ ـ نسبة الجهل والتقصير إلى خير القرون (٤) ـ وهم الذين اختصهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ ـ تعلماً وتعليماً .. فلم يبذلوا فيه الجهد المطلوب في التعلم ، ولم يعنوا بتعليمها للناس ، مع كونها جانباً عظيماً من جوانب التوحيد ، وأساساً من أسس هذا الدين . إضافة إلى أنها أهم مما اشتغلوا به ، وهو الجهاد .. فكيف يعنون بالمفضول مع تفويت الفاضل .؟!

ب ـ إدعاء أصحاب هذا الإفك ، أنهم أعلم بالله و آياته وأسمائه ، من المهاجرين والأنصار . وهذا من أعظم الزور والبهتان .

جـ ـ أن الدين لم يؤده الصحابة بتمامه إلى الأمة ، لأنهم شغلوا عن تأدية بعض أصوله ، وبقي الأمر هكذا حتى جاء هؤلاء المتحيرون ، فبينوه وقرروا أصوله وحرروها .. وبينوا ما يسوغ اعتقاده من ظواهر النصوص ومالا يسوغ !!

د ـ أن طلب معرفة هذا الأمر ، والسؤال عنه ، من أعظم مقاصد وأهداف من لهم أدنى همة .. ومع ذلك لم يقبل عليه لا الصحابة ، ولا أحد من أصحاب القرون الثلاثة المفضلة !!(٥) .

١ـ درء التعارض (٢٠٢/١) .

٢ـ الفتاوى (١٧٤،٦/٥) ، مختصر الصواعق(٩٦) .

٤ ـ أن الله تبارك وتعالى أراد من الأمة معرفة معاني ما أنزل ولا ريب(١) .. وهذا يتعارض مع القول بأن من القرآن مالا يعرف له معنى .. كما أنه يتعارض مع القول بأن السلف كانوا يفوضون معاني الصفات ، لأنهم لا يعرفون معناها .. قال الحسن : (٢)ما أنزل الله آية إلا وهو يحب أن يعلم ما أراد بها"

٥ ـ ومما يدل على فساد هذا القول : أن الصحابة و التابعين فسروا جميع القرآن ومن ذلك آيات الصفات .. قال مجاهد "عرضت المصحف على ابن عباس ، من فاتحته إلى خاتمته ، أقفه عند كل آية ، وأسأله عنها" ..(٣) .

٦ ـ أن القول بأنها من المتشابه ، ونسبة التفويض إلى السلف ، يعارض الأمر بالتدبر والتفكر في قراءة القرآن .(٤) .

٧ ـ إدعاء أنها من المتشابه يسوغ لكل ملحد أن يقول في القرآن ما يشاء ، ويحمل نصوصه على ما أراد من المذاهب الفاسدة ، بدعوى أن نصوصه متشابهة .. فيسد باب بيان الأنبياء والرسل صلوات الله وسلامه عليهم ، ويفتح الباب لأهل الزيغ من أعدائهم .. وكل واحد من هؤلاء يدعي أن الحق معه ، وأن القرآن دل عليه .. بل إنه أثبت من المنقول عن الرسل ، لأنه يعلم ما يقرر ، أما هم فلم يكونوا على علم بتلك المعاني التي يزعم (٥)!! وقد جرأ هذا طائفة من الفلاسفة وأشباههم على تأويل نصوص المعاد والجنة والنار .. كما جرأ آخرين على تأويل الصلاة والحج والصوم إلى معان باطلة قطعاً ، والله المستعان .

و بعد هذا فلعل من المناسب أن أنقل لك بعض كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، في إبطال دعوى التشابه في مثل هذه النصوص ، مع شيء من الاختصار والتصرف ، فيقول رحمه الله : "ومما يدل على بطلان القول بأن نصوص الأسماء والصفات من المتشابه :

١ـ أن هذا القول لم يقل به أحد من السلف . وقد اتفقوا على إبطال تأويلات الجهمية .

١ـ الفتاوى (١٣/٢٨٤ـ٢٨٥) .

٢ـ انظر الفتاوى (٥/٣٧ـ٣٨) ، مختصر الصواعق (١٠٦) .

٣ـ المصدران السابقان مع مجموع الفتاوى (١٣/٣٠٦ـ٣١٣) .

٤ـ درء التعارض (١/٢٠١) .

٥ـ درء التعارض (١/٢٠٢ـ٢٠٤) ، الفتاوى (٥/٣٣ـ٣٤) ، مختصر الصواعق (١٠٣ـ١٠٥) .

٢ـ أن الله سمى نفسه في القرآن بأسماء ، كالرحمن ، والعزيز .. ووصف نفسه بصفات ، كما في آية الكرسي ، والاخلاص .. فيقال لمن ادعى في هذا أنه متشابه لا يعلم معناه : أتقول هذا في جميع ما سمى الله ووصف به نفسه ، أم في البعض ؟ فإن قال : هذا في الجميع ، كان معانداً .. بل جحد ما يعلم بالاضطرار في دين الإسلام ، كفر صريح .. فإنا نفهم من قوله : ﴿أن الله بكل شيء عليم﴾ (١) معنى ، ونفهم من قوله : ﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ (٢) معنى ليس هو الأول .

ثم يقال لهذا المعاند : فهل هذه الأسماء دالة على الإله المعبود ، وعلى حق موجود ، أم لا ؟ فإن قال : لا ، كان معطلا محضاً ، وإن قال : نعم . قيل له : فلم فهمت منها دلالتها على نفس الرب ، ولم تفهم دلالتها على ما فيها من المعاني ، من الرحمة والعلم .. وكلاهما في الدلالة سواء ؟! فلابد أن يقول : نعم . لأن ثبوت الصفات محال في العقل ، لأنه يلزم منه التركيب ، أو الحدوث بخلاف الذات . فيقال له : ما الفرق بين ما أثبته ، وبين ما نفيته ، أو سكت عن إثباته ونفيه ؛ فإن الفرق إما أن يكون من جهة السمع ، لأن أحد النصين دال دلالة قطعية أو ظاهرة ، بخلاف الآخر ؛ أو من جهة العقل بأن أحد المعنيين يجوز أو يجب إثباته دون الآخر ؛ وكلا الوجهين باطل في أكثر المواضع ؟!

أما الأول : فدلالة القرآن على أنه رحمن رحيم ، ودود سميع بصير ... كدلالته على أنه عليم قدير ... ليس بينهما فرق من جهة النص ، وكذلك ذكره لعلوه ورحمته ... مثل ذكره لمشيئته وإرادته .

وأما الثاني : فيقال لمن أثبت شيئاً ونفى آخر : لم نفيت مثلا حقيقة رحمته ومحبته ، وأعدت ذلك إلى إرادته ؟ فإن قال : لأن المعنى المفهوم من الرحمة في حقنا هي رقة تمتنع على الله . قيل له : والمعنى المفهوم من الإرادة في حقنا هي ميل يمتنع على الله ..

فإن قال : إرادته ليست من جنس إرادة خلقه . قيل له : ورحمته ليست من جنس رحمة خلقه ، وكذلك محبته .

وإن قال : لم أثبت الإرادة بالسمع ، وإنما أثبت العلم والقدرة والإرادة

بالعقل ، وكذلك السمع والبصر والكلام على إحدى الطريقتين ، لأن الفعل دال على القدرة ، والإحكام دال على العلم ، والتخصيص دال على الإرادة .

قيل له : الجواب من ثلاثة أوجه :

الأول : أن الإنعام ، وكشف الضر ، دال أيضاً على الرحمة ، كدلالة التخصيص على الإرادة ...

الثاني : هب أن العقل لا يدل على هذا ، فإنه لا ينفيه إلا بمثل ما ينفي به الإرادة ، والسمع دليل مستقل بنفسه ؛ فلأي شيء نفيت مدلوله أو توقفت ؟! .

الثالث : اعتراض المعتزلة والجهمية عليهم ؛ فهولاء ينفون الإرادة ويقولون لامعنى لها إلا عدم الإكراه ، أو نفي الفعل ، أو الأمر به .. اهـ (١)

الثاني ـ من الأمور التي أوقعت هؤلاء في القول بأن تلك النصوص من المتشابه ، وأن السلف كانوا يفوضون معانيها ـ هو ما ورد عن بعض السلف أنهم قالوا : "تجرى على ظاهرها" فظن هؤلاء أنهم يفوضون المعنى لعدم فهمهم له .. وهذا مردود من وجوه :

١ـ الآيات الواردة في الصفات ، كالسمع ، والبصر ، والاستواء ... إن لم يكن المراد منها هذه الصفات كما يليق بجلال الله تعالى وعظمته ، فما هو المقصود منها ؟!

٢ـ الأحاديث الواردة في الصفات مع مطابقتها للآيات ، مثل :

أ ـ قوله ﷺ : "ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء" (٢).

ب ـ قوله صلى الله عليه وسلم : "ارحموا من في الأرض ، يرحمكم من في السماء" (٣) .

ج ـ قوله ﷺ : "والذي نفسي بيده ، ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشها فتأبى عليه ، إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها" (٤) .

١ـ الفتاوى (١٣/٢٩٤ـ٣٠١) .

٢ـ البخاري (مع الفتح) رقم (٤٣٥١) ، مسلم باب الزكاة حديث (١٤٤) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٥٣٢) .

٣ـ أحمد (٢/١٦٠،٢٩٥) ، والترمذي رقم (١٩٢٤) ، والحاكم (٤/١٥٩) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (ص٥٣٤) ، الرد على الجهمية للدارمي(ص٢٣ـ٢٥) ، رد الدارمي على المريسي (ص١٠٣،ص١٠٤) .

٤ـ مسلم كتاب النكاح حديث (١٢١) .

د ـ قوله ﷺ : "..فيأتون آدم فيقولون له : أنت آدم أبو البشر ، خلقك الله بيده ، وأسجد لك الملائكة" . (١) .

٣ـ الآثار الواردة عن السلف ، والتي تدل على مذهب الإثبات .

وهذه الآثار كثيرة جداً .. وبعض أصحابها هم ممن نقل عنهم أنهم قالوا : "تجرى على ظاهرها" في روايات أخرى .. وهذا يدل على ما ذكرنا سابقاً من أنهم أرادوا تفويض الكيفية وإثبات المعنى ..

فممن نقل عنه من الصحابة :

١ـ عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : "الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معلوم ، والإقرار به إيمان ، والجحود به كفر" . (٢) (٣) .

٢ـ ما ورد عن عمر أنه قال : "..هـذه امرأة سمع الله شكواها من فوق سبع سماوات ، هذه خولة بنت ثعلبة" (٤) (٥) .

٣ـ قول حصين(٦) والد عمران رضي الله عنهما جواباً لسؤال النبي صلى الله

١ـ البخاري مع الفتح رقم (٧٥١٥) ومسلم الإيمان حديث (٣٢٢) .

٢ـ اللالكائي رقم (٦٦٣) .

٣ـ ومثل هذا أيضاً ثبت عن ربيعة ، ومالك ، وغيرهم .. فأنت ترى أن نفي العلم إنما هو للكيفية دون المعنى ، فالاستواء "معلوم" . فلو كانوا يؤمنون باللفظ المجرد من غير فهم لمعناه لما قالوا : الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ؛ ولما قالوا : "أمروها كما جاءت بلا كيف" فإن الاستواء حينئذ لا يكون معلوماً ، بل مجهولا بمنزلة حروف المعجم .. ثم إنه لا حاجة إلى نفي علم الكيفية إذا كان المعنى لا يفهم أصلا عن اللفظ ، وإنما يحتاج إلى نفي علم الكيفية إذا أثبت الصفات ، فالنافي للصفات لا يحتاج أن يقول : "بلا كيف" !! فلو كان هذا هو مذهبهم لما قالوا : "بلا كيف" . وبهذا تعلم أن قولهم : "أمروها كما جاءت ، يقتضي إبقاء دلالتها على ما هي عليه . فإنها جاءت ألفاظاً دالة على معاني . فلو كانت متنفية ، لكان الواجب أن يقال : أمروا لفظها مع اعتقاد أن المفهوم منها غير مراد .." [هذا من كلام شيخ الإسلام ومع شيء من التصرف] . انظر الفتاوى (٥/٤١ـ٤٢) .

٤ـ تفسير ابن كثير (٤/٣١٨) ، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (ص٥٢٩) ، الرد على الجهمية للدارمي (ص٣٦) ،انظر الاستيعاب (٤/٢٩١ـ٢٩٢) ،الاصابة (٤/٢٩٠ـ٢٩١) .

٥ـ خولة بنت ثعلبة بن أصرم الأنصارية ، الخزرجية ، صحابية جليلة ، ظاهر منها زوجها فنزل فيها ﴿قد

عليه وسلم له : "كم إلهاً تعبد اليوم ؟" قال : سبعة : ستة في الأرض ، وواحد في السماء" (١) .

ـ قول أم المؤمنين زينب رضي الله عنها : "زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله من فوق سبع سموات" . (٢) .

ومما جاء في ذلك عن التابعين فمن بعدهم :

١ـ قول عبد الرحمن بن القاسم : (٣) "لا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا بما وصف به نفسه في القرآن ، ولا يشبه يديه بشيء ، ولا وجهه بشيء ، ولكن يقول : له يدان كما وصف نفسه في القرآن ، وله وجه كما وصف نفسه ، يقف عندما وصف به نفسه في الكتاب ، فإنه تبارك وتعالى لا مثيل له ولا شبيه .." (٤) .

٢ـ قال الأوزاعي : "كنا والتابعون متوافرون نقول : "إن الله على عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته" .(٥) .

٣ـ قال مالك : "الرحمن على العرش استوى كما وصف به نفسه ، ولا يقال كيف ، وكيف عنه مرفوع .."(٦) وثبت نحوه عن شيخه ربيعه . (٧)وكذا مقالته المشهورة : "الاستواء معلوم .." (٨)إلخ قال عقبه الدارمي : "وصدق مالك ، لا يعقل منه كيف ، ولا يجهل منه الاستواء ، والقرآن ينطق ببعض ذلك في غير آية اهـ (٩) .

ـ قال الدارمي بعد أن ساق الآيات والأحاديث في إثبات صفة العلو لله

١ـ البيهقي في الاسماء والصفات (ص٥٣٤) ، والترمذي رقم (٣٤٨٣) .

٢ـ البخاري مع الفتح رقم (٧٤٢٠) ، البيهقي في الاسماء والصفات (ص٥٢٥) ، والترمذي رقم (٣٢١٢) . والنسائي في النكاح ، باب صلاة المرأة إذا خطبت .

٣ـ عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي ، أبو عبد الله البصري ، الفقيه ، صاحب مالك ، ثقة توفي سنة (١٩١هـ) . التقريب (٤٩٥/١) .

٤ـ أصول السنة لمحمد بن أبي زمنين (ص٢٨/ب) (مخطوط).

٥ـ البيهقي في الاسماء والصفات (ص٥١٥) ، تذكرة الحفاظ (ص١٨١) ، مجموع الفتاوى (٣٩/٥) وصحح إسناده ، الفتح (٤٠٦/١٣) ، مختصر العلو رقم (١٢١) ، اجتماع الجيوش الإسلامية (ص١٣١) .

٦ـ البيهقي في الاسماء والصفات (ص٥١٥) ، الفتح (٤٠٧/١٣) ، مختصر العلو رقم :(١٣١،١٣٢) .

٧ـ انظر اللالكائي رقم (٦٦٥) ، والبيهقي في الاسماء والصفات (ص٥١٦) ، ومختصر العلو للذهبي رقم (١١١).

٨ـ مختصر العلو رقم (٢٠٨) ، واللالكائي رقم (٦٦٤) ، والبغوي في شرح السنة (١٧١/١) ، وانظر الفتح (٤٠٦/١٣ـ٤٠٧) ، والبيهقي في الاسماء والصفات (ص٥١٥) ، والدارمي (ص٣٣) .

٩ـ الرد على الجهمية (ص٣٣) .

تعالى : "فمن آمن بهذا القرآن الذي احتججنا منه بهذه الآيات ، وصدق هذا الرسول الذي روينا عنه هذه الروايات ، لزمه الإقرار بأن الله بكماله فوق عرشه ، فوق سماواته ، وإلا فليحتمل قرآناً غير هذا ، فإنه غير مؤمن بهذا" (١) .

٥ـ قال أبو العالية : "استوى" يعني : إرتفع . (٢) وقال مجاهد : "استوى : علا . (٣) .

٦ـ قال عبد العزيز بن الماجشون وغيره : "إنا لانعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه ، وإن علمنا تفسيره ومعناه" (٤) .

٧ـ قيل ليزيد بن هارون : من الجهمية ؟ فقال : من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما يقر في قلوب العامة فهو جهمي (٥) (٦) (٧) .

٨ـ قيل لعبد الله بن المبارك : كيف نعرف ربنا ؟ قال : "في السماء السابعة ، على عرشه ، بائن من خلقه" (٨) .

٩ـ قال الجويني : "وأثبتنا علو ربنا ، وفوقيته ، واستوائه على عرشه ، كما

١ـ الرد على الجهمية (ص٣٥ـ٣٦) .

٢ـ البيهقي في الأسماء والصفات (ص٥٢٠) .

٣ـ الفتح (١٣/٤٠٣ـ٤٠٦) .

٤ـ درء تعارض العقل والنقل (١/٢٠٧) .

٥ـ السنة لعبد الله بن أحمد رقم (٥٤) ، مسائل أحمد لأبي داود (ص٢٦٨) ، مختصر العلو رقم (١٧٢،١٨٢) ، خلق الأفعال رقم (٦٣)،مجموع الفتاوى (٥/١٨٤) ، اجتماع الجيوش (٢١٤) .

٦ـ قال الذهبي بعد سياقه له : "العامة" مراده بهم جمهور الأمة ، وأهل العلم ، والذي وقر في قلوبهم من الآية : هو مادل عليه الخطاب ، مع يقينهم بأن المستوي ليس كمثله شيء . هذا الذي وقر في فطرهم السليمة ، وأذهانهم الصحيحة ، ولو كان له معنى وراء ذلك لتفوهوا به ولما أهملوه ، ولو تأول أحد منهم الاستواء لتوفرت الهمم على نقله ، ولو نقل لاشتهر ، فإن كان في بعض جهلة الأغبياء من يفهم من الاستواء ما يوجب نقصاً أو قياساً للشاهد على الغائب ، وللمخلوق على الخالق ، فهذا نادر ، فمن نطق بذلك زجر وعُلّم ، وما أظن أن أحداً من العامة يقر في نفسه ذلك ، والله أعلم اهـ من مختصر العلو رقم (١٨٢) .

٧ـ وقد جاء نحوه عن عبد الله بن مسلمة القعنبي . انظر : مختصر العلو رقم (٢٠٤) ، اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٢١٦) .

يليق بجلاله وعظمته ، والحق واضح في ذلك ، والصدر ينشرح له ، فإن التحريف تأباه العقول الصحيحة ، مثل تأويل الاستواء بالاستيلاء وغيره ، والوقوف في ذلك جهل وعي ، مع أن الرب سبحانه وصف لنا نفسه بهذه الصفات لنعرفه بها ، فوقوفنا عن إثباتها ونفيها عدول عن المقصود منه في تعريفنا إياه ، فما وصف لنا نفسه بها إلا لنثبت ما وصف به نفسه ، ولا نقف في ذلك" اهـ (١) .

١٠ـ قال الجويني أيضاً : "وصفاته معلومة من حيث الجملة والثبوت ، غير معقولة له من حيث التكييف والتحديد ، فيكون المؤمن بها مبصراً من وجه ، أعمى من وجه ؛ مبصراً من حيث الإثبات والوجود ، أعمى من حيث التكييف والتحديد . وبهذا يحصل الجمع بين الإثبات لما وصف الله به نفسه ، وبين نفي التحريف ، والتشبيه ، والوقوف ، وذلك هو مراد الله تعالى منا في إبراز صفاته لنا لنعرفه بها ونؤمن بحقائقها ... لا فرق بين الاستواء والسمع ، ولا بين النزول والبصر ، لأن الكل ورد في النص ، فإن قالوا لنا في الاستواء شبهتهم . نقول لهم في السمع شبهتهم ..."(٢) .

١١ـ قال حكيم بن جابر(٣) : "أُخبرت أن ربكم عز وجل لم يمس بيده إلا ثلاثة أشياء : عرش الجنة بيده ، وخلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده" (٤) .

١٢ـ قال إسحاق بن راهوية : أنبأنا بشر بن عمر قال : سمعت غير واحد من المفسرين يقولون : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾(٥) : "على العرش ارتفع" (٦).

١٣ـ قال الخليل بن أحمد : أتيت أبا ربيعة الأعرابي ، وكان من أعلم من رأيت ، وكان على سطح ، فلما رأيناه أشرنا اليه بالسلام ، فقال : استووا . فلم ندر ما قال ؛ فقال لنا شيخ عنده : يقول لكم : ارتفعوا . قال الخليل : هذا من قوله

١ـ النصيحة في صفات الرب جل وعلا لابن شيخ الحزامين (ص٣٩) .

٢ـ النصيحة في صفات الرب (ص٤١ـ٤٢) .

٣ـ حكيم بن جابر بن طارق بن نافق الأحمسي تابعي ثقة ، توفي سنة (٨٢هـ) وقيل (٩٥هـ) . التقريب (١/١٩٣) .

٤ـ مختصر العلو رقم (١٠٤).

٥ـ طه (٥) .

٦ـ مختصر العلو رقم (١٦٧) .

تعالى : ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾ . (١) (٢) .

١٤ـ قال الفراء : وقد قال ابن عباس رضي الله عنهما: "ثم استوى" : صعد . وهو كقولك للرجل : كان قاعداً فاستوى قائماً . أو كان قائماً فاستوى قاعداً ، وكل في كلام العرب جائز . (٣) .

١٥ـ قال أبو عبيد ـ وذكر الباب الذي يروي فيه حديث الرؤيه ، والكرسي ، وموضع القدمين ، وضحك ربنا ، وحديث "أين كان ربنا .." ، فقال ـ: ولكن إذا قيل لنا : كيف وضع قدمه ، وكيف يضحك ؟ قلنا لا نفسر هذا ، ولا سمعنا أحداً يفسره . (٤) .

١٦ـ قال ثعلب : "استوى" أقبل عليه وإن لم يكن معوجاً . "ثم استوى إلى السماء" (٥) أقبل . و"استوى على العرش" : علا . واستوى القمر : امتلأ . واستوى زيد وعمرو : تشابها في فعلهما وإن لم تتشابه شخوصهما . هذا الذي يعرف من كلام العرب . اهـ (٦) .

١٧ـ قال أبو جعفر الترمذي (٧) ـ وقد سئل عن حديث نزول الرب ـ فقال : النزول معقول ، والكيف مجهول ، وإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة .

قال الذهبي : صدق فقيه بغداد ، وعالمها في زمانه ، إذ السؤال عن النزول ما هو ؟ عي لأنه إنما يكون السؤال عن كلمة غريبة في اللغة ، وإلا فالنزول والكلام والسمع والبصر والعلم والاستواء عبارات جلية واضحة للسامع ، فإذا اتصف بها من ليس كمثله شيء ، فالصفة تابعة للموصوف ، وكيفية ذلك مجهولة عند البشر اهـ (٨) .

١ـ فصلت (١١) .

٢ـ مختصر العلو رقم (١٩٠) .

٣ـ مختصر العلو رقم (١٩١) ، البيهقي في الأسماء والصفات (ص٥٢٠) .

٤ـ مختصر العلو رقم (٢١٩) .

٥ـ فصلت (١١) .

٦ـ مختصر العلو رقم (٢٨٠) ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم (٦٦٨) ، اجتماع الجيوش الإسلامية (ص٢٦٥) .

١٨ـ قال البزدوي : (١) "إثبات اليد والوجه عندنا معلوم بأصله متشابه بوصفه، ولن يجوز إبطال الأصل بالعجز عن درك الوصف ، وإنما ضلت المعتزلة من هذا الوجه". (٢)اهـ .

فهذه الأقوال وغيرها كثير ، تدل دلالة واضحة على ماذكرت ، والله أعلم .

الثالث من الأمور التي أوقعت القائلين بأن الصفات من المتشابه ، وأن السلف فوضوا معانيها : هو توهمهم أن إثبات هذه النصوص على ظاهرها يوقع في التشبية ، ولذا فروا إلى التعطيل .. ولا أحتاج هنا أن أبين بطلان هذه الشبهة ، لأن من قرأ ما تقدم في هذه المسألة عرف الجواب عن هذا ، وزال عنه الإشكال ، والله المستعان . (٣).

١ـ الظاهر أنه أبو الحسن ، علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم البزدوي ، صاحب الطريقة في المذهب الحنفي . وكان إمام الحنفية بما وراء النهر ، وهو صاحب "أصول البزدوي" . ولد في حدود سنة (٤٠٠هـ) ، وتوفي سنة (٤٨٢هـ) . (السير ١٨/ ٦٠٢) . وله أخ معدود في علماء الحنفية ، وهو الملقب بالقاضي صدر الدين ، أبو اليسر ، محمد بن محمد بن الحسين . توفي سنة (٤٩٣هـ). سير أعلام النبلاء (١٩/٤٩) .

٢ـ شرح العقيدة الطحاوية للغنيمي (ص٧٤) .

٣ـ تنبيه : لمزيد من المعرفة بهذا الموضوع انظر : الأربعين في دلائل التوحيد للهروي (ص٢١) ، ورسالة في الذب عن أبي الحسن الأشعري ، لابن درباس (ص١٢١ـ١٢٦) ، درء تعارض العقل و النقل (١/٢٠١) ، الفتاوى (٤/٦٧ـ٧٠،٥/٩٨،٣٤ـ٤٢،١٣/٣٠٧ـ٣٠٨،١٧/٣٥٨) ، التدمرية القاعدة الخامسة ص٥٨) ، مختصر الصواعق (١/٧ـ٨،١٠٤)،الصواعق (١/١٥٦ـ١٦٥) ، لوامع الأنوار البهية (١/٩٣ـ٩٩،٢٢٠) (الحاشية) ، الصفات الإلهية (٣٦٥) ، القواعد المثلى (القاعدة الثالثة) ، تنبيهات على ما كتبه محمد بن علي الصابوني .." لابن باز (ص٧ـص١٣) ،(١٧/٣٢ـ٣٣) ، الإبانة الصغرى (٢٢٥ـ٢٣٩) (حاشية من كلام المحقق) ، علاقة الإثبات و التفويض بصفات رب العالمين .

المسألة الثالثة : في الكلام على بعض الأسانيد إلى ابن عباس رضي الله عنهما :

نقل المؤلف ما ذكره السيوطي في الإتقان ، فيما يتعلق بالطرق عن ابن عباس فقال (١) :"ومن جيد الطرق عن ابن عباس طريق قيس ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عنه . وهذه الطريق صحيحة على شرط الشيخين . وكذا طريق ابن إسحاق ،عن محمد بن أبي محمد ، مولى آل زيد بن ثابت ، عن عكرمة أو سعيد بن جبير ، عنه . هكذا بالترديد (٢)، وإسنادها حسن (٣)" .اهـ

و هذا الكلام الذي أقره المؤلف غير مستقيم ، لأن الطريقين كل واحد منهما ضعيف ، وإليك بيان ذلك :

الطريق الأول وهو ضعيف ، وعلة ضعفه ما يأتي :

١ ـ عطاء بن السائب وهو صدوق اختلط ، كما في التقريب (٤)، فمن سمع منه قبل الاختلاط قُبل ، وإلا فهو ضعيف . وليس قيس هذا ممن روى عنه قبل الاختلاط فيكون حديثه عنه من القسم الثاني والله أعلم .

٢ ـ قيس . لم أعثر على أحد من تلاميذ عطاء بن السائب اسمه قيس(٥) ولعل المراد : عمرو بن أبي قيس الكوفي . وهو معروف بالرواية عن عطاء بن السائب . علماً بأن عامة مايقول فيه السيوطي "على شرط الشيخين "إنما يكون أخذه من المستدرك غالباً . وقد رأيت في المستدرك : "عمرو بن أبي قيس عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس . . . " (٦) وعمرو هذا قال عنه في التقريب : "صدوق له أوهام " أ. (٧) وكذا قال الذهبي أيضاً (٨)اهـ .

و أما الطريق الثاني فهو ليس أحسن حالا من سابقه ، ذلك أن فيه علتين وهما :

١ ـ محمد بن أبي محمد : وهو مجهول ، تفرد عنه ابن إسحاق ، كما ذكر

---

١ ـ نقلا عن الإتقان (٤/٢٠٨ـ٢٠٩) ، وانظر المناهل (١/٤٨٤ـ٤٨٥) .

٢ ـ هكذا بالمناهل والصواب "بالتردد" .

٣ـ المناهل (١/٤٨٥) .

٤ـ التقريب (٢/٢٢) وانظر : ميزان الاعتدال رقم (٥٦٤١) ، نهاية الاغتباط رقم (٧١،ص٢٤١) ، الكواكب النيرات رقم (٣٩،ص٣١٩) .

ذلك الحافظ .(١) وقال في الميزان : لا يعرف اهـ (٢) .

٢ ـ محمد بن إسحاق قال في التقريب : "صدوق يدلس ، ورمي بالتشيع والقدر (٣). اهـ وقال سبط بن العجمي (٤) أكثر منه (٥) ، خصوصاً عن الضعفاء اهـ (٦) وكذا قال في "جامع التحصيل" (٧)أيضاً . وعده الحافظ من أصحاب المرتبة الثالثة من المدلسين (٨) ؛ كما في "النكت" (٩) ، على حسب ترتيبه لدرجاتهم ومراتبهم هناك ؛ كما ذكره أيضاً في "تعريف أهل التقديس" في أصحاب المرتبة الرابعة (١٠) ، وهم "من اتفق على أنه لا يحتج بشيء من حديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع ، لكثرة تدليسهم على الضعفاء" ، وقال عنه : "صدوق مشهور بالتدليس عن الضعفاء المجهولين ، وعن شر منهم ؛ وصفه بذلك أحمد والدارقطني وغيرهما .اهـ (١١) .

١ـ التقريب (٢/٢٠٥) .

٢ـ ميزان الاعتدال رقم (٨١٢٨) .

٣ـ تقريب التهذيب (٢/١٤٤) ، وانظر الميزان رقم (٧١٩٧) .

٤ـ هو الإمام الحافظ الفقيه ، إبراهيم بن محمد بن خليل برهان الدين ، أبو الوفاء الطرابلسي ، ثم الحلبي ، المعروف بسبط بن العجمي ، ولد سنة (٧٥٣هـ) وتوفي سنة (٨٤١هـ) . شذرات الذهب (٧/٢٣٧) .

٥ـ يعني التدليس .

٦ـ التبيين لأسماء المدلسين رقم (٦٠ص٤٧) ، وانظر قصيدة الحافظ أبي محمود المقدسي في المدلسين (ص٥٢رقم ١٧) .

٧ـ جامع التحصيل رقم (٤٢ص١٢٥) .

٨ـ وهم من أكثروا من التدليس وعرفوا به .

٩ـ النكت (٢/٦٤٢) .

١٠ـ تنبيه:لا منافاة في تعداد ابن حجر له في هاتين المرتبتين لأن المضمون واحد .

١١ـ تعريف أهل التقديس رقم (١٢٥ص١٣٢) .

المسألة الرابعة : في إثبات حجية خبر الآحاد في العقائد كما هو حجة في الأحكام :

قال المؤلف تحت عنوان : "ضعف الرواية بالمأثور وأسبابه" : "ومنها ما يتعلق بأمور العقائد التي لا يجوز الأخذ فيها بالظن ، ولا برواية الآحاد ، بل لابد من دليل قاطع فيها ، كالروايات التي تتحدث عن أشراط الساعة ، وأهوال القيامة وأحوال الآخرة ، تذكر على أنها اعتقاديات في الإسلام ..." اهـ (١) و هذا الكلام عليه مأخذان :

الأول : زعمه أن أحاديث العقائد لا يقبل منها إلا المتواتر .

الثاني : نسبته أحاديث الآحاد إلى الظن .

أما الأول : فقد قالوا بأن أمور العقائد يجب القطع فيها ، وهذا لا يتأتى إلا بما تواتر نقله عن الشارع ، وهذا غير متحقق في أخبار الآحاد ، لأن غاية ما تفيده إنما هو الظن ، وهذا أمر لا مجال له في العقيدة .. لأن الله نعى على المشركين اتباعهم الظن في مواضع متعددة من كتابه .. فمن قال أو اعتقد بأمر بناه على خبر الواحد فهو داخل في الذم ..

و أما الثاني: فقد قالوا بأن الثقة يجوز عليه الغلط ، والسهو ، والنسيان ، وما إلى ذلك من العوارض العادية .. فالاحتمال قائم ، وعليه ينتفي القطع أو العلم ، وإنما يبقى الظن ..

و قد أدى هذا الزعم الفاسد بطوائف من هؤلاء إلى هذا القول الردى ، وهو أن أخبار الآحاد لا تثبت بها العقائد ، مما أوقعهم في نفي كثير من العقائد الثابتة ، في السنة الصحيحة ، مثل نبوة آدم ﷺ ، وأفضلية نبينا محمد ﷺ على غيره من الأنبياء والمرسلين ، وشفاعته العظمى في المحشر ، وشفاعته لأهل الكبائر من أمته . والإيمان بسؤال الملكين في القبر ، والإيمان بعذاب القبر ، والإيمان بالميزان ، والصراط ، والحوض ، والإيمان بالقلم ، وأن القضاء والقدر خيره وشره

من الله ، وأنه كتب على كل إنسان سعادته ، وشقاوته ، ورزقه وأجله ، والإيمان بالعرش ، والكرسي ، حقيقة لا مجازاً ، وأن أهل الكبائر لا يخلدون في النار ، وأشراط الساعة ، والمهدي ، وغير ذلك من أمور العقائد المهمة .. (١).

و قد ناقض هؤلاء القوم أنفسهم ، واضطربوا في مقالتهم .. حيث ذهبوا إلى أن أحاديث الآحاد توجب العمل والاتباع في الفروع دون الأصول (٢).. مما أوقعهم في الحرج أمام خصومهم حيث قلبوا عليهم الاستدلال بالآيات التي ذم الله تعالى فيها من اتبع الظن .. فلم يمكنهم الخروج من هذا الإلزام .. ولا الجواب عنه

فلما رأى هذا وتفطن له جماعة من إخوانهم ، صرحوا بأن أحاديث الآحاد لا تثبت بها العقائد ولا الأحكام ، خروجاً من ذلك الإلزام ..

ثم جاءت طائفة ثالثة ، فاعترضوا على الجميع بأن الأخبار ـ بما فيها المتواتر ـ يرد عليها التقييد ، والتخصيص ، و النسخ . وغير ذلك من الأمور المعروفة ، فالاحتمال قائم حتى في أدلة القرآن ، وما تواتر من السنة .. والتي سماها أولئك قواطع ...

قالوا فالواجب إعمال العقل والحس ، لأنه لا يرد عليه تخصيص ولا نسخ .. وأخذ ما وافقهما من نصوص الكتاب والسنة .. وجعلهما أصلا يُعول عليه ..

ثم جاءت طائفة رابعة ، أصلوا قوادح تقدح في العقل والحس أيضاً !

قالوا : العقل يرد عليه الوهم ونحوه .. كما أن الحس يغلط أيضاً فيرى الرجل من بعيد على هيئة الشجرة ؛ كما يرى النجم ضئيلا لبعده .. ويرى العصا في الماء مائله .. وكل هذا على خلاف الحقيقة...

فأنت ترى أنه لا عقل ولا نقل ولا حس ، يصلح عند هؤلاء للاستدلال .. فالله المستعان .

و لما كان المؤلف ذهب إلى القول الأول ، وهو أن أحاديث الآحاد لا تثبت

١ـ انظر أصل الاعتقاد (٨٣ـ٨٧) .

٢ـ سيأتي بيان فساد هذا في الرد عليهم قريباً إن شاء الله .

بها العقائد ، ولكن تثبت بها الفروع والأحكام ، فإنا نقصر الرد على هذا القول دون ما سواه من الأقوال التي أشرت إليها فأقول : يرد القدح والإبطال لهذا المذهب من وجوه متعددة ومنها :

الأول : مخالفته لما نقله ابن عبد البر من إجماع السلف على قبول أخبار الآحاد في أصول الديانة وفروعها .(١)فكل قول خالف الإجماع فهو ساقط ولا محالة .

الثاني : أن السلف كانوا يثبتون العقائد والأحكام بنصوص الكتاب والسنة ، دون تفريق بين العقائد والأحكام في ذلك (٢) .. وإنما حدث هذا فيمن بعدهم ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة .

الثالث : أن هذه العقائد المثبتة بالأحاديث الصحيحة ـ والتي سموها آحاداً ـ موافقة للقرآن غير مخالفة له(٣) .. فقد دل القرآن على إثبات الصفات وغيرها مما نفوه بدعوى أنه لم يثبت بالتواتر .

الرابع : أن نصوص القرآن دلت على بطلان هذا المذهب ، وذلك من وجوه متعددة أذكر منها :

١ ـ قوله تعالى :﴿ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ..﴾ (٤) وهذا يدل على أن خبر الثقة الضابط لا يحتاج إلى ذلك ، لأنه يجزم بمضمونه ، فلو كان خبره يفيد ظناً لوجب فيه التثبت والتبين أيضاً .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿وما كان المؤمنون لينفروا كافة ، فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون﴾ (٥).

ومعلوم أن الطائفة إنما تقع على الواحد فما فوقه ... وعلى قول أصحاب ذلك المذهب ، فإن هؤلاء الذين نفروا لا يحصل بخبرهم العلم ، مالم يبلغوا حد التواتر

١ـ انظر المسودة (ص٢٤٧) ، شرح الكوكب المنير (٣٥٢/٢) ، لوامع الانوار البهية (١٩/١) .

٢ـ أصل الاعتقاد (ص١٢) ،

٣ ـ قوله تعالى: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾ (١) فقد نهى الله عز وجل عن اتباع الإنسان مالم يعلم .. والظن مغاير للعلم .. فنقول لهم : كيف سوغتم لأنفسكم العمل بأخبار الآحاد في الفروع مع كونها لا تفيد علماً ، وإنما تفيد الظن ، وقد نهى الله تعالى عن ذلك ؟

٤ ـ قال تعالى : ﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾ (٢)فإن كان خبر الواحد والإثنين والأربعة .. منهم لا يفيد العلم ، فما الفائدة من سؤالهم ؟

٥ ـ قوله تعالى : ﴿ياأيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك ..﴾(٣) وقد بلغ صلوات الله وسلامه عليه البلاغ المبين .. ومعلوم أنه ﷺ لم يؤمر بأن لا يبلغ إلا إلى عدد يبلغ حد التواتر ،فإنه يكفي أن يبلغ الرجل والرجلين أو أكثر ، بدون التقيد بعدد خاص كعدد التواتر ..! وعلى زعم هؤلاء فإنه لا فائدة من مثل هذا التبليغ مالم يبلغ حد التواتر !!

بل إن النبي ﷺ قال "بلغوا عني ولو آية .." (٤) ولم يشترط عدداً .

٦ ـ قال تعالى : ﴿فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم﴾ (٥) ولقائل من هؤلاء أن يقول في أعظم أمور هذا الدين ـ العقائد ـ هذا لا لوم في المخالفة فيه ، بل إن المخالفة فيه متعينة لأنه لم يتواتر نقله عن النبي ﷺ ..!!

٧ ـ قوله تعالى : ﴿ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ..﴾ (٦) وهؤلاء لا يرون أن طاعته ولا الرد إلى سنته واجباً بل ممنوعاً

١ـ الإسراء (٣٦) .

٢ـ النحل (٤٣) .

٣ـ المائدة (٦٧) .

٤ـ البخاري في الأنبياء ، باب ما ذكر عن بني إسرائيل . والترمذي رقم (٢٦٦٩) .

٥ـ النور (٦٣) .

إن لم يكن النقل متواتراً !! ومن المعلوم أن الرد إليه يكون في حياته .. والرد إلى سنته بعد وفاته .

و نظائر هذه النصوص القرآنية كثير، مما يدل على فساد قولهم ومذهبهم .

الخامس أن أحوال النبي ﷺ ، وأقواله دالة على فساد هذا المسلك ، ومن ذلك :

١ـ حديث مالك بن الحويرث قال : "أتينا النبي ﷺ ونحن شببه متقاربون ، فأقمنا عنده عشرين ليلة ، ..ـ إلى قوله ـ قال : ارجعوا إلى أهليكم فأقيموا فيهم وعلموهم ومروهم .. وصلوا كما رأيتموني أصلي ..." (١) .

٢ ـ حديث حذيفة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لأهل نجران : لأبعثن إليكم رجلا أميناً حق أمين ، فاستشرف لها أصحاب النبي ﷺ ، فبعث أبا عبيدة" (٢).

٣ ـ حديث أبي هريرة ، وزيد بن خالد (٣)، وفيه قوله ﷺ : "... وأما أنت يا أنيس(٤) ـ لرجل من أسلم ـ فاغد على امرأة هذا ، فإن اعترفت فارجمها . فغدا عليها أنيس فاعترفت فرجمها" (٥) .

٤ ـ قال البخاري : "باب بعث النبي ﷺ الزبير طليعة وحده" . وساق بسنده إلى جابر رضي الله عنه قال : ندب النبي ﷺ الناس يوم الخندق فانتدب الزبير ،

٦ـ النساء (٥٩) .

١ـ البخاري كتاب (٩٥) الباب رقم (١) .

٢ـ البخاري كتاب (٩٥) باب (١) .

٣ـ زيد بن خالد الجهني المدني ، صحابي جليل ، مات بالكوفة سنة (٦٨هـ) وقيل (٧٨هـ) وله خمس وثمانون سنة . التقريب (٢٧٤/١) .

٤ـ جاء في الإصابة رقم (٢٩٦) "أنيس الأسلمي .مذكور في حديث العسيف .. وفي آخره : أن النبي ﷺ قال : واغد ياأنيس ، لرجل من أسلم ، على امرأة هذا .. إلخ ." اهـ وورد في ترجمة قبله (رقم ٢٩٠) : "أنيس بن الضحاك الأسلمي .. وجزم ابن حبان وابن عبد البر بأنه هو الذي ورد

ثم ندبهم فانتدب الزبير ، فقال : لكل نبي حواري ، وحواري الزبير" (١) .

٥ ـ قال البخاري : "باب قوله تعالى: ﴿لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم﴾(٢) فإذا أذن واحد جاز.. ثم ساق بسنده إلى أبي موسى الأشعري رضي الله عنه : "أن النبي ﷺ دخل حائطاً ، وأمرني بحفظ الباب ، فجاء رجل يستأذن ؛ فقال إئذن له ، وبشره بالجنة ، فإذا أبو بكر ..." (٣) .

٦ ـ قال البخاري رحمه الله : "باب ما كان يبعث النبي ﷺ من الأمراء والرسل واحداً بعد واحد . وقال ابن عباس بعث النبي ﷺ دحية الكلبي (٤) بكتابه إلى عظيم بُصْرى أن يدفعه إلى قيصر. و أسند البخاري عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى ، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين ، يدفعه عظيم البحرين إلى كسرى . فلما قرأه كسرى مزقه ـ فحسبت أن ابن المسيب قال ـ فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل ممزق"(٥) .

٧ ـ عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال لرجل من أسلم أذّن في قومك ، أو في الناس يوم عاشوراء ، أن من أكل فليتم بقية يومه ، ومن لم يكن أكل فليصم". (٦) .

٨ ـ قال البخاري رحمه الله : "باب وصاة النبي ﷺ وفود العرب أن يبلغوا من وراءهم قاله مالك بن الحويرث" (٧) . ثم ساق بسنده إلى أبي جمرة (٨) قال :

١- البخاري كتاب (٩٥)باب (٢) .

٢- الاحزاب (٥٣) .

٣- البخاري كتاب (٩٥) باب (٣) .

٤- هو دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة الكلبي ، صحابي جليل ، نزل المزة ، ومات في خلافة معاوية . التقريب (١/٢٣٥) .

٥- البخاري كتاب (٩٥) باب (٤) .

٦- المصدر السابق .

٧- البخاري :كتاب (٩٥) باب (٥).

٨- هو نصر بن عمران بن عصام الضُبَعي ، أبو جمرة البصري ، نزيل خراسان ، مشهور بكنيته ، وهو من ثقات التابعين توفي سنة (١٢٨هـ) . (التقريب ٢/٣٠٠) .

كان ابن عباس يقعدني على سريره فقال : إن وفد عبد القيس لما أتوا رسول الله ﷺ قال من الوفد ؟ قالوا ربيعة . قال مرحباً بالوفد ، أو القوم غيرخزايا ولا ندامى . قالوا يا رسول الله : إن بيننا وبينك كفار مضر ، فمرنا بأمر ندخل به الجنة ، ونخبر به من وراءنا . فسألوا عن الأشربة . فنهاهم عن أربع ، وأمرهم بأربع . أمرهم بالإيمان بالله . قال هل تدرون ما الإيمان بالله ؟! قالوا الله ورسوله أعلم . قال شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وأظن فيه صيام رمضان ، وتؤتوا من المغانم الخمس . ونهاهم عن الدُبَّاء والحَنْتَم والمزفت والنَّقير ، وربما قال : المقير . قال : احفظوهن وأبلغوهن من وراءكم ..." (١) .

و هذا القدر فيه كفاية وإلا فالسنة مليئة بمثل ذا وأضعافه الكثيرة ... كبعثه ﷺ معاذاً إلى اليمن بشرائع الإيمان والإسلام (٢) ، وغير ذلك كثير .. ولوضوح دلالة هذه النصوص اسغنيت عن التعليق عليها وبيان وجه دلالتها على المراد .

السادس : أن هذا المذهب مخالف لما كان عليه أصحاب النبي ﷺ ، من قبول أخبار الآحاد في العقائد والأحكام ، وإليك بعض الأدلة على ذلك :

١ ـ عن عبد الله بن عمر قال : بينا الناس بقباء في صلاة الصبح ، إذ جاءهم آت فقال : إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن ؛ وقد أمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام ، فاستداروا إلى الكعبة". (٣) .

و أخرج البخاري أيضاً من حديث البراء رضي الله عنه قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة صلى نحو بيت المقدس ستة عشر ، أو سبعة عشر شهراً ، وكان يحب أن يوجه إلى الكعبة ، فأنزل الله تعالى : ﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء

١ـ البخاري كتاب (٩٥) باب (٥).

٢ـ وكتصديقه رؤى أصحابه وتأوليها على وفق ما حكوا .. وغير ذلك مما ثبت عنه كقوله : "نضر الله امرءاً

...﴾ (١) فَوَجِّه نحو الكعبة ، وصلى معه رجل العصر ، ثم خرج فمر على قوم من الأنصار فقال : هو يشهد أنه صلى مع النبي ﷺ ، وأنه قد وجه إلى الكعبة ، فانحرفوا وهم ركوع في صلاة العصر" (٢) .

٢ ـ حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : كنت أسقي أبا طلحة الأنصاري ، وأبا عبيدة بن الجراح ، وأبي بن كعب ، شراباً من فضيخ ، وهو تمر ، فجاءهم آت فقال : إن الخمر قد حرمت . فقال أبو طلحة : يا أنس قم إلى هذه الجرار فاكسرها . قال أنس : فقمت إلى مهراس لنا فضربتها بأسفله حتى انكسرت" (٣) .

٣ ـ حديث عمر رضي الله عنه قال : "كان رجل من الأنصار إذا غاب عن رسول الله ﷺ ، وشهدته ، أتيته بما يكون من رسول الله ﷺ ، وإذا غبت عن رسول الله ﷺ وشهد ، أتاني بما يكون من رسول الله ﷺ" (٤) .

السابع: مخالفته لما عليه أهل العلم من جزمهم بنسبة الحديث الثابت إلى النبي ﷺ بمثل قولهم : "قال رسول ﷺ" ، أو "ثبت عن النبي ﷺ كذا .." أو "صح عنه ﷺ" أو غير ذلك من العبارات المتعارفة بينهم .

الثامن : أن هؤلاء الذين يردون أخبار الآحاد ، ينقلون عن أئمتهم أقوالا ويجزمون بنسبتها إليهم ، ولا يرتضون المنازعة في ذلك ... بل إنهم يستدلون أحياناً ببعض الأحاديث الآحادية التي يرون فيها تأييداً لقول من أقوالهم .

التاسع : لو كانت أخبار الآحاد لا تفيد العلم ، ولا يصلح الاستدلال بها في أمور العقائد ، فإن الأمة تكون عابثة في نقلها لهذه الأخبار الكثيرة في مسائل متنوعة من أمور العقيدة ، وهذا باطل .

العاشر : أن تقسيم الدين إلى أصول وفروع ،تقسيم محدث وباطل ، وليس له ضابط مستقيم يثبت عند الفحص والمناقشة .. فكل ما وضعوا من الفروقات أو

١ـ البقرة (١٤٤) .

٢ـ البخاري كتاب (٩٥) باب (١) .

٣ـ المصدر السابق .

٤ـ البخاري كتاب (٩٥) باب (١) .

الضوابط في بيان الفرق بينهما فإنه لا يستقيم .. وقد أطال شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في رد هذه الفرية (١) .

الحادي عشر : أن القول بأن أحاديث الآحاد لا تصلح للاحتجاج بالعقائد ، قدح بالذي خاطب بها الأمة وعلمها أصحابه ، وأرسلهم إلى أقوامهم للدعوة لمضمونها .. لأنها على زعمهم لا يحصل بها العلم الذي ينبني عليه الاعتقاد الذي لابد وأن يكون جازماً !

و لعل هذا القدر الذي ذكرت من الأدلة (٢) يكون كافياً لإثبات المراد لمن طلب الحق ، والله المستعان

و بعد هذا العرض ، يحسن هنا أن نشير إلى من منع من أهل العلم الإطلاق بعدم إفادة أخبار الآحاد العلم ، فنقول :

أولا : ذهب طائفة كبيرة من أهل العلم إلى أن خبر العدل الضابط يفيد العلم ، سواء احتفت به قرائن أم لا . ومن هؤلاء : مالك (٣) ، والشافعي (٤)، وأحمد (٥) في رواية عنه ، وهي الثابته . والحارث المحاسبي (٦) والكرابيسي (٧)،

١ـ انظر على سبيل المثال : مختصر الصواعق (٥١٠ـ٥١٦) .

٢ـ انظر أدلة المسألة في : الإحكام لابن حزم (١/ ١٠٧ـ١٢٣) ، ومختصر الصواعق (٤٩٦ـ٥٠٩) ،شرح الكوكب المنير (٢/٣٦٩ـ٣٧٥) ، الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام ، أصل الاعتقاد .

٣ـ انظر الإحكام لابن حزم (١/١٠٧)، المسودة (٢٤٤) ، مختصر الصواعق (٤٨٤) ، إرشاد الفحول (٤٨) ، لوامع الأنوار (١/١٩) ، الباعث الحثيث (٣٣) .

٤ـ الرسالة (٤٠١ـ٤٥٣) ، أصل الاعتقاد (١٩ـ٢٤) .

٥ـ الإحكام لابن حزم (١/١٠٧) ، والإحكام للآمدي (٢/٣٢) ، ومختصر الصواعق (٤٨٤) ، المسودة (٢٤٠،٢٤٢) ، إرشاد الفحول (٤٨) ، لوامع الأنوار (١/١٨) ، أصل الاعتقاد (١٦ـ١٨) .

٦ـ الإحكام لابن حزم (١/١٠٧) ، المسودة (٢٤٤) ، مختصر الصواعق (٤٨٤) ، إرشاد الفحول (٤٨) ، والباعث

وابن أبي موسى (١) (٢)، وبه قال داود ، وابن حزم (٣)، وهو قول عامة أهل الحديث (٤) (٥)وبه قال القاسمي (٦)، ومن المعاصرين : أحمد شاكر (٧)، والألباني (٨).

ثانياً : ذهب آخرون إلى أن خبر الواحد يفيد العلم إذا احتفت به قرائن تدل على ثبوته ومن هؤلاء : الموفق (٩)بن قدامة ، وابن حمدان(١٠)والطوفي (١١)، وابن الزاغوني ، (١٢) (١٣)وابن تيمية (١٤)وابن القيم ، من الحنابلة ، وهو قول

١- هو محمد بن أحمد بن أبي موسى ، أبو علي الهاشمي القاضي ،ولد سنة (٣٤٥هـ) ، وتوفي سنة (٤٢٨هـ) . طبقات الحنابلة (١٨٢/٢) ، المدخل لابن بدران (ص٤١٧) .

٢- مختصر الصواعق (٤٨٤) .

٣- الإحكام لابن حزم (١٠٧/١) ، الآمدي (٣٢/٢) ، مختصر الصواعق (٤٨٤) ، إرشاد الفحول (٤٨) ، الباعث الحثيث (٣٣) .

٤- مختصر الصواعق (٤٨٤) .

٥- ونسبه ابن القيم إلى ابن خويز منداد من المالكية (ص٤٨٤) من مختصر الصواعق .. لكن في (ص٤٨٢) نسب إليه القول بالمُتلقَّى بالقبول وأنه يفيد العلم .

٦- قواعد التحديث (٨٥) .

٧- الباعث (٣٣ـ٣٤) .

٨- الحديث حجة بنفسه .

٩- شرح الكوكب (٣٤٨/٢) ، لوامع الأنوار (١٧/١) .

١٠- هو أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان بن شبيب بن حمدان النميري الحراني ، الفقيه الأصولي الحنبلي ، توفي سنة (٦٩٥هـ) . ذيل طبقات الحنابلة (٣٣١/٢) ، المدخل لابن بدران (ص٤١٠) .

١١- شرح الكوكب (٣٤٨/٢) ، لوامع الأنوار (١٧/١) .

١٢- هو علي بن عبيد الله بن نصر بن السري ، الزاغواني ، البغدادي أبو الحسن ، الفقيه الحنبلي ، ولد سنة (٤٥٥) وتوفي سنة (٥٢٧هـ) . سير أعلام النبلاء (٦٠٥/١٩) ، المدخل لابن بدران (ص٤١٦) .

١٣- شرح الكوكب (٣٤٩/٢) ، المسودة (٢٤٠) ، لوامع الأنوار (١٨/١) .

١٤- نفس المصادر في الحاشية السابقة إضافة إلى الفتاوى (٢٥٧/١، ٣٥٠/١٣ـ٣٥٢، ١٨/١٤، ١٦، ١٧، ٢٢، ٢٣، ٢٧، ٤٠، ٤١، ٤٨، ٤٩/٢٠، ٢٥٧/ـ٢٥٨) .

الغزالي (١)،والآمدي (٢)، والنظّام (٣) (٤)،والفخر الرازي (٥)،وابن الحاجب (٦) (٧)، وإمام الحرمين (٨) وبه قال الحافظ ابن حجر(٩).

ثالثاً : ذهب جماعة من أهل العلم أيضاً إلى أن الحديث المتلقى بالقبول يفيد العلم ، كأحاديث الصحيحين .. أو المجمع على العمل به . وعزى الحافظ هذا القول إلى السرخسي (١٠) من الحنفية ، والقاضي عبد الوهاب من المالكية (١١)، وأبي حامد الاسفرائيني ، والقاضي أبي الطيب الطبري (١٢)، والشيرازي (١٣) وسليم الرازي (١٤)، من الشافعية ، وأبي عبد الله بن حامد(١٥) ، وأبي يعلي

١ـ انظر النكت (١/٣٧٧)، والإحكام للآمدي (٢/٣٢،٣٧) ، المسودة (٢٤٠ـ٢٤٣) .

٢ـ انظر الحاشية السابقة .

٣ـ انظر الحاشية السابقة .

٤ـ هو شيخ المعتزلة ، أبو إسحاق ، إبراهيم بن سيار ، مولى آل الحارث بن عباد الضبعي . وهو شيخ الجاحظ ، توفي سنة بضع وعشرين ومائتين . سير أعلام النبلاء (١٠/٥٤١) .

٥ـ انظر النكت (١/٣٧٧)، والإحكام للآمدي (٢/٣٢،٣٧) ، المسودة (٢٤٠ـ٢٤٣) .

٦ـ انظر النكت (١/٣٧٧) ، والإحكام للآمدي (٢/٣٢،٣٧) ، المسودة (٢٤٠ـ٢٤٣) .

٧ـ هو أبو عمرو ، عثمان بن عمر بن أبي بكر الكردي ، الاسنائي ، ولد في أواخر سنة (٧٠هـ) وكان مالكي المذهب ، توفي سنة (٧٤٦هـ) . شذرات الذهب (٥/٢٣٤) .

٨ـ انظر النكت (١/٣٧٧) ، الإحكام للآمدي (٢/٣٢،٣٧) ، المسودة (٢٤٠ـ٢٤٣) .

٩ـ شرح النخبة (ص٣٦) ، النكت (١/٣٧٢ـ٣٧٣) .

١٠ـ هو محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي الحنفي (أبو بكر) فقيه ، أصولي ، مجتهد ، توفي في حدود سنة (٤٩٠هـ) . معجم المؤلفين (٨/٢٦٧) .

١١ـ هو عبد الوهاب بن علي بن نصر بن أحمد بن الحسين ، البغدادي ، أبو محمد الفقيه المالكي ، توفي بمصر سنة (٤٢٢هـ) . شذرات الذهب (٣/٢٢٣) .

١٢ـ هو القاضي أبو الطيب ، طاهر بن عبد الله بن طاهر بن عمر ، الطبري الشافعي ، فقيه بغداد ، ولد سنة (٣٤٨هـ) بآمل ، وتوفي سنة (٤٥٠هـ) . سير أعلام النبلاء (١٧/٦٦٨) .

١٣ـ اللمع ، (ص٧٢) .

١٤ـ هو سليم بن أيوب بن سليم الرازي ، الشافعي ، أبو الفتح ، ولد سنة نيف وستين وثلاث مائة . سير

(١)، وأبي الخطاب (٢)من الحنابلة . وعزاه أيضاً إلى كثير من الأشاعرة وغيرهم أمثال أبي إسحاق الإسفرائيني ، وابن فورك (٣)، وأبي منصور التميمي (٤)، وابن السمعاني (٥)، وأبي هاشم الجبائي ، وأبي عبد الله البصري (٦) (٧)وهو قول أبي عبد الله الحميدي (٨)، وأبي الفضل بن طاهر (٩) (١٠)،ورجحه ابن الصلاح (١١) وابن كثير (١٢)، وزكريا الانصاري(١٣) ، والسيوطي(١٤) ، والشوكاني(١٥) .

١- هو محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء الحنبلي . توفي سنة (٤٥٨هـ) . شذرات الذهب (٣٠٦/٣) ، المدخل لابن بدران (ص٤١٧) .

٢- هو محفوظ بن أحمد بن الحسن بن أحمد الكلوذاني البغدادي الحنبلي ، توفي سنة (٥١٠هـ) . شذرات الذهب (٢٧/٤) ، المدخل لابن بدران (ص٤١٩) .

٣- هو أبو بكر محمد بن الحسن بن فورك الاصبهاني . الأشعري المتكلم ، قيل مات مسموماً قرب بُست ونُقل إلى نيسابور سنة (٤٠٦هـ) . سير أعلام النبلاء (٢١٤/١٧) ، شذرات الذهب (١٨١/٣) .

٤- هو أبو منصور السمعاني ، محمد بن عبد الجبار ، القاضي ، المروزي ، الحنفي ، والد أبي المظفر السمعاني . توفي بمرو سنة (٥٠هـ) . شذرات الذهب (٢٨٧/٣) .

٥- يطلق "ابن السمعاني" على العلامة المحدث فخر الدين أبي المظفر عبد الرحيم بن الحافظ أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور بن السمعاني المروزي الشافعي ، المولود سنة (٥٣٧هـ) ووفاته في حدود سنة (٦١٧هـ) . (راجع ترجمته في السير (١٠٧/٢٢) كما يطلق أيضاً على أبي المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي السمعاني والذي كان تحول من مذهب أبي حنيفة إلى مذهب الشافعي رحم الله الجميع . وكانت ولادته سنة (٤٢٦هـ) ، وتوفي سنة (٤٨٩هـ) . ولعل هذا هو المراد بابن السمعاني فيما مضى والله أعلم.راجع ترجمته في السير (١١٤/١٩) .

٦- هو الحسين بن علي ، أبو عبد الله البصري الحنفي ، ويعرف بالجعل ، أحد شيوخ المعتزلة ، توفي سنة (٣٦٩هـ) وقيل غير ذلك . شذرات الذهب (٦٨/٣) .

٧- عد كل هؤلاء الحافظ في النكت ، وذكر كثير منهم ابن القيم في مختصر الصواعق (٤٨٢) .

٨- هو الإمام أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح الحميدي الازدي الأندلسي الميورقي الظاهري ، توفي سنة (٤٨٨هـ) . تذكرة الحفاظ (١٢١٨/٤) .

٩- هو الإمام الحافظ محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي الشيباني ، توفي سنة (٥٠٧هـ) . تذكرة الحفاظ (١٢٤٢/٤) .

١٠- انظر التقييد والإيضاح (٤١) ، شرح النخبة (ص٢٧) ، تدريب الراوي (١٣٢/١) ، قواعد التحديث (ص٨٥) ، الباعث الحثيث (ص٣٤) .

١١- مقدمة ابن الصلاح (ص١٤) ، التقييد والإيضاح (٤١) ، شرح ألفية العراقي (٦٩/١) ، تدريب الراوي (١٣٢/١) ، توضيح الافكار (١٢١/١ـ١٢٨) ، الباعث (٣٣) .

رابعاً : ذهب بعض أهل العلم إلى أن الحديث المشهور ، أو المستفيض ، يفيد العلم ، وهو منسوب إلى أبي حنيفة رحمه الله (١).

وممن قال بإفادة الخبر العلم إذا كانت له طرق متباينة ، سالمة من ضعف الرواة والعلل : أبو منصور البغدادي (٢)، وأبو بكر بن فورك ، وأبو إسحاق الاسفرائيني (٣) .

فالقول بأن أخبار الآحاد لا تفيد إلا الظن مطلقاً ، قول مردود عند كل هؤلاء .. أما كونه لا يعمل به في العقائد ، فقد قدمنا لك قول ابن عبد البر رحمه الله ، أنه مخالف للإجماع .

والحاصل أن خبر الآحاد تكون منزلته بالقوة والضعف بحسب الدليل الدال عليه .. فأنت تجد في نفسك أنه لا يحتمل الشك في بعض الأحيان (٤) .. ويحتمله في حين آخر .. وهذا يرجع إلى أمور متعددة ، كسلامة الرواة من الضعف (٥).. وعدم وجود المعارض القوي ، ونحو ذلك من الأمور التي يضعف اليقين بها أو يقوى ..

ومن المعلوم أن العلم يتفاوت ، وهذا لايخفى على من له أدنى بصيرة .. فليست أخبار الآحاد التي تفيد العلم على مرتبة واحدة وقوة متماثلة في إفادة العلم .. فلو حدثك أبو بكر مثلا بشيء عن النبي ﷺ فهل تجد في نفسك أدنى شك في ثبوت ذلك ؟! بينما قد يحدثك غيره ، فتتيقن ثبوته ، لكن ليس كيقينك بالأول ..

١٢ـ لوامع الانوار (١٩/١) ، الباعث (٣٣ـ٣٤) .

١٣ـ شرح الالفية لزكريا الأنصاري (٦٩/١) .

١٤ـ تدريب الراوي (١٣٤/١) .

١٥ـ إرشاد الفحول (٤٩) .

١ـ أصول الفقه لأبي زهرة (١٠٨) .

٢ـ هو عبد القاهر بن طاهر ، أبو منصور البغدادي ، نزيل خراسان ، أحد أئمة الشافعية . توفي سنة (٤٢٩هـ) . سير أعلام النبلاء (٥٧٢/١٧) .

٣ـ انظر المسودة (٢٤٠) ، شرح الكوكب (٣٤٧/٢) ، النكت (٣٧٢/١) ، شرح النخبة (ص٢٧) تدريب الراوي

وأحياناً غاية ما يفيده الخبر الآحادي ، الظن الراجح ، وأحياناً المرجوح ، وأحياناً يقطع بأنه كذب .. وإنما نقول بأن خبر الواحد العدل الضابط .. يفيد علماً ، فان وجد معارض قوي ضعف هذا العلم ، وقد يصل إلى الظن .. فإن احتف بالخبر الآحادي قرائن تدل على صحته ، ازداد العلم بثبوته .. وهكذا ..

وينبغي أن تعلم أن هذا العلم الحاصل به إنما يقع للعارف بأحوال الرواة وشروطهم ، ودقتهم في النقل ، وبالمعرفة بالسنن والروايات ... فأما الجاهل بهذه الأمور فقد لا يحصل له العلم به (١).. ولا عبرة بذلك . (٢).

١ـ انظر مختصر الصواعق (٥٢٣) ، شرح النخبة (ص٢٧) ، الباعث (ص٣٤) .

٢ـ لمزيد من المراجع في موضوعنا هذا انظر الرسالة للشافعي (ص٤٠١ـ٤٧١) ، المسودة (٢٣٩ـ٢٤٨) ، شرح الكوكب المنير (٢/٣٤٥ـ٣٧٧) ، مختصر الصواعق (٤٥٤ـ٥٣١) ، صون المنطق والكلام (١٦٠ـ١٦٥) ، لوامع الأنوار (١/١٩ـ٢٠) ، الصفات الإلهية (٣٧ـ٤٥) ، شرح حديث نضر الله امرءاً ...(٢١٨) ، رد شبهات الإلحاد عن أحاديث الآحاد ، الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام ، أصل الاعتقاد ، الادلة الشواهد على وجوب الاخذ بخبر الواحد في الاحكام والعقائد ، أخبار الآحاد في الحديث النبوي .

المسألة الخامسة : في الإشارة إلى أن كتاب الواحدي في «أسباب النزول والنحاس في «الناسخ والمنسوخ» ليسا من كتب التفسير .

حينما شرع المؤلف رحمه الله تعالى في تعداد كتب التفسير بالمأثور ، عد من بينها كتابين وهما : "أسباب النزول للواحدي" و"الناسخ والمنسوخ للنحاس" فقال : "السابع : أسباب النزول للواحدي : ثم قال بعد التعريف بالمؤلف : اقتصر في تفسيره على بيان أسباب النزول بالمأثور ، وهذا نوع من التفسير ، لا مجال للتأويل فيه ..."

ثم قال : "الثامن : الناسخ والمنسوخ ، لأبي جعفر النحاس ، وهو كتاب نفيس تحدث فيه مؤلفه عن الناسخ والمنسوخ ، وذكر أقوال العلماء في ذلك مسندة . وقد استوعب ما قيل في النسخ ، ولو لم يكن عنده صحيحاً ، وهذا نوع لا مجال للرأي فيه أيضاً ، بل سبيله الوحيدة هي الرواية ، وهو معدود هنا من التفسير بالمأثور .." اهـ (١) .

فهذا الكلام الذي ذكره المؤلف غير مسلم .. ولا أظن ذلك يخفى .. فكتب أسباب النزول ، والناسخ والمنسوخ ليست من كتب التفسير ، كما هو معلوم .. وإنما هذه المؤلفات تتعلق بنوع خاص من العلوم المتعلقة بالقرآن العظيم ، بينما التفسير هي جزء من أجزاءه الكثيرة جداً وهذا ظاهر ، ولا يحتاج إلى مزيد من التوضيح . والله أعلم .

المسألة السادسة : الموقف الصحيح من الخلافات في قضايا الاعتقاد :

ذكر المؤلف ـ رحمه الله ـ كلاماً كثيراً حول رحابة الإسلام وسعته (١)، ليوطأ بذلك لتجاهل الخلاف بين أهل السنة ـ وإن كانوا في نظره هم الأشاعرة ! ـ وبين خصومهم كالمعتزلة في بعض الأصول الكبار ، كخلق أفعال العباد مثلا ... ثم بدأ بعد ذلك بالتصريح(٢) مستغنياً به عن التلويح ، ليقرر الوجهة التي هو يتوجه إليها ويعتقدها في الموقف إزاء هذه الخلافيات .. ثم وضع عنواناً خاصاً أسماه : "واجبنا إزاء الخلافيات" ، ولعل من المناسب أن أنقل إليك بعض كلامه حول هذه القضية المهمة ، لاسيما في هذا العصر الذي كثر فيه مروجوا مثل هذه الفكرة ، ألا وهي تجاهل هذه الخلافات وتحذير الناس من إثارتها ..(٣) .

قال في (ص٥٠٦) من الجزء الأول : ".. وكذلك نرى من أمثلة هذا التعصب ، والسير مع الهوى ، أن يرمي بعض المغالين من أهل السنة إخوانهم المعتزلة بالشرك والوثنية ، لا عتقادهم أن العبد خالق لأفعال نفسه الاختيارية .

ونعتقد أن كلتا الطائفتين لو أنصتت إلى وجهة نظر صاحبتها في هدوء ونصفة لاجتمعنا على الإنسانية التي تجمع الجميع ، وعلى الإسلام الذي يؤلف بين الجميع ، وعلى الاحترام الذي يجب أن يسود الجميع ، فإن لكل شرعة ومنهاجاً في حدود الإسلام ، وأدلة الإسلام .."اهـ (٤) .

ثم بدأ يسوق أدلة القائلين بأن الله خالق لأفعال العباد ، وأدلة المعتزلة القائلين بأن العبد خالق لفعله .. ليبين أن هذا الخلاف مبني على أدلة قوية من القرآن والسنة ، وأنه سائغ .. إلخ.

فأنت ترى أن هذا الكلام ، فيه من التخليط الشيء الكثير .. فهل الحكم على المعتزلة بالضلال والانحراف ـ كما اتفق السلف على ذلك ـ يعد غلواً ؟! وهل كان السلف أهل غلو حينما شددوا النكير على المعتزلة لما قالوا بهذه المقالة المنحرفة ؟!

وهل هذا من التعصب كما يقول المؤلف ؟! وهل هو من الجري وراء الهوى ؟

١ـ انظر المناهل (١/٥٠٣ـ٥٠٦) .

٢ـ المناهل (١/٥٠٦ـ٥١٢) .

٣ـ حول هذا الموضوع انظر رسالة "منهج الأشاعرة في العقيدة" (٨٣ـ٨٩) .

٤ـ المناهل (١/٥٠٦) .

إن من عرف موقف السلف من مقالات المعتزلة ومغالطاتهم في الكثير من أصول الديانة ، لا يقول هذا الكلام أبداً ..

لقد دلت نصوص الكتاب والسنة الكثيرة على أن الله هو الخالق وحده .. وهذا أمر لم ينازع فيه أحد من المشركين الذين دعاهم النبي ﷺ ، بل كانوا مقرين بذلك ، ولا يرتابون فيه .. كما دل القرآن على ذلك في مواضع متعددة ، كقوله : ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾، (١) وقوله تعالى : ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون﴾ (٢) ونظائر هذا كثير في القرآن .. فلم يكونوا يعتقدون أن أحداً يخلق غير الله عز وجل .. بينما المعتزلة أثبتوا خالقاً آخر يخلق مع الله جل جلاله .. إذ جعلوا العبد خالقاً لفعله !! ولا أريد هنا أن أتعرض للرد عليهم ، فليس هذا مجاله .. وإنما كلامنا مع المؤلف هنا حول الموقف من أمثال هؤلاء !!

ثم مانوع هذه الاخوة بيننا وبين المعتزلة ..؟ وهل يكون الاجتماع في أمر مثل الانسانية ، كما هو شعار من لايؤمنون بالآخرة ؟! إن قلنا ذلك اجتمعنا مع اليهود والنصارى .. لأن الرابط بيننا وبينهم هو رابط الانسانية ، إضافة إلى أنهم أصحاب كتب سماوية !! وقد قال بعضهم هذا ..!!

أما إذا قيل نجتمع على الإسلام .. فنقول نعم لكن فيما كان داخلا في إطاره .

ثم إن الإسلام وعقيدته يحتمان علينا الموالاة فيهما والمعاداة لمن عارضهما برأي فاسد ، أو مذهب منحرف .. وهذا أصل عظيم في هذه الشريعة . فأي احترام يفرض علينا تجاه الأفكار التي جاءت من تصورات الهند واليونان وفارس ؟!وهل يعتذر عن ذلك بأن لكل شرعة ومنهاجاً مادام داخلا في حدود الإسلام ..؟! دون أن نضع الضابط لما هو داخل في حدوده وما هو خارج عن ذلك ؟! .

فأنت ترى أن المؤلف أدخل كفريات المعتزلة في إطار الإسلام ، وأنه أوسع مما نظن ؟!

ثم يقول المؤلف بعد أن ساق أدلة الفريقين : "هكذا تجد لكلتا الطائفتين وجهة نظر قوية ، وتأويلا سائغاً فيما تأوله من النصوص المقابلة للنصوص التي بهرتها فرجحتها . ونجد أيضاً أن كلتا الطائفتين لا تلتزم المحظور التي تحاول الأخرى أن تلزمها إياه في مقام الحجاج والجدال ، بل توجه رأيها توجيهاً ينأى بها عن الوقوع في المحظور . ثم نجد كلتا الطائفتين يتلاقيان أخيراً بعد طول المطاف عند نقطة الاعتقاد السديد بوحدانية الله وحكمة الله ، ولكن على الوجه الذي استبان لها وراج عندها ، فكيف يرضى منصف إذاً بتجريح إحداهما ، ورميها بأشنع التهم ، من كفر ، أو شرك ، أو هوى ؟ وماذا علينا أن نرجح من غير تسفيه للجانب الآخر ؟ بل ماذا علينا أن نلوذ بالصمت ، ونعتصم بالسكوت ، فلا نخوض في أمثال هذه الدقائق العويصة ، والمسالك الملتوية ، البعيدة ؟ لاسيما أن الرحمن الرحيم لم يكلفنا بها ولم يفرضها علينا" (١) .

فهو يعتبر أن هذا من التأويلات السائغة !! وأن أهل السنة والمعتزلة يلتقون في نقطة واحدة ، وهي تحقيق الاعتقاد بالوحدانية والحكمة . !!

إن من درس عقائد المعتزلة يعلم بطلان هذا القول !! إذ أن المعتزلة ينفون صفات الله عز وجل ، وهذا أمر يخرم ثلث التوحيد كما هو معلوم . ويقولون بخلق القرآن .. وقد أجمع السلف على تكفير من قال بهذه المقالة .. ويزعمون أن العبد يخلق فعله .. إلى غير ذلك من الكفريات المعروفة .. فأي توحيد نلتقي معهم فيه ..؟!

و أما قوله :"بل ماذا علينا أن نلوذ بالصمت ..إلخ" فهذا غير صحيح ، لأن هؤلاء المعتزلة وإخوانهم من الأشاعرة ، خلطوا في هذا الباب ، ولبَّسوا فيه على العامة والخاصة .. فكان الواجب على أهل السنة ـ أصحاب الحق وأهله ـ أن يبينوا الصواب في هذا الباب ، وأن يظهروا ضلال من ضل فيه .. وهذا من النصح الواجب لله ولكتابه ولرسوله وللمسلمين .

قال في شرح الطحاوية : "وكلما بعد العهد ظهرت البدع ، وكثر التحريف الذي سماه أهله تأويلا ليقبل ... فاحتاج المؤمنون بعد ذلك إلى إيضاح الأدلة ، ودفع الشبه الواردة عليها ، وكثر الكلام والشغب ، وسبب ذلك إصغاؤهم إلى شبه

١ـ مناهل العرفان (٥١٠/١).

المبطلين ، وخوضهم في الكلام المذموم الذي عابه السلف ..." (١) اهـ

تنبيهان :

الأول :

حينما ذكرنا تكفير السلف من قال بخلق القرآن ، أو نحو هذه العبارات التي فيها إطلاق الكفر على بعض المقالات ، فإن ذلك لا يعني تكفير أعيان المعتزلة مثلا .. لأن الكفر إنما يتحقق بتوفر شروطه وانتفاء موانعه .. فإذا تم ذلك في شخص بعينه أطلق عليه الكفر ، وإلا فلا .

الثاني:

أشار المؤلف في بعض كلامه السابق إلى أن أهل السنة والمعتزلة يلتقون على نتيجة ونهاية واحدة ، وهي إثبات وحدانية الله وحكمته ..

و بما أن المؤلف يطلق أهل السنة عادة ويريد بهم الأشاعرة .. أردت أن أنبه إلى أن الأشاعرة والمعتزلة لا يوافقون أهل السنة والجماعة ـ الذين هم على طريقة السلف الصالح ـ في إثبات الحكمة تمام الموافقة وإنما يختلفون معهم في أمور .. (٢) .

و سوف أوجز لك مذهب كل من أهل السنة والجماعة ، والأشاعرة ، والمعتزلة ، في هذه الصفة فيما يأتي :

١ ـ مذهب أهل السنة والجماعة !! :"وهو أن الله تعالى حكيم لا يخلو فعل من أفعاله من حكمة .

"و هذه الحكمة مقصودة له تعالى ، يفعل لأجلها ، لأنه يحبها ويرضاها .. لا كما يقول الأشاعرة ، ومن هو على شاكلتهم ، بأنها مترتبة على الفعل ، حاصلة عقيبه . أي لا يفعل لأجلها .. لأنها على قولهم ـ أي الأشاعرة ـ لا تكون حكمة ، بل

يستحيل أن تكون حكمة وهي غير مقصودة بالفعل" (١) .

ثم إن هذه الحكمة ، صفة من صفات الله عز وجل ، عند أهل السنة والجماعة ، وليست كذلك عند الأشاعرة ولا المعتزلة .

٢ ـ مذهب الأشاعرة : وهو أنها مترتبة على أفعال الله تعالى ، على سبيل الجواز (٢)بخلاف الماتريدية ، الذين يرون أن هذا الترتب إنما هو على سبيل اللزوم (٣) ، تفضلا منه سبحانه .

فالأشاعرة يرون أن أفعال الله تعالى لا تعلل بالغايات ، وإنما يفعل تعالى بمحض المشيئة والإرادة ، دون أن يتوقف فعله على الحِكَم ، فلا يبعثه باعث على الفعل .. والحِكَم المترتبة على أفعاله غير مقصودة له تعالى ، وإنما هي حاصلة عقب الفعل مترتبة عليه ..(٤) .

كما أن الأشاعرة لا يعدون الحكمة من صفات الرب جل وعلا .

٣ـ مذهب المعتزلة : وهو أنه لا يجوز خلو فعل من أفعال الله تعالى عن حكمة ، و"غرض" . والفرق بينهم وبين أهل السنة في هذا يمكن أن نوجزه في ثلاثة أمور :

أ ـ أن الحكمة صفة لله تعالى، (٥) بينما هي عند المعتزلة مخلوقة منفصلة عنه سبحانه . وهي تعود على العباد ، ولا يعود إليه منها حكم .. لأن المقصود بها عندهم الإحسان إلى الخلق ، ومراعاة مصالحهم ، كما أن الحكمة في الأمر تعويض المكلفين بالثواب ..

و أهل السنة لا يوافقونهم في كونها لا يعود منها إلى الله تعالى حكم ، وإنما يقولون بأنها تتضمن شيئين :

الأول : حكمة تعود إليه يحبها ويرضاها .. ففي المأمورات فإنه يحب الطاعة ويرضاها ،و يفرح بتوبة التائب ، كما أنه تعالى يغار أعظم من غيرة عباده .. وذلك إذا انتهكت محارمه سبحانه .

١ـ ما بين الأقواس من كتاب الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى "بتصرف) . (ص٣٦ـ٣٧) .

٢ـ انظر : الحكمة والتعليل (ص٥٤) .

٣ـ انظر : الحكمة والتعليل(ص٥٤) .

٤ـ المصدر السابق (٦٢) .

٥ـ أي عند أهل السنة .

الثاني : رحمة تعود إلى عباده ، وهي نعمة عليهم يفرحون بها ويلتذون ، وهكذا يكون في المأمورات ، وفي المخلوقات .(١)

ب ـ أن المعتزلة أوجبوا على الله تعالى أموراً ؛ كفعل الصلاح .. ومنعوا عليه أموراً كإثابة المطيع ومعاقبة العاصي ، والعوض عن الآلام ..(٢) بينما يرى أهل السنة أن الله تعالى يثيب العباد بفضله ،ويعاقبهم بعدله . فهو المتفضل على المطيع بالطاعة والتوفيق .. والخلق خلقه ، والأمر أمره ، والقضاء قضاؤه ..إن عاقبهم فهو غير ظالم لهم ، وإن أدخلهم الجنة فهو متفضل عليهم .

ج ـ المعتزلة يطلقون لفظ "الغرض" بمعنى الحكمة ، وهذا الإطلاق لم يرد في الكتاب ولا في السنة ، وإنما الوارد هو "الحكمة" ، فلا ينبغي إطلاق الأول . ولأنه قد يوهم معنى باطلا .(٣)

و بعد هذا الإيقاظ نعود إلى المناهل مرة أخرى حول موضوع الخلاف ، فنراه يقول : "..إن المسلمين لا يجوز لهم أن ينقسموا شيعاً وأحزاباً ، لأمر ليس من الدين ، فضلا عن أن يكون من أصول الدين ، وإذا التمسنا المعاذير لخوض من خاضوا ، أو يخوضون فيه دفعاً لشبهات المشتبهين ، أو ضلال المضللين ، فلن نستطيع التماس عذر واحد لمن شنوها حرباً شعواء بينهم وبين إخوانهم في الدين . وما كان لهم أن يخرجوا من مثل هذا البحث أعداء متخاذلين ، وقد كانوا بالأمس إخواناً متفاهمين متعاونين .

و إذا فلنستمسك بالعروة الوثقى ، ولنفسح صدورنا للخلافيات ، مادام صدر الإسلام قد وسعها . ولنعلم أن الإسلام أوسع من المذاهب والآراء . ولئن ضقت ذرعاً برأي أخيك اليوم ، فقد ترى أنت رأيه غداً ، عندما تقتنع بوجهة نظره . فقد رجع كثير من أعلام الأئمة عن أراء رأوها ، بل عن مذاهب كانوا قد ذهبوا إليها ، ولعلك لا تجهل أن للشافعي مذهباً قديماً ، ومذهباً جديداً ، وأن الخلاف في لواحق العقائد والأصول كثير الشبه بالخلاف في الأحكام والفروع .

لهذا كله تراني لا أذهب مع الذاهبين في تضليل المعتزلة ، وتسفيه أحلامهم ،

ونبزهم بألقاب الكفر والفسوق ..." اهـ (١) .

وأنت ترى أن هذا الكلام عليه مآخذ كثيرة أيضاً ..

إن القول بأن التفرق والانقسام والتحزب ليس من الإسلام في شيء ... قول صحيح .. فلا يجوز للإنسان إلا التحزب للإسلام فحسب .. يوالي على ذلك ويعادي ، ويقرب ويبعد .. فإن أتي أحد بناقض من نواقض الإسلام ، أو ابتدع فيه بدعاً وألبسها لبوسه .. فإننا نفترق معه بقدر جرمه وحدثه الذي أحدث في الديانة .. والإثم والوزر منسوب إليه في ذلك .. فإنه هو الذي أتى بما يوجب مفارقته ..

ومما ينبغي أن يعلم ، أن الولاء والبراء يتجزأ عند أهل الحق ، لا كما يقول الخوارج والمعتزلة .. فالكافر لا نصيب له من الموالاة .. أما المبتدع والفاسق فمادام لم يخرجه جرمه من الإسلام فله من الولاء بقدر ماحقق من الاستقامة ، وله من الإبعاد والمفارقة بقدر ما ارتكب من الانحراف ..

وإن عداوة أهل البدع ـ بقدر بدعتهم ـ أصل عظيم ، دعت إليه الشريعة .. وسار عليه الأصحاب فمن بعدهم من أهل الاستقامة .. فهو من الدين لا كما قال المؤلف ..

وينبغي أن تعلم أن الذين شنوها حرباً على أهل البدع بالسيف واللسان ، هم أصحاب رسول الله ﷺ فأنت على علم بما فعل علي رضي الله عنه بالخوارج .. وما قاله ابن عمر في القدرية ، وغير ذلك كثير عنهم .. ثم أتباعهم ، ومن جاء بعدهم مقتفياً أثرهم ، سائراً على طريقتهم .. والكتب مليئة بأقوالهم في هذا ، وتشديد النكير منهم على أهل البدع ..

وإن صدر الإسلام لا يتسع لمثل خلافات الجهمية والمعتزلة .. فإن الكفر والإيمان ، والحق والباطل ، لايجتمعان حتى تشيب مفارق الغربان !! ..

ولا يخفى على ذوي الألباب السليمة ، العارفين بما هم عليه من الطريقة القويمة ـ التي خطها لهم خاتم الرسل صلوات الله وسلامه عليه ، وجلاها ، حتى تركها وهي كالمحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لايزيغ عنها إلا هالك ـ أن مفارقتها هلاك محقق .. نجزم بذلك ولا نرتاب فيه قيد أنملة ..

وبذا تعلم مجانبة المؤلف للصواب حينما قال : "ولئن ضقت ذرعاً برأي

١ـ مناهل العرفان (١/١١٥ـ١١٦)

أخيك اليوم ، فقد ترى أنت رأيه غداً عندما تقتنع بوجهة نظره .." اهـ ﴿أفي الله شك فاطر السماوات والأرض ..﴾ ؟(١).

ومن أعظم الخطأ وأفحشه .. ربط الخلاف في الأصول ، بالخلاف في الفروع ، والتمثيل لاحدهما بالآخر ، كما فعل المؤلف تماماً حينما أشار إلى مذهب الشافعي رحمه الله القديم والجديد ، ورجوعه عن الأول .. فلا مقارنة ولا مقاربة بين هذا وذاك ، بخلاف ما توهمه المؤلف حينما قال : "وأن الخلاف في لواحق العقائد والأصول كثير الشبه بالخلاف في الأحكام والفروع" اهـ ..

إن من أعظم مقتضيات الغيرة على هذا الدين وعقيدته ، محاربة البدع وأهلها .. والتشهير بهم لئلا يغتر بهم جاهل أو غبي .. لا السكوت عن ذلك .. وسأورد لك هنا بعض النصوص عن السلف الصالح ، المبينة لحقيقة موقفهم من أهل البدع على اختلاف مذاهبهم :

١ـ قال يحيى بن يعمر : قلت لابن عمر ، أو قال له رجل : إنا نسافر فنلقى قوماً يقولون لاقدر . قال : فإذا لقيت أولئك فأخبرهم أن ابن عمر منهم بريء ، وهم منه براء . ثلاث مرار .(٢) .

٢ـ قال عقبة بن علقمة البيروتي :(٣)كنت جالساً عند أرطاة (٤)- هو ابن المنذر بن الأسود الحمصي ـ فقال بعض أهل المجلس: ما تقولون في الرجل يجالس أهل السنة ، ويخالطهم ، فإذا ذكر أهل البدع قال دعونا من ذكرهم ، فلا يذكرونهم .

قال : يقول أرطاة : هو منهم ، لا يلبس عليكم أمره .

قال : فانكرت ذلك من قول أرطاة ، فقدمت على الأوزاعي ، وكان كشافاً لهذه الأشياء ، إذا بلغته ، فقال : صدق أرطاة ، والقول ما قال . هذا ينهي عن

١- إبراهيم (١٠) .

٢- السنة لعبد الله بن أحمد رقم (٩٢١،٩٢٤،٩٢٦) ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة رقم (١٠٣٨،١٠٣٩،١١٦٣) ، مسلم بشرح النووي (١/ص١٥٥ـ١٦١) .

٣- عقبة بن علقمة البيروتي المعافري . قال عنه الحافظ : "صدوق ، لكن كان ابنه محمد يدخل عليه ماليس

ذكرهم ، ومتى يُحذروا إذا لم يشاد بذكرهم ؟ .اهـ (١) .

٣ ـ قال يحيى بن إبراهيم ، أبو سهل ، راهوية : كنت أدعو على الجهمية فأكثر ، فذكرت ذلك لعبد الله بن المبارك ، ودخل قلبي من ذلك شيء ، فقال : لا يدخل قلبك ، فإنهم يجعلون ربك الذي تعبد لاشيء .(٢) و في لفظ : قال له رجل ياأبا عبد الرحمن ، قد خفت الله عز وجل من كثرة ما أدعو على الجهمية . قال : لا تخف ، فإنهم يزعمون أن إلهك الذي في السماء ليس بشيء .(٣) .

٤ـ قال سفيان بن عيينة : "القرآن كلام الله عز وجل ، من قال مخلوق فهو كافر ومن شك في كفره فهو كافر" ، (٤) .

وقال أيضاً : "من قال القرآن مخلوق ؛ كان محتاجاً أن يصلب على ذباب (يعني جبل)(٥) [وهو معروف في المدينة] .

٥ـ قال رجل لعبد الله بن إدريس الأودي (٦) ـ شيخ مالك وابن المبارك ـ : "يا أبا محمد ، إن قِبَلَنَا ناساً يقولون : إن القرآن مخلوق . فقال : من اليهود ؟ قال : لا . قال : فمن النصارى ؟ قال: لا . قال : فمن المجوس ؟ قال لا . قال: فمن ؟ قال : من الموحدين . قال :كذبوا ، ليس هؤلاء بموحدين . هؤلاء زنادقة ، من زعم أن القرآن مخلوق ، فقد زعم أن الله عز وجل مخلوق . ومن زعم أن الله تعالى مخلوق فقد كفر . هؤلاء زنادقة ، هؤلاء زنادقة" .(٧) .

٦ـ قال ابن مهدي : "لو كان لي من الأمر شيء ، لقمت على الجسر ، فلا يمر بي أحد من الجهمية ، إلا سألته عن القرآن ، فإن قال مخلوق ضربت رأسه ورميت به في الماء . (٨) .

١ـ تذكرة السامع والمتكلم (ص١٥٤) ، تهذيب تاريخ دمشق (٣٧٢/٢) .

٢ـ السنة لعبد الله بن أحمد رقم (١٨) .

٣ـ السنة لعبد الله بن أحمد رقم (٢٤) .

٤ـ السنة لعبد الله بن أحمد رقم (٢٥) .

٥ـ السنة لعبد الله بن أحمد رقم (٢٦) .

٦ـ هو عبد الله بن أدريس بن يزيد بن عبد الرحمن الأودي ، أبو محمد الكوفي ، فقيه ، ثقة ، عابد ، توفي سنة (١٩٢اهـ) . التقريب (٤٠١/١) .

٧ـ السنة لعبد الله بن أحمد رقم (٢٨) ، خلق الأفعال رقم (٥) .

٨ـ السنة لعبد الله بن أحمد رقم (٢٠٦،٤٦) ، خلق الأفعال رقم (٥١) ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة رقم (٥٠٤) .

٧ـ قال هارون الرشيد : "بلغني أن بشراً المريسي يزعم أن القرآن مخلوق ، لله علي إن أظفرني به إلا قتلته قتلته ما قتلها أحد قط" .(١) .

٨ـ قال عبد الله بن أحمد : "سمعت أبي يقول : من قال لفظي بالقرآن مخلوق ؛ هذا كلام سوء رديء ؛ وهو كلام الجهمية . قلت له : إن الكرابيسي يقول هذا . فقال : كذب هتكه الله الخبيث ـ وقال : قد خلف هذا بشراً المريسي..."(٢).

٩ـ قال يزيد بن هارون : "لعن الله الجهم ، ومن قال بقوله . كان كافراً جاحداً ، ترك الصلاة أربعين يوماً ، يزعم أنه يرتاد ديناً . وذلك أنه شك في الإسلام ."(٣) .

١٠ـ قال عبد الرحمن بن عبد الله بن سوار : كنت عند سفيان بن عيينة ؛ فوثب الناس على بشر المريسي ، حتى ضربوه ، وقالوا : جهمي . فقال له سفيان : يا دويبة ، يا دويبة ، ألم تسمع الله عز وجل يقول : ﴿ألا له الخلق والأمر﴾(٤) (٥).

١١ـ عقد عبد الله بن أحمد في كتاب "السنة" فصلا سماه "من زعم أن الله عز وجل لا يتكلم فهو يعبد الأصنام" . (٦) وذكر آثاراًمتعددة ، منها أثر هارون بن معروف (٧) أنه قال : "من زعم أن الله عز وجل لا يتكلم فهو يعبد الأصنام" .(٨) .

١٢ـ قال الثوري : قال لي حماد بن أبي سليمان (٩) : أبلغ أبا فلان المشرك أني بريء من دينه . وكان يقول : القرآن مخلوق" . (١٠)

١٣ـ قال البخاري : "نظرت في كلام اليهود ، والنصارى ، والمجوس ، فما

١ـ السنة لعبد الله بن أحمد رقم (١٩٧،٦٦) .

٢ـ المصدر السابق رقم (١٨٦).

٣ـ السنة لعبد الله بن أحمد رقم (١٨٩) .

٤ـ الأعراف (٥٤)

٥ـ السنة لعبد الله بن أحمد رقم (١٩٦) .

٦ـ المصدر السابق (ص١٧٢) .

٧ـ هارون بن معروف المروزي ، أبو علي الخزاز ، الضرير ، نزيل بغداد ، توفي سنة (٢٣١هـ) وعمره ٧٤سنة . التقريب (٣١٣/٢) .

٨ـ السنة لعبد الله بن أحمد رقم (٢٠٩) .

رأيت أضل في كفرهم منهم . (١) وإني لأستجهل من لا يكفرهم إلا من لا يعرف كفرهم" . (٢) .

١٤ـ قال ابن أبي رواد "قد جاءكم ثور -(٣) . اتقوا ، لا ينطحنكم بقرنيه - يعني ثور بن يزيد . قال اللالكائي : وكان قدرياً" . (٤) .

١٥ـ قال الفضيل بن عياض : "من جلس مع صاحب بدعة فاحذره ، ومن جلس مع صاحب البدعة لم يعط الحكمة ، وأحب أن يكون بيني وبين صاحب بدعة حصن من حديد ؛ أكل عند اليهودي والنصراني أحب إلي من أن آكل عند صاحب بدعة" . (٥) .

١٦ـ قال عاصم الأحول : "جلست إلى قتادة ، فذكر عمرو بن عبيد فيه . فقلت : يا أبا الخطاب ! ألا أرى العلماء يقع بعضهم في بعض ؟! قال : يا أحول ، ولا تدري أن الرجل إذا ابتدع بدعة فينبغي لها أن تذكر حتى تعلم ؟! ..." (٦) .

وفي لفظ : "كان قتادة يقصر بعمرو بن عبيد ، فجثوت على ركبتي ، قلت : يا أبا الخطاب ! وإذا الفقهاء ينال بعضها من بعض ؟! قال : يا أحول : رجل ابتدع بدعة تذكر بدعته خير من أن يكف عنها .." (٧) .

١٧ـ ذكر المريسي عند سفيان بن عيينة ؛ فقال : ما تقول الدويبة ؟ ما تقول الدويبة ؟ استهزاء به . (٨) .

١٨ـ قال وكيع بن الجراح : "على المريسي لعنة الله ، يهودي أو نصراني .." وقال أيضاً : "عليه وعلى أصحابه لعنة الله . القرآن كلام الله ." (٩) .

١٩ـ قال يزيد بن هارون : "لقد حرضت أهل بغداد على قتله بجهدي ـ يعني

١ـ يعني القائلين بخلق القرآن .

٢ـ المصدر السابق رقم (٣٥) .

٣ـ ثور بن يزيد ، أبو خالد الحمصي ، قال عنه الحافظ : "ثقة ثبت ، إلا أنه يرى القدر" اهـ توفي سنة (١٥٠هـ) وقيل غير ذلك . التقريب (١/١٢١).

٤ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة رقم (١١٤٧) .

٥ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم (١١٤٩) .

٦ـ المصدر السابق رقم (١٣٧٢)، تاريخ بغداد ١٢/١٧٨ـ١٧٩) .

٧ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم (١٣٩٥) .

٨ـ خلق الأفعال رقم (٣٧) .

٩ـ المصدر السابق رقم (٤٤) .

المريسي -" (١) .

٢٠- قال البخاري : "ما أبالي صليت خلف الجهمي ، والرافضي ، أم صليت خلف اليهود والنصارى ، ولا يسلم عليهم ، ولا يعادون ، ولا يناكحون ، ولا يشهدون ، ولا تؤكل ذبائحهم" . (٢) .

٢١- قال يزيد بن هارون في أبي بكر الأصم (٣) ، والمريسي : "هما والله زنديقان ، كافران بالرحمن حلالي الدم" . (٤) .

والحاصل أن هذا قليل من كثير ، وغيض من فيض ، مما هو مسطر في كتب أعلام أهل السنة والجماعة ، سواء في هجرهم ، أو التشهير بهم ، أو تكفيرهم ، وعدم مناكحتهم ، وترك السلام عليهم ، أو قتلهم ، أو ضربهم ، أو غير ذلك مما هو منقول عنهم ومستفيض (٥) .فأين هذا كله ، وغيره أكثر منه ، من كلام المؤلف-هنا؟!.

هذا وإن مما يزيد الرغبة في بيان هذا الأصل العظيم ، والمنهج القويم ، والقسطاس المستقيم ، تعالي الهتافات والنداءات في هذا العصر ، من هنا وهناك ، بالمطالبة بالكف عن ذكر أهل البدع ومذاهبهم ، بدعوى أن ذلك يثير الفرقة بين المسلمين !! بل بلغ بهم الأمر إلى إهمال جانب الاعتقاد ، والعناية به ، تعلماً وتعليماً بمثل هذه الدعوى الآثمة ، والله المستعان .

١- المصدر السابق رقم (٤٦) .

٢- المصدر السابق رقم (٥٣) .

٣- أبو بكر الأصم . شيخ المعتزلة ، له كتاب "خلق القرآن" توفي سنة (٢٠١هـ) . السير (٤٠٢/٩) .

٤- خلق الأفعال رقم (٧٤) .

٥- انظر على سبيل المثال : السنة للخلال (ج١/ ٤٨٩ وما بعدها) ، والسنة لعبد الله بن أحمد (ج١/ص٢١ وما بعدها) ،

المسألة السابعة : في الكسب وفعل العبد بين أهل السنة والأشاعرة :(١)

قال المؤلف رحمه الله في معرض حديثه عن مذهب أهل السنة ـ وهم الأشاعرة عنده ـ في أفعال العباد ، وخلق الله تعالى لها : "... إن العبد لا يخلق أفعال نفسه الاختيارية ، إنما هي خلق الله وحده ... قالوا: إن العباد ـ وإن لم يكونوا خالقين لأعمالهم ـ كاسبون لها . وهذا الكسب هو مناط التكليف ، ومدار الثواب والعقاب . وبه يتحقق عدل الله ، وحكمته فيما شرع للمكلفين ... ثم إذا قيل لهم : ما هذا الكسب ؟!

اختلف الأشعري والماتريدي في تحديده : أهو مقارنة القدرة القديمة للحادثة ، أم هو العزم المصمم ؟ ولكل وجهة نظر يطول شرحها .." اهـ(٢) .

وهذا المذهب الذي ذكره المؤلف ، مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة في هذه المسألة ..

فمذهب أهل السنة :

أن الله خالق العباد ، وخالق جميع صفاتهم ، التي من جملتها القدرة ، والإرادة ، اللذين بهما يوجد العبد جميع أفعاله .. كما يرون أن الله خالق للأسباب والمسببات .

ومعلوم أن الخالق للسبب التام ، خالق لمسببه .. فالله عز وجل هو الذي

---

١ ـ راجع في هذا الموضوع : مقالات الإسلاميين (٥٣٨ـ٥٤٢) ، تمهيد الأوائل (٣١٧ـ٣٢٠ـ٣٢٣ـ٣٦٦) ، الفرق بين الفرق (٣٣٨ـ٣٣٩) ، أصول الدين (١٣٤ـ١٣٥) ، اللمع (٦٩) ، الإرشاد (١٧٣ـ٢٠٢) ، قواعد العقائد (١٩٣ـ٢٠١) ، المواقف(١٥١) ، النووي على مسلم (١/١٥٤ـ١٥٥) ، مجموع الفتاوى (٣/١١٢ـ٨/١١٧ـ١٣٣ـ٤٠١ـ٤٠٥ـ ٤٩٦ـ٤٩٧ـ٥٠٥ـ٥١٠) ، درء التعارض (١/٨١ـ٨٦ـ٨٠٠/١٠٥٠ـ١١٢ـ١١٥) ، شفاء العليل (٤٩ـ١٣٨) ، طريق الهجرتين (٦٦ـ١٢٣) ، شرح العقيدة الطحاوية (٣٨٩ـ٤٠٥) ، وانظر أيضاً (٢٠٢ـ٣٩٠)لوامع الأنوار البهية (١/٢٩١ـ٢٩٣) ، شرح العقائد النسفية(٧٥ـ٩٥) ، شرح الفقه الأكبر لعلي القاري (٧٢ـ٨٨) ، شرح الجوهرة (٦٠ـ٩٨ـ١٠٢ـ١٠٤ـ١٠٦) ، وكتاب مسألة القضاء والقدر لعبدالحليم قنبس ، وخالد العك ، وشرح الواسطية للفوزان (١٧٥ـ١٧٧) .

٢ـ المناهل (١/٥٠٩) .

خلق القوى في العبد ، والعبد هو الفاعل حقيقة لامجازاً لأفعاله بالقوى التي أعطاها إياه ربه وخالقه (١) .

فهذا هو القول الوسط بين قولي القدرية والجبرية .. وهو إثبات كون الرب خالقاً لكل شيء ، بدليل قوله تعالى : ﴿الله خالق كل شيء﴾ (٢). وأفعال العباد داخلة تحت هذا العموم ، ولا تخرج عنه إلا بمخصص وهو غير موجود ..

وهذه الأفعال التي فعلها العباد وهو خالق لها : العباد فاعلون لها حقيقه ، وقدرة العبد لها تأثير فيها كتأثير الأسباب في مسبباتها .. والله تعالى خالق كل شيء بما خلقه من الأسباب ؛ لكن لا يستقل شيء من الأسباب بالفعل والتأثير ، كما هو معلوم .. بل السبب محتاج إلى أسباب أخر تعاونه .. وكذا هو محتاج إلى دفع موانع تعارضه .. وإنما الذي يستقل هو مشيئة الله تعالى ، لأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن (٣) .

وأما مذهب الأشاعرة :

فإنهم قالوا بأن للعباد أفعالا اختيارية ، يثابون عليها إن كانت طاعات ، ويعاقبون إن كانت معاصي .. وأن الله تعالى مستقل بخلق أفعال العباد وإيجادها ..

لكن لقدرة العبد مدخلا في هذا الموضوع ، وهو الكسب .. فالعبد كاسب ، والرب خالق !!

فتوجيه العبد قدرته وإرادته إلى الفعل كسب .. وإيجاد الله تعالى للفعل عقيب ذلك خلق ..

قالوا : إن الله تعالى أجرى العادة بخلق الفعل عند قدرة العبد وإرادته ،

لا بهما ، فهذا الاقتران هو الكسب . (١) .

مع كونهم اضطربوا اضراباً كبيراً في تفسير هذا الكسب ، وبيان حقيقته وجدواه !!

وقد عده العقلاء من محالات الكلام الثلاث المعروفة . (٢) .

ومن مذهبهم في هذا أيضاً : أنهم يرون أن قدرة العبد التي أشرنا إليها آنفاً لا تأثير لها في حدوث مقدورها ، ولا في صفة من صفاتها .(٣) لكن جرت العادة بخلق مقدورها مقارناً لها .. وبذا يكون الفعل خلقاً لله ، وكسباً للعبد ، لوقوعه مقارناً لقدرته .. وهذا ظاهر في أن هذا الكسب المزعوم ، لا حقيقة له ولا تأثير ، وإنما الأمر متعلق بالقدرة القديمة فقط ، دون الحادثة . وهذا لايخرج في الواقع عن مذهب الجبرية !!

تفريقهم بين الخلق والكسب :

قالوا : قدرة الخالق قديمة ، وقدرة العبد حادثة ؛ فإذا اقترنت القدرتان ، وجد الفعل ، وكان كسباً بالنظر لصاحب القدرة الحادثة ، وخلقاً بالنسبة للقدرة القديمة !!

فإذا تعلق الفعل بالقدرة القديمة ، فهذا هو الخلق ..

وبعبارة أخرى : "الكسب عبارة عن الاقتران العادي ، بين القدرة المحدثة ، والفعل ، فإن الله سبحانه أجرى العادة بخلق الفعل عند قدرة العبد وإرداته ، لا بهما . فهذا الاقتران هو الكسب" (٤)و خلاصة هذا كله أن يقال :

إن من صدر الفعل منه بقدرة قديمة ، كان خالقاً ، ومن صدر منه بقدرة حادثة . فهو كاسب .

١ـ مسألة القضاء والقدر (٣٦ـ٣٧) .

٢ـ وهي : كسب الأشعري ، وطفرة النظام ، وأحوال أبي هاشم .

٣ـ انظر مجموع الفتاوى (١١٨/٨) ،شفاء العليل (ص١٢٢) .

٤ـ ما بين الاقواس من كلام ابن القيم من شفاء العليل (ص١٢٢) وانظر (ص١٣٠) .

ذكر الرد على الأشاعرة في هذه المسألة :

إنه من الضروري لبيان صواب قول أو خطئه .. أن تفهم وتُبيِّن اصطلاحات صاحب هذا القول ، أو المذهب أولا .. ثم تفصيل العبارات المجملة وتوضيحها ثانياً ؛ كي يتسنى إعطاء كل ما يناسبه من الأحكام .

بعد ذلك أقول : إنه لابد لنا قبل أن نشرع في الرد على الأشاعرة هنا من أن نبين قضيتين هامتين في هذا الموضوع هما :

القضية الأولى :

في نسبة الفعل إلى فاعله ، كقولك : فلان فعل كذا ..

فهذا فيه إجمال .. لأنه يراد بالفعل أحياناً الفعل ذاته ، وأحياناً يراد به المفعول الذي هو ناتج عنه ، وحاصل بسببه ، كبناء الدار ، وخياطة الثوب ... فينبغي أن يفرق بين العمل والمعمول .

قال تعالى : ﴿يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل ..﴾(١)فجعل هذه الأمور معمولة للجن ، ومن هذا الباب قوله تعالى : ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ (٢)، أي الذي تعملون . والمراد به ما تنحتونه من الأصنام وغيرها من المعبودات التي صنعتها أيديهم ، كما قال تعالى : ﴿أتعبدون ما تنحتون ، والله خلقكم وما تعملون﴾ (٣)... أي خلقكم وخلق الأصنام التي تنحتونها .

فلفظ الفعل ، والعمل ، والصنع ، يطلق ويراد به إما هذا وإما هذا ، ومثله لفظ التلاوة مثلا ، فإنه يطلق على فعل العبد الذي هو القراءة ، كما يطلق على المتلو والمقروء .

فمن قال بأن هذه التصرفات فعل الله ، أو فعل العبد .. فينظر بمراده .. فإن أراد بقوله هي فعل الله : أنها مفعولة مخلوقة لله ، كسائر المخلوقات ، فهذا حق ، ومن أطلق ذلك وأراد به أنها فعل الله بمعنى المصدر ، فهذا باطل .

و ذلك لأن هذه الأشياء إنما هي مفعولة لله ، وليست هي نفس فعله ، كما بينا

الفرق بينهما آنفاً .. أما العبد فإنها فعله القائم به ، إن أُريد بالفعل المعنى الأول . وهي أيضاً مفعولة له ، إذا أُريد بالفعل المفعول كما تقدم .

و عليه فنقول : الكذب . والظلم ، وغير ذلك من القبائح ، إنما يتصف بها من كانت فعلا له ، بمعنى قيامها به ، كالعبد . لكن لا يتصف بها من كانت مخلوقة له إذا جعلها صفة لغيره (١) .

القضية الثانية : التأثير .

فالأشاعرة يفرون من إثبات التأثير من جهة المخلوق ، ويرون أن ذلك مختص بالخالق وحده .. حتى أنكروا باء السببية ، وكفروا من قال بأن شيئاً من المخلوقات يؤثر بذاته .. واختلفوا فيمن قال بتأثير شيء من المخلوقات بقوة أودعها الله فيه .. مع اتفاقهم على تبديعه .. فلا يقال إن النار هي علة الإحراق مثلا .. حتى أنهم يقولون : الرجل إذا كسر الزجاجة ، فإنها لم تنكسر بكسره . وإنما انكسرت عند كسره .. وإن الاحتراق إنما يقع عند الملامسة للنار ، لا بسببها .. والشبع لا يحصل بالأكل ، وإنما عنده .. ، وأتوا من ذلك بأمور أضحكت منهم العقلاء !!

و الصواب من القول هو أن لفظ "التأثير" فيه إجمال ؛ فإن القدرة مع مقدورها ، كالسبب مع المسبب ، والعلة مع المعلول ، فإن كان المراد بالقدرة ، هو القدرة الشرعية ، المتقدمة على الفعل ، والمصححة له ، فيقال : تلك شرط للفعل ، وسبب من أسبابه ، وهي علة ناقصة له .

و إن أريد بالقدرة ، القدرة المقارنة للفعل ، المستلزمة له ، فتلك علة للفعل وسبب تام ، وإنما هذا راجع إلى مشيئة الله تعالى وحده ، وقدرته ، ولا يكون شيء من ذلك لاحد من الخلق البتة .

فالعلة والسبب ، منها ما هو ناقص لا يكون الحادث به وحده ، وإنما لابد من توافر أسباب أخرى له وشروط ، مع انتفاء موانعه .. وهذا كالنار في الإحراق ، والشمس في الإشراق ، والطعام والشراب في الإشباع ، والإرواء ، ونحو ذلك .

١ـ هذا الكلام ملخص من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية من مجموع الفتاوى (٨/١٢٠ـ١٢٣) ، وانظر شفاء العليل (ص١٣١) .

و أما العلة والسبب التامان ، فإنهما مستلزمات لحدوث الفعل ، ليس كالأول .

فإن فُسر التأثير بوجود شرط الحادث ، أو سبب يتوقف حدوث الحادث به على سبب آخر مع انتفاء الموانع ـ وكل ذلك بخلق الله تعالى ـ فهذا صحيح .

أما إذا فُسر التأثير ، بأن المؤثر مستقل بالأثر استقلالا من غير مشارك ، فهذا ممتنع بالنسبة للمخلوق ، وإنما هو للخالق وحده . (١) .

و بهذا تعرف أن إطلاق نفي التأثير بالنسبة للمخلوق ، غير مسلم كما تقدم.

وبعد أن عرفت هاتين القضيتين الهامتين ، يحسن بك أن تعرف بعض الوجوه التي يمكن بها الرد على الأشاعرة في مسألة الكسب ، على وجه الاختصار والإيجاز ، فنقول في الرد عليهم ما يلي (٢) :

١ ـ أن تفريقكم بين الكسب والفعل والإيجاد والصنع ، ونسبة الأول للمخلوق ، دون ما بعده .. غير مستقيم لأنه في الحقيقة لا يثبت لا في اللغة ، ولا في الشرع ، ولا في العقل ، فإنه لا يوجب فرقاً بينهما . ففعله وإحداثه ، وصنعه وعمله ، مقدور بالقدرة الحادثة ، وهو في نفس الوقت قائم في محلها ، فكيف تمنعون نسبته إليه ؟

٢ ـ من المستقر في الفطر السليمة ، أن من فعل العدل ، فهو عادل ، ومن فعل الظلم ، فهو ظالم .. فإذا لم يكن العبد فاعلا لظلمه ، وعدله . بل الله تعالى هو الفاعل لذلك ، فإنه يلزم من ذلك أن يكون هو المتصف بالظلم .. إلخ . وهذا باطل .

ثم إنكم تقولون إن من قام به العلم ، فهو عالم ، ومن قامت به القدرة ، فهو قادر .. فهكذا قولوا في من قام به الفعل !!

٣ ـ أن نصوص الكتاب والسنة ، مليئة جداً بالآيات ، والأحاديث التي تضيف أفعال العباد إليهم ، كقوله تعالى : ﴿هل تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ (٣) ،

١ـ انظر مجموع الفتاوى (٨/١٣٣ـ١٣٥) مع مراجعة كتب الأشاعرة التي قدمنا ذكر بعضها مع أرقام

﴿اعملوا ما شئتم﴾ (١) ، ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ..﴾ (٢) .

٤ ـ اتفاق الشرائع ، والعقول ، على أن العبد يحمد ويذم على فعله ، ويكون هذا الفعل حسنة له ، أو سيئة ، فلو كان هذا الفعل لغيره ، لكان هو المحمود والمذموم .

٥ـ أنتم تقولون بأن الإنسان ليس بفاعل حقيقة ، والفاعل هو الله وحده . مع كون أفعال الإنسان قائمة به ، ولم تقم بغيره .. فإذا لم يكن الإنسان فاعلها مع قيامها به ، فكيف يكون الله سبحانه وتعالى هو فاعلها ؟! ولو كان فاعلها لعادت أحكامها عليه ، واشتقت له منها أسماء ، وذلك مستحيل على الله تعالى ؛ فيلزمك أن تكون أفعالا لا فاعل لها ، فإن العبد ليس بفاعل عندك ، ولو كان الرب فاعلا لها ، لا شتقت له منها أسماء ، وعاد حكمها عليه !!

قال ابن القيم رحمه الله ، لما ساق قول الأشاعرة في الكسب : "... فإن كونها طاعة و معصية ، هو موافقة الأمر ، ومخالفته ، فهذه الموافقة والمخالفة ، إما أن تكون فعلا للعبد ، يتعلق بقدرته واختياره، وإن كان لم يكن للعبد اختيار ولا فعل ... البتة ، فلم يثبت هؤلاء من الكسب أمراً معقولا . ولهذا يقال : محالات الكلام ثلاثة : كسب الأشعري ، وأحوال أبي هاشم ، وطفرة النظام" اهـ (٣) .

و قال ابن تيمية رحمه الله : ".. ومن قال إن قدرة العبد وغيرها من الأسباب التي خلق الله تعالى بها المخلوقات ، ليست أسباباً ، أو أن وجودها كعدمها ، وليس هناك إلا مجرد اقتران عادي ، كاقتران الدليل بالمدلول ، فقد جحد ما في خلق الله وشرعه من الأسباب والحكم والعلل ، ولم يجعل في العين قوة تمتاز بها عن الخد تبصر بها ، ولا في القلب قوة يمتاز بها عن الرِجْل يعقل بها ، ولا في النار قوة تمتاز بها عن التراب تحرق بها ، وهؤلاء ينكرون ما في الأجسام المطبوعة من الطبائع والغرائز ..."(٤) اهـ .

١ـ فصلت (٤٠) .

٢ـ التوبة (١٠٥) .

٣ـ شفاء العليل (ص٥٠) .

٤ـ مجموع الفتاوى (١٣٦ـ١٣٧) وراجع بقية كلامه رحمه الله .

المسألة الثامنة : في بيان أن السلف تكلموا في أن الله تعالى خالق أفعال العباد ، وأظهروا ذلك :

لقد قال المؤلف رحمه الله :"ولقد كان سلفنا الصالح ، يؤمنون بوحدانية الله وعدله . ويؤمنون بقدره وأمره ، ويؤمنون بهذه النصوص وتلك النصوص . ويؤمنون بأن العبد يعمل ما يعمل ، وأن الله خالق كل شيء . ويؤمنون بأنه تعالى تنزه في قدره عن أن يكون مغلوباً ، أو عاجزاً ، وتنزه في أمره وتكليفه عن أن يكون ظالماً أو عابثاً ، ثم بعد ذلك يصمتون ، فلا يخوضون في تحديد نصيب عمل الإنسان الاختياري من قدرة الله ونصيبه من قدرة العبد . ولا يتعرضون لبيان مدى ما يبلغ فعل الله في قدره ، ولا لبيان مدى ما يبلغ فعل العبد في امتثال أمره ، ذلك ما لم يعلموه ، ولم يحاولوه ، لأنهم لم يكلفوه ..." اهـ (١) .

و مما يحسن أن يقال في هذا الموضع ... أن السلف كانوا مجمعين على أن الله تعالى خالق أفعال العباد ، وأنهم فاعلون لها على وجه الحقيقة .. كما بينا سابقاً .

و هكذا تبعهم ، وسار على طريقتهم ، سائر الأئمة بعدهم ، من أهل السنة والجماعة ...

لكن لما ظهرت طوائف أهل البدع ، كالمعتزلة ، والأشاعرة ، وغيرهم ، بدأ الخلط في هذه المسألة ، فنظر كل فريق بنظر الأعور إلى النصوص ،فقال قوم بالجبر ، وقال آخرون بما يضاد ذلك ويقابله ، واضطرب آخرون فأتوا بما لا يقره شرع ولا عقل ، بل أوقعهم موقع الشماته من قِبَل سائر العقلاء !! مع كونهم لم يخرجوا بتلك المقالة عن دائرة إخوانهم الجبرية !!

و إنما جر الجميع إلى هذه المتاهات ، الإعراض عن نصوص الوحي ، والاشتغال بالكلام المذموم .. والذي تسلح به عامة نظار الطوائف البدعية ، وعلى رأسهم الأشعرية .. الذين نصبوا من أنفسهم خصوماً للفلاسفة والمعتزلة ... ومدافعين عن مذهب أهل السنة .. فلا الإسلام نصروا ، ولا الفلاسفة كسروا !! بل وقعوا هم أنفسهم في كثير من البدع .. وردوا بدع المعتزلة وغيرهم ببدع أخرى ، قد تكون أخف منها في بعض الأحيان .. وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله في موضع قريب من

هذا المبحث .

بعد هذه التوطئة ، ننتقل بك لتبصر بعض النصوص الدالة على أن السلف قد نصوا على أن الله تعالى خالق لفعل العبد ، ولم يكتفوا بالقول بأن الله خالق كل شيء ، ثم يسكتون عما عدا هذا .

فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال :"إن الله يصنع كل صانع وصنعته" (١).

قال البخاري رحمه الله : وتلا بعضهم عند ذلك :﴿والله خلقكم وما تعملون﴾ (٢)فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقة اهـ(٣) .

و جاء عن حذيفة رضي الله عنه موقوفاً :"إن الله خلق كل صانع وصنعته ، إن الله خالق صانع الخزم وصنعته" (٤) .

و قال يحيى بن سعيد (٥) :"مازلت أسمع هن أصحابنا يقولون : إن أفعال العباد مخلوقة". (٦) .

قال البخاري رحمه الله : "حركاتهم ، وأصواتهم ، واكتسابهم ، وكتابتهم ، مخلوقة ، فأما القرآن المتلو ، المبين ، المثبت في المصحف ،المسطور ، المكتوب ، الموعى في القلوب ، فهو كلام الله ، ليس بخلق . قال الله : ﴿بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم﴾(٧) (٨) .

و قال إسحاق بن إبراهيم : "فأما الأوعية . فمن يشك في خلقها ...". (٩) .

١ـ خلق أفعال العباد رقم (١١٧) ، البيهقي في الأسماء والصفات (ص٤٣ص٣٣٢،ص٤٩١) ،وفي الاعتقاد (ص٦١) ، والسنة لابن أبي عاصم رقم(٣٥٧،٣٥٨) ، والخطيب في التاريخ (٢/ص٣١) ، والمستدرك (١/٣١ـ٣٢) ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة رقم (٩٤٢،٩٤٣) ، مجمع الزوائد (١٩٧/٧) ، كشف الأستار رقم (٢١٦٠) كلهم من حديث حذيفة رضي الله عنه .

٢ـ الصافات (٩٦) .

٣ـ خلق الأفعال رقم(١١٧) .

٤ـ المصدر السابق رقم (١١٨) .

٥ـ يحيى بن سعيد بن فروخ التميمي ، أبو سعيد القطان البصري ، إمام حافظ ، توفي سنة (١٩٨هـ) وعمره (٧٨) سنة . التقريب (٣٤٨/٢) .

٦ـ خلق الأفعال رقم (١٢٥) ، الأسماء والصفات (ص٣٣٢) ، الاعتقاد (ص٤١) ، تاريخ بغداد (٣١/٢) .

٧ـ العنكبوت (٤٩) .

٨ـ خلق أفعال العباد رقم (١٣٦) .

٩ـ خلق أفعال العباد رقم (١٢٧) ، الأسماء والصفات (ص٣٣٢) .

و قال قتادة في قوله تعالى : ﴿أتعبدون ما تنحتون﴾. (١) قال : الأصنام . ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾. (٢) قال : خلقكم وخلق ما تعملون بأيديكم" .

قال البيهقي : ولأن الله تعالى قال : ﴿وخلق كل شيء ، وهو بكل شيء عليم﴾ (٣)فامتدح بالقولين جميعاً . فكما لا يخرج شيء من علمه ، لا يخرج شيء غيره من خلقه ، ولأنه قال : ﴿وأسروا قولكم أو اجهروا به إنه عليم بذات الصدور ، ألا يعلم من خلق ..﴾ (٤)فأخبرأن قولهم ، وسرهم ، وجهرهم ، خلقه ، وهو بجميع ذلك عليم .

و قال : ﴿وأنه هو أضحك وأبكى﴾ (٥) . كما قال : ﴿وأنه هو أمات وأحيا﴾ (٦) فكما كان مميتاً ومحيياً ، بأن خلق الموت والحياة ، كان مضحكاً ومبكياً ، بأن خلق الضحك والبكاء ، وقد يضحك الكافر سروراً بقتل المسلمين ـ وهو منه كفر ـ وقد يبكي حزناً بظهور المسلمين ـ وهو منه كفر ـ فثبت أن الأفعال ، كلها خيرها وشرها ، صادرة عن خلقه وإحداثه إياها ..." اهـ(٧).

١ـ الصافات (٩٥) .

٢ـ الصافات (٩٦) .

٣ـ الأنعام (١٠١) .

٤ـ الملك (١٣،١٤) .

المسألة التاسعة : هل اندثرت طوائف الباطنية ؟!

إن المؤلف يرى أن الباطنية طائفة من الطوائف التي ذهبت وتلاشت ، فهو يقول : "... لأن تاريخ الإسلام (١) ، لم يشهد أعداء كانوا أخطر عليه من أولئك العابثين ، الذين تلاعبوا بنصوصه وعبثوا بمقرراته . سواء منهم من ذهب بهم الماضي كالباطنية .." اهـ (٢) .

ولاريب أن المطلع على مذاهب الناس وعقائدهم ، يعلم علماً يقينياً ، مجانبة هذا القول للصواب .

ذلك أن الباطنيين ينتشرون في هذا العصر ، في مشارق الأرض ومغاربها .. وأصبحت لهم دول وشوكة ؛ وحتى تعلم وتتبين ما نقول هنا ، لابد وأن تعرف الطوائف المندرجة تحت هذا اللقب العام ، فنقول : إن الباطنية من الألقاب العامة ، والتي يندرج تحتها مذاهب وطوائف شتى ، والقاسم المشترك بين جميع هذه الطوائف هو تأويل النص الظاهر بالمعنى الباطن .

فهؤلاء يجعلون النصوص الدينية عبارة عن رموز وإشارات إلى حقائق خفية ، وأسرار مكتوبة . وكذلك الشعائر ، والأحكام ، والأفعال التعبدية ..

كما أنهم يعتقدون أن هذا الباطن إنما هو لخواص الناس ، أما الظواهر ، فإنها للسذج منهم والعامة . وعليه يكون السبب في تلقيبهم بهذا اللقب ، إنما هو قولهم بالظاهر والباطن .. وأن الظاهر بمنزلة القشر ، والباطن بمنزلة اللب .

و الباطني : هو الذي يحكم بأن لكل ظاهر باطناً ، ولكل تنزيل تأويلا . أو هو الذي يكتم اعتقاده ، فلا يظهره إلا لمن يثق به . (٣) .

١ـ تنبيه : العبارة الدقيقة أن يقال : "تاريخ المسلمين" لان ذلك التاريخ يحمل في طياته الكثير من الامور والاحداث التي لا يقرها الشرع المطهر .. فلا يصح أن ينسب ذلك إلى الإسلام !! فالإسلام كله حق وخير .. لكن يقال : "تاريخ المسلمين" لاننا بذلك نعبر عن حقيقة الأمر . ويمكن أن يكون اللفظ على حذف المضاف أي : تاريخ أهل الإسلام ، وهو المظنون بالحافظ الذهبي لما سمى كتابه الكبير بذلك .

٢ـ المناهل (١/٥١٢) .

٣ـ في تعريف الباطنية انظر : فضائح الباطنية للغزالي (ص١١ـ١٢) ، القرامطة لابن الجوزي (ص١١،٣٦) ، بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمي (ص٢١) ، مذاهب الإسلاميين (٢/٧ـ٩) ، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي (ص١٩،٥٨) ، حاضر العالم الإسلامي (ص٤٧) .

وعلى هذا تكون الفرق الداخلة تحت هذا المسلك كثيرة (١)، كالإسماعيلية (٢)، بطوائفها المتعددة كالآغاخانية (٣)والبهرة (٤)، والحشاشين (٥)؛ وسائر الفرق المنبثقة من الإسماعيلية ، مثل القرامطة (٦)، والدروز (٧)، والنصيرية (٨)، والميمونية (٩)، ومايسمى بـ"إخوان الصفا" (١٠) .

وأكثر هذه الطوائف ، وغيرها كثير ، لايزال موجوداً إلى اليوم ، وبنفس الألقاب والمسميات .. والبعض الآخر تغيرت صوره ومسمياته ، ولكن الحقيقة واحدة ..

فالإسماعيلية ضاربة بجذورها في هذا العصر ، في مواضع كثيرة من العالم الإسلامي وغير الإسلامي .. بطوائفها المختلفة . (١١) .

فالآغاخانية منهم موجودون في نيروبي ، ودار السلام ، وزنجبار ، ومدغشقر ، والكنغو البلجيكي ، والهند ، وباكستان . ومركز قيادتهم في كراتشي . (١٢) .

والبهرة موجودون في اليمن في جبال حراز وبعض الجهات القريبة من اليمن في جنوب الجزيرة العربية ، وعدن ، كما أنهم موجودون في الهند ، والمناطق القريبة حولها ، كباكستان ، وإيران . (١٣) .

١ـ انظر الحركات الباطنية (ص٥٩)

٢ـ البرهان في عقائد أهل الأديان (ص٨١) وانظر كتاب الإسماعيلية لإحسان إلهي رحمه الله ، الحركات الباطنية في العالم الإسلامي (ص٥٧) ، مذاهب الإسلاميين (٨٧/٢) ، الموسوعة الميسرة (ص٤٥) .

٣ـ الحركات الباطنية في العالم الإسلامي (ص٧٠) ، (٧٢) ، الموسوعة الميسرة (ص٤٨) .

٤ـ الحركات الباطنية في العالم الإسلامي (ص٧٠) ، (٧٢) ، الموسوعة الميسرة (ص٤٨) .

٥ـ الموسوعة الميسرة (ص٢٠٣)

٦ـ البرهان (ص٨٠) ، الحركات الباطنية (١٣٥،٦٧) ، الموسوعة الميسرة (٣٩٥) ، مذاهب الإسلاميين (٩٢/٢) .

٧ـ الحركات الباطنية (ص١٩٩،٧٠) ، الموسوعة الميسرة (٢٢٣) ، الإسماعيلية لإحسان إلهي (ص٧٢٢) ، مذاهب الإسلاميين (٥٠٩/٢) ، أضواء على العقيدة الدرزية .

٨ـ البرهان في عقائد أهل الأديان(ص٦٧) ، الحركات الباطنية (٣٢١،٦٠) ، الموسوعة الميسرة (٥١١) ، مذاهب الإسلاميين (٤٢٧) .

٩ـ الحركات الباطنية (ص٦٠) .

١٠ـ الحركات الباطنية (١٦٩) .

كما لاتزال توجد بقايا إسماعيلية الشام ، في سلمية ، والخوابي ، والقدموس ، ومصياف ، وبانياس ، والكهف . (١) .

أما الحشاشون ، فإنه لايزال لهم أتباع إلى اليوم في إيران ، وسوريا ، والهند ، وفي أجزاء من أواسط روسيا السوفيتية . (٢) .

وأما الدروز ؛ فوجودهم معروف وظاهر في بلاد الشام ، فهم في الشوف في لبنان ، وبجبل الدروز في جنوب سوريا ، وفي هضبة الجولان ، وشمال فلسطين . (٣)

أما النصيرية ، فهي أشهر من أن يعرف بوجودها في هذا العصر .. وأصبحت لهم دولة وسلطة ، مكنهم منها المستعمر .. وهم موجودون في الجبال المسماة باسمهم من جبال اللاذقية في سوريا . وبعضهم في جنوب تركيا ، والبعض في أطراف لبنان الشمالي ، وكذا لهم وجود في فارس ، وتركستان الروسية ، وكردستان ، وألبانيا، وفلسطين . (٤) .

ومن الشُعَب الكبرى لطائفة الإسماعلية ، مايسمى بالنزارية ، وهم طائفتان ، هما :

الأولى : المؤمنية ، وهم موجودون في حدود روسيا ، ويلقبون هناك بـ "جون دهرمية" ، ولهم وجود في سوريا أيضاً .

الثانية : وتعرف بـ "البارسيين" ، وهم موجودون في الهند . (٥) .

والجدير بالذكر أن الإسماعيلية بمختلف مسمياتها ، وطوائفها ، تبذل الجهود ، والأموال الضخمة ، من أجل نشر تعاليمها بين جهلة المسلمين .. وهذا أمر معروف منذ أمد .. لكنه ازداد وقوي حينما جثم المستعمر على البلاد الإسلامية .. فمكن هؤلاء وأشباههم ، وأعانهم وأمدهم بما يحتاجون إليه ، من أجل نشر مذهبهم المنحرف .. وكان لبريطانيا قصب السبق في هذا التشجيع ، وتلك المعونات ، وذلك لأنهم رأوا في هؤلاء الإسماعيليين ، تعويقاً لانطلاق الدعوة الإسلامية ، وإضعافاً لقوة

١ـ انظر الموسوعة الميسرة (ص٥١) .

٢ـ المصدر السابق (ص٢٠٨) .

٣ـ الحركات الباطنية (١٩٩) ، الموسوعة الميسرة (٢٢٧) .

٤ـ الحركات الباطنية (٣٣٣) ، الموسوعة الميسرة (٥١٦) .

٥ـ الحركات الباطنية (٧٩) .

المسلمين .. فتوغل الإسماعيليون في بلاد إفريقية وآسيوية كثيرة .. ومنها : كينيا ، وأوغندا ، وسيلان ، وبورما ، وافتتحوا في سبيل ذلك المراكز الضخمة ، في دار السلام ـ عاصمة كينيا ـ وكمبالا ـ عاصمة أوغندا ـ وغيرهما من البلاد الإسلامية .حتى غدا بعض زعمائهم من أكثر الناس ثراء في العالم .. بل صار لهم من المنزلة والمكانة أن صاروا يستقبلون هنا وهناك استقبال الملوك والرؤساء ..

و لم يقتصر نشاط هؤلاء على الدول الإسلامية فحسب .. بل امتد إلى غيرها .. كأميركا ، حيث قاموا بفتح العديد من المراكز هناك ، ليتلقفوا المسلمين الجدد ، فيلقنونهم تلك التعاليم السامة باسم الإسلام !

و بدأت الدعاية تنتشر في الآونة الأخيرة عن هؤلاء ، على أيدي بعض زعمائهم .. ودعاتهم ، أمثال مصطفى غالب ، وعارف تامر ، الذين كتبا عن هذه الطائفة ومسلكها ، مستغلين جهل كثير من المسلمين بحقيقة هذا المذهب . فامتلأت الأسواق في بلاد المسلمين وغيرها ، من كتاباتهم بعناوين براقة ، مصورين أتباع هذه النحلة ، حماة الإسلام ، وحراس العقيدة !(١) .

أما تعاون وتواطؤ الإسماعيلية ، بمختلف طوائفها ، مع المستعمر .. فهو أشهر من أن يذكر !

فالنصيريون في الشام ، كانوا يكاتبون الفرنسيين ويتآمرون معهم على المسلمين . بل ويطلبون منهم البقاء في مستعمراتهم ، ويطالبونهم بعدم الخروج منها إلى فرنسا !!

و لهم مكاتبات أيضاً مع المستعمرين ، ينبئونهم فيها بما أكنوا في أنفسهم ، من الاغتباط ، والبهجة ، من تسلط اليهود على أرض الإسراء ، والله المستعان .. (٢) .

وعلى كل فقد سلطهم المستعمر على رقاب المسلمين اليوم ، وحالهم لا تخفى .

و كم يحلم هؤلاء ، مع إخوانهم المجوس في فارس ، في بسط دولتهم ،

١ـ انظر الحركات الباطنية (ص٨٢ـ٨٣) .

لتمتد من فارس إلى أرض الشام ، وقد حاولوا ذلك في وقت مضى، (١) .

كما كان للبهرة في الهند دور يذكر ولا يشكر مع الإنجليز (٢) (٣) وهكذا كان (حال) إخوانهم الدروز مع الاستعمار (٤) .. ولهم زعماء معروفون في هذا العصر في لبنان خاصة (٥) وأتباعهم كثيرون (٦) .

و لهم رابطة في البرازيل ، يرأسها نجيب العسراوي؛(٧)و أخرى في استراليا ، يرأسها عدنان بشير رشيد(٨) ، ورأسهم المعروف في لبنان الآن هو وليد جنبلاط .. ويمثلهم هناك من الأحزاب :الحزب الاشتراكي التقدمي (٩) .

و كذلك كان للنزارية دور خبيث مع المستعمر أيضاً ، والله المستعان (١٠).

وقد قام الباطنيون في لبنان ،بمختلف طوائفهم ، بمجازر ضخمة لأهل السنة ، في عام (١٤٠٢هـ) .. وقد تناقلت الصحف بعض ما جرى آنذاك ، وتلك مأساة مشهورة (١١) .

فهل يصح بعد هذا العرض أن يقال: الباطنية فرقة اندثرت ؟! الجواب ولا شك بالنفي (١٢) .

و أنت ترى أن الكلام هنا مخصص للباطنية .. وقد تعمدت ذلك ، لأن المؤلف نص عليها دون غيرها .. وإن كان هناك من يزعم أن الاشتغال بالرد على الفرق ودراستها أمر مضيع للجهد والوقت ، ذلك لأن هذه الفرق قد اندثرت في زعمه !!

١ـ انظر "أطماع الشيعة في الخليج والجزيرة العربية"وكتاب : "وجاء دور المجوس" وكلاهما لـ "محمد عبد الله الغريب" .

٢ـ فائدة : يبلغ عدد البهرة ما يقارب المائتين ألف نسمة . انظر الحركات الباطنية (ص٢٧) .

٣ـ المصدر السابق (ص٧٣) .

٤ـ الحركات الباطنية (٢٢٠ـ٢٢١) .

٥ـ انظر زعمائهم في "الموسوعة الميسرة (ص٢٢٤) .

٦ـ انظر إحصائهم في "مذاهب الإسلاميين (٢/٦٣٥ـ٦٣٦) في سوريا ولبنان .

٧ـ الموسوعة الميسرة (٢٢٤ـ٢٢٧) .

٨ـ المصدر السابق (٢٢٧) .

٩ـ المصدر السابق (٢٢٧) .

١٠ـ الحركات الباطنية (ص٧٩) .

١١ـ انظر في هذا الموضوع "كتاب أمل والمخيمات" لمحمد عبد الله الغريب .

١٢ـ انظر الرد على الجهمية لابن منده (ص١٨) .

وهذه "شنشنة أعرفها من أخزم" فإن زعمه هذا جهل بالواقع ، وهو مردود بأمور كثيرة ، لا مجال لذكرها هنا[1] . والله أعلم ..

---

١ ـ حول هذا الموضوع انظر مقدمة كتاب الرد على الجهمية لابن مندة ص ١٠ ـ ١٢ ، والرد على من أنكر توحيد الأسماء والصفات .

المسألة العاشرة : المتكلمون ليسوا حراساً للعقيدة (١) .

نقل المؤلف رحمه الله كلاماً للغزالي جاء فيه :".. والمتكلمون كما سبق حراس هذا القشر ـ وهو أن لا يكون في القلب مخالفة وإنكار لمفهوم هذا القول ـ أي التوحيد ـ بل يشتمل على اعتقاده والتصديق به .. ـ عن تشويش المبتدعة .. " .اهـ (٢) .

و الحق أن هذا القول مجانب للصواب ، لأنه جعل أهل الحيرة والشك والجدل الذي يكون في الحق والباطل ، حراساً للتوحيد من أن يشوش فيه المبتدعة ..!!

فإن المسلك الصحيح هو مسلك أهل السنة والجماعة ، في النظر والاستدلال . لأنهم يعولون على النصوص الشرعية دائماً ؛ بخلاف المتكلمين الذين لا يعرفون الكتاب والسنة ، وإنما يتعلقون بأقوال الفلاسفة ، ومنطق اليونان ..

و إنما فعلوا ذلك ، لجهلهم بالنصوص الشرعية الصحيحة ، وبطريقة سلف هذه الأمة . هذا أولا . ثم لظنهم أنهم بهذه الطريقة الجدلية الكلامية ، يستطيعون إفحام خصومهم من المعتزلة والفلاسفة بزعمهم ثانياً .

فلما اجتمع هذان الأمران ، مع فتور عزائم هؤلاء عن تعلم الكتاب والسنة ، وتتبع نصوصهما ، أخذوا يردون شبه الملحدين بكلامهم البدعي ، والذي يستلزم مخالفة النصوص الشرعية في كثير من الأحيان .

ولقد بنى هؤلاء ، كثيراً من ردودهم على خصومهم ، على أصول فاسدة ؛ سواء كانت هذه الأصول مما وافقوا عليها أولئك الخصوم ، والتي هي من إحداثهم ، أو كانت الأصول من إحداث المتكلمين أنفسهم .. فيكونون قد قابلوا باطلا بباطل، وبدعة ببدعة (٣)

هذا وإن المطلع على بضاعة هؤلاء المتكلمين يعلم أن كلامهم لا يصلح لإفادة ظن ولا يقين ، وإنما هو كلام كثير ، وفيه طول زائد في العبارة ، وله تقسيمات متنوعة ، يهابه من لم يفهمه . بل عامة من وافق عليه إنما فعل ذلك تقليداً

---

١ انظر كتاب "منهج الأشاعرة في العقيدة .(٨ـ١٣) .

٢ـ مناهل العرفان (١/٥١٤) .

٣ـ انظر درء التعارض (٧/٢٨٩ـ٢٩١) .

لمن قبله ، وليس ذلك عن تحقيق قام في نفسه ، وكل من أمعن نظره ، وفهم حقيقة الأمر ، علم أن السلف كانوا أعمق من هؤلاء علماً ، وأقوى حجة ، وأبر قلوباً ، وأقل تكلفاً ، وقد فهموا من حقائق الأمور مالم يفهمه هؤلاء المخالفون لهم (١)

و لقد جاء عن أئمة السنة وأساطينها ذم مسلك هؤلاء المتكلمين ، الذين ظن البعض أنهم حراس التوحيد !! وحماة الدين من هجمات الفلاسفة والملاحدة ..!!

و عبارات السلف في ذلك الذم كثيرة ومستفيضة ؛ أذكر بعضاً منها منبهاً به على غيره ، فمن ذلك : (٢) .

١ ـ قال أبو يوسف : "من طلب الدين بالكلام تزندق" . (٣) .

٢ ـ قال الشافعي "حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد والنعال ، ويطاف بهم في القبائل والعشائر ، ويقال : هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة ، وأقبل على الكلام (٤) " .

و قال أيضاً :"لقد اطلعت من أهل الكلام على شيء ، ما ظننت مسلماً يقوله ، ولأن يبتلى العبد بكل ما نهى الله عنه ـ خلا الشرك بالله ـ خير من أن يبتلى بالكلام "(٥) .

٣ ـ قال الإمام أحمد : "ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح ، وقلَّ أحد نظر في الكلام ، إلا كان في قلبه غل على أهل الإسلام "(٦) .

٤ ـ قال ابن عبد البر :"أجمع أهل الفقه والآثار في جميع الأمصار ، أن أهل الكلام ، أهل بدع ، وزيغ ، ولا يعدون عند الجميع في طبقات العلماء ، وإنما العلماء أهل الأثر والتفقه فيه .. "(٧) .

١ـ انظر درء التعارض (٤٥٤/٣) .

٢ـ انظر مجموع الفتاوى (١٤٠/١٢، ١٤٧/١٣ـ١٥٧) ، درء التعارض (٢٧٨/٧ـ٣٤٤) .

٣ـ درء التعارض (٢٣٢/١) ، شرح الطحاوية (١٥٨) .

٤ـ درء التعارض (٢٣٢/١) ، شرح الطحاوية (١٥٩) ، صون المنطق والكلام (٦٥،١٣) .

٥ ـ قال ابن خواز منداد(١) ـ في تأويل قول مالك : لا تجوز شهادة أهل البدع ، وأهل الأهواء ـ :"وأهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام ، فكل متكلم فهو من أهل الأهواء والبدع ، أشعرياً كان أو غير أشعري . ولاتقبل له شهادة في الإسلام ، ويُهجر ، ويُؤدب على بدعته ، فإن تمادى عليها استتيب منها " (٢) .

٦ ـ قال أحمد بن الوزير القاضي : "قلت لأبي عمر الضرير(٣) : الرجل يتعلم شيئاً من الكلام ، يرد به على أهل الجهل . فقال : الكلام كله جهل ، وإنك كلما كنت بالجهل أعلم ، كنت بالعلم أجهل "(٤) .

و غير هذا كثير عن السلف لا حاجة للإطالة بذكره .

و الحاصل أن من عرف حال هؤلاء ، وما ينتهي إليه أمر الواحد منهم ، ازداد بصيرة ، وعلماً ، ويقيناً ، بما جاء به الرسول ﷺ .. وأن ما يعارضون به نصوص الوحي ، مما يسمونه عقليات ، لا ينفق إلا بما فيه من الألفاظ المجملة ، والمشتبهة ، مع من قلت معرفته بما جاء به الرسول ﷺ .

و إذا أمعن المرء نظره ، تبين له أنه كلما إزداد تصديقاً لمثل هذا الكلام ، ازداد نفاقاً ، ورداً لما جاء به الرسول صلوات الله وسلامه عليه ؛ وكلما ازداد معرفة بحقيقة هذا الكلام وفساده ، إزداد إيماناً ، وعلماً بحقيقة ما جاء به الرسول ﷺ . ولهذا قال بعض السلف :"علماء الكلام زنادقة " . وقيل أيضاً :"إن حقيقة ما صنفه

١ـ هو محمد بن أحمد بن عبد الله بن خويز المالكي ، العراقي ، فقيه أصولي ، توفي في حدود سنة (٣٩٠هـ) . معجم المؤلفين (٢٨٠/٨) .

٢ـ المصدر السابق (١٣٧) .

٣ـ ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله خمسة كل منهم يقال له : " أبو عمر الضرير" وكلهم من طبقة واحدة أو متقاربة وهم :

١ ـ حفص بن عمر الدوري .

٢ ـ حفص بن عمر البصري .

٣ ـ حفص بن حمزة ، مولى المهدي .

٤ ـ حفص بن عبد الله الحلواني .

٥ ـ محمد بن عثمان الكوفي .

التقريب (١٨٧/١ـ١٨٨) .

٤ـ صون النطق والكلام (٦٧) .

هؤلاء في كتبهم من الكلام الباطل ، المحدث ، المخالف للشرع ، والعقل ، هو ترتيب الأصول ، في تكذيب الرسول ، ومخالفة صريح المعقول ، وصحيح المنقول "(١) .

و لم يكتف السلف والائمة ببيان فساد المسلك الكلامي ، بل إنهم حذروا من أصحابه ، ونفروا الناس من مجالستهم ؛ فكيف يظن أن هؤلاء المتكلمين هم حراس العقيدة ؟!

و مما جاء عن الأئمة من التنفير منهم ، والتغليظ عليهم ، ما نقله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ، عن بعضهم أنه قال :"و كان الشيخ أبو حامد الاسفراييني ، شديد الإنكار على الباقلاني ، وأصحاب الكلام ... ولم يزل الأئمة الشافعية ، يأنفون ويستنكفون أن ينسبوا إلى الأشعري ، ويتبرأون مما بنى الأشعري مذهبه عليه ، وينهون أصحابهم وأحبابهم عن الحوم حواليه . ومن ذلك ، أن أبا حامد الاسفراييني ، كان إذا سعى إلى الجمعة ، من قطعية الكرج ، إلى جامع المنصور ، يدخل الرباط المعروف بالزوزي ، المحاذي للجامع ، ويقبل على من حضر ويقول: اشهدوا علي بأن كلام الله غير مخلوق كما قاله الإمام ابن حنبل ، لا كما يقول الباقلاني ، وتكرر ذلك منه جمعات ، فقيل له في ذلك ، فقال : حتى ينتشر في الناس ، وفي أهل الصلاح ، ويشيع الخبر في أهل البلاد ، أني برىء مما هم عليه ـ يعني الأشعرية ـ وبرىء من مذهب أبي بكر بن الباقلاني ، فإن جماعة من المتفقهة الغرباء يدخلون على الباقلاني خفية ، ويقرأون عليه ، فيفتنون بمذهبه ؛ فإذا رجعوا إلى بلادهم أظهروا بدعتهم لا محالة ، فيظن ظان أنهم مني تعلموه ...

و قال الشيخ أبو الحسن الكرجي : وسمعت شيخي الإمام أبا منصور الفقيه الأصبهاني يقول : سمعت شيخنا الإمام أبا بكر الزاذقاني يقول : كنت في درس الشيخ أبي حامد الاسفراييني ، وكان ينهى أصحابه عن الكلام ، وعن الدخول على الباقلاني ، فبلغه أن نفراً من أصحابه ، يدخلون عليه خفية لقراءة الكلام ، فظن أني معهم ومنهم ـ وذكر قصة قال في آخرها : إن الشيخ أبا حامد قال لي : يا بني قد بلغني أنك تدخل على هذا الرجل ـ يعني الباقلاني ـ فإياك وإياه ، فإنه مبتدع ، يدعو الناس إلى الضلالة ، وإلا فلا تحضر مجلسي . فقلت أنا عائذ بالله مما قيل .

وتائب إليه ، اشهدوا علي أني لا أدخل إليه " .

وقال أبو الحسن الكرجي: سمعت الفقيه الإمام أبا منصور سعد بن علي العجلي (١)يقول : سمعت عدة من المشايخ والائمة ـ ببغداد ـ أظن الشيخ أبا إسحاق الشيرازي أحدهم ـ قالوا : كان أبو بكر الباقلاني يخرج إلى الحمام متبرقعاً خوفاً من الشيخ أبي حامد الاسفراييني .

قال أبو الحسن: ومعروف شدة الشيخ أبي حامد على أهل الكلام ، حتى ميز أصول فقه الشافعي من أصول الأشعري ... وبه اقتدى الشيخ أبو إسحاق الشيرازي في كتابيه اللمع والتبصرة . حتى لو وافق قول الأشعري وجهاً لأصحابنا ميزة . وقال:هو قول بعض أصحابنا ، وبه قالت الأشعرية ، ولم يعدهم من أصحاب الشافعي ؛ استنكفوا منهم ، ومن مذهبهم في أصول الفقه ، فضلا عن أصول الدين" (٢) اهـ

فأين حال هؤلاء من حال ومقال من جعل المتكلمين حراساً للتوحيد ؟!

و قد يقول البعض بأن ما ذكرتم إنما هو كلام خصومهم .. بل كلام من لم يعرف الكلام ، ولم يكن له حذق به .. والناس أعداء ما جهلوا .. فكيف تحكمون على طائفة ، من كلام الخصوم والأضداد ؟!

فنقول لهذا المعترض زيادة على ماسبق : إن المتكلمين أنفسهم أقروا بما قاله عنهم الأئمة من أهل السنة.. بل زادوا عليه .. وشهدوا على أنفسهم بالحيرة والشك والاضطراب ، إضافة إلى الجهل والإفلاس .. وأنا أنقل إليك كلام بعض أساطينهم ليكون لك عبرة :

١ ـ قال الخونجي (٣) ـ صاحب كشف الأسرار في المنطق ـ عند موته : أموت وما علمت شيئاً إلا أن الممكن يفتقر إلى الواجب . ـ ثم قال ـ : الافتقار وصف عدمي ، أموت وما علمت شيئاً . (٤) .

١ـ أبو منصور ، سعد بن علي بن حسن العجلي ، الأسداباذي ، ثم الهمذاني ، الشافعي ،مفتي همذان ، وعالمها ، توفي سنة (٤٩٤هـ) . السير (١٩/١٩٧) .

٢ـ انظر درء التعارض (٢/٩٦ـ١٠٥) [مع شيء من الاختصار والتصرف] .

٣ـ محمد بن ناماور بن عبد الملك الشافعي ، أبو عبد الله الخونجي ، فارسي الأصل ولد سنة (٥٩٠هـ) ، انتقل إلى مصر وكانت وفاته سنة (٦٤٦هـ) . شذرات الذهب (٥/٢٣٦) .

٤ـ درء التعارض (٣/٢٦٢) وشرح الطحاوية (١٥٨) .

٢ ـ قال الآمدي : أمعنت النظر في الكلام ، وما استفدت منه شيئاً ، إلا ما عليه العوام (١) .

قال ابن تيمية : وذلك أن هذا الآمدي ، لم يقرر في كتبه لا التوحيد ، ولا حدوث العالم ، ولا إثبات واجب الوجود ، بل ذكر في التوحيد طرقاً زيفها .. " أهـ(٢) .

٣ ـ اجتمع الأصبهاني يوماً بالشيخ إبراهيم الجعبري (٣)، فقال له : بتّ البارحة أفكر إلى الصباح في دليل على التوحيد ، سالم عن المعارض فما وجدته (٤).

٤ ـ قال ابن واصل الحموي(٥) : أبيت بالليل ، وأستلقي على ظهري ، وأضع الملحفة على وجهي ، وأبيت أقابل أدلة هؤلاء ، بأدلة هؤلاء ، وبالعكس ، وأصبح وماترجح عندي شيء. (٦)

٥ ـ قال ابن رشد ـ في تهافت التهافت ـ : "ومن الذي قال في الإلهيات شيئاً يعتد به " (٧) .

٦ ـ قال الرازي في كتاب أقسام اللذات ـ :

نهاية إقدام العقول عقال وغاية سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جسومنا وحاصل دنيانا أذى ووبال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا
فكم قد رأينا من رجال ودولة فبادوا جميعاً مسرعين وزالوا
وكم من جبال قد علت شرفاتها رجال فزالوا والجبال جبال

١ـ درء التعارض (٣/٢٦٢) .

٢ـ المصدر السابق (٣/٢٦٣) .

٣ـ هو أبو إسحاق ، إبراهيم بن عمر بن إبراهيم الجعبري ، الشافعي ولد سنة (٦٤٠هـ وتوفي سنة (٧٣٢هـ) . شذرات الذهب (٦/٩٧ـ٩٨)

٤ـ درء التعارض (٣/٢٦٣) .

٥ـ هو محمد بن سالم بن نصر الله بن واصل الحموي ، ولد سنة (٦٠٤هـ) بحماة ، وبها توفي سنة (٦٩٧هـ) .

ثم قال : لقد تأملت الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية ، فما رأيتها تشفي عليلا ، ولا تروي غليلا. ورأيت أقرب الطرق طريقة القرآن ، أقرأ في الإثبات : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ (١)، ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ . (٢) وأقرأ في النفي : ﴿ليس كمثله شيء﴾(٣) ﴿ولا يحيطون به علماً﴾ (٤) . ثم قال : ومن جرب مثل تجربتي عرف مثل معرفتي (٥) .

٧ ـ قال الشهرستاني :

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وسيرت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعاً كف حائر على ذقنه أو قارعاً سن نادم (٦)

٨ ـ قال أبو المعالي الجويني : يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام ، فلو عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به .

و قال عند موته: لقد خضت البحر الخضم ، وخليت أهل الإسلام وعلومهم ، ودخلت في الذي نهوني عنه ، والآن فإن لم يتداركني ربي برحمته ، فالويل لابن الجويني . وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي . أو قال على عقيدة عجائز نيسابور (٧) .

٩ ـ قال شمس الدين الخسروشاهي(٨) ـ وكان من تلامذة الرازي ـ لبعض الفضلاء ، وقد دخل عليه يوماً : فقال : ما تعتقده ؟! قال : ما يعتقده المسلمون . فقال : وأنت منشرح الصدر لذلك مستيقن به ؟! فقال نعم . فقال : اشكر الله على هذه النعمة ، لكن والله ما أدري ما أعتقد والله ما أدري ما أعتقد ، والله ما أدري ما أعتقد . وبكى حتى أخضل لحيته . (٩) .

١ـ طه (٥) .

٢ـ فاطر (١٠).

٣ـ الشورى (١١) .

٤ـ طه (١١٠) .

٥ـ شرح الطحاوية (١٥٧) .

٦ـ شرح الطحاوية (١٥٨) .

٧ـ المصدر السابق .

٨ـ هو عبد الحميد بن عيسى بن عمويه ، أبو محمد ، شمس الدين ، توفي بدمشق سنة (٦٢٥هـ) . سير أعلام النبلاء (٢٣/٢٨١) .

٩ـ شرح الطحاوية (١٥٨).

و هذه حال معروفة عن هؤلاء ، ونهاية محتومة للكلام وأهله ... ولقد وقف الآمدي ـ وهو من هو في الكلام ـ محتاراً في مسائل الاعتقاد الكبار !!

و انتهى أمر الغزالي أيضاً إلى الوقف ، والحيرة في المسائل الكلامية ، حتى أعرض عن تلك الطرق ، ومات وصحيح البخاري على صدره (١) .

و لقد أحسن شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في وصفهم بأنهم "لا للإسلام نصروا ، ولا للفلاسفة كسروا " . (٢) .

بل إن ما ابتدعوا من الكلام ، أفسدوا به حقيقة الإسلام ، إضافة إلى إفساد عقول وقلوب أتباعهم ، مع كونهم قد فتحوا لعدو الإسلام باباً إلى مقصوده .

و أختم الكلام في هذا ، بنقل نصيحة للإمام الخطابي في هذا الشأن :

قال رحمه الله : "... فلا تشتغل رحمك الله بكلامهم ، ولا تغتر بكثرة مقالاتهم، فإنها سريعة التهافت ، كثيرة التناقض ، ، وما من كلام نسمعه لفرقة منهم ، إلا ولخصومهم عليه كلام يوازيه ، أو يقاربه ، فكل بكل معارض ، وبعض ببعض مقابل ؛ وإنما يكون تقدم الواحد منهم ، وفلجه على خصمه ، بقدر حظه من البيان ، وحذقه في صنعة الجدل والكلام . وأكثر ما يظهر به بعضهم على بعض ، إنما هو إلزام من طريق الجدل على أصول مؤصلة ، ومناقضات على مقالات حفظوها عليهم ، فهم يطالبونهم بعودها وطردها ، فمن تقاعد عن شيء منها سموه من طريق الجدل منقطعاً ، وجعلوه مبطلا ، وحكموا بالفلج لخصمه عليه ، والجدل لا يبين به حق ، ولا تقوم به حجة ، وقد يكون الخصمان على مقالتين مختلفتين ، كلتاهما باطلة ، ويكون الحق في ثالثة غيرها . فمناقضة أحدهما صاحبه غير مصحح مذهبه ، وإن كان مفسداً به قول خصمه ، لأنهما مجتمعان معاً في الخطأ مشتركان فيه ، كقول الشاعر فيهم :

حجج تهافت كالزجاج تخالها حقاً وكل كاسر مكسور

و إنما الأمر كذلك ، لأن واحداً من الفريقين لا يعتمد في مقالته التي ينصرها أصلا صحيحاً . وإنما هو أوضاع وآراء تتكافأ وتتقابل ، فيكثر المقال ، ويدوم الاختلاف ، ويقل الصواب " اهـ (١).

١ـ درء التعارض (٣١٣/٧) ، صون المنطق (٩٩) .

المسألة الحادية عشرة : في أول واجب على المكلف :(١) .

نقل المؤلف رحمه الله عن الشيخ محمد عبده كلاماً جاء فيه : "والحق الذي يرشد إليه الشرع والعقل ، أن يذهب الناظر المتدين إلى إقامة البراهين الصحيحة على إثبات صانع واجب الوجود ، ثم منه إلى إثبات النبوات ، ثم يأخذ كل ما جاءت به النبوات بالتصديق والتسليم ، بدون فحص فيما تكنه الألفاظ ، إلا فيما يتعلق بالأعمال على قدر الطاقة ، ثم يأخذ طريق التحقيق في تأسيس جميع عقائده بالبراهين الصحيحة ... " اهـ (٢) .

و هذا الذي قرره إنما هو مذهب أصحاب المسلك الكلامي البدعي ، وليس هو مسلك أهل السنة ، والذي بنوه على نصوص الكتاب والسنة ..

فأهل الكلام يجعلون أول الواجبات النظر ، أو القصد إلى النظر .. أو ما يقارب ذلك من الأقوال الفاسدة ، على خلاف بينهم في ذكر تفاصيلها .. (٣)

و إذا رجعنا إلى القرآن العظيم ، نجده يقرر خلاف ذلك ، وكذا السنة ، وهو المجمع عليه بين أهلها .

فأول الواجبات عند أهل السنة ، هو توحيد الله عز وجل ، بإلهيته ، وربوبيته ، وأسمائه وصفاته ...

و توحيد الأسماء والصفات كان معروفاً عند سائر الأمم السالفة .. وإنما وقع الانحراف فيه لما ظهرت الجهمية ، ومن هم على شاكلتهم ، كما هو معلوم في كتب المقالات .

و أما توحيد الربوبية ، فإنه يعتبر من البدهيات ... ومن الأمور الفطرية .. ولم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من الناس ، لأن القلوب فُطرت على الإقرار به ﴿أفي الله شك فاطر السموات والأرض﴾ . (٤)و قد جاء في القرآن الكريم عن فرعون أنه قال :﴿وما رب العالمين﴾ (٥) ، وقال : ﴿أنا ربكم الأعلى﴾، (٦)

---

١ ـ غالب هذا الموضوع إنما هو مستفاد من مبحث للشيخ عبد الله الغنيمان حفظه الله في مجلة الجامعة الإسلامية في السنة السادسة عشرة ، عدد (٦٢) لعام (١٤٠٤) وبقية المبحث في العدد (٦٣) .

٢ـ المناهل (١/٥١٥) .

وقال:﴿ماعلمت لكم من إله غيري﴾(١)وما يشابه ذلك ، مما يدل على إنكاره لهذا النوع من التوحيد.

لكن هذا الإنكار إنما هو من قبيل المكابرة ، ولم يكن يقر بهذا الإنكار في الباطن ؛ قال الله عز وجل : ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً﴾ (٢) . ولذا كان جواب موسى له حينما قال : ﴿لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر﴾. (٣) .

ولم ينقل عن أحد أنه قال باثبات صانعين للعالم ، متماثلين في الصفات والأفعال ، لا الثنوية ، ولا النصارى ، ولا غيرهم . (٤) .

وهذا النوع الفطري هو الذي أعيا المتكلمون أنفسهم بإثباته ، وتتبع الأدله لتقريره ، بل هو الغاية عندهم !! (٥) .

ولقد كان مشركوا العرب مقرين به ، كما أخبر الله عنهم بقوله : ﴿ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله﴾،(٦) : وبقوله ﴿قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون . سيقولون لله قل أفلا تذكرون﴾ (٧) . ونظائر هذه الآيات كثير في القرآن ، وهو أمر لايحتاج إلى بيان . !!

وإنما بُعث الرسول ﷺ ، كما بُعث من قبله من الرسل ، للدعوة إلى توحيد الألوهية .. وهذا النوع هو الذي وقع فيه الانحراف منذ وقت مبكر جداً ؛ وذلك في قوم نوح ﷺ .

ولقد كان هذا التوحيد هو أول دعوة الرسل لأقوامهم ، من نوح إلى محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . قال الله تعالى : ﴿لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه

٥ـ الشعراء (٢٣) .

٦ـ النازعات (٢٤) .

١ـ القصص(٣٨) .

٢ـ النمل (١٤) .

٣ـ الاسراء (١٠٢) .

٤ـ انظر شرح الطحاوية (ص٢٤ـ٢٦) .

٥ـ انظر شرح الطحاوية (ص٢٤ـ٢٦) .

٦ـ لقمان (٢٥) .

٧ـ المؤمنون (٨٤ـ٨٥) .

فقال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾(١) . وقال صالح عليه الصلاة والسلام : ﴿اعبدوا الله ما لكم من إله غيره﴾ (٢) . وكذلك قال شعيب عليه السلام . (٣) .

ومما يدل على ذلك أيضاً ، قوله تعالى : ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ (٤). وقوله تعالى : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون﴾(٥) .

فألزمهم بعبادته وتأليهه تبارك وتعالى أولا . وأصل العبادة : عبادة القلب ، والتي تستلزم عبادة الجوارح . قال ﷺ : ".. ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله ، وإذا فسدت ، فسد الجسد كله ، ألا وهي القلب " . (٦).

وبمثل هذه النصوص ، تعرف أن التوحيد هو أول دعوة المرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين . وهذا مغاير لما يذهب إليه أصحاب الطرق الكلامية ، والمناهج الفلسفية .. فإنهم لا يعرفون هذا النوع من التوحيد ، كما تقدم ، وإنما غاية ما يصلون إليه ، إنما هو توحيد الربوبية !! وأصحاب هذه الطرق يخالفون الرسل في جعلهم الإيمان بالله وعبادته وحده أول دعوتهم .. فيوجبون خلاف ذلك !!

ذلك أن أصحاب تلك الطرق يبدأون بنفوسهم ، فيجعلونها هي الأصل الذي يفرعون عليه ، فيتكلمون في إدراكاتهم للعلم ، وأنه يكون مرة بالحس ، وأخرى بالعقل ، أوبهما !! وهم يجعلون العلوم الحسية ، والبدهية ، هي الأصل الذي لايحصل علم إلا بها !!

وذلك كالأمور الطبيعية ، والحسابية ، والأخلاقية !! ثم بنوا سائر العلوم على هذه الأمور الثلاثة .

ولذا تجدهم يمثلون بهذه الأمور في أصول العلم والكلام ، كقولهم : الواحد

١ـ الأعراف (٥٩) .

٢ـ الأعراف (٧٣) .

٣ـ انظر الآية رقم (٨٥) من سورة الأعراف .

نصف الاثنين والجسم لا يكون في مكانين ، والضدان لا يجتمعان ، كالسواد والبياض .. هذا في الحسابية والطبيعية !!

وأما الأخلاقية ، فمثل استحسان العلم ، والعدل ، والعفة ، والشجاعة .. ثم إذا تجاوزوا هذه الأمور إلى العالم العلوي ، فمقصودهم إثبات خالق العالم ، والدلائل التي بها تثبت النبوة ، على طريقتهم .. فإذا ثبتت النبوة ، تلقوا عنها السمعيات ، وقد تقدم مثل هذا في الكلام الذي نقله المؤلف عن الشيخ محمد عبده .. !!

فهذه الطريقة كما ترى مخالفة لما درج عليه الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، مع ما فيها من فساد كثير في الوسائل والمقاصد على حد سواء ..!!

أما الوسائل فمع صعوبتها ففيها خطورة ، ومزلات عظيمة !

وأما المقاصد فغايتها ـ إن سلمت من كثير من الانحرافات ـ إثبات ربوبية الله تعالى للكون ، وقد قدمنا لك أن هذا الامر بديهي !! فهي كما قيل : "لحم جمل غث ، على رأس جبل وعر ، لاسهل فيرتقي ولا سمين فينتقل" .

وإن ما نقلنا لك عن منهج الرسل في دعوتهم لأقوامهم ، يكفي لإبطال هذه الطريقة المعوجة !!

قال تعالى : ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين ..﴾(١) فلم يذكر شيئاً أُمروا به غير ذلك ، لا النظر ولا القصد إلى النظر !!

وهكذا رسول الله ﷺ ، فإنه لم يدع إلى النظر ، ولم يأمر به أصحابه ليستدلوا به على وجود الله عز وجل ؛ بل ولم يأمرهم حينما أرسلهم إلى من يدعونهم إلى الإسلام أن يأمروا أحداً بذلك .

روى الشيخان وغيرهما عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : "لما بعث رسول الله ﷺ معاذ بن جبل إلى اليمن ، قال : إنك تقدم على قوم أهل كتاب ، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله عز وجل .."(٢) .

وأخرج الشيخان أيضاً من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، أن النبي ﷺ قال : "أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأني رسول الله .."

١ـ البينة (٥) .

٢ـ البخاري / (مع الفتح) رقم (١٣٩٥، ١٤٥٨، ١٤٩٦، ٢٤٤٨، ٤٣٤٧، ٧٣٧١، ٧٣٧٢) ، ومسلم رقم (٢٩) .

(١)

وقد أجمع الصحابة فمن بعدهم على أن الكافر إنما يُدعى إلى النطق بالشهادتين ، فمن أتى بهما عصم دمه وماله ، إلا بحق الإسلام .

فليس في الكتاب ، ولا في السنة ، أن النظر أول الواجبات ، وليس فيهما إيجابه على المكلفين .

وغاية ما هنالك الأمر بالتفكر لبعض الناس الذين لا يحصل لهم الإيمان إلا به ، كقوله تعالى : ﴿أولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ، إن هو إلا نذير مبين ، أولم ينظروا في ملكوت السماوات والأرض وما خلق الله من شيء وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم ...﴾ (٢) .

ثم كيف يقال بإيجابه على كل أحد ، فيلزم البالغ أن يفعله بعد البلوغ ، وقد فعله قبله ؟! خصوصاً إذا كان النظر مستلزماً للشك المنافي لما حصل له من المعرفة والإيمان !! فيكون التقدير أن يقال : اكفر ثم آمن ، واجهل ثم اعرف ، وهذا كما أنه محرم شرعاً ، فهو ممتنع عقلا . فإن تكليف العالم بالجهل بما علم ، من باب التكليف بما لا يطاق .. فإن الجاهل يمكن أن يصير عالماً بما جهل ، لكن يمتنع أن يصير العالم جاهلا بما علم ، مع كونه مستحضراً المعلوم في ذهنه .

ومع كون أئمة السلف متفقين على أن أول ما يُؤمر به العبد الشهادتان ، كذلك هم متفقون على أن من فعل ذلك قبل البلوغ ، لم يؤمر بتجديد ذلك عقب بلوغه .

وبهذا تعلم أن التوحيد أول واجب ، وهو أول ما يدخل به في الإسلام ، وهو آخر واجب ، كما أنه آخر ما يخرج به من الدنيا ، كما قال ﷺ : "من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة" (٣) فهو أول واجب ، وآخر واجب . (٤) .

١ـ البخاري (مع الفتح) رقم (١٣٩٩، ١٤٥٧، ٦٩٢٤، ٧٢٨٤) ومسلم رقم (٣٢ـ٣٦) ، من حديث أبي هريرة وجابر وعبد الله بن عمر ،والترمذي رقم (٢٦٠٦، ٢٦٠٧) ، من حديث أبي هريرة ، ومن حديث أنس أيضاً برقم (٢٦٠٨) ، وأخرجه النسائي في الزكاة "باب مانع الزكاة" ، وأبو داود في الجهاد باب على

قال ابن مندة رحمه الله في كتاب الإيمان : "ذكر أول ما يُدعى إليه العبد ، وهو التوحيد والمعرفة ، ثم الصلوات الخمس ، ثم الزكاة" اهـ ثم ذكر أحاديث ، منها حديث ابن عباس لما أرسل النبي ﷺ معاذاً إلى اليمن .. وحديث أبي هريرة مرفوعاً : "أمرت أن أقاتل الناس .." إلخ (١) .

إيقاظ :

نقل المؤلف رحمه الله كلاماً للشيخ محمد عبده جاء فيه :".. ولابد في كمال النجاة ونيل السعادة الأبدية ، من أن ينضم إلى ذلك التخلي عن الرذائل ، والتحلي بالأخلاق الكاملة ، والأعمال الفاضلة ...

و سالك هذا الطريق إما أن يكون سلوكه من قبل الالتفات إلى ما جاء في الكتاب والسنة ، وكلام أولي الفضل ، من الراشدين قديما، وحديثاً ، فذلك هو الحكيم العلي ، والمؤمن المتوسط .

و إما أن يكون مع ذلك قد سلك بنفسه مدارج الأنوار ، ووقف على ما في ذلك من دقائق الأسرار ، حتى جلس في حياته هذه في مقعد صدق عند مليك مقتدر ، فهو الصوفي ، وهو صاحب المقصد الأسنى ، والمطلوب الأعلى ..."اهـ (٢) .

وأنت ترى النزعة الصوفية ظاهرة في هذا الكلام ، فالناس كما أخبر الله عز وجل مؤمنون وكفار وأهل نفاق . والمؤمنون على ثلاثة أقسام :

القسم الأول : سابقون بالخيرات .

القسم الثاني : مقتصدون .

القسم الثالث : ظالمون لأنفسهم .

هذا من حيث القيام بحق الله عز وجل .. وأما فيما يتعلق بالانتساب ؛ فينبغي التعويل على النِّسَب الشرعية ، كالإيمان ، والصدق ، والإسلام ، والبر ، والصلاح ، وما يقابل ذلك ويضاده ، كالكفر ، والنفاق ، والفجور ، والفسوق ، ونحو

٤ـ انظر شرح العقيدة الطحاوية (ص٢٢ـ٢٣) .

١ـ الإيمان لابن منده (١/٣٧٩ـ٣٨١) .

٢ـ المنار (١/٥١٦) .

ذلك (١) .. أما قولهم :"صوفي" ونحو هذه العبارة ، فإن ذلك لم يرد في كتاب الله تعالى ، ولا في سنة رسول الله ﷺ ، ولم يكن مثل هذا اللقب معروفاً عند أصحاب النبي صلوات الله وسلامه عليه ، فينبغي تركه .

أما ما يدخل تحت مثل هذا اللقب البدعي من المخالفات فحدث ولا حرج ، وأصحابه متفاوتون في تحمل تلك المخالفات ، ما بين مقل ومكثر . والله المستعان .

ثم كيف يقال عمن كان تلقيه وتعويله على ما جاء في الكتاب والسنة أنه متوسط .. ويقال عمن سلك السبل ـ وهي التي أشار إليها بقوله:"سلك بنفسه مدارج الأنوار ، ووقف على ما في ذلك من دقائق الأسرار ، حتى جلس في حياته هذه ، في مقعد صدق عند مليك مقتدر ـ أنه صاحب المقصد الأسنى ، والمطلوب الأعلى".؟!!

إن هذا الأخير بزعمهم ، هو صاحب الكشف ، والتجليات ، والشطحات ، والذي عمي عن مشاهدة الخلق بمشاهدة الحق،بل قد يصل الأمر عند بعضهم إلى عقيدة الحلول والاتحاد ، والله المستعان .

وإنما أردت التنبيه على ما في هذه العبارة فقط ، لئلا يغتر بها مغتر ، دون الكلام على مسلك المتصوفة ، والله أعلم .

المسألة الثانية عشرة : في الترجيح بين التفسير بالرأي والاجتهاد ، وبين التفسير بالأثر عند التعارض .

قال المؤلف رحمه الله :"...إن التفسير بالمأثور الثابت بالنص القطعي ، لا يمكن أن يعارض بالتفسير بالرأي ، لأن الرأي إما ظني ، وإما قطعي ، أي مستند إلى دليل قطعي ، من عقل أو نقل ، فإن كان قطعياً فلا تعارض بين قطعيين ؛ بل يؤول المأثور ليرجع إلى الرأي المستند إلى القطعي ، إن أمكن تأويله ، جمعاً بين الدليلين . وإن لم يمكن تأويله ، حمل اللفظ الكريم على ما يقتضيه الرأي والاجتهاد تقديماً للأرجح على المرجوح .

أما إذا كان الرأي ظنياً ، بأن خلا من الدليل القاطع ، واستند إلى الأمارات والقرائن الظاهرة فقط ، فإن المأثور القطعي يقدم على الرأي الظني ، ضرورة أن اليقين أقوى من الظن .

هذا كله فيما إذا كان المأثور قطعياً .... " اهـ (١).

وقبل الشروع في مناقشة المؤلف ، أود أن أبين هنا مراده بالتفسير بالرأي ، الذي أشار إليه في هذا الموضع ، من كلامه في موضع قبله ، حيث قال:

"المراد بالرأي هنا : الاجتهاد . فإن كان الاجتهاد موفقاً ، أي مستنداً إلى ما يجب الاستناد إليه ، بعيداً عن الجهالة ، والضلالة ، فالتفسير به محمود ، وإلا فمذموم . والأمور التي يجب استناد الرأي إليها في التفسير ، نقلها السيوطي في الإتقان ، عن الزركشي ، فقال ما ملخصه : "للناظر في القرآن لطلب التفسير مآخذ كثيرة ، أمهاتها أربعة :

الأولى : النقل عن رسول الله ﷺ ، مع التحرز عن الضعيف والموضوع .

الثانية : الأخذ بقول الصحابي ، فقد قيل : إنه في حكم المرفوع مطلقاً . وخصه بعضهم بأسباب النزول ، ونحوها مما لامجال للرأي فيه .

الثالثة : الأخذ بمطلق اللغة ، مع الاحتراز عن صرف الآيات إلى مالا يدل عليه الكثير من كلام العرب .

١ـ المناهل (١/٥٣٢ـ٥٣٣) .

الرابعة : الأخذ بما يقتضيه الكلام ، ويدل عليه قانون الشرع .." اهـ (١) .

وهذه الضوابط التي ذكرها للتفسير بالرأي الجائز جيدة ولا اعتراض عليها ..

لكن .. لنرجع إلى كلام المؤلف في التعارض والترجيح بين التفسير بالرأي الجائز والتفسير بالمأثور ، كما نقلنا لك أولا ، ولنسر مع المؤلف سيراً متدرجاً فنقول :

أولا : من حيث الافتراض الذي ذكره ، فيما لو تعارض تفسير بالمأثور الثابت بالنص القطعي ، مع تفسير برأي مستند إلى دليل قطعي ، وأنه يؤول المأثور ، ليرجع إلى الرأي المستند إلى القطعي ، إن أمكن تأويله ، وإلا فيحمل اللفظ القرآني على ما اقتضاه الرأي !!

وأنت على ذكر من الأمور التي يستند إليها التفسير بالرأي الجائز ، وهي الأربعة التي سبق ذكرها قريباً نقلا عن المؤلف ؛ فلننظر فيما قال المؤلف ، مع مراعاة تلك الضوابط السابقة فنقول :

١ـ إن كان الرأي مستنداً إلى دليل قطعي ، وقد عارضه ـ في الظاهر ـ نص قطعي ؛

فإن هذا في الحقيقة تعارض بين نصين قطعيين ، فينظر فيهما بالطرق المتبعة ـ عند الأصوليين وغيرهم ـ فيما يتعلق بالتعارض والترجيح ، من حيث النظر إلى موضوع النسخ ، وكذا التوفيق بينهما ، أو الترجيح بواحد من طرقه الكثيرة جداً .

لكن لا ينبغي أن يتوهم أن هذا تعارض بين رأي مجرد وأثر صحيح !! لأن الآيات والأحاديث لا تعارض بآراء الناس وأقوالهم وكما قيل :

ما العلم نصبك للخلاف سفاهة .... بين الرسول وبين رأي فقيه

أما لو كان الرأي إنما هو مجرد فهم من المفسر لبعض النصوص ، فإن هذا لايعارض به النصوص الشرعية ، كما هو معروف .

لكن لو كان التفسير مستنداً إلى مجرد العقل ـ وإن زعم صاحبه أنه قطعي في هذا الموضع ـ فإنه لا يُلتفت إليه مطلقاً .. لأن العقل الصحيح لايعارض النقل الصريح الصحيح بحال من الأحوال .. فإن كان ثمّ تعارض في الظاهر ، مع كون النقل ثابتاً ، فإن العلة تكون في العقل لا محالة !! ولا أريد الخوض هنا في الرد

على المتكلمين الذين يقدمون عقولهم وأفهامهم الفاسدة على نصوص الوحي والشرع ، فإن هذا الموضع لايحتمل الوقوف عند هذه المسألة ..

وأما قول المؤلف عن الرأي المستند إلى دليل قطعي : "من عقل أو نقل" فلعل قوله : "من عقل" سبق قلم ،وإلا فهو لم يذكر العقل مُسْتَنَداً للتفسير بالرأي الجائز كما سبق .

ولو أن أحداً قال بالمعارضة بين العقل والنقل ، وتقديم العقل ، لكان مكابراً ، وهذا مسلك بدعي كلامي معروف . (١) .

والذي يقتضيه إحسان الظن بالمؤلف رحمه الله ، أنه لا يريد ذلك ، والله أعلم .

٢ـ أما إذا كان أحد الدليلين أقوى من الآخر من جهة الثبوت ، ولم يمكن التوفيق بينهما ، وليس أحدهما ناسخاً للآخر ، فيمكن حينئذ أن نرجح الأقوى ثبوتاً على الأضعف ..

٣ـ وأما إذا كان مستنداً إلى قول صحابي ليس له حكم الرفع ، فإنه لا يعارض به ما ثبت عن النبي ﷺ .

٤ـ أما إذا كان الاجتهاد مستنداً إلى لغة ، أو أخذ بما يقتضيه الكلام ، ويدل عليه قانون الشرع ، فهذا النوع لايصلح أن يكون معارضاً لنصوص الكتاب والسنة أبداً .

وبهذا تكون قد عرفت أن التعارض إن وقع في نظر المستدل بين نصوص الكتاب والسنة ، فهذا له مسلك معروف ، وسبق أن أشرنا إليه .. ويكون الترجيح ، أو التوفيق ونحوه ، إنما هو بين دليلين من أدلة الكتاب والسنة ، لا بين نص واجتهاد !!

فإن كل ماعارض الكتاب والسنة فهو باطل ، لا يلتفت إليه .

١- في الكلام على منع التعارض بين العقل والنقل ، وأنه لا يقدم العقل على النقل الصحيح بحال . انظر على سبيل التمثيل : مجموع فتاوى شيخ الإسلام (٣/٣٣٨ـ٣٣٩، ٥/٣٣٩ـ٣٤٠، ٦/٣٠ـ٣٨، ١٤/٥١٥ـ٥١٦، ١٦/٤٤٠ـ٤٤٣، ١٧/٤٦٣، ٤٦٩، ٤٨٨ـ٤٨٩، ١٩/٤٤٤ـ٤٤٥، ٢٢٨ـ٢٢٩، ٣٣/٢٨٩، ١٧٢ـ١٧٣) ؛ درء تعارض العقل والنقل (١/٧٨، ٨٠، ٨٦، ٣/٣٥٣ـ٣٥٤، ٥/٢٤٢) ، مختصر الصواعق (٧٤، ٧٧، ٨٤ـ٨٥، ١٠٣، ١١٨) ، شرح الطحاوية (١٤٩) ، صون المنطق والكلام (١٧٨) وانظر الصفحات التي بعدها .. ، الصفات الإلهية (٥٨) ، التنكيل (٢/٣١٥) .

ثانياً : اعلم أن كلام المؤلف هذا ، قد ناقضه بنفسه في موضعين ، وهما :

الموضع الأول : أنه قال عند ذكره "ما يجب على الذي يفسر القرآن بالرأي الجائز أن يسلكه" : أولا : أن يطلب المعنى من القرآن ، فإن لم يجده طلبه من السنة ، لأنها شارحة للقرآن ، فإن أعياه الطلب رجع إلى قول الصحابة ، فإنهم أدرى بالتنزيل وظروفه ...

ثانياً : إن لم يظفر بالمعنى في الكتاب والسنة ومأثورات الصحابة ، وجب عليه أن يجتهد وسعه متبعاً ما يأتي : .(١) [ثم ذكر الرجوع إلى اللغة ، والأسباب في النزول وغيرها ..] .اهـ

فقد جعل الاجتهاد هنا بعد فقد النص .. وهذا هو المقرر والمعروف في علم الأصول . فالأدلة هي الكتاب ، والسنة ، والإجماع ، ثم يأتي القياس ، وبعده الاجتهاد .. وعلى هذا الترتيب جرى المؤلفون في أصول الفقه قديماً وحديثاً .

الموضع الثاني : وهو قوله عقب الكلام الأول الذي نقلناه : "أما إذا كان المأثور غير قطعي في دلالته لكونه ليس نصاً ، أو في متنه ، لكونه خبر آحاد ، ثم عارضه التفسير بالرأي ، فلا يخلو الحال : إما أن يكون ماحصل فيه التعارض مما لامجال للرأي فيه ، وحينئذ فالمعول عليه المأثور فقط ، ولا يقبل الرأي .

وإن كان للرأي فيه مجال ، فإن أمكن الجمع فبها ونعمت ، وإن لم يمكن قُدم المأثور عن النبي ﷺ ، أو عن الصحابة ، لأنهم شاهدوا الوحي ، وبعيد عليهم أن يتكلموا في القرآن بمجرد الهوى والشهوة .." اهـ (٢) .

فهذه مناقضة صريحة لما سبق . فأنت ترى أنه يرى تقديم المأثور ، سواء كان مرفوعاً أو موقوفاً على الرأي والاجتهاد ؛ وسواء كان المأثور قطعياً أو ظنياً ؛ بينما هناك يرى تقديم الرأي المستند إلى دليل قطعي على النص القطعي ، إذا عارضه ولم يمكن الجمع والتوفيق بينهما !! .

المسألة الثالثة عشرة : حول مصطلح أهل السنة والجماعة :

كثيراً مايذكر المؤلف هذا المصطلح وهو يريد به الأشاعرة .. فعلى سبيل المثال : حينما تكلم المؤلف عن تفسير البيضاوي (١) قال : "وقرر الأدلة على أصول أهل السنة" اهـ(٢) .

ولما تكلم عن تفسير أبي السعود (٣) قال ".. مع سلامة في الذوق ، وتوفيق في التطبيق ، ومحافظة على عقائد أهل السنة .." اهـ (٤) .

وفي معرض كلامه عن تفسير النسفي (٥)قال : ".. ومرشح لأقاويل أهل السنة والجماعة .." اهـ (٦).

ومعلوم أن هؤلاء كلهم من الأشاعرة ، وليسوا من أهل السنة والجماعة .. كما يرى المؤلف !!

وقد قال عند كلامه على تفاسير الفرق المختلفه : "و قد تكلمنا تحت العنوان السابق على نماذج من تفاسير أهل السنة ... " !!

و قال تحت عنوان "تفاسير أهل الكلام " : ".وكذلك تجد في أهل السنة أنفسهم من هو قاصد في تأييد عقيدته بتفسيره ، كأولئك الذين ترجمناهم، وترجمنا تفاسيرهم من قبل ..

و من أهل السنة من استبسل في الدفاع عن عقيدتهم في تفسيره ، وعلى رأس هؤلاء الإمام فخر الدين الرازي ، الذي شنها حرباً شعواء في كل مناسبة على أهل الزيغ والانحراف في العقيدة ... " اهـ(٧) .

١- هو القاضي ناصر الدين ، أبو الخير ، عبد الله بن عمر بن محمد بن علي ، البيضاوي ، الشافعي ، توفي سنة (٦٩١هـ) وقيل غير ذلك . شذرات الذهب (٣٩٢/٥) .

٢- المناهل (٥٣٥/١) .

٣- محمد بن مصطفى الحنفي ، المولود سنة (٨٩٣هـ) ، وتوفي في القسطنطينية سنة (٩٨٢هـ) . شذرات الذهب (٣٩٨/٨) .

٤- المناهل (٥٣٦/١) .

٥- هو أبو البركات ، عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي ، الحنفي المتوفي سنة (٧٠١هـ) . معجم المؤلفين (٣٢/٦) .

٦- المناهل (٥٣٦/١).

٧- المناهل (٥٦٤/١ـ٥٦٥) وانظر أيضاً (١٢٧/٢) .

و هذا الذي جرى عليه المؤلف ليس مستغرباً ؛ بل هو أمر قديم جداً ..!!

فإنك إذا نظرت في كثير من كتب المتكلمين ، سواء في التفسير أو الأصول أو غير ذلك .. رأيت الكثير منهم يذكر الأقوال المختلفة في المسألة ، ولا يشير إلى قول أهل السنة !! بل إنك تجده في غالب الأحيان ـ كما هو الحال هنا ـ ينسب مقالات أهل البدع وطرقهم إلى أهل السنة ! وذلك لأنه لم يعرف مذهبهم ، ولم يقرأ كتبه ..؛ ولم يسمع به ! وقد يكون سمع بشيء من مذهبهم ، لكن سمعه على سبيل النقد والتشويه من كتب شيوخه ومنظري مذهبه !(١) .

السنة وأهلها :

"السنة هي الطريق المسلوك ، وذلك يشمل التمسك بما كان عليه النبي ﷺ وخلفاؤه الراشدون من الاعتقادات و الأعمال ، والأقوال .. وهذه هي السنة الكاملة .

و لهذا كان السلف قديماً لا يطلقون اسم السنة إلا على ما يشمل ذلك كله ، وروي معنى ذلك عن الحسن ، والأوزاعي ، والفضيل بن عياض " (٢) .

ثم صار ذلك في عرف كثير من المتأخرين ، عبارة عما سلم من الشبهات في الاعتقادات ، خاصة في مسائل الإيمان بالله ، والملائكة ، والكتب ، والرسل ، واليوم الآخر ،والقدر ...

و لهذا نجد أنهم سموا كثيراً من مصنفاتهم في هذا الباب باسم "السنة " ..

و إنما خصوها بهذا النوع من المسائل ، لأن المخالف فيها على خطر عظيم، وعلى شفا هلكة . (٣) .

فالحاصل أن المراد بالسنة هنا : الطريقة التي كان عليها رسول الله ﷺ وأصحابه ، قبل ظهور البدع والمقالات المحرفة .

و اعلم أن أولئك ، ومن كان على طريقهم هم :"الجماعة" (٤) .

١ـ حول هذا الموضوع انظر مجموع فتاوى ابن تيمية (١٢/٣٠٨ـ٣٠٩،١٧/١٦٧) ، مجموعة الرسائل والمسائل (١/٣٥٨) .

فكل من كان على الحق فإنه من الجماعة ، وإن كان وحيداً .

قال الشاطبي عند ذكره بعض إطلاقات السنة :"و يطلق أيضاً في مقابلة البدعة ، فيقال : "فلان على سنة" إذا عمل على وفق ما عمل عليه النبي ﷺ ؛ كان ذلك مما نص عليه في الكتاب ،أو لا . ويقال: فلان على بدعة :"إذا عمل على خلاف ذلك ؛ وكأن هذا الإطلاق إنما اعتبر فيه عمل صاحب الشريعة ، فأُطلق عليه لفظ السنة من تلك الجهة ، وإن كان العمل بمقتضى الكتاب .

و يطلق أيضاً لفظ السنة على ما عمل عليه الصحابة ، وجد ذلك في الكتاب ، أو السنة ، أو لم يوجد ، لكونه اتباعاً لسنة ثبتت عندهم لم تنقل إلينا .." اهـ (١) .

و بناءاً على ما سبق ، يكون أحق الناس بهذا الوصف هم أهل التوحيد ، والمتمسكون بالأصلين ظاهراً و باطناً ، دون أن يخلطوا ذلك بشيء من البدع ، سواء في أبواب العلم والاعتقاد ، أو العمل والإرادات .

فهم على ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ، علماً وعملا .

وقد ينسب إليها في بعض الإطلاقات من خالف الجهمية في أبواب الأسماء والصفات فأثبتها .. وخالف الجبرية وغيرهم من المنحرفين في باب القدر .. فأثبته ..

و تطلق أيضاً على من كان على طريقة السلف في أبواب الإمامة والتفضيل ، والكف عما شجر بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .. وهذا كله من باب إطلاق الاسم على بعض مسمياته ..

أما الإطلاق الذي يقابل "الرفض" فيدخل فيه الاشاعرة والماتريديه ونحوهم ممن يثبت خلافة الخلفاء الثلاثة . قال ابن تيمية : "فلفظ أهل السنة " يراد به من أثبت خلافة الخلفاء الثلاثة ، فيدخل في ذلك جميع الطوائف إلا الرافضة ، وقد يُراد به أهل الحديث والسنة المحضة ، فلا يدخل فيه إلا من يثبت الصفات لله تعالى ، ويقول إن القرآن غير مخلوق ، وإن الله يُرى في الآخرة ، ويثبت القدر ، وغير ذلك من الأصول المعروفة عند أهل الحديث والسنة " اهـ (٢) .

قال الإمام أحمد :"أصول السنة عندنا : التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم ، وترك البدع ، وكل بدعة فهي ضلالة ، وترك الخصومات ،

١- الموافقات (ج٤/ص٤).

٢- منهاج السنة (ج٢/٢٣١) .

والجلوس مع أصحاب الأهواء ، وترك المراء والجدال ، والخصومات في الدين .

و السنة عندنا آثار رسول الله ﷺ . والسنة تفسر القرآن ، وهي دلائل القرآن . وليس في السنة قياس ، ولا تضرب لها الأمثال ، ولا تدرك بالعقول ، ولا الأهواء ؛ إنما هي الاتباع وترك الهوى .

ومن السنة الملازِمَة التي من ترك منها خصلة لم يقلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها :

الإيمان بالقدر خيره وشره ، والتصديق بالأحاديث فيه ، والإيمان بها ؛ لا يقال لِمَ ؟ ولا كيف ؟ إنما هو التصديق والإيمان بها .

ومن لم يعرف تفسير الحديث ، ويبلغه عقله ، فقد كُفي ذلك ، وأُحكم له ، فعليه الإيمان به ، والتسليم له ، مثل حديث الصادق والمصدوق ، وما كان مثله في القدر .

ومثل أحاديث الرؤية كلها ، وإن نبت عن الأسماع ، واستوحش منها المستمع ، فإنما عليه الإيمان بها ، وأن لا يرد منها جزءاً واحداً وغيرها من الأحاديث المأثورات عن الثقات .

لا يخاصم أحداً ، ولا يناظره ، ولا يتعلم الجدل ، فإن الكلام في القدر ، والرؤية ، والقرآن ، وغيرها من السنن ، مكروه منهي عنه ، ولا يكون صاحبه ـ إن أصاب بكلامه السنة ـ من أهل السنة حتى يدع الجدل ويسلم ... " اهـ (١) ثم ذكر جملة من اعتقادات أهل السنة في القرآن وغيره ، تركنا نقلها طلباً للاختصار .

و قد ساق اللالكائي رحمه الله ، في ذكر معتقد علي بن المديني رحمه الله نحواً مما ساقه عن الإمام أحمد رحمه الله . (٢) .

و إذا أردت معرفة موقع الأشاعرة من أهل السنة فاعرض مذهبهم على كلام الإمام أحمد رحمه الله ، لتعرف أنهم ليسوا من أهل السنة والجماعة ، إلا إن كان ذلك في مقابلة الرافضة كما تقدم .

فكل من خالف معتقد أهل السنة كان مبتدعاً خارجاً عن طريقهم .

و معلوم أن الأشاعرة يخالفون أهل السنة في عامة الأصول الهامة في المعتقد ،

دعك من التفريعات الأخرى .

ويمكن أن ألخص هنا بعض الأساسيات التي يخالفون فيها أهل السنة وهي :

١ ـ مصدر التلقي ؛ فهو عندهم العقل ، والنقل عاضد له ، فإذا خالفه ـ بزعمهم ـ قُدم العقل .

٢ ـ إثبات وجود الله تعالى ؛ وذلك أنهم يثبتونه بدليل واحد يسمونه "دليل الحدوث والقدم " بخلاف أهل السنة ، الذين يثبتونه بالأدلة التي لا تحصى من الكتاب والسنة والعقل والفطرة ..

٣ ـ التوحيد ؛ فهو عندهم نفي التثنية ، أو نفي التعدد والتبعيض والتركيب والتجزئة ؛ وبنوا على هذه الاصطلاحات البدعية نفي كثير من الصفات والأفعال للرب تبارك وتعالى .

ثم إنهم فسروا الإله بأنه الخالق ، أو القادر على الاختراع .. أما توحيد الأسماء والصفات ، وتوحيد الألوهية ، فهذا شيء لا يعرف عندهم ..!

٤ ـ يرون أن أول واجب على المكلف النظر ، أو القصد إلى النظر ... أو غير ذلك ، مما يشبهه من البدع .. بخلاف أهل السنة الذين يرون أن أول واجب هو التوحيد والعبادة .

٥ ـ عندهم الإيمان بمعنى التصديق القلبي ، بخلاف أهل السنة الذين قرروا أنه اعتقاد بالجنان ، وعمل بالأركان ، وقول باللسان .

٦ ـ يرون أن ألفاظ القرآن التي بين أيدينا في المصاحف مكتوبة ، وفي الصدور محفوظة ؛ مخلوقة وكلام الله هو معنى قائم في النفس ... إلخ بخلاف أهل السنة الذين كفروا من قال بخلق القرآن ، فهم يرون أنه كلام الله لفظاً ومعنى ، حقيقة لا مجازاً .

٧ ـ القدر والكسب في أفعال العبد .. فحقيقة مذهبهم الجبر ، خلافاً لأهل السنة .

٨ ـ السببية والتأثير. فهم يرون عدم تأثير شيء من المخلوقات في شيء آخر .. ولا يكون شيئاً سبباً لشيء آخر إطلاقاً .. فالنار لا تحرق ، ولم يودع الله فيها خاصية الإحراق ..!!

و إنما يحصل الاحتراق عند وضع الشيء فيها ، ولم يحصل بها الإحراق ..إلخ كلامهم المعروف في هذه المسألة خلافاً لأهل السنة .

٩ ـ ينفي الأشاعرة الحكمة والتعليل في أفعال الله تبارك وتعالى ، خلافاً لأهل السنة في إثبات ذلك .

١٠ـ النبوات ؛ فعندهم أن إرسال الرسل راجع إلى المشيئة المحضة ، وعندهم أنه لا دليل على صدق النبي إلا المعجزة .. كما يرون أن أفعال السحرة والكهان من جنس المعجزات ، لكنها لا تكون مقرونة بادعاء النبوة والتحدي .

١١ـ يرون أن العقل لا يُحسِّن ولا يُقبِّح ، وإنما ذلك مقصور على الشرع ، الذي قد يُحسِّن ما قبحه العقل ، والعكس !!

١٢ـ التأويل أصل بنوا عليه كثيراً من اعتقاداتهم ، وبسببه نفوا كثيراً من صفات الله عز وجل ، وحرفوا فيه نصوص الوحيين ؛ بخلاف أهل السنة في هذا الباب .

١٣ـ ينفي الأشاعرة كثيراً من صفات الله عز وجل بحجة التنزيه له سبحانه .

ولهم من المخالفات غير هذا كثير(١)، وإنما نكتفي بالتنبيه والإشارة بالبعض إلى الكل ، والله المستعان .

وقد سُطِّرت كثير من مقالات أهل العلم ، من مختلف المذاهب ، في بيان فساد مسلك الأشاعرة ، وانحراف منهجهم ؛ وسبق ذكر شيء من ذلك ،(٢)ولا مانع أن نُذكِّر ببعضه :

١ـ قول ابن خويز منداد في كتاب الشهادات من كتابه في الخلاف ـ في تأويل قول مالك : لاتجوز شهادة أهل البدع وأهل الأهواء ـ قال : أهل الأهواء عند مالك وسائر أصحابنا هم أهل الكلام ، فكل متكلم فهو من "أهل الأهواء والبدع ، أشعرياً كان أو غير أشعري ، ولا تقبل له شهادة في الإسلام أبداً ، ويهجر ، ويؤدب على بدعته ، فإن تمادى عليها استُتيب اهـ (٣) .

٢ـ قال البربهاري (٤): "إذا أردت الاستقامة على الحق وطريق أهل السنة

١ـ هذه المخالفات تجدها في رسالة "منهج الأشاعرة" للشيخ سفر الحوالي . وهي رسالة جديرة بالعناية . وراجع لوامع الانوار البهية (٧٣/١) ، صون المنطق والكلام (٦٥ـ فما بعدها) .

٢ـ راجع ص (٤٠٩ـ٤١١).

قبلك ، فاحذر الكلام ، وأصحاب الكلام ، والجدال ، والمراء ، والقياس ، والمناظرة في الدين .. وما كانت قط زندقة ، ولا بدعة ، ولا هوى ، ولا ضلالة ، إلا من الكلام ، والجدال ، والمراء ، والقياس ، وهي أبواب البدع والشكوك والزندقة اهـ(١).

٣ـ قدمنا فيما سبق شيء من شدة الشيخ أبي حامد الاسفراييني على الباقلاني وأصحاب الكلام ، وذكرنا قول أبي الحسن الكرجي الشافعي : "ولم يزل الأئمة الشافعية يأنفون ، ويستنكفون أن ينسبوا إلى الأشعري ، ويتبرأون مما بنى الأشعري مذهبه عليه ، وينهون أصحابهم عن الحوم حواليه .." .

وذكرنا ما نقل عن الاسفراييني أنه كان إذا سعى إلى الجمعة يدخل بعض الأربطة ويقول : "اشهدوا علي بأن القرآن كلام الله غير مخلوق ، كما قال أحمد بن حنبل ، لا كما يقول الباقلاني .. وأن ذلك تكرر منه جمعات .. فقيل له في ذلك ، فقال : حتى ينتشر في الناس ، وفي أهل الصلاح ، ويشيع الخبر في البلاد ، أني بريء مما هم عليه ـ يعني الأشعري ـ وبريء من مذهب أبي بكر الباقلاني ...

حتى بلغ به الأمر أن ميز أصول فقه الشافعي من أصول الأشعري ، واقتدى به في ذلك جماعة منهم الشيرازي . (٢) .

ولقد كان الباقلاني يخرج إلى الحمام متبرقعاً خوفاً من الشيخ أبي حامد !! (٣) .

والخلاصة أن الأشعري (٤)ليس سنياً بالاعتبار السابق ؛ لكن من قال من الأشاعرة بما في كتاب الإبانة الذي صنفه أبو الحسن رحمه الله في آخر عمره .. ولم يظهر مقالة تناقض ذلك ؛ فهذا يعد من أهل السنة ، لكن مجرد الانتساب إلى الأشعري بدعة . (٥) .

١ـ طبقات الحنابلة (٢/٣٨) .

٢ـ الفتاوى الكبرى (ج٥/٢٨٤ـ٢٨٧) .

٣ـ درء تعارض العقل والنقل (٢/٩٦ـ١٠١) .

٤ـ أي المنتسب إلى ذلك المذهب .

٥ـ هذا ملخص كلام شيخ الإسلام .

المسألة الرابعة عشرة : حقيقة الإيمان (١) .

يرى المؤلف ـ رحمه الله ـ أن الإيمان بمعنى التصديق في اللغة والشرع !!

وإليك كلامه الذي يعلق به على كلام نقله من الزمخشري : ".. فينفي الإيمان ـ أي الزمخشري ـ عن سليم العقيدة ، مادام أنه أخل بواجب العمل . وهو محجوج من أهل السنة بأن هذا التفسير لا يوافق اللغة ولا الشرع . أما اللغة فلأن معنى الإيمان : التصديق لاغير ؛ وكذا الشرع ، بدليل عطف العمل عليه ، والعطف يقتضي المغايرة بين المتعاطفين" اهـ (٢) .

ولاشك أن هذا من أقوال المرجئة (٣)، الذين شدد السلف والأئمة في النكير عليهم ، ورد بدعتهم . قال في الجوهرة :

وفسر الإيمان بالتصديق والنطق فيه الخلف بالتحقيق (٤)

ونحن لانسلم أن لفظ الإيمان مرادف للفظ التصديق ؛ فالتصديق يستعمل في كل خبر .. فيقال لمن أخبر بالأمور المشهورة كالواحد نصف الاثنين ، والسماء فوقنا..: صدقت ، وصدقنا بذلك . لكن لا يقال آمنا لك . ولا آمنا بهذا . لأن هذا إنما يكون في الأمور الغائبة ، كما قال إخوة يوسف : ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ (٥) أي بمقر لنا ، ومصدق لنا ، لأنهم أخبروه عن غائب ، ومنه قوله : ﴿أنؤمن لك واتبعك الأرذلون﴾ (٦). وقوله : ﴿يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾ (٧)، وقوله : ﴿أنؤمن لبشرين

---

١ ـ في هذا الموضوع انظر : تعظيم قدر الصلاة للمروزي (١/٢٩٢ـ٤٣٧) ، شرح السنة (١/٣٣،٧) (كتاب الإيمان) ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/٨٣٠ـ٨٣٢) ، الإبانة الكبرى (١/٦٢٨ـ٨٢٧) ، مجموعة الرسائل والمسائل (٢/٣٣٩ـ٣٤٣) ، شرح الطحاوية (٢٨٣ـ٣٠٠) ، لوامع الأنوار البهية (١/٤٠٣ـ٤١١) ، معارج القبول (٢/١٥ـ٣٢) ، الإبانة الصغرى (١٧٧) . وهناك كتب ومؤلفات أفردت في هذا الموضوع ، ككتاب الإيمان لابن مندة (١/٢٩٤ـ٤٦٥) ، الإيمان للعبسي ، الإيمان لأبي عبيد ، الإيمان لابن أبي شيبة ، الإيمان الكبير لابن تيمية ، انظر على سبيل المثال الصفحات (١١٢ـ١٢٥، ١٣٥ـ١٤١، ١٥٢، ١٦٢، ١٧٠، ١٧٥، ١٧٨ـ١٨١، ١٩٠، ٢٠٧، ٢٤٥، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨١ـ٢٨٧، ٣٠٠) .

٢ـ مناهل العرفان (١/٥٣٩) .

مثلنا وقومهما لنا عابدون﴾ (١) وقوله : ﴿وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون﴾ (٢) وقوله : ﴿فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه﴾ (٣) أي أقرله .

وذلك لأن الإيمان يفارق التصديق في اللفظ والمعنى ..

أما وجه مفارقته له من جهة اللفظ فمن ناحيتين :

الأولى : أن لفظ التصديق يتعدى بنفسه إلى المصدق فنقول : "صدقته" ؛ بينما لا يوجد ذلك في لفظ "الإيمان" فلا تقول : "آمنته" إلا إن كان من الأمان ، الذي هو ضد الإخافة . لكن تقول : آمنت له .

الثانية : "ما تقدم من أن الإيمان لا يستعمل في جميع الإخبار ، بل في الإخبار عن الأمور الغائبة ونحوها مما يدخلها الريب ، فإذا أقر بها المستمع قيل : آمن . بخلاف لفظ التصديق ، فإنه عام متناول لجميع الإخبار .

وأما وجه مفارقته له من جهة المعنى

فذلك أن الإيمان مأخوذ من الأمن ، الذي هو الطمأنينة ، كما أن لفظ الإقرار مأخوذ من قرّ يَقِرّ ، وهو قريب من آمن ؛ لكن الصادق يطمئن إلى خبره ، والكاذب بخلاف ذلك .

فالمؤمن دخل في الأمن ، كما أن المقر دخل في الإقرار ، ولفظ الإقرار يتضمن الالتزام ، ثم إنه يكون على وجهين :

أحدهما : الإخبار : وهو من هذا الوجه كلفظ التصديق والشهادة ونحوهما ، وهذا هو معنى الإقرار الذي يذكر في كتب الفقه .

الثاني : إنشاء الالتزام ، كما في قوله تعالى : ﴿ءأقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ؟ قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾ (٤) . وليس هو هنا بمعنى الخبر المجرد فإنه تعالى قال : ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال ءأقررتم

١ـ التوبة (٦١) .

٢ـ المؤمنون (٤٧) .

٣ـ الدخان (٢١) .

٤ـ يونس (٨٣) .

٤ـ آل عمران (٨١) .

وأخذتم على ذلكم إصري﴾ (١) . فهذا الالتزام ، والنصر للرسول . وكذلك لفظ الإيمان ، فإن فيه إخباراً وإنشاءاً ، والتزاماً ، بخلاف لفظ التصديق المجرد ، فمن أخبر الرجل بخبر لا يتضمن طمأنينة إلى المخبر ؛ لا يقال فيه : آمن له ، بخلاف الخبر الذي يتضمن طمأنينة إلى المخبر ، والمخبر قد يتضمن خبره طاعة المستمع له ، وقد لا يتضمن إلا مجرد الطمأنينة إلى صدقه .

فإذا تضمن طاعة المستمع لم يكن مؤمناً للمخبر ؛ إلا بالتزام طاعته ، مع تصديقه ؛ بل قد استعمل لفظ الكفر المقابل للإيمان في نفس الامتناع عن الطاعة ، والانقياد ؛ وقياس ذلك أن يستعمل لفظ الإيمان كما استعمل لفظ الإقرار في نفس التزام الطاعة والانقياد .

وأيضاً فإن لفظ التصديق إنما يستعمل في جنس الإخبار ، فإن التصديق إخبار بصدق المخبر ، والتكذيب إخبار بكذب المخبر ، فقد يصدق الرجل الكاذب تارة ، وقد يكذب الرجل الصادق أخرى ؛ فالتصديق والتكذيب نوعان من الخبر ، وهما خبر عن الخبر ، فالحقائق الثابتة في نفسها ، التي قد تعلم بدون خبر ، لا يكاد يستعمل فيها لفظ التصديق والتكذيب ، بخلاف الإيمان والاقرار ، والإنكار والجحود ، ونحو ذلك ، فإنه يتناول الحقائق ، والإخبار عن الحقائق أيضاً .

وأيضاً فإن الذوات التي تحب تارة ، وتبغض أخرى ، وتوالى تارة ، وتعادى أخرى ، وتطاع تارة ، وتعصى أخرى ، ويذل لها تارة ، ويتكبر عنها أخرى .. تختص هذه المعاني فيها بلفظ الإيمان ، والكفر ، ونحو ذلك ؛ وأما لفظ التصديق ، والصدق ، فيتعلق بمتعلقاتها ، كالحب ، والبغض ، فيقال : حب صادق ، وبغض صادق ، فكما أن الصدق والكذب في إثبات الحقائق ونفيها متعلق بالخبر النافي والمثبت دون الحقيقة ابتداءاً . فكذلك في الحب والبغض ونحو ذلك يتعلق بالحب والبغض دون الحقيقة ابتداءاً ، بخلاف لفظ الإيمان والكفر فإنه يتناول الذوات بلا واسطة إقراراً أو إنكاراً ، أو حباً أو بغضاً ، أو طمأنينة أو نفوراً .

وهذا هو المعروف في الكتاب والسنة وكلام السلف ، فإنه لم يرد "تصديقاً بالله" أو "صدق بالله" ونحو ذلك ، وإنما يقال : آمن بالله ، ويؤمن بالله ..

ولفظ الإيمان يستعمل في الخبر أيضاً ، كما قال تعالى : ﴿كل آمن بالله﴾ (١) أي أقر له ، والرسول يؤمن له من جهة أنه مخبر ، ويؤمن به من جهة أن رسالته مما أخبر به ، كما يؤمن بالله وملائكته وكتبه .

فالإيمان متضمن للإقرار بما أخبر به ، والكفر يكون تارة بالنظر إلى عدم تصديق الرسول والإيمان به.. وهذا الباب يشترك فيه كل ما أخبر به ؛ وتارة بالنظر إلى عدم الإقرار بما أخبر به .. ثم مجرد تصديقه في الخبر والعلم بثبوت ما أخبر به إذا لم يكن معه طاعة لأمره ، لا باطناً ولا ظاهراً ، ولا محبة لله ، ولا تعظيماً له ، لم يكن ذلك إيماناً .

ومعلوم أن كفر إبليس وفرعون واليهود ونحوهم لم يكن أصله من جهة عدم التصديق والعلم ، فإن إبليس لم يخبره أحد بخبر ، بل أمره الله بالسجود لآدم فأبى واستكبر فكفره بالإباء والاستكبار ؛ لا لأجل التكذيب .

والحاصل مما سبق أن لفظ الإيمان ليس مطابقاً للتصديق ، بل لابد وأن يكون تصديقاً عن غيب ، بخلاف لفظ التصديق .

وأيضاً فإن الإيمان في القلب لا يكون إيماناً بمجرد تصديق ليس معه عمل القلب ، وموجبه من محبة الله ورسوله ، ونحو ذلك من الأمور التي يقتضيها تصديق القلب .

ولو سلم الترادف بينهما .. فإن التصديق يكون بالأفعال أيضاً ، كما في الحديث "... العينان زناهما النظر ، والأذنان زناهما الاستماع .." ـ إلى أن قال ـ : "ويصدق ذلك الفرج ، ويكذبه"(٢) .

وعلى فرض أنه بمعنى التصديق أيضاً .. فإنه تصديق مخصوص ، كما في الصلاة ونحوها ؛ وليس هذا نقلا للفظ ، ولا تغييراً له ؛ فإن الله لم يأمر بإيمان مطلق ، بل بإيمان خاص ، وصفه وبينه(٣) .

١ـ البقرة (٢٨٥) .

٢ـ مسلم / كتاب القدر / باب قدّر على ابن آدم حظه من الزنا . وهو رقم (٢٦٥٧) .

٣ـ فيما يتعلق بذكر الفرق بين الإيمان والتصديق انظر : كتاب الإيمان الكبير لابن تيمية(ص ١١٢ـ ١٢٥ ، ٢٧٤ـ ٢٨١ـ٣٠٠) ، فقد بينه بياناً شافياً ، وانظر أيضاً : الإيمان الأوسط له (ص٧٠ـ٧٧،١٧٨ـ١٧٩) وعامة ما ذكرت من الفرق بين الإيمان والتصديق إنما استفدته من كلامه رحمه الله ، وانظر شرح الطحاوية (ص٢٩٠ـ٢٩٢) ، معارج القبول (٢/٢١ـ٢٥) .

الإيمان عند أهل السنة والجماعة :

ذهب أهل السنة والجماعة إلى أن الإيمان قول وعمل ؛ قول بالقلب ، وقول باللسان ، وعمل بالقلب ، وعمل باللسان والجوارح .

وبهذا جاءت النصوص من الكتاب والسنة ، كما سيأتي بيان ذلك فيما يلي :

أما الأدلة على كونه قولا بالقلب

أي تصديقاً ، وإقراراً ، ويقيناً ، ومعرفة ، فهي قول الله تعالى : ﴿والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾(١) وقوله : ﴿وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين﴾(٢)وقوله : ﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا﴾ . (٣)وقوله : ﴿الذين يؤمنون بالغيب..﴾(٤) وغير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى ..

فإذا انتفى تصديق القلب ، مع العلم بالحق ، فإن صاحبه يقع في كفر الجهل والتكذيب . كما قال تعالى : ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله﴾ (٥)وقال : ﴿أكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً ..﴾ (٦).

لكن الإقرار والتصديق بالقلب وحده لا يكفي ، خلافاً للمرجئة ، فقد كان فرعون واليهود ، ومن كان مثلهم يعلمون صدق المرسل إليهم في قرارة نفوسهم ، لكنهم جحدوا ذلك ، وأبوا أن يدخلوا في دين الله عز وجل ، فكانوا كفاراً بذلك ، قال تعالى : ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلماً وعلواً ..﴾(٧)وقال عزوجل : ﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم ، وإن فريقاً منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون﴾(٨)وقال ﴿فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ..﴾ (٩) .

١ـ الزمر (٣٣).

٢ـ الأنعام (٧٥) .

٣ـ الحجرات (١٥) .

٤ـ البقرة (٣) .

وأما مايدل على أنه لابد فيه من القول باللسان :

قوله تعالى : ﴿قولوا آمنا بالله وما أُنزل إلينا وما أُنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم﴾ (١) وقال تعالى : ﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب﴾ (٢) وقال : ﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل ...﴾ (٣) وقال:﴿وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا ..﴾ (٤)وقال :﴿إلا من شهد بالحق﴾ (٥) وقال: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا ..﴾ (٦) .

وقال النبي ﷺ :"قل آمنت بالله ثم استقم" (٧) وقال أيضاً :"أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، (٨) .

فإذا انتفى هذا الأمر مع العلم بصدقه ، كان ذلك الكفر كفر جحود وكتمان كما دلت على ذلك بعض الآيات التي سبق ذكرها ، كقوله تعالى: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ...﴾ (٩) وقوله تعالى :﴿الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ..﴾ (١٠).

٨- البقرة (١٤٦) .

٩- البقرة (٨٩) .

١- البقرة (١٣٦) .

٢- الشورى (١٥) .

٣- آل عمران (٨٤) .

٤- القصص (٥٣) .

٥- الزخرف (٨٦) .

٦- فصلت (٣٠) .

٧- مسلم /الإيمان ، باب جامع أوصاف الإسلام . وأخرجه الترمذي بلفظ مقارب في الزهد باب ما جاء في حفظ اللسان .

٨- البخاري في الإيمان : باب ﴿ فإن تابوا وأقاموا الصلاة ﴾ ، وفي أول الزكاة ، وفي استتابة المرتدين : باب قتل من أبى قبول الفرائض . ومسلم في الإيمان باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله .. وقد روى هذا الحديث جماعة من الصحابة بألفاظ متقاربة .

٩- النمل (١٤) .

١٠- البقرة (١٤٦) .

لكن هذا الإقرار باللسان وحده لا يكفي ، خلافاً للكرامية ، كما دل على ذلك القرآن الكريم . قال تعالى : ﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين﴾(١) ،وقال عن المنافقين :﴿إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله ، والله يعلم إنك لرسوله ، والله يشهد إن المنافقين لكاذبون﴾(٢) ،وقال: ﴿ياأيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ..﴾(٣) ،فمن أقر بلسانه وأعرض بقلبه كان منافقاً .

و أما ما يدل على أنه عمل بالقلب أيضاً

قوله تعالى :﴿ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه﴾(٤)، وقوله :﴿وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى﴾(٥) ،وقوله: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله ...﴾(٦) ،وقوله :﴿الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم ..﴾،(٧) وقوله :﴿الذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة ...﴾،(٨) وقوله:﴿الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله .﴾،(٩)وقوله :﴿و الذين آمنوا أشد حباً لله﴾،(١٠) وقوله: ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان ..﴾ ،(١١)و الآيات في هذا كثيرة جداً ، وما ذكرناه منها ينبه ويدل على غيره .. فالخوف والحب والبغض والإرادة وما شابه ذلك ، كل ذلك من الأمور والأعمال القلبية .

فإذا انتفى عمل القلب من النية والإخلاص والمحبة والإذعان مع الانقياد في الجوارح الظاهرة ، فإن ذلك يكون كفر نفاق ، سواء وجد التصديق في الباطن ، أو

١- البقرة (٨) .

٢- المنافقون (١) .

٣- المائدة (٤١) .

٤- الأنعام (٥٢) .

٥- الليل (١٩) .

٦- الإنسان (٩) .

٧- الأنفال (٢) .

٨- المؤمنون (٦٠) .

انتفى ،كما هو معروف من أحوال المنافقين .

و هو أيضاً عمل باللسان والجوارح :

و عمل اللسان هو مالا يؤدى إلا به ، كقراءة القرآن ،وسائر الأذكار ... قال تعالى :﴿إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور﴾، (١) وقال :﴿واتل ما أُوحي إليك من كتاب ربك﴾ ،(٢) وقال : ﴿ ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً وسبحوه بكرة وأصيلا﴾(٣)،و قال:﴿واذكر ربك في نفسك تضرعاً وخيفة ..﴾(٤)، وقال: ﴿وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ..﴾(٥)،و قال :﴿واستغفروا الله إن الله غفور رحيم﴾(٦)، وقال :﴿الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ..﴾(٧).

و عمل الجوارح ما لا يُعمل إلا بها كقوله تعالى :﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا ..﴾(٨) وقال :﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب ..﴾ (٩)، وقال تعالى :﴿إنما المؤمنون الذين إذا ذُكر الله وجلت قلوبهم ـ إلى قوله ـ الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقاً ...﴾ (١٠) وقد بين النبي ﷺ هذا بقوله :"الإيمان بضع وسبعون شعبة ، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق" (١١) .

هذا وإن كل شعبة من هذه الشعب ، تسمى إيماناً ؛ فالصلاة من الإيمان ،

١ـ فاطر (٢٩) .

٢ـ الكهف (٢٧) .

٣ـ الأحزاب (٤٢) .

٤ـ الأعراف (٢٠٥) .

٥ـ الإسراء (١١١) .

٦ـ المزمل (٢٠) .

٧ـ آل عمران (١٩١) .

٨ـ الحج (٧٧) .

٩ـ محمد (٤) .

١٠ـ الأنفال (٢ـ٤) .

١١ـ البخاري في الإيمان ، باب أمور الإيمان ، ومسلم في الإيمان ، باب بيان عدد شعب الإيمان ، وأبو داود في السنة ، باب رد الإرجاء ، والترمذي في الإيمان ، والنسائي في الإيمان باب ذكر شعب الإيمان ، وابن ماجة في المقدمة رقم (٥٧) .

وكذلك الزكاة والحج ، وسائر الأعمال الظاهرة والباطنة ، كالحياء ، والخوف .. حتى تنتهي هذه الشعب إلى إماطة الأذى عن الطريق .

وهذه الشعب منها ما يزول الإيمان بزوالها إجماعاً ، كالشهادتين ، ومنها ما لا يزول إجماعاً ، كإماطة الأذى عن الطريق ، ومنها ما هو بين ذلك (١) قال ﷺ : "أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً " (٢). وقال في الحديث الآخر :"البذاذة من الإيمان "(٣) وقال أيضاً :"من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله ، فقد استكمل الإيمان .." (٤) .

فالتكاليف المتعلقة بالقلب من الإيمان ، والتكاليف المتعلقة بالجوارح واللسان هي من الإيمان أيضاً على اختلاف مراتبها .. فمنها ما يتعلق بالسمع ، ومنها ما يتعلق بالبصر ، وهكذا .. قال تعالى :﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾، (٥) وقال: ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراماً﴾ (٦) وقال: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾ (٧).

فإذا انتفى عمل القلب وعمل الجوارح ، مع المعرفة بالقلب ، والاعتراف باللسان ، كان هذا كفر عناد واستكبار ، ككفر إبليس وغالب اليهود ..(٨).

و لقد نفى الله تبارك وتعالى الإيمان عمن قال بلسانه وقلبه ، إذا لم يعمل بجوارحه ، فقال :﴿قالت الأعراب آمنا ، قل لم تؤمنوا ، ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾(٩) إلى قوله :﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله

١- انظر شرح الطحاوية (٢٩٢) .

٢- الترمذي في الرضاع باب ماجاء في حق المرأة على زوجها ، وأبو داود في السنة باب الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه .

٣- أخرجه ابن ماجة في الزهد (١٣٧٩/٢) حديث (٤١١٨) ، والحاكم (٩/١) وصححه ،ووافقه الذهبي، والطبراني في الكبير رقم (٧٨٨،٧٨٩،٧٩٠) ، وأبو داود [معالم السنن] (٣٩٣/٤) ، وأحمد في السنة رقم (٧٨٠) ، وانظر السلسلة الصحيحة رقم (٣٤١).

٤- أبو داود في السنة ، باب الدليل على زيادة الإيمان ، وأحمد في المسند (٤٣٨/٣،٤٤٠) .

٥- القصص (٥٥) .

٦- الفرقان (٧٢) .

ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله أولئك هم الصادقون﴾(١)، وقال :﴿ويقولون آمنا بالله وبالرسول وأطعنا ، ثم يتولى فريق منهم من بعد ذلك ،وما أولئك بالمؤمنين﴾. (٢)والتولي هنا هوالتولي عن الطاعة لله ولرسوله ﷺ ، كما قال تعالى :﴿قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قوم أولي بأس شديد تقاتلونم أو يسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً ..﴾(٣)، وقال :﴿فلا صدق ولا صلى ولكن كذب وتولى﴾(٤) ،و قال:﴿لا يصلاها إلا الأشقى الذي كذب وتولى﴾(٥)، وقال :﴿إنا قد أوحي إلينا أن العذاب على من كذب وتولى﴾ (٦)، وقال :﴿ما سلككم في سقر ، قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين ..﴾(٧). فالتولي هنا هو التولي عن الطاعة ، ويكون معه التكذيب في بعض الأحيان .. والتصديق ضده التكذيب ، والطاعة ضدها التولي (٨)و لهذا قال :﴿فلا صدق ولا صلى ، ولكن كذب وتولى﴾ (٩).

و من المعلوم أيضاً أن الله تعالى قد رتب الفوز والفلاح على التكلم بالشهادتين ، مع الإخلاص والعمل بمقتضاهما .

والحاصل أن للإيمان أصولا وفروعاً ، وهو مشتمل على أركان وواجبات ومستحبات ، كالحج والصلاة ، والزكاة .. فاسم الحج مثلا يتناول كل ما يُشرع فيه من فعل أو ترك ، كالإحرام ، وترك المحظورات فيه ، والوقوف بعرفة .. كما أنه مشتمل على أركان متى تركت لم يصح الحج كالوقوف بعرفة ... وعلى ترك محظور متى فعله فسد حجه ، وهو الوطء .. وعلى واجبات يأثم بتركها ، وتجبر بدم .. وعلى مستحبات من فعل وترك ، يكمل بها الحج ، ولا شيء في تركها . فمن أتى بالواجب

١ـ الحجرات (١٥) .

٢ـ النور (٤٧) .

٣ـ الفتح (١٦) .

٤ـ القيامة (٣١ـ٣٢) .

٥ـ الليل (١٥ـ١٦) .

٦ـ طه (٤٨) .

٧ـ المدثر (٤٢ـ٤٤) .

٨ـ انظر كتاب الإيمان لابن تيمية (١٣٦ـ١٣٧).

٩ـ القيامة (٣١) .

وترك المحظور ، فقد تم حجه ، ويعد مقتصداً في هذه العبادة .. ومن أتى بالمستحب ، فهو أكمل ، وهو السابق بالخيرات .. ومن ترك المأمور ، وفعل المحظور ، لكنه أتى بالأركان ، وترك مفسداته ، فهو حج ناقص .. ويسقط عنه أصل الفرض . ومن أخل بركن ، أو فعل مفسداً ، فقد فسد حجه .

فهذا في مثل هذه الأعمال .. وكذلك هو في الاعيان ، كالشجرة فإن لها أصلا وفروعاً وأوراقاً .. فإذا أُزيل الورق ، فهي شجرة على حالها .. وإذا أُزيلت الفروع والأغصان ، كانت شجرة ناقصة .. وإذا أُزيل الأصل والساق ، زالت الشجرة ، وهكذا الإيمان . (١) .

هذا واعلم أنه مما لبس على هؤلاء في فهم هذا الامر ، أنهم نظروا إلى كثير من النصوص التي تدل على المطالبة بالإقرار بالشهادتين ، والتصديق بما تضمنتا من توحيد الله عز وجل ، وتصديق رسول الله ﷺ .. ولإزالة هذا اللبس يقال : لا شك أن الله عز وجل قد جعل بدء الإيمان شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله .. فأقام ﷺ بمكة بعد النبوة عشر سنين ، يدعو إلى هذه الشهادة ؛ ولم يكن هناك سواها في أول الأمر ، ولم تنزل كثير من الشرائع والفرائض إلا بعد الهجرة .. فكان من أجاب إليها ـ قبل فرض غيرها ـ كان مؤمناً ، ولم يجب عليه بعد زكاة ولا صيام ولا غير ذلك ، وإنما كان هذا التخفيف على العباد رفقاً بهم .

قال عثمان بن حنيف (٢) : كان رسول الله ﷺ مقامه بمكة يدعو الناس إلى الإيمان بالله ، والتصديق به ، قولا بلا عمل ، والقبلة إلى البيت المقدس ، فلما هاجر إلينا نزلت الفرائض ، فنسخت المدينة مكة .. ونسخ البيت الحرام بيت المقدس ، فصار الإيمان قولا وعملا . (٣) وعن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم﴾ (٤) قال : إن الله بعث نبيه ﷺ بشهادة أن لا إله إلا الله ، فلما صدق بها المؤمنون زادهم الصلاة ، فلما صدقوا بها زادهم الزكاة ، فلما صدقوا بها زادهم الصيام ، فلما صدقوا به زادهم الحج ، فلما صدقوا به زادهم الجهاد ، ثم

١- انظر شرح الطحاوية (٢٩٢) ، مجموعة الرسائل والمسائل (٢/٣٤٠ـ٣٤١) .

٢- عثمان بن حنيف بن واهب الأنصاري الأوسي ، أبو عمرو المدني ، صحب النبي ﷺ ، توفي في خلافة

أكمل لهم دينهم فقال تعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم ..﴾ . (١) (٢) .

وسأل رجل سفيان بن عيينة عن الإيمان فأجابه : قول وعمل . فقال السائل : يزيد وينقص ؟! فقال سفيان : يزيد ما شاء الله ، وينقص ، حتى لا يبقى منه ـ يعني مثل هذه ـ وأشار سفيان بيده . قال الرجل : كيف نصنع بقوم عندنا يزعمون أن الإيمان قول بلا عمل ؟ فقال سفيان : كان القول قولهم قبل أن تنزل أحكام الإيمان وحدوده ؛ إن الله عز وجل بعث محمداً ﷺ إلى الناس كافة أن يقولوا لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فإذا قالوها حقنوا بها دمائهم وأموالهم ، إلا بحقها ، وحسابهم على الله ، فلما علم صدق ذلك في قلوبهم ، أمره أن يأمرهم بالصلاة ، فأمرهم ففعلوا ، والله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ، فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم ، أمره أن يأمرهم بالهجرة إلى المدينة ، فأمرهم ففعلوا ، والله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ، ولا صلاتهم ، فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم ، أمره أن يأمرهم بالرجوع إلى مكة فيقتلوا آباءهم وأبناءهم ، حتى يقولوا كقولهم ، ويصلوا بصلاتهم ، ويهاجروا هجرتهم ، فأمرهم ففعلوا ... والله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ، ولا صلاتهم ، ولا مهاجرهم ، فلما علم الله تعالى صدق ذلك من قلوبهم أمره أن يأمرهم بالطواف بالبيت تعبداً ، وأن يحلقوا رؤوسهم تذللا ، ففعلوا ، والله لو لم يفعلوا ما نفعهم الإقرار الأول ، ولا صلاتهم ، ولا مهاجرهم ، ولا قتلهم آباءهم ، فلما علم الله صدق ذلك من قلوبهم ، أمره أن يأخذ من أموالهم صدقة تطهرهم ، فأمرهم ففعلوا ... فلما علم الله تعالى الصدق من قلوبهم فيما تتابع عليهم من شرائع الإيمان وحدوده ، قال الله تعالى لهم : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ (٣) فمن ترك خلة من خلال الإيمان جحوداً بها ، كان عندنا كافراً ، ومن تركها كسلا ومجوناً ، أدبناه ، وكان ناقصاً . هكذا السنة ... (٤) .

وليس معنى دعوته إلى الشهادتين دون غيرهما في أول الإسلام أنه يكفي التصديق بمقتضاهما ومضمونهما مع الإقرار والنطق ؛ بل لابد من الأعمال القلبية ،

١ـ المائدة (٣) .

٢ـ الإبانة الكبرى رقم (٨١٥) .

٣ـ المائدة (٣) .

٤ـ الإبانة الكبرى رقم (٨١٧) وقد قال ابن بطة أيضاً نحو هذا الكلام الذي قاله سفيان . انظر الإبانة الكبرى (ص٧٧٦ـ٧٧٨) من المجلد الثاني.

كالحب والبغض ، والخوف والرجاء ، ونحو ذلك مما لابد منه .

هذا واعلم أن عامة السور المكية إنما هي في هذا الإيمان العام المشترك بين سائر الأنبياء جميعهم ، وإن كان هذا القدر المشترك يتفاوت بين مختلف الملل ، فهو في بعضها أعظم قدراً ووصفاً . فإن ما جاء به الرسول ﷺ من صفات الله تعالى وأسمائه ، وذكر اليوم الآخر ، أكمل مما جاء به سائر الأنبياء ..

فلما تقرر هذا القدر في القلوب ، وتمكن منها ، وتعلقت به ، زادهم الله الشرائع المختلفة ـ كما سبق في الروايات التي ذكرنا ـ فصرف الصلاة إلى الكعبة .. ثم خاطبهم وهم بالمدينة باسم الإيمان المتقدم لهم فقال : ﴿ياأيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا ..﴾ (١)وقال في النهي : ﴿ياأيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة..﴾(٢) .

وعلى هذا كانت كل مخاطبة لهم فيها أمر أو نهي بعد الهجرة ؛ وإنما سماهم بهذا الإسم بالإقرار وحدة ، إذ لم يكن هناك فرض غيره ، فلما نزلت الشرائع بعد ذلك وجبت عليهم وجوب الأول سواء ، فلما أجابوا إلى قبول الصلاة كإجابتهم إلى الإقرار ، صارا يومئذ جميعاً هما الإيمان . ولهذا سمى الله عز وجل صلاتهم إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة إيماناً فقال : ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾،(٣)ثم فرضت الزكاة في إيمانهم إلى ماقبلها ، فلو امتنعوا عن ذلك لم يكن إقرارهم وصلاتهم نافعاً لهم ؛ ويشهد لهذا إجماع الصحابة على قتال ما نعي الزكاة ، وسموهم جميعاً مرتدين ، وجاهدوهم كجهادهم لأهل الشرك . ومعلوم أن منهم من لم يكن جاحداً لها !!

وهكذا الأمر في كل الشرائع التي نزلت ، فهي من الإيمان ، وإن كان بعضها لا يكون تركه مخرجاً من الملة ، كما تقدم .

فإن الإيمان لم ينزل جملة ، وإنما نزل بالتدريج ، كما سبق ، ويدل على ذلك قوله تعالى : ﴿وإذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيماناً ، فأما

الذين آمنوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون﴾ (١)فلو كان الإيمان مكملا بذلك الإقرار ما كان للزيادة بعده معنى !!

ومما يدل على ذلك أيضاً زيادات قواعد الإيمان ومبانيه ، بعضها بعد بعض .. ففي بعض الأحاديث أنها أربع ، وفي بعضها غير ذلك ..

عن ابن عباس رضي الله عنهما ، أن وفد عبد القيس قدموا على رسول الله ﷺ فقالوا : "يا رسول الله إنا هذا الحي من ربيعة ، وقد حالت بيننا وبينك كفار مضر ، فلسنا نخلص إليك إلا في شهر الحرام ، فمرنا بأمر نعمل به ، وندعوا إليه من وراءنا ، قال : آمركم بأربع ، وأنهاكم عن أربع : الإيمان بالله (ثم فسرها لهم فقال) شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وأن تؤدوا خمس ما غنمتم .." . (٢) .

وبهذا تعلم أن مسمى الدين والإيمان في أول الإسلام ، ليس هو مسماه في آخر زمان النبوة ؛ بل إن مسماه في الآخر أكمل من مسماه في أول البعثة ، وأوسطها، كما قال تعالى في آخر الأمر : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي..﴾(٣)، وقال بعدها : ﴿ومن يكفر بالإيمان فقد حبط عمله ..﴾ (٤). ولهذا قال الإمام أحمد رحمه الله : "كان الإيمان في أول الأمر ناقصاً فجعل يتم" .

ثم إن مسمى الإيمان والدين قد يتنوع بتنوع الأشخاص ، وبحسب ما يلزم كل واحد منهم .. وكذلك بحسب ما يفعله مما أُمر به ، وبحسب إقباله وحضوره وإخلاصه ؛ فإن المؤمنين مشتركون في الإيمان بالله واليوم الآخر والعمل الصالح ، ولكن بينهم تفاوت ما في القلوب إذا ذكر الله وما في اليوم الآخر ، ما تفاوت به الإيمان بينهم تفاوتاً كبيراً ، وكذلك بينهم تفاوت الأعمال الصالحة الخالصة لله عز وجل ، وهي أيضاً من أمور الإيمان كما سبق(٥) .

١ـ التوبة (١٢٤) .

٢ـ البخاري (الفتح ٨/٨٤)ومسلم في الإيمان:باب الأمر بالإيمان بالله تعالى ورسوله ﷺ ، والنسائي في الأشربة:باب النهي عن نبيذ الدباء والحنتم والنقير .

٣ـ المائدة (٣) .

٤ـ المائدة (٥) .

٥ـ انظر شرح الطحاوية (٢٨٧ـ٢٨٩) ، مجموعة الرسائل والمسائل (٢/٣٤١ـ٣٤٣) ، وانظر الإيمان لأبي عبيد [وقد أفدت منه كثيراً فيما كتبت] (ص٦ـ١٨،٢٧ـ٣١) .

ذكر بعض الآثار والأقوال في ذلك :

١ـ قال الشافعي رحمه الله : "وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم : أن الإيمان قول وعمل ونية ، ولا يجزي واحد من الثلاثة إلا بالآخر"(١).

٢ـ قال الحميدي : "وأُخبرت أن ناساً يقولون : من أقر بالصلاة والزكاة والصوم والحج ، ولم يفعل من ذلك شيئاً حتى يموت ، أو يصلي مستدبر القبلة حتى يموت ، فهو مؤمن ، مالم يكن جاحداً ... فقلت : هذا الكفر الصراح ، وخلاف كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وفعل المسلمين . قال الله عز وجل : ﴿وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ..﴾ (٢) (٣).

٣ـ قال البخاري : "كتبت عن ألف نفر من العلماء وزيادة ، ولم أكتب إلا عن من قال : الإيمان قول وعمل ، ولم أكتب عمن قال : الإيمان قول"(٤) .

٤ـ قال يحيى بن سليم :(٥)سألت عشرة من الفقهاء عن الإيمان ؟ فقالوا : قول وعمل . سألت سفيان الثوري ، فقال قول وعمل(٦) (٧) .

٥ـ قال وكيع : "أهل السنة يقولون : الإيمان قول وعمل" . (٨) .

٦ـ قال الوليد بن مسلم :(٩) "سمعت الأوزاعي ، ومالك بن أنس ، وسعيد

---

١ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة رقم (١٥٩٣) .

٢ـ البينة (٥) .

٣ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة رقم (١٥٩٤) .

٤ـ المصدر السابق رقم (١٥٩٧) وانظر رقم (١٥٩٨) .

٥ـ يحيى بن سليم الطائفي ، نزيل مكة ، ونسب إلى الطائف لكونه يتردد عليها ، توفي سنة (١٩٣هـ) . التقريب (٣٤٩/٢) .

٦ـ وعد ابن جريج ، ومحمد بن عبد الله بن عمرو بن عثمان ، والمثنى بن الصباح ، ونافع بن عمر بن جميل ، ومحمد بن مسلم الطائفي ، ومالك بن أنس ، وسفيان بن عيينة ، كلهم يقولون كقول سفيان .

٧ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم (١٥٨٤) .

ابن عبد العزيز(١) ، ينكرون قول من يقول : إن الإيمان قول بلا عمل ، ويقولون : لا إيمان إلا بعمل ، ولا عمل إلا بإيمان . (٢) .

٧ـ قال أبو إسحاق الفزاري (٣): "يقولون : إن فرائض الله على عباده ليس من الإيمان (٤)، وإن الإيمان قد يطلب بلا عمل ، وإن الناس لا يتفاضلون في إيمانهم، وإن برهم وفاجرهم في الإيمان سواء .

وما هكذا جاء الحديث عن رسول الله ﷺ ، فإنه بلغنا أنه قال : "الإيمان بضعة وسبعون ـ أو بضعة وستون ـ ..." وقال تعالى : ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً ..﴾ (٥) والدين هو التصديق ، وهو الإيمان والعمل ؛ فوصف الله عز وجل الدين قولا وعملا فقال : ﴿فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فإخوانكم في الدين﴾ (٦)، والتوبة من الشرك ، وهو الإيمان والصلاة والزكاة عمل ، كما قال الأوزاعي : لا يستقيم الإيمان إلا بالقول ، ولا يستقيم الإيمان والقول إلا بعمل ، ولا يستقيم الإيمان والقول والعمل إلا بنية موافقة للسنة ، فكان من مضى ممن سلف لا يفرقون بين الإيمان والعمل من الإيمان ، والإيمان من العمل ، فجمع هذه الأديان : اسمها ، وتصديقه العمل فمن آمن بلسانه ، وعرف بقلبه ، وصدق ذلك بعمله ، فذلك العروة الوثقى التي لا انفصام لها .. ومن قال بلسانه ، ولم يعرف بقلبه ، ولم يصدق بعمله لم يقبل منه وكان في الآخرة من الخاسرين . (٧) .

٨ـ وقال ابن عبد البر في التمهيد : "أجمع أهل الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل ، ولا عمل إلا بنية ، والإيمان عندهم يزيد بالطاعة ، وينقص بالمعصية ، والطاعات كلها عندهم إيمان .." (٨) .

١ـ سعيد بن عبد العزيز التنوخي ، الدمشقي ، إمام ثقة ، سوّاه أحمد بالأوزاعي ، توفي سنة (١٦٧هـ) . التقريب (٣٠١/١) .

٢ـ شرح أصول إعتقاد أهل السنة رقم (١٥٨٦) .

٣ـ إبراهيم بن محمد بن الحارث بن أسماء بن خارجة بن حفص بن حذيفة الفزاري ، توفي سنة (١٨٥هـ) . التقريب (٤١/١) .

٤ـ هكذا في المطبوع .

٥ـ الشورى (١٣) .

٦ـ التوبة (١١) .

٧ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة رقم (١٥٩١) وانظر (ج٤ص٨٠٩ـ٨٥١) .

٨ـ التمهيد (٢٣٨/٩) .

٩ـ قال ابن بطة : "ومعناه ـ أي الإيمان ـ التصديق بما قاله ، وأمر به ، وافترضه ، ونهى عنه ، من كل ما جاءت به الرسل من عنده ، ونزلت فيه الكتب ، وبذلك أرسل المرسلين فقال عز وجل : ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ..﴾ (١) . والتصديق بذلك قول باللسان ، وتصديق بالجنان ، وعمل بالأركان ، يزده (٢)كثرة العمل والقول بالإحسان ، وينقصه العصيان ..."(٣).

وقال أيضاً في التعليق على قوله تعالى : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم ..﴾ (٤): "فقد علم العقلاء من المؤمنين ، ومن شرح الله صدره ففهم هذا الخطاب من نص الكتاب وصحيح الرواية بالسنة أن كمال الدين وتمام الإيمان إنما هو بأداء الفرائض، والعمل بالجوارح ، مثل الصلاة والزكاة .. مع القول باللسان والتصديق بالقلب .." (٥).

وقال : إن الله جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه ، فرض على القلب المعرفة به ، والتصديق له ، ولرسله ، ولكتبه ، وبكل ما جاءت به السنة ؛ وعلى الألسن النطق بذلك والإقرار به قولا ؛ وعلى الأبدان والجوارح العمل بكل ما أمر به وفرضه من الأعمال . لا تجزىء واحدة من هذه إلا بصاحبتها ، ولا يكون العبد مؤمناً إلا بأن يجمعها كلها حتى يكون مؤمناً بقلبه ، مقراً بلسانه ، عاملا مجتهداً بجوارحه ، ثم لايكون أيضاً مع ذلك مؤمناً حتى يكون موافقاً للسنة في كل ما يقوله ويعمله ، متبعاً للكتاب والعلم في جميع أقواله وأعماله .. (٦) .

وقال : وفرض الله الإيمان على جوارح ابن آدم ، وقسمه عليها ، وفرقه فيها، فليس من جوارحه إلا وهي موكلة من الإيمان بغير ما وكلت به صاحبتها ، فمنها قلبه الذي يعقل به ، ويتقي به ، ويفهم به ، وهو أمير بدنه الذي لا ترد الجوارح ولا تصدر إلا عن رأيه وأمره ، ومنها لسانه الذي ينطق به ، ومنها عيناه اللتان ينظر

١ـ الأنبياء (٢٥) .

٢ـ هكذا في المطبوع

٣ـ الشرح والإبانة (ص١٧٦ـ١٧٨).

بهما ، وسمعه الذي يسمع به ، ويداه اللتان يبطش بهما ، ورجلاه اللتان يخطو بهما .. فليس من هذه جارحة إلا وهي موكلة من الإيمان بغير ما وكلت به صاحبتها ، بغرض من الله تعالى ، ينطق به الكتاب ،ويشهد به علينا، ففرض على القلب غير ما فرض على اللسان ، وفرض على اللسان غير ما فرض على العينين ، وفرض على العينين غير ما فرض على السمع ... وأما ما فرض على القلب فالإقرار والإيمان والمعرفة والتصديق والعقل والرضا ..."(١) اهـ

و هذا هو قول مالك (٢) والشافعي (٣) ، وأحمد (٤) ، والأوزاعي (٥) ، وإسحاق (٦) ، والليث (٧) ، والفضيل بن عياض(٨) ومجاهد (٩) والبخاري (١٠) . وأبي بكر بن عياش (١١) (١٢) ، وسهل التستري (١٣) (١٤) ، وعبد العزيز بن أبي سلمة (١٥) ، والمؤمل بن إسماعيل (١٦) (١٧) ، وحماد بن سلمة (١٨) ، وابن

١- المصدر السابق (ص٧٦٦ ج٢) .

٢- انظر شرح الطحاوية (٢٨٤) ، السنة لعبد الله بن أحمد رقم(٦١٢،٦٣٦،٦٣٨،٧٠٢،٧٢٦) ، الإبانة الكبرى رقم (١٠٩١،١٠٩٦،١١١١،١١١٣) ، التمهيد (٢٤٣/٩) ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم (١٥٨٧،١٥٨٩) .

٣- شرح الطحاوية (٢٨٤) ، التمهيد (٢٤٣٩) .

٤- المصدران السابقان ، والسنة لعبد الله رقم (٦٠٠) ، الإبانة الكبرى (١١١٥،١١١٦) .

٥- الإبانة الكبرى رقم (١٠٩٧) ، التمهيد (٢٤٣٩) ، شرح الطحاوية (٢٨٤) .

٦- التمهيد (٢٤٣/٩) ، شرح الطحاوية (٢٨٤) .

٧- التمهيد (٢٤٣/٩) .

٨- السنة لعبد الله رقم(٢٩٤،٦٢٧، ٦٣٨، ٧٠٢،٧٤٢) ،الإبانة الكبرى رقم (١٠٩١،١١٠٤،١١١٣)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم (١٥٨٩) .

٩- السنة لعبد الله رقم (٦١١) ، الإبانة الكبرى رقم (١٠٩٥) .

١٠- صحيح البخاري كتاب الإيمان باب (١) وانظر ما بعده من التراجم .

١١- أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي ، الكوفي ، المقرىء ، الحناط ، واسمه كنيته على الارجح ، توفي سنة (١٩٤هـ) . التقريب (٣٩٩/٢) .

١٢- السنة لعبد الله رقم (٦١٢)، الإبانة الكبرى رقم (١٠٩٦) ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم (١٥٨٧) .

١٣- هو أبو محمد ، سهل بن عبد الله التستري ، الصوفي ، توفي سنة (٢٨٣هـ) . السير (٣٣٠/١٣) .

١٤- الإبانة الكبرى (ج٢/ص٨١٤) .

١٥- السنة لعبد الله رقم (٦١٢) ، الإبانة الكبرى رقم (١٠٩٦) ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (رقم١٥٨٧) .

١٦- المؤمل بن إسماعيل البصري ، أبو عبد الرحمن ، نزيل مكة توفي سنة (٢٠٦هـ) . التقريب (٢٩٠/٢) .

١٧- الإبانة الكبرى (١١١٦) .

جرير (١) ، وحماد بن زيد (٢) (٣) ، وداود الظاهري (٤) وابن جريج (٥) ، وأبي إسحاق الفزاري (٦) ، وابن المبارك (٧) ، والنضر بن شميل (٨) (٩) ، وبقية ابن الوليد (١٠) (١١) ، وإسماعيل بن عياش (١٢) ، والحسن البصري (١٣) ، وشريك (١٤) ، وعبيد بن عمير (١٥) . (١٦) ، وخالد بن الحارث (١٧) (١٨) ، ومسلم الطائفي (١٩) (٢٠) ، وسفيان الثوري (٢١) ، وعبد الرزاق الصنعاني (٢٢) ،

١٨- السنة لعبد الله رقم (٦١٢) . الإبانة الكبرى رقم (١٠٩٦) ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٥٨٧) .

١- التمهيد (٢٤٣/٩) .

٢- حماد بن زيد بن درهم الأزدي ، الجهضمي ، أبو إسماعيل البصري ، توفي سنة (١٧٩هـ) وعمره (٨١) سنة . التقريب (١٩٧/١) .

٣- السنة لعبد الله رقم (٦١٢) ، الإبانة الكبرى (١٠٩٦) ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم (١٥٨٧) .

٤- التمهيد(٢٤٣/٩) .

٥- السنة لعبد الله رقم (٦٢٩،٦٣٨،٧٠٢) ، الإبانة الكبرى رقم (١١٠٦،١١١٤) ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم (١٥٨٩) .

٦- السنة لعبد الله رقم (٦٣٠) ، الإبانة الكبرى رقم (١١٠٧) .

٧- السنة لعبد الله رقم (٦٣١) ، الإبانة الكبرى (١١٠٨،١١١٢) .

٨- النضر بن شميل المازني ، أبو الحسن النحوي ، نزيل مرو ، توفي سنة (٢٠٤هـ) وعمره (٨٢) سنة . التقريب (٣٠١/٢) .

٩- السنة لعبد الله رقم (٦٣٢) ، الإبانة الكبرى (١١٠٩) .

١٠- بقية بن الوليد بن صائد بن كعب الكلاعي ، أبو يحمد ، توفي (١٩٧هـ) وعمره (٨٧) . التقريب (١٠٥/١) .

١١- السنة لعبد الله رقم (٦٣٤) الإبانة الكبرى (١١١٠) .

١٢- السنة لعبد الله رقم (٦٣٤) الإبانة الكبرى (١١١٠) .

١٣- السنة لعبد الله رقم (٦٣٧،٧١٦،٧٣٤) ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٥٧٨،١٥٨١) ، الإبانة الكبرى رقم (١٠٩٠، ١٠٩٣،١٠٩٤،١١١٣) .

١٤- السنة لعبد الله (٦١٢،٦٣٨) ، الإبانة الكبرى (١٠٩٦) ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٥٨٧،١٥٨٩) .

١٥- عبيد بن عمير بن قتادة الليثي ، أبو عاصم المكي ولد على عهد النبي ﷺ ، وعده بعضهم في كبار التابعين . توفي قبل ابن عمر رضي الله عنهما . التقريب (٥٤٤/١) .

١٦- السنة لعبد الله رقم (٦٣٩) ، الإبانة الكبرى (١٠٩٢) .

ومعمر (١) ، وجرير بن عبد الحميد (٢) . وابن عيينة ،(٣) والزهري (٤) ، وعبيد الله بن عبيد بن عمير (٥)، وأبي عبيد (٦) وأبي بكر بن أبي شيبة (٧) (٨) ، وابن عبد البر (٩) ، ووكيع (١٠) ، وغير هؤلاء كثير .

وهو قول سائر أهل الحديث ، وأهل المدينة ، وأهل الظاهر ، وجماعة من المتكلمين (١١).

قال ابن القيم رحمه الله في نونيته :

واشهد عليهم أن إيمان الورى قول وفعل ثم عقد جنان (١٢)

قال البيهقي : "وقد روينا ذلك عن الخلفاء الراشدين .. ثم عن عبد الله بن رواحة ، ومعاذ بن جبل ، وعبد الله بن مسعود ، وعمار بن ياسر ، وأبي الدرداء ،

١٩- لم أجد له ترجمة بهذا الإسم ، وإنما وجدت "محمد بن مسلم الطائفي " . انظر السير (١٧٦/٨) .

٢٠- السنة لعبد الله (٧٠٢) .

٢١- السنة (٧٠٣،٧٢٦) ، الإبانة الكبرى (١٠٩١،١١١٤) ، التمهيد (٢٤٣/٩) .

٢٢- السنة (٧٢٦) .

١- السنة رقم (٧٣٦) .

٢- الإبانة الكبرى رقم (١١٠٣) .

٣- السنة لعبد الله رقم (٧٢٦،٧٣٥،٧٣٨،٧٤٥) ، الإبانة الكبرى (١٠٩١،١١١٣،١١١٤) .

٤- السنة لعبد الله رقم (٧٥٢) .

٥- شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١٥٧٩) .

٦- الإيمان لابي عبيد (ص٦) .

٧- هو عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، إبراهيم بن عثمان الواسطي الأصل ، أبو بكر بن أبي شيبة الكوفي ، توفي سنة (٢٣٥هـ) . التقريب (١/ ٤٤٥) .

٨- الإيمان لابي بكر بن أبي شيبة (٤٦) .

٩- التمهيد (٢٣٦/٩،٢٣٨) .

١٠- الإبانة الكبرى (١٠٩١،١٠٩٨) .

١١- انظر شرح الطحاوية (٢٨٤) ، وانظر السنة لعبد الله بن أحمد (ج١ص٣٠٧) فما بعدها . وقد ذكر ابن بطة في الإبانة الكبرى حشداً من الأئمة ورتبهم على الأمصار كمكة ، والمدينة واليمن ، والشام ..(الإبانة الكبرى (١/ص٨١٤ـ٨٢٧) وانظر اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٤/ص٨٣٢) .

١٢- شرح نونية ابن القيم لابن عيسى (١٣٣/٢) .

وعبد الله بن عباس ، وأبي هريرة ، وعثمان بن حنيف ، وعمير بن حبيب (١) ، وجندب ، وعقبة بن عامر رضي الله عنهم ..اهـ (٢) وذكر خلقاً غير هؤلاء من التابعين وفقهاء الأمصار .

إيقاظات متنوعة

الإيقاظ الأول :

ذكر المؤلف رحمه الله كلاماً تضمن الإشارة إلى نفي العلو وما يسمونه(١) بـ "الجهة" ؛ فقال : ".. إن الزمخشري لم يذكر على إحاطة الرؤية عقلا دليلا ولا شبه دليل ، سوى أنه استبعد أن يكون المرئي لا في جهة . وهذا نعارضه بالمثل فنقول : يلزمكم استبعاد أن يكون الموجود لا في جهة ، إذ الاتباع للوهم يبعدهما جميعاً ، والانقياد للعقل يبطل هذا الوهم ويجيزهما معاً" اهـ (٢) .

وهذا الكلام كما ترى ، يقرر فيه المؤلف إثبات الرؤية لله عز وجل في الآخرة ، لكنها رؤية على مذهب الأشاعرة (أصحاب التناقضات الغريبة ، كما أشرنا إلى شيء من ذلك فيما سبق)

إن الأشاعرة يزعمون أنهم يثبتون الرؤية لله عز وجل ، لكنها رؤية لا في جهة، خلافاً لأهل السنة والجماعة ، فإنهم يثبتون الرؤية كما يثبتون صفة العلو لله عز وجل ..

وقد تبين لك مذهبهم في العلو (٣) ، كما تبين لك مذهب الأشاعرة في ذلك ، وأيضاً سيأتي الكلام على لفظ "الجهة" (٤) ، وما يحتمله من معنى صحيح ، ومعان باطلة ، لأنه من الألفاظ البدعية المجملة.

وإنما جاء التنبيه على هذا لئلا يغتر بهذا الكلام من لا دراية له بمذهبهم في مسألة الرؤية .. لكن لاحاجة للتفصيل ، لما عرفت سابقاً في الكلام على المسألتين، والله أعلم .

١ـ أعني المتكلمين .

٢ مناهل العرفان (٥٤١/١) .

٣ـ انظر (ص٢٠٣) .

٤ـ انظر (ص ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ .

الإيقاظ الثاني :

يسمي المؤلف علم التوحيد "علم الكلام " ، وذلك في مواضع متعددة من كتابه ، فعلى سبيل التمثيل أورد إليك أحد المواضع مما ذكر إذ يقول :(.. فحبل النقاش بين أهل السنة والمعتزلة طويل ، وميدان الأخذ والرد بينهما علم الكلام ... " (١) اهـ

و الحقيقة أن كتب التوحيد ، عند الأشاعرة ، والماتريدية ، والمعتزلة ، ومن نحا نحوهم من أصحاب المناهج الفلسفية ، والجدلية الكلامية ، تستحق هذه التسمية ، بل هي الأليق بها ، لأنها عبارة عن جدل صرف ، وكلام كثير ، مع خوض في آيات الله وأسمائه وإلحاد فيها ..

و غالب أصحاب هذه المناهج لا يعرفون كتب أهل السنة ولا مذاهبهم ـ كما أشرنا إلى ذلك فيما سبق ـ(٢) بل لا يعرفون نصوص الكتاب والسنة ..!! ولا يعرفون من التوحيد إلا ما في كتبهم ، وما تلقوه عن شيوخهم !!

أما كتب أهل السنة ، فهي كتب أثرية ، مليئة بنصوص الوحي ، وكلام الصحابة ، والتابعين ، لا ككتب غيرهم .. وهذه المؤلفات .. بل هذا العلم ، وهو علم التوحيد ، لا يليق تسميته بعلم الكلام .

و يمكن أن يرد على المؤلف بما ساقه هو بنفسه ، في موضع آخر من كتابه ، نقلا عن الغزالي ، في تغيير مصطلحات العلوم ، ونقلها إلى أمور كانت بعيدة أشد البعد عنها ، فراجعه .(٣).

الإيقاظ الثالث :

لما تكلم المؤلف عن تفاسير الشيعة قال :"ومنهم قوم معتدلون لم يسقطوا في هاوية الكفر .." (١) اهـ

و هذا وصف وتعبير مرفوض جملة وتفصيلا .. إذ أن كل من انحرف عن منهج الكتاب والسنة ، والسلف الصالح ، فهو مجانب للاعتدال بقدر انحرافه ؛ وسواء في ذلك من كان انحرافه من جراء التقصير في الدين ، وترك القيام بما أمر الله ، أو كان ذلك الانحراف من جراء الغلو فيه .

والوسطية والاعتدال إنما يكونان في اتباع الحق ، والتمسك به ، مع العمل ، ولا يجوز أن نطلق على من كان منحرفاً وصف الاعتدال ، أو التوسط .

لكن يمكن أن نقول : إن الشر بعضه أهون من بعض ، وبعض الطوائف المنحرفة سواء من الشيعة ، أو غيرها .. أقرب إلى الحق من غيرها ممن هي شر منها لكنها ليست من الاعتدال في شيء .

ثم يقال : مَنْ مِنْ مفسري الشيعة يوصف بالاعتدال ؟! لعل المؤلف كبعض من يضرب لذلك مثلا بالطبرسي (٢) ، مع أن أهون مافي تفسيره من الكفريات القول بنقص القرآن وتحريفه . (٣).

وإنما أحببت التنبيه على هذا لكثرة ما ترد هذه العبارة على بعض الألسنة وفي بعض المؤلفات . ومثلها في الشر قول بعضهم عن بعض المستشرقين بأنهم "معتدلون" !! فتأمل !

تنبيه :

وقع للمؤلف نحو هذا أيضاً في موضع آخر حينما قال : ".. ورأيت كيف كان الزمخشري في اعتزاله مقتصداً مستخفياً .." (٤).

١ـ المناهل (٥٤٥/١) .

٢ـ هو أبو علي ، الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسي ، المشهدي ، الإمامي ،الرافضي ، توفي سنة (٨٣٥هـ) . الأعلام (١٤٨/٥) .

٣ـ راجع رسالة الماجستير "الاتجاه الرافضي في تفسير الطبرسي" المقدمة من الطالب أحمد طاهر ، لنيل درجة الماجستير من الجامعة الإسلامية.

٤ـ المناهل (٥٦٤/١) .

الإيقاظ الرابع :

تحدث المؤلف عن التفسير الإشاري ، وذكر الخلاف بين العلماء فيه .. ثم بنى على ذلك قبوله بشروط معينة لابد من توافرها .

وقد ذكر المؤلف شروطاً خمسة ، نص عليها بعضهم ، لقبول التفسير الإشاري الذي تتوافر فيه ، ثم عقب عليها بعد ذلك ، وهذه الشروط هي :

١ـ ألا يتنافى وما يظهر من معنى النظم الكريم .

٢ـ ألا يُدَّعى أنه المراد وحده دون الظاهر .

٣ـ ألا يكون تأويلا بعيداً سخيفاً ..

٤ـ ألا يكون له معارض شرعي أو عقلي .

٥ـ أن يكون له شاهد شرعي يؤيده .

كذلك اشترطوا ؛ [والكلام للمؤلف] بيد أن هذه الشروط متداخلة ، فيمكن الاستغناء بالأول عن الثالث ، وبالخامس عن الرابع ، ويحسن ملاحظة شرطين بدلهما ، أحدهما : بيان المعنى الموضوع له اللفظ الكريم أولا . ثانيهما : ألا يكون من وراء هذا التفسير الإشاري تشويش على المُفَسَّر له .." . (١)اهـ

وهذا الرأي الذي اختاره المؤلف قد لا يكون صواباً .. ذلك أن هذا التفسير المسمى بالتفسير "الإشاري" تفسير مبتدع محدث ، لم يكن معروفاً في وقت النبي ﷺ ، ولا في وقت أصحابه . بل ولم ينقل عن إمام معتبر من أئمة المسلمين .. وإنما هو شيء ابتدعه الصوفية ، وهو لا يخلو من تأثر بتفاسير الباطنية ، مع وجود بعض الاختلاف بينهما ..

وكونه لم يؤثر عن السلف يكفي في رده ... دعك من كون هذا التفسير فيه حمل لكلام الله عز وجل على غير محمله .وفيه تقول على الله بلا علم .بل إنه فتح باباً للإلحاد في كلام الرب عز وجل، والتلاعب بنصوصه الكريمة ، وإن قال ذلك العابث : "أنا لا أمنع ظاهر الآية" . فما تغني هذه الكلمة في تبرير جنايته !!

وإليك بعض الأمثلة التي نقلها المؤلف عن غيره ، وأوردها في نفس هذا

المبحث ؛ فمثلا انظر ما نقله عن الزركشي (١) ، لما ذكر كلام بعض الصوفية في قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ..﴾ (٢) إن المراد النفس .

فأنت تعلم أن هذه الآية تعطي حكماً من أحكام الجهاد في سبيل الله ، وأنا لا نقاتل الأعداء البعيدين قبل الأقربين .. فجعلها هؤلاء في النفس !!

ومن الأمثلة أيضاً ـ والتي نقلها المؤلف ـ ما أورده من تفسير النيسابوري لقوله تعالى:﴿وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحو بقرة ..ـ إلى قوله ـ وإن منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون﴾ (٣)، قال : "التأويل : ذبح البقرة إشارة إلى ذبح النفس البهيمية ، فإن في ذبحها حياة القلب الروحاني ، وهو الجهاد الأكبر "موتوا قبل أن تموتوا"

اقتلوني يائقاتي إن في قتلي حياتي

وحياتي في مماتي ومماتي في حياتي

مت بالإرادة تحيى بالطبيعة . وقال بعضهم : مت بالطبيعة تحيى بالحقيقة . "ما هي ؟ إنها بقرة" : نفس تصلح للذبح بسيف الصدق ، "لا فارض" في سن الشيخوخة فيعجز عن وظائف سلوك الطريق لضعف القوى البدنية ، كما قيل : الصوفي بعد الأربعين بارد . "ولا بكر" في سن شرخ الشباب يستهويه سكره ."عوان بين ذلك" لقوله تعالى:﴿حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة﴾ "بقرة صفراء" إشارة إلى صفرة وجوه أصحاب الرياضات .." (٤) وهلم جرا من هذه المهاترات ، والخزعبلات الصوفية .

وللعلم فإن النيسابوري ذكر المعنى الظاهر قبل ذكره لهذا المعنى ، كما هو ديدنه في التفسير ، وقد نقل عنه المؤلف أمثلة أخرى لاداعي للإطالة بذكرها ، فراجعها إن شئت ، مع ما نقله عن الألوسي أيضاً وغيره . (٥).

والمؤلف وإن كان قد ختم بذكر نصيحة في الابتعاد عن أمثال هذه التفسيرات

١ـ المناهل (١/٥٤٦) .

٢ـ التوبة (١٢٣) .

٣ـ البقرة (٦٧ـ٧٤) .

٤ـ المناهل (١/٥٥٠ـ٥٥١) .

٥ـ راجع المناهل (ج١/٥٥١ـ٥٥٦) .

(١)، لكن ذلك لا يعني أنه يرى منع التفسير بهذا إذا تحققت الشروط الخمسة التي ذكرها فيما سبق .

هذا فيما يتعلق بالتفسير الإشاري أما مايورد على أنه من قبيل الإعتبار والقياس في معنى الآية فهذا حكمه كالقياس في الفروع فمنه مايكون صحيحاً ومنه مايكون فاسداً .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : " وأما أرباب الإشارات الذين يثبتون مادل اللفظ عليه ، ويجعلون المعنى المشار إليه مفهوماً من جهة القياس والاعتبار فحالهم كحال الفقهاء العالمين بالقياس والاعتبار ، وهذا حق إذا كان قياساً صحيحاً لافاسداً ، واعتباراً مستقيماً لامنحرفاً " أ. (٢).

وذكر رحمه الله في موضع آخر بعض إشارات الصوفية ثم عقبها بقوله "لكن منها مايكون معناه صحيحاً ، وإن لم يكن هو المراد باللفظ وهو الأكثر في إشارات الصوفية . وبعض ذلك لايجعل تفسيراً ؛ بل يجعل من باب الاعتبار والقياس ، وهذه طريقة صحيحة علمية ، كما في قوله تعالى : ﴿لايمسه إلا المطهرون﴾ وقول النبي ﷺ : "لاتدخل الملائكة بيتاً فيه كلب " فإذا كان ورقه لايمسه إلا المطهرون ، فمعانيه لايهتدي بها إلا القلوب الطاهرة . وإذا كان الملك لايدخل بيتاً فيه كلب فالمعاني التي تحبها الملائكة لاتدخل قلباً فيه أخلاق الكلاب المذمومة ، ولاتنزل الملائكة على هؤلاء . . . "أهـ (٣).

وقال في موضع ثالث : ". . فإن الشيخ أبا عبد الرحمن ذكر في حقائق التفسير من الإشارات التي بعضها كلام حسن مستفاد ، وبعضها مكذوب على قائله . . فإن إشارات المشايخ الصوفية التي يشيرون بها تنقسم إلى إشارات حالية ـ وهي إشاراتهم بالقلوب ـ وذلك هو الذي امتازوا به . . وتنقسم إلى الإشارات المتعلقة بالأقوال ، مثل مايأخذونها من القرآن ونحوه ، فتلك الإشارات هي من باب الاعتبار والقياس ؛ وإلحاق ماليس بمنصوص بالمنصوص ، مثل الاعتبار والقياس الذي يستعمله الفقهاء في الأحكام ؛ لكن هذا يستعمل في الترغيب والترهيب ، وفضائل الأعمال ، ودرجات الرجال ونحو ذلك ، فإن كانت الإشارة اعتبارية من جنس القياس الصحيح

كانت حسنة مقبولة ؛ وإن كانت كالقياس الضعيف كان لها حكمه .

وإن كان تحريفاً للكلام عن مواضعه ، وتأويلا للكلام على غير تأويله ، كانت من جنس كلام القرامطة والباطنية والجهمية . . " أهـ (١).

الإيقاظ الخامس :

قال المؤلف عن تفسير التُستري : "وهذا الكتاب صغير الحجم ، غير أنه غزير المادة في موضوعه ، مشتمل على كثير من علاج الشبهات ، ودفع الإشكالات" اهـ (٢).

وأذكر أني اطلعت على هذا الكتاب مخطوطاً في جامعة الإمام ، فألفيته غزير المادة كما ذكر المؤلف ،لا بالعلم ، وإنما بالاشارات على منوال المثال الذي ضربه المؤلف لما ذكره (٣).

وهذا المنهج في التفسير وهذا الكلام الذي يذكره هؤلاء ، هو عبارة عن تلبيس وتشبيه على الناس ، فكيف يكون مثل ذا كاشفاً للشبه والإشكالات . ؟!

١ـ المصدر السابق ٦/٣٧٦ ـ ٣٧٧ .

٢ـ المناهل (١/٥٥٤) .

٣ـ المناهل (١/٥٥٤) .

الإيقاظ السادس :

تحدث المؤلف عن نتائج اختلاط المسلمين بالأمم والأقوام الذين فُتحت بلادهم من قِبَل المسلمين ، وأشار إلى أن ذلك نتج عنه أمران : الأول : فساد اللغة .

ثم قال : "ثانيهما : أن ترجمت علوم هذه الأمم الداخلة في الإسلام ، ونُقّحت ، وذاعت ثقافتها بين المسلمين على اختلاف أجناسهم ، فكان من مقتضيات الحكمة التوفيق بينها وبين القرآن من ناحية ، وفهم القرآن في ضوئها من ناحية أخرى ، وإنما كان ذلك من مقتضيات الحكمة ، لأن الإسلام ليس عدواً للعلم .." (١)اهـ.

وهذا كلام فيه تعميم وإجمال ، فإن حركة الترجمة التي قادها المأمون ، وحمل لوائها ، قد أثّرت في عقيدة المسلمين وديانتهم أسوأ تأثير .. حتى قيل عن المأمون بأنه "ذبح عقيدة المسلمين بغير سكين" فدخل الجدل والكلام والفلسفة والعقائد .. وأخذت الطوائف والفرق من ذلك بنصيب وافر لتتدرع به وتتحصن ضد خصومها ومخالفيها .. !!

وطُبِقت تلك المناهج والفلسفات على العقائد والنصوص الشرعية فأفسدتها وازداد الخرق واتسع على راقعه .. !! فهذه النتائج شر محض ، وفساد بين ، لا ينبغي أن يغض الطرف عنه !

لكن يؤخذ من العلوم ويترجم ماليس له اتصال بالعقائد والأديان .. كعلوم الطب ، والنبات ، والمعادن ، وما إلى ذلك ، مما لايكون فيه مخالفة ، لديننا..

أما أن نأخذ الفلسفة والجدل ، ثم نريد أن نوفق بينهما وبين النصوص ، فهذا انتكاس ، بل نفاق وكفر ، كما قال المنافقون : ﴿إن أردنا إلا إحساناً وتوفيقاً﴾ . (٢)

وبهذا تعرف ما في كلام المؤلف ـ رحمه الله ـ من الإجمال الذي داخله ، والله أعلم .

المبحث الثالث عشر

«في ترجمة القرآن الكريم وحكمها تفصيلا»

و تشمل الدراسة :

أولا : مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث وذكر القضايا التي ناقشها فيه .

ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث .

❀ تنبيـــــــــهات .

أولا : مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث وذكر القضايا التي ناقشها فيه :

لقد عالج المؤلف ـ رحمه الله ـ موضوع الترجمة من جميع جوانبه .. فلم يدع شيئاً يستحق الذكر والبيان إلا وذكره وبينه بما لا يحتاج إلى مزيد .

أما القضايا التي تعرض لها في هذا المبحث فهي كثيرة ، ويمكن أن نجملها فيما يلي :

١ ـ بين أهمية هذا الموضوع ، وذكر في ذلك ثلاثة جوانب تجعله جديراً بالعناية والاهتمام..

كما ذكر أول ترجمة للقرآن .. والطابع العام على أكثر ترجماته..

٢ ـ بين معنى الترجمة في اللغة والعرف ، وشرح التعريف .

٣ـ قسم الترجمة بالمعنى العرفي إلى قسمين : (حرفية وتفسيرية) وبين المراد بكل قسم منهما ، مع التمثيل .

٤ ـ أشار إلى ما لابد من توفره عند الترجمة ، سواء كانت تفسيرية أو حرفية .

ثم بين ما لابد من توفره عند الترجمة الحرفية خاصة .

٥ ـ نبه على الفروق بين الترجمة والتفسير ، وذلك من أربعة أوجه .

٦ ـ ذكر الفرق بين الترجمة وبين التفسير الإجمالي بغير لغة الأصل .

ثم نبه إلى عدم وجود الفرق بين الترجمة الحرفية والتفسيرية من حيث الحقيقة ؛ كما نبه إلى تساوي تفسير الأصل بلغته ، مع تفسيره بغير لغته .

٧ ـ أشار إلى المراد بالقرآن ، وجعل معانيه على نوعين ، وربط ذلك بقضية الترجمة ، ومدى إمكانية تحقيق تلك المعاني فيها .

٨ ـ نبه المؤلف على مقاصد القرآن ، ومنها هدايته ، وأنها تمتاز بالعموم والتمام والوضوح ، ثم وضح وجه ذلك وبينه ، مع التمثيل .

ثم ذكر مقصدين آخرين ـ غير الهداية ـ وهما الإعجاز والتعبد بالتلاوة ، مع

على معاني الترجمة الأربعة التي سبق له ذكرها ، مع بيان حكم كل واحد منها .

كما بين الراجح ، واستدل له ؛ مع ذكر بعض المحترزات والتحفظات حول الترجمة بالمعنى الذي اختاره .

١٠ ـ بين فوائد الترجمة بالمعنى المختار .

١١ ـ ذكر بعض الإيرادات والإشكالات والشبه حول القول الذي ذهب إليه وأجاب عنها .

١٢ ـ أطال المؤلف النفس في بيان منع الترجمة للقرآن ، بمعنى نقله إلى لغة أخرى .

و أشار إلى مفاسد ذلك النوع من الترجمة ، مع رد الاعتراضات من قبل المؤيدين لها .

١٣ ـ تعرض المؤلف لذكر حكم قراءة الترجمة ، والصلاة بها ، مشيراً إلى بعض ما سطره أصحاب المذاهب الأربعة في كتبهم حول هذا الموضوع

١٤ ـ بين موقف الأزهر من ترجمة القرآن .. وأشار إلى قراره وضع تفسير عربي دقيق للقرآن ، تمهيداً لترجمته ترجمة دقيقة .. وذكر قواعد ذلك التفسير المقترح ، والطريقة التي ستسلك فيه .

هذه أهم وأبرز الأمور التي تعرض لها المؤلف في مبحث "الترجمة " وهناك جزئيات وأمور لم أر الحاجة داعية للتنبيه عليها .

ثانياً : ذكر إضافات المؤلف في هذا المبحث :

يعتبر ما سطره المؤلف في هذا المبحث إضافة علمية جمة ، بز فيها المؤلف كثيراً ممن كتبوا ، أو حاولوا الكتابة في هذا الموضوع .

و لقد طالعت بعض ما كتب في هذا الموضوع من قبل علماء وكُتَّاب سبقوا المؤلف في تاريخ الكتابة فيه .. إلا أنهم لم يبينوا ما بين ، كما لم يستوعبوا ما استوعب !!

بل إن بعض العلماء(١) ـ ممن ألف في علوم القرآن ـ اكتفي بإشارات قليلة لبعض جزئيات هذا الموضوع الدقيق .. كالتنبيه على حكم القراءة بالأعجمية في الصلاة ..

هذا بالإضافة إلى جودة الطرح ـ عند المؤلف ـ لمسائل هذا المبحث وحسن المناقشة لإشكالاته .

تنبيهان :

١ـ قال المؤلف رحمه الله : "... بيد أنّا نلفت نظرك إلى أن المراد هنا في مبحث الترجمة هو اللفظ المعجز ، لا الصفة القديمة ، صفة الكلام ، ولا الكلمات النفسية الحكمية ، ولا النقوش المكتوبة على ما قررناه ثمة . وإنما ..." اهـ إلخ . كلام المؤلف (١).

وقد بينا لك ما في هذا الكلام وأمثاله من الغلط ، فراجعه إن شئت . (٢).

٢ـ لما ذكر المؤلف أقوال بعض أئمة المذهب الحنبلي في حكم القراءة بغير العربية في الصلاة ، عد منهم ابن حزم رحمه الله .. حتى قال : "وقال ابن حزم الحنبلي في كتابه المحلى" (٣) وهذا وهم من المؤلف رحمه الله ، فإن ابن حزم ظاهري المذهب ولم يكن حنبلياً قط .

١ـ انظر (ص١٧) من الجزء الثاني

٢ـ انظر (ص١٣٦) فما بعدها .

٣ـ المناهل (٢/٥٨) .

المبحث الرابع عشر : في النسخ

وتشمل الدراسة :

أولا : مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث وذكر القضايا التي ناقشها فيه .

ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث .

ثالثاً : مناقشة المؤلف في مسائل من هذا المبحث .

أولا : مدى استيفاء المؤلف مادة هذا المبحث ، وذكر القضاياالتي ناقشها فيه :

تعتبر المادة العلمية في هذا المبحث تامة شاملة لجميع القضايا والمسائل التي تدعو الحاجة إلى معرفتها وفهمها :

إلا أن المؤلف اقتصر على ذكر الآيات التي أوردها السيوطي في كتابه "الإتقان" ، ولم يزد عليها ! علماً بأن الآيات التي ادّعي فيها النسخ كثيرة جداً .. !!

لكن نعتذر عن المؤلف بأن أكثر ما ادّعي فيه النسخ هو بعيد في الحقيقة عن مضمون تلك الدعوى ؛ وأن الآيات التي أوردها السيوطي ـ قد ـ تعتبر من أقرب ما حُكي فيه وقوع النسخ ، والله أعلم .

أما القضايا التي عرض لها المؤلف في مبحثه هذا ، فهي كثيرة جداً .. وبأسلوب علمي رصين بعيد عن التكلف ..

وإليك أهم المسائل التي عالجها :

١ـ بيّن معنى النسخ في اللغة ، وفي الاصطلاح ، مع شرح التعريف الاصطلاحي شرحاً وافياً ، مصحوباً بذكر محترزات التعريف المختار .

كما وضح ما يشمله هذا التعريف من مسائل النسخ .

٢ـ ذكر شروط النسخ التي لا يحكم بوقوعه إلا بتوفرها .

٣ـ بين الفرق بين النسخ والبداء .. وأبطل شبهة القائلين بالبداء ، أو الذين يسوون بينه وبين النسخ ؛ بل ساق أدلة كل فريق ، ثم أبطلها من وجوه عدة ..

٤ـ بين المؤلف رحمه الله الفرق بين النسخ والتخصيص من سبعة أوجه .

٥ـ ذكر مذاهب أهل الأديان والفرق في إثبات النسخ وعدمه .. مع إيراد أدلة كل قول .. ثم عرج عليها بالإبطال والرد من واقع كتبهم وغيرها. مع بيان أدلة ثبوته ـ أي النسخ ـ من جهة العقل والسمع .

٦ـ بين الحكمة في موضوع النسخ بجميع أنواعه .

٧ـ بين طرق معرفة النسخ التي وافق عليها ، مع عرض الطرق التي لا تعتمد في هذا المجال ..

٨ـ وضح المؤلف ما يصلح أن يتناوله النسخ ، وما لايصلح لذلك ، كأمهات الأخلاق ، وأصول العبادات ونحوها .

كما نبه إلى عدم جواز نسخ الأخبار ، وأن النسخ لا يقع إلا في الإنشاء .

هذا بالنسبة للأخبار المحضة .. أما إن كان الخبر بمعنى الإنشاء فرجح فيه جواز النسخ .. كما رجح جواز نسخ ألفاظ الأخبار المحضة دون مدلولاتها .

٩ـ ذكر الأنواع الثلاثة للنسخ في القرآن ، مع توضيح كل نوع منها بضرب الأمثلة .

كما رد على شبه المانعين من جواز نسخ الحكم دون التلاوة ، ونسخ التلاوة دون الحكم .

١٠ـ تحدث المؤلف عن مسألة البدل في النسخ ، وبين الراجح ، مع الجواب عن شبه المخالفين .

ثم ذكر بعض المسائل المتعلقة بهذه المسألة .. كالنسخ ببدل أخف أو مساو أو أثقل . وحكم كل منها ، مع ذكر القول الراجح ، والجواب عن أدلة المخالف .

١١ـ ذكر أقوال أهل العلم في مسألة النسخ قبل التمكن من الامتثال ، مع بيان الراجح منها بدليله ، والجواب عن أدلة المخالفين .

١٢ـ ساق المؤلف الكلام على نسخ القرآن بالقرآن ، ونسخ القرآن بالسنة ، ونسخ السنة بالقرآن ، ونسخ السنة بالسنة .. مع التعرض لذكر الخلاف في مواضعه ، ومناقشة الآراء وأدلتها ، ثم الترجيح بالدليل .

كما تحدث المؤلف عن نسخ القياس ، والنسخ به ، وكذا الإجماع .

١٣ـ جعل العلماء الذين تحدثوا عن الناسخ والمنسوخ ثلاثة أصناف .. صنف مقتصد ، وصنف مقصر ، وصنف مبالغ .. ثم بين منشأ غلو الغالين ، وتقصير المقصرين إجمالا ، ثم أعقبه بالتفصيل .

١٤ـ ختم المؤلف هذا المبحث بذكر الآيات التي اشتهرت بأنها منسوخة .. فعد اثنتين وعشرين آية من القرآن الكريم .. وهي التي ذكرها السيوطي رحمه الله في إتقانه .

ثانياً : ذكر إضافات المؤلف في هذا المبحث :

يمكن حصر إضافات المؤلف رحمه الله فيما يلي :

١ـ تعرض المؤلف لبيان أهمية موضوع النسخ ، وذكر في ذلك خمسة أوجه .. بينما نلاحظ أن غيره قد يكتفي بالرواية التي تشير إلى أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه مر بقاص يقص .. إلخ .

٢ـ شرح تعريف النسخ في الاصطلاح شرحاً حسناً ، مع ذكر محترزات التعريف ، والأمور التي تندرج تحته ويدل عليها .

٣ـ بين معنى البداء ، والفرق بينه وبين النسخ .. كما بين استحالة البداء على الله تعالى ، وأنه مغاير للنسخ ، خلافاً لما تدعيه اليهود .. ثم ذكر مذهب القائلين بالبداء ، مع عرض شبههم ، والرد عليها .

٤ـ ذكر الفرق بين النسخ والتخصيص .. وذلك من سبعة أوجه ، كما بين وجه الشبه بينهما ، مع تعريف كل منهما .

٥ـ ساق المؤلف أقوال الناس في النسخ .. ثم أورد أدلة ثبوته من جهة العقل والنقل .

٦ـ تعرض لبيان حكمة النسخ بجميع أقسامه

٧ـ ذكر شبهات المنكرين للنسخ عقلا ، وأجاب عنها .

٨ـ ذكر شبهات المنكرين للنسخ سمعاً ـ على اختلاف مذاهبهم ـ ثم أجاب عنها .

٩ـ بين المؤلف المسالك التي لا يصح اعتمادها في معرفة النسخ ، وهي سبعة .

١٠ـ أشار المؤلف إلى شبه المنكرين لوقوع نسخ الحكم دون التلاوة ، والعكس . وأجاب عن ذلك .

١١ـ ذكر المؤلف شبه المنكرين لوقوع النسخ من الأخف إلى الأثقل سمعاً وعقلا ، وأجاب عن ذلك .

١٢ـ بين المؤلف جواز وقوع النسخ قبل التمكن ، مضيفاً شبه المنكرين ، والجواب عنها .

ثالثاً : مناقشة المؤلف في بعض مسائل هذا المبحث وهي :

١ـ في التحسين والتقبيح .

٢ـ نسخ الآحاد للمتواتر .

٣ـ تخصيص الآحاد للمتواتر .

❁ إيقاظـــات .

المسألة الأولى : في التحسين والتقبيح .

أورد المؤلف شبهة للمنكرين لجواز النسخ عقلا فقال : "يقولون : إن النسخ يستلزم اجتماع الضدين ، واجتماعهما محال . وبيان ذلك أن الأمر بالشيء يقتضي أنه حسن وطاعة ومحبوب لله ، والنهي عنه يقتضي أنه قبيح ومعصية ومكروه له تعالى .

فلو أمر الله بالشيء ثم نهى عنه ، أو نهى عن الشيء ثم أمر به ، لاجتمعت هذه الصفات المتضادة في الفعل الواحد الذي تعلق به الأمر والنهي .

ثم بدأ الجواب عنها بقوله : "وندفع هذه الشبهة بأن الحسن والقبح وما اتصل بهما ليست من صفات الفعل الذاتية حتى تكون ثابتة فيها لا تتغير : بل هي تابعة لتعلق أمر الله ونهيه بالفعل . وعلى هذا يكون الفعل حسناً وطاعة ، ومحبوباً لله ، مادام مأموراً به من الله ، ثم يكون هذا الفعل نفسه قبيحاً ومعصية ومكروهاً له تعالى مادام نهياً عنه منه تعالى .."(١) . اهـ

وقال في موضع آخر من نفس المبحث : ".. أن نهي الشارع عن الشيء المطلوب قبل التمكن من أدائه يتبين منه أن ذلك الشيء قبيح عقلا متى نهى الله عنه .." (٢) . اهـ

وهذا الذي صرح به المؤلف هو مذهب الأشاعرة .. الذين نفوا أن يكون للأفعال صفات ذاتية من حيث الحسن والقبح ، كما نفوا تحسين العقل وتقبيحه ، وجعلوا ذلك مقصوراً على الشرع فقط .

فالعقل عندهم قد يقبح ما يحسنه الشرع ويأمر به ، كذبح الحيوان ، وإيلام الأطفال ، وما شابه ذلك !

وبالتالي نفوا دخول العقل في مجال التحسين والتقبيح فراراً من هذا التناقض !

وبناء على هذا الأصل الذي بنوه فإنهم يجوزون أن يأمر الشرع بكل شيء من القبائح ، كالزنا والكذب ونحو ذلك .. ويكون حسناً بعد أن يأمر به ..!!

كما جوزوا أن ينهى الشرع عن البر والعفاف .. ويكون ذلك قبيحاً..!!وقد ناقضهم المعتزلة حينما قصروا التحسين والتقبيح على العقل ، وجعلوا الحسن

١ـ المناهل (٢/٩٧) .

٢ـ المناهل (٢/١٢٧) .

والقبح من الصفات الذاتية اللازمة للفعل ،وقصروا دور الشرع على الكشف عن تلك الصفات دون أن يكون سبباً لشيء منها !! وكل واحد من الفريقين يجيز المعارضة بين العقل والشرع !! بخلاف أهل السنة ، فإنهم يرون خلاف ذلك .. إذ العقل الصحيح لا يعارض النقل الصحيح الصريح .. فإن وقع شيء من التعارض ، وكان النقل صحيحاً صريحاً ، فالعلة في العقل ولا محالة . فإن الشرع جاء بما يوافق العقول السليمة ، والفطر القويمة ، لا بما يناقض ذلك !!

وقد قيل لأعرابي : بم عرفت أنه رسول الله ؟ فقال : ما أمر بشيء فقال العقل ليته ينهى عنه ، ولا نهى عن شيء فقال : ليته أمر به(١) .

والشارع تبارك وتعالى قد يأمر بالشيء ـ أو الفعل ـ المشتمل على مصلحة ـ أو ينهى عن الفعل المشتمل على المفسدة ـ وتكون هذه الصفة ـ أعني المصلحة أو المفسدة ـ معلومة بالعقل ، ولو لم يرد الشرع بذلك .

فإن كثيراً من الأفعال معلومة المصلحة أو المفسدة بالعقل .. كالصدق والعفة والكرم والشجاعة والعدل .. كل ذلك معلوم حسنه وصلاحه بالعقل ؛ كما أن بعض الأوصاف والأفعال كالظلم والكذب والزنا والجبن والبخل .. معلوم قبحها في العقل أيضاً . وهذه وتلك من الصفات الذاتية للفعل كما هو معلوم؛ فهذا النوع هو حسن وقبيح ؛ وقد يُعلم بالعقل والشرع قبح ذلك .وليس معنى هذا أنه أثبت للفعل صفة لم تكن ! مع أننا نقول بعدم التلازم بين كونه قبيحاً ، وبين العقاب على فعله في الآخرة إذا لم يرد شرع بذلك ؛ قال تعالى : ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾(٢) وقال : ﴿رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ (٣). وقال : ﴿وما كان ربك مهلك القرى حتى يبعث في أمها رسولا ..﴾ (٤) إلى غير ذلك من النصوص الدالة على هذا المعنى .

هذا واعلم أيضاً أن الشارع إذا أمر بشيء صار حسناً ، وإذا نهى عن شيء صار قبيحاً .. واكتسب الفعل صفة الحسن والقبح بخطاب الشارع .. وإن لم يدرك ذلك العقل .. مع أننا ننفي التعارض بينهما .. لكن العقل قد تخفى عليه كثير من

١ـ التفسير القيم (٢٧٩) .

الأمور والحِكَم . كما هو معلوم ؛ لأن نطاقه محدود في ذلك .

كما أن الشارع قد يأمر بشيء ليمتحن العبد هل يطيعه أم لا ! ولا يكون المراد فعل المأمور به ! كما أمر ابراهيم بذبح ابنه .. فلما أسلما وتله للجبين حصل المقصود ، ففداه بذبح عظيم .

وبهذا تعلم أن الأمر أو النهي قد يقع أحدهما على ما عُلم وصفه (من حيث الحسن أو القبح) عقلا ؛ وقد يُؤمر بالشيء ، أو يُنهى عنه ، ويصير حسناً إن كان مأموراً ، أو قبيحاً إن كان منهياً ، مع أن العقل قدلا يدرك حسنه أو قبحه .

وقد يأمر بالشيء ليمتحن به عباده من جهة الامتثال وعدمه ـ كما تقدم ـ مع كونه لا يريد فعل المأمور في العاقبة . فالحكمة منشؤها من نفس الأمر ، لا من نفس المأمور به ، وهذا النوع والذي قبله ضل فيه المعتزلة ، وزعموا أن الحُسْن والقُبْح لا يكون إلا لما هو متصف بذلك ، بدون أمر الشارع ، بخلاف الأشاعرة الذين ادعوا أن جميع الشريعة من قسم الامتحان ، وأن الأفعال ليست لها صفة ، لا قبل الشرع ولا بعده ، ثم هدى الله أهل السنة إلى الحق والوسطية ، فأثبتوا الأقسام الثلاثة ، وهذا هو الحق الذي لا محيد عنه(١) .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله عند قوله تعالى : ﴿وإذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها ، قل إن الله لا يأمر بالفحشاء ..﴾(٢) : "والفاحشة أريد بها كشف السوءات ، فيستدل به على أن في الأفعال السيئة من الصفات ما يمنع أمر الشرع بها ، فإنه أخبر عن نفسه في سياق الإنكار عليهم أنه لا يأمر بالفحشاء ، فدل ذلك على أنه منزه عنه ، فلو كان جائزاً عليه لم يتنزه عنه .

فعلم أنه لايجوز عليه الأمر بالفحشاء ، وذلك لا يكون إلا إذا كان الفعل في نفسه سيئاً ، فعلم أن كل ما كان في نفسه فاحشة فإن الله لا يجوز عليه الأمر به ، وهذا قول من يثبت للأفعال في نفسها صفات الحسن والسوء ، كما يقوله أكثر العلماء.."اهـ(٣).

١ـ انظر حول هذا الموضوع : مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (٨/٩٠ـ٩٣، ١٢٣ـ١٢٤، ٣٠٨ـ٣١١، ٤٢٨ـ٤٣٦/ ١١، ٦٧٥ـ٦٨٦/ ١٤، ٢٥٧ـ٢٥٩/ ١٩، ٤١٢ـ٤١٦) ، درء تعارض العقل والنقل (٨/٤٩٢ـ٤٩٣) .

٢ـ الأعراف (٢٨) .

٣ـ مجموع الفتاوى(١٥/٩١٨).

المسألة الثانية : نسخ الآحاد للمتواتر .

منع المؤلف رحمه الله جواز نسخ المتواتر بالآحاد ـ شرعاً ـ سواء كان ذلك المتواتر قرآناً أو سنة .. وإليك شيئاً من كلامه :

"قانون التعارض : وعلى ذكر التعارض في هذا الباب ، نبين لك أن النصين المتعارضين إما أن يتفقا في أنهما قطعيان ، أو ظنيان ؛ وإما أن يختلفا ، فيكون أحدهما قطعياً ، والآخر ظنياً . أما المختلفان فلا نسخ بينهما ، لأن القطعي أقوى من الظني ، فيؤخذ به ، وما كان اليقين ليُتْرك بالظن .

وأما المتفقان : فإن عُلم تأخر أحدهما بطريق من تلك الطرق الثلاث المعتمدة فهو الناسخ ، والآخر المنسوخ ؛ وإن لم يدل عليه واحد منها وجب التوقف .."(١) اهـ

وقال في موضع آخر : "أما خبر الواحد ، فالحق عدم جواز نسخ القرآن به للمعنى المذكور ، وهو أنه ظني ، والقرآن قطعي ، والظني أضعف من القطعي ، فلا يقوى على رفعه .." (٢) اهـ

وهناك مواضع أخرى غير ما ذكرت لاداعي للإطالة بنقلها (٣) في هذه العجالة ، والله المستعان .

والذي أظنه ـ والله تعالى أعلم ـ أن المؤلف لم يحالفه التوفيق فيما ذهب إليه .. ! وإليك بيان هذا وتوضيحه :

ذكر مذاهب العلماء في هذه المسألة :

المذهب الأول :

أن الآحاد لاينسخ المتواتر . وهو قول الجمهور .

أدلتهم :

استدلوا على ذلك بما ذكره المؤلف (٤) من رد عمر لخبر فاطمة بنت قيس (٥) في السكنى والنفقه للمبتوته في الطلاق .

١ـ المناهل (٢/١٠٧) .

كما استدلوا بدليل آخر من النظر ، وهو أن المتواتر مقطوع ، والآحاد مظنون ، فلا يقوى الظن على رفع القطع !

المذهب الثاني :

أن ذلك جائز في زمن النبي ﷺ خاصة .. دون غيره من الأزمان .

وبه قال أبو الطيب ، والغزالي ، والباجي ، والقرطبي (١) .

أدلتهم :

عللوا ذلك بتوافر القرائن في زمن النبي ﷺ ، ولأنه كان يبعث رسله إلى الأطراف ومعهم الناسخ والمنسوخ ، وهم آحاد .

المذهب الثالث :

أن ذلك جائز مطلقاً ، طالما كان الخبر الناسخ برواية العدول الضابطين ، ولم يكن شاذاً ولا معللا .

وبه قالت الظاهرية ،(٢) ، ومنهم ابن حزم ، وهو رواية عن الإمام أحمد(٣)، وبه قال الطوفي(٤)،وابن السبكي (٥) (٦) ، والمحلي(٧) ، ومحمد الأمين الشنقيطي(٨) ، وهو الراجح إن شاء الله تعالى .

٥- فاطمة بنت قيس بن خالد الفهرية ، أخت الضحاك ، كانت من المهاجرات الأول . التقريب (٢/٦٠٩) .

١- انظر إرشاد الفحول (ص١٩٠) ، شرح الروضة لابن بدران (١/٢٢٧ـ٢٢٨) ، المسودة (٢٠٧) شرح تنقيح الفصول (٣١١) ، شرح الكوكب المنير (٣/٥٦٢) .

٢- انظر : شرح تنقيح الفصول (٣١١) ، شرح الروضة لابن بدران (١/٢٢٧) ، حاشية العطار على شرح المحلي (٢/١١٢) شرح الكوكب المنير (٣/٥٦١) ، الإحكام لابن حزم (ج١/١٠٥ـ١٠٦،ج٤/٤٧٧ـ٤٨٣) الإحكام للآمدي (ج٣/١٣٤) ، إرشاد الفحول (١٩٠) .

٣- المسودة (ص٢٠٢،ص٢٠٦) ، إرشاد الفحول (١٩٠) .

٤- شرح الكوكب المنير (٣/٥٦١) ، شرح الروضة لابن بدران (١/٢٢٨ـ٢٢٩) .

٥- عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي بن تمام بن يوسف بن موسى السبكي ، الشافعي ، تاج الدين ، فقيه ، أصولي ، ولد بالقاهرة سنة (٧٢٧هـ) وتوفي بدمشق سنة(٧٧١هـ) شذرات الذهب (٦/٢٢١ـ٢٢٢) .

٦- شرح المحلي على جمع الجوامع (٢/١١٢،١١٤) .

٧- شرح المحلي على جمع الجوامع (٢/١١٢،١١٤) .

٨- المذكرة في أصول الفقه (٨٦ـ٨٧) .

وأدلة أصحاب هذا القول كما يأتي :

الأول : الوقوع .

ومثلوا على ذلك بأمثلة متعددة ، كنسخ الوصية للوالدين والأقربين بحديث : "لاوصية لوارث"(١) .

وكنسخ قوله تعالى : ﴿قل لا أجد فيما أوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه﴾ (٢) بنهيه ﷺ عن كل ذي ناب من السباع ، ومخلب من الطير . (٣) .

وكنسخ قوله : ﴿وأحل لكم ما وراء ذلكم ..﴾ (٤) بنهيه ﷺ أن تنكح المرأة على عمتها ، ولاعلى خالتها(٥)وكنسخ التوجه إلى بيت المقدس في الصلاة ، بالتوجه إلى الكعبة ، بالنسبة لأهل قباء ، حينما أتاهم آت وأخبرهم بتحول القبلة ، فاستداروا وهم في الصلاة(٦) (٧) .

تنبيه :

هذا الدليل ـ أعني الوقوع ـ إنما ذكرته لأن عامة من ذكر أدلة أصحاب هذا القول قد ذكره دليلا لهم .. كما أنهم استدلوا به ..

وإلا فيمكن أن يقال بجواز نسخ السنة الآحادية للمتواترة عقلا وشرعاً ، بغض النظر عن كونه قد وقع أو لم يقع ..

ثم إن جميع الأمثلة التي تذكر في هذا قد ينازع فيها ولا تسلم لهم ؛ ولذا وقع في النفس شيء من التردد بنقلها عنهم ! وهذا هو السر في الاكتفاء بعزو كل مثال إلى بعض المصادر التي مثلت به ، دون بذل الجهد في التخريج من المصادر

١ـ المحصول (١/٥٥١) ، شرح الشيخ محمد الامين الشنقيطي لمراقي السعود (ص٧٠) (مخطوط) .

٢ـ الانعام (١٤٥) .

٣ـ المحصول (١/٥٥١) ، شرح مختصر ابن الحاجب (٢/٥٣٧،٥٣٩) .

٤ـ النساء (٢٤) .

٥ـ المحصول (١/٥٥١) .

الحديثية الأصليه .

وعلى كلٍ فإن الجواب عن بعض الأمثلة السابقة أو كلها لا يبطل أصل المسألة .

قال في مراقي السعود :

والشأن لا يعترض المثال إذ قد كفى الفرض والاحتمال (١)

الثاني : أن خبر الآحاد يوجب العمل قطعاً ، وإذاً فهو قطعي ، فلا يضرنا التردد في أصله مع القطع بوجوب العمل به (٢) .

الثالث : جوزتم تخصيص المتواتر به ، فكذلك جوزوا به النسخ له (٣) ؛ لأن النسخ أحد البيانين ، فكان جائزاً بخبر الواحد كالتخصيص (٤).

وكما أن التخصيص رفع في الأعيان ، فالنسخ رفع في الأزمان . (٥).

الرابع : أن خبر الواحد دليل من أدلة الشرع ، فإذا صار معارضاً لحكم المتواتر وجب تقديم المتأخر ، قياساً على سائر الأدلة (٦) .

الخامس : إنفاذ النبي ﷺ آحاد الرسل والولاة إلى الأطراف ، وفي جملة مامعهم الناسخ والمنسوخ .. (٧) .

السادس : ماقدمنا لك فيما سبق من أن خبر الواحد قد يفيد العلم (٨) ، وعليه فلا يقال : "مظنون عارض مقطوعاً فلا يحتج به" وإنما قد يكون كل واحد منهما مفيداً للعلم .

السابع : نحن وأنتم متفقون على جواز نسخ التلاوة ووقوعه ، فبأي شيء كان ذلك ؟

إن قلتم بمتواتر ! فعليكم الإثبات ؛ وهيهات لكم ذلك في غالب الوقائع ، إن

١ـ نشر البنود(٢/٢٤٤) .

٢ـ شرح الشيخ محمد الأمين على مراقي السعود (ص٧٠) .

٣ـ المحصول (١/٥٥١) .

٤ـ الإحكام للآمدي (٣/١٣٤،١٣٥) .

٥ـ شرح تنقيح الفصول (٣١٢) ، إجابة السائل شرح بغية الأمل للصنعاني (٣٨٠) .

٦ـ المحصول (١/٥٥١) ، الإحكام للآمدي (٣/١٣٤) .

٧ـ المحصول (١/٥٥٢) ، الإحكام للآمدي (٣/١٣٥) ، شرح مختصر ابن الحاجب (٢/٥٣٧، ٥٣٨) .

٨ـ انظر (ص٣٧٢) فما بعدها.

لم تكن كلها .. فبقي أن تقولوا بأخبار الآحاد .

الثامن : معلوم أن الأدلة إذا تعارضت أمام الناظر أو المستدل ، أنه يسير معها على خطوات ومراحل متتابعة ، لا يتجاوز شيئاً منها إلى ما بعدها حتى تتعذر الأولى .

وهذه الخطوات هي :

١ـ محاولة الجمع بين الأدلة المتعارضة .. فإن تعذر انتقل إلى المرحلة الثانية وهي :

٢ـ إذا علم أن أحد الدليلين متقدم والآخر متأخر ، صار إلى النسخ .. فإن أعياه معرفة ذلك انتقل إلى المرحلة الثالثة وهي :

٣ـ الترجيح بين الأدلة ببعض وجوه الترجيح الكثيرة جداً ، والتي منها قوة الإسناد ، ودقة الرواة وتثبتهم .. إلخ .

هذا الذي صرح به جماعات من أهل العلم ، منهم : الحازمي (١) (٢) والنووي (٣) ، والعراقي (٤)، والحافظ ابن حجر (٥)، والسيوطي (٦)، وغيرهم (٧).

قال العراقي :

والمتن إن ناقاه متن آخر وأمكن الجمع فلا تنافر
كمتن لايورد مع لاعدوى فالنفي للطبع وفر عدواً
أولا فإن نَسْخ بدا فاعمل به أولا فرجح واعملن بالأشبه (٨)

فلا أدري كيف قفز أولئك ـ الذين رجحوا المتواتر على الآحاد ـ المرحلة الثانية ـ وهي النسخ ـ وصاروا إلى الترجيح !!

١ـ هو الإمام الحافظ أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان بن موسى بن عثمان بن حازم الحازمي الهمذاني، ولد سنة (٥٤٨هـ) وتوفي سنة (٥٨٤هـ) وعمره (٣٦سنة) . سير أعلام النبلاء (٢١/١٦٧) .

٢ـ الاعتبار (٩/١٠) .

٣ـ إرشاد طلاب الحقائق (٢/٥٧٣ـ٥٧٥) ، التقريب (مع شرحه التدريب) (٢/١٩٧ـ١٩٨) .

٤ـ التبصرة والتذكرة (٢/٣٠١) ، التقييد والإيضاح (٢٨٥ـ٢٨٨) .

٥ـ النخبة وشرحها (نزهة النظر) (٣٧ـ٣٩) .

وبهذا الذي ذكرت هنا تعرف أيضاً ضعف كلام المؤلف في قانونه الذي ذكره ونقلته عنه فيما سبق فراجعه .

ذكر أدلة المانعين والجواب عنها :

استدل من منع من نسخ الآحاد للمتواتر بما يأتي من الأدلة :

الأول : قالوا : إن الصحابة كانوا يتركون خبر الواحد إذا رفع حكم الكتاب، ومثلوا على ذلك برد عمر رضي الله عنه لخبر فاطمة بنت قيس في النفقة والسكنى لمن بُتَّ طلاقها (١) .

والجواب عن هذا من ثلاثة أوجه :

١ـ أن هذا الاستدلال ضعيف .. لأنا نقول : هب أن هذا الحديث دل على أنهم ماقبلوا ذلك الخبر في نسخ المتواتر ، فكيف يدل على إجماعهم على أنهم ماقبلوا خبراً من أخبار الآحاد في نسخ المتواتر !! (٢)مع العلم أنهم كانوا يقبلون تلك الأخبار ويُعملونها .

٢ـ ما أجاب به العلامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله بقوله : "وأما قول عمر رضي الله عنه : "لاندع كتاب ربنا" إلخ ، فالحق في ذلك ليس معه رضي الله عنه ، بل مع المرأة المذكورة .. وعندما سمعت قول عمر ... قالت : بيني وبينكم كتاب الله ، قال الله تعالى : ﴿فطلقوهن لعدتهن﴾ (٣) حتى قال : ﴿لا تدري لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾ (٤) فأي أمر يحدث بعد الثلاث .

وصرح أئمة الحديث بأنه لم يثبت من السنة ما يخالف حديثها ، فالسنة معها ، وكتاب الله معها ، فلا وجه للاستدلال بمخالفة عمر لما سمعته من النبي ﷺ ، لأن من حفظ حجة على من لم يحفظ " اهـ (٥) .

٣ـ أن رد عمر رضي الله عنه لهذا الخبر بعينه لا يدل ذلك على قاعدة عنده في رد أخبار الآحاد إذا خالفت المتواتر !! لأنه لامانع من أن يكون امتناعه من قبوله عدم حصول الظن بصدقه(٦) أو لوقوع شبهة فيه.قال ابن بدران رحمه الله :

---

١ ـ المحصول (١/٥٥١) .

٢ـ المصدر السابق .

٣ـ الطلاق (١) .

٤ـ الطلاق (١) .

٥ـ المذكرة في أصول الفقه (ص٨٧) .

"وعلى كلٍ فهذا لا يفيد أن خبر الواحد لا ينسخ الكتاب والمتواتر ، بل يفيد جوازه ، وذلك لأن عمر إنما رد خبر فاطمة لشبهة احتمال أنها نسيت ؛ وهذا يدل على أن خبرها لو أفاده الظن ، ولم تقع له الشبهة المذكورة ، لعمل به " اهـ(١) .

الثاني من أدلتهم :

يقولون بأن الخبر المتواتر مقطوع ، والآحاد مظنون ، والمظنون لا يقابل المقطوع ، بل يطرح المظنون ويعمل بالمقطوع . (٢) .

والجواب عن ذلك من ستة أوجه وهي :

١ـ أنه لا تعارض البتة بين خبرين مختلفي التاريخ ، لإمكان صدق كل منهما في وقته ، وقد أجمع جميع النظار أنه لا يلزم التناقض بين قضيتين إلا إذا اتحد زمنهما ، أما إن اختلفا فيجوز صدق كل منهما في وقتها ، فلو قلت : النبي ﷺ صلى إلى بيت المقدس ، وقلت أيضاً : لم يصل إلى بيت المقدس ، وعنيت بالأولى ماقبل النسخ ، وبالثانية ما بعده ، لكانت كل منهما صادقة في وقتها . (٣) .

٢ـ أن المتواتر وإن كان قطعياً من جهة الثبوت ، فإنه ليس بقطعي الدلالة ، بل دلالته ظنية (٤) .. وعليه فإنه يجوز مقابلة الآحاد المقطوع بحسب الثبوت ، بالمتواتر المظنون بحسب الدلالة . (٥) .

فالناسخ في الحقيقة إنما جاء رافعاً لاستمرار حكم المنسوخ ودوامه ، وذلك ظني (٦) ، وإن كان دليله قطعياً .. فالمنسوخ إنما هو هذا الظني . (٧) .

٣ـ أن ماذكروه باطل بالتخصيص (٨) الذي يدخل على المتواتر من جهة الآحاد وغيره ..

٦ـ الإحكام للآمدي (١٣٤/٣) .

١ـ شرح روضة الناظر لابن بدران (٢٢٨/١ـ٢٢٩) .

٢ـ شرح مختصر ابن الحاجب (٥٣٦/٢) ، إجابة السائل (٣٨٠) .

٣ـ المذكرة في أصول الفقه (٨٦ـ٨٧) .

٤ـ المحلي على جمع الجوامع (١١٢/٢) ، إجابة السائل (٣٨٠) ، شرح الشيخ محمد الأمين على المراقي (ص٧١) (مخطوط) .

٥ـ شرح مختصر ابن الحاجب (٥٣٦/٢) .

كيف وأنه وإن كان أضعف من المتواتر من جهة كونه آحاداً ، إلا أنه أقوى من المتواتر من جهة كونه خاصاً ، والمتواتر عاماً ، والظن الحاصل من الخاص إذا كان آحاداً أقوى من الظن الحاصل من العام المتواتر ، لأن تطرق الضعف إلى الواحد من جهة كذبه واحتمال غلطه ، وتطرق الضعف إلى العام من جهة تخصيصه واحتمال إرادة بعض مادل عليه دون البعض ، واحتمال تطرق التخصيص إلى العام أكثر من تطرق الخطأ والكذب إلى العدل ، فكان المستفاد من خبر الواحد أقوى . (١) .

٤ـ أنّا لانسلم أن المقطوع لا يرفع بالمظنون !! فبراءة الذمة من التكليف مقطوع بها ، مع أنه يجب التكليف بالأدلة الظنية(٢) .

٥ـ أن الثابت باليقين يحتمل الرفع بخبر الواحد ، لأن الموجب لغيره لا يوجب البقاء ، وإنما يكون البقاء لعدم دلالة الرفع ، والثابت لعدم الأدلة يرتفع بأدنى دليل ، مثل تحويل القبلة فيما سبق(٣) .

فإن قيل : نسخ التلاوة بالآحاد يبطل قرآنية الآية ، وقرآنيتها قطعية فالجواب أن قرآنيتها وإن كانت قطعية ، فدوامها ليس بقطعي . والنسخ بالآحاد إنما أبطل دوام القرآنية المظنون ، لا أصلها القطعي . (٤) .

٦ـ قولهم : إن الآحاد ظني الثبوت . غير مسلم بل إن خبر الآحاد قد يفيد العلم في أحوال كثيرة ـ كما وضحنا لك ذلك فيما سبق (٥) ـ فيكون التعارض ـ أحياناً ـ بين خبرين كلاهما يفيد العلم .

١ـ الإحكام للآمدي (٣/١٣٤ـ١٣٥) .

٢ـ شرح الشيخ الأمين على المراقي (٧٠ـ٧١) (مخطوط) .

٣ـ المسودة (٢٠٥) .

٤ـ شرح الشيخ محمد الأمين على المراقي (ص٢٠٥) (مخطوط) .

٥ـ انظر (ص٣٧٢) فما بعدها.

المسألة الثالثة : في تخصيص الآحاد للمتواتر (١).

لقد منع المؤلف من تخصيص الآحاد للمتواتر بقوله : "إننا نمنع جواز تخصيص المتواتر بخبر الواحد .." (٢) اهـ

وهذا المذهب مردود !! ويكفينا في رده ماذكرناه سابقاً من جواز نسخ المتواتر بالآحاد (٣).. وهو أشد ، لأن الدفع أسهل من الرفع ، كما هي القاعدة المعروفة في ذلك . فالنسخ رفع ، والتخصيص ونحوه كالتقييد دفع . فإذا جاز النسخ فمن باب أولى جاز التخصيص ..

وتتميماً للفائدة ـ ومع ما سبق في الجواب عمن منع من نسخ الآحاد للمتواتر ـ نذكر لك أشهر المذاهب في هذه المسألة ، ونبين الراجح منها بدليله ، مع الجواب عن أدلة المخالفين بشيء من الاختصار .

ذكر مذاهب العلماء في هذه المسألة :

المذهب الأول : أن المقدم هو العموم ! (٤).

أدلة أصحاب هذا المذهب مع الجواب عنها :

١ـ الإجماع . قالوا : إن عمر رضي الله عنه رد خبر فاطمة بنت قيس في السكنى والنفقة لمن بُتَّ طلاقها ، وأن الصحابة أقروه على ذلك .

والجواب عن هذا بما سبق أن بيناه لك في المسألة السابقة (٥) فلا نطيل بإعادته .. ثم إن دعوى الإجماع هذه غير مسلمة لهم !

إضافة إلى أنّا لا نستجيز تخصيص العموم بكل ماجاء من أخبار الآحاد حتى لو كان ضعيفاً ! فتحتجون علينا بخبر عمر رضي الله عنه ! وإنما نجوزه بالخبر الذي لا يكون راويه متهما بالكذب أو النسيان ، وهذا الشرط لم يكن حاصلا ـ عند عمر ـ هنا ؛ ذلك أن عمر قدح في روايتها بذلك ـ أى النسيان ـ فلا يكون هذا قادحاً في القول بجواز التخصيص بما ثبت من الآحاد ..

---

١ ـ انظر شرح تنقيح الفصول (٢٠٨ـ٢٠٩) ، شرح مختصر ابن الحاجب (٢/٣١٨ـ٣٢٤) ، المستصفى (٢/١١٤) .

٢ـ المناهل (٢/١٤٤) .

وخبر عمر رضي الله عنه الذي أشاروا إليه حجة لنا ، لأن عمر رضي الله عنه بين أن روايتها إنما صارت مردودة لكون الراوي غير مأمون من النسيان ، ولو كان خبر الواحد المقتضي لتخصيص الكتاب مردوداً كيف ماكان لما كان لذلك التعليل من وجه(١) .

٢ـ الثاني من أدلتهم : هو ذلك الحديث المروي عن النبي ﷺ بألفاظ مختلفة أنه قال : "سيأتيكم عني أحاديث مختلفة ، فما جاءكم موافقاً لكتاب الله ولسنتي فهو مني ، وما جاءكم مخالفاً لكتاب الله ولسنتي فليس مني"(٢).

قالوا : والخبر الذي يخصص الكتاب ، يدل على مخالفة الكتاب : فوجب رده (٣) .

ويمكن أن يجاب على هذا بما يأتي :

١ـ أن هذا القول يقتضي أن لايجوز تخصيص الكتاب بالسنة المتواترة !

فإن قلتم : إن ما يقتضي تخصيص الكتاب لايكون على خلافه . قلنا في مسألتنا مثل ذلك . فالتخصيص ليس بمخالفة .

٢ـ أن هذا الحديث الذي استدللتم به باطل من جهة السند والمتن .

أما وجه بطلانه من جهة السند ؛ فقد أورده الهيثمي في المجمع (١٧٠/١) من حديث ثوبان (٤) ، وعزاه إلى الطبراني في الكبير ، وقال : "فيه يزيد بن ربيعة (٥)، وهو متروك منكر الحديث" اهـ

كما أورده من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، وعزاه إلى الطبراني في الكبير أيضاً ، ثم عقبه بقوله :"فيه أبو حاصر ، عبد الملك بن عبد ربه (٦)وهو منكر

١ـ المحصول (٤٣٤/١ـ٤٣٥) .

٢ـ سنن الدارقطني (٢٠٨/٤) ، التاريخ لابن معين رقم (٢٩٨٨) الإبانة الكبرى (٣٦٦/١) ، وانظر الآداب الشرعية (٣٠٨/٢) .

٣ـ المحصول (٤٣٤/١) .

٤ـ ثوبان الهاشمي ، مولى النبي ﷺ ، صحبه ولازمه ، ونزل بعده الشام ، ومات بحمص سنة (٥٤هـ) . التقريب (١٢٠/١) .

٥ـ يزيد بن ربيعة ، أبو كامل الرحبي الدمشقي ، الصنعاني (صنعاء دمشق) . قال عنه البخاري في الكبير : "حديثه مناكير" اهـ . التاريخ الكبير (٣٣٢/٨) .

٦ـ عبد الملك بن عبد ربه بن زيتون ، أبو حاصر (وفي التاريخ الكبير "أبو حاضر" . حديثه في الشاميين . التاريخ الكبير (٤٢٤/٥) .

الحديث " اهـ(١) .

و قد أورد هذا الحديث الصغاني (٢) في موضوعاته ، (برقم ١٣٥) ، وقال الفيروزابادي :"وباب إذا سمعتم عني حديثاً فاعرضوه على كتاب الله ، فإن وافقه فاقبلوه ، وإلا فردوه ؛ لم يثبت فيه شيء ؛ وهذا الحديث من أوضع الموضوعات ، بل صح خلافه :"ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه " اهـ(٣) .

و ذكره العجلوني (٤)في "كشف الخفاء" بلفظ : "إذا حُدثتم عني بحديث يوافق الحق فصدقوه .." وقال :"قال السخاوي : رواه الدارقطني في الأفراد ، والعقيلي في الضعفاء ، وأبو جعفر بن البحتري (٥)في فوائده ، عن أبي هريرة مرفوعاً ، والحديث منكر جداً . وقال العقيلي : ليس له إسناد يصح . ومن طرقه ما عدا (٦)الطبراني عن ابن عمر مرفوعاً ".. وأنه ستفشوا عني أحاديث ، فما أتاكم من حديثي فاقرأوا كتاب الله واعتبروا ، فما وافق كتاب الله فأنا قلته ... " وقد سئل شيخنا ـ يعني الحافظ ابن حجر ـ عن هذا الحديث فقال : إنه جاء من طرق لا تخلوا عن مقال ، وقد جمع طرقه البيهقي في كتابه المدخل . اهـ (٧) ... " إلخ ما نقله العجلوني .

و قد قال عنه الشافعي في الرسالة :"ما روى هذا أحد يثبت حديثه في شيء صغر ولا كبر .. وهذه أيضاً رواية منقطعة عن رجل مجهول ، ونحن لا نقبل مثل هذه الرواية في شيء " أهـ(٨) .

١ـ مجمع الزوائد (١٧٠/١) .

٢ـ هو الإمام رضي الدين ، أبو الفضائل الحسن بن محمد بن الحسن بن حيدر بن علي القرشي العدوي العمري من ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه . ولد بلاهور سنة (٥٧٧هـ) وتوفي ببغداد سنة (٦٥٠هـ) . شذرات الذهب (٢٥٠/٥) .

٣ـ سفر السعادة (ص١٥٢) .

٤ـ هو إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغني الشافعي العجلوني ولد بعجلون سنة (١٠٨٧هـ) ، توفي في دمشق سنة (١١٦٢هـ) . معجم المؤلفين (٢٩٢/٢) .

٥ـ هو محمد بن القاسم الكرخي ، البحتري ، أبو جعفر ، محدث من أهل كرخ البصرة ، توفي سنة (٣٤٣هـ) . معجم المؤلفين (١٤٣/١١) .

و قد أورده الزرقاني(١) في مختصر المقاصد الحسنة (برقم ٥٣) .. بلفظ العجلوني وقال : "ضعيف". أهـ

وهذا الحديث مخرج عند الدارقطني في السنن (٢٠٨/٤) من حديث أبي هريرة بلفظ "سيأتيكم عني أحاديث مختلفة ، فما جاءكم موافقاً لكتاب الله ولسنتي فهو مني .." إلخ وعقبه بقوله :"صالح بن موسى ضعيف (٢) لا يحتج بحديثه " أهـ

و أخرجه أيضاً من طريق آخر عن أبي هريرة رضي الله عنه (٢٠٨/٤) بلفظ : "إذا حُدثتم عني بحديث تعرفونه ولا تنكرونه فصدقوا به ، وما تنكرونه فكذبوا به".

قال العظيم آبادي(٣) في تعليقه على الدارقطني عند هذا الحديث :".. والحديث منكر جداً" اهـ كما رواه الدارقطني أيضاً (٢٠٨/٤) من حديث علي رضي الله عنه مرفوعاً كذلك بلفظ :"إنها تكون بعدي رواة يروون عني الحديث ، فاعرضوا حديثهم على القرآن ، فما وافق القرآن فخذوا به .." .

قال الدارقطني :"هذا وهم ؛ والصواب عن عاصم بن زيد عن علي بن الحسين (٤) مرسلا عن النبي ﷺ " . وقال العظيم آبادي في تعليقه عليه : "فيه جبارة بن المغلس (٥)، ضعفه ابن معين ، وقال البخاري : مضطرب الحديث" اهـ

وأورده في اللسان في ترجمة "أشعث بن براز الهجيمي" (٦)من حديث أبي هريرة ولفظه : "إذا حُدثتم عني بحديث يوافق الحق فخذوا به ..". وقال : منكر جداً ..اهـ (٧).

١ـ هو أبو عبد الله محمد بن عبد الباقي بن يوسف بن أحمد بن علوان الزرقاني المصري ، الأزهري المالكي ، ولد سنة (١٠٥٥هـ) في القاهرة ، وتوفي بها سنة (١١٢٢هـ) . الرسالة المستطرفة (ص١٩١) ، معجم المؤلفين (١٢٤/١٠) .

٢ـ صالح بن موسى بن إسحاق بن طلحة التيمي ، الكوفي . قال عنه في التقريب : "متروك ، من الثامنة " أهـ . التقريب (٣٦٣/١) .

٣ـ هو محمد شمس الحق العظيم آبادي ، الهندي ، أبو الطيب ، المحدث ، ولد في ذي القعدة سنة (١٢٧٣هـ) . معجم المؤلفين (٧٢/١٠) .

٤ـ هو الملقب بزين العابدين وشهرته تغني عن تعريفه .

٥ـ جبارة بن المغلس الحماني ، أبو محمد الكوفي . قال عنه في التقريب : "ضعيف من العاشرة ، مات سنة إحدى وأربعين" اهـ . التقريب (١٢٤/١) .

٦ـ قال عنه البخاري في الكبير : "سمع علي بن زيد ، سمع منه زيد بن حباب ، ومسلم بن إبراهيم . كان يوهنه يحيى بن يحيى ، كنيته : أبو عبد الله الهجيمي البصري" . اهـ التاريخ الكبير (٤٢٨/١) .

كما ساقه ابن تيمية رحمه الله في "أحاديث القصاص" وعقبه بقوله : "هذا مروي ، لكنه ضعيف ، ضعفه غير واحد من الأئمة ، كالشافعي وغيره" (١) اهـ

وأورده العقيلي في الضعفاء ، عند ترجمته لأشعث بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً .. وعقبه بقوله : "وليس لهذا اللفظ عن النبي ﷺ إسناد صحيح ، وللأشعث هذا غير حديث منكر" اهـ (٢) .

وذكره ابن الجوزي في "الموضوعات (١/٢٥٧ـ٢٥٨) من طريق أشعث من حديث أبي هريرة المتقدم ، وعقبه بكلام العقيلي المتقدم ، ثم قال : قال يحيى بن معين : "أشعث ليس بشيء" وذكر أبو سليمان الخطابي ، عن الساجي عن يحيى بن معين قال : هذا الحديث وضعته الزنادقة . قال الخطابي : هو باطل لا أصل له . وقال : وقد روي من حديث يزيد بن ربيعة ، عن أبي الأشعث ، عن ثوبان . ويزيد مجهول ، وأبو الأشعث لا يروي عن ثوبان ؛ إنما يروي عن أبي أسماء الرحبي(٣) ، عن ثوبان ." اهـ .

وممن جمع طرق الحديث ، وبين علله ، الإمام ابن حزم رحمه الله في كتابه الإحكام(٤) .

وقال أحمد شاكر رحمه الله : "هذا المعنى لم يرد فيه حديث صحيح ولا حسن ، بل وردت فيه ألفاظ كثيرة كلها موضوع ، أو بالغ الغاية في الضعف ، حتى لا يصلح شيء منها للاحتجاج أو الاستشهاد" (٥) اهـ.

وأما من ناحية المتن فإن فيه طعناً في السنة ، وانتقاصاً لها ، وتشكيكاً ، وقد جلى ذلك ابن حزم رحمه الله في كتابه الإحكام (٦) ، فراجعه إن شئت .

٧ـ لسان الميزان (١/ص٤٥٤) رقم الترجمة (١٤٠٥) .

١ـ أحاديث القصاص رقم (٥١) .

٢ـ الضعفاء الكبير (١/٣٢) رقم الترجمة (١٤) .

٣ـ هو : عمرو بن مرثد الرحبي الدمشقي ، ويقال اسمه عبد الله ، توفي في خلافة عبد الملك بن مروان . التقريب (٢/٧٨) .

٣ـ الثالث من أدلتهم : أن الكتاب مقطوع به ، وخبر الواحد مظنون ، والمقطوع أولى من المظنون(١) .

والجواب عن هذا ـ بالإضافة إلى مافي المسألة السابقه ـ بأمور :

١ـ أن دخول أصل محل الخصوص في العموم ، وكونه مراداً به ، مظنون ظناً ضعيفاً يستند إلى صيغة العموم ، فكيف ينفع كون أصل الكتاب مقطوعاً به فيما لا يقطع بكونه مراداً بلفظه ؟ (٢) .

٢ـ أنه لو كان مقطوعاً به للزم تكذيب الراوي قطعاً ! ولا شك في إمكان صدقه .(٣) .

٣ـ أن براءة الذمة قبل ورود السمع مقطوع بها .. ثم ترفع بخبر الواحد لأنه مقطوع به (٤) (٥) ، بشرط أن لايرد سمع .. وكذلك العموم ظاهر في الاستغراق بشرط أن لايرد خاص .

٤ـ أن وجوب العمل بخبر الواحد مقطوع به .. وإنما الاحتمال في صدق الراوي .. ولا تكليف علينا في اعتقاد صدقه ؛ فإن سفك الدم ، وتحليل البضع واجب بقول عدلين قطعاً ، مع أنا لانقطع بصدقهما ؛ فوجوب العمل بالخبر مقطوع به ، وكون العموم مستغرقاً غير مقطوع به .(٦).

٥ـ أن خبر الواحد لما كان العمل به مقطوعاً ، فكذلك يكون حكمه وحكم ماقطع بصحته واحد .

٦ـ أن الكتاب إنما يقطع بورود لفظه عاماً ، فأما مقتضاه من العموم فغير مقطوع به ، لأنه يحتمل أن يراد به غير ماتناوله خصوص السنة ؛ والخاص لا يحتمل غير ما تناوله ، فوجب أن يقدم عليه . يبين صحة هذا أنه لو قطع بعمومه لقطع على كذب الخبر ، وهذا لايقوله أحد ؛ ويخالف ماذكروه من الإجماع إذا عارضه خبر الواحد . فإن الإجماع لا إجمال فيما تناوله ، وخبر الواحد يحتمل أن يكون

١ـ المحصول (٤٣٤/١) ، التبصرة (١٣٤) .

٢ـ المستصفى (١١٥/٢ـ١١٨) ، المحصول (٤٣٥/١) .

٣ـ المستصفى (١١٥/٢ـ١١٨) ، المحصول (٤٣٥/١) .

٤ـ المستصفى (١١٥/٢ـ١١٨) ، المحصول (٤٣٥/١) .

٥ـ المحصول (٤٣٥/١) .

٦ـ المستصفى (١١٥/٢ـ١١٨) ، المحصول (٤٣٥/١) .

منسوخاً ، فقدمنا الإجماع عليه ، وهاهنا عموم القرآن محتمل لما يقتضيه ، وخصوص السنة غير محتمل ، فقدم خصوص السنة (١) .

٧ـ لانسلم أن خبر الواحد مظنون ؛ بل قد يفيد العلم ، وقد سبق بيان ذلك في موضعه من هذا البحث فراجعه إن شئت . (٢) .

٨ـ الدليل الرابع لهم : أن النسخ تخصيص في الأزمان ، والتخصيص تخصيص في الاعيان ؛ فنقول : لو جاز التخصيص بخبر الواحد في الأعيان لكان لأجل أن تخصيص العام أولى من إلغاء الخاص ؛ وهذا المعنى قائم في النسخ : فكان يلزم جواز النسخ بخبر الواحد ، ولما لم يجز ذلك علمنا أن ذلك أيضاً غير جائز (٣).

والجواب عن هذا أنّا نقبل النسخ بخبر الواحد ـ كما تبين فيما سبق ـ والتخصيص أهون منه فجوازه من باب أولى .

المذهب الثاني :

وهو التوقف لتقابل الأدلة ـ (العام والخاص) ـ إلى ظهور دليل آخر . وبه قال الباقلاني . (١) .

دليل أصحاب هذا المذهب :

هو أن العموم وحده دليل مقطوع الأصل ، مظنون الشمول ، والخبر وحده مظنون الأصل ، مقطوع به في اللفظ والمعنى ، وهما متقابلان ، ولا دليل على الترجيح فيتعارضان والرجوع إلى دليل آخر (٢) .

والجواب عن هذا أن يقال : هذا الاحتجاج قائم على المطالبة بالدليل فقط ، وهذا ماستثبته عند بيان أدلة القول الراجح ـ وهو الرابع ـ إن شاء الله تعالى .

ونلفت نظرك هاهنا إلى أن احتمال إرادة الخصوص أرجح من احتمال النسخ ، ذلك أن أكثر العمومات مخصصة ، وأكثر الأحكام مقررة غير منسوخة (٣) .

وأما قولهم إن العموم مقطوع به من حيث الأصل ، وهو مظنون من جهة الشمول ، والخبر بعكسه ؛ فالجواب عنه قد تقدم قريباً عند الجواب عن بعض أدلة أصحاب المذهب الأول .

المذهب الثالث :

وهو أن العموم إن كان مما داخله التخصيص بدليل قاطع فقد ضعف وصار مجازاً ، فالخبر أولى منه ، وإلا فالعموم أولى . وبه قال عيسى بن أبان (٤) ، (٥)

١ـ انظر المحصول (٤٣٢/١) ، الإحكام للآمدي (٣٠١/٢) ، المسودة (١١٩) ، شرح مختصر ابن الحاجب (٣١٨/٢) .

٢ـ المستصفى (١٢٠/٢ـ١٢١) ، روضة الناظر (مع شرحها لابن بدران) (١٦٣/٢ـ١٦٤) ، شرح الكوكب المنير (٣٦٣/٣) .

٣ـ روضة الناظر (مع شرحها نزهة الخاطر العاطر) (١٦٦/٢) .

٤ـ عيسى بن أبان بن صدقة أبو موسى ، الحنفي ، كان من أصحاب الحديث ثم غلب عليه الرأي ، وتفقه على محمد بن الحسن . وكانت وفاته سنة (٢٢١هـ) . تاريخ بغداد (١٥٧/١١) .

٥ـ المستصفى (١١٥/٢) ، الإحكام للآمدي (٣٠١/٢) ، المحصول (٤٣٦/١) .

وحكي عن أبي حنيفة (١) رحمه الله ، كما حكي عنه موافقة الجمهور في القول الذي سيأتي إن شاء الله .

حجة أصحاب هذا القول :

هي أن الكتاب مقطوع به ، والخبر مظنون ، فلا يترك به المقطوع (٢) .

وهذا القول فيما يبدو مبني على أن التخصيص نسخ ، وهذا غير صحيح .. فيكفي فيه دون مايكفي في النسخ ، لأنه أسهل منه كما أشرنا إلى هذا مراراً فيما سبق .. وعلى فرض كونه نسخاً فإنّا نقول بجواز النسخ بخبر الواحد !! كما عرفت .

والحاصل أنك إذا فهمت ماذكرنا سابقاً في هذه المسألة والتي قبلها ، وما سنذكره من الاستدلال للقول الرابع ، تعرف بُعد هذا المذهب عن الصواب ، والله المستعان .

المذهب الرابع :

وهو تقديم المخصص وإن كان آحادياً . وبه قال مالك (٣) ، وأحمد (٤)، والشافعي (٥) ، ومكي (٦)بن أبي طالب ، وابن قدامة (٧) والجويني (٨)،

١ـ الروضة (مع شرحها لابن بدران) (١٦٣/٢) ، شرح الكوكب المنير (٣٦٣/٣) ، شرح مختصر ابن الحاجب (٣١٨/٢) ، التبصرة (١٣٢) .

٢ـ الروضة (وشرحها) (١٦٣/٢) ، المسودة (١١٩) ، المحصول (٤٣٢/١) ،التبصرة (١٣٥) .

٣ـ شرح الكوكب (٣٦٢/٣) ، المسودة (١١٩) .

٤ـ النسخ في القرآن الكريم /مصطفى زيد ، فقرة رقم (١٨٠) .

٥ـ النسخ في القرآن الكريم/مصطفى زيد ، فقرة رقم (١٨٠) .

والصنعاني (١)، وابن حزم (٢)، والآمدي (٣)، والقرافي(٤) ، والشيرازي (٥)، والرازي (٦) .. ومن المعاصرين محمد الأمين الشنقيطي (٧) ، وكثيرون . وعلى كلٍ فهو قول جماهير أهل العلم ، وهو الراجح إن شاء الله تعالى لما سنبين .

أدلة هذا القول : (٨) .

١ـ أن الصحابة قد ذهبوا إلى ذلك ، فخصوا كثيراً من العمومات بروايات الآحاد . وأمثلة هذا كثيرة جداً ، أكتفي بالإحالة على مواضع بعض منها [في الحاشية] ليدل على غيره(٩) .

٢ـ أن إرادة الخاص بالعام غالبة معتادة ، بل هي الأكثر ، واحتمال النسخ كالنادر البعيد ، وكذلك احتمال تكذيب الراوي ، فإنه عدل جازم في الرواية (١٠) .

٣ـ أن العموم وخبر الواحد دليلان متعارضان ، وخبر الواحد أخص من العموم ، فوجب تقديمه على العموم ، لأن تقديم العموم عليه يفضي إلى إلغائه بالكلية ؛ أما تقديمه على العموم فإنه لايفضي إلى إلغاء العموم بالكلية . فكان ذلك أولى كما في سائر المخصصات (١١) .

٤ـ لأن خصوص القرآن أو السنة إنما قُدم على عمومهما لأنه يتناول الحكم بخصوصه على وجه لايحتمل غير ماتناوله ، وعمومهما يتناول الحكم بعمومه على وجه

١ـ إجابة السائل (٣٢٩) .

٢ـ الإحكام (١٨٩/٢) .

٣ـ الإحكام (٣٠١/٢) ، إرشاد الفحول (١٥٨) ، شرح مختصر ابن الحاجب (٣١٨/٢) .

٤ـ هو شهاب الدين أبو العباس ، أحمد بن أبي العلاء ، إدريس بن عبد الرحمن القرافي . توفي بمصر سنة (٦٨٤هـ) . وكان مولده سنة (٦٢٦هـ) . معجم المؤلفين ١٥٨/١

٥ـ التبصرة (١٣٢) .

٦ـ المحصول (٤٣٢/١) .

٧ـ المذكرة (ص٢٢٢،٦٩ـ٢٢٣).

٨ـ انظر مثلا : إجابة السائل (٣٢٩ـ٣٣٠) ، الإحكام للآمدي (٣٠١/٢ـ٣٠٤) ، إرشاد الفحول (١٥٨) ، المذكرة في أصول الفقه (٢٢٣) .

٩ـ انظر المحصول (٤٣٢/١ـ٤٣٤) ، التبصرة (١٣٣) وهناك كثير من المصنفات التي ساقت الادلة والشواهد والوقائع في ذلك غيرما ذكرت .

١٠ـ الروضة (١٦٤/٢ـ١٦٥) .

١١ـ المحصول (٤٣٢/١) ، التبصرة (١٣٤) .

يحتمل أن يكون المراد به غير ماتناوله الخصوص ، وهذا المعنى موجود في خصوص السنة وعموم القرآن ، فوجب أن يقدم عليه (١).

٥ـ ما أشرنا إليه سابقاً وهو أنّا نعمل على الجمع بين الأدلة المتعارضة ، فإن لم يمكن نظرنا في المتقدم والمتأخر حتى نعرف النسخ .. فإن لم يمكن نظرنا إلى وجوه الترجيح المختلفة ! ومن منع لم يسر على هذا المسلك السليم عند النظر في الأدلة المتعارضة ..

٦ـ ماذكرنا سابقاً من إفادة خبر الآحاد العلم أحياناً .(٢).

إيقاظات:

الأول :

أن المؤلف لما ذكر محترزات تعريف النسخ في الاصطلاح كان مما قال : "وقولنا : "بدليل عقلي" قيد ثان ، خرج به رفع حكم شرعي بدليل عقلي ، وذلك كسقوط التكليف عن الإنسان بموته أو جنونه أو غفلته ، فإن سقوط التكليف عنه بأحد هذه الأسباب يدل عليه العقل .." (١)اهـ

والحق أن رفع التكليف عن هؤلاء إنما جاء عن طريق النقل ، كقوله ﷺ: "رفع القلم عن ثلاثة : عن النائم حتى يستيقظ ، وعن الصبي حتى يحتلم ، وعن المجنون حتى يعقل" (٢). وما أشبه هذا الحديث مما يدل على هذا المعنى ، وإلا فكيف نعرف بالعقل حكم النائم ، أو من قارب البلوغ ولم يبلغ بعد ؟

الثاني :

ذكر المؤلف حول تعريف النسخ اصطلاحاً بعض النقاط التي أراد التنبيه عليها ، ومن ذلك قوله : "أولاها : أن التعبير برفع الحكم يفيد أن النسخ لا يمكن أن يتحقق إلا بأمرين :

أحدهما : أن يكون هذا الدليل الشرعي متراخياً ...

والآخر : أن يكون بين هذين الدليلين تعارض حقيقي ، بحيث لا يمكن الجمع بينهما وإعمالهما معاً . أما إذا انتفى الأمر الأول ، ولم يكن ذلك الدليل الشرعي متراخياً عن دليل الحكم الأول فلا نسخ ، وذلك كقوله تعالى : ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ ..." اهـ (٣) (٤) .

---

١ المناهل (٢/٧٣) .

٢ـ أخرجه الترمذي في الحدود (باب ماجاء فيمن لا يجب عليه الحد) ، وأبو داود (باب في المجنون يسرق أو يصيب حداً) من حديث علي مرفوعاً . وقد أخرج أبو داود نحوه من حديث ابن عباس عن علي مرفوعاً (الحدود باب في المجنون يسرق أو يصيب حداً) كما أخرج أبو داود في نفس الباب نحواً منه عن عائشة رضي الله عنها مرفوعاً إلى النبي ﷺ ، والنسائي في الطلاق (باب من لايقع طلاقه من الأزواج) . وقال في الإرواء : " صحيح " (رقم ٢٩٧) وانظر الأرقام ٩١١ ، ٩٨٤ ، ١٤٥٠ ، ٢٠٤٣ ، ٢٣١٠ ، ٢٥٦٦ ، ٢٧٠١ .

٣ـ المناهل (٢/٧٣) .

٤ـ تنبيه : وقع خطأ ـ مطبعي ـ في الآية في (٢/٧٣) من المناهل وهي قوله تعالى : ﴿ثم أتموا الصيام إلى الليل﴾ البقرة (١٨٧) حيث كتبت الآية هكذا : ﴿وأتموا ...﴾ .

والاعتراض هنا إنما هو على المثال الذي مثل به ، فإنه لم يفقد الأمر الأول الذي هو التراخي ، بل تخلف عنه أيضاً الشرط الآخر الذي هو التعارض الحقيقي .

وأنتَ إذا نظرت في المثال السابق تجد أنه قد وضع للأكل والشرب والجماع غاية ينتهي عندها .. كما وضع للصوم غاية ينتهي عندها كذلك . فالآية تقول :

﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن ،علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم ، فالآن باشروهن وابتغوا ماكتب الله لكم ، وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر ، ثمّ أتموا الصيام إلى الليل ..﴾ (١) والله أعلم

الثالث :

قال المؤلف رحمه الله : "وخلاصة هذا التوجيه أن النسخ تبديل في المعلوم لا في العلم ، وتغيير في المخلوق لا في الخالق ، وكشف لنا وبيان عن بعض ما سبق به علم الله القديم .." (٢) اهـ

والذي أردت التنبيه عليه هنا هو قوله : "علم الله القديم" فهذه العبارة مما ينبغي تركه والإعراض عنه في باب أسماء الله تعالى وصفاته . وإن كانت من باب الخبر أيضاً . ـ وإن كان الأمر فيه أوسع ـ لأن القديم هو المتقدم على غيره .. فتقول : "هذا قديم" للعتيق ، "وهذا حديث" للجديد .

قال في شرح الطحاوية : ".. ولم يستعمل هذا الاسم إلا في المتقدم على غيره ، لا فيما لم يسبقه عدم ، كما قال تعالى : ﴿حتى عاد كالعرجون القديم﴾ (٣) والعرجون القديم : الذي يبقى إلى حين وجود العرجون الثاني ، فإذا وجد الحديث قيل للأول : قديم .." اهـ (٤).

الرابع :

قال المؤلف رحمه الله عند الكلام على حكمة الله في النسخ : ".. أما حكمته سبحانه في أنه نسخ به الأديان كلها ، فترجع إلى أن تشريعه أكمل تشريع

١ـ البقرة (١٨٧) .

٢ـ المناهل (٢/٧٩) .

يفي بحاجات الإنسانية في مرحلتها التي انتهت إليها ، بعد أن بلغت أشدها واستوت ..

وبيان ذلك أن النوع الإنساني تقلب كما يتقلب الطفل في أدوار مختلفة . ولكل دور من هذه الأدوار حال تناسبه غير الحال التي تناسب دوراً غيره .

فالبشر أول عهدهم بالوجود ، كانوا كالوليد أول عهده بالوجود سذاجة وبساطة وضعفاً وجهالة ، ثم أخذوا يتحولون من هذا العهد رويداً رويداً ، ومروا في هذا التحول أو مرت عليهم أعراض متباينة من ضآلة العقل ، وعماية الجهل ، وطيش الشباب ، وغشم القوة ، على تفاوت في ذلك بينهم ، اقتضى وجود شرائع مختلفة لهم تبعاً لهذا التفاوت ، حتى إذا بلغ العالم نضجه واستوائه ، وربطت مدنيته بين أقطاره وشعوبه ، جاء هذا الدين الحنيف ختاماً للأديان ، ومتمماً للشرائع ، وجامعاً لعناصر الحيوية ومصالح الإنسانية ، ومرونة القواعد جمعاً وفّق بين مطالب الروح والجسد..»اهـ(١) .

وبعد أن قرأت كلام المؤلف رحمه الله لا إخالك إلا قد عرفت موضع العلة فيه !!

فإن كلام المؤلف هذا فيه تأثر ظاهر ببعض أصحاب نظريات التطور والتفسير المادي للتاريخ والحياة ..!!

مع أننا نقطع أن المؤلف لا يوافقهم بكفرياتهم ـ حاشاه من ذلك ـ ولكنه وافقهم في شيء مما ذهبوا إليه .

فأنت تراه يعد النوع الإنساني متقلباً في أطوار شتى كتقلب الطفل في أدوار شتى حتى يصير إلى النضج التام !!

فهو يرى أن الإنسان في أول عهده كان ساذجاً كالطفل عند ولادته !! ثم بدأ يتطور .. !

وأنت تعلم جيداً من هو ذلك الإنسان الأول !!

إنهم يزعمون أنه مر بمراحل شتى .. فمن العماية والسذاجة والجهالة .. إلى السفه والطيش والغشم .. حتى وصل إلى مرحلة النضج !!

وأنت على دراية بأن أولئك لا يقصرون ذلك التطور على جانب من الجوانب

١ـ المناهل (٢/٩٠) ، وانظر أيضاً (ص٨٤) من نفس الجزء .

المتعلقة بالإنسان ، أو الكون والحياة ... وإنما يجعلون ذلك عاماً لكل شيء ..!

فلا شيء عندهم البتة ثابت على وجه الأرض ، لا إنسان ولا غيره !!

وهم يعدون هذا التطور حتمية لازمة لامحيد عنها .. طال الزمن أو قصر !

قال سبركين وياحنوت : "وانتصار الجديد قانون لامفر منه ، حتمي مثل حتمية مجيء النهار بعد الليل" اهـ (١) .

ويقولون بأن المجتمعات الإنسانية مرت بأشكال وأطوار اجتماعية (٢) خمسة هي : المشاعية البدائية ، ونظام الرق والإقطاع ، والرأسمالية،والاشتراكية .

ونحن نخالف هؤلاء في هذا كله ! ذلك لأن الله تعالى خلق الإنسان على أكمل حال وأتمه ، "في أحسن تقويم" ، فخلق الله تبارك وتعالى آدم بيده ، وأسكنه جنته ، وأسجد له ملائكته !! وهو أول الأنبياء .. كما أنه أُعطي الحسن كله ! وعلمه ربه عز وجل الأسماء كلها .. فكان في تمام النضج والعقل والاهتداء بهدى الله تعالى .. وبقي الناس بعده على التوحيد عشرة قرون ـ وهذا تمام النضج ـ حتى وقع الشرك في قوم نوح عليه السلام .. ثم أُغرق أهل الأرض ولم يبق أحد إلا أهل التوحيد والاستقامة ..

وكانت ذرية نوح ﷺ هم الباقين .. ثم وقع الشرك .. وتتابع الرسل والأنبياء عليهم السلام يدعون أقوامهم إلى التوحيد ، إلى أن بُعث خاتمهم نبينا محمد ﷺ .. وقامت حضارات ـ فيما بين ذلك ـ مادية ضخمة .. في عصور متباينة .. وبقاع مختلفة .. كالحضارة الفارسية والهندية والإغريقية واليونانية والرومانية والفرعونية وغير ذلك كثير ..

كما أنه ظهر من جعل الله عز وجل لهم من الإمكانات الشيء الكثير جداً .. كداود وسليمان عليهما السلام وذي القرنين .

وقد أخبر الله تعالى عن بعض ما أمدهم به في كتابه الذي أنزله على خاتم رسله صلوات الله وسلامه عليه ..

كما وجد أقوام وجماعات آتاهم الله عز وجل من أسباب التقدم والقوة المادية الشيء الكثير .. ولازالت بعض آثارهم موجودة إلى اليوم .. يقف العالم

إزائها مشدوهاً..!

كما بقيت بعض أمور حضاراتهم سراً أعيى خبره علماء القرن العشرين !! وأحسب أن مثل هذه الأمور معلومة لدى القريب والبعيد !!

ولقد بين الله عز وجل لمن داخلهم الغرور بقوتهم ـ لما بعث النبي ﷺ ـ أنه قد أهلك من هم أشد قوة وأنكى .. وأكثر آثاراً في الأرض وعلماً..!!

فقال عن المنافقين : ﴿كالذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة ، وأكثر أموالا وأولاداً ، فاستمتعوا بخلاقهم فاستمتعتم بخلاقكم كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم ، وخضتم كالذي خاضوا أولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة ، وأولئك هم الخاسرون﴾ ، (١) .

و قال تعالى:﴿إن قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم ، وآتيناه من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة إذ قال له قومه لا تفرح إن الله لا يحب الفرحين ـ إلى قوله ـ قال إنما أوتيته على علم عندي ، أو لم يعلم أن الله قد أهلك من قبله من القرون من هو أشد منه قوة وأكثر جمعاً ولا يُسأل عن ذنوبهم المجرمون﴾، (٢) و قال تعالى : ﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أشد منهم قوة وأثاروا الأرض وعمروها أكثر مما عمروها وجاءتهم رسلهم بالبينات ، فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون﴾ (٣) ،و قال عز وجل : ﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، وكانوا أشد منهم قوة ، وما كان الله ليعجزه من شيء في السماوات ولا في الأرض إنه كان عليماً قديراً﴾ (٤) ،و قال تعالى : ﴿أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم كانوا هم أشد منهم قوة وآثاراً في الأرض فأخذهم الله بذنوبهم وما كان لهم من الله من واق﴾(٥) ، و قال تعالى ﴿أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم كانوا أكثر منهم وأشد قوة وآثاراً في الأرض فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون ، فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما

١- التوبة (٦٩) .

٢- القصص (٧٦-٧٨) .

٣- الروم (٩) .

٤- فاطر (٤٤) .

٥- غافر (٢١) .

عندهم من العلم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن﴾(١) ، و قال تعالى : ﴿وكم أرسلنا من نبي في الأولين ، وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزؤن ، فأهلكنا أشد منهم بطشاً ومضى مثل الأولين﴾ (٢) ، و قال تعالى:﴿وكأين من قرية هي أشد قوة من قريتك التي أخرجتك أهلكناهم فلا ناصر لهم﴾ (٣) ، و قال تعالى:﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشاً فنقبوا في البلاد هل من محيص﴾ (٤) .

فهذه النصوص وغيرها تدل على وجود أمم قوية متمكنة في الأرض .. سبق أن قامت وظهرت .. والتاريخ حافل بأخبارهم وأحوالهم ..

لكن الإنسان الذي يعيش في عصر من العصور يرى ويشاهد دقائق ذلك العصر التي تمر به .. لأنه عاش كل لحظة من لحظاته التي أدركها .. وبذلك تتضخم في عينيه .. ويرى غيرهذا العصر الذي يعيش فيه .. خبراً أو حدثاً مضى وانتهى كأنه كان في ساعة أو لحظة !! وقد يعرف بعض الوقائع العظام الشهيرة من ذلك العصر .. لكن تلك المعرفة لا تقارن بمعرفته للعصر الذي عاش فيه !! وبالتالي يرى عصره ضخماً جداً .. كأن لم يوجد في التاريخ مثله أو ما يقاربه !! كحال الذي يركز النظر على جسم أو جزء صغير حوله .. فهو يراه بدقة ووضوح .. فإذا ابتعد عنه خطوات فإنه يتضائل في عينيه حتى يعود صغيراً جداً !! وهكذا حال المرء بالنظر إلى عصره والعصور السابقة له !!

و لهذا قالت عاد ﴿من أشد منا قوة﴾(٥) ؟

و هكذا يقول الكثير من الناس في كل عصر ..

و أنت ترى أهل هذا الزمان يرون أنهم بلغوا من القوة والمجد والحضارة ما لم يخطر ببال أحد ممن قبلهم !!

نعم لقد بلغوا في بعض جوانب التقدم مستوى لم يوجد في الأمم الماضية .. لكن هناك أمور كانت عند بعض من سبق لم توجد أيضاً في هذا العصر .. كما أن هناك أمور كانت موجودة في هذا العصر وفي العصور قبله أو بعضها !!

١ـ غافر (٨٢،٨٣)

٢ـ الزخرف (٧،٦) .

والحاصل أننا ننكر أن الإنسان بدأ جاهلا ساذجاً ، ثم صار في مرحلة المراهقة والطيش وزهو الشباب وغروره .. !!

لأن هذا القول مخالف للأدلة النقلية والعقلية والواقعية !!

كما أنه يتضمن قدحاً في الرسل وأتباعهم ، بدءاً من آدم إلى العصر الذي بلغت فيه الإنسانية مرحلة النضج ..!! حسب ما قال المؤلف !

و مما تجدر الإشارة إليه ، ويقدح في تلك النظريات ، أن النبي ﷺ قد جاء في كلامه في عدد من الأحاديث ما يدل أو يشير إلى أن الناس سيعودون إلى السيوف والخيول مرة أخرى والله أعلم .

و ليس الغرض هنا هو الرد على تلك النظريات ، وإنما أردنا التنبيه على بعض ما داخل كلام المؤلف رحمنا الله وإياه والله المستعان (١)

الخامس

حول قول المؤلف رحمه الله : "ويؤيد ذلك ماأخرجه أبو داود في صحيحه "(٢) و هذا ـ ولا شك ـ سبق قلم من المؤلف رحمه الله .. وإلا فمن المعلوم أن كتاب أبي داود في السنن لا يسمى صحيحاً ، وإنما هو موسوم بـ "السنن " وهذا ظاهر حتى من اسمه .

كما أن أبا داود رحمه الله لم يشترط الصحة في هذا الكتاب ، بل أخرج فيه الصحيح وما يقاربه ويشبهه .. ولم يخرج عن أحد أجمعوا على تركه

و هذه قضية لا تحتاج إلى إثبات لوضوحها .

السادس :

حول قول المؤلف عن قوله تعالى : ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾(٣) "ثم إن معناها هكذا : إن الآفاق كلها لله ، وليس سبحانه في مكان خاص منها ، وليس له

١- راجع حول هذا الموضوع "موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ" للعوايشة فإنه مهم جداً ومفيد ، وكتاب معركة التقاليد ، ومذاهب فكرية معاصرة ، والتطور والثبات في حياة البشر (وهي من مؤلفات الشيخ محمد قطب حفظه الله) ، والإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة للمودودي، وكتاب ما أصل الإنسان ؟ إجابات العلم والكتب المقدسة " لموريس بوكاي

٢- المناهل (١٣٩/٢) .

٣- البقرة (١١٥).

جهة معينة فيها " اهـ(١)..

و هذا الكلام نلفت نظرك فيه إلى ثلاثة أمور :

الأول : وهو نفي المؤلف تعلق هذه الآية بصفات الله عز وجل وأعني من ذلك على وجه التحديد "صفة الوجه" .

و هذه الآية اختلف فيها أهل السنة ـ من حيث دلالتها على صفة الوجه ـ على قولين :

الأول : أنها من آيات الصفات ، وأنها تثبت لله تعالى صفة الوجه .

و هذا ما ذهب إليه جماعة من المتقدمين والمتأخرين ممن ينتسبون إلى عقيدة أهل السنة والجماعة ، كالإمام ابن جريرالطبري ، وابن قيم الجوزية ، والدارمي ، والشيخ عبد الرحمن السعدي رحمهم الله تعالى . واستدلوا على ذلك بأدلة كثيرةلا مجال لذكرها هنا . (٢) .

و القول الآخر : وهو أن صفة الوجه ثابتة بغير هذه الآية ، أما هي فلا دلالة فيها على تلك الصفة ، وهو اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (٣) .

هذا وقد تركت الإطالة و التفصيل في هذه المسألة نظراً لأن الخلاف في دلالة الآية على تلك الصفة أمر يسير ، ولا يخل بمعتقد صاحبه طالما أنه يثبت صفة الوجه لله (عز وجل) من النصوص الأخرى .

الثاني : تجد في كلام المؤلف تعريضاً بنفي صفة العلو ، وقد بينا مذهب أهل السنة في هذه المسألة ولا حاجة لإعادته . (٤).

الثالث : ينفي المؤلف هنا الجهة عن الله تعالى ، وسيأتي بيان مرادهم من ذلك كما سيأتي موقف أهل السنة والجماعة من هذا الإطلاق (٥).

السابع :

عند قول المؤلف : ".. أما القول بإحكامها ـ أي آية الوصية ـ فتكلف ومشي

١ـ المناهل (١٥٢/٢) .

٢ـ تفسير ابن جرير (٥٣٣/٢) ، رد الدارمي على المريسي (١٥٧ـ١٦٣) ، تيسير الكريم الرحمن (٦٢/١) ، مختصر الصواعق المرسلة (٣٥٤ـ٣٥٩) وانظر أيضاً (ص٣٥٠) .

في غير سبيل ، لأن الوالدين ـ وقد جاء ذكرهما في الآية ـ لا يحرمان من الميراث بحال .. " اهـ(١) .

فقوله عن الوالدين بأنهما لا يحرمان من الميراث بحال قول ـ أحسبه والله أعلم ـ قد خرق به إجماع أهل العلم !!

لأن من المعلوم أن موانع الإرث متنوعة .. فبعضهم يجعلها ستة ، وبعضهم يذكر أقل من ذلك .. لكنهم يتفقون على ثلاثة منها ؛ وهي التي ذكرها صاحب الرحبية بقوله :

ويمنع الشخص من الميراث واحدة من علل ثلاث
رق وقتل واختلاف دين فافهم فليس الشك كاليقين (٢).

وهذه الموانع الثلاثة سارية في الجميع من الورثة والله أعلم (٣).

١ـ المناهل (١٥٣/٢) .

٢ـ متن الرحبية (ص٣).

٣ـ انظر في هذا الموضوع : العذب الفائض (٢٣/١ـ٤١) ، التحفة الخيرية (٥٤ـ٦٤) ، حاشية البقري (١١ـ١٣) ، شرح سبط المارديني على الرحبية (٣٥ـ٣٩) ، أصول علم المواريث (٣ـ٤) ، الفوائد الجلية في المباحث الفرضية (ص٨) ، تسهيل الفرائض (٢٥ـ٣٠) وانظر كذلك المغني (١٣٠/٧، ١٦١ـ١٧٠) .

المبحث الخامس عشر:
في محكم القرآن ومتشابهه

و تشمل الدراسة :

أولا : مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث وذكر القضايا التي ناقشها فيه .

ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث .

ثالثاً : مناقشة المؤلف في مسائل من هذا المبحث

بيان مدى

أولاً: استيفاء المؤلف مادة هذا المبحث وذكر القضايا التي ناقشها فيه :

لم يهمل المؤلف شيئاً مما تجدر العناية به من هذا المبحث كما هو ظاهر لمن قرأه ؛ إذ أنه عالج جميع مسائله المهمة .

أما ما يتعلق بالقضايا التي تطرق إلى عرضها وبيانها فهي كثيرة نجملها فيما يلي :

١ ـ بين معنى الإحكام والتشابه من جهة اللغة .

٢ ـ تطرق لبيان وجه إطلاق التشابه على القرآن في بعض النصوص ، وإطلاق الإحكام في نصوص أخرى ، والتفصيل في موضع ثالث .

٣ ـ ذكر أقوال أهل العلم في بيان معنى المحكم والمتشابه من حيث الاصطلاح ـ ثم وازن بين تلك الأقوال ، وأشار إلى تداخل كثير منها في بعض . ثم أضاف إليها آراء أخرى رأى أنها أضعف من سابقتها .

٤ ـ شرح المؤلف منشأ التشابه ، وذكر أقسامه ، ومثل لكل قسم منها .

٥ ـ جعل المؤلف المتشابه من حيث إمكان الوصول إليه ، والاطلاع على معناه ، ثلاثة أنواع وبين كل نوع منها .

٦ ـ أشار المؤلف لذكر الحكمة من ورود المتشابهات في القرآن بأنواعها .

٧ ـ تحدث المؤلف عن متشابه الصفات ـ كما أطلق عليه ـ وخلط فيه تخليطاً بينا لمن عرف العقيدة السنية ؛ ثم جعل عنواناً قال فيه : "الرأي الرشيد في متشابه الصفات" . وذكر مذاهب الناس في هذه المسألة ، سوى أهل السنة والجماعة ، فإنه لم يتعرض لذكرهم . ثم شرع المؤلف بالتحذير من مذهب أهل السنة والجماعة ، والتنفير من مسلكهم !

٨ ـ عرض المؤلف بعض الشبه ، وحاول الجواب عنها ؛ علماً بأن هذه التي سماها شبهاً هي ـ في الغالب ـ أدلة لأهل السنة والجماعة ، والله المستعان .

ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث :

ليست هناك إضافة مهمة في هذا المبحث سوى ذكر المؤلف تعريف المحكم والمتشابه من حيث اللغة بشيء من التفصيل .

ثالثاً : مناقشة المؤلف في مسائل من هذا المبحث

و هي :

١ ـ بيان غلط من زعم أن ظواهر نصوص الصفات غير مرادة

٢ ـ في ثبوت صفة الاستواء لله عز وجل .

٣ ـ إبطال القول بأن ظاهر النصوص يقتضي التشبيه

٤ ـ إثبات جملة من الصفات التي نفاها المؤلف .

٥ ـ الكلام في قوله تعالى : ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾ .

٦ ـ في بيان جواز الإشارة إلى الله تعالى بالعلو .

٧ ـ في إثبات النزول لله عز وجل كما أخبر .

٨ ـ بيان موقف أهل السنة من التأويل لنصوص الصفات .

× إيقاظات

المسألة الأولى : في بيان غلط من زعم أن ظواهر نصوص الصفات غير مرادة :

أكثر المؤلف في هذا المبحث من القول بأن ظواهر نصوص الصفات غير مرادة لله تعالى !

و إليك بعضاً من أقواله في هذه المسألة :

١ ـ قال في الصحيفة (رقم ١٨٢) من الجزء الثاني: "فأول ما اتفقوا عليه ـ يعني العلماء ـ صرفها ـ أي آيات الصفات ـ عن ظواهرها المستحيلة ، واعتقاد أن هذه الظواهر غير مرادة للشارع قطعاً ...." اهـ

٢ ـ وقال في (ص١٨٣) حاكياً مذهب السلف : ".. وهو تفويض معاني هذه المتشابهات إلى الله وحده بعد تنزيهه تعالى عن ظواهرها المستحيلة ..." اهـ

٣ ـ وقال في الصحيفة (رقم ١٨٤) حينما ذكر قول مالك في الاستواء : ".. لكن هذا الظاهر غير مراد قطعاً ، لأنه يستلزم التشبيه المحال على الله بالدليل القاطع" اهـ .

و هناك مواضع أخرى مثلها غير ما ذكرت ، وهي كثيرة جداً في هذا الكتاب.(١)

و الحاصل أن القول بأن ظواهر تلك النصوص غير مرادة في اللفظ والمعنى ، أو في اللفظ فقط ، قول باطل (٢) والذي أبطل منه نسبة هذا المذهب الفاسد إلى السلف الصالح .. فإنه قد تواتر النقل عنهم أن نصوص الصفات تجرى على ظاهرها ، وأنها كما أخبر الله تعالى وأخبر رسوله صلى الله عليه وسلم ، دون التعرض لذلك بالتحريفات الفاسدة والتي يسمونها تأويلا !

و لقد حكم الأئمة الأعلام من علماء هذه الأمة وسادتها على من تأول الاستواء ، والنزول ، والفوقية ، والكلام ، ونحو ذلك من الصفات بالتجهم !!

و لم ينقل عن أحد منهم خلاف ما ذكرت ، والله المستعان .

أما من أطلق أمثال تلك العبارة ، فإنه اعتقد أن ظاهر النصوص يقتضي التمثيل والتشبيه .. ـ كما صرح المؤلف بذلك في مواضع عدة سيأتي ذكرها والرد عليها ـ بصفات المخلوقين . (١) .

و الحقيقة الثابتة أن السلف ـ أهل السنة والجماعة ـ لم يكونوا يعتقدون إذا أطلقوا الإثبات في نصوص الصفات ، أن ظاهرها يماثل صفات المخلوقين ، ولا أن مفهومها اللائق بجلال الله وعظمته غير مراد (٢)، وإنما درجوا على وفق قول الله عز وجل : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾ (٣) .

ثم نقول لهؤلاء : إذا كنتم تقرون بأن ظاهر الصفات السبع لا يقتضي التشبيه فيلزمكم مثل هذا الإقرار في سائر الصفات ، وإلا وقعتم في التناقض !! (٤) .

قال شيخ الإسلام : "واعلم أن من المتأخرين من يقول : مذهب السلف إقرارها على ما جاءت به مع اعتقاد أن ظاهرها غيرمراد ، وهذا اللفظ "مجمل" فإن قوله ظاهرها غير مراد يحتمل أنه أراد بالظاهر نعوت المخلوقين ، وصفات المحدثين ؛ مثل أن يراد بكون "الله قِبَل وجه المصلي" أنه مستقر في الحائط الذي يصلي إليه .. فلاشك أن هذا غير مراد .

ومن قال : إن مذهب السلف أن هذا غير مراد ، فقد أصاب في المعنى ، لكن أخطأ بإطلاق القول بأن هذا ظاهر الآيات والأحاديث ، فإن هذا المحال ليس هو الظاهر على ما قد بيناه في غير هذا الموضع ...

و إن كان الناقل عن السلف أراد بقوله : "الظاهر غير مراد عندهم" أن المعاني التي تظهر من هذه الآيات والأحاديث مما يليق بجلال الله وعظمته ، ولا يختص بصفة المخلوقين ، بل هي واجبة لله ، أو جائزة عليه جوازاً ذهنياً ، أو

١ـ انظر مجموع الفتاوى (٣/٤٣،٦/٤٤٤ـ٣٥٥،٢٢/٣٥٨ـ٩٢) .

٢ـ انظر مجموع الفتاوى (٣/٤٣،٤٧،٤٨،٦/٣٥٦،٣٥٨) .

٣ـ الشورى (١١) .

٤ـ الفتاوى (٣/٤٦ـ٤٨) .

جوازاً خارجياً غير مراد . فهذا قد أخطأ فيما نقله عن السلف ، أو تعمد الكذب ، فما يمكن لأحد قط أن ينقل عن واحد من السلف ما يدل ـ لا نصاً ولا ظاهراً ـ(١) أنهم كانوا يعتقدون أن الله ليس فوق العرش ، ولا أن الله ليس له سمع ولا بصر ولا يد حقيقة .

و قد رأيت هذا المعنى ينتحله بعض من يحكيه عن السلف ، ويقولون إن طريقة أهل التأويل هي في الحقيقة طريقة السلف ـ بمعنى أن الفريقين اتفقوا على أن هذه الآيات والأحاديث لم تدل على صفات الله سبحانه وتعالى ـ ولكن السلف أمسكوا عن تأويلها ، والمتأخرون رأوا المصلحة في تأويلها لمسيس الحاجة إلى ذلك . ويقولون : الفرق بين الطريقتين : أن هؤلاء قد يعينون المراد بالتأويل ، وأولئك لا يعينون ، لجواز أن يراد غيره .

و هذا القول على الإطلاق كذب صريح على السلف ؛ أما في كثير من الصفات فقطعاً ؛ مثل أن الله تعالى فوق العرش ، فإن من تأمل كلام السلف المنقول عنهم ـ الذي لم يحك هنا عشره ـ علم بالاضطرار أن القوم كانوا مصرحين بأن الله فوق العرش حقيقة ، وأنهم ما اعتقدوا خلاف هذا قط ، وكثير منهم قد صرح في كثير من الصفات بمثل ذلك .

و الله يعلم أني بعد البحث التام ، ومطالعة ما أمكن من كلام السلف ، ما رأيت كلام أحد منهم يدل ـ لا نصاً ولا ظاهراً ، ولا بالقرائن ـ على نفي الصفات الخبرية في نفس الأمر ؛ بل الذي رأيته أن كثيراً من كلامهم يدل ـ إما نصاً وإما ظاهراً ـ على تقرير جنس هذه الصفات ... وإنما ينفون التشبيه ، وينكرون على المشبهة .. مع إنكارهم على من ينفي الصفات أيضاً ؛ كقول نعيم بن حماد

الخزاعي (١) شيخ البخاري : "من شبه الله بخلقه فقد كفر ، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر ، وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيهاً" .

و كانوا إذا رأوا الرجل قد أغرق في نفي التشبيه من غير إثبات الصفات ، قالوا : هذا جهمي معطل . وهذا كثير جداً في كلامهم ، فإن الجهمية والمعتزلة إلى اليوم يسمون من أثبت شيئاً في الصفات مشبهاً ـ كذباً منهم وافتراءاً ـ حتى إن منهم غلا (٢) ورمى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم بذلك ، حتى قال ثمامة بن الأشرس (٣) من رؤساء الجهمية : ثلاثة من الأنبياء مشبهة ؛ موسى حيث قال : ﴿إن هي إلا فتنتك﴾ (٤)، وعيسى حيث قال : ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك﴾(٥) ومحمد صلى الله عليه وسلم حيث قال : "ينزل ربنا" . وحتى إن جل المعتزلة تدخل عامة الأئمة مثل : مالك وأصحابه ، والثوري وأصحابه ، والأوزاعي وأصحابه ، والشافعي وأصحابه ، وإسحاق بن راهوية ، وأبي عبيد ، وغيرهم في قسم المشبهة ..." اهـ (٦).

١- نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي ، أبو عبد الله المروزي ، نزيل مصر ، فقيه عارف بالفرائض . توفي سنة (٢٢٨هـ) . التقريب (٣٠٥/٢) .

٢- هكذا في المطبوع ولعل فيه كلمة ساقطه وهي "من" .

٣- هو أبو معن النميري البصري المتكلم ، من رؤوس المعتزلة ، عاصر الرشيد والمأمون . سير أعلام النبلاء (٢٠٣/١٠) .

٤- الأعراف (١٥٥) .

٥- المائدة (١١٦) .

٦- مجموع الفتاوى (١٠٨/٥ـ١١١) .

المسألة الثانية : ـ في ثبوت صفة الاستواء لله عز وجل .(١) .

عمد المؤلف إلى صفة الاستواء لله عز وجل فنفاها وعطلها ، بحجة أنها تقتضي التجسيم والتحيز والتشبيه ، فقال معقباً على قول مالك في الاستواء : "يريد رحمه الله : أن الاستواء معلوم الظاهر بحسب ما تدل عليه الأوضاع اللغوية ، ولكن هذا الظاهر غير مراد قطعاً ، لأنه يستلزم التشبيه المحال على الله بالدليل القاطع ، والكيف مجهول ، أي تعيين مراد الشارع مجهول لنا لا دليل عندنا عليه ، ولا سلطان لنا به ، والسؤال عنه بدعة ! أي الاستفسار عن تعيين هذا المراد على اعتقاد أنه مما شرعه الله بدعة .." اهـ(٢) وهناك مواضع أخرى تشبهه أيضاً . (٣) .

و يجاب عن هذا بأمور : ـ

الأول : في معنى الاستواء : ـ(٤) .

فسر أهل السنة الاستواء بمعان هي : "علا ، وارتفع" (٥)، وقد روى هذه المعاني البخاري في صحيحه تعليقاً حيث قال : "قال أبو العالية : استوى إلى السماء : ارتفع .. وقال مجاهد : استوى : علا على العرش" (٦).

و أخرج ابن جرير عن الربيع بن أنس : ﴿ ثم استوى إلى السماء﴾ يقول : ارتفع إلى السماء" . (٧).

١ـ الأسماء والصفات (٥١٣ـ٥٢٣) ، التوحيد لابن خزيمة (١/٢٣١ـ٢٥٤) ، الرد على الجهمية للدارمي (١٧ـ٣٦) ، الرد على المريسي (٢٣ـ٢٥،٧١ـ١٠٧) ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة (ص٣٨٧ـ٤٠٢) ، الفتح (١٣/٤٠٣ـ٤١٥) ، لوامع الأنوار (١/١٩٠ـ١٩٩) ، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري للغنيمان (١/٣٥٥ـ٣٧١) ، الصفات الإلهية (٢٢٥ـ٢٢٩) ، التمهيد (٧/١٢٨ـ١٥٩) .

٢ـ المناهل (٢/١٨٤) .

٣ـ انظر الصفحات (١٨٦،١٨٩) من الجزء الثاني .

٤ـ الأسماء والصفات (٥٢٠ـ٥٢٣) ، التمهيد (٧/١٣١ـ١٣٢) .

٥ـ المصدران السابقان .

وروى اللالكائي عن بشر بن عمر (١)قال : "سمعت غير واحد من المفسرين يقول : الرحمن على العرش استوى "ارتفع" .

و قال ابن عبد البر : "الاستواء : الاستقرار في العلو ، وبهذا خاطبنا الله عز وجل فقال : ﴿لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه﴾ . (٢) وقال تعالى : ﴿واستوت على الجودي﴾ ،(٣) وقال أيضاً : ﴿فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك﴾ . (٤).

و قال الشاعر :

فأوردتهم ماء بفيفاء قفرة وقد حلق النجم اليماني فاستوى

وهذا لا يجوز أن يتأول فيه أحد استولى ، لأن النجم لا يستولي .

ـ ونقل عن الخليل قوله : ـ أتيت أبا ربيعة الأعرابي ، وكان من أعلم من رأيت ؛ فإذا هو على سطح ، فسلمنا ، فرد علينا السلام ، وقال لنا : استووا ، فبقينا متحيرين ولم ندر ما قال ؟! قال : فقال لنا أعرابي إلى جنبه : إنه أمركم أن ترتفعوا .

قال الخليل : هو من قول الله عز وجل : ﴿ثم استوى إلى السماء وهي دخان﴾ اهـ (٥) (٦).

وأنت تعلم أن البيت الذي ذكره ابن عبد البر رحمه الله تعالى لا يحتمل حمله على الاستيلاء البتة ! فأين يذهبون !

و قال ابن جرير: وأولى المعان بقول الله جل ثناؤه : ﴿ثم استوى إلى السماء ...﴾ علا عليهن وارتفع .." اهـ (٧)

الثاني : إبطال تأويل الاستواء بالاستيلاء :(٨) .

١ـ بشر بن عمر بن الحكم الزهراني ، الازدي ، أبو محمد البصري ، ثقة ، مات سنة (٢٠٧هـ) . التقريب (١٠٠/١) .

٢ـ الزخرف (١٣) .

٣ـ هود (٤٤) .

٤ـ المؤمنون (٢٨) .

٥ـ فصلت (١١) .

٦ـ انظر التمهيد (١٣٢،١٣١/٧) .

٧ـ تفسير ابن جرير (٤٣٠/١) .

❁ اللسان مادة : (صبح) ، تهذيب اللغة مادة : (صبح) .

إن عامة المؤولين لهذه الصفة يصرفون معناها إلى الاستيلاء .و لقد أبطل ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية من اثنى عشر وجهاً (١) كما أبطله تلميذه ابن القيم من اثنين وأربعين وجهاً يمكن أن نلخص أهمها فيما يأتي مع الزيادات على ما ذكر ..

و هذه الأوجه :

١ ـ أن هذا اللفظ في اللغة نوعان : مطلق ومقيد .. فالمطلق مالم يوصل معناه بحرف ، مثل قوله تعالى : ﴿ولما بلغ أشده واستوى ..﴾ (٢) وهذا معناه كمل .

أما المقيد فثلاثة أضرب :

أ ـ مقيد بـ "إلى" .. مثل قوله : ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ (٣) وهو في موضعين من القرآن . وهذا يكون بمعنى العلو والارتفاع بإجماع السلف .

ب ـ مقيد بـ "على" مثل قوله : ﴿لتستووا على ظهوره﴾ (٤) وهذا معناه العلو والارتفاع والاعتدال بإجماع أهل اللغة .

ج ـ الاستواء المقرون (بواو مع) التي تعدي الفعل إلى المفعول معه نحو : استوى الماء والخشبة ؛ بمعنى : ساواها .

هذه هي معاني الاستواء في كلامهم ، ليس في شيء منها معنى الاستيلاء ، كما لم ينقله أحد من الائمة المعتبرين .

٢ـ القائلون بالاستيلاء لم يقولوه نقلا ، فإنه مجاهرة بالكذب ، وإنما قالوه استنباطاً وحملا منهم للفظة (استوى) على (استولى) مستدلين بقول الشاعر :

قد استوى بشر(٥) على العراق .. إلخ (٦)

وهذا البيت ليس من شعر العرب كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

٨ـ شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/٣٦٤ـ٣٦٦) .

١ـ انظر الفتاوى (٥/١٤٤ـ١٤٩،٢٢٦،١٦/٣٩٣ـ٤٠٧) وانظر : (٣٣/١٨١ـ١٨٧) .

٢ـ القصص (١٤) .

٣ـ البقرة (٢٩) ، فصلت (١١) .

٤ـ الزخرف (١٣) .

٣ـ إنكار أهل اللغة لذلك .. فقد سأل ابن أبي دؤاد(١) ابن الأعرابي : (٢) أتعرف في اللغة استوى بمعنى "استولى" ؟ فقال : لا أعرف . (٣) .

وأتاه رجل فقال : يا أبا عبد الله : ما معنى قوله تعالى : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ ؟ قال : هو على عرشه كما أخبر . فقال الرجل : ليس كذلك إنما معناه استولى . فقال : اسكت ؛ ما يدريك ماهذا ؟! العرب لاتقول للرجل استولى على الشيء حتى يكون له فيه مضاد ؛ فأيهما غلب قيل : استولى ، والله تعالى لا مضاد له وهو على عرشه كما أخبر . ثم قال : الاستيلاء بعد المغالبة ، قال النابغة :

إلا لمثلك أو من أنت سابقه سبق الجواد إذا استولى على الأمد (٤)

٤ـ ما نقل عن الخطابي : "أن البيت لم يقله شاعر معروف يصح الاحتجاج بقوله ، ولو كان الاستواء هاهنا بمعنى الاستيلاء لكان الكلام عديم الفائدة ، لأن الله تعالى قد أحاط علمه وقدرته بكل شيء ، وكل قطر وبقعة من السماوات والأرضين وتحت العرش .. فما معنى تخصيصه العرش بالذكر ؟!

ثم إن الاستيلاء إنما يتحقق معناه عند المنع من الشيء ، فإذا وقع الظفر به قيل استولى عليه ؛ فأي منع كان هناك حتى يوصف بالاستيلاء بعده .

٥ـ أن قولهم هذا يعد تفسيراً للقرآن بالرأي المجرد الذي لم ينقل عن صاحب ولا تابع ، ولا أحد من أئمة المسلمين .

٦ـ أن إحداث قول في التفسير على خلاف تفسيرات السلف .. يستلزم أحد أمرين : إما أن يكون خطأ في نفسه ، أو تكون أقوال السلف المخالفة له خطأ . والأول هو الواقع .

٧ـ اطراد هذا اللفظ في الكتاب والسنة بلفظ "الاستواء" دون "الاستيلاء" ولو كان معناه "استولى" لكان استعماله في أكثر موارده كذلك .

١ـ هو القاضي المعتزلي أبو عبد الله أحمد بن فرج بن حريز الإيادي البصري ، ثم البغدادي . ولد سنة (١٦٠هـ) بالبصرة ، وتوفي سنة (٢٤٠هـ) . السير (١١/١٦٩) .

٢ـ هو إمام اللغة ، أبو عبد الله ، محمد بن زياد بن الاعرابي ، الهاشمي مولاهم ، الأحول النسابة . ولد بالكوفة سنة (١٥٠هـ) ، ومات بسامرا سنة (٢٣١هـ) . السير (١٠/٦٨٧) .

٣ـ شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم (٦٦٧) ، مختصر العلو رقم (٢٤٠) .

٤ـ مختصر العلو رقم (٢٤١) ، شرح أصول اعتقاد أهل السنة رقم (٦٦٦) ، الأسماء والصفات (ص٥٢٣) ، الفتح (٣/٤٠٦) .

فإذا جاء موضع أو موضعان بلفظ "استوى" حمل على معنى استولى ، لأنه المألوف المعهود ، وأما أن يؤتي إلى لفظ قد اطرد استعماله في جميع موارده على معنى واحد فَيُدَّعى صرف الجميع إلى معنى لم يعهد استعماله ، فهذا فاسد .

هذا لو لم يكن في السياق ما يأبى حمله على غير معناه الذي اطرد استعماله فيه ؛ فكيف وفي السياق ما يأبى ذلك .

٨ـ اتيانه بلفظ "ثم" الدالة على الترتيب والمهلة ، ولو كان المعنى القدرة على العرش والاستيلاء .. لم يتأخر ذلك إلى ما بعد خلق السماوات والأرض ؛ فالعرش كان موجوداً قبل خلقهما كما ثبت ذلك في الصحيحين وغيرهما . قال تعالى : ﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام وكان عرشه على الماء..﴾ (١) .

٩ـ أن التغاير حاصل بين الاستواء والاستيلاء .. في اللفظ والمعنى . فحمل أحدهما على الآخر إن ادعي بأنه بطريق الوضع فكذب ظاهر ؛ فالعرب لم تضع لفظ الاستواء للاستيلاء . وإن كان بطريق الاستعمال في اللغة فكذب كذلك ، لأنه لم ينقل فلا وجود له . .

١٠ـ أن هذا المؤوِّل شاهد على الله تعالى أنه أراد بكلامه هذا المعنى ، وهذه شهادة لا علم لقائلها بمضمونها ، بل هي قول على الله بلاعلم . فلو فرض أن اللفظ محتمل لها في اللغة لم يجز أن يشهد على الله أنه أراد هذا المعنى ، بخلاف من أخبر عن الله تعالى أنه أراد الحقيقة والظاهر ، فإنه شاهد بما أجرى الله سبحانه عادته من خطاب خلقه بحقائق لغاتهم وظواهرها كما قال : ﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه﴾ (٢) فإذا كان الاستواء في لغة العرب معلوماً كان هو المراد ، لكون الخطاب بلسانهم ... فإذا خاطبهم بغير ما يعرفونه كان بمنزلة خطاب العربي بالعجمية .

١١ـ الإجماع على إثبات الاستواء لله تعالى حقيقة (٣) ، كما نقل ذلك

١ـ هود (٧) .

الطلمنكي (١) ، وابن عبد البر ، والقرطبي ، كما حكى الأشعري الإجماع على بطلان تأويل الاستواء بالاستيلاء .

١٢ـ أن استدلالهم بذلك البيت باطل من وجوه :

أ ـ أن هذا البيت محرف وإنما هو هكذا :

بشر قد استولى على العراق ..إلخ .

وهذا لو كان البيت معروفاً في أشعار العرب ، كيف والحال أنه مجهول!

ب ـ لوصح البيت لفظاً ونسبة لكان حجة عليهم .. وهو على حقيقة الاستواء المعروفه ؛ فإن بشراً كان أميراً على العراق ، فاستوى على سريرها ، كما هو عادة الملوك ونوابهم أن يجلسوا فوق سرير الملك مستوين عليه ، وهذا هو المطابق لمعنى هذه اللفظة في اللغة ، كقوله تعالى : ﴿لتستووا على ظهوره ..﴾(٢) وقوله : ﴿واستوت على الجودي﴾ (٣) ولا يوجد في شيء من ذلك مامعناه الاستيلاء والقهر .

ج ـ أن استواء الشيء على غيره يتضمن استقراره وثباته وتمكنه عليه ، كما قال تعالى في السفينة : ﴿واستوت على الجودي﴾ (٤) أي رست عليه واستقرت على ظهره . وقال في الزرع : ﴿فاستوى على سوقه﴾ (٥) فإنه قبل ذلك يكون فيه ميل واعوجاج ، لأجل ضعف سوقه ، وإذا استغلظ الساق واشتدت السنبلة استقرت ؛ ومنه هذا البيت . فإنه يتضمن استقراره وثباته عليها ، ودخوله دخول مستقر ثابت غير مزلزل .. وهذا يستلزم الاستيلاء ، أو يتضمنه ؛ فالاستيلاء لازم معنى الاستواء ، لا في كل موضع ، بل في الموضع الذي يقتضيه ، ولا يصح الاستيلاء في كل موضع يصلح فيه الاستواء ، بل هذا له موضع ، وهذا له موضع ، ولذا لا يصلح أن يقال : استولت السنبلة على ساقها ، ولا استولت السفينة على الجبل ، ولا استولى الرجل على السطح إذا ارتفع فوقه .

د ـ لو كان المراد بالبيت استيلاء القهر لكان المستوي هو عبد الملك بن

١ـ هو الإمام المحدث ، الحافظ ، أبو عمر ، أحمد بن محمد بن عبد الله بن أبي عيسى المعافري الأندلسي الطلمنكي . توفي سنة (٤٢٩هـ) . السير (٥٦٦/١٧) .

٢ـ الزخرف (١٣) .

٣ـ هود (٤٤) .

٤ـ هود (٤٤).

٥ـ الفتح (٢٩) .

مروان ، لا بشر بن مروان ، فقد كان نائباً له ؛ بخلاف الاستواء الحقيقي ، وهو الاستقرار فيها ، والجلوس على سريرها .

هـ ـ لا يقال لمن استولى على بلدة ولم يدخلها ، ولم يستقر فيها ، بل بينه وبينها بعد كثير ، أنه قد استوى عليها .. فلا يقال : استوى أبو بكر على الشام ، مع أنه قد استولى عليها .

و ـ أن الأمر إذا دار بين تحريف لغة العرب ، وحمل لفظها على معنى لم يعهد استعماله فيه البته ، وبين حمل المضاف المألوف حذفه كثيراً إيجازاً واختصاراً ، فالحمل على حذف المضاف أولى ، وهذا البيت كذلك . فإنا إن حملنا لفظ "استوى" فيه على استولى حملناه على معنى لم يعهد استعماله فيه البتة ، وإن حملناه على حذف المضاف وتقديره "قد استوى على سرير العراق" حملناه على معهود مألوف . فيقولون : قعد فلان على سرير الملك . فيذكرون المضاف أيضاحاً وبياناً ، ويحذفونه تارة إيجازاً واختصاراً . إذ قد علم المخاطب أن القعود والاستواء والجلوس الذي يضاف ويقصد به الملك يستلزم سرير الملك ، فحذف المضاف أقرب إلى لغة القوم من تحريف كلامهم .

١٣ـ كيف يجوز أن ينزل آيات متعددات في كتابه الذي أنزله بلسان العرب ، ويكون معنى ذلك الخطاب مشهوراً على لغتهم ، معروفاً في عادة نظامهم ، فلا يريد ذلك المعنى ، ويأتي بلفظ يدل على خلافه ، ويطرد استعماله في موارده كلها بذلك اللفظ الذي لم يُرِد معناه ، ولا يذكر في موضع واحد باللفظ الذي يريد معناه ، فمن تصور هذا جزم ببطلانه .

١٤ـ لو أراد ذلك المجاز لذكر في اللفظ قرينة تدل عليه ، فإن المجاز إن لم يقترن به قرينة وإلا كانت دعواه باطلة ، لأنه خلاف الأصل ، وليس في موارد الاستواء في النصوص قرينة صارفة ، ولا في موضع واحد . فكيف إذا كان السياق يقتضي بطلان ماذكر من المجاز ، وأن المراد هو الحقيقة !

١٥ـ أن تجريد الاستواء من اللام ، واقترانه بحرف "على" وعطف فعله بـ "ثم" على خلق السماوات والأرض ، وكونه بعد أيام التخليق .. وذكر تدبير أمر الخليقة معه ، الدال على كمال الملك .. قرائن تفيد القطع بأن الاستواء على حقيقته .

ابن آدم والجبل والشجر ..

١٧ـ نقول لهؤلاء : العقل إما أن يحيل حمل الاستواء على حقيقته أولا . فإن أحاله ، ولم يتكلم أحد من الصحابة أو التابعين وأئمة الإسلام في تفسيره بخلاف مايحيله العقل ، بل تفاسيرهم كلها مما يحيله العقل ، لزم القدح في علم الأمة ، ونسبتها إلى أعظم الجهل ، لسكوتهم عن بيان الحق ، وتكلمهم بالباطل ، وهذا شر من قول الرافضة ، وإن لم يحله العقل ، وجب حمله على حقيقته ، لأنها الأصل ، والعقل لا يمنع منها .

١٨ـ اتفاق الأئمة على أن ذلك التأويل مأخوذ عن الجهمية والمعتزلة والخوارج ، وهؤلاء لا تعتمد أقوالهم في مثل هذه المسائل .

١٩ـ أن الاستيلاء يكون مع مزايلة المستولي للمستولى عليه ومفارقته ، كما يقال : استولى عثمان على خراسان .. فجعله مستولياً عليه بعد مفارقته له ، والاستواء لا يكون إلا مع مجاورة الشيء الذي يستوى عليه ، كما استوت على الجودي ، ولا يصح أن يقال : استوى على الدابة والسطح إذا نزل عنها وفارقها.

٢٠ـ أن نقل معنى الاستواء كنقل لفظه . فالأمة كلها تعلم بالضرورة أن الرسول صلى الله عليه وسلم أخبر عن ربه بأنه استوى على عرشه ، من يحفظ القرآن منهم ومن لا يحفظ .

وهذا كمعنى السمع والبصر والإرادة عندهم .. فإنها معلومة المعنى .. فإخراج الاستواء عن حقيقته المعلومة كإنكار ورود لفظه بل أبلغ .

٢١ـ أن اللفظ إنما يراد لمعناه ومفهومه ، فهو المقصود بالذات ، واللفظ مقصود قصد الوسائل ، والتعريف بالمراد ، فإذا انتفى المعنى ، وكانت إرادته محالا ، لم يبق في ذكر اللفظ فائدة ، بل كان تركه أنفع من الإتيان به ، فإن الإتيان به إنما حصل منه إيهام المحال والتشبيه ، وأوقع الأمة في اعتقاد الباطل ، ولا ريب أن هذا إذا نُسب إلى آحاد الناس كان ذمه أقرب من مدحه ، فكيف يليق نسبته إلى من كلامه هدى وشفاء ، وبيان ورحمة ؟!

٢٢ ـ أن ظاهر الاستواء : هو العلو والارتفاع . وقد صرح المنكرون بأن الله لا يجوز أن يتكلم بشيء ويعني به خلاف ظاهره ، كما قال الرازي وغيره عند رده على المرجئة ، واحتجوا بأن ذلك عبث ، وهو محال على الله ، ونحن نحتج عليه بمثل ذلك .

٢٣ ـ أن حقيقة هذا التأويل : أنه ليس فوق السماوات رب .. ولا عُرج إليه بالرسول حقيقة ، ولا رُفع المسيح حقيقة .. ولا يراه المؤمنون عياناً فوقهم ...
هذه حقيقة هذا المجاز ، وهذا أشد مناقضة لما جاءت به الرسل منه للمعقول .

٢٤ ـ أن الله تعالى ذم المحرفين للكلم .. وهو نوعان :
١ ـ تحريف في اللفظ ، وهو معروف .
٢ ـ تحريف في المعنى ، وهو الذي توسع فيه هؤلاء وسموه تأويلا .
و هو العدول بالمعنى عن وجهه وحقيقته ، وإعطاء اللفظ معنى لفظ آخر بقدر ما مشترك بينهما .

٢٥ ـ أن استواء الرب المُعدَّى بأداة "على" المعلق بعرشه ، المعرف باللام ، المعطوف بثم على خلق السماوات والأرض ، المطرد في موارده على أسلوب واحد ونمط واحد ، لا يحتمل إلا معنى واحداً ، لا يحتمل معنيين البتة فضلا عن ثلاثة ، أو خمسة ، أو عشرة ، كما قال بعضهم . اهـ(١) .

٢٦ ـ أن لفظ العلو والفوقية والنزول ـ والذي يتكرر في النصوص كثيراً ـ يقتضي علو ذاته فوق العرش . (٢)

٢٧ ـ أن القول في الاستواء كالقول في سائر الصفات ؛ فإذا أثبتم لله سمعاً وبصراً وإرادة لا تماثل صفات المخلوقين ، فيلزمكم نظير ذلك في الاستواء .(٣) .

٢٨ ـ من نفى الاستواء فراراً من التشبيه والتمثيل ، فإنه يلزمه نظير ذلك فيما ذهب إليه (٤) من التأويل بالاستيلاء ، أو القهر ونحوه ، بل إن تأويله بالاستيلاء يحمل معنى لا يليق بالله عز وجل كما تقدم

الثالث : الاحتجاج لمذهب أهل السنة من النقل :

أولا من القرآن الكريم :

لقد تعدد ورود هذا اللفظ في القرآ ن في سبعة مواضع ، كلها يدل على

١ـ مختصر الصواعق المرسلة (٣٢٠ـ٣٣٦) .
٢ـ مجموع الفتاوى (٥/٥٧٩) .

تعظيم الله عز وجل وإجلاله ، وهذه المواضع هي :

١ ـ في سورة الأعراف ، وهو قوله تعالى : ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ .(١).

٢ ـ في سورة يونس ، وهو قوله تعالى : ﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر ، ما من شفيع إلا من بعد إذنه﴾ . (٢) .

٣ ـ في سورة الرعد وهو قوله تعالى : ﴿الله الذي رفع السماوات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش ، وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى﴾ .(٣)

٤ ـ في سورة طه ، وهو قوله تعالى : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ . (٤) .

٥ ـ في سورة الفرقان ، وهو قوله تعالى : ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً ، الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن فاسأل به خبيراً﴾ .(٥).

٦ ـ في سورة السجدة ، وهو قوله تعالى : ﴿الله الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش ، ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع أفلا تتذكرون﴾ .(٦) .

٧ـ في سورة الحديد ،وهو قوله تعالى : ﴿وهو الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش ..﴾ .(٧).

ثانياً : ذكر بعض النصوص الدالة على ذلك من السنة :

١ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : "إن الله خلق السماوات

١ـ الأعراف (٥٣) .

٢ـ يونس (٣) .

٣ـ الرعد (٢) .

٤ـ طه (٥) .

٥ـ الفرقان (٥٨ـ٥٩) .

٦ـ السجدة (٤) .

٧ـ الحديد (٤) .

والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يوم السابع ."(١) .

٢ ـ حديث قتادة بن النعمان(٢) رضى الله عنه مرفوعاً : "لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه" (٣) .

٣ ـ حديث عمران بن حصين رضي الله عنهما مرفوعاً ، وفيه : ".. كان الله على العرش ، وكان قبل كل شيء .." (٤) .

ثالثاً : من أقوال الصحابة :

١ـ قول ابن مسعود رضي الله عنه : "العرش فوق الماء ، والله فوق العرش لا يخفى عليه شيء من أعمالكم" . (٥) .

٢ـ قول عائشة رضي الله عنها : ".. ولكن عَلِمَ الله فوق عرشه أني لم أحب قتله" . (٦) [تعني عثمان رضي الله عنه] .

٣ـ عن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم في قوله : ﴿ثم استوى

١- أخرجه النسائي في تفسير سورة السجدة رقم (١١٤جـ٢ص١٥٣) من كتاب التفسير له . والبخاري في تاريخه الكبير (١/ص٤١٣) ، وابن معين في تاريخه (١/ص٣١٨) ، وهو عند مسلم برقم (٢٧٨٩) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٨٦ـ٤٨٧) ، والدولابي في الكنى (١/ص١٧٥) في ترجمة أبي رافع الصائغ ، والحاكم في معرفة علوم الحديث (ص٣٣) ، وأبو يعلي في المسند رقم (٦١٣٢) ، وأحمد (٣٢٧/٢) ، وانظره في تحفة الأشراف برقم (١٣٥٥٧،١٤١٩٣) ، والسلسلة الصحيحة برقم (١٨٣٣) ، والمشكاة (٥٧٣٤) وليس عند بعضهم ذكر الاستواء فيه . وهو في مختصر العلو برقم (٧١) .

٢- قتادة بن النعمان بن زيد بن عامر الأنصاري ، الظفري ، صحابي شهد بدراً وهو أخو أبي سعيد لأمه ، توفي سنة (٢٣هـ) . التقريب (١٢٣/٢) .

٣- مختصر العلو رقم (٣٨) وصححه الألباني .

٤- البخاري مع الفتح الأرقام (٣١٩٠،٣١٩١،٤٣٦٥،٤٣٨٦،٧٤١٨) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٧٨) ، مختصر العلو رقم (٤٤٤،٤٠١) .

٥- العظمه لأبي الشيخ (٥٦٥/٢،٦٨٨) ، رد الدارمي على المريسي (ص٧٣،ص١٠٥) ، الرد على الجهمية للدارمي (ص٣٦) ، التوحيد لابن خزيمة (٢٤٢/١ـ٢٤٤) ، والطبراني في الكبير برقم (٨٩٨٧) ، والهيثمي في المجمع (٨٦/١) ، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٠٧) ، واللالكائي في شرح

إلى السماء﴾ . قال : إن الله تعالى كان على عرشه على الماء ، ولم يخلق شيئاً قبل الماء .. فلما فرغ الله عز وجل من خلق ما أحب استوى على العرش" . (١) .

هذا وقد نُقل إثبات هذه الصفة عن غير هؤلاء من الصحابة ، كأم سلمة (٢)، وعبد الله بن سلام . (٣) .

١- مختصر العلو رقم (٥٤) .

٢- اللالكائي رقم (٦٦٣) ، الفتح (١٣/٤٠٦) .

٣- التاريخ لابن معين (١/ص٣٢٨) .

رابعاً : من أقوال التابعين ومن بعدهم في هذه الصفة :

١ـ قال المزني (١) : "لايصلح لأحد توحيد حتى يعلم أن الله على العرش بصفاته .." (٢) .

٢ـ قيل ليزيد بن هارون : من الجهمية ؟ قال : "من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف مايقر في قلوب العامة فهو جهمي" .

وعقبه الذهبي بقوله : "والعامة : مراده بهم جمهور الأمه وأهل العلم ، والذي وقر في قلوبهم من الآيه هو مادل عليه الخطاب ، مع يقينهم بأن المستوي ليس كمثله شيء . هذا الذي وقر في فطرهم السليمة ، وأذهانهم الصحيحة ، ولوكان له معنى وراء ذلك لتفوهوا به ولما أهملوه ، ولو تأول أحد منهم الاستواء لتوفرت الهمم على نقله ، ولو نُقل لاشتهر ، فإن كان في بعض الجهلة الأغبياء من يفهم من الاستواء ما يوجب نقصاً أو قياساً للشاهد على الغائب ، وللمخلوق على الخالق ، فهذا نادر ، فمن نطق بذلك زُجر وعُلم . وما أظن أن أحداً من العامة يقر في نفسه ذلك ، والله أعلم" . اهـ (٣) .

٣ـ سمع القعنبي (٤) رجلا من الجهمية يقول : "الرحمن على العرش استولى ... فقال القعنبي : "من لا يوقن أن الرحمن على العرش استوى كما يقر في قلوب العامة فهو جهمي" . (٥) .

٤ـ قال سعيد بن عامر الضبعي (٦) [وقد ذكر الجهمية] : "هم شر قولا من اليهود والنصارى . قد اجتمع اليهود والنصارى وأهل الأديان مع المسلمين على أن الله عز وجل على العرش ، وقالوا هم : ليس على شيء" . (٧) .

---

١ هو الإمام الفقيه أبو إبراهيم ، إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم المزني المصري ، تلميذ الشافعي . ولد سنة (١٧٥هـ) . وتوفي سنة (٢٦٤هـ) . السير (١٢/٤٩٢) .

٢ـ مختصر العلو رقم (٢٤٨) ، السير (١٢/٤٩٤) .

٣ـ مختصر العلو (ص١٦٧) ، وانظر مختصر الصواعق (٣٣١) .

٤ـ هو عبد الله بن مسلمة بن قعنب ، الإمام الثبت القدوه ، أبو عبد الرحمن الحارثي المدني ، نزيل البصرة ، ثم مكة ، ولد بعد سنة (١٣٠هـ) . وتوفي سنة (٢٢١هـ) . السير (١٠/٢٥٧) .

٥ـ مختصر العلو رقم (٢٠٤) .

٥ـ قال الأصمعي : "قدمت امرأت جهم ، فقال رجل عندها : الله على عرشه . فقالت : محدود على محدود . قال الأصمعي : هي كافرة بهذه المقالة" . (١)

٦ـ قال ربيعة : "الاستواء غير مجهول ، والكيف غير معقول ، والإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة" (٢) .

٧ـ قال أبو مطيع البلخي : "سألت أبا حنيفة عمن يقول : لا أعرف ربي في السماء أو في الأرض . فقال : قد كفر . لأن الله تعالى يقول : ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ وعرشه فوق سماواته . فقلت : إنه يقول : أقول على العرش استوى ولكن قال : لايدري العرش في السماء أو في الأرض . قال : إذا أنكر أنه في السماء فقد كفر" (٣) .

٨ـ قال الأوزاعي : "كنا والتابعون متوافرون نقول : "إن الله عز وجل فوق عرشه ، ونؤمن بما وردت به السنة من صفاته" . (٤) .

وهذا منقول عن جماعات لا يحصون من الأئمة الأعلام ، كالحميدي (٥) ، وهشام بن عبيد الله الرازي (٦) (٧) ، ومحمد بن مصعب العابد (٨) ، (٩) ، وسنيد

٧ـ مختصر العلو رقم (١٨٣) .

١ـ مختصر العلو رقم (١٨٩) .

٢ـ مختصر العلو رقم (١١١) ، اللالكائي رقم (٦٦٥) ، البيهقي في الأسماء والصفات (ص٥١٦) ، ابن القيم في مختصر الصواعق (ص٣٣٦) ، الفتح (٤٠٦/١٣) .

٣ـ مختصر العلو رقم (١١٨) .

٤ـ مختصر العلو رقم (١٢١،١٢٢) ، الأسماء والصفات (٥١٥) ، الفتح (٤٠٦/١٣) .

٥ـ مختصر العلو رقم (٢٠٧) .

٦ـ هشام بن عبيد الله الرازي ، السني ، الفقيه ، وهو من بحور العلم . توفي سنة (٢٢١هـ) . السير (٤٤٦/١٠) .

٧ـ مختصر العلو رقم (٢١٠) .

٨ـ محمد بن مصعب العابد ، أبو جعفر الدعّاء . كان أحد القراء العباد ، أثنى عليه أحمد ووصفه بالسنة ، توفي ببغداد سنة (٢٢٨هـ) . تاريخ بغداد (٢٧٩/٣) .

٩ـ مختصر العلو رقم (٢١٣) .

ابن داود المصيصي (١) (٢) ، وبشر الحافي (٣) ، وأحمد بن نصر الخزاعي (٤) (٥)، وقتيبة بن سعيد (٦) (٧) ، وابن المديني (٨) ، وأحمد بن حنبل (٩) ، وإسحاق (١٠) ، والشعبي (١١) ، ومحمد بن إسحاق (١٢) ، وابن المبارك (١٣) ، وبشر بن عمر الزهراني (١٤) ومنصور بن عمار (١٥) (١٦)، ووكيع بن الجراح (١٧)، والخليل بن أحمد (١٨) والفراء (١٩) وعبد الله بن أبي جعفر الرازي (٢٠) (٢١)

١- سنيد بن داود المصيصي ، المحتسب ، واسمه حسين . قال عنه الحافظ : "ضعيف مع إمامته ومعرفته ، لكونه كان يلقّن حجاج بن محمد شيخه" اهـ توفي سنة (٢٢٦هـ) . التقريب (١/٣٣٥) .

٢- مختصر العلو (ص١٨٣) .

٣- مختصر العلو (ص١٨٥) .

٤- هو أحمد بن نصر بن مالك بن الهيثم ، الخزاعي ، أبو عبد الله ، قتل ظلماً في فتنة خلق القرآن سنة (٢٣١هـ) . السير (١١/١٦٦) ، التقريب (١/٢٧) .

٥- مختصر العلو رقم (٢٢٠) .

٦- قتيبة بن سعيد بن جميل بن طريف الثقفي ، أبو رجاء البغلاني ، يقال اسمه يحيى ، وقيل علي . توفي سنة (٢٤٠هـ) وعمره تسعين سنة . التقريب (٢/١٢٣) .

٧- مختصر العلو رقم (٢٢٢) .

٨- المصدر السابق رقم (٢٢٥) .

٩- مختصر العلو رقم (٢٢٦) ، اللالكائي رقم (٦٧٤،٦٧٥) .

١٠- مختصر العلو رقم (٢٣٣،٢٣٨) وقد نقل عليه الإجماع .

١١- العظمة (٢/٥٩٣) .

١٢- مختصر العلو رقم (١٤٧) .

١٣- المصدر السابق رقم (١٥٠) .

١٤- مختصر العلو رقم (١٦٧) .

١٥- منصور بن عمار بن كثير الواعظ ، أبو السري السلمي الخراساني ، وقيل البصري ، وكانت وفاته في حدود المائتين والله أعلم . السير (٩/٩٣) .

١٦- مختصر العلو رقم (١٦٩) .

١٧- مختصر العلو رقم (١٨٤) .

١٨- مختصر العلو رقم (١٩٠) .

١٩- مختصر العلو رقم (١٩١)

٢٠- عبد الله بن أبي جعفر الرازي . قال عنه في التقريب :"صدوق يخطىء ، من التاسعة" اهـ . التقريب

والشافعي (١) وكعب الأحبار (٢) ومالك بن دينار (٣) (٤)والضحاك (٥) ومقاتل بن حيان (٦) ومالك بن أنس (٧) وأبو الحسن الأشعري (٨) في عدد من كتبه ، والباقلاني (٩) والذهلي ،(١٠) (١١)والبخاري، (١٢) وأبو زرعة الرازي، (١٣) ويحيى بن معاذ الرازي ،(١٤) (١٥) وعبد الوهاب الوراق، (١٦) وحرب الكرماني (١٧) (١٨)،وعثمان بن سعيد الدارمي (١٩) (٢٠) .

١- المصدر السابق رقم (١٩٦) .

٢- المصدر السابق رقم (٩٧) .

٣- مالك بن دينار البصري ، الزاهد ، أبو يحيى ، صدوق ، عابد ، مات سنة (١٣٠هـ) . التقريب (٢/٢٢٤) .

٤- مختصر العلو رقم (١٠٩) .

٥- المصدر السابق رقم (١١٣) .

٦- المصدر السابق رقم (١٢٤،١٢٥) واللالكائي رقم (٦٧٠) .

٧- مختصر العلو رقم (١٣١،١٣٢،٢٠٨) ، اللالكائي رقم (٦٦٤) ، مختصر الصواعق (ص٣٣٦) .

٨- لوامع الأنوار (١/١٩٧) ، مختصر الصواعق (٣٢٦) .

٩- لوامع الأنوار (١٩٨) .

١٠- هو محمد بن يحيى بن عبد الله بن خالد بن فارس بن ذؤيب الذهلي ، النيسابوري ، حافظ كبير توفي سنة (٢٥٨هـ) وعمره (٨٦) سنة . التقريب (٢/٢١٧) .

١١- مختصر العلو رقم (٢٤٩) .

١٢- المصدر السابق رقم (٢٥١) .

١٣- المصدر السابق رقم (٢٥٢،٢٥٣) .

١٤- يحيى بن معاذ الرازي ، الواعظ ، من كبار المشايخ والزهاد ، له كلام جيد ، توفي سنة (٢٥٨هـ) . السير (١٣/١٥) ، الشذرات (٢/١٣٨) .

١٥- مختصر العلو رقم (٢٥٧) .

١٦- مختصر العلو رقم (٢٦٠) .

١٧- هو الإمام أبو محمد ، حرب بن إسماعيل الكرماني الفقيه ، تلميذ أحمد بن حنبل رحمه الله . توفي سنة (٢٥٨هـ) . السير (١٣/٢٤٤) .

١٨- مختصر العلو رقم (٢٦١) .

١٩- هو عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي ، الإمام الكبير الحافظ ، ولد قبل المائتين بيسير ، توفي سنة (٢٨٠هـ) . السير (١٣/٣١٩) .

٢٠- مختصر العلو رقم (٢٦٢) .

ومحمد بن عثمان بن أبي شيبة ،(١) وسهل التستري ،(٢) ومحمد بن جرير الطبري ،(٣) والبوشنجي ،(٤) (٥) وابن خزيمة ،(٦) وابن سريج ،(٧) (٨) وعبد القادر الجيلاني ،(٩) وابن عيينة ،(١٠) والطلمنكي ،(١١) وابن عبد البر ،(١٢)

١ـ مختصر العلو رقم (٢٦٨) .

٢ـ المصدر السابق رقم (٢٦٩) .

٣ـ المصدر السابق رقم (٢٧٣) .

٤ـ هو الإمام الحافظ ، ذو الفنون ، شيخ الإسلام أبو عبد الله ، محمد بن إبراهيم بن سعيد العبدي ، الفقيه المالكي ، ولد سنة (٢٠٤هـ) وتوفي سنة (٢٩١هـ) وقيل غير ذلك . السير (٥٨١/١٣) .

٥ـ مختصرالعلو رقم (٢٧٥) .

٦ـ المصدر السابق رقم (٢٧٦) .

٧ـ هو الإمام الفقيه أبو العباس ،أحمد بن عمر بن سريج البغدادي ، القاضي الشافعي ، ولد سنة بضع وأربعين ومائتين ، توفي سنة (٣٠٣هـ) . السير (٢٠١/١٤) .

٨ـ مختصر العلو رقم (٢٧٧) .

٩ـ مجموع الفتاوى (٨٦٨٥/٥) .

١٠ـ مختصر الصواعق (٢٣٦) .

وابن أبي زيد القيرواني ،(١) (٢) والقاضي عبد الوهاب المالكي (٣) والقرطبي (٤) والخطابي (٥).

١ـ هو عبد الله بن أبي زيد ، عبد الرحمن النفزي القيرواني ولد بالقيروان سنة (٣١٠هـ) وتوفي سنة (٣٨٦هـ) . السير (١٠/١٧) .

٢ـ مختصر الصواعق (٣٢٤) .

٣ـ مختصر الصواعق (٣٢٥) .

٤ـ المصدر السابق (٣٢٥) .

٥ـ المصدر السابق (٣٢٥) .

المسألة الثالثة : ـ في إبطال القول بأن ظاهر النصوص يقتضي التشبيه :

لما ذكر المؤلف رحمه الله قول مالك رحمه الله في الاستواء عقبه بقوله : "يريد رحمه الله أن الاستواء معلوم الظاهر بحسب ما تدل عليه الأوضاع اللغوية ، ولكن هذا الظاهر غير مراد قطعاً ، لأنه يستلزم التشبيه المحال على الله ..." أهـ (١).

وقد ذكر نحواً من هذا في غير ما موضع من هذا المبحث (٢) .

ويجاب عن هذا بأن ظواهر نصوص الصفات مرادة ولا شك بمعنى أنا نثبت ونؤمن بما تضمنته من المعاني دون تحريف لها .. لكن لا نشبه شيئاً من ذلك بصفات المخلوقين .. كما كان موقف السلف كذلك أيضاً .

ولكن كثيراً من المتأخرين أصبحوا لا يفهمون من ظواهر تلك النصوص إلا المشابهة لصفات المخلوقين .. ولاشك أن ذلك الفهم الذي فهموه من تلك الظواهر غير مراد .

وحينما نطلق عليها "ظواهراً" فإن ذلك تسامحاً معهم ، وإلا فإن أهل السنة لم يكونوا يسمون هذا ظاهراً لها ، ولا يرتضون أن يكون ظاهر القرآن والحديث كفراً وباطلا . والله تبارك وتعالى أعلم وأحكم وأجل من أن يكون كلامه الذي وصف به نفسه لا يظهر منه إلا ماهو كفر أو ضلال .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "والذين يجعلون ظاهرها ذلك ـ أي الكفر والتشبيه ـ يغلطون من وجهين :

الأول : تارة يجعلون المعنى الفاسد ظاهر اللفظ ، حتى يجعلوه محتاجاً إلى تأويل يخالف الظاهر . مثل قوله في الحديث : "عبدي جعت فلم تطعمني" .. إلخ وفي الأثر الآخر : "الحجر الأسود يمين الله في الأرض ، فمن صافحه أو قبله فكأنما صافح الله ، وقبل يمينه" ..

فيقال لهم : لو أعطيتم النصوص حقها من الدلالة لعلمتم أنها لم تدل إلا على حق .

أما قوله : "الحجر الأسود" صريح في أن الحجر الأسود ليس هو صفة لله ،

ولا هو نفس يمينه ، لأنه قال : "يمين الله في الأرض" وقال : "فمن قبله وصافحه فكأنما صافح الله وقبل يمينه" . ومعلوم أن المشبه ليس هو المشبه به . ففي نفس الحديث بيان أن مستلمه ليس مصافحاً لله ، وأنه ليس هو نفس يمينه ، فكيف يجعل ظاهره كفراً لأنه محتاج إلى تأويل ، مع أن هذا الحديث إنما يعرف عن ابن عباس !!

وأما قوله : "جعت فلم تطعمني .." ـ إلى قوله ـ "أما علمت أن عبدي فلاناً جاع ، فلو أطعمته لوجدت ذلك عندي .." فهذا صريح في أن الله سبحانه لم يمرض، ولم يجع ، ولكن مرض عبده ، وجاع عبده ، فجعل جوعه جوعه ، ومرضه مرضه ، مفسراً ذلك بأنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندي . ولو عدته لوجدتني عنده ، فلم يبق في الحديث لفظ يحتاج إلى تأويل .

الثاني : تارة يردون المعنى الحق الذي هو ظاهر اللفظ لاعتقادهم أنه باطل .." كما هو الحال في نفيهم الاستواء واليد والوجه وغير ذلك كثير.. لأنهم توهموا أنه يقتضي المشابهة للمخلوقين !!

والواجب على العبد أن يعتقد في ظاهر هذه النصوص ـ نصوص الصفات ـ المتنازع في معناها ـ بين أهل السنة وغيرهم ـ من جنس ظاهر النصوص المتفق على معناها .

والظاهر من النص هنا وهناك هو المراد في الجميع ؛ فإن الله لما أخبر أنه بكل شيء عليم اتفق أئمة المسلمين على أن هذا على ظاهره ، وأن هذا الظاهر مراد ..

ولم يتوهم أحد منهم أن علمه كعلمنا .. وكذلك الكلام في الحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر .. كما أنه هو ذات قولهم في الصفات الأخرى التي ينازع فيها أمثال المؤلف ، كالمحبة والرضى والاستواء والوجه .. إلخ فإنها لا تماثل صفات المخلوقين ..

ونحن نلزمهم أن يقولوا فيما نفوا بما قالوا فيما أثبتوا .

وإذا كان المستمع يظن أن ظاهر الصفات التي أقر بها تماثل صفات المخلوقين ، فإنه يلزمه أن لايكون شيء من ظاهر ذلك مراداً !

وإن كان يعتقد أن ظاهرها ما يليق بالخالق ويختص به ، لم يكن له نفي هذا الظاهر ، وكذا نفي كونه مراداً ، إلا بدليل يدل على النفي ، وليس في العقل ولا

السمع ما ينفي هذا إلا من جنس ما ينفي به سائر الصفات ، فيكون الكلام في الجميع واحداً .

وبيان هذا أن صفاتنا منها ماهي أعيان وأجسام ، وهي أبعاض لنا ، كالوجه واليد ؛ ومنها ماهو معان وأعراض ، وهي قائمة بنا ، كالسمع والبصر والكلام والعلم والقدرة .

ثم إن من المعلوم أن الرب لما وصف نفسه بأنه حي عليم قدير لم يقل المسلمون إن ظاهر هذا غير مراد ، لأن مفهوم ذلك في حقه مثل مفهومه في حقنا ؛ فكذلك لما وصف نفسه بأنه خلق آدم بيديه لم يوجب ذلك أن يكون ظاهره غير مراد ، لأن مفهوم ذلك في حقه كمفهومه في حقنا ! بل صفة الموصوف تناسبه .

فإذا كانت نفسه المقدسة ليست مثل ذوات المخلوقين ، فصفاته كذاته ليست كصفات المخلوقين ، ونسبة صفة المخلوق إليه كنسبة صفة الخالق إليه .(١) .

ذكر بعض المحاذير التي يقع فيها من نفى بعض الصفات بدعوى أن إثباتها يقتضي التشبيه : (٢) .

١ـ كونه قد وقع هو في التمثيل حقيقة ؛ لأنه هذا الذي فهمه من النصوص ، وظن أن مدلول النص هو التمثيل !!

٢ـ إذا جعل مفهومها التمثيل ثم عطله ، بقيت النصوص معطلة عما دلت عليه من إثبات الصفات اللائقة بالله . فيبقى مع جنايته على النصوص ، وظنه السيء الذي ظنه بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم ـ حيث ظن أن الذي يفهم من كلامهما هو التمثيل الباطل ـ قد عطل ما أودع الله ورسوله في كلامهما من إثبات الصفات لله والمعاني الإلهية اللائقة بجلال الله تعالى .

٣ـ أن هذا ينفي تلك الصفات عن الله عز وجل بغير علم ، فيكون معطلا لما يستحقه الرب تبارك وتعالى .

١ـ هذا الكلام إنما هو من كلام شيخ الإسلام مع التلخيص والتصرف . انظر مجموع الفتاوى (٣/٤٣ـ٤٧)

٤ـ أنه يصف الرب تعالى بنقيض تلك الصفات ، من صفات الأموات والجمادات ، أو صفات المعدومات ، فيكون قد عطل به صفات الكمال التي يستحقها الرب ، ومثّله بالمنقوصات والمعدومات ، وعطل النصوص عمّا دلت عليه من الصفات، وجعل مدلولها هو التمثيل بالمخلوقات ، فيجمع في كلام الله وفي الله بين التعطيل والتمثيل ، فيكون ملحداً في أسماء الله وآياته .

المسألة الرابعة : في إثبات جملة من الصفات التي نفاها المؤلف .

بعد أن تحدث المؤلف عن مسألة الاستواء ، ونقل الأقوال فيها .. أشار إلى بعض الصفات الأخرى التي ينفيها الأشاعرة ويؤولونها إلى معان أخرى ، كما في صفة الاستواء التي سبق الكلام عليها .

ويحسن هنا أن أسوق لك بعض المقاطع من كلام المؤلف ، وما تضمنه من القضايا التي لايُقر عليها .. وبعد ذلك يأتي الكلام على كل واحدة من هذه الصفات على وجه خاص ..

قال المؤلف : "..وقل مثل ذلك في نحو ﴿ويبقى وجه ربك ـ ولتصنع على عيني ـ يد الله فوق أيديهم ـ والسماوات مطويات بيمينه ـ يخافون ربهم من فوقهم ـ وجاء ربك ـ وعنده مفاتح الغيب ﴾ فالسلف يفوضون في معانيها تفويضاً مطلقاً بعد تنزيه الله عن ظواهرها المستحيله ، والأشاعرة يفسرونها بصفات سمعية زائدة على الصفات التي نعلمها ، ولكنهم يفوضون الأمر في تعيين هذه الصفات إلى الله ... والمتأخرون يفسرون الوجه بالذات ، ولفظ : ﴿ولتصنع على عيني﴾ بتربية موسى ملحوظاً بعناية الله وجميل رعايته ، ولفظ اليد بالقدرة ، ولفظ اليمين بالقوة ، والفوقية بالعلو المعنوي دون الحسي ، والمجيء في قوله : ﴿وجاء ربك﴾ بمجيء أمره ، والعندية في قوله : ﴿وعنده مفاتح الغيب﴾ بالإحاطة والتمكن، أو بمثل ذلك في الجميع" اهـ(١).

وله كلام نحو هذا وأصرح منه في مواضع متفرقة من هذا الكتاب .. وهو ـ كما صرح ـ يقطع بنفي ظواهر هذه النصوص ، فتبقى دائرة بين التفويض والتحريف الذي يُسمى بالتأويل. ولقد علمت من قبل أن السلف لا يفوضون معاني تلك النصوص .. وإنما يفوضون الكيفية والكنه فقط ..كما علمت أيضاً أن القول بأن ظواهر نصوص الصفات من المستحيلات على الله عز وجل إنما هو تقول على الله عز وجل ، وتقديم بين يديه ، وطعن في كلامه وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم .

وتصرف الأشاعرة إزاء هذه الصفات لا يُسمى تفسيراً ولا تأويلا ، وإنما هو تحريف واعتداء على النصوص ، والله المستعان .

وبعد هذه التوطئة المختصرة ، فقد آن الكلام على كل صفة من هذه الصفات

التي تعرض لها المؤلف في كلامه الآنف الذكر .

الصفة الأولى : الوجه . (١) .

جاء التصريح بهذا الوصف الذاتي لله عز وجل في مواضع متعددة من الكتاب والسنة ، كقوله تعالى : ﴿كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ . (٢) .

فـ "ذو" في هذه الآية عائد على الوجه ، ووصف له ، وقد جاء في السياق مرفوعاً ، وهذا مما يبطل تأويله بالذات ! (٣) .

قال ابن خزيمة : "ذكر الوجه مضموماً في هذا الموضع مرفوعاً ، وذكر الرب بخفض الباء بإضافة الوجه ، ولو كان قوله : ﴿ذو الجلال والإكرام﴾ مردوداً إلى ذكر الرب في هذا الموضوع (٤) لكانت القراءة ـ ذي الجلال والإكرام ـ مخفوضاً كما كان الباء مخفوضاً في ذكر الرب جل وعلا . ألم تسمع قوله تبارك وتعالى : ﴿تبارك اسم ربك ذي الجلال والإكرام﴾ . (٥)فلما كان الجلال والإكرام في هذه الآية صفة للرب ، خفض "ذي" خفض "الباء" الذي ذكر في قوله : "ربك" ولما كان الوجه في تلك الآية مرفوعة التي كانت صفة الوجه مرفوعة (٦) فقال : ﴿ذو الجلال والإكرام﴾ ... وفي هاتين الآيتين دلالة أن وجه الله صفة من صفات الله ، صفات الذات ، لا أن وجه الله هو الله ، ولا أن وجهه غيره ، كما زعمت المعطلة الجهمية ، لأن وجه الله لو كان الله لقُرِيء : "ويبقى وجه ربك ـ ذي ـ الجلال والإكرام" ... وزعمت الجهمية

١ـ انظر : الرد على المريسي للدارمي (١٥٧ـ١٦٩) ، التوحيد لابن خزيمة (١/٢٤ـ٩٦) وما ذكره في بيان المراد بقوله : ﴿للذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾ ،وقوله : ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾ ومن أقوال الأئمة في إثبات الوجه لله تعالى انظر التوحيد لابن خزيمة (١/٤٤٣ـ٤٥٨) ، الأسماء والصفات (٣٨٣ـ٣٩٤) حيث أكثر من النصوص الدالة على ذلك ، اللالكائي (٤١٢ـ٤٣٣) ، مختصر الصواعق (٣٥٠ـ٣٥٩) ، لوامع الأنوار (١/٢٢٥ـ٢٢٨) ، شرح كتاب التوحيد للغنيمان (١/٢٧٣ـ٢٨٠) ، الصفات الإلهية (٣٠٢ـ٣٠٣) .

٢ـ الرحمن (٢٦ـ٢٧) .

٣ـ انظر شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/٢٧٨) .

٤ـ في النسخة التي علق عليها الهراس (ص٢٢) "الموضع" وهو المناسب هنا . والله أعلم .

٥ـ الرحمن (٧٨) .

٦ـ هكذا العبارة في الكتاب ! وقد رجح المحقق أن يكون الكلام هكذا : "ولما كان الوجه في تلك الآية مرفوعاً ، كانت صفة الوجه مرفوعة ، فقال : ﴿ذو الجلال والإكرام﴾ . (١/ص٥٢) حاشية .

...أن أهل السنة ، ومتبعي الآثار ، القائلين بكتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم ، المثبتين لله عز وجل من صفاته ما وصف الله به نفسه في محكم تنزيله المثبت بين الدفتين ، وعلى لسان نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم بنقل العدل عن العدل موصولا إليه ، مشبهة ، جهلا منهم بكتاب ربنا وسنة نبينا صلى الله عليه وسلم ، وقلة معرفتهم بلغة العرب الذين بلغتهم خوطبنا" اهـ (١) .

قال الإمام البخاري رحمه الله : "باب قول الله عز وجل : ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ . (٢) وذكر تحت هذا الباب حديث جابر رضي الله عنه : "لما نزلت هذه الآية ﴿قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذاباً من فوقكم﴾ قال النبي صلى الله عليه وسلم : أعوذ بوجهك ، فقال : ﴿أو من تحت أرجلكم﴾ فقال النبي صلى الله عليه وسلم : "أعوذ بوجهك . قال : ﴿أويلبسكم شيعاً﴾ . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : هذا أيسر" (٣) .

وأخرج مسلم في صحيحه بسنده ، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : "قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس كلمات فقال : "إن الله عز وجل لا ينام ، ولا ينبغي له أن ينام ، يخفض القسط ويرفعه ، يُرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار ، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور ، لوكشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه" . (٤) .

كما أخرج أيضاً من حديث عبد الله بن قيس رضي الله عنه (٥) مرفوعاً : "جنتان من فضة ، آنيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب ، آنيتهما وما فيهما . وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن". (٦) .

وجاء في حديث عمار بن ياسر رضي الله عنه ـ في ذكر الدعاء الذي سمعه من النبي صلى الله عليه وسلم ـ وفيه : "... وأسألك لذة النظر إلى وجهك ، وأسألك

١ـ التوحيد لابن خزيمة (١/١٥١ـ٥٣) ، وانظر مختصر الصواعق (٣٥١) .

٢ـ البخاري مع الفتح (١٣/٣٨٨) .

٣ـ المصدر السابق رقم (٧٤٠٦) .

٤ـ صحيح مسلم رقم (٢٩٣) .

الشوق إلى لقائك ، في غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة ..." . (١) .

قال ابن خزيمة رحمه الله : ألا يعقل ذوو الحجا ، ياطلاب العلم ، أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يسأل ربه مالا يجوز كونه ؟! ففي مسألة النبي صلى الله عليه وسلم ربه لذة النظر إلى وجهه أبين البيان ، وأوضح الوضوح ، أن لله عز وجل وجهاً يتلذذ بالنظر اليه مَنْ مَنَّ الله جل وعلا عليه ، وتفضل بالنظر إلى وجهه" اهـ (٢) .

ذكر الرد على من زعم أن الوجه مجاز :

أبطل ابن القيم رحمه الله القول بأن الوجه الوارد في مثل تلك النصوص مجاز من ستة وعشرين وجهاً ، ألخص لك بعضها فيما يأتي :

١ـ أن المجاز لا يمتنع نفيه ، وعليه فلا يمتنع أن يقال : ليس لله وجه ، ولا حقيقة لوجهه ، وهذا تكذيب صريح لما أخبر به عن نفسه وأخبر عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ـ أنه خروج عن الأصل والظاهر بغير موجب .

٣ـ أن ذلك يستلزم كون حياته وسمعه وبصره .. وسائر صفاته مجاز لا حقيقة .

٤ـ أن دعوى المعطل أن الوجه صلة ، كذب على الله ، وعلى رسوله ، وعلى اللغة ، فإن هذه الكلمة ليست مما عُهد زيادتها .

٥ـ لو ساغ ذلك لساغ لآخر ادعاء الزيادة في قوله : "أعوذ بعزة الله وقدرته" ويكون التقدير : أعوذ بالله .. وهكذا في السمع والبصر .. إلخ .

٦ـ أن هذا يتضمن إلغاء وجهه لفظاً ومعنى ؛ وأن لفظه زائد ، ومعناه منتف .

٧ـ ما سبق ذكره من إضافة الوجه إلى الذات ، وإضافة النعت إلى الوجه ، فقال : ﴿ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾ ... وهذا يدل على أن ذكر الوجه ليس بصلة وأن قوله ﴿ذو الجلال والإكرام﴾ صفة للوجه ، وأن الوجه صفة للذات .

٨ـ لايعرف في لغة من لغات الأمم وجه الشيء بمعنى ذاته ونفسه .

٩ـ أن حمله على الثواب باطل ، لأن اللغة لاتحتمله .

١ـ التوحيد لابن خزيمة رقم (١٣/ج١/ص٢٩ـ٣٠) ، والنسائي في كتاب السهو ، باب نوع آخر من الدعاء ، وأحمد (٤/٣٦٤) ، الرد على المريسي للدارمي (١٦٠) .

٢ـ التوحيد (١/ص٣٠) .

١٠ـ أن الثواب مخلوق ، وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه استعاذ بوجه الله فقال : "أعوذ بوجهك الكريم أن تضلني ؛ لا إله إلا أنت الحي الذي لايموت .." ومن دعائه يوم الطائف : "أعوذ بوجهك الكريم الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة" .(١) ولا يُظن بالنبي صلى الله عليه وسلم أن يستعيذ بمخلوق .

١١ـ كان من دعاء النبي صلى الله عليه وسلم : "أسألك لذة النظر إلى وجهك .." ولم يكن ليسأل لذة النظر إلى الثواب ، ولا يُعرف تسمية ذلك وجهاً لغة ولا شرعاً ولا عرفاً .

١٢ـ لو كان المراد بوجهه مخلوقاً من مخلوقاته لما جاز أن يقسم عليه ويسأله به .

١٣ـ ما جاء في صحيح مسلم ، من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه مرفوعاً ، وفيه : "حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه" . فإضافة السبحات التي هي الجلال والنور إلى الوجه ، وإضافة البصر إليه ، تبطل كل مجاز ، وتبين أن المراد وجهه .

١٤ـ اتفاق أهل القرون الثلاثة المفضلة ، وجميع أهل السنة ، على أن المؤمنين يرون وجه ربهم في الجنة .. فمن أنكر حقيقة الوجه لم يكن للنظر عنده حقيقه ، ولا سيما إذا أنكر الوجه والعلو ، فيعود النظر عنده إلى خيال مجرد .

١٥ـ أن الوجه ورد مضافاً إلى الذات في جميع موارده .. والمضاف إلى الرب نوعان : أعيان قائمة بنفسها ، كبيت الله وناقة الله .. فهذا إضافة تشريف ، وهي إضافة مملوك إلى مالكه . والثاني : صفات لا تقوم بنفسها ، كعلم الله ، وسمعه ، وبصره .. فهذه إذا وردت مضافة إليه ، فهي إضافة صفة إلى الموصوف بها .

وعليه فإنه إذا ورد إضافة الوجه إليه ، وجب أن يكون من باب إضافة الوصف لا الخلق . (٢) .

١ـ ضعف الشيخ ناصر الألباني ـ حفظه الله ـ الإسناد الذي من طريقه ورد هذا الدعاء . انظر تخريجه

الصفة الثانية : العينان .(١) .

وقد دل على ثبوت هذه الصفة الكتاب والسنة :

أما ما دل عليها من القرآن

فقوله تعالى : ﴿تجري بأعيننا﴾ .(٢) قال اللالكائي : وروي عن ابن عباس في تفسير : "أعيننا" أنه أشار إلى عينيه" .(٣) .

وقال عز وجل : ﴿واصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾ . (٤) .

وأنت إذا تأملت هذه النصوص وغيرها من النصوص القرآنية الواردة في هذه الصفة وجدتها وأبصرتها على حالين :

الأولى : "هي إيراد هذه الصفة على سبيل الإفراد ، كما في قوله : ﴿ولتصنع على عيني﴾ . (٥) .

الثانية : ورودها في صيغة الجمع ، كقوله : ﴿تجري بأعيننا﴾ . (٦) .

هذا واعلم أن ذكر العين مفردة كما في الحالة الأولى ، لا يدل على أنها عين واحدة فقط . ذلك أن المفرد المضاف ، يراد به أكثر من واحد . كقوله تعالى : ﴿وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها﴾ . (٧) والمراد : نعم الله المتنوعة .. وأنت تقول : نظرت بعيني .. ولا تريد العين الواحدة فقط ، بل ولا يخطر هذا المعنى على ذهن السامع أبداً .(٨) .

قال ابن القيم رحمه الله : "إذا أضيفت العين إلى اسم الجمع ظاهراً

١ـ انظر : كتاب التوحيد لابن خزيمة (١/٩٦ـ١٠٥) ، حيث ذكر الكثير من الروايات لاسيما طرق وألفاظ الحديث الذي وصف فيه الدجال وسيأتي قريباً إن شاء الله . وانظر لوامع الأنوار البهية (١/٢٣٨ـ٢٤١) ، الأسماء والصفات (٣٩٥ـ٣٩٧) ، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/٢٨١ـ٢٩٠) ، الصفات الإلهية (٣١٧ـ٣٢٠) ،اللالكائي (٤١٢ـ٤٣٢) .

٢ـ القمر (١٤) .

٣ـ اللالكائي رقم (٦٩٢) .

٤ـ هود (٣٧) .

٥ـ طه (٣٩) .

٦ـ القمر (١٤) .

٧ـ إبراهيم (٣٤) ، النحل (١٨) .

٨ـ انظر مختصر الصواعق (ص٣٢) .

ومضمراً ، فالأحسن جمعها مشاكلة للفظ ، كقوله : ﴿تجري بأعيننا﴾ ، ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾ " اهـ(١) .

وبعد أن عرفت أن هذه الصفة قد جاء ذكرها في الكتاب مفردة ومجموعة ، بقي أن تعلم أن السنة قد نطقت بإضافتها إليه مثناة ، كما جاء ذلك في حديث الدجال الذي سنذكره بعد قليل إن شاء الله تعالى .

ذكر ما دل على ذلك من السنة :

١ـ حديث ابن عمر رضي الله عنهما مرفوعاً في ذكر صفة الدجال وفيه : ".. إنه أعور ، وإن الله ليس بأعور"(٢) وفي لفظ : "إن الله لا يخفى عليكم ، إن الله ليس بأعور .ـ وأشار بيده إلى عينه ـ وإن المسيح الدجال أعور عين اليمنى" . (٣)

٢ـ حديث أنس رضي الله عنه مرفوعاً ، وفيه : ".. ألا إنه أعور ، وإن ربكم ليس بأعور .." . (٤)

وقد بوب الإمام البخاري رحمه الله لهذا فقال : "باب قول الله تعالى : ﴿ولتصنع على عيني﴾ تغذى . وقوله جل ذكره : ﴿تجري بأعيننا﴾ . (٥) .

وحديث الدجال الآنف الذكر صريح بأنه ليس المراد إثبات عين واحدة ، فإن ذلك عور ظاهر ، تعالى الله عنه . وهل يفهم من قول الداعي : اللهم احرسنا بعينك التي لا تنام ، أنها عين واحدة ليس إلا ، إلا ذهن أقلف ، وقلب أغلف . ؟! (٦) .

قال ابن المنير : "وجه الاستدلال على إثبات العين لله من حديث الدجال من قوله : "إن الله ليس بأعور" من جهة أن العور عرفاً عدم العين ، وضد العور ثبوت العين . فلما نزعت هذه النقيصة .. ،لزم ثبوت الكمال بضدها ، وهو وجود العين" اهـ (٧) .

١ـ مختصر الصواعق (ص٢٤) .

٢ـ البخاري مع الفتح رقم (٧١٢٧، ٧٤٠٧) ، ومسلم باب (١٩) حديث (٩٥،١٠٠) .

٣ـ البخاري مع الفتح رقم (٧٤٠٧) .

٤ـ المصدر السابق رقم (٧١٣١، ٧٤٠٨) ، مسلم باب (٢٠) حديث (١٠١) .

هذا وقد أثبت السلف وأئمة المسلمين ذلك لله عز وجل ، ولم ينكره منكر منهم ، وهم على الصراط السوي سائرون ، وبالوحي مستمسكون ، أسال الله أن يحشرنا في زمرتهم .

٧- الفتح (١٣/٣٩٠) .

الصفة الثالثة : اليد : (١)سبق وأن نقلنا شيئاً من كلام المؤلف ، والذي تعرض فيه لذكر هذه الصفة . ونزيد هنا في النقل عن المؤلف من موضع آخر من نفس المبحث إذ يقول : "نقول لهؤلاء : ماذا تقولون في قوله تعالى : ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ بإفراد اليد ، مع قوله : ﴿لما خلقت بيدي﴾ بتثنيتها ، ومع قوله : ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ بجمعها . فإذا كنتم تعملون النصوص على ظواهرها حقيقة ، فأخبرونا : أله يد واحدة ، بناء على الآية الأولى ؟ أم له يدان اثنتان ، بناء على الآية الثانية ؟ أم له أيد أكثر من اثنتين ، بناء على الآية الثالثة ؟! ." اهـ (٢)

والجواب عما ذكره المؤلف فيما يلي :

"لقد ورد لفظ اليد في القرآن والسنة ، وكلام الصحابة ، والتابعين ، في أكثر من مائة موضع ، وروداً متنوعاً ، متصرفاً فيه ، مقروناً بما يدل على أنها يد حقيقة ؛ من الإمساك والطي ، والقبض ، والبسط ، والحثيات ، والخلق باليدين ، والمباشرة بهما ، وكتب التوراة بيده ، وغرس جنة عدن بيده ، وتخمير طينة آدم بيده ، ووقوف العبد بين يديه ، وكون المقسطين عن يمينه .. وتخيير آدم بين ما في يديه ، وأخذ الصدقة بيمينه يربيها لصاحبها ، وكتابته بيده على نفسه أن رحمته تغلب غضبه ، وأنه مسح ظهر آدم بيده ثم قال له ويداه مفتوحتان : اختر فقال : اخترت يمين ربي .. ، وأن يمينه ملأى لا يغيضها نفقه ، سحاء الليل والنهار ، وبيده الأخرى القسط ، يرفع ويخفض ، وأنه خلق آدم من قبضة قبضها من جميع الأرض ، وأنه يطوي السماوات يوم القيامة ، ثم يأخذهن بيده اليمنى .. ، وأنه خط الألواح التي كتبها لموسى بيده" (٣) . وغير ذلك كثير مما يدل دلالة قاطعة على بطلان مذهب المؤولة ، وصحة مذهب أهل السنة .

---

١ انظر العظمه لابي الشيخ (٢/٤٢٠ـ٥١٤) ، الرد على المريسي (٢٥ـ٤١) التوحيد لابن خزيمة (١/١١٨ـ٢٠١) ، الأسماء والصفات (٣٩٩ـ٤٢٩) ، اللالكائي (٤١٢) ، الشريعة (٣١٦ـ٣٢٥) ، مجموع الفتاوى (٥/٨٧ـ٩٨) لوامع الأنوار البهية (١/٢٢٨ـ٢٣٨) ، شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١/٢٩٧ـ٣٣٤) ، الصفات الإلهية (٣٠٤ـ٣٠٩) .

بيان وجه ورود لفظ اليد مفردة ومثناة ومجموعة :

إذا أضيفت اليد إلى اسم الجمع ظاهراً أو مضمراً ، فالأحسن جمعها مشاكلة للفظ ، كقوله : ﴿بيده الملك﴾ (١)، في حال الإضافة إلى ضمير المفرد ، أما في حال إضافتها إلى ضمير الجمع فكقوله : ﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً﴾ (٢). ومثال إضافتها إلى اسم الجمع الظاهر قوله : ﴿بما كسبت أيدي الناس﴾ (٣).

قال ابن القيم رحمه الله : "إن لغة العرب متنوعة في إفراد المضاف ، وتثنيته وجمعه ، بحسب أحوال المضاف إليه ، فإن أضافوا الواحد المتصل إلى مفرد أفردوه ، وإن أضافوه إلى اسم جمع ظاهراً أو مضمراً جمعوه ، وإن أضافوه إلى اسم مثنى فالأفصح في لغتهم جمعه ، كقوله : ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ (٤) وإنما هما قلبان . وكقوله : ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما﴾(٥) . وتقول العرب : أضرب أعناقهما . وهذا أفصح استعمالهم ؛ وتارة يفردون المضاف فيقولون : لسانهما وقلبهما ، وتارة يثنون كقوله : "ظهراهما مثل ظهور الترسين" . والقرآن إنما نزل بلغة العرب ، لا بلغة العجم .. وإذا كان من لغتهم وضع الجمع موضع التثنية ، لئلا يجمعوا في لفظ واحد بين تثنيتين ، ولا لبس هناك ، فلأن يوضع الجمع موضع التثنية فيما إذا كان المضاف إليه تثنية أولى بالجواز . يدل عليه أنك لاتكاد تجد في كلامهم عينان وزيدان ونحو ذلك ، ولا يلتبس على السامع قول المتكلم : "نأخذك بأيدينا" ولا يفهم منه أحد أيد كثيرة على وجه واحد ." .

و قال أيضاً : "إن لفظ اليد جاء في القرآن على ثلاثة أنواع : مفرداً ، ومثنى ، ومجموعاً ؛ فالمفرد كقوله : ﴿بيده الملك﴾ (٦) ، والمثنى كقوله : ﴿خلقت بيدي﴾ (٧) ، والمجموع مثل : ﴿عملت أيدينا﴾ (٨) ، فحيث ذكر اليد مثناة أضاف

١- الملك (١) .

٢- يس (٧١) .

٣- الروم (٤١) .

٤- التحريم (٤) .

٥- المائدة (٣٨) .

٦- الملك (١) .

الفعل إلى نفسه بضمير الإفراد ، وعدى الفعل بالباء إليها فقال : ﴿خلقت بيدي﴾ (١)، وحيث ذكرها مجموعة أضاف العمل إليها ، ولم يُعَدِّ الفعل بالباء . فهذه ثلاثة فروق ، فلا يحتمل : ﴿خلقت بيدي﴾ (٢) من المجاز ما يحتمله : ﴿عملت أيدينا﴾ (٣)، فإن كل أحد يفهم من قوله : ﴿عملت أيدينا﴾ ، ما يفهمه من قوله : عملنا ، وخلقنا ، كما يفهم ذلك من قوله : ﴿بما كسبت أيديكم﴾ (٤) . وأما قوله : ﴿خلقت بيدي﴾(٥) فلو كان المراد منه مجرد الفعل لم يكن لذكر اليد بعد نسبة الفعل إلى الفاعل معنى ، فكيف وقد دخلت عليها الباء ؟ فكيف إذا ثنيت ؟.

و سر الفرق ، أن الفعل قد يضاف إلى يد ذي اليد ، والمراد الإضافة إليه ، كقوله : ﴿بما قدمت يداك﴾ (٦)، ﴿بما كسبت أيديكم﴾ (٧) ، وأما إذا أضيف إليه الفعل ، ثم عُدي بالباء إلى يده مفردة أو مثناة ، فهو مما باشرته يده ، ولهذا قال عبد الله بن عمرو : "إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثاً ؛ خلق آدم بيده ، وغرس جنة الفردوس بيده ، وكتب التوراة بيده" فلو كانت اليد هي القدرة ، لم يكن لها اختصاص بذلك ؛ ولا كانت لآدم فضيلة بذلك على كل شيء مما خلق بالقدرة .

و قد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن أهل الموقف يأتونه يوم القيامة فيقولون : "ياآدم أنت أبو البشر ، خلقك الله بيده" . وكذلك قال آدم لموسى في محاجته له : "اصطفاك الله بكلامه ، وخط لك الألواح بيده" . وفي لفظ آخر : "كتب لك التوراة بيده" و هو من أصح الأحاديث .

فلما فهم المسلمون أن قوله : ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ (٨) يوجب له تخصيصاً وتفضيلا بكونه مخلوقاً باليدين على من أمر أن يسجد له ، وفهم

٧- ص (٧٥) .

٨- يس (٧١) .

١- ص (٧٥) .

٢- الآية السابقة .

٣- يس (٧١) .

٤- الشورى (٣٠).

٥- ص (٧٥) .

٦- الحج (١٠) .

ذلك أهل الموقف حين جعلوه من خصائصه ، كانت التسوية بينه وبين قوله : ﴿أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً﴾ (١) خطأ محضاً ، كذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح : "يقبض الله سماواته بيده ، والأرض باليد الأخرى" . وقوله صلى الله عليه وسلم : "يمين الله ملأى ، لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار ، أرأيتم ما أنفق منذ خلق الخلق ؟ فإنه لم يغض ما في يمينه ، وبيده الأخرى القسط ، يخفض ويرفع" . وقال تعالى : ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غُلت أيديهم ولُعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان﴾ (٢) .

ثم ذكر رحمه الله أيضاً نصوصاً أخرى كثيرة في هذا الموضوع (٣) .

تنبيه :

كان من جملة ما أورده المؤلف في كلامه السابق ، أن ساق قول الله تعالى : ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ (٤). وعدها من جملة الآيات الواردة في ذكر هذه الصفة ، ونريد هنا أن نبين أن هذه الآية الكريمة ليست من ذاك الباب ، وإنما لها معنى آخر وهو القوة .

قال ابن خزيمة في معرض الرد على من أول اليدين من حديث "خلق آدم" بالقوة : "فزعم أن اليد هي القوة ، وهذا من التبديل أيضاً ، وهو جهل بلغة العرب ، والقوة إنما تسمى الأيد في لغة العرب ، لا اليد ، فمن لا يفرق بين اليد والأيد فهو إلى التعليم والتسليم إلى الكتاتيب أحوج منه إلى الترؤس والمناظرة .

قد أعلمنا الله ـ عز وجل ـ أنه خلق السماء بأيد ، واليد واليدان غير الأيد ؛ إذ لو كان الله خلق آدم بأيد كخلقه السماء دون أن يكون الله خص خلق آدم بيديه ، لما قال لإبليس : ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ (٥) ولا شك ولا ريب أن الله عز وجل قد خلق إبليس ـ عليه لعنة الله ـ أيضاً بقوته ، أي إذا كان قوياً على خلقه ، فما معنى قوله : ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾ (٦) عند

١ـ يس (٧١) .

٢ـ المائدة (٦٤) .

٣ـ من كلام ابن القيم في مختصر الصواعق (بتصرف) (٢٤ـ٢٩) .

٤ـ الذاريات (٤٧) .

٥ـ ص (٧٥) .

٦ـ الآية السابقة .

هؤلاء المعطلة والبعوض والنمل وكل مخلوق ، فالله خلقهم عنده بأيد وقوة" اهـ(١) .

و قال ابن كثير رحمه الله عند قوله تعالى : ﴿واذكر عبدنا داود ذا الأيد إنه أواب﴾(٢) .

"يذكر تعالى عن عبده ورسوله داود عليه الصلاة والسلام ، أنه كان ذا أيد ، والأيد : القوة في العلم والعمل . قال ابن عباس رضي الله عنهما ، والسدي ، وابن زيد(٣) : الأيد : القوة . وقرأ ابن زيد : ﴿والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون﴾ (٤) ، وقال مجاهد : الأيد : القوة في الطاعة . وقال قتادة: أعطى داود عليه الصلاة والسلام قوة في العبادة .." اهـ (٥)

ذكر بعض الأدلة من القرآن على ثبوت صفة اليد لله تعالى :

١ ـ قال الله عز وجل : ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة ، غُلت أيديهم ولُعنوا بما قالوا ، بل يداه مبسوطتان ..﴾ .(٦) ولفظ اليدين بصيغة التثنية لم يستعمل في النعمة ، ولا في القدرة ، لأن من لغة العرب استعمال الواحد في الجمع ، كقوله : ﴿إن الإنسان لفي خسر﴾ .(٧) ولفظ الجمع في الواحد ، كقوله: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس ..﴾(٨) والقائل واحد ، ولفظ الجمع في الاثنين ، كقوله : ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ . (٩) أما استعمال لفظ الواحد في الاثنين ، والاثنين في الواحد ، فلا أصل له في اللغة ، لأن هذه الألفاظ عدد ، وهي نصوص في معناها ، لا

١ـ التوحيد لابن خزيمة (١/١٩٩) .

٢ـ (ص١٧) .

٣ـ هو عبد الرحمن بن زيد بن أسلم العدوي مولاهم ، المفسر ، قال عنه في التقريب "ضعيف" اهـ توفي سنة (١٨٢هـ) . التقريب (١/٤٨٠) .

٤ـ الذاريات (٤٧) .

٥ـ تفسير ابن كثير (٤/٢٩) وانظر كلامه رحمه الله أيضاً عند قوله : ﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ (جـ٤/٣٣٧) .

٦ـ المائدة (٦٤) .

٧ـ العصر (٢) .

٨ـ آل عمران (١٧٣) .

يتجوز بها ؛ فلا يجوز أن تقول : عندي رجل . وأنت تريد اثنين ، ولا عندي رجلان ، وأنت تريد واحد ، ولا عندي رجلان . وأنت تريد الجنس ، لأن اسم الواحد يدل على الجنس ، والجنس فيه شياع ؛ وكذلك اسم الجمع فيه معنى الجنس ، والجنس يحصل بحصول الواحد .

فقوله : ﴿لما خلقت بيدي﴾ (١) لا يجوز أن يراد به القدرة ، لأن القدرة واحدة ، ولا يجوز أن يعبر بالاثنين عن الواحد .

ولا يجوز أن يراد به النعمة ، لأن نعم الله لا تحصى ، فلا يجوز أن يعبر عن النعم التي لا تحصى بصيغة التثنية .

ولا يجوز أن يكون كما قالوا : لما خلقت أنا ، لأن العرب إذا أرادوا ذلك أضافوا الفعل إلى اليد ، فتكون إضافته إلى اليد إضافة له إلى الفاعل ، كقوله : ﴿بما قدمت يداك﴾ (٢) ، ﴿ذلك بما قدمت أيديكم﴾ (٣) ومن هذا قوله : ﴿أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً﴾ (٤) إذا أضيف الفعل إلى الفاعل ، وعُدِّي الفعل إلى اليد بحرف الجر ، كقوله : ﴿لما خلقت بيدي﴾ (٥) فإنه يكون نصاً في أنه فعل ذلك بيديه (٦) .

٢ ـ قوله تعالى : ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (٧) .

٣ ـ قال تعالى : ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ (٨) .

٤ ـ قال تعالى : ﴿تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير﴾ (٩) .

٥ ـ قال تعالى : ﴿بيدك الخير ، إنك على كل شيء قدير﴾ (١٠) .

١ـ ص (٧٥) .

٢ـ الحج (١٠) .

٣ـ آل عمران (١٨٢) .

٤ـ يس (٧١)

٥ـ ص (٧٥) .

٦ـ من كلام شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٦/٣٦٥ـ٣٦٦) (بتصرف يسير) و انظر كلام ابن خزيمة حول هذه الآية في كتاب التوحيد (١/١٩٨) .

٧ـ الزمر (٦٧) .

٨ـ الفتح (١٠) .

٩ـ الملك (١) .

٦ ـ قال تعالى : ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ..﴾ (١) و لا يمكن هنا أن يقال : بقدرتَيَّ !

قال ابن بطال : "... ويكفي في الرد على من زعم أنهما بمعنى القدرة ، أنهم أجمعوا على أن له قدرة واحدة في قول المثبتة ، ولا قدرة له في قول النفاة .و يدل على أن اليدين ليستا بمعنى القدرة ، أن في قوله تعالى لإبليس : ﴿ما منعك أن تسجد ..﴾ (٢) إشارة إلى المعنى الذي أوجب السجود ، فلو كانت اليد بمعنى القدرة لم يكن بين آدم وإبليس فرق ، لتشاركهما فيما خلق كل منهما به ، وهي قدرته ، ولقال إبليس : وأي فضل له علي وأنا خلقتني بقدرتك ، كما خلقته بقدرتك ، فلما قال : ﴿خلقتني من نار وخلقته من طين﴾ (٣) دل على اختصاص آدم بأن الله خلقه بيديه . قال : ولا جائز أن يراد باليدين النعمتان ، لاستحالة خلق المخلوق بمخلوق ، لأن النعم مخلوقة .. اهـ(٤) .

ثم إن النعم لا تحصى ولا تعد ، فكيف يقال "بنعمتي" ؟

ذكر بعض الأحاديث الواردة في إثبات هذه الصفة :

سبق وأن نقلنا لك شيئاً من كلام ابن القيم رحمه الله ، والذي يشير فيه إلى تنوع الأدلة الدالة على ثبوت هذه الصفة ، من ذكر الأصابع ، والقبض ، والبسط ، والتثنيه ، وذكر اليمين ..إلخ .

قال الإمام البخاري رحمه الله : ﴿باب قول الله تعالى : ﴿لما خلقت بيدي﴾ . وذكر تحته أحاديث ، منها :

١ ـ حديث الشفاعة الطويل ، والذي يرويه أنس بن مالك رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، وفيه : "... فيأتون آدم فيقولون : ياآدم ، أما ترى الناس ؟ خلقك الله بيده .."(٥) فجعل ذلك مزية لآدم من بين الخلق ، مما يدل دلالة واضحة أن اليد على ظاهرها ، وأنها يد حقيقية ، وإلا لم يكن لآدم

١ـ آل عمران (٣٦) .

٢ـ ص آية (٧٥) .

٣ـ ص (٧٥) .

٤ـ ص (٧٦) .

اختصاص بهذا ! .

٢ ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم :

"يد الله ملأى ، لا يغيضها نفقة ، سحاء الليل والنهار . وقال : أرأيتم ما أنفق منذ خلق الله السماوات والأرض فإنه لم يغض ما في يده . وقال : عرشه على الماء ، وبيده الأخرى الميزان ، يخفض ويرفع" (١).

٣ ـ حديث ابن عمر مرفوعاً : "إن الله يقبض يوم القيامة الأرض ، وتكون السماوات بيمينه ثم يقول : "أنا الملك ." (٢).

٤ ـ حديث ابن مسعود رضي الله عنه : "أن يهودياً جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد ، إن الله يمسك السماوات على إصبع ، والأرضين على إصبع ، والجبال على إصبع ، والشجر على إصبع ، والخلائق على إصبع ، ثم يقول : أنا الملك . فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه ، ثم قرأ : ﴿وما قدروا الله حق قدره﴾ (٣).. قال عبد الله : فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجباً وتصديقاً له" (٤) .

٥ ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : "احتج آدم وموسى ، فقال موسى لآدم : أنت أبونا خيبتنا وأخرجتنا من الجنة ؟!

قال له آدم : أنت موسى ، اصطفاك الله بكلامه ، وخط لك التوراة بيده..." (٥).

٦ ـ حديث أبي موسى رضي الله عنه مرفوعاً : "إن الله يبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، ويبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، حتى تطلع الشمس من مغربها" (٦) .

٧ ـ حديث عبد الله بن عمرو مرفوعاً : "المقسطون عند الله يوم القيامة

١- الفتح رقم (٧٤١١) ، ومسلم رقم (٩٩٣) .

٢- الفتح رقم (٧٤١٢، ٧٤١٣) ، ونحوه عند مسلم برقم (٢٧٨٨) .

٣- الزمر (٦٧) .

٤- الفتح رقم (٧٤١٤، ٧٤١٥) ، ومسلم رقم (٢٧٨٦) .

٥- البخاري في كتاب القدر ، باب تحاج آدم وموسى عند الله ، وانظر "اللؤلؤ والمرجان" كتاب القدر ، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام ، ومسلم حديث (٢٦٥٢)

٦- مسلم حديث (٢٧٥٩) ، وأحمد (٤/٣٩٥، ٤٠٤) ، اللالكائي رقم (٦٩٤، ٦٩٥) .

على منابر من نور عن يمين الرحمن ، وكلتا يديه يمين .." (١) .

٨ ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : "يقبض الله تبارك وتعالى الأرض يوم القيامة ، ويطوي السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض" (٢) .

هذا وقد أبطل ابن القيم رحمه الله في صواعقه تأويل اليد بالقدرة أو النعمة من عشرين وجهاً (٣) ، فراجعها إن شئت .

١- مسلم حديث (١٨٢٧) ، وأحمد (٢/١٦٠) ، واللالكائي رقم (٦٩٩) .

٢- البخاري (الفتح) رقم (٧٤١٣) ، ومسلم رقم (٢٧٨٧)

الصفة الرابعة : الفوقية :

تعرض المؤلف لهذه الصفة في موضعين من هذا المبحث .. الأول سبق ذكره في أول الكلام على هذه الصفات التي نفاها المؤلف .(١) والثاني : هو عندما شرع في التحذير من مذهب أهل السنة والجماعة .. وذكر بعض معتقدهم .. وكان مما قاله : ".. وله (٢) من الجهات الست جهة الفوق ..." . (٣) .

ولكي تعرف الحق في هذه الصفة راجع ما كتبناه في مسألة العلو (٤) ، والاستواء (٥) ، ونزول القرآن (٦) .. وما سيأتي قريباً إن شاء الله تعالى من الكلام على النزول الإلهي (٧) .

١- انظر ص (٥٣٣) مما سبق .

٢- أي أن أهل السنة يعتقدون ذلك .

٣- المناهل (١٨٧/٢) .

٤- انظر ص (٢٠٣) .

٥- انظر ص (٥١١).

٦- انظر ص (١٩١).

٧- انظر ص (٥٥٩).

الصفة الخامسة : المجيء (١) .

وقد سبق ذكر كلام المؤلف على هذه الصفة(٢) قبل الصفة الأولى من هذه الصفات . وهذه الصفة تعد من جملة الصفات الفعلية التي تليق بجلاله وعظمته ، وهكذا الإتيان .. ونحوه مما ورد في الكتاب والسنة من الصفات الإلهية .

وهذه الصفة ـ التي لم يقر بها المؤلف ـ ورد ذكرها في القرآن والسنة ، كما في قوله عز وجل : ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفا﴾ . (٣) وهذا يكون يوم القيامة لفصل القضاء .. وقد درج الأئمة من أهل السنة على إثبات هذه الصفة من هذه الآية وغيرها دون تحريف لمعناها الذي دلت عليه .

هذا وقد ورد ذكر هذه الصفة أيضاً بلفظ الإتيان ، كما في قوله جل ذكره : ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ..﴾ (٤) وقوله : ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك أو يأتي بعض آيات ربك﴾ . (٥) .

ولا يجوز هنا أن يقال : "مجيء أمره أو ملائكته" لأن الله تعالى فرق بينهما .

قال ابن جرير رحمه الله عند قوله عز وجل : ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة ..﴾ (٦): "يعني بذلك جل ثناؤه ، هل ينظر المكذبون بمحمد صلى الله عليه وسلم وما جاء به إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة" اهـ ثم ذكر أقوال المفسرين فيها فراجعه إن شئت (٧) .

وقال عند قوله تعالى : ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك ..﴾: (٨) "هل ينتظر هؤلاء العادلون بربهم الأوثان والأصنام ، إلا أن تأتيهم الملائكة بالموت فتقبض أرواحهم ، أو أن يأتيهم ربك يامحمد بين خلقه في موقف القيامة .." اهـ .

١ـ انظر الأسماء والصفات (٥٦٣ـ٥٧٩) ، الصفات الإلهية (٢٥٧ـ٢٦١) .

٢ـ راجع ص (٥٣٣) مما سبق .

٣ـ الفجر (٢٢) .

٤ـ البقرة (٢١٠) .

٥ـ الأنعام (١٥٨) .

٦ـ البقرة (٢١٠) .

ثم ذكر الآثار الواردة في ذلك . (١) .

وقال ابن كثير عند قوله تعالى : ﴿وجاء ربك﴾ (٢)يعني لفصل القضاء بين خلقه .. فيجيء الرب تبارك وتعالى لفصل القضاء كما يشاء ، والملائكة يجيئون بين يديه صفوفاً .. اهـ (٣) .

وكذا قال أيضاً عند قوله تعالى : ﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام ..﴾ (٤) (٥) .

وعند قوله : ﴿هل ينظرون إلا أن تأتيهم الملائكة أو يأتي ربك ..﴾ (٦) (٧) .

وقد رد ابن القيم رحمه تعالى على من جعل المجيء من قبيل المجاز من عشرة أوجه فراجعها . (٨)

١ـ تفسير الطبري (١٢/٢٤٥ـ٢٤٦) .

٢ـ الفجر (٢٢) .

٣ـ تفسير ابن كثير (٤/٥١٠) ، أضواء البيان (٢/٢٨٣) .

٤ـ البقرة (٢١٠) .

٥ـ ابن كثير (١/٢٤٨ـ٢٤٩) .

٦ـ الأنعام (١٥٨) .

٧ـ ابن كثير (٢/١٩٣) .

٨ـ مختصر الصواعق (٣٠٧ـ٣٠٩) وانظر ص (٣٨٢ـ٣٨٣) .

المسألة الخامسة : الكلام في قوله تعالى : ﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو..﴾ (١) .

لما ذكر المؤلف أن مذهب السلف تفويض المعاني للصفات .. عقبه بمذهب الخلف .. وكان من بين الأمثلة التي ذكرها وطبقها على هذين المذهبين قوله تعالى : ﴿وعنده مفاتح الغيب ..﴾ (٢) وذكر تأويل الخلف لها بـ "الإحاطة والتمكن" .(٣)

والذي يعتقده أهل السنة هو أن الله تعالى متصف بالعلو على جميع المخلوقات .. ومن أنواع الأدلة التي يستدلون بها على ذلك : "إخباره تعالى بأن بعض المخلوقات عنده (٤) تبارك وتعالى دون بعض ، كقوله : ﴿وله من في السماوات والأرض ومن عنده لايستكبرون عن عبادته ..﴾ (٥)وقال : ﴿إن الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون﴾ (٦) . ففرق تعالى بين من له ، ومن عنده من ملائكته وعبيده . كما في الآية التي سبقت وهي قوله : ﴿وله من في السماوات ...﴾ ، ولو كان موجب هذه العنديه معنى عاماً لدخولهم تحت قدرته ومشيئته وإحاطته ، لكان كل مخلوق عنده ، ولم يكن أحد مستكبراً عن عبادته ، بل مسبح له وساجد . (٧) .

وقال تعالى عن الشهداء : ﴿أحياء عند ربهم يرزقون﴾ . (٨) وقد أخبر عن دعاء امرأة فرعون وأنها قالت : ﴿رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة﴾ . (٩) .

وقد ثبت هذا المعنى في السنة ، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : "ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ـ إلى قوله ـ وذكرهم الله فيمن

---

١ الأنعام (٥٩) .

٢ـ الأنعام (٥٩) .

٣ـ المناهل (١٨٧/٢) .

٤ـ انظر مختصر العلو (١٢٢ـ١٢٣) ، شرح الطحاوية (٢٣٩) .

٥ـ الأنبياء (١٩) .

٦ـ الأعراف (٢٠٦) .

٧ـ انظر لوامع الأنوار البهية (١٩٣/١) .

عنده" . (١) .

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً قال : "احتج آدم وموسى عند ربهما" (٢) .

١- مسلم (٣٦٩٩، ٢٧٠٠) ، وأحمد (٣/٩٤) ، وأبو داود ، في كتاب الصلاة ، باب ثواب قراءة القرآن .

٢- انظر طرقه وتخريجاته في السنة لابن أبي عاصم رقم (١٥٦) والأحاديث (١٣٧ـ١٦٠) وراجع مختصر العلو رقم (٨٤) ، السلسلة الصحيحة رقم (١٧٠٢، ٩٠٦) من حديث ابن عمر ، وأبي سعيد ، وجندب ، وأبي موسى ، وأبي هريرة رضي الله عنهم ، وانظر مسند أحمد (٢/٣٩٨) .

المسألة السادسة : في بيان جواز الإشارة إلى الله تعالى بالعلو :

بعد أن شرع المؤلف محذراً من مذهب أهل السنة قال : ".. ومن المحزن أنهم ينسبون ما يقولون إلى سلفنا الصالح ، ويخيلون إلى الناس أنهم سلفيون ، ومن ذلك قولهم : إن الله تعالى يشار إليه بالإشارة الحسية"(١) اهـ .

ومثلك يعلم أن الإشارة إلى العلو ثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك حينما سأل الجارية : "أين الله ؟!" .

كما ثبت ذلك أيضاً عنه صلى الله عليه وسلم في خطبته عام حجة الوداع ، حينما كان يرفع أصبعه إلى السماء ، ثم ينكتها عليهم .. وقد مر ذلك كله فلا نطيل بإعادته هنا .

وعليه فيكون إنكار المؤلف متجهاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم أولا ، وإلى أصحابه ثانياً ، ثم إلى سائر أهل السنة ثالثاً ، والله المستعان !!

ذكر بعض التعقبات المجملة على تحذير المؤلف من مذهب أهل السنة:(١) .

قال المؤلف تحت عنوان "إرشاد وتحذير" : "لقد أسرف بعض الناس في هذا العصر ، فخاضوا في متشابه الصفات بغير حق ، وأتوا في حديثهم عنها وتعليقهم عليها بما لم يأذن به الله" . اهـ

وأنت خبير بأن كلام أهل السنة في مسائل الصفات التي وصفها بالتشابه .. لم يتجاوز ما نقل إليهم في الكتاب والسنة الثابته عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فكيف يقال بأن كلامهم فيها لم يأذن به الله ؟!

ويضيف المؤلف : ".. ولهم فيها كلمات غامضة ، تحتمل التشبيه والتنزيه ، وتحتمل الكفر والإيمان ، حتى باتت هذه الكلمات نفسها من المتشابهات ، ومن المؤسف أنهم يواجهون العامة وأشباههم بهذا" اهـ .

ويرد عليه بأن الله تعالى قد صرح بصفاته في القرآن ، كما صرح بها نبيه صلى الله عليه وسلم في كثير من أحاديثه الشريفة .. ولم يكن صلى الله عليه وسلم يخص بحديثه عنها قوماً دون قوم ، بل يخاطب في ذلك أمثال تلك الجارية ، راعية الغنم .

وقال المؤلف : "ومن المحزن أنهم ينسبون ما يقولون إلى سلفنا الصالح ، ويخيلون إلى الناس أنهم سلفيون" اهـ وقد بينا لك مذهب أهل السنة فيما سبق في كثير من المواضع . كما بينا لك الطائفة التي تستحق هذا اللقب (٢).. فلا يضرك مثل هذا التشويش ..

وقال المؤلف : ".. ومن ذلك قولهم : إن الله يشار إليه بالإشارة الحسية ، وله من الجهات الست : جهة الفوق ، ويقولون إنه استوى على عرشه بذاته استواء حقيقياً .. غير أنهم يعودون فيقولون ليس كاستقرارنا ، وليس على مانعرف ، وليس لهم مستند فيما نعلم إلا التشبث بالظواهر.."اهـ

ومعلوم ـ كما بينا ـ أن مستند أهل السنة في اعتقادهم إنما هو الكتاب والسنة .

١ـ انظر المناهل (٢/١٨٧ـ١٨٩) .

٢ـ انظر (ص٤٢٧) .

ثم قال : "ولقد علمت أن حمل المتشابهات في الصفات على ظواهرها ، مع القول بأنها باقية على حقيقتها ، ليس رأياً لأحد من المسلمين ، وإنما هو رأي لبعض أصحاب الأديان الأخرى ، كاليهود ، والنصارى ، وأهل النحل الضالة ، كالمشبهة ، والمجسمة .

أما نحن معاشر المسلمين ، فالعمدة عندنا في أمور العقائد ، هي الأدلة القطعية ، التي توافرت على أنه تعالى ليس جسماً ، ولا متحيزاً ، ولا متجزئاً ، ولا متركباً ، ولا محتاجاً لأحد ، ولا إلى مكان ، ولا إلى زمان" . اهـ

وهذا الكلام الذي قرأت لا يستغرب صدوره من المؤلف ، لأن كلامه في مسائل الاعتقاد يدلنا دلالة قاطعة على أنه لا يعرف مذهب أهل السنة ، ولا يفقه منه شيئاً !!

ولهذا تجده هنا يدعي أن مذهبهم لم يقل به إلا بعض اليهود والنصارى ؟!

ونحن والحمد لله على نعمة الهداية ـ لا نشك طرفة عين ، أنه مذهب الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، من أولهم حتى خاتمهم صلى الله عليه وسلم .. وهو مذهب أصحابه من بعده .. كما هو مذهب جميع أهل السنة والجماعة ، بخلاف الجهمية وأضرابهم .

ولقد عرفت من قبل ما يعنيه المؤلف بالأدلة القطعية .. وبينا لك هناك وجه الصواب في ذلك في أكثر من موضع من هذه الرسالة .. ومن ذلك ما ذكرته عند الكلام على أحاديث الآحاد وحجيتها(١) ، وكذلك عند الكلام على دفع التعارض بين العقل والنقل .. (٢) .

وأما قوله عن الرب تبارك وتعالى : "إنه ليس جسماً ..إلخ" فإن هذه الأوصاف والإطلاقات ليست من دين المسلمين في شيء ، ولم ترد في كتاب ولا سنة .. وإنما هي طرق كلامية بدعية ، مقتبسة من الفلاسفة والصابئة ، وبقايا اليهود والنصارى . فضلا عن أن تكون قد ثبتت بالأدلة القواطع ، بالإضافة إلى ما تحمله من الإجمال والإيهام ، والذي نحن في غنى عنه وسعة ..

وعليه فلا يجوز إطلاقها على الله تعالى لا نفياً ولا إثباتاً ..

وكذلك فإن قول المؤلف عن الله عز وجل : "ليس جسماً" فإنه يريد به نفي الاستواء وغيره كثير من الصفات ، كصفات الذات ، مثل الوجه ونحوه ..

وكذا قوله : "ولا متحيزاً" فإنه يراد بهذه العبارة المغلفة نفي العلو والاستواء .

وكذا قوله : "ولا متجزئاً ، ولا متركباً ، ولا محتاجاً لاحد ، ولا إلى مكان ، ولا إلى زمان" اهـ

فإنه بهذا يرمي إلى نفي كثير من صفات الله عز وجل ، كاليد ، والاستواء ، وغير ذلك ..

ولقد أطال المؤلف في هذا التحذير على نفس النمط السابق ..

ومنهج البحث لا يسمح بتتبع كل ما ذكره من المغالطات في هذا التحذير لوضوح الحق فيه ، والله المستعان .

هذا بالإضافة إلى أن المسائل التي تضمنها كلامه قد سبق الكلام عليها وبين الحق فيها والله أعلم .

المسألة السابعة : في إثبات النزول لله عز وجل كما أخبر (١) .

ينفي المؤلف ما ثبت من نزول الله عز وجل في الأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، فبعد أن ساق حديث النزول قال في معرض الرد على أهل السنة : "... فكيف تأخذون بظاهر هذا الخبر ، مع أن الليل مختلف في البلاد باختلاف المشارق والمغارب ؟ وإذا كان ينزل لأهل كل أفق نزولا حقيقياً في ثلث ليلهم الأخير ، فمتى يستوي على عرشه حقيقة كما تقولون ؟ ومتى يكون في السماء حقيقة كما تقولون ؟ مع أن الأرض لا تخلو من الليل في وقت من الأوقات ، ولا في ساعة من الساعات ، كما هو ثابت مسطور ، لا يماري فيه إلا جهول مأفون !

ثم قال : "نقول لهؤلاء ما قاله حجة الإسلام الغزالى ، ونصه : "نقول للمتشبث بظواهر الألفاظ : إن كان نزوله من السماء الدنيا ليسمعنا نداءه ، فما أسمعنا نداءه ، فأي فائدة في نزوله ؟ ولقد كان يمكنه أن ينادينا كذلك ، وهو على العرش ، أو على السماء العليا . فلابد أن يكون ظاهر النزول غير مراد ، وأن المراد به شيء آخر غير ظاهره . وهل هذا إلا مثل من يريد وهو بالمشرق إسماع شخص في المغرب ، فتقدم إلى المغرب بخطوات معدودة ، وأخذ يناديه وهو يعلم أنه لايسمع نداءه ، فيكون نقله الأقدام عملا باطلا وسعيه نحو المغرب عبثاً صرفاً لا فائدة فيه . وكيف يستقر هذا في قلب عاقل" اهـ (٢) .

والجواب عما أورده المؤلف يتحقق بأمور وهي :

أولا :

أن هذه الصفة قد تواتر نقلها عن النبي صلى الله عليه وسلم بلا ريب وقد نقل هذا التواتر جماعة من أهل العلم ، منهم ابن عبد البر (٣) ، وشيخ الإسلام ابن

١ـ انظر : الرد على الجهمية للدارمي (٣٨ـ٥٠) ، الرد على المريسي (١٩ـ٢٣) ، التوحيد لابن خزيمة (١/٢٨٩ـ٣٢٧) ، الشريعة (٣٠٦ـ٣١٣) ، اللالكائي (٤٣٤ـ٤٥٣) ، التمهيد (٧/١٢٨) ، شرح حديث النزول لابن تيمية (وهو في مجموع الفتاوى (٥/٣٢١ـ٥٨٥) [فقد أفاض الكلام فيه في بيان ثبوت هذا الوصف ، وعالج شبه أهل الشبه حوله] ، مختصر الصواعق (٣٧٧ـ٤٠٧) [وقد ذكر فيه الرد على من قال بأن النزول مجاز من نحو عشرة أوجه] ، لوامع الأنوار البهية (١/٢٤٢ـ٢٥٠) ، الصفات الإلهية (٢٤٨ـ٢٥١) .

تيمية (١) ، وتلميذه ابن القيم (٢) ، والذهبي ، وقال : "قد ألفت أحاديث النزول في جزء وذلك متواتر أقطع به" اهـ (٣) قال اللالكائي : "رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم عشرون نفساً ، وروى ذلك عن بعض الصحابة ، كابن مسعود ، وابن عباس، وأم سلمة" . (٤) . اهـ

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية اتفاق سلف الأمة وعلمائها على التصديق بحديث النزول . (٥) .

قال ابن القيم : "وتواترت الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا" . (٦) وقال : "رواه عنه نحو ثمانية وعشرين نفساً من الصحابة ، وهذا يدل على أنه كان يبلغه في كل موطن ومجمع" (٧) . اهـ ثم عد رحمه الله هؤلاء الصحابة الذين رووه .

ومن هؤلاء الأصحاب [أبو هريرة ، وأبو سعيد ، وعلى ، وأبو بكر ، وجابر ، ورفاعة بن عرابة الجهني (٨) ، وأبو الدرداء ، وابن مسعود ، وجبير بن مطعم ، وأبو ثعلبة الخشني (٩) ، وعمرو بن عبسة (١٠) ، وعقبة بن عامر ، وأبو موسى الأشعري ، وعائشة أم المؤمنين] (١١) وعثمان بن أبي العاص ، وعبادة بن الصامت .

١- مجموع الفتاوى (٣٧٢/٥) .

٢- مختصر الصواعق (٣٧٨،٣٨٠،٣٩٨) .

٣- مختصر العلو (ص١١٠،ص١١٦).

٤- اللالكائي (٤٣٤ـ٤٣٥) وقد نقلته بتصرف ، ذلك لأن عبارته في المطبوع تشعر بوجود خطأ فيه ، فهؤلاء الذين عزى إليهم ـ وهم الثلاثة الذين سماهم ـ جاءت الرواية عنهم موقوفة . وانظر كذلك الشريعة (٣٠٧) .

٥- مجموع الفتاوى (٦١/٥،٦٢،٣٢٢) .

٦- مختصر الصواعق (٣٧٨، ٣٨٠،٣٩٨) .

٧- المصدر السابق (٣٨٠) .

٨- رفاعة بن عراية الجهني المدني ، صحابي جليل ، له حديث . التقريب (٢٥١/١) .

٩- هو صاحبي مشهور بكنيته ، قيل اسمه جرثوم ، أو جرثومة ، أو جرهم ، أو لاشر ، وقيل غير ذلك . واختُلف في اسم أبيه أيضاً . مات سنة (٧٥هـ) وقيل قبل ذلك . التقريب (٤٠٤/٢) .

١٠- عمرو بن عبسة بن عامر بن خالد السلمي ، أبو نجيح ، صحابي جليل ، أسلم قديماً ، وهاجر بعد أحد ، ثم نزل الشام . التقريب (٧٤/٢) .

١١- انظر اللالكائي (٤٣٤ـ٤٥٣) .

(١) وقد نقل أيضاً عن جماعة من الصحابة موقوفاً ، منهم ابن مسعود وابن عباس ، وأم سلمة رضي الله عنهم ، كما تقدم من كلام اللالكائي .

ثانياً : إيراد بعض الأحاديث في هذا الموضوع :

١ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : "إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة نزل إلى العباد ..." إلخ (٢) .

٢ـ حديث ابن مسعود مرفوعاً ، وفيه ـ في صفة الحشر ـ : "وينزل الله في ظلل من الغمام .." (٣) .

٣ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : "ينزل ربنا عز وجل كل لية إذا مضى ثلث الليل الأول .." . (٤) .

والرواية المشهورة إنما هي : "حيث يبقى ثلث الليل الآخر .." . (٥).

ثالثاً : ذكر بعض الآثار المنقولة عن سلف الأمة وأئمتها في هذا الموضوع : (٦) .

١ـ قال عبد العزيز بن المغيرة (٧) : "ثنا حماد بن سلمة بحديث نزول الرب جل جلاله فقال : من رأيتموه ينكر هذا فاتهموه" (٨) .

٢ـ قال حنبل بن إسحاق : "سألت أبا عبد الله ، أحمد بن حنبل ، عن الأحاديث التي تروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ، "إن الله ينزل إلى السماء

١ـ الشريعة (٣٠٨) .

٢ـ ابن خزيمة رقم (٢٤٨٢) ، والحاكم (٤١٩/١) والذهبي في العلو انظر المختصر رقم (٦٨) .

٣ـ مختصر العلو رقم (٦٩) .

٤ـ أحمد (٢٦٧/٢، ٢٨٣، ٤٣٣/٢) الإرواء (٤٥٠) ، ، مختصر العلو (٧٨) .

٥ـ الآجري في الشريعة من طرق عدة (ص٣٠٨ـص٣٠٩) واللالكائي ، انظر الارقام (٧٤٢ـ٧٤٥، ٧٥٢) والحديث مشهور جداً ، أخرجه البخاري في صحيحه رقم (١١٤٥) مع الفتح ، ومسلم رقم (٧٥٨) ، والترمذي رقم (٣٤٩٨) ، وابن ماجة رقم (١٣٦٦) ، وأحمد (٢٦٤/٢، ٢٦٧) والدارمي في السنن رقم (١٤٨٦ـ١٤٩٣) ، والدارمي في الرد على المريسي (ص١٩) ، وابن خزيمة في التوحيد الآثار : (١ـ٣١) والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٦٥ـ٥٦٧) .

٦ـ انظر اللالكائي (ص٤٤٩ـ٤٥٣) .

٧ـ عبد العزيز بن المغيرة بن أمي المنقري ، أبو عبد الرحمن الصفار البصري ، نزيل الري . قال عنه

الدنيا" ؟ . فقال أبو عبد الله : نؤمن بها ، ونصدق بها ، ولا نرد شيئاً منها ، إذا كانت أسانيد صحاح ، ولا نرد على رسول الله قوله ، ونعلم أن ما جاء به الرسول "حق" . حتى قلت لأبي عبد الله : ينزل إلى السماء الدنيا ؟ قال : قلت : نزوله بعلمه ، بماذا ؟!

فقال لي : اسكت عن هذا ! مالك ولهذا ! أمض الحديث على ما رُوي بلا كيف ، ولاحد ، إنما جاءت به الآثار ، وبما جاء به الكتاب .." . (١) .

٣ـ قال الآجري : "باب الإيمان والتصديق بأن الله عز وجل ينزل إلى سماء الدنيا كل ليلة ...الإيمان بهذا واجب ، ولا يسع المسلم العاقل أن يقول : كيف ينزل ؟ ولا يرد هذا إلا المعتزلة ؛ وأما أهل الحق فيقولون : الإيمان به واجب بلا كيف ، لأن الأخبار قد صحت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا كل ليلة ، والذين نقلوا إلينا هذه الأخبار هم الذين نقلوا إلينا الأحكام ، من الحلال والحرام ، وعلم الصلاة ، والزكاة ، والصيام ... كما قبل العلماء منهم ذلك ، كذلك قبلوا منهم هذه السنن ، وقالوا : من ردها فهو ضال خبيث ، يحذرونه ويحذرون منه .(٢) .

٤ ـ قال عباد بن العوام (٣) : "قدم علينا شريك واسطاً ، فقلنا له : إن عندنا قوماً ينكرون هذه الأحاديث ، "إن الله عز وجل ينزل إلى السماء الدنيا" ونحوه . فقال شريك : إنما جاءنا بهذه الأحاديث من جاء بالسنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ؛ الصلاة والصيام والزكاة والحج ، وإنما عرفنا الله عز وجل بهذه الأحاديث" .(٤)

٥ ـ قال الشافعي : "وليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا اتباعها بفرض الله عز وجل . والمسألة بكيف ؟ في شيء قد أتت به السنة ، مما لا يسع عالماً ، والله أعلم" .(٥) .

١ـ اللالكائي (ص٤٥٣) رقم (٧٧٧) .

٢ـ الشريعة (٣٠٦) .

٣ـ عباد بن العوام بن عمر الكلابي مولاهم ، أبو سهل الواسطي ، مات سنة(١٨٥هـ) أو بعدها ، وعمره نحو سبعين سنة . التقريب (١/٣٩٣) .

٤ـ الشريعة (٣٠٦) .

٥ـ الشريعة (٣٠٦) .

٦ ـ قال إسحاق الكوسج(١) : "قلت لأحمد : "ينزل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة .." أليس تقول بهذه الأحاديث ؟ . قال أحمد : كل هذا صحيح . قال إسحاق : هذا صحيح ، ولا يدعه إلا مبتدع ، أو ضعيف الرأي" (٢) .

وقد نُقل إقرار هذه الصفة عن غير هؤلاء ممن لا يحصيهم إلا خالقهم عز وجل ، كمحمد بن الحسن(٣) (٤) ، وعبيد بن عمير (٥) ، وإسحاق بن راهويه (٦) ، [وعطاء ، وعمر بن عبد العزيز ، ومكحول (٧) ، وكعب الأحبار] (٨) .

رابعاً :

أن القول في النزول ، كالقول في سائر الصفات الواردة في الكتاب والسنة ، ولا يجوز التفريق بين تلك الصفات إلا بدليل مقبول (٩) .

"وقد وقع كثير من الذين تابعوا المتكلمين في كثير من أصولهم وقواعدهم ، في تناقضات كثيرة . والمتكلمون يعرفون من حقائق أصولهم ولوازمها مالا يعرفه كثير من موافقيهم على أصل المقالة ولم يعرف حقيقتها ولوازمها . وهذا الذي يُوجِد الكثير من التناقضات في كلام أمثال هؤلاء .

فإن نصوص الكتاب والسنة ، وآثار السلف ، متظاهرة بالإثبات ، وليس على النفي دليل واحد ، لا من كتاب ، ولا من سنة ، ولا من أثر ، وإنما أصله قول الجهمية ، فلما جاء ابن كُلاب ففرق .. ووافقه كثير من الناس على ذلك ، فصار كثير من الناس يقر بما جاء عن السلف ، وما دل عليه الكتاب والسنة ، وبما يقوله النفاة

١- هو الإمام الحافظ ، أبو يعقوب ، إسحاق بن منصور بن بهرام المروزي ، نزيل نيسابور . ولد بعد السبعين ومائة . وتوفي بها سنة (٢٥١هـ) . السير (١٢/٢٥٨) .

٢- الشريعة (٣٠٧) .

٣- هو محمد بن الحسن بن فرقد العلامة ، فقيه العراق ، أبو عبد الله الشيباني الكوفي ، صاحب أبي حنيفة . ولد سنة (١٣٢هـ) وتوفي سنة (١٨٩هـ) . السير (٩/١٣٤) .

٤- مختصر العلو رقم (١٦٤) .

٥- المصدر السابق رقم (٩٩) .

٦- مختصر العلو الأرقام (٢٣٤ـ٢٣٧) .

٧- هو مكحول الشامي ، أبو عبد الله ، ثقة فقيه كثير الإرسال ، توفي سنة بضع عشرة ومائة . التقريب (٢/٢٧٣) .

مما يناقض ذلك ، ولا يهتدي للتناقض" . (١) .

خامساً :

لا يجوز أن تُقاس صفات الخالق على صفات المخلوق ، ثم تُنفى صفات الخالق جل وعلا ؛ كما يفعله أهل التعطيل ، الذي وقعوا فيه بعد التمثيل !! فإن للخالق وصفه الذي يليق به ، كما أن للمخلوق وصفه الذي يليق به .. كما أن الأذهان والأفهام لا تحيط بوصف الخالق ، ولا تدري وتدرك كيفيته .. سبحانه وتعالى .. وإذا امتنع على الذهن إدراك الكيفية والحقيقة للصفات ، فليس هذا مبيحاً له نفيها وتعطيل الخالق منها ، بل عليه التسليم كما أمره ربه جل وعلا .

وعليه يُقال : "إن النزول الذي لا يكون من جنس نزول أجسام العباد ، فهذا لا يمتنع أن يكون في وقت واحد لخلق كثير(٢) ، ويكون قدره لبعض الناس أكثر .. بل لا يمتنع أن يقرب إلى خلق من عباده دون بعض ، فيقرب إلى هذا الذي دعاه ، دون هذا الذي لم يدعه .

وجميع ما وصف به الرب عز وجل نفسه من القرب ، فليس فيه ما هو عام لجميع المخلوقات ، كما في المعية ؛ فإن المعية وصف نفسه فيها بعموم وخصوص . وأما قربه مما يقرب منه ، فهو خاص لمن يقرب منه ، كالداعي والعابد ، وكقربه عشية عرفة ، ودنوه إلى السماء الدنيا لأجل الحجاج ؛ وإن كانت تلك العشية بعرفة قد تكون وسط النهار في بعض البلاد ، وتكون ليلا في بعض البلاد ؛ فإن تلك البلاد لم يدن إليها ، ولا إلى سمائها الدنيا ، وإنما دنا إلى السماء الدنيا التي على الحجاج ، وكذلك نزوله بالليل ، وهذا كما أن حسابه لعباده يوم القيامة يحاسبهم كلهم في ساعة واحدة ، وكل منهم يخلو به ، كما يخلو الرجل بالقمر ليلة البدر ، فيقرره بذنوبه ، وذلك المحاسَب لا يرى أنه يحاسب غيره ، كذلك قال أبو رزين (٣) للنبي صلى الله عليه وسلم ، لما قال النبي صلى الله عليه وسلم : "ما منكم من أحد

١ـ ما بين الأقواس من كلام شيخ الإسلام (بتصرف) الفتاوى (٤٦٧/٥) .

٢ـ راجع مجموع الفتاوى (٤١٨/٥، ٤٦٤ـ٤٨٣) .

٣ـ هو لقيط بن صبرة ، صحابي جليل ، ويقال إنه جده ، واسم أبيه عامر ، وهو أبو رزين العقيلي . والأكثر على أنهما اثنان . التقريب (١٣٨/٢) .

إلا سيخلو به ربه ، كما يخلو أحدكم بالقمر ليلة البدر . قال : يا رسول الله كيف ونحن جميع وهو واحد ؟ فقال : سأنبئك بمثل ذلك في آلاء الله : هذا القمر ، كلكم يراه مخلياً به ؛ فالله أكبر" .

وقال رجل لابن عباس رضي الله عنه : "كيف يحاسب الله العباد في ساعة واحدة ؟ قال : كما يرزقهم في ساعة واحدة" .

وكذلك ما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً : "يقول الله : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين : فنصفها لي ، ونصفها لعبدي ، ولعبدي ما سأل . فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ، قال الله : حمدني عبدي . فإذا قال العبد : الرحمن الرحيم . قال الله : أثنى علي عبدي . فإذا قال العبد : مالك يوم الدين . قال الله : مجدني عبدي .." إلخ . فهذا يقوله سبحانه وتعالى لكل مصلٍ قرأ الفاتحه ، فلو صلى الرجل ما صلى من الركعات قيل له ذلك ، وفي تلك الساعة يصلي من يقرأ الفاتحة من لا يحصي عدده إلا الله ، وكل واحد منهم يقول الله له كما يقول لهذا ، كما يحاسبهم كذلك ، فيقول لكل واحد ما يقول له من القول في ساعة واحدة . وكذلك يسمع كلامهم كلهم ، مع اختلاف لغاتهم وحاجاتهم ، ويسمع دعاء بعضهم سماع إجابة .. ويسمع كل ما يقولونه سمع علم وإحاطة ، لا يشغله سمع عن سمع ، ولا تغلطه المسائل ، ولا يتبرم بإلحاح الملحين ، فهو سبحانه الذي خلق هذا كله . وهو الذي يرزق هذا كله .. وكرسيه قد وسع السماوات والأرض ، ولا يؤده حفظهما ، فإذا كان لا يؤوده خلقه ورزقه على هذه التفاصيل ، فكيف يؤوده العلم بذلك ؛ أو سمع كلامهم ؛ أو رؤية أفعالهم ؛ أو إجابة دعائهم سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً . ﴿وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسماوات مطويات بيمينه ، سبحانه وتعالى عما يشركون﴾ (١) وقد ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "يقبض الله الأرض ، ويطوي السماوات بيمينه ، ويقول : أنا الملك ، أين ملوك الأرض ؟!" .

وفي حديث ابن عمر رضي الله عنهما أبلغ من ذلك ـ والسياق لمسلم ـ عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "يطوي الله السماوات يوم القيامة ، ثم يأخذهن

بيده اليمنى ، ثم يطوي الأرضين بشماله ، ثم يقول : أنا الملك ، أين الجبارون ، أين المتكبرون"

وفي حديث ابن عمر أيضاً : "رأيت النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر وهو يقول : يأخذ الجبار سماواته وأرضه ـ وقبض بيده ، وجعل يقبضها ويبسطها ـ ويقول : أنا الرحمن ، أنا الملك ، أنا القدوس ، أنا السلام ، أنا المؤمن ، أنا المهيمن ، أنا العزيز ، أنا الجبار ، أنا المتكبر ، أنا الذي بدأت الدنيا ولم تك شيئاً ، أنا الذي أعيدها ، أين الجبارون ، أين المتكبرون ؟ ويتميل رسول الله على يمينه وعلى شماله ، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه ، حتى أني أقول : أساقط هو برسول الله صلى الله عليه وسلم" .

فإذا كان سبحانه يطوي السماوات كلها بيمينه ، وهذا قدرها عنده ؛ كما ورد في الخبر : "ما السماوات السبع ، والأرضون السبع ، وما فيهن ، وما بينهن في يد الرحمن ، إلا كخردلة في يد أحدكم" وهو سبحانه بين لنا من عظمته بقدر ما نعقله .

فمن هذه عظمته ، كيف يحصره مخلوق من المخلوقات ، سماء أو غير سماء ؟! حتى يقال : إنه إذا نزل إلى السماء الدنيا صار العرش فوقه ، أو يصير شيء من المخلوقات يحصره ويحيط به سبحانه" .(١) .

وأما ما أورده الغزالي من أنه إن كان ينزل ليسمعنا نداءه فما أسمعنا .. وعليه فيكون نداؤه إذا نزل ، ونداؤه فوق العرش سواء !

فهذا الاعتراض مردود ، فلم يدَّع أحد من أهل السنة أنه نزل من أجل إسماعنا هذا النداء !

١ـ هذا الذي بين الأقواس "" لخصته من كلام شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى وبتصرف (٥/٤٧٨ـ٤٨٣) وانظر (٥/٤٧٤ـ٤٧٦) .

وإنما أخبرنا عن هذا النزول الإلهي ، عن طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أجل أن يزداد التقرب إليه ، والمناجاة والرغبة ..

ثم إن في النزول من المعاني ما فيه ! من قرب الرب تبارك وتعالى لعبده ، وتنزل رحمته ، وإحسانه ، وعطاءه ، وجوده ، ومغفرته ، وغير ذلك مما لم يفقه أفراخ الجهمية وأشياعهم ، والله المستعان !

التعقيب على ما نقله المؤلف عن محمد عبده (١) .

نقل المؤلف كلاماً لمحمد عبده قال فيه : ".. فإن قلت : إن كلام الله ، وكلام النبي صلى الله عليه وسلم ، مؤلف من الألفاظ العربية ، ومدلولاتها معلومة لدى أهل اللغة ، فيجب الأخذ بمدلول اللفظ كائنا ما كان .

قلت : حينئذ لا يكون ناجياً إلا طائفة المجسمة الظاهريون ، القائلون بوجوب الأخذ بجميع النصوص .. مع أنه لايخفى ما في آراء هذه الطائفة من الضلال والإضلال" اهـ (٢) .

والذي ندين الله به هو أن الطائفة الناجية ، هم أهل السنة والجماعة ، دون من سواهم وخالفهم .. ولهذا المخالف من البعد عنهم بقدر مخالفته .

أما نسبة أهل السنة إلى الضلال والإضلال ، فليس بمستغرب من أضرابه من الجهمية .. ولقد اتهم عمرو بن عبيد ابن عمر رضي الله عنه بأنه حشوي ..! بل اتهم بعضهم بعض الأنبياء بالتشبيه كما مر بك سابقاً . (٣) . وهؤلاء هم أسلافه الذين يقتدي بهم ، ﴿تشابهت قلوبهم﴾ (٤)، ﴿أتواصوابه بل هم قوم طاغون﴾ (٥).

ثم يضيف : ".. مع سلوكهم طريقاً ليس يفيد اليقين بوجه ، فإن للتخاطبات مناسبات ترد بمطابقتها ، فلا سبيل إلا الاستدلال العقلي ، وتأويل ما يفيد بظاهره نقصاً إلى ما يفيد الكمال ، وإذا صح التأويل للبرهان ، في شيء صح في بقية الأشياء حيث لا فرق بين برهان وبرهان ولا لفظ ولفظ" اهـ .

وأنت تعلم جيداً مراده بالطرق اليقينية ، والأدلة القطعية .. وقد سبق الكلام مستوفى في ذلك ، كما تبين لك أيضاً فساد مثل قوله : "وتأويل ما يفيد بظاهره نقصاً إلى ما يفيد الكمال" وأن في هذا الكلام قدحاً في المتكلم بالقرآن ، كما أنه قدح في القرآن نفسه .. وقدح في الرسول صلى الله عليه وسلم ، وفي كلامه .. كما أنه قدح في سلف الأمة ، الذين آمنوا به على ظاهره ، دون التعرض له بتحريف .. وهذه المقولة تحوي شراً عظيماً ، إذ يلزم منها أن صاحبها أحكم وأعلم وأبين من

١ـ انظر المناهل (٢/١٩٢ـ١٩٣) .

٢ـ انظر المناهل (٢/١٩٢ـ١٩٣) .

٣ـ انظر ص (٥١٠).

٤ـ البقرة (١١٨) .

٥ـ الذاريات (٥٣) .

المتكلم بهذا القرآن ؛ والله المستعان .

ثم إنا لا نسلم له جواز التأويل ـ أعني التحريف ـ في بعض النصوص ، حتى يلزمنا بجوازه في الباقي منها !! وإنما هذا الإلزام ينصب على أهل طريقته ، نفياً وإثباتاً .

وسيأتي الكلام في موقف السلف من التأويل قريباً إن شاء الله .

ومن كلامه أيضاً :"إن الوحي من الله للنبي صلى الله عليه وسلم تنزيلا وإنزالا ونزولا لبيان علو مرتبة الربوبية ، لا أن هناك نزولا حسياً من مكان مرتفع إلى مكان منخفض !

ومن العجيب أنهم يقولون في الرد على هذا : إن علو الله على خلقه حقيقة أثبتها لنفسه في كتابه ، لا حاجة لتأويله بعلو مرتبة الربوبية" اهـ

وقد سبق أن بينا لك بطلان هذا الكلام ، عند الحديث عن نزول القرآن ومعناه (١) ، وبينا هناك أدلة العلو أيضاً ، كما أفردنا مسألة العلو بكلام خاص في موضع آخر (٢) ، وتحدثنا عن الاستواء وثبوته للرب تبارك وتعالى في موضع ثالث (٣) .

ثم يقول : "وليت شعري إذا لم تؤول بعلو مرتبة الربوبية ، فماذا تريد منه ؟! وهل بقي بعد ذلك شيء غير العلو الحسي ، الذي يستلزم الجهة والتحيز ؟ ولا يمكن نفي ذلك اللازم عنه ، متى أردنا العلو الحسي ، فإن نفي التحيز عن العلو الحسي غير معقول ، ولا معنى للاستلزام إلا هذا" اهـ

ونقول له : أهل السنة يثبتون العلو الحقيقي ، كما أثبته الله تعالى لنفسه ، وكما أثبته له رسوله صلى الله عليه وسلم ، أما كون ذلك يستلزم الجهة والتحيز ، فنسأل هذا القائل ما يعني بالجهة والتحيز ؟ كما تقدم . (٤) .

وهؤلاء ينفون الجهة ويريدون نفي العلو ! كما ينفون التحيز ويريدون نفي الاستواء .. !!

لكن إن كان المراد بالتحيز أو الجهة أن شيئاً من مخلوقاته يحصره أو

١ـ انظر ص (١٩١).

٢ـ انظر ص (٢٠٣).

يحيط به ، فهو منزه عن ذلك ولا ريب .

وقال أيضاً : "... المتتبع لكلامهم يجد فيه العبارات الصريحة في إثبات الجهة لله تعالى ، وقد كفر العراقي وغيره مثبت الجهة لله تعالى ، وهو واضح . لأن معتقد الجهة لا يمكنه إلا أن يعتقد التحيز والجسمية ، ولا يتأتى غير هذا .." اهـ ومن المعلوم أن أهل السنة يثبتون العلو ..لكن لفظ الجهة محدث ،وفيه إجمال سبق وأن بيناه ..

فإن كان يريد بالجهة العلو ـ وهو يعني ذلك ـ فإن هذا ثابت في الكتاب والسنة المتواترة ، وعليه أجمع أهل السنة ..

وعليه يقال لمن كفر مثبت العلو ، إنك تنسب الكفر لمن نقل تلك النصوص المتواترة في إثبات العلو وآمن بها !! (١) .

أما كون إثبات الجهة يستلزم التحيز والجسمية ، فهذا يتوقف على المعنى المراد بلفظ الجهة ! فإن كان المراد بالجهة أمراً مخلوقاً فإن هذا الكلام يكون مسلماً .

وأما إن كان المراد به ما فوق العالم ، وهو العلو المطلق ، فلا يسلم كلامه .

ثم إن الكلام في الصفات كالكلام في الذات ، والكلام في بعض الصفات كالكلام في البعض الآخر ...

١ـ هذا بالإضافة إلى أن كثيراً من الائمة الكبار قد نصوا على تكفير من نفى الاستواء والفوقية .

تعقيب على كلام ابن اللبان (١)

نقل المؤلف كلاماً لابن اللبان ، هو بحق من الكلام المتشابه ، الذي يحتمل المعاني المختلفة !!

وخلاصة هذا الكلام كما نقل المؤلف هي : "ليس في الوجود فاعل إلا الله ، وأفعال العباد منسوبة الوجود إليه تعالى ، بلا شريك ولا معين ، فهي في الحقيقة فعله ..

ومن المعلوم أن أفعال العباد لابد فيها من توسط الجوارح ، مع أنها منسوبة إليه تعالى ، وبذلك يعلم أن لصفاته تعالى في تجلياتها مظهرين :

مظهر عبادي منسوب لعباده ، وهو الصور والجوارح الجثمانية .

ومظهر حقيقي منسوب إليه ، وقد أجرى عليه أسماء المظاهر العبادية المنسوبة لعباده ، على سبيل التقريب لأفهامهم ، والتأنيس لقلوبهم" اهـ

وكان ابن اللبان ـ كما يبدو ـ يريد بالمظهر الأول : ظواهر نصوص الصفات ، كاليد ، والوجه ، والنزول ، والعينين ..وما إلى ذلك من الصفات .. وأن الله تعالى ـ على زعمهم ـ عبر بهذه العبارات للتقريب إلى الأفهام والأذهان ، وإلا فليس له وجه ولا يد ولا عينين، ولا نزول ، ولا استواء ... وعليه فيكون هذا الكلام موافقاً لكلام الرازي الذي سيأتي الكلام عليه قريباً إن شاء الله (٢) ، وهذا بعينه هو مذهب أهل التخييل !!

ثم قال : "ولقد نبه في كتابه تعالى على القسمين ، وأنه منزه عن الجوارح في الحالين" اهـ وقوله :"الجوارح" يرد عليه بأن هذا اللفظ لم يرد في الكتاب ولا في السنة ، فيجب البعد عنه نفياً وإثباتاً . وهم يطلقون هذه العبارة ويريدون بها بعض الصفات ، وهي الصفات الذاتية غير المعنوية ، كاليد والوجه ..

ثم ذكر ابن اللبان مثالين لا يغنيان عنه فيما نحن فيه شيئاً !! ثم ذكر كلاماً بعدهما يشبه ما تقدم ،والله المستعان .

المسألة الثامنة في بيان موقف أهل السنة من التأويل لنصوص الصفات.(١) .

نقل المؤلف اتفاق العلماء على ثلاثة أمور تتعلق بـ "بمتشابه الصفات" كما سماه المؤلف ..

والأول منها : صرفها عن ظواهرها ..

والثاني : وجوب تأويلها إذا توقف الدفاع عن الإسلام على ذلك .

والثالث : إن كان للمتشابه تأويل واحد يفهم منه فهما قريباً وجب القول به إجماعاً . ومثل له بالمعية ..(٢) وقد تحدثنا عن بعض هذا الكلام فيما سبق ، ومرادنا هنا الكلام على مسألة التأويل دون ما عداها من المسائل .

وقد قال المؤلف في موضع آخر : ".. إن القول بكون السلف والخلف مجمعين على تأويل المتشابه قول له وجه من الصحة ، لكن بحسب المعنى اللغوي ، أو ما يقرب من المعنى اللغوي .." (٣) ا. هـ .

وقال : "أما التأويل القائم على تحكيم البراهين القاطعة ، واتباع الهداية الراشدة ، فليس من هذا القبيل الذي حظره الله وحرمه .." . اهـ (٤) .

وقال أيضاً : ".. فمن لم يصرف لفظ المتشابه عن ظاهره الموهم للتشبيه ، أو المحال ، فقد ضل ، كالظاهرية ، والمشبهة .." . اهـ(٥) .

وقد سبق أن بينا (٦) أن لفظ التأويل يراد به التفسير المبين لمراد الله تعالى ، وهذا يحمد ولا يعاب .

ويراد به أيضاً الحقيقة التي استأثر الله بعلمها ، فذلك الذي لا يعلمه إلا الله ..

والتأويل المذموم هو تأويل أهل التحريف والتبدع ، الذين يتأولون القرآن على غير تأويله ... ويصرفون اللفظ عن مدلوله إلى غير مدلوله بغير دليل يوجب

---

١ المناهل (١٨٢/٢، ١٩٧ـ١٩٨) .

٢ـ المناهل (١٨٢/٢) .

٣ـ المناهل (١٩٧/٢) .

٤ـ المناهل (١٩٧/٢) .

٥ـ المناهل (١٩٨/٢) .

٦ـ انظر ص (٣٥٠).

ذلك .

هذا وإن ما يزعمونه من المحاذير التي تكون في ظاهر اللفظ لازمة لهم فيما أثبتوه بطريق العقل . فهم يصرفونه إلى معان هي نظير المعاني التي نفوها عنه ، وفروا من الإقرار بها .

فيكون ما نفوه من جنس ما أثبتوه ، فإن كان الثابت حقاً ممكناً ، كان المنفي مثله ، وإن كان المنفي باطلا ممتنعاً ، كان الثابت مثله . (١) .

وهذا النوع من التأويل ـ وهو المذموم ـ هو المشهور في اصطلاح كثير من المتأخرين !! علماً بأنه لم يكن معروفاً عند سلف هذه الأمة .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية : "إن جميع ما في القرآن من نصوص الصفات ، فليس عن الصحابة اختلاف في تأويلها . وقد طالعت التفاسير المنقولة عن الصحابة ، وما رووه من الحديث ، ووقفت من ذلك على ما شاء الله تعالى من الكتب الكبار والصغار ، أكثر من مائة تفسير ، فلم أجد إلى ساعتي هذه عن أحد من الصحابة أنه تأول شيئاً من آيات الصفات ، وأحاديث الصفات ، بخلاف مقتضاها المفهوم المعروف ، بل عنهم من تقرير ذلك وتثبيته ، وبيان أن ذلك من صفات الله ، ما يخالف كلام المتأولين ، مالا يحصيه إلا الله .." . (٢) اهـ

قال ابن عبد البر : "أهل السنة مجمعون على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة ، والإيمان بها ، وحملها على الحقيقة لا على المجاز ، إلا أنهم لا يكيفون شيئاً من ذلك ... وأما أهل البدع ، من الجهمية والمعتزلة والخوارج فينكرونها ، ولا يحملونها على الحقيقة ، ويزعمون أن من أقربها مشبه .." (٣)اهـ .

ولقد نقل هذا المذهب عن السلف والأئمة كثير من أهل العلم ، كالقاضي أبي يعلى في كتابه : "إبطال التأويل" والبيهقي في "الأسماء والصفات" . (٤) .

قال أبو يعلى : "ويدل على إبطال التأويل : "أن الصحابة ومن بعدهم من التابعين حملوها على ظاهرها ، ولم يتعرضوا لتأويلها ، ولا صرفوها عن ظاهرها ،

١ـ انظر الفتاوى (٣/٦٦ـ٦٧) .

٢ـ المصدر السابق (٦/٣٩٤) .

فلو كان التأويل سائغاً لكانوا أسبق إليه .." . (١) اهـ

وكذا جاء النقل عن أبي الحسن الأشعري (٢)، وأبي المعالي الجويني (٣) رحمهما الله .

بيان ما يقبل التأويل من الكلام ومالا يقبله :

"لما كان وضع الكلام للدلالة على مراد المتكلم ؛ وكان مراده لا يعلم إلا بكلامه ، انقسم كلامه إلى ثلاثة أقسام :

أحدها : ما هو نص في مراده ، لا يقبل احتمالا غيره .

الثاني : ما هو ظاهر في مراده ، وإن احتمل غيره .

الثالث : ما ليس بنص ولا ظاهر في المراد ، بل هو محتمل محتاج إلى البيان .

فالأول : يستحيل دخول التأويل فيه ، لأن تأويله كذب ظاهر على المتكلم

وهذا شأن عامة نصوص القرآن الصريحة في معناها ، خصوصاً آيات الصفات والتوحيد . إذ دلالتها على مرادها كدلالة لفظ العشرة والثلاثة على مدلولها .

فهذا القسم إن سلط التأويل عليه عاد الشرع كله مؤولا ، لأنه أظهر أقسام القرآن ثبوتاً ، وأكثرها وروداً ودلالة . ودلالة القرآن عليه متنوعة غاية التنوع .

القسم الثاني : ما هو ظاهر في مراد المتكلم ، ولكنه يقبل التأويل ، فهذا ينظر في وروده ، فإن اطرد استعماله على وجه واحد استحال تأويله بما يخالف ظاهره ، لأن التأويل إنما يكون لموضع جاء خارجاً عن نظائره ، متفرداً عنها ، فيؤول حتى يرد إلى نظائره ، وتأويل هذا غير ممتنع إذا عرف من عادة المتكلم باطراد كلامه في توارد استعماله معنىً ألفه المخاطب ، فإذا جاء موضوع يخالفه رده السامع إلى ما عهد من عرف المخاطب إلى عادته المطردة .

وقد صرح أئمة العربية ، بأن الشيء إنما يجوز حذفه إذا كان الموضع الذي ادعي فيه حذفه قد استعمل فيه ثبوته أكثر من حذفه ؛ فلابد أن يكون موضع ادعاء الحذف قد استعمل فيه ثبوته أكثر من حذفه ، حتى إذا جاء ذلك محذوفاً في موضع ،

١ـ مجموع الفتاوى (٥/٩٠) .

٢ـ مجموع الفتاوى (٥/٩٠) .

٣ـ مجموع الفتاوى (٥/١٠٠ـ١٠١) .

علم بكثرة ذكره في نظائره أنه قد أزيل في هذا الموضع فحمل عليه فهذا شأن من يقصد البيان ، وأما من يقصد التلبيس والتعمية فله شأن آخر .

القسم الثالث : الخطاب بالمجمل الذي أحيل بيانه على خطاب آخر ، فهذا أيضاً لا يجوز تأويله إلا بالخطاب الذي يبينه ، وقد يكون بيانه معه ، وقد يكون بيانه منفصلا عنه .

والمقصود أن الكلام الذي هو عرضة التأويل ما يكون له عدة معان وليس معه ما يبين مراد المتكلم ، فهذا التأويل فيه مجال واسع ، وليس في كلام الله ورسوله منه شيء من الجمل المركبة ، وإن وقع في الحروف المفتتح بها السور" .اهـ(١).

×إيقاظات :

الأول :

ذكر المؤلف أن آيات الصفات من المتشابه (١) ، في مواضع متعددة من هذا المبحث .. وقد سبق الكلام عن هذا ، فلا نطيل الكلام بإعادته . (٢) (٣) .

الثاني :

عند تعداد المؤلف للحِكَم من وجود المتشابه الذي استأثر الله بعلمه قال : "ثالثتها : ما ذكره الفخر الرازي بقوله : "إن القرآن يشتمل على دعوة الخواص والعوام ، وطبائع العوام تنبو في أكثر الأمور عن إدراك الحقائق ، فمن سمع من العوام في أول الأمر إثبات موجود ليس بجسم ، ولا متحيز ، ولا مشار إليه ؛ ظن أن هذا عدم ، ونفي محض ، فيقع في التعطيل ، فكان الأصلح أن يخاطبوا بألفاظ دالة على بعض ما يناسب ماتخيلوه وما توهموه ، ويكون ذلك مخلوطاً بما يدل على الحق الصريح .."(٤) اهـ .

وهذا الكلام المنقول عن الرازي فيه كثير من المغالطات أكتفي بالإشارة إليها بإيجاز ، فمنها : أن كلام الفخر هذا فيه تأثر واضح بكلام بعض الفلاسفة ـ أهل التخيل ـ الذين زعموا أن الرسل خيلوا للعوام أموراً كثيرة لميلهم إليها .. !! فوصفوا لهم الجنان بصفات كثيرة .. وأبرزوا لهم ما فيها من النعيم والملذات بشكل واسع .. كل ذلك ـ بزعمهم ـ لأن العوام لا يجلبهم إلا مثل هذا .. بخلاف خواص الخلق !! فلهم حال تختلف عن حال هؤلاء تماماً .. !!

فكلام الرازي هنا مثل كلام أولئك هناك !! ولا فرق !! (٥).

إنه يزعم ـ والمؤلف يقرره ـ أن الرسل والكتب قد تواطأت على مخاطبة العامة ـ فيما يتعلق بأسماء الله وصفاته ـ بما يتناسب مع وثنياتهم التي أخرجهم

---

١ ـ انظر مناهل العرفان (٢/١٧٥،١٧٧،١٧٩،١٨٢ـ١٩٨) .

٢ـ راجع ص (٣٤٩).

٣ـ تنبيه : ومن جملة ما عده المؤلف من المتشابه من حيث المعنى ، النصوص التي تخبر عن أهوال القيامة ، أو عن نعيم الجنة ، أو عذاب النار .. ـ كما في (ج١ص١٧٥) ـ وهذا غير صحيح ، لأن المعاني التي وردت بها أمثال تلك النصوص معروفة .. وإنما التشابه من حيث الكيفية والكنه .

٤ـ المناهل (٢/١٧٩) .

٥ـ انظر لوامع الأنوار البهية (١/١٩٣ـ١٩٥) .

الإسلام منها !!

ولذا ـ على زعمهم ـ جاء ذكر الاستواء ، واليد ، والوجه ، والعين ، وما شابه ذلك صريحاً في كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم ، مع أن ذلك كله على خلاف الحقيقة !! فليس ثمة استواء ، ولا يد ، ولا وجه ، ولا عين !! وإنما عبر بذلك لأن العوام لا تقتنع عقولهم بمعبود إلا وله مثل هذه الأوصاف ، والتي هي عند الخواص كالرازي والزرقاني في عداد الأبعاض والأعضاء التي يتنزه الله تعالى عنها ولا تليق به بحال !!

وعليه فيكون القرآن الذي نزل للهداية والبيان .. موهماً للباطل ، بل دالا عليه ـ بزعمهم ـ لاقتضاء المصلحة ذلك !! تعالى الله ، وتنزه كتابه ، ورسوله ، مما يقولون ويدعون ، والله المستعان

ثم إن هذا الفهم الذي نسبه للعوام ـ عندما يقال لهم عن معبودهم بأنه ليس بجسم ولا متحيز ولا مشار إليه .. إلخ كلامهم المعروف في هذا .. ـ وهو العدم المحض ، صحيح تماماً .. فلو طلب من هؤلاء المتكلمين أن يُعرِّفوا العدم لم تجُد قرائحهم بأبلغ من هذا الوصف المنمق .

بالإضافة إلى أن هذه الألفاظ التي ساقها الرازي ألفاظ مجملة حادثة مبتدعة .. "كالجسم والتحيز .." وهم يريدون بها معان باطلة قطعاً ..

فهم ينفون الجسمية ويريدون بذلك نفي الصفات الذاتية والفعلية .. كاليد، والوجه ، والنزول ، والاستواء ونحو ذلك من الصفات ، بناء على قواعدهم المعروفة .

كما ينفون التحيز ويريدون به نفي العلو والاستواء على العرش .. !! وما شابه ذلك من عقائدهم الفاسدة ، كنفي شيوخهم من المعتزلة للرؤية .. وإثبات هؤلاء التلاميذ لها ، لكن لا في جهة .. إلخ كلامهم في هذه المسائل .

وأما قوله عن الرب تعالى : "ولا مشار إليه" فهو يريد به نفي العلو عنه تعالى ؛ ويكفي في رد هذه الشبهة سؤال النبي صلى الله عليه وسلم للجارية بقوله : "أين الله" ؟ قالت : في السماء . "قال : من أنا ؟ قالت : أنت رسول الله صلى

الله عليه وسلم . قال : أعتقها فإنها مؤمنة" .(١)قال الإمام الذهبي رحمه الله عقب هذا الحديث : "هذا حديث صحيح ، أخرجه مسلم ، وأبو داود ، والنسائي ، وغير واحد من الأئمة في تصانيفهم ، يمرونه كما جاء ، ولا يتعرضون له بتأويل ولا تحريف .

وهكذا رأينا كل من يُسأل : أين الله ؟ يبادر بفطرته ويقول : في السماء ؛ ففي الخبر مسألتان :

إحداهما : شرعية قول المسلم : أين الله ؟

وثانيهما : قول المسؤول: في السماء . فمن أنكر هاتين المسألتين فإنما ينكر على المصطفى صلى الله عليه وسلم" . اهـ (٢) .

ومن ذلك أيضاً حديث جابر رضي الله عنه : "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم عرفة : ألا هل بلغت ؟ فقالوا نعم ـ فجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكتها إليهم ـ ويقول اللهم اشهد" .(٣) وليس هذا مجال التدليل والإثبات لهذه المسألة ، فقد مر الكلام عليها فيما سبق .

الثالث :

ما نقله عن بعض العارفين وفيه : ".فخضعوا لباريهم لاستنزال العلم اللدني بعد أن استعاذوا به من الزيغ النفساني" . اهـ(٤) .

والمطلوب هو لفت النظر إلى أن هذه العبارة يكثر تداولها عند دعاة التصوف .. ويمثلون له بعلم الخضر .. ويدعون مثل هذا العلم لأوليائهم وأوتادهم وأقطابهم !

الرابع :

ما نقله المؤلف عن الرازي حيث قال : "لو كان ـ أي القرآن ـ كله محكماً بالكلية ، لما كان مطابقاً إلا لمذهب واحد . وكان بصريحه مبطلا لجميع المذاهب

١ـ أخرجه مسلم برقم (٥٣٧) ، كتاب المساجد باب (٧) حديث (٣٣) ، كما أخرجه آخرون كالذهبي في العلو في انظر مختصر العلو رقم (١) .

٢ـ مختصر العلو ، الحديث الأول والتعليق عليه (ص٨١) .

٣ـ أخرجه مسلم برقم (١٢١٨) / كتاب الحج باب (١٩) حديث (١٤٧) . وهذا لفظ الذهبي في العلو انظر مختصره رقم (٢) .

٤ـ المناهل (١٨٠/٢) .

المخالفة له . وذلك منفر لأرباب المذاهب الأخرى عن النظر فيه ، أما وجود المتشابه والمحكم فيه فيطمع كل ذي مذهب أن يجد ما يؤيد مذهبه ، فيضطر إلى النظر فيه ، وقد يتخلص المبطل عن باطله ، إذا أمعن النظر فيصل إلى الحق"(١) اهـ

فهو يرى أن القرآن لا يطابق مذهباً واحداً !! وأنه ليس بصريحه يبطل المذاهب الأخرى ، المخالفة لذلك المذهب !

وهذا مرفوض تماماً ، لأن القرآن إنما هو كتاب منزل للهداية والبيان .. وقد يسره الله تعالى وقربه للأفهام ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ (٢) .. وهو يدل على مذهب سلف هذه الأمة وأئمتها لا غير ؛ كما أنه يبطل مذهب من خالفهم !

هذا هو الواجب اعتقاده في القرآن .. لا أن يقال بأنه ليس بتلك المثابة ، فإن في ذلك طعناً فيه ، وفي منزله ، تعالى الله عن ذلك . ولذا نجد أن المتمسكين به هم أهل ذلك المذهب المحمود .. ! أما أولئك المخالفون .. فإنهم إن وجدوه موافقاً لمذهبهم قبلوه .. وإلا تسلطوا عليه بالتأويلات الفاسدة ، والأحكام الجائرة .. كزعمهم أنه ظني الدلالة في الموضع الذي خالفهم فيه ! أو كقدح بعضهم ـ وهو الرازي ـ في الدليل النقلي مطلقاً بعشرة قوادح ، تلجىء قائلها إلى عدم الانتفاع بهذا القرآن .. وهذا ما حصل فعلا ، حيث جعلوا العقل مقدماً عليه ، وهو تابع له وعاضد ، لا أن يعتمد عليه في الاستدلال !!

الخامس :

قال المؤلف تحت عنوان : "الرأي الرشيد في متشابه الصفات" : "علماؤنا أجزل الله مثوبتهم ـ قد اتفقوا على ثلاثة أمور تتعلق بهذه المتشابهات ، ثم اختلفوا فيما وراءها :

فأول ما اتفقوا عليه : صرفها عن ظواهرها المستحيلة ، واعتقاد أن هذه الظواهر غير مرادة للشارع قطعاً . كيف وهذه الظواهر باطلة بالأدلة القاطعة ، وبما هو معروف عن الشارع نفسه في محكماته ؟ .

ثانيه : أنه إذا توقف الدفاع عن الإسلام على التأويل لهذه المتشابهات وجب تأويلها بما يدفع شبهات المشتبهين ، ويرد طعن الطاعنين .

ثالثه : أن المتشابه إن كان له تأويل واحد يفهم منه سبق مثله ، وجب القول به إجماعاً ، وذلك كقوله سبحانه : ﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ (١) فإن الكينونة بالذات مع الخلق مستحيلة قطعاً ، وليس لها بعد ذلك إلا تأويل واحد هو الكينونة معهم بالإحاطة علماً وسمعاً .." اهـ (٢) .

وبعد أن قرأت كلام المؤلف ، أود أن أشير لبعض المآخذ على هذا الكلام الذي سماه رشيداً ، لتعرف بعده عن الرشد .. فأقول :

إن هذه الأمور الثلاثة التي صرح باتفاق العلماء عليها يخالفه أهل السنة في جميعها !! فأهل السنة والجماعة يجرون صفات الله تعالى على ظاهرها ، مع اعتقادهم بها ، وعلمهم بمعناها الذي دلت عليه هذه الظواهر ، مقرونا ذلك كله بتنزيه الله تعالى عن مشابهة المخلوقين .. فالله تعالى خاطبنا في هذا القرآن بلغتنا التي نعرف معانيها .. وقد أمرنا بتدبره والتفكر في معانيه .. ولم يقل إن ظواهر هذه النصوص غير مرادة لي ، وإنما هي دالة على ضلال محض ، وكفر عظيم ـ على حد زعم المتكلمين وأضرابهم ـ !!

ثم إن أهل السنة لا يذهبون إلى تأويل الصفات وصرفها عن ظواهرها كما نقل المؤلف الاتفاق على ذلك !! (٣) .

ثم ما هي هذه الأدلة القاطعة التي أبطلت هذه الظواهر !! أهي الأدلة العقلية ، أم النقلية ؟ أما العقلية ، فقد بينا فيما سبق أنها موافقه لما جاء عن الشارع .. (٤) وأما النصوص النقلية فإنها متوافقة في ذلك تمام التوافق .. فقوله تعالى : ﴿ليس كمثله شيء﴾ (٥) نفي للمشابهة ، وهو معقب بالإثبات في قوله : ﴿وهو السميع البصير﴾ . (٦) وقوله بوجوب تأويلها إذا توقف الدفاع عن الإسلام

١ـ الحديد (٤).

٢ـ المناهل (١٨٢/٢) .

٣ـ سبق بيان موقف أهل السنة من التأويل لنصوص الصفات ص٥٧٤ .

٤ـ انظر ص (٥٧٢).

٥ـ الشورى (١١) .

٦ـ الشورى (١١) .

على ذلك باطل تماماً .. لأنه انهزامية ظاهرة وضعف وخور ! كما أنه تخل عن الدين من أجل الدفاع عنه !!

ثم إن هذا الدين قوي ثابت شامخ ، لا يحتاج إلى مثل هذه الدفاعات الهشة ، والتنازلات السخية .. !!

وقد بينا شيئاً من هذا فيما سبق فراجعه إن شئت . (١) .

وقوله : "إن المتشابه إن كان له تأويل واحد يفهم منه فهماً قريباً ، وجب القول به إجماعاً ، وذلك كقوله تعالى : ﴿وهو معكم﴾ (٢)". [إلخ كلام المؤلف الذي سبق نقله] غير مسلم لأن دعوى الإجماع هنا غير صحيحة .. فأهل السنة والجماعة يردون التأويل ولم يجروه في شيء من صفات الله تعالى .. بخلاف المتكلمين وأضرابهم ..

أما المثال الذي مثل به وهو : "المعية" فإن أهل السنة يرون أنها معية حقيقية ، كما أخبر الله تعالى في كتابه ، لكن لا تقتضي المخالطة .. وإنما تكون بالعلم والنصرة والتأييد والرعاية والحفظ ، وما إلى ذلك ..

ومما يدل على أنها معية حقيقية دون أن يلزم من ذلك المخالطة للمخلوقين ، قولك سرت والكوكب ، أو سرت والقمر .. فإن هذا القول منك حقيقة على ظاهره ، وليس بمجاز .. ولا يحتاج من السامع الى تكلف في الفهم أو تأويل للمعنى .. !

مع كون القمر غير مخالط لك ، ولا ملاصق !

السادس :

نسب المؤلف ـ رحمه الله ـ مذهب السلف إلى التفويض ، عند عده لمذاهب العلماء في آيات الصفات فقال :

"المذهب الأول : مذهب السلف ، ويسمى مذهب المفوضة .. وهو تفويض معاني هذه المتشابهات إلى الله وحده ، بعد تنزيهه تعالى عن ظواهرها

المستحيلة.."اهـ (١) .

وقد كرر هذه النسبة في مواضع متعددة من هذا المبحث (٢) ... ولما كان الحديث عن هذا قد سلف فلا حاجة لإعادته هنا والله المستعان . (٣) .

السابع :

لما ذكر المؤلف أن مذهب السلف هو التفويض ، شرع بذكر أدلتهم على ما ذهبوا إليه فقال : "ويستدلون على مذهبهم هذا بدليلين :

أحدهما عقلي ، وهو أن تعيين المراد من هذه المتشابهات إنما يجرى على قوانين اللغة واستعمالات العرب ، وهي ظنية" .. إلخ كلام المؤلف في سياق هذا الدليل .

والحقيقة التي يجب أن تُعلم هي أن هذا المذهب ، وهذا الدليل (٤) . يتبرأ السلف منهابراءة الذئب من دم يوسف صلى الله عليه وسلم .. !!

وقد تبين فيما سبق أن مذهب المفوضة هو شر المذاهب في الصفات .. وقد سبق الكلام على ذلك ..(٥) .

والحاصل أن هذه الأدلة (٦) إنما هي أدلة المفوضة ، كما قال المؤلف ، لا أدلة السلف كما ظن !!

ولذا لا حاجة بنا إلى مناقشتها .. ولكن يكفي في رد مذهبهم ما ساقه المؤلف نفسه عند عرضه لأدلتهم .. وهو قول الإمام مالك رحمه الله : "الاستواء معلوم .." إلخ فهذا يدل ـ كما بينا سابقاً ـ على أن التفويض ليس بمذهب للسلف .

بالإضافة إلى أن تلك الأدلة تحوي عدداً من المتناقضات !

الثامن :

١ـ المناهل (٢/١٨٣) .

٢ـ انظر (ص١٨٣،١٨٤،١٨٦،١٨٧،١٨٩،١٩٧) .

٣ـ انظر ص (٣٤٩) فما بعدها.

٤ـ المناهل (٢/١٨٣) .

٥ـ انظر ص (٣٤٩) فما بعدها.

٦ـ المناهل (٢/١٨٣ـ١٨٥) .

في القول بأن الله في جهة ، أو ليس في جهة !

تعرض المؤلف لهذه المسألة في هذا المبحث في موضعين (١) اثنين .. وقد سبق الحديث عن هذه المسألة بما يكفي فلا نعيده . (٢) .

ولقد حاول المؤلف أن يدفع الاعتراض الوارد على من يصف الله تبارك وتعالى بأنه "ليس فوق ولا تحت ولا يمين ولا شمال .." بأن ذلك يستلزم أن الله تعالى غير موجود ..

وهذا إيراد صحيح قوي لأنا لو طلبنا منهم وصف المعدوم بأبلغ من هذا لعجزوا عن ذلك !!

وقد تناقض المؤلف حينما حاول الجواب عن هذه الشبهة حيث قال :

"وندفع هذه الشبهة بأمور : أولها : أن هذا قياس للغائب على الشاهد ، وقياس الغائب على الشاهد فاسد ، ذلك أن الله تعالى ليس يشبه خلقه حتى يكون حكمه كحكمهم في وجوب أن يكون له جهة من الجهات الست مادام موجوداً .." إلخ اهـ(٣) .

ونحن نلزم المؤلف بما قال هنا.. حيث أنه نفى العلو ، والوجه ، والعينين ، واليد ، والاستواء ، والنزول والمجيء ، وغير ذلك من الصفات التي تعرض لها في هذا الكتاب بالتأويل والتحريف .. بحجة أن إثباتها يوقع في التجسيم والتشبيه ، ففر إلى التعطيل بعد أن وقع في التشبيه أولا .. !!

ويقال له : قد وقعت قبل ذلك بيسير بقياس الغائب على الشاهد فخالفت أصلك هذا الذي بنيت ؛ فعلى أي الطريقين تثبت ؟!

و هذا التناقض يقع فيه أهل الطرق الكلامية كثيراً .. فيقررون في مواضع الإثبات من التأصيلات والأجوبة ، ما يناقضونه تماماً في مواضع النفي عندهم .. وهذا هو مآل وسبيل من خالف الأصلين ، ورتب له أصولا غيرهما ، والله المستعان .

و باقي كلام المؤلف في الجواب عن هذه المسألة ليس بعيداً عن هذا الجواب الذي نقلته !!

فهو يقول في الجواب الثاني عن هذا الاعتراض :

١- المناهل (١٨٩/٢-١٩٢) .

"ثانياً : نقول لهؤلاء : أين كان الله قبل أن يخلق العرش والفرش والسماء والأرض ؟ وقبل أن يخلق الزمان والمكان ، وقبل أن تكون هناك جهات ست ؟! فإن قالوا : لم يكن له جهة ولا مكان . نقول : قد اعترفتم بما نقول نحن ..." اهـ (١) .

فيقال له : نحن لا نثبت إلا ما ثبت في الكتاب والسنة ، ولا نتعرض لشيء من ذلك بتحريف ولا تأويل .. فليس أحداً أعلم بالله من الله ﴿ءأنتم أعلم أم الله﴾(٢)؟!

أما ما لا ورود له في كتاب ولا سنة ، فلا نخوض فيه .. ونكل علمه إلى عالمه .. وقد عرفت الكلام في موضوع الجهة (٣)، وعليه فلا يرد عليك الإشكال من كلام المؤلف بوجه من الوجوه .

و أما جوابه الثالث فهو مبني على حمل كلام الله عز وجل على غير محمله .. وضرب بعضه ببعض ..!! فيقول : ".. ماذا تفعلون بمثل قوله تعالى : ﴿ءأمنتم من في السماء﴾(٤) مع قوله : ﴿وهو الله في السماوات وفي الأرض﴾ (٥) ؟ أتقولون إنه في السماء حقيقة ، أم في الأرض حقيقة ، أم فيهما معاً حقيقة ؟

و إذا كان في الأرض وحدها حقيقة فكيف تكون له جهة فوق ؟ .." اهـ (٦)

وهذا الذي ذكر ، أمره جلي ، لاخفاء فيه ولله الحمد .. ! فأهل السنة يقولون بأن الله عز وجل متصف بالعلو ، فهو في السماء .. لكن "في" هنا لاتعني الظرفية ، تعالى الله أن يحيط به شيء من مخلوقاته ! وإنما هي بمعنى "على" كما قال تعالى حكاية عن فرعون ﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾(٧) . ومعلوم أنه لايريد صلبهم في داخل الجذوع ! وإنما يصلبهم عليها .

أما قوله تعالى : ﴿وهو الله في السماوات وفي الأرض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون﴾ (٨). فإن للسلف فيها ثلاثة أقوال ذكرها ابن كثير في تفسيره ،

١ـ المناهل (٢/١٩٠) .

٢ـ البقرة (١٤٠) .

٣ـ انظر ص ٥٥٧ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠

٤ـ الملك (١٦) .

٥ـ الأنعام (٣) .

٦ـ المناهل (٢/١٩٠ـ١٩١) .

٧ـ طه (٧١) .

وهي :

١ـ أنه المدعو في السماوات وفي الأرض . أي يعبده ويوحده ويقر له بالإلهية من في السماوات ومن في الأرض ، ويسمونه ويدعونه ، رغباً ورهباً ، إلا من كفر من الجن والإنس .

وهذه الآية على هذا القول كقوله تعالى : ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾ (١) أي هو إله من في السماء وإله من في الأرض ، وعلى هذا فيكون قوله : ﴿يعلم سركم وجهركم﴾ (٢) خبراً أو حالا . وهذا الذي رجحه ابن كثير من الأقوال الثلاثة .

٢ ـ أن المراد أنه الذي يعلم ما في السماوات وما في الأرض ، من سر وجهر ، فيكون قوله يعلم متعلقاً بقوله : ﴿في السماوات وفي الأرض﴾ تقديره : وهو الله يعلم سركم وجهركم في السماوات وفي الأرض ويعلم ما تكسبون .

٣ ـ أن قوله : ﴿وهو الله في السماوات﴾ وقف تام ، ثم استأنف الخبر فقال : ﴿وفي الأرض يعلم سركم وجهركم﴾ . وهذا اختيار ابن جرير .(٣)و هم جميعاً متفقون على إبطال قول الجهمية بأنه في كل مكان ، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً .

وبهذا يتضح أن الآية الأولى لا تعني أن السماء تحصره ! وأن الآية الثانية لا تدل على الحلول البتة .(٤) .

وأما جوابه الرابع : فيدور حول صفة اليد وقد مر الكلام على ذلك .(٥).

و أما جوابه الخامس ، والسادس ، فيدوران حول صفة النزول . وقد سبق بيانه (٦) .

٨ـ الأنعام (٣) .

١ـ الزخرف (٨٤) .

٢ـ الأنعام (٣) .

٣ـ نقلته من تفسير ابن كثير (٢/١٢٣) .

٤ـ انظر الفتاوى (٢/٤،٤/٣،٥/٥٢،٦٨،٦٩،١٠٦،٢٥٦،٢٥٨) .

المبحث السادس عشر :-
«في أسلوب القرآن »

وتشمل الدراسة :

أولا مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ، وذكر القضايا التي ناقشها فيه .

ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث .

ثالثاً : مناقشة المؤلف في مسائل من هذا المبحث .

أولا : بيان مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ، وذكر القضايا التي ناقشها فيه .

تعرض المؤلف رحمه الله في هذا المبحث لجميع مهماته ومسائله التي تدعو الحاجة لذكرها وبيانها . فجاء هذا المبحث شاملا لما يندرج تحت ذلك العنوان الذي وضعه وهو: "أسلوب القرآن الكريم " .

هذا وقد بين المؤلف في صدر هذا المبحث معنى الأسلوب في اللغة والاصطلاح ، بغض النظر عن تعلقه بالقرآن الكريم أو غيره .. ثم أعقب ذلك ببيان معنى أسلوب القرآن الكريم خاصة .

كما نبه المؤلف إلى مايقع فيه البعض من الخلط بين الأسلوب وبين المفردا ت والتراكيب ، فأشار إلى الفرق بين الأمرين ، ومثل لذلك .

ثم شرع المؤلف بتوضيح مراده من الأسلوب بأن نبه القارىء إلى تفاوت ألفاظ اللغة ومفرداتها من حيث التآلف والتنافر ، والغرابة والرقة ، وغير ذلك مما هو معروف من حال المفردات اللغوية ، فضلا عن التراكيب .. وعليه فيتفاوت الناس تفاوتاً كبيراً في القدرة على استخدام الكلمات المناسبة للموضوعات التي يتحدثون عنها .. وبهذا يتميز البلغاء من غيرهم .

وبعد أن عرَّف القارىء بما سبق ؛ أخذ يعدد خصائص الأسلوب القرآني ؛ والتي جعلت له طابعاً معجزاً في لغته وبلاغته ، فذكر ثمان خصائص اختص بها عن غيره من الكلام .

ثم ختم المؤلف ذلك بذكر مثال استفاده من كتاب النبأ العظيم ، يدل على عظم بلاغة هذا القرآن ، ودقة أسلوبه .

ثانياً : ذكر إضافات المؤلف في هذا المبحث :

لو رجعنا إلى الزركشي رحمه الله في كتابه «البرهان » ، ونظرنا في النوع السادس والأربعين ، وهو الموسوم بـ «أساليب القرآن ، وفنونه البليغة » . (١)لوجدنا أنه يعرض ويبين ذات الأساليب التي توجد في القرآن الكريم ، ويعنى بتفاصيلها .. فهو يتكلم عن التأكيد ، ويشرح تفريعاته ، ويبين أقسامه مع إطالة النَّفَس في ذلك كله ، حتى يصلح كلامه في ذلك أن يكون مؤلفاً مستقلا .

ثم يدخل في الأسلوب الثاني ، وهو الحذف ، ويغوص فيه كما فعل في الذي قبله ، وهكذا .. بينما نجد السيوطي في الإتقان قد فرق ما جمعه الزركشي في هذا المبحث فقسمه وجزأه على مباحث متعددة ، جعل لكل واحد منها عنواناً يعرف به .

و الحقيقة أن الموضوع الذي تحدث عنه الزركشي مجتمعاً وبينه السيوطي مجزءاً ، يختلف عما تعرض له الزرقاني في هذا المبحث ! إذ أن ذينك الإمامين إنما قصدا بيان أنواع الأساليب التي يستخدمها القرآن وشرحها وتفصيلها ..

في حين عمد الزرقاني إلى بيان خصائص الأسلوب القرآني .. فهو لب موضوعه ، ومحور مقالته . وقد قدم بين يديه تعريف الأسلوب القرآني ، وبين مراده به بما يرى أنه يكفي للدخول في عرض خصائص الأسلوب القرآني .

و هذه الخصائص ـ بالشكل الذي ذكره المؤلف ـ لم أرها في شيء من ذينك الكتابين .. لكن المؤلف أخذ عامتها من كتاب النبأ العظيم للدكتور دراز ، مع شيء من الزيادة والنقص ..

و إن كان في هذا المبحث من إضافة ، فهي في بيانه لمعنى الأسلوب في اللغة ، والاصطلاح ، وشرحه لذلك ، واحترازه عما ينبغي الاحتراز منه .

---

١ انظر البرهان (جـ٢/٣٨٢) .

ملاحظة حول العنوان الذي عقده المؤلف ليدل على موضوع مبحثه وهو : "أسلوب القرآن "

و قد اتضح في الصفحة السابقة أن الموضوع الذي يدور عليه هذا المبحث هو : "خصائص الأسلوب القرآني " وليس الكلام عن أساليب القرآن نفسها ،وإذا أردت أن تعرف حقيقة هذا الأمر ، فقارن بين ما كتبه المؤلف تحت هذا المبحث بما كتبه الزركشي في البرهان (١) .

فالعنوان الذي يناسب هذا المبحث هو : "خصائص الأسلوب القرآني " .

المبحث السابع عشر
في إعجاز القرآن وما يتعلق به

وتشمل الدراسة :

أولا مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث وذكر القضايا التي ناقشها فيه .

ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث .

ثالثاً : مناقشة المؤلف في مسائل من هذا المبحث .

أولا : بيان مدى استيفاء المؤلف مادة هذا المبحث وذكر القضايا التى ناقشها فيه .

ذكر المؤلف في هذا المبحث وجوهاً متعددة استدل بها على وقوع الإعجاز .. وإذا دققت النظر فيها رأيت أن عدداً منها لا يصلح عده وجهاً من وجوه الإعجاز وإنما يدل على أمر آخر ، كإثبات كون القرآن من عند الله عز وجل ، وليس نابعاً من نفس النبي صلى الله عليه وسلم .

و لهذا ناسب أن يكون عنوان هذا المبحث : "بيان مصدر القرآن الكريم " فإن التدليل على كونه من عند الله عز وجل يدخل تحته بيان وجوه الإعجاز ، وغيرها مما ذكره المؤلف .. ولعل الذي أوقع المؤلف في هذا الأمر ، أنه استمد كثيراً من مادة هذا المبحث من كتاب "النبأ العظيم " للدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله . وهذا واضح في كثير من مادة هذا المبحث .

و قد صرح به المؤلف رحمه الله بنفسه في المبحث الذي قبله حيث قال : "يحلو لي أن أسوق إليك هنا كلمة قيمة فيها تعليق وتمثيل .. وهي لصديقنا العلامة الجليل الشيخ محمد عبد الله دراز في كتابه "النبأ العظيم " الذي اقتبسنا منه فيما يتصل بإعجاز القرآن كثيراً " اهـ (١) .

و من المعلوم لمن قرأ كتاب النبأ العظيم أن موضوعه يدور حول إثبات كون القرآن من عند الله عز وجل .. ويدلل مؤلفه على ذلك بالأدلة المتنوعة ، والتي منها ما يتعلق بإعجاز القرآن

و الزرقاني وإن كان قد نبه في بداية هذا المبحث على تخصيصه للنبي صلى الله عليه وسلم بالذكر في نفي نسبة القرآن إليه ..(٢) فإن ذلك لا يبرر كون الموضوع مغايراً للعنوان الذي عقده المؤلف من أجله .

و أما ما يتعلق باستيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ، فلا أراه إلا قد استوعب مهماته كلها ..كما يتبين ذلك بالمقارنة مع غيره ، سواء ممن سبقه أو جاء بعده .

و أما القضايا التي تعرض لها المؤلف في هذا المبحث ، فهي كثيرة ،

نوجزها فيما يأتي :

ا ـ بين المؤلف المراد بإعجاز القرآن أولا ؛ ثم شرع في تعداد وجوه الإعجاز وهي :

أ ـ الإعجاز في لغته وأسلوبه ، وتعرض المؤلف عند ذلك إلى ذكر القدر المعجز من القرآن ؛ وتحدي الله عز وجل الثقلين أن يأتوا بسورة من مثله .. وعجزهم عن ذلك . كما بين المؤلف خلود هذه المعجزة القرآنية بخلاف معجزات الأنبياء السابقين ، وأوضح الحكمة الإلهية في بقاء خلود هذه المعجزة من بين سائر المعجزات .

ثم نبه المؤلف إلى الفارق الكبير بين الأسلوب القرآني وبين أسلوب الحديث النبوي ، ليبرهن على أن القرآن ليس من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، مع التعرض لبعض الجوانب في صفات النبي صلى الله عليه وسلم ، والتي تدل على أمانته وصدقه .

ب ـ الإعجاز في طريقة تأليفه ؛ حيث أنه جاء بهذا الترابط والإحكام ، مع أنه لم ينزل دفعة واحدة ، بل نزل في ثلاث وعشرين سنة .

ج ـ الإعجاز في علومه ومعارفه . مع كونه قد جاء على لسان رسول أمي !

د ـ وفاؤه بحاجات البشر ، واشتماله على أصول هدايتهم .

هـ ـ الإعجاز في موقفه من العلوم الكونية ، وما روعي فيه من الاعتبارات حول هذه القضية .

و ـ سياسته الفذه في الإصلاح ، وذلك في أمور عدة منها : تدرجه بالارتقاء بالمكلفين في درجات التكليف ، وكذلك نزوله منجماً ، وكذا مجيء القرآن على غير المعهود في تأليف العلوم والفنون والآداب ، من حيث التبويب والتقسيم .. وغير ذلك مما يربط الناس به ربطاً محكماً ، فيأخذون ما فيه ..

ز ـ احتواؤه على أمور غيبية في الماضي والمستقبل ، وكذا الحاضر . ومثل المؤلف لكل نوع من هذه الأنواع الثلاثة . ثم عقب ذلك بنماذج من المعجزات التي كشف عنها العلم الحديث .

ح ـ ما ورد فيه من آيات يعاتب الله عز وجل فيها رسوله صلى الله عليه وسلم .. فلو كان القرآن من الرسول صلى الله عليه وسلم لكان الحري به أن لا

توجد مثل هذه الأمور . !! كما تحدث المؤلف في هذه النقطة عن وقوع الخطأ من الأنبياء في غير أمور البلاغ ، وبين أن الخطأ ليس معصية .. ثم بين الحكمة من وقوع الخطأ من النبي صلى الله عليه وسلم في اجتهاده .

ط ـ ما نزل بعد طول انتظار . مثل آيات الإفك ... مع شدة الحاجة لنزول ذلك مبكراً .. فلو كان القرآن من الرسول صلى الله عليه وسلم لما انتظر طوال هذه المدة ، في تلك الحالة الحرجة .

ي ـ مظهر النبي صلى الله عليه وسلم ، وحاله عند هبوط الوحي .. وما كان منه من استعجال تلقفه في أول الأمر ، والشدة التي كان يجدها عند نزوله ، وشاهدها أصحابه .

ك ـ آية المباهلة ، وما وقع للنبي صلى الله عليه وسلم مع نصارى نجران .. وهذا يدل على أنه مؤيد بالوحي ، ولا ينطق عن الهوى ، وإلا لما تجرأ على طلب المباهلة منهم ، لا سيما وأنهم أهل كتاب .

ل ـ عجز الرسول صلى الله عليه وسلم عن الإتيان ببدله لما طلب منه المشركون ذلك ، كما أخبر الله تبارك وتعالى .

م ـ تجرد الرسول صلى الله عليه وسلم من نسبته إليه .. مع أن في تلك النسبة أعظم الفخر والرفعة والكمال !!

ن ـ قوة تأثير القرآن ، وتغييره للنفوس والمجتمعات والأفراد في فترة وجيزه، مما حدا بهم أن يتركوا مألوفاتهم ، وما توارثوه ، من أجل ما عرفوه من هذا الكتاب العظيم . وسواء كان هذا التأثير حاصلا في نفوس أعدائه ، أو أوليائه . وقد مثل المؤلف لذلك بأمثلة متعددة .

٢ـ أعقب المؤلف ذكر وجوه الإعجاز بوجوه أخرى اعتبرها معلومة ، أو متداخلة مع ماسبق ضمنياً .

٣ـ ذكر المؤلف القول بالصَّرْفَة ، وأجاب عنه بأجوبة متعددة .

٤ـ شرع المؤلف بذكر الشبه والجواب عنها .

تنبيه :

لا يخفى عليك ـ إن شاء الله ـ أن الوجوه التي عدها المؤلف أدلة للإعجاز ،

كما هو ظاهر .. لكن قد تصلح أن يدلل بها على كون القرآن إنما نزل من عند الله تبارك وتعالى .

ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث .

ليس هناك إضافة في هذا المبحث تستحق الذكر .. لأن ما ذكره المؤلف في هذا المبحث تجده في "الإتقان" ، و"النبأ العظيم" ، أو كتاب "إعجاز القرآن" للرافعي ..

وقد يُذكر الشيء في تلك الكتب مختصراً فيشرحه المؤلف .. وقد يُذكر مطولا فيختصره .. أو يأتي عرضاً في بعض المباحث ، فيجعل له المؤلف عنواناً خاصاً وهكذا ..

والذي يُعد للمؤلف في هذا المبحث ، حسن السبك ، وجودة الترتيب والتقسيم ، مع وضوح الفكرة وإبرازها .

ثالثاً : مناقشة المؤلف في مسائل من هذا المبحث

وهي :

١ـ في أنه لايقال : «الإنسان خليفة الله في الأرض» .

٢ـ حول نظرة الإسلام للرق .

٣ـ في بيان المراد بالأرضين السبع المذكورة في قوله تعالى : ﴿ومن الأرض مثلهن﴾ .

٤ـ حكم إسلام الكافر إن عُلق بشرط فاسد ، وهل يُقبل منه ذلك تاليفاً له ؟

❁ إيقاظـــــات .

المسألة الأولى : في أنه لا يقال : «الإنسان خليفة الله في الأرض»

(١) .

لما ذكر المؤلف الوجه الثالث من وجوه إعجاز القرآن قال في بيانه : "..وبينا تراه ـ أي القرآن ـ يصحح ما حرفه أهل الأديان في دياناتهم ، إذ تراه يقدم للإنسان مزيجاً صالحاً من عقيدة راشدة ، ترفع همة العبد ، وعبادة قويمة ، تطهر نفس الإنسان ، وأخلاق عالية تؤهل المرء لأن يكون خليفة الله في الأرض .." اهـ (٢) .

وهذا ـ الأخير ـ الذي قاله المؤلف غير صحيح ، إذ أنه لا يجوز أن يقال عن شيء من المخلوقات بأنه خليفة لله عز وجل ؛ فالله تبارك وتعالى أجل قدراً وأعظم شأناً من ذلك ..

أما ما ورد في القرآن من الآيات التي قد يتوهم منها البعض ذلك المعنى الذي ذكره المؤلف كقوله تعالى : ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (٣) . وكقوله : ﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾ (٤) ونظائر ذلك من الآيات الواردة في هذا المعنى ، فإنها محمولة على وقوع الخلافة بين الخلق ؛ فبعضهم يخلف البعض الآخر .. وسواء كان ذلك بين البشر والملائكة ، أو الجن ، أو بين البشر بعضهم مع بعض ، كما سيتبين ذلك عند ذكر أقوال المفسرين ..

قال ابن جرير رحمه الله : "والخليفة الفعيلة من قولك : خلف فلان فلاناً في هذا الأمر ، إذا قام مقامه فيه بعده ، كما قال جل ثناؤه : ﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون﴾ . (٥) يعني بذلك أنه أبدلكم في الأرض منهم فجعلكم خلفاء بعدهم . من ذلك قيل للسلطان الأعظم خليفة ، لأنه خلف الذي كان قبله ، فقام بالأمر مقامه ، فكان منه خلفاً .. وكان ابن اسحاق يقول ... ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ يقول : ساكناً وعامراً يسكنها ويعمرها خلفاً ليس منكم .

وليس الذي قال ابن إسحاق في معنى الخليفة بتأويلها ـ وإن كان الله جل

١ـ انظر السلسلة الضعيفة رقم (٨٥) .

٢ـ المناهل (٢/٢٣٨) .

٣ـ البقرة (٣٠) .

٤ـ الأنعام (١٦٥)

ثناؤه إنما أخبر ملائكته أنه جاعل في الأرض خليفة يسكنها ـ ولكن معناها ما وصفت قبل .

فإن قال قائل : فما الذي كان في الأرض قبل بني آدم لها عامراً ، فكان بنو آدم منه بدلا ، وفيها منه خلفاً ؟ قيل قد اختلف أهل التأويل في ذلك" .اهـ ❁

ثم ساق الروايات في ذلك ، ومنها ما جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في أن أول من سكن الأرض الجن حتى أفسدوا فيها ، إلى أن بعث الله عليهم جنداً من الملائكة فقاتلوهم .. إلى أن نزل فيها آدم عليه السلام ..

وعلى هذا القول فيكون آدم خليفة من الجن .. وقد نقل ابن جرير أيضاً عن الربيع بن أنس نحو الذي نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما .

قال ابن جرير : "وقال آخرون في تأويل قوله : ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (١)أي خلفاً يخلف بعضهم بعضاً ، وهم ولد آدم ، الذين يخلفون أباهم آدم ، ويخلف كل قرن منهم القرن الذي سلف قبله ، وهذا قول حُكي عن الحسن البصري" اهـ(٢) .

وقال ابن كثير في قوله تعالى : ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (٣)"أي قوماً يخلف بعضهم بعضاً ، قرناً بعد قرن ، وجيلا بعد جيل ، كما قال تعالى : ﴿هو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾ (٤) وقال : ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ (٥) وقال : ﴿ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون﴾ (٦) وقال : ﴿فخلف من بعدهم خلف﴾" (٧) (٨) اهـ .

ونقل ابن كثير عن ابن جرير قوله : "وإنما معنى الخلافة التي ذكرها الله إنما هي خلافة قرن منهم قرناً ..(٩) " ثم أورد عنه ما سبق نقله في الصفحة السابقة

❁ بإسناد ضعيف . انظر ابن جرير (تحقيق شاكر) ١/٤٥٠ .

١ـ البقرة (٣٠) .

٢ـ انظر ابن جرير (١/٤٤٩ـ٤٥٣) (تحقيق شاكر) .

٣ـ البقرة (٣٠) .

٤ـ الأنعام (٦٥) .

٥ـ النمل (٦٢) .

٦ـ الزخرف (٦٠) .

٧ـ الأعراف (١٦٩) .

٨ـ تفسير ابن كثير (١/٦٩) .

مع بعض الاختلافات .

وقال الشوكاني رحمه الله : "والخليفة هنا معناه الخالف لمن كان قبله من الملائكة ، ويجوز أن يكون بمعنى المخلوف ؛ أي يخلفه غيره . قيل هو آدم ، وقيل كل من له خلافة في الأرض .. (١) " اهـ

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "وقوله : ﴿إني جاعل في الأرض خليفة﴾ (٢) يعم آدم وبنيه .. والخليفة : هو من كان خَلَفاً عن غيره ، فعيلة بمعنى فاعلة ... والمراد بالخليفة أنه خلف من كان قبله من الخلق .. وقد ظن بعض الغالطين ـ كابن عربي ـ أن الخليفة ، هو الخليفة عن الله ، مثل نائب الله ؛ وزعموا أن هذا بمعنى أن يكون الإنسان مستخلفاً .. والله لا يجوز له خليفة ؛ ولهذا لما قالوا لأبي بكر : يا خليفة الله ! قال : لست بخليفة الله ؛ ولكني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حسبي ذلك ؛ بل هو سبحانه يكون خليفه لغيره ؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم : "اللهم أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل.. " وذلك لأن الله حي شهيد مهيمن قيوم رقيب حفيظ غني عن العالمين ، ليس له شريك ولا ظهير ، ولا يشفع أحد عنده إلا بإذنه .

والخليفة إنما يكون عند عدم المُسْتَخْلِف بموت أو غيبة ، ويكون لحاجة المُسْتَخْلِف الى الاستخلاف . وسُمي "خليفة" لأنه خلف عن الغزو ، وهو قائم خلفه . وكل هذه المعاني منتفيه في حق الله تعالى ، وهو منزه عنها ؛ فإنه حي قيوم شهيد ، لا يموت ولا يغيب ، وهو غني يرزق ولا يُرزق ، يرزق عباده وينصرهم ، ويهديهم ويعافيهم بما خلقه من الأسباب التي هي من خلقه ، والتي هي مفتقرة إليه كافتقار المسببات إلى أسبابها ، فالله هو الغني الحميد ، له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما ، ﴿يسأله من في السماوات والأرض كل يوم هو في شأن﴾ ، (٣) ﴿وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله﴾، (٤) ولا يجوز أن يكون أحد خلفاً منه ، ولا يقوم مقامه ، لأنه لاسمي له ، ولا كفء له ، فمن جعل له خليفة فهو مشرك به

١ـ المصدر السابق (٧٠/١) .

١ـ فتح القدير (٦٢/١) .

٢ـ البقرة (٣٠) .

اهـ(١).

تنبيه :

من المفسرين من ذهب إلى أن آدم خليفة الله في أرضه بمعنى أنه يحكم شريعته ويطبق حدوده في أرضه .. (٢) .

١- مجموع الفتاوى (٣٥/٤٢ـ٤٥).

٢- انظر أقوال المفسرين في هذه المسألة في : البغوي (١/٦٠) ، زاد المسير (١/٥٨ـ٦٠) ، مفاتيح الغيب (٢/١٦٥) ، القرطبي (١/٢٦٣) ، ابن كثير (١/٦٩ـ٧١) أبي السعود (١/٨١ـ٨٢) ، القاسمي (٢/٩٤ـ٩٥) ، أضواء البيان (١/٥٦ـ٥٨) .

المسألة الثانية : حول نظرة الإسلام للرق .

عند ذكر المؤلف لبعض مقاصد القرآن النبيلة ، وهداياته المشرقة قال : "تاسعاً : محاربة الاسترقاق في المستقبل ...."[١]

وهذا الكلام الذي ذكره المؤلف هو جزء من المسلك الدفاعي الذي يلوح في كتاباته رحمه الله حيناً بعد حين !!

وهذا المسلك يجر صاحبه إلى تنازلات وتقولات على الله عز وجل ، وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم ، وعلى شريعته لم ينزل بها من سلطان ، كما أشرنا سابقاً .

فالقول بأن الإسلام يحارب الاسترقاق في المستقبل غير صحيح ، بل هو غلط محض !! حيث أن الإسلام أقر الرق والاسترقاق ، وبقي هذا الأمر معمولا به في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وحياة أصحابه وأتباعه ، إلى أن جاء المستعمر فأبعد تحكيم هذه الشريعة من بلاد المسلمين ، وحرم عليهم الرق ، واعتبره جريمة يعاقب عليها القانون !!

ويمكننا أن نجلي موقف الإسلام من الرق بأن نقول بأن الإسلام أقره لكنه حدد مصادره .. فبعد أن كان الرق يقع في الجاهلية على الرجل الذي لم يستطع وفاء دينه .. وبعد أن كان يقع من غارات السلب والنهب ، وتسلط القوي على الضعيف .. جعل الإسلام أصله الكفر ؛ فالاسترقاق يقع على الكافر الذي وقع في أيدي المسلمين بعد تغلبهم وكسرهم لأهل الكفر .. فهم مخيرون فيه بين الفداء والمن والقتل والاسترقاق .. هذا هو حكم الأسارى والسبايا من المشركين .

فإن وقع على أحد منهم الرق فإنه يسري في ذريته ـ وإن كانوا قد دخلوا في الإسلام ـ ما لم يقع عليهم العتق . هذا فيما يتعلق بمصدره ..!

ثم إن الإسلام بعد أن حصر منافذه وموارده ، رغّب كثيراً في العتق وشرعه في الكفارات وغيرها كما ذكر المؤلف .

وبهذا تعلم أن الإسلام أقر الرق ولم يحاربه ، لكنه رغَّب في العتق . بل لو كان الإسلام يحارب الرق لكان محرماً !! ولم يقل أحد بذلك !!(١) .

هذا وقد كان الرق في مختلف الجاهليات يوقع الرقيق في أسوأ المعاملات .. ويبخسه جميع حقوق الآدميين .. بل وحتى حق الحيوان .. !! فتجده بأسوأ اللباس يبرز .. ويجوع الجوع الذي يشارفه على الموت !! ويصفد في الأغلال ليعمل في الحقول والإقطاعات ، كما كان يحصل عند الرومان مثلا . !! بل يكون في بعض الأحيان مسلاة وأداة يروح فيها أهل البطر عن أنفسهم ، ويزجون فيها أوقاتهم ، فيُعطى الرقيق عصاً ويوضع في قفص مع سبع أو حيوان مفترس .. ويحضر الأغنياء للفرجة !! وأحياناً يُؤتى برقيقين ويُعطى لكل واحد منهما سيف ، فيقتتلان حتى يومتان أو يموت أحدهما !! وأهل الترف يتفرجون !!

فجاء الإسلام وأمر بأن يُكسى الرقيق ويطعم مما يطعم منه السيد ويلبس !! وأمر بالإحسان إليه ، وعدم تكليفه مالا يطيقه من العمل .. !! ونهى أن يُسب أو يجرح بأدنى الكلام وأقله .. بل حتى نهى الإسلام السيد أن يقول : عبدي وأمتي .. وإنما أمره أن يقول : فتاي وفتاتي .. ونحو ذلك من العبارات الطيبة .. !!

وهناك نصوص مستفيضة تدل على ما ذكرت ، وكذلك وقائع من حال الصحابة والتابعين مع الأرقاء ، والله المستعان .

١ـ راجع ما كتبه الأستاذ محمد قطب حول هذه المسألة في كتاب "شبهات حول الإسلام (ص٣٧) .

المسألة الثالثة : في بيان المراد بالأرضين السبع المذكورة في قوله تعالى ﴿ومن الأرض مثلهن﴾ . (١) .

نقل المؤلف مقتطفات ـ وصفها بأنها قيمة ـ من كلام الشيخ عبد العزيز جاويش(٢) جاء فيها : "لم يذكر القدماء شيئاً في أمر تعدد الأرضين سوى ما نقله ابن سينا عن قدماء حكماء الفرس من أن هناك أراضي كثيرة غير أرضنا . وما زال الرأي السائد بين الحكماء والفلاسفة يقول بعدم تعددها ، حتى جاء غاليلو (المتوفي سنة (١٦٤٢)م بمناظيره المكبرة والمقربة . وكذلك من جاءوا بعده فأثبتوا بمشاهداتهم العينية الصادقة أن السيارات جميعها أراض كأرضنا ، وقد يكون بها ما بأرضنا من الجبال والوهاد والماء والهواء والخلائق والعمران ؛ ولم يعتمدوا في هذا التجويز إلا على الحدس والظن ، فإن مناظيرهم لم تثبت لهم ذلك بعد ، أما القرآن فقد صرح بتعدد الأرضين في آية : ﴿الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن﴾ (٣) ففي تفسير أبي السعود (من مفسري القرن التاسع للهجرة) أن الجمهور على أنها سبع أرضين ، بعضها فوق بعض ، وفي تفسير النيسابوري أنها سبع أرضين ، ما بين كل واحدة منها إلى الأخرى مسيرة خمسائة عام ، وفي كل أرض منها خلق ـ إلى أن قال ـ وهم يشاهدون السماء من جانب أرضهم ، ويشهدون الضياء منها ، ومن أصرح الآيات في أن السيارات أراض مأهولة آية الشورى : ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة﴾ (٤)إذ المراد بالسماوات هنا السيارات على ما يأتي لنا من التأويل . ومن الآيات البينة في هذا الموضوع قوله تعالى : ﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات والأرض ومن فيهن ، بل أتيناهم بذكرهم فهم عن ذكرهم معرضون﴾ (٥). ومن قصرت عقولهم استبعدوا وجود الحيوان في الأجرام السماوية ، ولكن نفى الزمخشري والبيضاوي وغيرهما استبعاد أن يخلق

١- الطلاق (١٢) .

٢- هو عبد العزيز بن خليل جاويش ، أديب ، كاتب ، خطيب ، صحافي ، أصله من تونس ، وولد بالاسكندرية ، وتعلم بالأزهر ودار العلوم ، ثم اختير أستاذاً للأدب العربي في جامعة كمبردج ، ثم عاد إلى مصر وبها توفي سنة (١٣٤٧هـ) . وكان مولده سنة (١٢٩٣هـ) . معجم المؤلفين (٢٤٦/٥) .

٣- الطلاق (١٢) .

الله فيها صنوفاً من الحيوان ، يمشون فيها مشي الإنسان على الأرض ؛ فالله خلق كما قالوا : ما نعلم ومالا نعلم اهـ (١) .

فأنت ترى أنه يقول بأن المراد بالأراض المذكورة في الآية هي السيارات !!

وهذا القول يعد من تحريف الكلم عن مواضعه ، ومن العبث بكلام الله عز وجل ، وحمله على غير محامله !!

إن الله عز وجل هو الذي خلق الأرض والسماء وجميع الخلق .. وهو الذي أخبر أنه خلق سبع أرضين ، فلسنا بحاجة إلى تقرير غاليلو ولا إلى مكبراته !! ﴿ألا يعلم من خلق﴾ (٢) ؟

ثم كون الكواكب أو السيارات ليست ذات طبيعة متوقدة ملتهبة وإنما هي جامدة كالأرض لا يعني ذلك بحال من الأحوال أنها تسمى أراض !! فإن هذا الاطلاق ـ أعني الأرض ـ مختص بهذا الكوكب فقط ، وغيره فإنه لا يسمى أرضاً ، وإنما قمراً ، أو مريخاً ، أو غير ذلك من الأسماء المعروفة .. !!

ثم أولئك يتخرصون بوجود هواء وماء وعمران ! .. وغير ذلك مما يدعون وجوده هناك ! وهو يؤكد تخرصهم هذا من القرآن ـ على حد تعبيره ـ ومن أقوال المفسرين !! فيستدل بقوله تعالى : ﴿ومن الأرض مثلهن﴾ (٣) وبقوله : ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض وما بث فيهما من دابة﴾ (٤)ويعد هذه الآية من أصرح الآيات على أن السيارات أراض مأهولة !!

وهو مع هذا كله يعرض إعراضاً تاماً عن الأحاديث التي تبين تلك الحقيقة الغيبية ، وعن كلام أئمة المفسرين في هذه الآية ، كابن جرير ، وابن كثير رحمهما الله تعالى !!

ومن العجيب أنه فسر السماوات في قوله تعالى : ﴿ومن آياته خلق السماوات ..﴾(٥) بالسيارات وهذا التفسير مخالف لنصوص الكتاب والسنة ، وكلام جميع العلماء ؛ بل والعقلاء !!

١ـ المناهل (٢/٢٥٦ـ٢٥٧) .

٢ـ الملك (١٤) .

٣ـ الطلاق (١٢) .

٤ـ الشورى (٢٩) .

٥ـ الشورى (٢٩) .

فالسماوات هي السماوات السبع .. ونحن نعلم عن طريق النقل أن الله تعالى أوجد في سماواته ملائكة لا يعلم عدتهم إلا هو سبحانه .. ولم يعلمنا عن خلق آخرين غيرهم .. فيبقى هذا غيباً لا نخوض فيه ، مع أننا نعلم شيئاً عن صعود الأرواح ، وما ورد ذكره في الكتاب والسنة في هذا الشأن ، وما تضمنه حديث الإسراء والمعراج من رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لكثير من الأنبياء في تلك الرحلة ، لكن كلام الذي نقل عنه المؤلف غير هذا ، وهو لا يريده !!

والذي دلت عليه النصوص أن الله عز وجل خلق سبع أراض بعضها فوق بعض ـ أي طبقات ـ أما الكلام في كونها متلاصقة أو متباعدة ومتباينة فإن هذا ينبغي السكوت عنه ، لأنه لم يرد التصريح به في القرآن ، ولم يصل إلينا حديث صحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموضوع ، وإنما ورد فيه أحاديث ضعيفة وموضوعة .. ! وإن كان قد ورد عن بعض الصحابة ـ موقوفاً عليه ـ وقد صح سنده كما سيأتي .

أما قول الله تعالى : ﴿الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن﴾ (١) فإن المذكور فيما يتعلق بالسماوات ـ بهذه الآية ـ العدد والخلق . وعليه فالمثلية في قوله : ﴿ومن الأرض مثلهن﴾ عائدة إلى الأمرين ، وهما الخلق والعدد .. فالآية صريحة فيهما ، أما ما عداهما مما علمنا وصفه ـ بالنسبة للسماوات ـ من غير هذه الآية ، كالانفصال ، والتباين ، فلا يدخل هنا في الدلالة ، والله أعلم . (٢)

هذا وقد تظافرت أقوال المفسرين في تقرير كون الأراض طباقاً ، بعضها فوق بعض ، بغض النظر عن كونها متلاصقة أولا .

أما قول جاويش بأنها السيارات فلم أر قائلا به ، ولا أظنه يوجد في قول أحد من علمائنا !!

قال الكلبي : "خلق سبع سماوات بعضها فوق بعض مثل القبة ، ومن الأرض

١- الطلاق (١٢) .

٢- قال القرطبي رحمه الله في قوله تعالى : ﴿ومن في الارض مثلهن﴾ : "وقد اختلف فيه فقيل : ومن الارض مثلهن ، أي في العدد ، لان الكيفية والصفة مختلفة بالمشاهدة والإخبار ، فتعين العدد . وقيل : ﴿ومن الارض مثلهن﴾ أي في غلظهن وما بينهن ؛ وقيل : هي سبع إلا أنه لم يفتق بعضها

مثلهن في كونها طباقاً متلاصقة ... " اهـ (١).

وقال القرطبي : "ومن الأرض مثلهن " يعني سبعاً . واختلف فيهن على قولين :

أحدهما ـ وهو قول الجمهور ـ أنها سبع أرضين طباقاً ، بعضها فوق بعض . بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والسماء .

و قال الضحاك : ﴿ومن الأرض مثلهن﴾ أي سبعاً من الأرضين ، ولكنها مطبقة بعضها على بعض من غير فتوق ، بخلاف السماوات . والأول أصح (٢) ، لأن الأخبار دالة عليه في الترمذي والنسائي وغيرهما " .اهـ (٣) ثم ساق رحمه الله النصوص الدالة على ما ذكر ، مع ذكر بعض التفصيلات في ذلك . (٤).

و قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "وقد خلق الله سبع أرضين ، بعضهن فوق بعض ، كما ثبت في الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "من ظلم شبراً من الأرض طوقه من سبع أرضين يوم القيامة " . وقد ذكر أبو بكر الانباري الإجماع على ذلك ، وأراد به إجماع أهل الحديث والسنة " اهـ (٥) ونقل الحافظ عن الداوودي قوله في الآية : "فيه دلالة على أن الأرضين بعضها فوق بعض مثل السماوات " اهـ (٦).

هذا وإن مما يوضح المقصود بالآية النظر في بعض الأحاديث الواردة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، والتي فيها بيان للمراد .

قال الإمام البخاري في صحيحه : "باب ما جاء في سبع أرضين ، وقول الله تعالى : ﴿الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن ، يتنزل الأمر بينهن ، لتعلموا أن الله على كل شيء قدير وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً﴾ (٧). وذكر تحت هذا الباب جملة من الأحاديث التي توضح معناه ؛ منها حديث عائشة رضي الله تعالى عنها مرفوعاً: "من ظلم قيد شبر طوقه من سبع أرضين " .(٨) ومنها حديث

١ـ مفاتيح الغيب (٣٠/٣٩) .

٢ـ هذا من كلام القرطبي .

٣ـ الجامع لأحكام القرآن (١٨/١٧٤ـ١٧٥) وانظر فتح القدير (٥/٢٤٧ـ٢٤٨) ، وأبا السعود (٨/٢٦٥) .

٤ـ الجامع لأحكام القرآن (١٨/١٧٤ـ١٧٥) .

٥ـ مجموع الفتاوى (٦/٥٩٥) .

٦ـ الفتح (٦/٢٩٢ـ٢٩٤) . هو الذي ذهب إليه الحافظ رحمه الله ، كما يظهر من كلامه ، وساق الأدلة عليه .

٧ـ الطلاق (١٢) .

سعيد بن زيد رضي الله عنه مرفوعاً : "من أخذ شبراً من الأرض ظلماً فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين " . (١) والحديث أخرجه مسلم مع بعض الاختلافات في اللفظ . فقد أورده بلفظ :(٢) "طوقه الله إياه يوم القيامة من سبع أرضين " وبلفظ : "طوقه في سبع أرضين " . وبلفظ : "طوقه إلى سبع أرضين " . (٣)و أخرجه أبو يعلي في مسنده ولفظه : "من أخذ من الأرض ما ليس له طوقه إلى السابعة " (٤).

و في لفظ آخر : "من أخذ شبراً من الأرض طوقه إلى سبع أرضين " . (٥)

و أخرج البخاري عن ابن عمر مرفوعاً : "من أخذ من الأرض شيئاً بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين " .(٦).

و أخرج ابن حبان من حديث أبي هريرة مرفوعاً : "من أخذ شبراً من الأرض بغير حقه طوقه من سبع أرضين " .(٧).

وهو عند مسلم بلفظ : "لا يأخذ أحد شبراً من الأرض بغير حقه إلا طوقه الله إلى سبع أرضين يوم القيامة " . (٨).

و قال ابن حبان في صحيحه : "ذكر البيان بأن الظالم الشبر من الأرض فما

٨- البخاري مع الفتح برقم (٢٤٥٣، ٣١٩٥) ، ومسلم برقم (١٦١٢) .

١- الفتح رقم (٢٤٥٢، ٣١٩٨)، وابن أبي شيبة برقم (٢٠٥٦) ، والبيهقي (٩٨/٦) ، وعبد الرزاق (١٠/١١) ، وابن حبان (الإحسان) برقم (٥١٤١) ، وأبو يعلى برقم (٩٤٩، ٩٥١ـ٩٥٦، ٩٥٩) ، وأحمد (١٨٧/١) ، والنسائي في تحريم الدم باب من قتل دون ماله ، وابن ماجة في الحدود باب من قتل دون ماله فهو شهيد ، والترمذي في الديات باب ما جاء فيمن قتل دون ماله فهو شهيد .

٢- في آخره .

٣- صحيح مسلم رقم (١٦١٠) .

٤- مسند أبي يعلى رقم (٩٥٠) ، وفي سنده ابن إسحاق ، إلا أنه قد صرح بالتحديث ، ولا مطعن في سنده ، وأخرجه أحمد من طريق يزيد بن هارون بمثل إسناد أبي يعلى (١٨٩/١) . والنسائي من طريق عبدة ، عن محمد بن إسحاق في تحريم الدم ، باب من قتل دون ماله .

٥- مسند أبي يعلى رقم (٩٦٢) ، والحلية (٩٦/١) .

٦- الفتح رقم (٢٤٥٤، ٣١٩٦) .

٧- الإحسان رقم (٥١٣٩) ، وابن أبي شيبة رقم (٢٠٥٨) ، والبيهقي (٩٩/٦) ، وعبد الرزاق (١٠/١١) ، وأخرجه

فوقه يكلف حفرها إلى أسفل من سبع أرضين بنفسه ثم يطوق إياها ذلك " ثم ساق بسنده من حديث يعلي بن مرة (١) : "سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "أيما رجل ظلم شبراً من الأرض كلفه الله أن يحفرها حتى يبلغ سبع أرضين ، ثم يطوقه يوم القيامة ، حتى يفصل بين الناس " .(٢)

و أخرج أبو يعلى بسنده عن سعد مرفوعاً : "من أخذ شيئاً من الأرض بغير حله طوقه من سبع أرضين ... " .(٣)

و قال الحافظ في الفتح : "ولأبي يعلى بإسناد حسن عن الحكم بن الحارث السلمي (٤) مرفوعاً : "من أخذ من طريق المسلمين شبراً جاء يوم القيامة يحمله من سبع أرضين " .(٥)

و أخرج الإمام أحمد بسنده ، من طريق ابن لهيعة ، به ، عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : "قلت يارسول الله ، أي الظلم أعظم ؟! قال : ذراع من الأرض ينتقصه من حق أخيه ، فليست حصاة من الأرض أخذها إلا طوقها يوم القيامة إلى قعر الأرض ، ولا يعلم قعرها إلا الذي خلقها " .(٦)

و هناك أحاديث أخرى تشبه ما ذكرت ، كحديث أبي مالك الأشعري (٧) رضي الله عنه وغيره .

وبعد هذا العرض لهذه الأحاديث ، فإني أجلي لك المعنى لتراه ساطعاً لا يشوبه غبش وذلك بجمع مواضع الاستشهاد من تلك الأحاديث التي سبقت ،

١ـ يعلى بن مرة بن وهب بن جابر بن عتاب بن مالك بن كعب الثقفي ، صحابي شهد الحديبية ، وخيبر ، والفتح مع النبي صلى الله عليه وسلم . تهذيب التهذيب (٣٥٥/١١) .

٢ـ الإحسان رقم (٥١٤٢) ، وعزاه الحافظ في الفتح للطبري أيضاً (١٠٤/٥) . والحديث أخرجه ابن أبي شيبة بلفظ آخر ، وهو برقم (٢٠٥٥) ، وأورده الهيثمي في المجمع (١٧٥/٤) .

٣ـ مسند أبي يعلى برقم (٧٤٤) ، وفي إسناده ضعف . وذكره الهيثمي في المجمع (١٧٥/٤) ، وعزاه إلى أبي يعلى والبزار ، والطبراني في الأوسط ، وقال : "فيه حمزة بن أبي محمد ضعفه أبو حاتم وأبو زرعة ، وحسن الترمذي حديثه " اهـ .

٤ـ انظره في الطبقات الكبرى (٥٣/٧) .

٥ـ الفتح (١٠٤/٥) .

٦ـ المسند (٣٩٦/١، ٣٩٧) ، وساقه ابن كثير في البداية والنهاية (١٩/١) وقال : "تفرد به أحمد ، وهذا إسناد لا بأس به" اهـ . وهذا الإسناد فيه ابن لهيعة وليس الراوي عنه ممن أخذ عنه قبل الإختلاط (انظر من روى عنه قبل الإختلاط ص ٣٣٦ مما سبق) لكن ماقبل من الاحاديث تكون من قبيل الشواهد ويتقوى بها والله أعلم . راجع تعليق الشيخ أحمد شاكر على المسند رقم ٣٧٦٧ .

٧ـ أخرجه ابن أبي شيبة (جـ٦/ص٥٦٧) برقم (٢٠٦٠) ، وحسنه الحافظ في الفتح (١٠٥/٥) .

لتستخرج المعنى الحق بنفسك ، بناء على الأدلة :

فقد ورد في بعضها : "طوقه من سبع أرضين" وفي آخر : "فإنه يطوقه يوم القيامة من سبع أرضين" . وفي لفظ "طوقه الله إياه" إلخ . وفي لفظ : "طوقه إلى سبع أرضين" . وفي آخر : "طوقه إلى السابعة" وفي لفظ آخر : "خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين " وفي بعضها : "كلفه الله أن يحفرها حتى يبلغ سبع أرضين ، ثم يطوقه يوم القيامة ..." وفي بعض آخر : "جاء يوم القيامة يحمله من سبع أرضين" . وفي الحديث الآخر : "فليست حصاة من الأرض أخذها إلا طوقها يوم القيامة إلى قعرها ، ولا يعلم قعرها إلا الذي خلقها" .

فهذه الألفاظ المتنوعة لما جُمعت بين بعضها بعضاً ، فلاح معناها واضحاً لا يخالطه دنس أو ريب ، وهو أن الأرضين السبع المذكورة في الآية والأحاديث . إنما هي مترادفة بعضها فوق بعض كما هو ظاهر من التعبير بـ "إلى" وبالخسف إلى سبع أرضين ، أو الحفر حتى يبلغ السابعة ، أو التطويق بما اغتصب إلى قعرها .

وبعد أن عرفت هذا وتبينته ، فإني أذكر لك بعده بعض أقوال أهل العلم في شرح بعض جمل تلك الأحاديث .

قال الحافظ نقلا عن الخطابي : "قوله: "طُوقه" له وجهان : أحدهما أن معناه أنه يكلف نقل ما ظلم منها في القيامة إلى المحشر ، ويكون كالطوق في عنقه، لا أنه طوق حقيقه . الثاني معناه أنه يعاقب بالخسف إلى سبع أرضين ، أي فتكون كل أرض في تلك الحالة طوقاً في عنقه" اهـ (كلام الخطابي) وهذا يؤيده حديث ابن عمر المتقدم بلفظ : "خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين" (١) .

وقال الحافظ أيضاً : "فيه أن الأرضين متراكمة لم يفتق بعضها من بعض لأنها لو فتقت لاكتفي في حق هذا الغاصب بتطويق التي غصبها لانفصالها عما تحتها . أشار إلى ذلك الداوودي .

وفيه أن الأرضين السبع طباق كالسماوات ، وهو ظاهر قوله تعالى : ﴿ومن

الأرض مثلهن﴾ (١). خلافاً لمن قال : إن المراد بقوله : "سبع أرضين" سبعة أقاليم لأنه لو كان كذلك لم يطوق الغاصب شبراً من إقليم آخر . قاله ابن التين (٢) اهـ(٣).

وقال ابن كثير رحمه الله بعد أن ساق جملة من الأحاديث الدالة على ما ذكرت :"فهذه الأحاديث كالمتواترة في إثبات سبع أرضين ، والمراد بذلك أن كل واحدة فوق الأخرى ، والتي تحتها في وسطها عند أهل الهيئة ، حتى ينتهي الأمر إلى السابعة وهي صماء لا جوف لها ....

واختلفوا : هل هن متراكمات بلا تفاصل أو بين كل واحدة والتي تليها خلاء ؟ على قولين ...

والظاهر أن بين كل واحدة منهن وبين الأخرى مسافة لظاهر قوله تعالى : ﴿الله الذي خلق سبع سماوات ومن الأرض مثلهن يتنزل الأمر بينهن﴾ (٤)الآية . (٥)

وهذا الأخير الذي ذكره ابن كثير رحمه الله ورد عن ابن مسعود رضي الله عنه ما يؤيده ، إن ثبت عنه (٦) ، والله أعلم بحقيقة هذا الأمر ـ أعني كونها متلاصقة أو متباينة ـ فإن هذا مما لم نطلع عليه ، ولم نكلف بمعرفته . (٧) .

١ـ الطلاق (١٢) .

٢ـ هو الإمام عبد الواحد بن التين السفاقسي له شرح على صحيح البخاري . كشف الظنون (٥٤٦/١) .

٣ـ الفتح (٥/ ١٠٥) .

٤ـ الطلاق (١٢) .

٥ـ البداية والنهاية (٢٠/١) ، وانظر : "ماجاء في سبع أرضين" (١٨/١ـ٢٢) .

٦ـ انظره في تفسير ابن جرير (١٥٣/٢٨) .

٧ـ تنبيه : لمعرفة المزيد من أقوال المفسرين انظر : ابن جرير (١٥٣/٢٨ـ١٥٤) ، البغوي (٣٦١/٤) ، زاد المسير (٢٩٩/٨ـ٣٠٠) ، القرطبي (١٧٤/١٨ـ١٧٦) ، ابن كثير (٣٠٣/٤، ٣٨٥) ، فتح القدير (٢٤٧/٥ـ ٢٤٨) ، القاسمي (٢٠٨/١٦ـ٢٠٩) .

المسألة الرابعة : في حكم إسلام الكافر إن علق بشرط فاسد وهل يقبل منه ذلك تأليفاً له ؟!

قال المؤلف في ذكر الوجه السابع من وجوه الاعجاز القرآني : "سابعها : ترتيبه الأوامر والنواهي ترتيباً يسع جميع الناس ، على تفاوت استعدادهم ومواهبهم .

فالأوامر الدينية درجات : هذا إيمان ، وهذا إسلام ، وهذا ركن ، وهذا فرض ، وهذا واجب ... والمناهي كذلك درجات : هذا نفاق ، وهذا شرك ، وهذا كفر ، وهذه كبيرة ، وهذه صغيرة ، وهذا مكروه تحريماً ، وهذا مكروه تنزيهاً .. وما وراء هذه الأوامر والنواهي فمباحات ، لكل أن يأخذ ، وأن يدع منها ما شاء ، ولا ريب أن وضع التشريع على هذا الوجه فيه متسع للجميع ، وفيه إغراء للنفوس الضعيفة أن تتشرف باعتناق الإسلام ، ولو في أدنى درجة من درجاته ، حتى إذا أنست به ، وذاقت حلاوته ، تدرجت في مدارج الرقي ، فمن إيمان إلى إسلام ، إلى أداء ركن ، إلى أداء فرض ، إلى واجب ، إلى أداء مندوب مؤكد ، إلى مندوب غير مؤكد . ومن ترك نفاق ، إلى ترك شرك وكفر ، إلى ترك كبيرة ، إلى ترك صغيرة ، إلى ترك مكروه تحريماً ، إلى ترك مكروه تنزيهاً ، إلى ترك ما لا بأس به حذراً مما به بأس .

و من مجرد أداء للنوافل ، إلى زيادة فيها وإكثار منها ... " اهـ (١).

و هذا الذي ذكر المؤلف عليه مآخذ متعددة أوجزها فيما يأتي :

الأول : أنه مخالف لقوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾ . (٢) ونظائرها من آي الكتاب العظيم . والتي تأمر بالدخول في هذا الدين بلا تفرقة بين شرائعه ، أو اقتصار على بعض فرائض الله عز وجل على عباده دون البعض الآخر !!

هذا وقد أنكر الله تبارك وتعالى على من فعل ذلك فقال : ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحياة الدنيا

ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون﴾ . (١).

الثاني : أن هذا التفريق الذي ذكره المؤلف ، من كون هذا واجباً ، وهذا فرضاً ، وهذا سنة مؤكدة ، وهذا سنة غير مؤكدة .. إلخ لم يكن معروفاً عند السلف من الصحابة رضي الله تعالى عنهم أجمعين .

و إنما كانوا أحرص ما يكونون على العمل والتلقي مع التطبيق لكل ما جاء عن الله عز وجل ، وجاء عن رسوله صلى الله عليه وسلم .

الثالث : اعتبر المؤلف ترتيب الأمور الدينية من إيمان ، وإسلام ، وشرك ؛ وركن ، وواجب ، ومندوب . من المرغبات في الإسلام ، لأنه بهذه الطريقة يكون قد رتب الأوامر والنواهي ترتيباً يسع جميع الناس على تفاوت استعدادهم ومواهبهم !!

ويُرد عليه بأنه لا يسع المكلف إلا الانقياد والإذعان لله تبارك وتعالى .

فلا يسعه الكفر ، ولا النفاق ، والمخالفة . ومن وقع في شيء من ذلك فيلزمه الرجوع والتوبة ، لا كما قال المؤلف : "إن وضع التشريع على هذا الوجه فيه متسع للجميع ، وفيه إغراء للنفوس الضعيفة أن تتشرف باعتناق الإسلام ، ولو في أدنى درجة من درجاته " اهـ !!(٢).

وقد يعجل القارىء فيقول : إن المؤلف لم يأت بما ينكر عليه ، فإن تفاوت المراتب الدينية والتكاليف الشرعية مما يسهل على الناس ، ويوسع الأمر عليهم في الاستجابة للإسلام !!

و هذا صحيح ؛ لكن لا ينبغي أن يدخل مع ذلك ترك الفرائض ، والوقوع في الكفر والشرك والنفاق .

و المؤلف يقول بعد كلامه السابق مباشرة : "حتى إذا أنست به ، وذاقت حلاوته ، تدرجت في مدارج الرقي ؛ فمن إيمان مباشرة إلى إسلام ، إلى أداء ركن ، إلى أداء فرض ، إلى أداء واجب . ومن ترك نفاق إلى ترك شرك ، إلى ترك كبيرة ، إلى ترك صغيرة .. " اهـ (٣).

و هذه الجمل من كلامه لا تسلم له بحال من الأحوال ! ومن أجلها جاءت هذه المناقشة في هذا الموضع .. والمؤلف يستدل على كلامه هذا ـ الأخير ـ بأدلة

١ـ البقرة (٨٥) .

٢ـ المناهل (٢/٢٦٠ـ٢٦١) .

٣ـ المناهل (٢/ ٢٦٠ـ٢٦١) .

ثلاثة نقلية ، والرابع مستنبط من سير التشريع وتدرجه . فاستمع إليه وهو يقول : "على ضوء هذه السياسة الشرعية الحكيمة ، التي نزل بها القرآن ، كان صلى الله عليه وسلم يتدرج بالأقوام رويداً رويداً، كما كان يتساهل معهم تأليفاً لقلوبهم ، واستمالة لهم إلى اعتناق الدين على أي وجه ، ومن ذلك مارواه الإمام أحمد بسنده عن نصر بن عاصم الليثي ، عن رجل منهم ، أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم على أن يصلي صلاتين (لا خمساً) ، فقبل منه (١) . وجاء في رواية أخرى : على ألا يصلى إلا صلاة ، فقبل . وعن وهب قال : سألت جابراً عن شأن ثقيف إذ بايعت ، فقال : اشترطت على النبي صلى الله عليه وسلم أن لا صدقة عليها ولا جهاد . وأنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول بعد ذلك : "سيتصدقون ويجاهدون" رواه أبو داود . (٢)

وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل : "أسلم" قال : أجدني كارهاً . قال : "أسلم وإن كنت كارهاً" رواه أحمد . (٣).

قال الشوكاني في نيل الأوطار بعد أن سرد هذه الأحاديث : "فيها دليل على أنه يجوز مبايعة الكافر وقبول الإسلام منه وإن شرط شرطاً باطلا " اهـ (٤).

فظهر لك من كلام المؤلف أن الإسلام يتساهل مع الناس في اعتناقه على أي وجه كان !!

و الأحاديث التي ساقها المؤلف ثابتة من جهة السند ؛ لكن ورد ما يعارضها من جهة المعنى ! ومن ذلك ما أخرجه أبو داود في سننه بسنده من طريق الحسن عن عثمان بن أبي العاص : "أن وفد ثقيف لما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلهم المسجد ليكون أرق لقلوبهم ، فاشترطوا عليه أن لا يحشروا ، ولا يعشروا ولا يجبوا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لكم أن لا تحشروا ولا

١- المسند (٢٤/٥) .

٢- عون المعبود رقم (٣٠٠٩) ، صحيح أبي داود رقم (٢٦١٤) وقد أخرجه الإمام أحمد من طريق آخر فيه ابن لهيعة (٤٣١/٣) ، وانظر سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم (١٨٨٨) .

٣- المسند (١٨١/٣، ١٨٩) وهو من ثلاثياته ، وانظر صحيح الجامع رقم (٩٨٩) وسلسلة الأحاديث الصحيحة

تعشروا ، ولا خير في دين ليس فيه ركوع " . (١).

قال الخطابي : "قوله لا تحشروا : معناه الحشر في الجهاد ، والنفير له .

وقوله : "وأن لا تعشروا " معناه : الصدقة . أي لا يؤخذ عشر أموالكم .

و قوله : "أن لا يجبوا " معناه: لا يصلوا وأصل التجبية : أن يكب الإنسان على مقدمه ، ويرفع مؤخره .

قلت ـ الخطابي ـ ويشبه أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم إنما سمح لهم بالجهاد والصدقة لأنهما لم يكونا واجبين في العاجل ، لأن الصدقة إنما تجب بحلول الحول ، والجهاد إنما يجب بحضور العدو ، فأما الصلاة فهي راهنة في كل يوم وليلة في أوقاتها الموقوتة ، ولم يجز أن يشترطوا تركها .

و قد سُئل جابر بن عبد الله عن اشتراط ثقيف أن لا صدقة عليها ولا جهاد ؟ فقال : علم أنهم سيتصدقون ويجاهدون إذا أسلموا " اهـ (٢).

و الحديث ضعيف ، لكنه يتقوى بحديث وهب عن جابر ، دون الزيادة التي في آخره ، وهي اشتراطهم عدم الصلاة ، وجواب النبي صلى الله عليه وسلم لهم في ذلك .

و قول الخطابي : "يشبه أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم إنما سمح لهم بالجهاد والصدقة لأنهما لم يكونا واجبين في العاجل .. " إلخ ، فيه بعد ! لأنه يترتب على هذا الشرط عدم إرسال النبي صلى الله عليه وسلم لهم مبعوثاً لجلب الصدقة ! وإلا فيكون قد خالف الشرط الذي قبله منهم .

و كذا يقال في اشتراط عدم الجهاد ! والأقرب هو ما أجاب به جابر رضي الله عنه ، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم علم أنهم سيجاهدون ويتصدقون ! وهو مؤيد بالوحي صلى الله عليه وسلم .

و يشهد لهذا المعنى حديث جابر المتقدم ، والذي أخرجه الإمام أحمد ،

١ـ عون المعبود رقم (٣٠١٠) وانظر شرحه هناك (جـ٨/٢٦٧ـ٢٦٨) ، نيل الأوطار (١٩٩/٧) . قال المنذري بعد أن ساقه في مختصر السنن : "قد قيل إن الحسن البصري لم يسمع من عثمان بن أبي العاص " اهـ مختصر السنن (٢٤٤/٤) ، وقد جزم بذلك الحافظ في التهذيب (٢٣١/٢) ، وعليه فيكون منقطعاً ؛ لكن يشهد للشق الأول منه وهو قوله : "فاشترطوا عليه أن لا يحشروا ، ولا يعشروا" الحديث السابق عن وهب عند أحمد وأبي داود . وهو دليل للمؤلف كما سبق .

٢ـ معالم السنن (٢٤٤/٤) .

وأبو داود ، وهو قوله صلى الله عليه وسلم "سيتصدقون ويجاهدون " . فيكون هذا من خصوصياته صلى الله عليه وسلم .

و مما يخالف تلك الروايات أيضاً : ما أخرجه الإمام أحمد رحمه الله بسنده ، من طريقين إلى مغيرة عن شباك(١) ، عن الشعبي ، عن رجل من ثقيف قال : "سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً فلم يرخص لنا . فقلنا : إن أرضنا أرض باردة ، فسألناه أن يرخص لنا في الطهور ، فلم يرخص لنا . وسألناه أن يرخص لنا في الدباء ، فلم يرخص لنا فيه ساعة ، وسألناه أن يرد إلينا أبا بكرة فأبى ، وقال : هو طليق الله وطليق رسوله .. "(٢) . وإسناده صحيح .

و قد ساق ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد عن ابن إسحاق : "..و قد كان فيما سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ أي وفد ثقيف ـ أن يدع لهم الطاغية ، وهي اللات ، لا يهدمها ثلاث سنين ، فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فما برحوا يسألونه سنة سنة ، ويأبى عليهم ؛ حتى سألوه شهراً واحداً بعد قدومهم ، فأبى عليهم أن يدعها شيئاً مسمى ، وإنما يريدون بذلك فيما يظهرون أن يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم . ويكرهون أن يروعوا قومهم بهدمها ، حتى يدخلهم الإسلام . فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أن يبعث أبا سفيان بن حرب ، والمغيرة بن شعبة يهدمانها . وقد كانوا يسألونه مع ترك الطاغية أن يعفيهم من الصلاة ، وأن لا يكسروا أوثانهم بأيديهم . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه ، وأما الصلاة فلا خير في دين لا صلاة فيه "(٣).

كما ساق ابن القيم أيضاً عن موسى بن عقبة : ".. قال : فقدم وفدهم ـ أي ثقيف ـ ومنهم كنانة بن عبد ياليل(٤) وهو رأسهم يومئذ ، وفيهم عثمان بن أبي

١- هو شباك الضبي الكوفي ، الأعمى ، قال عنه في التقريب : "ثقة " ، له ذكر في صحيح مسلم ، وكان يدلس ، من السادسة " اهـ . التقريب (١/٣٤٥) .

٢- المسند (٤/١٦٨) .

٣- زاد المعاد (٣/٤٩٨ـ٥٠٠) ، وانظر الطبري (٣/١٤٠ـ١٤١) ، والبداية والنهاية (٥/٢٩ـ٣٤) ، وتهذيب سيرة ابن هشام (٣٣٨) .

العاص وهو أصغر الوفد .. فمكث الوفد يختلفون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو يدعوهم إلى الإسلام فأسلموا . فقال كنانة بن عبد ياليل : هل أنت مقاضينا حتى نرجع إلى قومنا ؟! قال : نعم ، إن أنتم أقررتم بالإسلام أقاضيكم ، وإلا فلا قضية ولا صلح بيني وبينكم . قال : أفرأيت الزنى فإنا قوم نغترب ، ولا بد لنا منه ؟ ! قال : هو عليكم حرام . فإن الله عز وجل يقول : ﴿ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة ..﴾ (١) . قالوا : أفرأيت الربا فإنه أموالنا كلها ؟! قال : لكم رؤوس أموالكم ، إن الله تعالى يقول : ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا مابقي من الربا إن كنتم مؤمنين﴾ (٢) . قالوا : أفرأيت الخمر ، فإنه عصير أرضنا لابد لنا منها ؟ قال : إن الله قد حرمها . وقرأ : ﴿يا أيها الذين آمنوا إنما الخمر والميسر ....﴾ (٣) فارتفع القوم . فخلا بعضهم ببعض فقالوا ويحكم . إنا نخاف إن خالفناه يوماً كيوم مكة ، انطلقوا نكاتبه على ما سألناه . فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : نعم لك ما سألت ، أرأيت الربة (٤) ماذا نصنع فيها ؟ قال : اهدموها . قالوا : هيهات !! لو تعلم الربة أنك تريد هدمها لقتلت أهلها ..وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : تول أنت هدمها ، فأما نحن فلا نهدمها أبداً . قال : فسأبعث إليكم من يكفيكم هدمها .. (٥) .

وهناك أحاديث وروايات تدل على مثل هذا المعنى ، كحديث الرجل الذي جاء يستأذن النبي صلى الله عليه وسلم في الزنا !! (٦) وغيره من الأخبار التي تفيد خلاف ما استدل به المؤلف في المعنى ، كما يشهد القرآن لذلك أيضاً .

وعليه فيكون التوفيق بين مجموع الروايات الواردة في هذا الموضوع هو القول بأن النبي صلى الله عليه وسلم علم عدم تمسكهم أبداً بذلك الشرط فأمضاه لهم . وكذا قد يقال في خبر ذلك الرجل الذي أراد الاقتصار على صلاتين .

إلى أرض الروم . والله أعلم . الإصابة (٣/٣٢٤) .

١ـ الإسراء (٣٢) .

٢ـ البقرة (٢٧٨) .

٣ـ المائدة (٩٠) .

٤ـ يعنون العزى .

٥ـ زاد المعاد (٣/٥٩٦ـ٦٠٠) ، وانظر : البداية والنهاية (٥/٢٩ـ٣٤) .

٦ـ مسند أحمد (٥/٢٥٦) .

وليس لقائل أن يعترض على هذا الجمع بين الروايات بأن النبي صلى الله عليه وسلم مشرع للأمة ، وهي مطالبة بالاقتداء به !! وعليه فلا وجه للخصوصية !!

ويجاب عنه : بأن فعله صلى الله عليه وسلم تشريع للأمة هو الأصل ، إن لم توجد قرينة تدل على التخصيص فيلجأ إليه كما هنا والله أعلم .

أما حديث أنس في خبر الرجل الذي قال له النبي صلى الله عليه وسلم : "أسلم وإن كنت كارهاً" فلا دليل فيه على ما ذهب إليه ، لأن الرجل قد يكره الدخول في الإسلام خوفاً من قومه وعشيرته ؛ وقد يكره ذلك لهوى في نفسه وشهوة .. فإذا أسلم فإنه يخشى فوات هذا المطلوب ، أو حصول ذلك المكروه ، وكذا من كان له منصب أو جاه ووجاهة من الكفار ، فإنه يكره الدخول في الإسلام خوفاً على منصبه وجاهه في بعض الأحيان ، بل في أغلبها !! لكن عليه أن يتغلب على نفسه وهواه ويذعن لدين الله عز وجل ، وإن كرهت تلك النفس ، وهذا واضح والحمد لله .

هذا وينبغي أن يُفرق بين إقرار المشرك على شيء من الشرك ، أو العاصي على المعصية ، وبين تأخير الأمر أو النهي ، سواء كان ذلك للاشتغال بأمره بالأهم أو نهيه عن ذلك ، أو كان ذلك لعدم قابليته له في الحال .. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : "فأما إذا كان المأمور والمنهي لا يتقيد بالممكن ؛ إما لجهله ، وإما لظلمه ، ولا يمكن إزالة جهله وظلمة ، فربما كان الأصلح الكف والإمساك عن أمره ونهيه ، كما قيل : إن من المسائل مسائل جوابها السكوت ، كما سكت الشارع في أول الأمر عن الأمر بأشياء ، والنهي عن أشياء حتى علا الإسلام وظهر ، فالعالم في البيان والبلاغ كذلك قد يؤخر البيان والبلاغ لأشياء إلى وقت التمكن ، كما أخر الله سبحانه إنزال آيات وبيان أحكام إلى وقت تمكن رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليماً إلى بيانها .

يبين حقيقة الحال هذا أن الله يقول : ﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾

(١) والحجة على العباد إنما تقوم بشيئين : بشرط التمكن من العلم بما أنزل الله ، والقدرة على العمل به . فأما العاجز عن العلم كالمجنون ، أو العاجز عن العمل ، فلا أمر عليه ولا نهي ، وإذا انقطع العلم ببعض الدين ، أو حصل العجز عن بعضه ، كان ذلك في حق العاجز عن العلم أو العمل بقوله ، كمن انقطع عن العلم بجميع الدين ، أو عجز عن جميعه ، كالمجنون مثلا ؛ وهذه أوقات الفترات ، فإذا حصل من يقوم بالدين من العلماء أو الأمراء أو مجموعهما ، كان بيانه لما جاء به الرسول شيئاً فشيئاً بمنزلة بيان الرسول لما بُعث به شيئاً فشيئاً ، ومعلوم أن الرسول لا يبلغ إلا ما أمكن علمه والعمل به ، ولم تأت الشريعة جملة ، كما يقال : إذا أردت أن تطاع فأمر بما يستطاع . فكذلك المجدد لدينه ، والمحيي لسنته ، لايبلغ إلا ما أمكن علمه والعمل به ، كما أن الداخل في الإسلام لا يمكن حين دخوله أن يلقن جميع شرائعه ويؤمر بها كلها وكذلك التائب من الذنوب ، والمتعلم ، والمسترشد لا يمكن في أول الأمر أن يُؤمر بجميع الدين ، ويُذكر له جميع العلم فإنه لايطيق ذلك ، وإذا لم يطقه لم يكن واجباً عليه في هذه الحال ، وإذا لم يكن واجباً لم يكن للعالم والأمير أن يوجبه جميعه ابتداء ، بل يعفو عن الأمر والنهي بما لا يمكن علمه وعمله إلى وقت الإمكان ، كما عفى الرسول عما عفى عنه إلى وقت بيانه ، ولا يكون ذلك من باب إقرار المحرمات وترك الأمر بالواجبات ، لأن الوجوب والتحريم مشروط بإمكان العلم والعمل ، وقد فرضنا انتفاء هذا الشرط ، فتدبر هذا الأصل فإنه نافع

ومن هنا يتبين سقوط كثير من الأشياء وإن كانت واجبة أو محرمة في الأصل لعدم إمكان البلاغ الذي تقوم به حجة الله في الوجوب أو التحريم فإن العجز مسقط للأمر والنهي وإن كان واجباً في الأصل . اهـ (٢) .

وبهذا تكون قد عرفت الجواب عند دليله الرابع ، وهو الاحتجاج بتدرج التشريع . والله أعلم

الرابع من الملاحظات في هذا الجزء من كلام المؤلف هو قوله : "تدرجت

١- الإسراء (١٥) .

٢- مجموع الفتاوى (٢٠/٥٧ـ٦١) .

في مدراج الرقي فمن إيمان إلى إسلام" (١) اهـ مع كون الإيمان أرفع درجة من الإسلام ، كما دل على ذلك القرآن في مواضع كثيرة كقوله تعالى : ﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾ (٢) وهذا الأمر مستفيض في السنة ؛ ومن ذلك حديث جبريل المشهور . والله أعلم .

الخامس : وهو قوله عند ذكره ذلك التدرج : ".. فمن إيمان إلى إسلام إلى أداء ركن إلى أداء فرض إلى أداء واجب .." اهـ مع أن الفرض هو نفس الواجب ولا فرق كما هو المعروف عند جماهير الفقهاء والأصوليين عدا الحنفية

قال في المراقي :

وهـومـن ذاك أعـم مطلقـا والفرض والواجب قد توافقا

كالحتم واللازم مكتوب وما فيه اشتباه للكرهة انتمى (٣)

١- المناهل (٢/٣٦١) .

إيقاظات متنوعة :

الإيقاظ الأول :

قال المؤلف رحمه الله في بيان توجيه القرآن الكريم للغرائز البشرية ، واستغلاله لها : "وهذه غريزة حب البقاء والعلو في الإنسان قد نأى بها القرآن أيضاً عن الظلم والبغي ، وذهب بها إلى حيث الدفاع عن النفس والعرض والدين والوطن .." اهـ(١) .

فهذا الكلام قد يُفهم منه أن الجهاد شُرع للدفاع فقط !! لكن كلامه غير صريح بهذا .. وللمؤلف رحمه الله كلام تحت عنوان : "ما نزل في أمر الجهاد والدفاع" (٢) وذكر كلاماً لا تستطيع من خلاله القطع بمراده .. ونحن نحمل كلام المؤلف على أحسن المحامل ونقول بأن المؤلف لا يريد ذلك المعنى الباطل ، وهو كون الجهاد أمراً دفاعياً فقط ، بل هو يعلم ـ إن شاء الله ـ ويقر بأنه أمر دفاعي وهجومي ، كما دل على ذلك نصوص الكتاب والسنة ، وكما يشهد لذلك جهاد الرسول صلى الله عليه وسلم ، وبعوثه وسراياه .. وسيرة خلفاءه من بعده ، ومن جاء بعدهم من الأئمة والأمراء...

وإنما أردنا التنبيه هنا لئلا يتوهم أحد من كلام المؤلف ذلك المعنى البعيد ، والله المستعان .

الإيقاظ الثاني :

عند كلام المؤلف على فوائد الصيام قال : "للصيام فوائد في ثلاث جهات : (أولاها وأهمها : الجهة الروحية ، وهذه أتركها لعلماء الدين والمتصوفة منهم .

ثانياً : الجهة الأخلاقية ، وهذه أتركها لعلماء الأخلاق ... " اهـ(٣) .

و هذا الكلام يمكن أن يؤخذ عليه مأخذان :

الأول : في قوله : "علماء الدين والمتصوفة منهم " فإن فائدة الصيام قد نص الله عز وجل عليها بقوله : ﴿ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على

١ـ المناهل (٢/٢٥٩) .

٢ـ المناهل (١/٩٤) .

٣ـ المناهل ٢/٢٨٠) .

الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾ . (١) وبعد هذا فلسنا بحاجة إلى خزعبلات المتصوفة ، لأنهم ليسوا أهلا لاستخراج حِكَم التشريع ، والله المستعان .

الثاني : ذلك التقسيم الذي ذكره ، حيث جعل استخراج فوائد الصوم الروحية لعلماء الدين ، وفوائده الأخلاقية لعلماء الأخلاق !! فإن هذا مما تسرب إلينا من الأعداء ! فالدين يشمل الأخلاق والسياسة وغير ذلك من مهمات الحياة .. وقد بُعث النبي صلى الله عليه وسلم ليتمم مكارم الأخلاق .

الإيقاظ الثالث :

قال المؤلف تحت عنوان : "الوجه التاسع : ما نزل بعد طول انتظار) : "ثالثها : ما ورد أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن أصحاب الكهف ، وعن ذي القرنين ، وعن الروح . فقال لسائليه : "ائتوني غداً أخبرُكم" ولم يقل إن شاء الله ، فأبطأ عليه الوحي ، حتى شق ذلك عليه ، وكذبته قريش وقالوا : ودعه ربه وقلاه . أي تركه ربه وأبغضه . فأنزل الله : ﴿والضحى والليل إذا سجى ، ما ودعك ربك وما قلى﴾ (٢) ثم نهاه مولاه أن يترك المشيئة مرة أخرى ! إذ قال له في سورة الكهف: ﴿و لا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ، واذكر ربك إذا نسيت ...﴾(٣) ولما نزل جبريل بعد هذا الإبطاء والتمهل قال له ما حكاه الله عنه في سورة مريم : "وما نتنزل إلا بأمر ربك .." (٤). اهـ (٥) و هنا لابد من بيان ثلاثة أمور :

الأول : أن سبب نزول صدر سورة الضحى هو ما أخرجه الشيخان وغيرهما من حديث جندب البجلي رضي الله عنه قال : "اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلم يقم ليلة أو ليلتين ، ـ وفي رواية : ليلتين أو ثلاثاً ـ فجاءته امرأة فقالت : يا محمد ، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك ، لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاث .

قال: فأنزل الله عز وجل : ﴿والضحى والليل إذا سجى ، ما ودعك ربك وما

١ـ البقرة (١٨٣) .

٢ـ الضحى (١ـ٣) .

٣ـ الكهف (٢٣ـ٢٤) .

قلى﴾ (١)و في رواية : "أبطأ جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال المشركون : قد ودع محمد . فأنزل الله عزل وجل : ﴿والضحى ...﴾ . (٢)

الثاني : أن سبب نزول قوله تعالى : ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله ..﴾ (٣)هو ما جاء عن ابن عباس بسند ضعيف أنه قال : "بعثت قريش النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط ، إلى أحبار يهود بالمدينة ، فقالوا لهم سلوهم عن محمد ، وصفوا لهم صفته ، وأخبروهم بقوله ، فإنهم أهل الكتاب الأول ، وعندهم ما ليس عندنا من علم الأنبياء . فخرجا حتى أتيا المدينة ، فسألوا أحبار يهود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ووصفوا لهم أمره ، وبعض قوله . وقالا : إنكم أهل التوراة ، وقد جئناكم لتخبرونا عن صاحبنا هذا ، قال : فقالوا لهم سلوه عن ثلاث نأمركم بهن . فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل ، وإلا فرجل متقول ، تروا فيه رأيكم .

سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ، ما كان من أمرهم ... فأقبل النضر وعقبة حتى قدما على قريش فقالا: يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد ، قد أمرنا أحبار يهود أن نسأله عن أمور ، فأخبروهم بها . فجاءوا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا محمد أخبرنا ، فسألوه عما أمروهم به ، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبركم غداً عما سألتم عنه ، ولم يستثن ، فانصرفوا عنه ، ومكث رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس عشرة ليلة لا يحدث الله إليه في ذلك وحيا ، ولا يأتيه جبرائيل عليه السلام حتى أرجف أهل مكة وقالوا : وعدنا محمد غداً واليوم خمس عشرة قد أصبحنا فيها لا يخبرنا بشيء عما سألناه عنه ، وحتى أحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم مكث الوحي عنه ، وشق عليه ما يتكلم به أهل مكة ؛ ثم جاءه جبرائيل عليه السلام من الله عز وجل بسورة أصحاب الكهف ، فيها معاتبته إياه على حزنه عليهم ، وخبر ما سألوه عنه ... " .(٤)

١ـ الضحى (١ـ٣) .

٢ـ البخاري في تفسير سورة "والضحى " باب قوله تعالى : ﴿ما ودعك ربك وما قلى﴾ ، وفي التهجد : باب ترك القيام للمريض ، وفي فضائل القرآن ، باب كيفية نزول الوحي . وأخرجه مسلم في الجهاد ، باب ما لقي النبي صلى الله عليه وسلم من أذى المنافقين .

٣ـ الكهف (٢٣ـ٢٤) .

٤ـ انظر تفسير ابن كثير (٣/٧٢ـ٧٣) .

الثالث : إن سبب نزول قوله تعالى : ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك ..﴾. (١) هو ما أخرجه البخاري وغيره عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل عليه السلام : "ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا ؟ فنزلت : ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك ..﴾ . (٢) .

الإيقاظ الرابع : ـ

قال المؤلف رحمه الله في الوجه الثالث عشر من وجوه الإعجاز وهو الآيات التي تُجرد الرسول من نسبته إليه : ".. بل كان صلى الله عليه وسلم يخاف انقطاع هذا المدد الفياض عنه ، فإذا فتر الوحي عراه من الحزن على فترته والتلهف على عودته ، ما يجعله يمشي في الشعاب والجبال كأنه يلتمسه ، حتى لقد كاد يتردى مرة من شاهق وهو يطلبه .." اهـ(٣) .

و هذا الأمر الذي ذكر ـ وهو محاولته صلى الله عليه وسلم التردي من شاهق ـ لا يصح أبداً ؛ إذ هو مناف للعصمة التي عصم الله تعالى بها رسوله صلى الله عليه وسلم عن الإقدام على مثل هذا الفعل الشنيع !!

وقد مر بك في ثنايا هذا البحث كثرة رد المؤلف لقضايا ـ هي في الحقيقة من الشرع ـ أو تمييعها بحجة الدفاع عن الإسلام ضد الطاعنين !! والعجيب أنه أورد مثل هذا الكلام دون إثبات له !!

و هذ الحادثة تجدها في الصحيح ، في كتاب التعبير ، تحت باب : "أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة " .

١ـ مريم (٦٥) .

٢ـ البخاري في تفسير سورة مريم عند قوله : ﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾

ثم قال: ثنا يحيى بن بكير (١) ، ثنا الليث ، عن عقيل (٢) ، عن ابن شهاب .

و حدثني عبد الله بن محمد (٣) ، ثنا عبد الرزاق ، ثنا معمر ، قال الزهري :

فأخبرني عروة ، عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: أول ما بدىء به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ـ وساق الحديث المعروف والذي في آخره قول ورقة ـ ".. وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً . ثم لم ينشب ورقة أن توفي ، وفتر الوحي فترة ، حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزناً غدا منه مراراً كي يتردى من رءوس شواهق الجبال ، فكلما أوفى بذروة جبل لكي يلقي منه نفسه تبدى له جبريل فقال يا محمد إنك رسول الله حقاً . فيسكن لذلك جأشه ، وتقر نفسه فيرجع ، فإذا طالت عليه فترة الوحي غدا لمثل ذلك ، فإذا أوفى بذروة جبل تبدى له جبريل فقال له مثل ذلك " .(٤)و هذا الأخير هو من بلاغات الزهري ، ولم يصل إلينا موصولا ، فالقائل "فيما بلغنا " هو الزهري ، كما نبه على ذلك الحافظ بقوله : "وقوله هنا : "فترة حتى حزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا " هذا وما بعده من زيادة معمر على رواية عقيل ويونس .(٥) وضنيع المؤلف يوهم أنه داخل في رواية عقيل ، وقد جرى على ذلك الحميدي في جمعه ، فساق الحديث إلى قوله : "وفتر الوحي" ثم قال انتهى حديث عقيل المفرد عن ابن شهاب إلى حيث ذكرنا . وزاد عنه البخاري في حديثه المقترن بمعمر عن الزهري فقال : "وفتر الوحي فترة حتى حزن" فساقه إلى آخره ، والذي عندي أن هذه الزيادة خاصة برواية معمر، فقد أخرج طريق عقيل أبو نعيم في مستخرجه من طريق أبي زرعة الرازي ، عن يحيى بن بكير شيخ البخاري فيه في أول الكتاب بدونها .

١- هو يحيى بن عبد الله بن بكير ، المخزومي مولاهم ، المصري ،وقد ينسب إلى جده ،توفي سنة (٢٣١هـ) . التقريب (٣٥١/٢) .

٢- عقيل بن خالد بن عقيل الأيلي ، أبو خالد الأموي مولاهم ، سكن المدينة ثم الشام ثم مصر ، توفي سنة (١٤٤هـ) . التهذيب (٢٢٨/٧) ، التقريب (٢٩/٢) .

٣- عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر الجعفي ، أبو جعفر البخاري ، المعروف بالمسندي . توفي سنة (٢٢٩هـ) . التقريب (٤٤٧/١) .

٤- الفتح (١٢/٣٥١ـ٣٥٢) حديث رقم(٦٩٨٢) .

٥- هو يونس بن يزيد بن أبي النجاد ، ويقال: ابن النجاد الأيلي ، أبو يزيد ، مولى معاوية بن أبي سفيان توفي سنة (١٥٩هـ) على ما قيل والله أعلم . التقريب (٣٩٥/١١) .

و أخرجه مقروناً هنا برواية معمر ، وبين أن اللفظ لمعمر ، وكذلك صرح الإسماعيلي (١) أن الزيادة في رواية معمر ، وأخرجه أحمد ومسلم والإسماعيلي وغيرهم ، وأبو نعيم أيضاً من طريق جمع من أصحاب الليث عن الليث بدونها ، ثم إن القائل : "فيما بلغنا " هو الزهري ، ومعنى الكلام أن من جملة ما وصل إلينا من خبر رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذه القصة وهو من بلاغات الزهري وليس موصولا . وقال الكرماني :(٢) . هذا هو الظاهر ؛ ويحتمل أن يكون بلغه بالإسناد المذكور ، ووقع عند ابن مردويه في التفسير من طريق محمد بن كثير (٣) ، عن معمر بإسقاط قوله : "فيما بلغنا " ولفظه : "فترة حزن النبي صلى الله عليه وسلم منها حزناً غدا منه " إلى آخره . فصار كله مدرجاً على رواية الزهري وعن عروة عن عائشة ، والأول هو المعتمد .. " اهـ(٤) .

و الحديث أخرجه بطوله أحمد رحمه الله من طريق عبد الرزاق عن معمر ، عن الزهري بنحوه وقد ساق جزأه الأخير بنحو ما مر في الصحيح آنفاً بقوله "فيما بلغنا" (٥) (٦).

١- هو الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الجرجاني الإسماعيلي الشافعي ، ولد سنة (٢٧٧هـ) . وتوفي سنة (٣٧١هـ) . السير (١٦/٢٩٢) .

٢- هو الشيخ شمس الدين ، محمد بن يوسف بن علي بن عبد الكريم الكرماني الشافعي ، نزيل بغداد ، ولد سنة (٧١٧هـ) وتوفي سنة (٧٨٦هـ) وقيل سنة (٧٨٧هـ) وله شرح على صحيح البخاري . شذرات الذهب (٦/٢٩٤) .

٣- هو محمد بن كثير بن عطاء الثقفي الصنعاني ، أبو يوسف ، نزيل المصيصة ، قال عنه في التقريب : "صدوق كثير الغلط ، من صغار التاسعة مات سنة بضع عشرة " . اهـ . التقريب (٢/٢٠٣) .

٤- فتح الباري (١٢/٣٥٩ـ٣٦٠) .

٥- المسند (٦/٢٣٢ـ٢٣٣) .

الخـــــاتمـــــة

أحمد الله تبارك وتعالى على عونه وتيسيره ، وأشكره على تفضله و إنعامه وتوفيقه .. وبعد :

فقد تبين لنا جلياً - من خلال هذا البحث - أهمية هذا الفن (علوم القرآن) ومسيس الحاجة إليه ؛ الأمر الذي دفع الكثير من العلماء ، قديماً وحديثاً ، إلى الكتابة والتأليف فيه ، أو في بعض جوانبه .

وقد جاءت طلائع تلك المؤلفات في وقت مبكر جداً ؛ حيث ظهرت بعض الكتابات في القرن الأول من الهجرة ؛ كما قام بعض الأئمة في الكتابة في مجموعة من مهمات هذا العلم (حسب الاصطلاح المتأخر) منذ زمن بعيد ، واستمر التأليف فيه إلى يومنا هذا .

وكان كتاب "مناهل العرفان" من أهم وأشمل ما كُتب في هذا الموضوع ، حيث أن مؤلفه تعرض فيه لأهم مباحث هذا العلم وأكثرها فائدة ؛ كما قام بدمج الموضوعات والأنواع المتشابهة في مبحث واحد ، ولم يفرقها كما فعل غيره ؛ مع صياغته لعبارة هذا الكتاب بأسلوب رفيع ، ودملجة (١)محكمة ، في الوقت الذي جمع فيه مادته العلمية من مؤلفات كثيرة ومتنوعة ، تزيد على المائة - حسب عزو المؤلف إليها (٢) - ولم يكن نقل المؤلف واستفادته منها مقتصراً على بعض دون البعض الآخر .

ومع استفادة المؤلف من كلام غيره من أهل العلم إلا أن ذلك لم يحوله إلى مجرد ناقل لما يكتبون ؛ بل له أسلوبه الخاص ، ومنهجه المستقل في البحث و النظر ، مع كون بعض مباحث هذا الكتاب تعد إعادة صياغة لما كتبه السيوطي في الإتقان .

لكن ذلك ليس بغالب على الكتاب و لله الحمد ؛ فإن فيه مباحث ومسائل هامة ، بل مباحث كاملة زائدة على البرهان للزركشي ، والإتقان للسيوطي ؛ الأمر الذي جعل من الكتاب مرجعاً مهماً يستقي منه من جاء بعد مؤلفه ، ممن أراد التأليف في هذا الفن .

و المؤلف رحمه الله و إن لم يكن قد استوعب جميع أنواع هذا الفن إلا أنه أحاط بالضروري منها تقريباً .

---

١ - الدملجة : تسوية صنعة الشيء . القاموس ، مادة (الدَّمْلَج) (ص٢٤٢) .

٢- مع أنه تبين من خلال البحث أن المؤلف نقل عن كثير منها بواسطة كتاب آخر . والله أعلم .

ومع محاسن ومزايا الكتاب هذه إلا أن الكتاب لا يخلو من بعض الملاحظات و المآخذ المهمة ؛ كتقرير مؤلفه لعقيدة الأشاعرة في عامة المواضع ذات التعلق بموضوع الاعتقاد ، مع تلقيب الأشاعرة ـ دائماً ـ بـ "أهل السنة" ، إضافة إلى النيل من أهل السنة و التشنيع عليهم في بعض المواضع !

كما وقع للمؤلف رحمه الله نوع من المجاراة لأصحاب التصوف في بعض عباراتهم ولحونهم ...

هذا مع تأثر ظاهر بالعصر الذي عاش فيه المؤلف ؛ حيث أصبح المسلك الدفاعي ـ عن الإسلام ـ سمة بارزة في ذلك الكتاب .

لذلك نجد المؤلف يكثر من إيراد الشبه بعد كل مبحث ثم يحاول الجواب عنها .

ومن الجدير بالذكر هنا أن بعض الشبه تعتبر من صنع المؤلف وتركيبه (١) والبعض الآخر نطق به أعداء الإسلام ، وثالث الأنواع هو عبارة عن أقوال لبعض الأئمة في مسائل متنوعة من أمور العلم التي يختلفون فيها .

وقد بينا فيما سبق عدم جواز عرض الشبه التي تثير الشك في الدين والمعتقد ، كما بينا موقف أهل السنة من سماعها فضلا عن محاولة الرد عليها ، إلا في بعض الحالات الضعيفة .

هذا وقد كان لمدرسة الأفغاني وتلميذه محمد عبده أثر بين في منهج المؤلف.

ومما يلاحظ على الكتاب غير ما سبق ، كثرة الاستطرادات مع شيء من الإسهاب إضافة إلى حاجته إلى توثيق في كثير من مادته ؛ سواء في النقولات التي يوردها المؤلف ، أو في كثير من مسائل العلم التي يقررها .

كما أنه بحاجة إلى صياغة متينة محكمة للتعاريف التي يوردها مؤلفه حيث إنه يصوغ كثيراً منها بطريقة إنشائية .

وبعد .. فلا يفوتني في آخر هذه الخاتمة أن أثنّيَ بالحمد للمولى تبارك وتعالى على عظيم نعمه المتتابعة ، وأسأله تبارك وتعالى أن يتقبل هذا العمل ويجعله خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يجزل المثوبة لكل من أعان على إتمامه وإخراجه بهذه الصورة ، وصلى الله وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

(١)

فهرس الآيات القرآنية

سورة الفاتحة

﴿الحمد لله رب العالمين﴾ (آية ١) ٢١٤،٢١٥

﴿الرحمن الرحيم﴾ (آية ٢) ٢١٥

سورة البقرة

﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾ (آية ٣) ٤٣٨

﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله﴾ (آية٨) ٤٤٠

﴿إن الله على كل شيء قدير﴾ (آية٢٠) ٣٥٤

﴿ثم استوى إلى السماء﴾ (آية ٢٩) ٥١١،٥١٣،٥٢١،٥٢٢

﴿وإذ قال ربك للملائكة﴾ (آية ٣٠) ٥٩٧،٥٩٨،٥٩٩

﴿وإذ قال موسى﴾ (آية ٦٧،٧٤) ٤٥٩

﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب﴾ (آية ٨٥) ٦١١

﴿فلما جاءهم ما عرفوا﴾ (٨٩) ٤٣٨

﴿فأينما تولوا فثم﴾ (آية ١١٥) ٥٠٠

﴿تشابهت قلوبهم﴾ (آية ١١٨) ٥٦٨

﴿قولوا آمنا ﴾ (آية ١٣٦) ٤٣٩

﴿ءأنتم أعلم أم الله﴾ (آية ١٤٠) ١٩٨،٥٨٤

﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾(آية١٤٣) ٤٤٦

﴿قد نرى تقلب وجهك في السماء﴾(آية١٤٤) ٣٧١

﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾(آية١٤٦ ٤٣٨،٤٣٩

﴿والذين آمنوا أشد حباً لله﴾(آية١٦٥) ٤٤٠

﴿ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام﴾(آية١٨٣) ٦٢٠

﴿أحل لكم ليلة الصيام﴾(آية١٨٧) ٤٩٥

﴿ثم أتموا الصيام﴾(آية١٨٧) ٤٩٤

﴿ياأيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾(آية٢٠٨) ٦١١

﴿هل ينظرون إلا أن يأتيهم ﴾(آية٢١٠) ٥٥١،٥٥٢

الفهـــــارس العـــامـــــة

١ ـ فهرس الآيـات القـرآنيـة

٢ ـ فهرس الأحـاديث والآثـار

٣ ـ فهرس الأعـــــــلام

٤ ـ فهرس الكـتب الواردة في أصل البحـث

٥ ـ فهرس المصـادر والمراجـع

٦ ـ فهرس الموضـوعـــــات

﴿إن الله يحب التوابين﴾(آية٢٢٢) ٣٣٠
﴿إن الله بكل شيء عليم﴾ (آية٢٣١) ٣٥٤
﴿واعلموا أن الله سميع عليم﴾(آية٢٤٤) ٢١٣
﴿منهم من كلم الله﴾ (آية٢٥٣) ١٦٤
﴿وهو العلي العظيم﴾ (آية٢٥٥) ٢٠٥
﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا﴾(آية٢٧٨) ٦١٦
﴿واتقوا يوماً ﴾(آية٢٨١) ٢٣٥،٢٣٦،٢٣٧
﴿كل آمن بالله﴾(آية٢٨٥) ٤٣٧

سورة آل عمران

﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ (آية٧) ٣٥٠
﴿بيدك الخير﴾(آية٢٦) ٥٤٦
﴿آيتك أن لا تكلم الناس﴾(آية٤١) ١٤٦
﴿إني متوفيك ورافعك إلي﴾(آية٥٥) ٢٠٥
﴿إن مثل عيسى﴾(آية٥٩) ١٦١
﴿وإذ أخذ الله ﴾(آية٨١) ٤٣٦
﴿أأقررتم وأخذتم ﴾(آية٨١) ٤٣٥
﴿قل آمنا بالله ﴾(آية٨٤) ٤٣٩
﴿اعلموا أن الله شديد العقاب ﴾(آية٩٨) ٢١٣
﴿ياأيها الذين آمنوا﴾(آية١٣٠) ٤٤٦
﴿أحياء عند ربهم ﴾(آية١٦٩) ٥٥٣
﴿الذين قال لهم الناس إن الناس﴾(آية١٧٣) ٥٤٥
﴿الذين يذكرون ﴾(آية١٩١) ٤٤١
﴿فاستجاب لهم ربهم﴾(آية١٩٥) ٨٨

سورة النساء

﴿وأحل لكم ما وراء ذلكم﴾(آية٢٤) ٤٧٧
﴿ولا تتمنوا ما فضل ﴾(آية٣٢) ٨٨
﴿ياأيها الذين آمنوا ﴾(آية٥٩) ٣٦٧
﴿يسألك أهل الكتاب﴾(آية١٥٣) ١٩٤

﴿بل رفعه الله إليه﴾(آية١٥٨) ٢٠٤
﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا ﴾(آية١٦٣) ١٥٩
﴿وكلم الله موسى ﴾(آية١٦٤) ١٦٤
﴿رسلا مبشرين ومنذرين﴾(آية١٦٥) ٤٧٣

سورة المائدة

﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾(آية٣) ٣٥١، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٧، ٤٥٠
﴿ومن يكفر بالإيمان﴾(آية٥) ٤٤٧
﴿ياأيها الذين آمنوا﴾(آية٦) ٤٤٦
﴿والسارق والسارقة﴾(آية٣٨) ٥٤٢
﴿ياأيها الرسول لا يحزنك﴾(آية٤١) ٤٤٠
﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾(آية٦٤) ٥٤٤، ٥٤٥
﴿يا أيها الرسول بلغ﴾(آية٦٧) ٣٦٧
﴿لعن الذين كفروا من بني اسرائيل﴾(آية٧٨) ١٥٨
﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم﴾(آية١١٦) ٥١٠

سورة الأنعام

﴿وهو الله في السماوات وفي الأرض﴾(آية٣) ٥٨٤، ٥٨٥
﴿ولو نزلنا عليك كتاباً﴾(آية٧) ١٩٥
﴿لولا أنزل عليه ملك﴾(آية٨) ١٩٥
﴿وهو القاهر فوق عباده﴾(آية١٨) ٢٠٤
﴿ولا تطرد الذين ﴾(آية٥٢) ٤٤٠
﴿وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو﴾(آية٥٩) ٥٠٦، ٥٣٣، ٥٥٣
﴿قل هو القادر على أن يبعث﴾(آية٦٥) ٥٣٥
﴿وكذلك نري إبراهيم﴾(آية٧٥) ٤٣٨
﴿وخلق كل شيء﴾(آية١٠١) ٤٠٠
﴿والذين آتيناهم الكتاب﴾(آية ١١٤) ١٦٣، ١٩٢
﴿ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه﴾ (آية ١٢١) ٣٠١

﴿وهو الذي جعلكم خلائف الأرض﴾ (آية ١٦٥) ٥٩٧،٥٩٨

سورة الأعراف

﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾ (آية ١١) ١٦١
﴿فلما ذاقا الشجرة﴾ (آية ٢٢) ١٦١
﴿وإذا فعلوا فاحشة﴾ (آية ٢٨) ٤٧٤
﴿إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض﴾ (آية ٥٣) ٥٢٠
﴿ ثم استوى على العرش ﴾ (آية ٥٤) ٢٠٥
﴿ ألا له الخلق والأمر﴾ (آية ٥٤) ٣٨٨
﴿لقد أرسلنا نوحا﴾ (آية ٥٩) ٤١٨
﴿اعبدوا الله ﴾ (آية ٥٠،٥٩،٦١،٦٥،٧٣،٨٤،٨٥) ٢١٣،٤١٨
﴿ولو أن أهل القرى﴾ (آية ٩٦) ٣٠٤
﴿إن هي إلا فتنتك﴾ (آية ١٥٥) ٥١٠
﴿الذين يتبعون الرسول النبي ﴾ (آية ١٥٦) ٣١٩
﴿فآمنوا بالله ورسوله ﴾ (آية ١٥٨) ٣١٩
﴿فخلف من بعدهم خلف ﴾ (آية ١٦٩) ٥٩٨
﴿أو لم يتفكروا ما﴾ (آية١٨٤،١٨٥) ٤٢٠
﴿واذكر ربك في نفسك﴾ (آية٢٠٥) ١٤٥،١٤٦،٤٤١
﴿إن الذين عند ربك﴾ (آية٢٠٦) ٢٥،٥٥٣

سورة الأنفال

﴿الذين إذا ذكر﴾ (آية٢) ٤٤٠
﴿إنما المؤمنون الذين﴾ (آية٢) ٤٤١
﴿إذ يوحى ربك إلى الملائكه﴾ (آية٢٢) ١٩٣
﴿يا أيها الذين آمنوا إن تتقوا الله﴾ (آية٢٩) ١٠٣،٢٠٣

سورة التوبة

﴿وإن أحد من المشركين﴾ (آية٦) ١٦٤
﴿حتى يسمع كلام الله﴾ (آية٦) ١٦٦
﴿فإن تابوا وأقاموا﴾ (آية١١) ٤٤٩
﴿ثم أنزل الله سكينته﴾ (آية٢٦) ١٩٣،١٩٨
﴿فأنزل الله سكينته عليه﴾ (آية٤٠) ١٩٨
﴿يؤمن بالله ويؤمن﴾ (آية٦١) ٤٣٤
﴿كالذين من قبلهم﴾ (آية٦٩) ٤٩٨
﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ (آية١٠٠) ٢٥٩
﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ (آية١٠٣) ٢٢٨
﴿وقل اعملوا﴾ (آية١٠٥) ٣٩٦
﴿وما كان المؤمنون لينفروا﴾ (آية١٢٢) ٣٦٦
﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ (آية١٢٣) ٤٥٩
﴿وإذا ما أنزلت سورة﴾ (آية١٢٤) ٤٤٤
﴿ثم انصرفوا﴾ (آية١٢٧) ٢٣٩
﴿لقد جاءكم رسول﴾ (آية١٢٨) ٢٣٨
﴿حسبي الله﴾ (آية ١٢٩) ٢٣٩
﴿فإن تولوا﴾ (آية ١٢٩) ٢٣٨

سورة يونس

﴿إن ربكم الله الذي خلق السموات﴾ (آية ٣) ٥٢٠
﴿ثم جعلناكم خلائف في الأرض﴾ (آية ١٤) ٥٩٧
﴿بل كذبوا بما لم﴾ (آية ٣٩) ٤٣٨
﴿ويحق الله الحق بكلماته﴾ (آية ٨٢) ١٦٠
﴿ فما آمن لموسى﴾ (آية ٨٣) ٤٣٥

سورة هود

﴿وهو الذي خلق السموات﴾ (آية٧) ٥١٥
﴿ واصنع الفلك بأعيننا ووحينا﴾ (آية٣٧) ٥٣٨،٥٣٩

سورة يوسف

﴿ ويعلمك من تأويل الأحاديث ﴾ (آية٦) ١٤٧
﴿ وما أنت بمؤمن﴾ (آية١٧) ٤٣٤
﴿ فأسرها يوسف ﴾(آية٧٧) ١٤٥
﴿ علمتني من تأويل الأحاديث ﴾ (آية ١٠١) ١٤٧

سورة الرعد

﴿ الله الذي رفع السموات ﴾ (آية ٣) ٥٢٠
﴿ الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله﴾ (آية ٢٨) ٤٤٠

سورة إبراهيم

﴿وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ﴾ (آية ٤) ٥١٥
﴿ أفي الله شك فاطر السموات ﴾ (آية ١٠) ٣٨٦
﴿ وإن تعدوا نعمة الله ﴾ (آية ٣٤) ٥٣٨

سورة الحجر

﴿وأنزلنا من السماء﴾ (آية ٢٢) ١٩٢

سورة النحل

﴿ ينزل الملائكة بالروح من أمره ﴾ (آية ٢) ١٩٤،١٩٢
﴿وإن تعدوا نعمة الله ﴾(آية ١٨) ٥٣٨
﴿ ولقد بعثنا في كل أمة ﴾ (آية ٣٦) ٤١٨
﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه ﴾ (آية ٤٠) ١٦٢
﴿ فاسألوا أهل الذكر ﴾ (آية ٤٣) ٣٦٧
﴿ يخافون ربهم من فوقهم ﴾ (آية ٥٠) ٥٣٣،٢٠٤
﴿ قل نزله روح القدس ﴾ (آية ١٠٢) ١٩٣،١٩٢،١٦٤

سورة الإسراء

﴿ ويدع الإنسان﴾ (آية١١) ٣٢٦
﴿وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا﴾ (آية١٥) ٤٧٣
﴿ولا تقربوا الزنى﴾ (٣٢) ٦١٦
﴿ولا تقف ما ليس لك﴾ (آية٣٦) ٣٦٧
﴿أو ترقى في السماء﴾ (آية٩٣) ١٩٥

﴿قل لو كان في الأرض ملائكة﴾ (آية ٩٥) ١٩٥
﴿لقد علمت ما أنزل﴾ (آية ١٠٢) ٤١٧
﴿وقل الحمد لله﴾ (آية ١١١) ٤٤١

سورة الكهف

﴿وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا﴾ (آية ٥) ١٤٣
﴿واتل ما أوحي﴾ (آية ٢٧) ٤٤١
﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غدا﴾ (آية ٢٣) ٦٢١،٦٢٢
﴿قل لو كان البحر﴾ (آية ١٠٩) ١٦٢

سورة مريم

﴿فأرسلنا إليها روحنا﴾ (آية ١٧) ١٩٤
﴿وما نتنزل إلا بأمر ربك﴾ (آية ٦٤) ٦٢١،٦٢٣

سورة طه

﴿الرحمن على العرش استوى﴾ (آية ٥) ٢١٧،٣٥٧،٣٥٩،٤١٣،٥١٤،٥٢٠،٥٢٤
﴿ وإن تجهر بالقول﴾ (آية ٧) ١٤٦
﴿فلما أتاها نودي ياموسى﴾ (آية ١١) ١٦١
﴿ولتصنع على عيني﴾ (آية ٣٩) ٥٣٣،٥٣٨،٥٣٩
﴿إنا قد أوحي إلينا﴾ (آية ٤٨) ٤٤٣
﴿ولأصلبنكم في جذوع النخل﴾ (آية ٧١) ٥٨٤
﴿ولا يحيطون به علماً ﴾ (آية ١١٠) ٤١٣

سورة الأنبياء

﴿وله ما في السموات والأرض ومن عنده﴾ (آية ١٩) ٢٠٥،٥٥٣
﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا يوحى إليه﴾ (آية ٢٥) ٢٣٩،٤١٨،٤٥٠

سورة الحج

﴿بما قدمت يداك﴾ (آية ١٠) ٥٤٣،٥٤٦
﴿وهو العلي الكبير﴾ (آية ٦٢) ٢٠٥
﴿ ياأيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا﴾ (آية ٧٧) ٤٤١

﴿ فإذا استويت أنت ومن معك على الفلك﴾ (آية ٢٨) ٥١٢
﴿ أنؤمن لبشرين مثلنا﴾ (آية ٤٧) ٤٣٥
﴿ الذين يؤتون ما آتوا﴾ (آية ٦٠) ٤٤٠
﴿ ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السماوات ﴾ (آية ٧١) ٦٠٣
﴿ قل لمن الأرض﴾ (آية ٨٤،٨٥) ٣٨٠،٤١٧

سورة النور

﴿ قل للمؤمنين يغضوا﴾ (آية ٣٠) ٤٤٢
﴿ فترى الودق يخرج من خلاله﴾ (آية ٤٣) ١٩٢
﴿ ويقولون آمنا بالله﴾ (آية ٤٧) ٤٤٣
﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول ﴾ (آية ٦٣) ٢٢٨
﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره ﴾ (آية ٦٣) ٣٦٧

سورة الفرقان

﴿ لولا أُنزل عليه ملك ﴾ (آية ٧) ١٩٥
﴿ وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا﴾ (آية ٢١) ١٩٥
﴿ وتوكل على الحي الذي لا يموت ﴾ (آية ٥٨ـ٥٩) ٥٢٠
﴿ وإذا مروا باللغو ﴾ (آية ٧٢) ٤٤٢

سورة الشعراء

﴿ أنؤمن لك ﴾ (آية ١١١) ٤٣٤
﴿ نزل به الروح الأمين ﴾ (آية ١٩٣) ١٩٤

سورة النمل

﴿ وجحدوا بها ﴾ (آية ١٤) ٤١٧،٤٣٨،٤٣٩
﴿ ويجعلكم خلفاء الأرض ﴾ (آية ٦٢) ٥٩٨
﴿ أكذبتم بآياتي ﴾ (آية ٨٤) ٤٣٨
﴿ هل تجزون إلا ﴾ (آية ٩٠) ٣٩٦

سورة القصص

﴿ ولما بلغ أشده واستوى ﴾ (آية ١٤) ٥١٣
﴿ يا هامان ابن لي صرحاً ﴾ (آية ٣٨) ٢٠٦
﴿ ما علمت لكم ﴾ (آية ٣٨) ٤١٧

﴿ وإذا يتلى عليهم قالوا ﴾ (آية ٥٣) ٤٣٩
﴿ وإذا سمعوا ﴾ (آية ٥٥) ٤٤٢
﴿ وما كان ربك مهلك القرى ﴾ (آية ٥٩) ٤٧٣
﴿ إن قارون كان ﴾ (آية ٧٦،٧٨) ٤٩٨
﴿كل شيء هالك إلا وجهه ﴾ (آية ٨٨) ٥٣٥

سورة العنكبوت

﴿ وما كنت تتلو من قبله ﴾ (آية ٤٨) ٣١٩،٣٢١،٣٢٤
﴿ بل هو آيات ﴾ (آية ٤٩) ٣٩٩

سورة الروم

﴿ أو لم يسيروا في الأرض ﴾ (آية ٩) ٤٩٨
﴿ بما كسبت أيدي الناس ﴾ (آية ٤١) ٥٤٢
﴿فترى الودق يخرج من خلاله﴾(آية ٤٨) ١٩٢

سورة لقمان

﴿ ولئن سألتهم من خلق ﴾ (آية ٢٥) ٣٨٠،٤١٧

سورة السجدة

﴿الله الذي خلق السموات والأرض ﴾ (آية ٤) ٥٢٠

سورة الأحزاب

﴿ إن المسلمين و المسلمات ﴾ (آية ٣٥) ٨٨
﴿ ياأيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً﴾ (آية ٤٢) ٤٤١
﴿ هو الذي يصلي عليكم ﴾ (آية ٤٣) ٢٣٠_٢٣١
﴿ لا تدخلوا بيوت النبي ﴾ (آية ٥٣) ٣٦٩

سورة سبأ

﴿ يعلم ما يلج في الأرض ﴾ (آية ٢) ١٩٨
﴿ يعملون له ما يشاء ﴾ (آية ١٣) ٣٩٤

سورة فاطر

﴿ إليه يصعد الكلم الطيب ﴾ (آية ١٠) ١٤٣،١٩٥،١٩٨،١٩٩،٢٠٤،٤١٣

سورة يس

﴿ حتى عاد كالعرجون ﴾ (آية ٣٩) ٤٩٥

﴿أو لم يروا أنا خلقنا﴾ (آية ٧١) ٥٤٢،٥٤٣،٥٤٦

﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً﴾ (آية ٨٢) ١٦٠

سورة الصافات

﴿أتعبدون ما تنحتون﴾ (آية ٩٥،٩٦) ٣٩٤،٤٠٠

﴿ والله خلقكم وما تعملون ﴾ (آية ٩٦) ٣٩٤،٣٩٩،٤٠٠

سورة ص

﴿ واذكر عبدنا داود ﴾ (آية ١٧) ٥٤٥

﴿ ما منعك أن تسجد لما خلقت ﴾ (آية ٧٥) ٥٤١،٥٤٢،٥٤٣،٥٤٤،٥٤٦،٥٤٧

﴿ خلقتني من نار وخلقته من طين ﴾ (آية ٧٦) ٥٤٧

سورة الزمر

﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم ﴾ (آية ١) ١٩٢،٢٠٥

﴿ والذي جاء بالصدق ﴾ (آية ٣٣) ٤٣٨

﴿ الله خالق كل شيء ﴾ (آية ٦٢) ٣٩٢

﴿ وما قدروا الله حق قدره ﴾ (آية ٦٧) ٥٤٦،٥٤٨،٥٦٥

﴿ والسموات مطويات بيمينه ﴾ (آية ٦٧) ٥٣٣

سورة غافر

﴿ حم تنزيل الكتاب ﴾ (آية ١) ١٦٣

﴿ تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ﴾ (آية ٢) ٢٠٥

﴿ أو لم يسيروا في الأرض ﴾ (آية ٢١) ٤٩٨

﴿ أفلم يسيروا في الأرض ﴾ (آية ٨٢،٨٣) ٤٩٩

سورة فصلت

﴿ حم تنزيل من الرحمن الرحيم ﴾ (آية ١) ١٦٤

﴿ ثم استوى إلى السماء وهي دخان ﴾ (آية ١١) ٣٥٩،٥١١،٥١٢،٥١٣،٥٢١،٥٢٢

﴿ قالوا لو شاء ربنا لأنزل ملائكة ﴾ (آية ١٤) ١٩٥

﴿ من أشد منا قوة ﴾ (آية ١٥) ٤٩٩

﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ﴾ (آية ٣٠) ١٥٨،٤٣٩

﴿ اعملوا ما شئتم ﴾ (آية ٤٠) ٣٩٦

سورة الشورى

﴿ ليس كمثله شيء ﴾ (آية ١١) ٤١٣، ٥٠٨، ٥٨٠
﴿ شرع لكم من الدين ﴾ (آية ١٣) ٤٤٩
﴿ وقل آمنت بالله ﴾ (آية ١٥) ٤٣٩
﴿ ويمح الله الباطل ﴾ (آية ٢٤) ٣٢٦
﴿ ومن آياته خلق السماوات والأرض ﴾ (آية ٢٩) ٦٠٣، ٦٠٤
﴿ بما كسبت أيديكم ﴾ (آية ٣٠) ٥٤٣

سورة الزخرف

﴿ إنا جعلناه قرآناً ﴾ (آية ٣) ٢٥٢
﴿وكم أرسلنا من نبي﴾ (آية ٦، ٧) ٤٩٩
﴿ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض﴾ (آية ٦) ٥٩٨
﴿لتستووا على ظهوره﴾ (آية ١٣) ٥١٢، ٥١٦
﴿وهو الذي في السماء إله﴾ (آية ٨٤) ٥٨٥، ٥٩٩
﴿إلا من شهد﴾ (آية ٨٦) ٤٣٩

سورة الدخان

﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾ (آية ٤) ١٩٣
﴿وإن لم تؤمنوا﴾ (آية ٢١) ٤٣٥

سورة محمد

﴿فإذا لقيتم الذين كفروا﴾ (آية ٤) ٤٤١
﴿وكأين من قرية﴾ (آية ١٣) ٤٩٩
﴿فاعلم أنه لا إله الا الله﴾﴿آية ١٩) ٢١٣

سورة الفتح

﴿ليزدادوا إيماناً﴾ (آية ٤) ٤٤٤
﴿هو الذي أنزل السكينة﴾ (آية ٤) ١٩٣، ١٩٨
﴿يد الله فوق أيديهم﴾ (آية ١٠) ٥٣٣، ٥٤١، ٥٤٦

سورة الحجرات

﴿يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق﴾ (آية ٦) ٣٦٦

﴿ ولكن الله حبب إليكم الإيمان﴾ (آية ٧) ٤٤٠

﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا﴾ (آية ١٤) ٥٤٢

﴿إنما المؤمنون﴾ (آية ١٥) ٤٣٨، ٤٤٣

سورة ق

﴿وكم أهلكنا قبلهم﴾ (آية ٣٦) ٤٩٩

سورة الذاريات

﴿فورب السماء والأرض إنه لحق﴾ (آية ٢٣) ١٤٤

﴿والسماء بنيناها بأيد﴾ (آية ٤٧) ٢٢٦، ٥٤١، ٥٤٤، ٥٤٥

﴿أتواصوا به﴾ (آية ٥٣) ٥٦٨

سورة النجم

﴿وأنه هو أضحك﴾ (آية ٤٣) ٤٠٠

﴿وأنه هو أمات وأحيا﴾ (آية ٤٤) ٤٠٠

سورة القمر

﴿يوم يدع الداع﴾ (آية ٦) ٣٢٦

﴿تجري بأعيننا﴾ (آية ١٤) ٥٣٨، ٥٣٩

﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر﴾ (آية ١٧) ٥٧٩

سورة الرحمن

﴿ويبقى وجه ربك﴾ (آية ٢٧) ٥٣٣، ٥٣٦

﴿كل من عليها فان﴾ (آية ٢٦ـ٢٧) ٥٣٤

﴿يسأله من في السماوات والأرض (آية ٢٩) ٥٩٩

﴿تبارك اسم ربك﴾ (آية ٧٨) ٥٣٤

سورة الواقعة

﴿ءأنتم أنزلتموه من المزن﴾ (آية ٦٩) ١٩٢

﴿فلا أقسم بمواقع﴾ (آية ٧٥) ٣٢٩

﴿في كتاب مكنون﴾ (آية ٧٨) ٣١٨، ٩٢٣

سورة الحديد

﴿يعلم ما يلج في الأرض﴾ (آية ٤) ١٩٨
﴿وهو الذي خلق السماوات﴾ (آية ٤) ٥٢٠
﴿وهو معكم أينما كنتم﴾ (آية ٤) ٥٨٠،٥٨١
﴿وأنزلنا الحديد﴾ (آية ٢٥) ١٩٢

سورة المجادلة

﴿ألم تر إلى الذين نهوا﴾ (آية ٨) ١٤٥
﴿ويقولون في أنفسهم لولا﴾ (آية ٨) ١٤٥

سورة الجمعة

﴿هو الذي بعث في الأميين﴾ (آية ٢) ٣١٩

سورة المنافقون

﴿إذا جاءك المنافقون﴾ (آية ١) ١٦٤،٤٤٠

سورة الطلاق

﴿فطلقوهن لعدتهم﴾ (آية ١) ٤٨٠
﴿لا تدرى لعل الله﴾ (آية ١) ٤٨٠
﴿الله الذى خلق سبع سموات﴾(آية ١٢) ١٩٤
﴿ومن الأرض مثلهن﴾ (آية ١٢) ٥٩٦،٦٠٣،٦٠٤،٦٠٥،٦٠٦،٦٠٩،٦١٠

سورة التحريم

﴿فقد صغت قلوبكما﴾ (آية ٤) ٥٤٢،٥٤٥
﴿رب ابن لي﴾ (آية ١١) ٥٥٣

سورة الملك

﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ (آية ١) ٥٤٢،٥٤٦
﴿وأسروا قولكم﴾ (آية ١٣) ١٤٥،١٤٦،٤٠٠
﴿ألا يعلم من خلق﴾ (آية ١٤) ٦٠٤
﴿ءأمنتم من في السماء﴾ (آية ١٦) ٥٨٤

سورة المعارج

﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ (آية ٤) ١٩٥،٢٠٤

سورة المدثر

﴿ما سلككم في سقر﴾ (آية ٤٢) ٤٤٣

سورة القيامة

﴿فلا صدق ولا صلى﴾ (آية ٣١) ٤٤٣

سورة الإنسان

﴿إنما نطعمكم﴾ (آية ٩) ٤٤٠

سورة عبس

﴿ فمن شاء ذكره ﴾ (آية ١٢) ٣٣١،٣٣٢

﴿ وفاكهة وأبا ﴾ (آية ٣١) ٢٥١

سورة التكوير

﴿ مطاع ثم أمين ﴾ (آية ١٧) ١٩٤

سورة الفجر

﴿ وجاء ربك والملك صفا ﴾ (آية ٢٢) ٥٣٣،٥٥١،٥٥٢

سورة الليل

﴿ لا يصلاها إلا الأشقى ﴾ (آية ١٥) ٤٤٣

﴿ وما لأحد عنده من نعمة تجزى ﴾ (آية ١٩) ٤٤٠

سورة الضحى

﴿ والضحى والليل إذا سجى ﴾ (آية ١) ٦٢١،٦٢٢

سورة العلق

﴿ سندع الزبانية ﴾ (آية ١٨) ٣٢٦

سورة القدر

﴿ تنزل الملائكة والروح فيها ﴾ (آية ٤) ١٩٣

سورة البينة

﴿ وما أمروا إلا ﴾ (آية ٥) ٤١٩،٤٤٨

سورة العصر

﴿ إن الإنسان لفي خسر ﴾(آية ٢) ٥٤٥

(٢)

فهرس الأحاديث و الآثار

آخر آية نزلت	٨٨، ٢٣٧، ٢٣٨
آخر ما نزل	٢٣٦
أبطأ جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم	٦٢٢
أبلغ أبا فلان	٣٨٨
أتى الحارث بن خزيمة	١١٨
أتينا النبي ونحن	٣٦٨
احتج آدم وموسى	٥٤٨، ٥٥٤
أحدث القرآن عهداً	٢٣٨
أخبرت أن ربكم	٣٥٩
أخبرني أبا سفيان أن هرقل	٣٠١
اختلف الناس في القرآن	٢٥٨
إذا أراد الله أن ينزل	٣٣١
إذا أراد الله عزوجل أن يوحي	١٩٦
إذا تكلم الله بالوحي	١٦٤
إذا حدثتم عني	٤٨٧
إذا حدثتم عني	٤٨٥
إذا خرجت روح المؤمن	٢٢٩
إذا فتحت فاي	١٧
ارتفع إلى السماء	٥١١
ارحموا من في الأرض	٣٥٥
أسألك لذة النظر	٥٣٧
الإستواء غير مجهول	٣٥٦، ٥٢٤
الإستواء معلوم	٣٥٧

استوى : علا	٣٥٨
استوى يعنى ارتفع	٣٥٨
أسلم وإن كنت كارهاً	٦١٧
اشتكى رسول الله صلى الله عليه وسلم	٦٢١
اشهد أن في التوراة : يا موسى	١١٢
أصدق كلمة قالها الشاعر	١٤٣
اصطفاك الله بكلامه	٥٤٣
أعوذ بوجهك الكريم	٥٣٧
أفضل الكلام أربع	١٤٣
افعلي ما يفعل الحاج	٣٠١
أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا	٨٧
اقرأوا القرآن	٢٧٤
أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً طعاما	٢٧٤
أكل المؤمنين	٤٤٢
اللهم أنت الصاحب في السفر	٥٩٩
ألا إن في الجسد	٤١٨
ألا إنى أوتيت	٤٨٥
ألا تأمنونى وأنا أمين	١٩٧، ٣٥٥
ألق الدواة وحرِّف القلم	٣٢٠
أمَّا كسر أوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه	٦١٥
أمرت أن أقاتل الناس	٤١٩، ٤٢١، ٤٣٩
إنا أمة أمية	٣٢٠، ٣٢١
أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان	٢٥٥
إن ربكم حيي كريم	٢٠٦
أن رجلا من أصحاب الأهواء	١١١
أن رسول الله بعث بكتابه الى كسرى	٣٦٩
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في خطبته يوم عرفة	٥٧٨
ان رسول الله قال لرجل	٣٦٩، ٦١٣

أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال لعلى "يا على إنى ٢٧٣
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى أن يقرأ أحدنا ٢٧٣
إن سورة من القرآن ٢٠١
إن صلاتنا هذه لا يصلح فيها ١٤٢
أن علياً دخل على عمر ٢٢٩
إن الله أنزل الأمانه ١٩٣
إن الله بعث نبيه صلى الله عليه وسلم ٤٤٤
ان الله تبارك وتعالى إذا ٥٦١
إن الله تجاوز لأمتى ١٤٢
إن الله تعالى كان على عرشه ٥٢٢
إن الله خلق السماوات ٥٢٠
ان الله خلق كل صانع ٣٩٩
ان الله عز وجل ينزل ٥٦٢
ان الله لا يخفى عليكم ٥٣٩
إن الله لم يخلق بيده ٥٤٣
ان الله وملائكته وأهل السماوات ٢٣٠
إن الله يبسط يده ٥٤٨
إن الله يصنع ٣٩٩
إن الله يقبض يوم القيامة ٥٤٨
إن لسبحان الله ٢٠٠
ان الملائكة تصلى على ٢٣١
إن مما تذكرون من جلال الله ١٩٩
ان النبي دخل حائطاً ٣٦٩
ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ صحيفة ٣٢٠
أن وفد ثقيف لما قدموا ٦١٣
أن وفد عبد القيس قدموا ٤٤٧

أنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم فأسلم	٦١٣
إنه أعور وإن الله ليس بأعور	٥٣٩
إنه تكون بعدى رواة	٤٨٦
أنه كان يكبر	٢٢٩
أنها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وسأل رجل فقال	
إني لاحدث	١٤٨
أنهم جمعوا	٢٣٩
إنى لاذبح وأنا جنب	٣٠١
إني لفي المسجد	٢٥٦
أهل الشام يقرؤون	٢٥٦
أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي	٦٢٤،٨٣
الإيمان بضع وسبعون	٤٤٩،٤٤١
أين الله ؟ قالت : في السماء	٥٧٧،٢٠٦
البذاذة من الإيمان	٤٤٢
بعثت قريش النضر بن الحارث	٦٢٢
بعث النبي دية	٣٦٩
بلغني عن أبي حنيفة	٢١٧
بلغوا عني	٣٦٧
بينما جبريل قاعد	١٩٧
بينما الناس بقباء في صلاة الصبح	٣٧٠
جاء رجل إلى الحسن	١١٢
جمع أبي الحديث	٣٠٦
الجنب يسبح	٢٧٧
جنتان من فضه	٥٣٥
الحائض لا تقرأ	٢٧٥
حاضت عائشة فنَسَكت المناسك	٣٠١
حجابه النور لو كشفه	٥٣٧
الحجر الأسود يمين الله	٥٢٩

حيث يبقى ثلث	٥٦١
خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في جنازه	١٩٨
خلق سبع سماوات بعضها فوق بعض	٦٠٥
رأيت عبد الله بن عمر	٢٣٠
رأيت النبي على المنبر	٥٦٦
رفع القلم عن ثلاثة	٤٩٤
زوجكن أهاليكن	٣٥٧
زورت مقالة أعجبتني	١٤٥،١٤٦
سألت جابراً عن شأن ثقيف	٦١٣
سُئل جابر بن عبد الله عن اشتراط ثقيف	٦١٤
سألنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثاً	٦١٥
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : أيما رجل ظلم	٦٠٨
سمعت غير واحد من المفسرين	٥١٢
سمعت محمد بن سيرين ينهى عن الجدل	١١٠،١١٥
سمعت هشام بن الحكم	٨٤
سيأتيكم عني	٤٨٤،٤٨٦
صلى الله عليك	٢٣١
الصيام و القرآن يشفعان	٢٠١
عبدي جعت فلم تطعمني	٥٢٩
العرش فوق الماء	٥٢١
عرضت المصحف على ابن عباس من فاتحته	٣٥٣
علم القرآن ذكر	٢
فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم	٣٢٠
فأنه نزل	٢٥١
فردّ رسول الله ريطة	٢٢٩
فطلبت ذلك الكتاب	١٧١،١٧٦

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل	٦٢٣
قال في بني اسرائيل انهن من العتاق	٣١٣
قال لي إبراهيم بن محمد	١١١
قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمس	٥٣٥
قدمت امرأة جهم	٥٢٤
القرآن في كتابه	٣٢٩
قل آمنت بالله	٤٣٩
قلت يا رسول الله ، أي الظلم أعظم	٦٠٨
قيل لابن عمر : إن نجدة يقول	١١٤
كان ابن طاووس جالساً فجاء رجل	١١١
كان ابن عباس يقرأ	٢٩٩
كان رجل من الأنصار	٣٧١
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم	٤٤٤
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل	٨٧
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً	١٩٦
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم	٣٥٠
كان الله على العرش	٥٢١
كان النبي إذا أتاه قوم بصدقتهم	٢٢٨
كان يذكر الله	٣٠١
كلمتان خفيفتان على اللسان	١٤٣
كم إلها تعبد اليوم	٣٥٦
كنا إذا أتينا في سفرنا	٨٦
كنا عند أم سلمة فسألها	١٤٨
كنا والتابعون متوافرون	٣٥٧
كنت أسقي أبا طلحة	٣٧١
كنت أمشي مع النبي صلى الله عليه وسلم	١٩٧
كيف يحاسب الله العباد	٥٦٥
لأبعثن إليكم رجلا أميناً	٣٦٨

لا بأس أن تقرأ ٣٠٠
لا تصلح الصلاة على أحد ٢٢٧
لا تقرأ الحائض ٢٧٤
لا تقرأ القرآن ٢٨٢
لا تقرأ النساء ٢٧٣
لا تمكن صاحب بدعة من سمعك ١١٣
لا ندع كتاب ربنا ٤٨٠
لا وصية لوارث ٤٧٧
لا يأخذ أحداً شبراً من الأرض ٦٠٧
لا يقرأ الجنب ٢٧٧
لا يقرا الجنب ٢٧٥، ٢٨٨
لا يقرأ الحائض ٢٧٤
لا يمكن أحد منكم ١١٣
لا ينبغي لأحد أن يصف الله إلا ٣٥٧
لست برادّ عليهم ١١٣
لما بعث رسول الله ٤١٩
لما فرغ الله من خلقه استوى على عرشه ٥٢١
لما قدم رسول الله المدينة ٣٧١
لما كثر اختلاف الناس ٢٥٨
لما نزلت هذه الآية ﴿ قل هو القادر﴾ ٥٣٥
لم يرخص لهم ٢٧٧
ليست السنة عندنا أن ترد ١١٣
ما اجتمع قوم في بيت ٥٥٣
ما السموات السبع ٥٦٦
ما كان شرك قط إلا ١١٤
ما مات النبي صلى الله عليه وسلم حتى قرأ وكتب ٣٢٠

مثل الذي يتنازع في الدين ١١٢
مثل علم القرآن ٢
المقسطون عند الله يوم القيامة ٥٤٨
مكتوب بين عينيه (ك ا ف ر) ٣٢١
الملائكة الذين في السماء ٣٣١
من أحب لله ٤٤٢
من أخذ شبراً من الأرض بغير حقه ٦٠٧
من أخذ شبراً من الأرض ظلماً ٦٠٦
من أخذ شيئاً من الأرض بغير حقه ٦٠٨
من أخذ من الأرض شيئاً ٦٠٧
من أخذ من الأرض ما ليس له ٦٠٧
من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة ١١٣
من جعل دينه غرضاً ١١٢
من جلس مع صاحب بدعة ٣٨٩
من ظلم شبراً من الأرض ٦٠٦،٦٠٧
من ظلم قيد شبر طوقه الله ٦٠٦
من قال سبحان الله ٢٠٠
من كان آخر كلامه ٤٢٠
ندب النبي الناس ٣٦٩
نزل في الخمر ثلاث آيات ٨٨
هذه امرأة سمع الله ٣٥٦
هو كتاب في السماء ٣٢٩
وأسألك لذة النظر إلى ٥٣٥
والذي نفسي بيده ٣٥٥
وأما أنت يا أنيس ٣٦٨
وأنه ستفشوا عني ٤٨٥
وسئل ما تقرأ ٢٧٥
ولكن علم الله فوق عرشه ٥٢١

وما أنزل الله آية	٣٥٣
وينزل الله في ظلل	٥٦١
يا آدم أنت أبو البشر	٥٤٣
يا أبا عبد الرحمن قد خفت الله	٢١٦
يا أبا محمد إن قِبَلَنَا ناساً	٣٨٧
يا رسول الله صل علي	٢٢٩
يا رسول الله وإنا لمؤاخذون	١٤٢
يجيء صاحب القرآن	٢٠١
يحشر الله العباد فيناديهم	١٦٤
يد الله ملأى	٥٤٨
يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب	٢٠١
يستفتحون رأس الآية	٢٧٥
يطوي الله السموات	٥٦٦
يعرج الذين باتوا فيكم	٢٠٤
يقبض الله الأرض	٥٦٦
يقبض الله تبارك وتعالى الأرض	٥٤٩
يقبض الله سماواته بيد	٥٤٤
يقول الله تعالى : فإن ذكرني	١٤٥
يقول الله قسمت الصلاة	٥٦٥
يقولون إنه مكث	٢٣٧
يمين الله ملأى	٥٤٤
ينزل ربنا	٢٠٦
ينزل ربنا عز وجل	٥٦١

(٣)

فهـــرس الأعـــلام

(١)

الأسماء(١)

أبان بن تغلب ١٤٨،١٥٠،١٧٨

إبراهيم بن أحمد بن مروان ٢٨١

إبراهيم الجعبري (٤١٢)

إبراهيم خان الأول ٣٤

إبراهيم الخليل عليه السلام ٤٥،٤٣٩

إبراهيم بن العلاء (٢٨٥)،٢٨٦

ابراهيم بن محمد علي باشا (٣٧)

إبراهيم بن محمد بن أبي يحيى (١١١)

إبراهيم النخعي ٢٧٦،٢٩٦،٢٩٨،٣٠٠

أبي بن كعب ١١٧،١٥٢،٢٣٨،٢٣٩،٢٤٨
٢٥٦،٢٥٨،٣٧١

أحمد بن جبير الكوفي ١٨٠

أحمد بن حنبل ١١٣،١١٤،١١٦،١٤٩،١٥١،
١٥٢،١٥٧،١٩٢،٢٢٦،٢٨١،٢٨٢،
٢٨٧،٢٨٩،٢٩٠،٢٩١،٢٩٣،٣٥١،
٣٦٢،٣٦٣،٣٧٣،٤٠٨،٤١٠،٤٢٩،
٤٣٠،٤٣٣،٤٤٧،٤٥١،٤٧٦،٤٩١،
٥٢٥،٥٦١،٥٦٢،٥٦٣،٨٠٦،٦١٣،
٦١٤،٦١٥،٦٢٥

أحمد بن أبي الحواري (١١٣)

---

١ - تنبيه : الاقواس ( ) تعني موضع الترجمة .

أحمد خان ٣٣

أحمد شاكر (٨٥)، ٢٣٦، ٣٧٣، ٤٨٧

أحمد بن صالح ١٨، ١٧٣

أحمد بن عبد الله بن يونس (٢٨٨)

أحمد عرابي (٤٠)، ٤١

أحمد فؤاد (٤٤)

أحمد بن فارس ١٠٠

أحمد بن مبارك ٩٢

أحمد بن نصر الخزاعي (٥٢٥)

أحمد بن الوزير القاضي ٤٠٩

آدم ٣٦٤، ٥٤١، ٥٤٣، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٥٤، ٥٩٨، ٥٩٩

أرطأة بن المنذر بن الأسود (٣٨٦)

أسامة بن زيد ٢٧٩، ٢٨٠

إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ٤٣٩

إسحاق بن إبراهيم ٣٥٩، ٣٩٩، ٥١٠، ٥٢٥، ٥٦٣

إسحاق الكوسج (٥٦٣)

إسرائيل بن يونس (٢٩٤)

إسماعيل بن إبراهيم عليهما السلام ٤٣٩

إسماعيل بن إسحاق المالكي ١٨٠

إسماعيل باشا (٣٨)، ٣٩، ٤٨

إسماعيل الحساني ٢٨٩

إسماعيل السدي (١٧٤)، ٢٣٠

إسماعيل بن عياش ٢٧٨، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٤٥٢

إسماعيل القاضي (٢٢٩)، ٣٣٩

الأسود النخعي ٢٧٥

أنس بن مالك ٢٥٥، ٣٧١، ٥٣٩، ٥٤٧، ٦١٣، ٦١٧
أنيس (٣٦٨)
أوس بن الصامت (٢٤٣)
أيوب ٢٩٤
أيوب السختياني (١١١)، ١١٣
أيوب بن سويد (٢٩٧)
البراء بن مالك ١٩٨، ٣٢٠، ٣٧١
بشر الحافي (١١٦)، ٥٢٥
بشر بن عمر (٥١٢)
بشر بن مروان بن الحكم الأموي (٥١٣)، ٥١٦، ٥١٧
بشر المريسي ٣٨٧، ٣٨٩، ٣٩٠
بقية بن الوليد (٤٥٢)
ثابت بن قيس (٢٤٣)
ثعلبة بن أبي الكنود ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥
ثمامة بن الأشرس (٥١٠)
ثوبان (٤٨٤)، ٤٨٧
ثور (٣٨٩)
جابر بن زيد (٣٢٩)، ٣٣٢
جابر بن عبد الله ٨٦، ٨٧، ٢٢٩، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٨٠، ٢٨٤، ٢٩٣، ٣٠١، ٣٦٩، ٥٦٠، ٥٧٨، ٦١٣، ٦١٤
الجارودي ﷺ ١٥٩
جاك منو ٣٦
جبارة بن المغلس (٤٨٦)
جبريل ١٥١، ١٦٥، ١٨٨، ١٩٤، ١٩٦، ١٩٧، ٢١٠، ٢١٢، ٢٥٧، ٢٦٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣
جبير بن مطعم ٥٦٠
جرير بن عبد الحميد (٢٩٤)، ٤٥٣
الجعد بن درهم (٢٠٣)

جعفربن عون ١٩٩

جمال الدين الأفغاني (٣٨)، ٤٠، ٤٨، ٥٠، ١٠٤، ٦٢٧

جندب البجلي ٤٥٤، ٦٢١

الجهم بن صفوان ٣٨٨، ٥٢٤

جورست ٤٣

جيمس جينز ٩٩

حاجي خليفة ٩٨

الحارث الأعور ٢٨٣، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٥

الحارث بن خزيمة (١١٨)

الحارث المحاسبي ٩٦، ٣٧٣

حجاج الأعور (٢٠)، ١٧٧

الحجاج بن يوسف ١٨

حذيفة بن اليمان ١٩٣، ٢٠١، ٢٥٥، ٣٢١، ٣٦٨، ٣٩٩

حرب الكرماني (٥٢٧)

حسان بن ثابت ١١

الحسن البصري ٢، ١٦، ١٩، ١١٢، ١٧١، ١٧٤، ٤٢٨، ٤٥٢، ٥٩٨، ٦١٣

الحسن بن حباش ١٤٨، ١٥٠

الحسن بن حي (٢٩٦)

الحسن بن عرفة (٢٨٦)

السلطان حسين ٤٤

الحسين بن عثمان بن ثابت البغدادي ١٨٠

حسين كامل (٤٣)

الحسين بن واقد ١٧٧

حصين (والد عمران بن حصين) (٣٥٦)

الحكم بن الحارث ٦٠٨

حماد بن زيد (٤٥٢)
حماد بن أبي سليمان (٣٨٨)
حماد بن سلمة ٢٢٩، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٥، (٢٩٨)، ٣٢٩، ٣٣٢، ٤٥١، ٥٦١
حمزة بن حبيب الزيات (١٨١)، ٣٤٠
حمود التويجري ٢٠٩
حنبل بن إسحق (١١٣)، ٥٦١
خالد بن الحارث (٤٥٢)
خالد بن عبد الله القسري (٢٠٣)، ٢٩٦
الخضر ٣٠٤، ٥٧٨
الخليل بن أحمد (١٨)، ٣٥٩، ٥١٢، ٥٢٥
خليل بن إسحاق المالكي ٩٥
داود الظاهري ٣٧٣، ٤٥٢، ٤٩٧، ٥٤٥
دحية الكلبي (٣٦٩)
دنلوب (٤٩)
دي بليميز ٣٩
الربيع بن أنس (١٧٥)، ٥١١، ٥٩٨
الربيع بن سليمان ٢٣٤
ربيعة الرأي ٣٠٠، ٣٥١، ٣٥٧، ٥٢٤
رجنالدونجت ٤٤
رفاعة الطهطاوي (٤٧)، ٤٨
رفاعة بن عرابة الخشني (٥٦٠)
ريفرزولسون ٣٩
الزبير بن العوام ٣٦٨، ٣٦٩
زرارة بن أوفى (١٥٢)
زكريا الأنصاري (٣٠٣)، ٣٧٦
زمعة بن صالح (٢٧٨)، ٢٧٩
زياد بن أبيه (١٧)

زيد بن أسلم (١٧٥)
زيد بن ثابت ١١٨، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٧٢
زيد بن خالد ٣٦٨
زين الدين الرازي ١٠٠
سالم مولى أبي حذيفة (٢٥٨)
سبركين وياحنوت ٤٩٧
سبط بن العجمي (٣٦٣)
سعد بن أبي وقاص ٦٠٨
سعد زغلول (٤٣)، ٤٤، ٤٩، ٥٠
سعيد بن أبي أيوب (٢٨٤)
سعيد بن جبير ١٨، ٣٢، ١٧٣، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤٣، ٢٧٥، ٣٣٢، ٣٦٢
سعيد بن العاص (٢٥٦)
سعيد بن عامر الضبعي (٥٢٣)
سعيد بن عبد العزيز (٤٤٩)
سعيد بن محمد علي (٣٧)
سعيد بن المسيب ٢٧٥، ٣٠٠، ٣٦٩
سعيد بن يسار (٢٣٠)
سعيد بن يعقوب الطالقاني (٢٨٥)، ٢٨٦
سفيان الثوري ٥٨، ١١٣، ١١٤، ١٤٩، ٤٥٢
سفيان بن عيينة ٢٠، ١٧٣، ١٩٨، ٢٢٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٤٤٥، ٤٥٣
سلام بن أبي مطيع (١١١)
سلمان الفارسي ٢٧٤، ٢٩٨
سلمة بن الاكوع ٣٦٩
سلمة بن وهرام (٢٧٨)، ٢٧٩
السلطان سليم

سليمان بن داود عليه السلام ٤٩٧
سليمان بن حرب (٢٩٧)
سليمان الحلبي (٣٦)
سليمان بن أبي زينب (٢٨٤)
سليمان القانوني ٣٣
سماك بن حرب ١٤٩
سنيد بن داود المصيصي (٥٢٥)
سهل التستري ٤٥١، ٥٢٧
سهل بن مزاحم (١١٢)
سيف بن عميرة ١٤٨، ١٥٠
شباك (٦١٥)
شبل بن عباد (١٧٥)
شريك (٢٦٩)، ٤٥٢
شعبة بن الحجاج ٢٠، ٥٨، ١٤٩، ١٧٢، ١٧٣، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨
شعيب عليه السلام ٤١٨
شمس الدين الخسرو شاهي (٤١٣)
شهر بن حوشب ١٤٨، ١٤٩
صالح عليه السلام ٤١٨
صالح بن أحمد بن أبي مقاتل (٢)
صالح بن موسى (٤٨٦)
صبحي الصالح ٢٥، ٥٧، ٥٨، ٥٩
صديق حسن خان ٢١٤
الضحاك بن مزاحم (١٩)، ١٧٣، ١٩٦، ٣٣١، ٥٢٦، ٦٠٦
طاهر الجزائري (٢٥)
طاوس ٢٢٦، ٢٨٠، ٣٣٢
طلحة بن خصيف ١١٢
طنطاوي جوهري ٩٥، ٩٨، ٣٤٣

طه حسين ٥١

عائذ بن حبيب ٢٩٢

عارف تامر ٤٠٤

عاصم الأحول (٢٩٨)، ٣٨٩

عاصم بن زيد ٤٨٦

عاصم بم كليب (٢٨٢)، ٢٨٣

عامر بن السمط (٢٩٢)، ٢٩٣

عباد بن العوام (٥٦٢)

عبادة بن الصامت ٥٦٠

عباس الأول (٣٧)، ٤٨

عباس حلمي الثاني (٤١)، ٤٩

عبد الحكيم السيالكوتي الهندي ٩٥

عبد الرحمن بن الحارث بن هشام (٢٥٦)

عبد الرحمن بن زيد ١٧٧

عبد الرحمن بن عبد الله بن سوار ٣٨٨

عبد الرحمن بن عبد الله المسعودي (١٩٩)

عبد الرحمن بن عوف ٢٤٨

عبد الرحمن بن القاسم (٣٥٧)

عبد الرحمن المقدسي ١٠٠

عبد الرحمن بن هانيء (٢٨١)

عبد الرزاق الصنعاني ٢١، ١١١، ١٥٢، ١٩٦، ٢٢٧، ٢٩٥، ٢٩٧، ٤٥٢، ٦٢٤، ٦٢٥

عبد العزيز جاويش (٦٠٣)، ٦٠٥

عبد العزيز بن أبي سلمة ٤٥١

عبد العزيز فهمي (٤٥)

عبد العزيز قاريء ٢٤٩

عبد العزيز الكناني (٣٠)

عبد القادر الجيلاني ٥٢٧

عبد القيس ٣٧٠

عبد الله بن أحمد ٢١٦، ٢٧٩، ٢٨٧، ٣٨٨

عبد الله بن إدريس الأودي (٣٨٧)

عبد الله بن أبي أوفى (٢٢٨)، ٢٣١

عبد الله بن البسري ١١٣

عبد الله بن أبي جعفر الرازي ٥٢٥، (٥٢٦)

عبد الله بن دينار ٢٣٠

عبد الله بن رواحة ٢٧٣، ٢٧٨، ٢٨٠، ٤٥٣

عبد الله بن الزبير ١١٨، (٢٥٦)

عبد الله بن سلام ٥٢٢

عبد الله بن سلمة ٢٩٠

عبد الله بن سليمان العكبري ٢٨٣، ٢٨٤

عبد الله بن طاووس (١١١)

عبد الله بن عامر اليحصبي (٢٠)، ١٧١، ١٨١، ٣٣٩

عبد الله بن عمرو ٢٠١، ٥٤٣، ٥٤٨

عبد الله الغافقي ٢٧٤، ٢٨٣

عبد الله بن قيس ٥٣٥

عبد الله بن كليب (٢٨٤)

عبد الله بن المبارك ٢١٦، ٣٨٧

عبد الله بن المخارق (١٩٩)

عبد الله بن محمد الجعفي (٦٢٤)

عبد الله بن مسعود ١١٧، ١٥٢، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٩،
٢٠٠، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٢،
٢٧٤، ٢٨٤، ٢٩٢، ٢٩٧، ٣١١،
٤٥٣، ٥٢١، ٥٤٨، ٥٦٠، ٥٦١،
٦٠٨، ٦١٠

عبد الملك القرطبي (٢١)

عبد الملك بن مروان ١٨، ٩٦، ١٧٢، ١٧٣
عبد الملك بن مسلمة ٢٨٨
عبد الوهاب الخفاف (٢٠)
عبد الوهاب بن عطاء العجلي ١٧٧
عبد الوهاب المالكي (٣٧٤)، ٥٢٨
عبد الوهاب الوراق (١٥٧)، ٥٢٦
عبيد بن عمير (٤٥٢)، ٥٦٣
عبيد بن كثير (١٥٠)
عبيد الله بن عمر (٢٨٥)، ٢٨٦
عبيد الله بن عبيد بن عمير ٤٥٣
عبيدة السلماني (٢٩٦)، ٢٩٧
عثمان بن حنيف ٤٤٤، ٤٥٤
عثمان بن سعيد الدارمي (٥٢٧)
عثمان بن أبي العاص ٥٦٠، ٦١٣، ٦١٥
عثمان بن عفان ١١، ١٦، ٢٣١، ٢٣٣، ٢٥١، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٩، ٢٧٢، ٣١١، ٣٢٥، ٣٣٢، ٣٤٠، ٥١٨، ٥٢١
عدنان بشير رشيد ٤٠٥
عدنان زرزور ٢٥
عروة بن الزبير ٦٢٤، ٦٢٥
عزرة (٢٩٨)
عطاء الخراساني ١٦، (١٧٤)، ١٧٦، ٢٣٢، ٢٧٥، ٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠١
عطاء بن دينار (١٨)، ١٧٣، ١٧٤، ٢٣٦
عطاء بن أبي رباح ١٩، ١٧٤، ٥٦٣
عطاء بن السائب ٣٦٢
عقبة بن أبي معيط ٦٢٢

عقبة بن علقمةالبيروتي (٣٨٦)
عقيل بن خالد الأيلي (٦٢٤)
عكرمة ١٩، ١٧٣، ٢٤٣، ٢٤٩، ٢٧٨
٢٧٩، ٣٣١، ٣٦٢،
علي بن إبراهيم الحوفي ١٧٩، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥
علي بن برهان الدين الحلبي ٩٦
علي بن الحسين (٤٨٦)
علي بن حمزة بن عبد الله الكسائي ١٧٨
علي بن أبي طالب ١٦، ١٧، ١٧٦، ٢٢٤، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٠،
٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٧٣، ٢٧٤،
٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٥،
٣٢١، ٣٢٤، ٣٨٥، ٤٧٠، ٤٨٦، ٥٦٠
علي بن أبي طلحة (١٩٩)
علي القاري (٢١٤)
علي بن المديني ٢١، ٢٩٤، ٣٦٢، ٤٣٠، ٥٢٥
عمار بن ياسر ٤٥٣، ٥٣٥
عمارة بن أبي الحسن (١٥٢)
عمارة بن غزية (٢٥٦)، ٢٥٧
عمران بن حصين ٣٥٦، ٥٢١
عمر الخطاب ١٦، ٨٤، ١١٨، ١١٩، ١٤٥، ١٤٦، ٢٣٠، ٢٣١،
٢٣٢، ٢٤٨، ٢٥١، ٢٥٧، ٢٧٤، ٢٩٥، ٣٢١، ٣٥٣،
٤٧٥، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٣
عمر بن زريق ٢٧٨، ٢٧٩
عمر بن سواد السرحسي (٢٨٤)
عمر بن شبة (٣٢٣)
عمر بن عبد العزيز ١١٢، ٢٠٣، ٢٢٧، ٥٦٣
عمرو بن الحكم ٢٣٠
عمرو بن عبيد ٥٦٨

عمرو بن عبسة (٥٦٠)

عمرو بن مرة (٢٩٠)، ٢٩١

عمير بن حبيب (٤٥٤)

عون بن عبد الله (٣٢٠)

عياض ٢٢٦، ٢٢٨

عيسى بن أبان (٤٩٠)

عيسى بن عمر الثقفي (١٨١)، ٣٣٩

عيسى بن مريم عليه السلام ٤٥، ١٥٤، ٤٣٩، ٥١٠

عيينة بن حصن ٣٢٠

غاليلو ٦٠٣، ٦٠٤

فرانسو الأول ٣٣

فرعون ٢٠٦، ٤١٦، ٤٣٨

الفضل بن عطية المروزى ٢٨٠

الفضل بن عياض ٣٨٩، ٤٢٨، ٤٥١

الفيكنت دي طرازي ٩٩

قاسم أمين (٤٢)، ٤٨، ٤٩

القاسم بن فيرة الشاطبي ٩٦

القاسم بن محمد ٣٣٣

قتادة السدوسي ١٩، ١٧١، ١٧٤، ١٧٦، ٢٣٨، ٢٣٩، ٤٠٠، ٥٤٥

قتادة بن النعمان (٥٢١)

قتيبة بن سعيد (٥٢٥)

قيس بن الربيع الأسدي ٣٦٢

كتشنر ٤٣

كرومر ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٩، ٥٠، ١٠٤

كعب الأحبار ٢٠٠، ٥٢٦، ٥٦٣

الليث بن سعد ٤٥١، ٦٢٤، ٦٢٥

مالك بن أنس ١١٢، ٢٢٦، ٢٣٠، ٣٠٠، ٣١١، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٥١، ٣٥٧، ٣٧٢، ٣٨٧، ٤٠٩، ٤٣٢، ٤٤٨، ٤٥٠، ٤٩١، ٥٠٧، ٥١٠، ٥١١، ٥٢٦، ٥٢٩، ٥٨٢

مالك بن الحويرث ٣٦٨، ٣٧٠

مالك بن دينار (٥٢٦)

مالك بن عبادة (٢٨٣)

المؤمل بن إسماعيل ٤٥١

مؤرج بن عمرو السدوسي ١٧٨

مثنى بن الحارث ١١٦

مجاهد ١٩، ٨٨، ١١٤، ١١٧، ١٧٣، ٢٤٣، ٣٢٩، ٣٣٢، ٣٥٣، ٣٥٨، ٤٥١، ٥١١، ٥٤٥

محمد بن إسماعيل الأحمسي ١٩٩

محمد الأمين الشنقيطي ٢٥، ٤٧٦، ٤٨٠، ٤٩٢

محمد باشا شعراوي ٤٥

محمد بحيري ٥٢

محمد توفيق باشا (الخديوي) (٣٧)، ٣٩، ٤٠، ٤١

محمد بن ثواب ٢٨١

محمد بن الحسن الشيباني (٥٦٣)

محمد بن الحسن الرؤاسي ١٧٨

محمد راغب باشا (٣٤)

محمد رشيد رضا ٩٤

محمد بن أبي شيبه (٢٠٨)، ٥٢٧

محمد بن طاهر المقدسي ٢٠٧

محمد بن عبد الحميد العطار ١٤٨، ١٥٠

محمد عبد الله دراز (٥٦)، ٥٧، ٥٨، ١٠١، ٥٨٨، ٥٩١

محمد عبده ٣٠، ٤١، ٤٢، ٤٦، ٤٨، ٥٠، ٩٦، ١٠٤، ٤١٦، ٤١٩، ٤٢١، ٥٦٨، ٦٢٧

محمد علي باشا (٣٣)، ٣٦، ٣٧، ٥٠
محمد علي سلامة (٢٥)
محمد بن الفضل ٢٨٠، ٢٨١
محمد قطب ٢١٥
محمد بن كثير ٦٢٥
محمد بن كعب القرظي (١٩)، ١٧٣
محمد بن أبي محمد ٣٦٢
محمد محمود باشا (٤٤)
محمد بن مصعب العابد ٥٢٤
محمد بن مكرم بن علي الأنصاري ٩٩
محمد بن النظر الحارثي (١١٣)
محمد النويري المالكي ٩٧
المخارق بن سليم (١٩٩)
مرجوليوث ٥١
مسعر ٢٩٠
مسلم بن الحجاج ٨٣، ٨٤، ٨٦، ٨٧، ١٥١، ١٥٢، ١٦١، ٢٢٩، ٣٢٤، ٥٣٥، ٥٣٧، ٥٥٤، ٥٦٥، ٥٧٨، ٦٢٥
مسلم الطائفي (٤٥٢)
مسلم بن يسار (١١٣)
المسور بن مخرمة (٣٢١)
المسيو دي بلينيز ٤٠
مصطفى غالب ٤٠٤
مصعب بن سعد (٢٥٨)
معاذ بن جبل ١٤٢، ٣٧٠، ٤١٩، ٤٢١، ٤٥٣
معاوية بن أبي سفيان ٨٦، ٣٢٠
معمر بن راشد (١١١)، ٢٩٧، ٤٥٣، ٦٢٤، ٦٢٥
المغيرة بن شعبة

مغيرة بن مقسم الضبي (٢٩٤)
مقاتل بن حيان (١٧٥)، ٥٢٦
مقاتل بن سليمان (١٧٥)، ١٧٧
مكحول الدمشقي (٥٦٣)
مكماهون ٤٣، ٤٤
مكي بن أبي طالب (٢٥٨)، ٣٤٠، ٤٩١
مناع القطان ٢٥، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ١٢٨
منصور بن عمار (٥٢٥)
موسى الأنصاري النخعي ٢٨٣
موسى بن عقبة (٢٨٥)، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٦١٥
موسى بن عمران عليه السلام ١٥٧، ١٦٢، ٢٠٦، ٢٠٧، ٤١٧، ٤٣٩، ٥١٠، ٥٣٣، ٥٣٩، ٥٤١، ٥٤٣، ٥٤٨، ٥٥٤
موسى بن هارون (١٤٩)
ميرس الإنجليزى ٩٦
نابليون ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٤٦
نافع بن جبير ٣٠
نافع المدنى (١٨١)، ٣٤٠
نافع مولى ابن عمر ٢٨٠، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٨
نجدة الحروري الحنفي (١١٤)
نجيب العسراوي ٤٠٥
نصر بن عاصم الليثي (١٧)، ٦١٣
النضر بن الحارث ٦٢٢
النضر بن شميل (٤٥٢)
النعمان بن بشير ١٩٩
نعيم بن حماد (٥١٠)، ٥٠٩
النواس بن سمعان (١٩٦)
نوبار باشا الأرمني ٣٩

نوح صلى الله عليه وسلم ٤١٧، ٤٩٧

هارون الرشيد ٣٨٧

هارون بن معروف (٣٨٨)

الهاسبورج ٣٣

هشام بن حسان (١١٢)، ٢٧٧

هشام بن الحكم ٨٤

هشام بن حكيم (٢٤٨)، ٢٦٢

هشام بن عبيد الله الرازي (٥٢٤)

هشيم بن بشير (١٨١)، ٣٤٠

ورقة بن نوفل ٦٢٤

وكيع بن الجراح ٢٠، ٥٨، ١٧٢، ١٧٣، ٢٩٦، ٣٦٢، ٣٨٩، ٤٥٣، ٤٤٨، ٥٢٥

وليد جنبلاط ٤٠٥

الوليد بن عقبة ٢٥٦

الوليد بن مسلم ٤٤٨

وهب بن منبه (١٧٤)، ٦١٣، ٦٢٤

ياقوت الحموي ١٨٢

يحيى بن إبراهيم أبو سهل ٣٨٧

يحيى بن بكير (٦٢٤)

يحيى بن سعيد (٣٩٩)

يحيى بن سليم ٤٤٨

يحيى بن معاذ الرازي (٥٢٦)

يحيى بن يعمر (١٨)، ١٧١، ١٨١، ٣٨٦

يزيد بن ربيعة (٤٨٤)، ٤٨٧

يزيد بن معاوية النخعي (٢٥٦)

يزيد بن هارون (٢٩٥)، ٣٥٨، ٥٢٣، ٣٨٩، ٣٩٠

يوسف عليه السلام ٥٨٢،١٤٧
يوسف بن السمتي (٢٩٩)
يونس بن يزيد (٦٢٤)

(٢)

الكنى

أ ـ (الآباء)

أبو أحمد العسال (٢٠٠)

أبو الأحوص (٢٨٠)

أبو إسحاق الاسفراييني ٣٧٥، ٣٧٦

أبو إسحاق السبيعي ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٩٣

أبو إسحاق الشيرازي ٣٧٤، ٤١١، ٤٣٣، ٤٩٢

أبو إسحاق الفزاري (٤٤٩)، ٤٥٢

أبو أسماء الرحبي (٤٨٧)

أبو الأسود الدؤلي (١٧)، ١٨

أبو الأشعث ٤٨٧

أبو أمامة (١١٤)

أبو بردة ٢٨٢

أبو بكر الأصم (٣٩٠)

أبو بكر الزاذقاني ٤١٠

أبو بكر السجستاني (٢٢)، ١٧٨

أبو بكر الصديق ١٥، ١٦، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٩، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٦١، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢، ٣٠٣، ٣٠٦، ٣٣٢، ٣٦٩، ٣٧٧، ٥١٧، ٥٦٠، ٥٩٩

أبو بكر بن عياش (٢٩٤)، ٤٥١

أبو بكر محمد بن قاسم الأنباري (٢٢)، ٢٧، ٦٠، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ٦٠٦، ٦٢٦

أبو بكر المروذي (١٥٧)

أبو بكرة ٦١

أبو ثعلبة الخشني (٥٦٠)

أبو جعفر بن البحتري (٤٨٩)

أبو جعفر بن الزبير (٨٢)، ٨٧، ١٠١
أبو جعفر السمناني (٣٢٣)
أبو جعفر الهمداني ٢٠٧
أبو جمرة (٣٧٠)
أبو حاتم الرازي ٢٩١
أبو حاتم السجستاني (٢١)، ١٧٩، ٣٣٩
أبو حاضر عبد الملك بن عبد ربه (٤٨٤)
أبو حامد الاسفراييني ١٦٣، ٣٧٤، ٤١٠، ٤١١، ٤٣٣
أبو الحسن الأشعري ٢٢، ٩٣، ١٠٤، ١٣٤، ١٣٨، ١٤١، ١٨٥، ٣١٩، ٣٩١، ٣٩٧، ٤١١، ٤٣٣، ٤٥٩، ٥١٦، ٥٢٦، ٥٧٤
أبو الحسن الكرجي (١٦٣)، ٤١٠، ٤١١، ٤٣٣
أبو الحسن اللحياني ١١
أبو الحسن محمد بن رباح (١٥١)
أبو حمزة نصر بن عمران (١٩٥)
أبو حنيفة ٢١٤، ٢١٥، ٢١٧، ٢٢٦، ٢٣٣، ٣٧٦، ٤٩١، ٥٢٤
أبو خزيمة ١١٨
أبو الخطاب (٣٧٥)
أبو داود السجستاني ١٥١، ١٥٢، ٢٧٩، ٢٨٩، ٣٠١، ٥٧٨، ٦١٣، ٦١٥
أبو داود الطيالسي ٨٨، ٢٨٩
أبو الدرداء ٤٥٣، ٥٠٠، ٥٦٠
أبو ذر ١٩٥
أبو ذر الهروي (٣٢٣)
أبو ربيعة الأعرابي ٣٥٩، ٥١٢
أبو رزين (٥٦٥)
أبو زرعة الرازي ٢٨١، ٢٨٨، ٥٢٦، ٦٢٤
أبو السعود ٩٤، ٦٠٣
أبو سعيد الخدري ١٩٧، ٥٦٠
أبوسفيان ٦١٥

أبو سلمة (٢٣٠)
أبو شامة (٢٤)، ٢٦، ٦٠، ١٦٩، ٢٤٢
أبو الشعثاء ٣٣١
أبو الشيخ ٣٢٠
أبو طاهر بن أبي هاشم ٩٣
أبو طلحة الانصاري ٣٧١
أبو الطيب الطبري (٣٧٤)، ٤٧٦
أبو العالية رفيع بن مهران (٢٧٥)، ٣٢٩، ٣٣٢، ٣٥٨، ٥١١
أبو العباس أحمد بن يحيى الشيباني (ثعلب) (٢١)، ١٧٩، ٣٦٠
أبو العباس المبرد (٢١)، ١٧٩
أبو العباس المهدوي (٢٥٩)
أبو عبد الله البصري (٣٧٥)
أبو عبد الله بن حامد (٣٧٥)
أبو عبد الله الحميدي (٣٧٦)
أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم المالكي ١٠٠
أبو عبيد القاسم بن سلام ٢١، ١٤٦، ١٧٢، ١٧٦، ١٨٠، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٦٢، ٢٨٩، ٢٩٠، ٣٣٩، ٣٦٠، ٤٥٣، ٥١٠
أبو عبيدة ٣٦٨، ٣٧١
أبو عثمان الرازي (٢١٠)
أبو علي الفضل الطبرسي الرافضي ٩٩
أبو عمر الضرير (٤٠٩)
أبو عمرو الداني ٩٥، ١٠١، ٢٤٩، ٢٥٤، ٣١٢
أبو عمرو بن العلاء ٣٣٩
أبو الغريف الهمداني ٢٧٥، ٢٩٢، ٢٩٥
أبو الفتح النيسابوري (٣٢٣)
أبو الفضل إبراهيم ٢٧
أبو الفضل الرازي ٩٩

أبو الفضل العباس بن وهب بن عثمان الصياد ٢٣٤
أبو القاسم إسماعيل التيمي (١٦٢)
أبو القاسم النيسأبوري ٩٤
أبو كبشة السلولي (٣٢٠)
أبو الليث السمرقندي (٣٤٣)
أبو مالك الأشعري ٦٠٨
أبو مالك النخعي (٢٨١)، ٢٨٢، ٢٨٣
أبو محمد المقدسي (٢١٧)
أبو محمد الواسطي ٩٨
أبو مروان عبد الملك بن حبيب ١٧٩
أبو مطيع البلخي (٢١٧)، ٥٢٤
أبو المعالي الجويني ٢٠٧، ٢٣٢، ٢٣٣، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٧٤، ٤١٣، ٤٩١، ٥٧٤
أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك (١٢٨)
أبو معشر ٢٨٩
أبو منصور الأصبهاني ٤١٠
أبو منصور البغدادي (٣٧٦)
أبو منصور التميمي (٣٧٥)
أبو منصور سعد بن علي العجلي (٤١١)
أبو موسى الأشعري ٢٥٦، ٢٦١، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٣٦٩، ٥٣٥، ٥٣٧، ٥٤٨، ٥٦٠
أبو ميسرة ٨٤
أبو نعيم ١٥٠، ٢٨١، ٢٨٣، ٦٢٤، ٦٢٥
أبو نعيم الفضل بن دكين (٢٧٨)
أبو نعيم النخعي ٢٨٢
أبو نهيك (٣٢٩)، ٣٣١
أبو هاشم الجبائي ٣٧٥، ٣٩٧
أبو هريرة ٨٦، ٨٧، ١٥١، ١٩٦، ٢٠١، ٢٢٩، ٢٣٠، ٣٦٨، ٤١٩، ٤٢١، ٤٥٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٥٢٠، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩

أبو هلال العسكري ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٥، ٥٦٦، ٦٠٧
أبو وائل شقيق بن سلمة ١٢٩
أبو الوليد الباجي (٢٧٧)، ٢٩٦، ٢٩٧، ٣٣٢
أبو يزيد البسطامي (٣٢٣)، ٤٧٦
أبو يعلى الفراء (٣٠٤)
أبو يعلى الموصلي (٣٧٥)، ٥٧٣
أبو يوسف (١٥٢)، ٢٩٠، ٦٠٧، ٦٠٨
٤٠٨

ب ـ (الأبناء)

ابن إسحاق ٣٦٢، ٣٦٣، ٥٢٥، ٥٩٧، ٦١٥

ابن أشته (١٦)، ١٧١، ١٧٦

ابن الأعرابي (٥١٤)

ابن بدران (٤٨٠)، ٤٨١

ابن البرقي (٢٩٣)

ابن بطال (٣٠١)، ٥٤٧

ابن بطة ١١٥، ٤٥٠

ابن البنا ٩٢، ٣٢٧

ابن تيمية ٨٢، ١٠١، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٨، ١٤٧، ١٥٣، ١٥٧، ١٦٢، ١٦٣، ٢٠٩، ٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٥٣، ٢٥٧، ٢٨٨، ٣١١، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٩٧، ٤١٠، ٤١٢، ٤١٤، ٤٢٩، ٤٧٤، ٤٧٨، ٥٠١، ٥١٣، ٥٢٦، ٥٥٩، ٥٧٣، ٥٩٩، ٦٠٦، ٦١٧

ابن التين (٦١٠)

ابن الجارود (٢٩٠)، ٢٩١

ابن جريج (٢٠)، ٢٣٧، ٤٥٢

ابن الجزري ٨٥، ٩٧، ١٠١، ١٨٠، ٢٤٨، ٢٥٩، ٣٣٩

ابن الجعد (٢٨٩)

ابن جماعة (٢٣٤)

ابن الجوزي ٢٣، ٢٦، ١٦٩، ٢٥٠، ٢٨٨، ٣٢٣، ٤٨٧

ابن أبي حاتم ١٨، ١٧٣، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٨٠، ٢٨٦، ٢٨٨

ابن الحاجب ٣٧٤

ابن حبان ٨٦، ٩٣، ١٤٩، ١٥٠، ٢٧٩، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٣، ٦٠٧

ابن حجر ١١٨، ١٤٩، ٢٢٥، ٢٣٢، ٢٣٧، ٢٥٦، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠١، ٣٦٣، ٣٧٤، ٤٧٩، ٤٨٥، ٥٩٧، ٦٠٤، ٦٠٦، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦٢٤

ابن حزم ٩٩، ١٤٩، ٢٩٩، ٣٠١، ٣٣٢، ٣٧٣، ٤٦٦، ٤٧٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٩٢

ابن الحصار ١٠١
ابن حمدان (٣٧٣)
ابن خزيمة ٢٩٠، ٥٢٧، ٥٣٤، ٥٣٦، ٥٤٤
ابن خلدون ١٠١، ٣٢٧
ابن خواز منداد (٤٠٩)، ٤٣٢
ابن أبي دؤاد (٥١٤)
ابن أبي داود (١١٨)، ١٧١، ٢٥٦
ابن رشد ٤١٢
ابن رشيد (٣٠١)
ابن أبي رواد ٣٨٩
ابن الزاغوني (٣٧٤)
ابن الزبير ٢٩٥
ابن زيد (٥٤٥)
ابن أبي زيد القيرواني (٥٢٨)
ابن السبكي (٤٧٦)
ابن سريج (٥٢٧)
ابن السمعاني (٣٧٥)
ابن سيد الناس (٢٨٨)
ابن سيرين ١٦، ١٨، ١١٠، ١١١، ١١٥، ١٧١، ١٧٦، ٢٩٤
ابن سينا ٦٠٣
ابن شهاب ٦٢٤
ابن أبي شيبة ١٧١، ٢٩٠، ٢٩٥، ٢٩٧، ٢٩٨، ٤٥٣
ابن الصباغ ٣٠٠
ابن الصلاح ٩٨، ٣٧٦
ابن الضريس ١٧١
ابن عباس ٨٤، ٨٥، ١٥٢، ١٧٣، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٩، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٣٧، ٢٥١، ٢٥٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٩٨، ٣٠٠، ٣٢٩، ٣٣٢، ٣٢٠

٤٥٤، ٥٣٠، ٥٤٥، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٥، ٥٩٨، ٦٢٣

ابن عبد البر ١٦، ٩٢، ٩٤، ١٧١، ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٥٩، ٢٨٠، ٣٦٦، ٣٧٦، ٤٠٨، ٤٤٩، ٤٥٣، ٥١٦، ٥٢٧، ٥٥٩، ٥٧٣

ابن عبد الهادي (٢٨٩)، ٢٩١

ابن عدي (١٤٩)، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩١

ابن عربي ٩٤، ٣٠٣، ٥٩٩

ابن أبي العز الحنفي (١٥٤)، ٢٠٤

ابن عساكر (٧)، ٢٧٩

ابن عطاء السكندري (١٠٣)

ابن عطية ٢٥، ٩٤

ابن عقيل (١٣٧)

ابن عمار (١٤٩)

ابن عمر ٨٨، ١١٤، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٨٤، ٢٨٧، ٣٢٠، ٣٧٠، ٣٨٥، ٣٨٦، ٤٨٤، ٤٨٥، ٥٣٩، ٥٤٨، ٥٦٦، ٥٦٨، ٦٠٧، ٦٠٩، ٢٧٤

ابن علية ١٥٩

ابن عون ١١٣، ١١٥

ابن عيينة ٥٢٧

ابن فورك (٣٧٥)، ٣٧٦

ابن قتيبة ٢١، ٩٣

ابن قدامة ١٠٠، ١٥٧، ٣٧٣، ٤٩١

ابن القيم ١٢٩، ١٣٧، ١٣٨، ١٤٤، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٧، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ٢٠٩، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٩، ٢٣٣، ٣٣١، ٣٧٢، ٣٧٤، ٣٩١، ٤٥٣، ٥٠١، ٥١٣، ٥٣٦، ٥٣٨، ٥٤٢، ٥٤٧، ٥٤٩، ٥٥٢، ٥٦٠

ابن كثير ١٠، ٨٥، ٨٦، ٩٤، ١٧١، ١٩٤، ١٩٨، ٢٣٣، ٢٤٩، ٣٢٣، ٣٣١، ٣٧٦، ٥٤٥، ٥٥٢، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٩٨، ٦٠٤، ٦١٠

ابن كلاب (١٣٤)، ١٤١، ١٤٤، ١٦٥، ٥٦٣

ابن اللبان ٩٦، ٥٧١

ابن لهيعة ٢٣٦، ٢٨٣، ٢٨٤، ٦٠٨

ابن أبي ليلى ٢٩٠

ابن الماجشون (٢٧٩)، ٣٥١، ٣٥٨

ابن ماجة ٢٠١، ٢٨٥، ٢٨٦

ابن المبارك ١٤٩، ١٥٠، ٢٨٤، ٣٥٨، ٤٥٢، ٥٢٥

ابن مجاهد ٣٤٠

ابن محيصن (١٨١)، ٣٣٩

ابن مردويه (٨٦)، ٨٨، ٦٢٥

ابن المرزبان (٢٢)، ٢٧، ١٨٥

ابن معين ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٧، ٢٩٣، ٢٩٨، ٣٦٢، ٤٨٦، ٤٨٧

ابن مندة ٢٨٤، ٤٢١

ابن المنذر ٣٠٠، ٣٠١

ابن المنير ٥٣٩

ابن مهدي ٣٨٧

ابن أبي موسى (٣٧٣)

ابن هشيم ١٥١

ابن واصل الحموي (٤١٢)

ابن وهب (٢٠)، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٤

(٣)
الألقاب

الآجري	٢٨٥، ٢٩٠، ٥٦٢
الآمدي	١٢٥، ٣٧٤، ٤١٢، ٤١٤، ٤٩٢
آل أبي أوفى	٢٢٩
آل تقلا	٥١
آل زيدان	٥١
آل صروف	٥١
الأخطل	(١٥١)، ١٥٣
الأدفوي	(٢٢)، ١٨٦
الأزدى	(١٤٨)، ١٥٠
الإسماعيلي	(٦٢٥)
الأصبهاني	٤١٢
الأصفهاني (الراغب)	(٢٥)، ١٠٠
الأصمعي	٥٢٤
الأعمش سليمان بن مهران	٢٩٠، ٢٩٥، ٢٩٧
الألباني	٢٨٨، ٢٩١، ٢٩٦، ٣٧٣
الأوزاعي	٣٥٧، ٣٨٦، ٤٢٨، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥١، ٥١٠، ٥٢٤
الإيجي	(١٤٠)
الباقلاني	١٠٢، ٢٥١، ٢٥٢، ٤١٠، ٤١١، ٤٣٣، ٤٩٠، ٥٢٦
البربهارى	٤٣٢
البزار	(١٥٢)، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١
البزدوي	(٣٦٠)
البسوي	(١٤٩)، ٢٨٧، ٢٩٩
البغدادي (الخطيب)	٢٣٤
البغوى	٩٣، ٢٥٨، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٩٠، ٣٢٩، ٣٣١، ٣٤٣
البلخي	(٢٢)

البلقيني (٢٤)، ٢٦، ١٦٩
البناني ٩٥
البوشنجي (٥٢٧)
البوصيري (١٠٣)
البيضاوي ٦٠٣
البيهقي ٨٣، ٨٤، ٩٥، ١٤٩، ٢٥٨، ٢٨٧، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٥، ٢٩٧
٣٨٨، ٤٠٠، ٤٥٣، ٤٨٥، ٥٧٣
الترمذي ٨٤، ٢٠١، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٩٠، ٢٩١، ٦٠٦
التستري ٩٣
التفتازاني ٩٤، ١٠١
الثورى ١٤٩، ٢٢٦، ٢٩٥، ٣٨٨، ٥١٠
الجبائي (٢٢)
الجصاص (٣٢٩)
الجلال المحلى (١٣٩)
الجنيد (٣٠٣)
الجوزجاني (١٥٠)
الحازمى (٤٧٩)
الحرالي ١٢٨
الحميدى (٢٨٩)، ٢٩٠، ٤٤٨، ٥٢٤، ٦٢٤
الخطابى (٢٢٧)، ٢٣١، ٢٩١، ٤١٤، ٤٨٧، ٥١٤، ٥٢٨، ٦٠٩، ٦١٤
الخفاجي ٢٣٢
الخلال (١٥٧)
الخونجى (٤١١)
الدار قطني ٢٧٨، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٨، ٨٩
٢، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٣، ٢٩٥، ٣٦٢، ٣٦٣، ٤٨٥، ٤٨٦
الدارمى ٢٩٧، ٣٥٧، ٥٠١
الداني (١٧)

الدسوقي ٩٥

الذبياني (النابغة) ٥١٤

الذهبى ٥٧، ٨٦، ١٥٠، ٢٠٠، ٢٠٣، ٢٠٩، ٢١٧، ٢٧٩، ٢٩٣، ٣٦٠،
٣٠٦، ٣٢٢، ٣٦٠، ٥٢٣، ٥٢٦، ٥٦٠، ٥٧٨

ذو القرنين ٤٩٧، ٦٢١

الرازى (الفخر) ٩٤، ٩٦، ١١٠، ٣٧٤، ٤١٢، ٤١٣، ٤٢٧، ٤٩٢،
٥١٨، ٥٧١، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩

الرازي (أبو الفضل) ٢٥٣

الرافعي ٥٩٥

الزبيدي ٩٧

الزجاج (٣٢٩)، ٣٣٢

الزرقاني ٤، ٢٥، ٣٠، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٧٣، ٧٤، ٧٦، ٨٢، ٨٦،
٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٢، ٩٧، ١٠٥، ١١٨، ١٦٩، ٢٥٥، ٣٠٩،
٣٤٠، ٤٨٦، ٥٧٧، ٥٨٨، ٥٩١

الزركشى (٢٤)، ٢٧، ٥٥، ٥٧، ٥٨، ٦١، ٧٤، ٨٢، ٨٧، ٩١، ٩٣، ٧،
١١، ١٢٣، ١٢٨، ١٦٩، ١٨٩، ٢٦٥، ٣٠٩، ٣١١،
٣١٧، ٣٢٧، ٤٢٣، ٤٥٩، ٥٨٨، ٥٨٩، ٦٢٦

الزركلي ٥٢

الزفزاف ٢٥

الزمخشرى ٩٢، ٩٨، ٣١٢، ٤٣٤، ٤٥٥، ٤٥٧، ٦٠٣

الزهرى ١٥٢، ١٧٦، ٢٧٧، ٤٥٣، ٦٢٥

الزيلعى ٢٨٧

الساجى (١٤٩)، ٤٨٧

السبكي ٩٥

السجزى (١٣٤)

السخاوي (علم الدين) (٢٣)، ٢٦، ٨٩، ٩٠، ٩٥، ١٢٣، ١٢٨، ١٦٩، ١٨٠،
٢٤٢، ٣٣٩، ٤٨٥

السدى ٣٣١، ٥٤٥

السرخسي (٣٧٤)
السعدى ٣٣٠، ٣٣٢، ٥٠١
السفارينى (١٣٩)
السهيلى ٣٢٣
السيوطى ١٦، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٥٤، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٦٠، ٦١، ٦٣، ٧٤،
٨٢، ٨٣، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩ ـ ٩٢، ٩٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٣
١٢٨، ١٦٩، ١٧١، ١٨٢، ١٨٩، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤٣، ٢٥٩، ٢٦٥
٣٠٩، ٣١١، ٣١٧، ٣٢٣، ٣٣٩، ٣٦٢، ٣٧٦، ٤٢٣، ٤٦٨، ٤٦٩
٤٧٩، ٥٨٨، ٦٢٦
الشاطبى (أبو إسحاق) ١٠٨، ٣٥٠، ٤٢٩
الشافعي ١٠، ١١، ٩٢، ٩٦، ١٥٩، ١٦٣، ٢١٤، ٢٩١، ٣٧٢، ٣٨٤،
٣٨٦، ٤٠٨، ٤١١، ٤١٤، ٤٤٨، ٤٥١، ٤٨٥، ٤٨٧، ٤٩١، ٥١٠، ٥٢٦
٥٦٢
الشعبى ١٩٦، ٢٨٣، ٢٩٣، ٢٩٥، ٣٢٠، ٣٢٣، ٣٣٢، ٥٢٥، ٦١٥
الشعرانى (٢٠٣)
السهرستانى ٤١٣
الشوكاني ١٠٢، ٣٧٦، ٥٩٩، ٦١٣
الصغاني (٤٨٥)، ٤٩٢
الصفار ١٠١
الطبرانى (٨٩)، ١٤٨، ١٥٢، ٣٢٠، ٤٨٤، ٤٨٥
الطبرسي ٤٥٧
الطبري ٢٣، ٢٥، ٨٥، ٨٦، ١٢٧، ١٦٣، ١٨٠، ١٨٣، ١٩٩، ٢٠٠،
٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٥٩، ٢٨٤، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٢٩، ٣٣٢،
٣٣٩، ٤٥٢، ٥٠١، ٥١١، ٥١٢، ٥١٥، ٥٢٧، ٥٥١
الطحاوي ٢٨٣، ٢٨٥، ٢٩٠، ٢٩٧، ٢٩٨
الطلمنكي (٥١٦)، ٥٢٧

العراقي ٢٣٤، ٤٧٩، ٥٧٠
العظيم آبادي (٤٨٦)
العقيلي (١٥٠)، ٢٨٥، ٢٨٧، ٤٧٨، ٤٨٥
العيني ٩٧
الغزالي أبو حامد ٨٥، ٩٢، ١٠٠، ١٠٢، ١٠٣، ١٣٩، ٣٠١،
٣٠٢، ٣٠٣، ٣٧٤، ٤٠٧، ٤١٤، ٤٧٦، ٥٥٩، ٥٦٦
غندر (٢٩٨)
الفراء ١١، ١٠٠، ٣٦٠، ٥٢٥
الفريابي (٢٨٦)
الفلاس عمرو بن علي (٢٨١)
الفيروزابادي ٩٨، ٤٨٥
القاسمي ٢٥، ٣٣٢، ٣٧٣
قالون ١٨٠
القرافي (٤٩٢)
القرطبي ٢٥، ١٢٩، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٥١، ٢٥٢، ٣٢١، ٣٢٩،
٣٣٢، ٤٧٦، ٥١٦، ٥٢٨، ٦٠٦
القعنبي (٥٢٣)
القلانسي (١٣٤)
القمي (٣٣٠)، ٦٠٣
قيصر ٣٢١
الكافيجي (٢٤)، ٢٦، ١٦٩
الكرابيسي (٣٧٣)، ٣٨٨
الكرماني (٦٢٥)
كسرى ٣٢١
الكلبي (١٧٦)، ٦٠٥
اللالكائي ٣٨٩، ٤٣٠، ٥١٢، ٥٣٨، ٥٦٠، ٥٦١
الماتريدي ٣٩١
المأمون ٤٦١

المحلي ٤٧٦،٩٧
المزني (٥٢٣)
المزى (٢٩٢)
المقرى ٢٨٤
المقوقس ٣٢١
المنذري ٢٩١
النحاس ٣٤٧،٣٧٨
النسائي ٨٥،١٤٩،١٥٠،٣٦٢،٥٧٨،٦٠٦
النسفي ٩٤،٩٨
النظام (٣٧٤)،٣٩٧
النووي ٩٣،٩٤،٩٩،٢٢٥،٢٢٦،٢٢٧،٢٣٢،٢٣٤،٢٨٠،
٢٨٥،٢٨٧،٢٩١،٣٠٠،٣٣٢،٤٧٩
النيسابوري (الحاكم) ٥،١٠٠،٢٩٠،٢٣٢،٣٠٦
الهيثمي ١٤٨،١٥٢،٢٨٢،٢٩٢،٤٨٤
الواحدي ٩٢،٣٣٢،٣٤٧،٣٧٨
الواقدي ٢٨٥

(٤)
النساء

جشم آفت	(٤٨)
حفصة	٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧
خولة بنت ثعلبة	(٣٥٦)
زينب	٣٥٧
صفية زغلول	٤٥
عائشة	٨٣، ١٥٢، ٢٠١، ٢٥٧، ٢٨٤، ٢٩٨، ٣٠٦، ٣٥٠، ٥٢١، ٥٦٠، ٦٠٦، ٦٢١، ٦٢٤، ٦٢٥
فاطمة بنت قيس	(٤٧٥)، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٣
مي زيادة	(٥٠)
نازلي فاضل	(٥٠)
هاجر	٤٥
هدى شعراوي	(٥٠)
أم سلمة رضي الله عنها	٨٨، ١٤٨، ١٥١، ٣٥٦، ٥٢٥، ٥٦٠، ٥٦١
أم عطية	(٣٠٠)

(٤)

فهرس الكتب الواردة في أصل البحث

الإبانة /لمكي ٢٤٩

الإبريز من كلام سيدي عبد العزيز/أحمد بن مبارك ٩٢

إبطال التأويل/أبو يعلى ٥٧٣

اتحاف فضلاء البشر/ابن البنا ٩٢

الإتقان في علوم القرآن/السيوطي ٢٥، ٢٦، ٥٤، ٥٥، ٦٠، ٦٨، ٧٣، ٧٤، ٨٢، ٨٣، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩٢، ١١٨، ١٦٩، ١٧١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٥٩، ٣١١، ٣٤٦، ٣٦٢، ٤٢٣، ٤٦٨، ٤٦٩، ٥٨٨، ٥٩٥، ٦٢٦

إثبات صفة العلو/لابن قدامة ٢٠٩

إثبات علو الله ومبيانته من خلقه/ للتويجري ٢٠٩

أحاديث القصاص/ابن تيمية ٤٧٨

الأحرف السبعة/للداني ٢٤٩

الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان/ابن بلبان ٨٧، ٢٤٩، ٢٩٠

الإحكام في أصول الأحكام/ابن حزم ٤٨٧، ٤٨٨

إحياء علوم الدين/الغزالي ٨٥، ٩٢

اختلاف مصاحف الشام و الحجاز و العراق/عبد الله ابن عامر اليحصبي ١٩، ١٧٢، ١٨٠

اختيارفي القراءة لعيسى بن عمر الثقفي ١٨١

اختيار في القراءة على مذهب العربية/لمحمد ابن عبد الرحمن بن محيصن ١٨١

أخلاق حملة القرآن/للآجري ٢٨٥

إرواء الغليل/للألباني ٢٥٦، ٢٨٨

أسباب النزول/ابن المديني ٢١
أسباب النزول/الواحدي ٩٢،٣٤٧،٣٧٨
الاستغناء في علوم القرآن/الأدفوي ٢٢،١٨٦
الإسلام في قفص الاتهام/شوقي أبو خليل ١٠٩
الأسماء و الصفات/البيهقي ٥٧٣
الإصابة/لابن حجر ٢٨٣
إعجاز القرآن/الرافعي ٥٩٥
إعراب القرآن/أبو حاتم ٢١
إعراب القرآن/ثعلب ٢١
إعراب القرآن/عبد الملك القرطبي ٢١
إعراب القرآن/المبرِّد ٢١
الافراد/الدارقطني ٤٨٥
الاقتصاد في الاعتقاد/للغزالي ١٣٩
أقسام اللذات/الرازي ٤١٢
الإكسير في علوم التفسير/الطوفي ٢٤
الجام العوام عن علم الكلام/الغزالي ٩٢
الام/الشافعي ٩٢
انجيل متى ٩٣
انجيل مرقس ٩٣
الإيمان/ابن مندة ٤٢١
البحر المحيط/ابو حيان ٩٣
البحر المحيط/الزركشي ٩٣
بداية المجتهد/ابن رشد ٣٠٤
البرهان في تفسير القرآن/للحوفي ٢٧،٥٩،١٨٢،١٨٣
البرهان في علوم القرآن/الزركشي ٢٤،٥٥،٥٦،٦٠،
٦١،٦٣،٧٤،٨٢،٨٧،٩٣،١١٧
١٢٨،١٦٩،١٨٢، ١٨٣،٢٤٢
٥٨٨،٥٨٩،٦٢٦

بصائر ذوي التمييز/الفيروزآبادي ١٢٧
البيان/أبو طاهر ٩٣
تاج العروس/الزبيدي ٩٧،١٢٥
تاريخ ابن عساكر/ابن عساكر ٢٧٩
تاريخ القرآن/ابن قتيبة ٩٣
التاريخ الكبير/للبخاري ٢٨٤
التبيان في آداب حملة القرآن/النووي ٩٣
التبيان في علوم القرآن/طاهر الجزائري ٢٥
التبيين لأسماء المدلسين/سبط بن العجمي ٥
التحبير في علوم التفسير/السيوطي ٢٤،٢٦،٦٠،٦٤
تحرير المرأة/قاسم أمين ٤٢
التذكار/القرطبي ١٢٩
تطور الأمم/أحد الفلاسفة الغربيين ٩٣
تعريف أهل التقديس/لابن حجر ٢٨٢،٣٦٣
التعريف بالقرآن والحديث/الزفزاف ٢٥
التعليق المغني على الدارقطني/العظيم آبادي ٢٨٤
تفسير ابن جرير(جامع البيان في تفسير القرآن)/الطبري ٢٣،٨٥،٢٤٩
تفسير ابن عربي/ابن عربي ٩٤،٣٤٣
تفسير ابن عطية (المحرر الوجيز)/ابن عطية ٩٤
تفسير ابن كثير/ابن كثير ٨٦،٩٤

تفسير الآلوسي (روح المعاني)/الآلوسي ٩٣
تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم)/أبو السعود ٩٤،٤٢٧،٦٠٣
تفسير البغوي (معالم التنزيل)/البغوي ٩٣
تفسير البيضاوي/البيضاوي ٤٢٧
تفسير التستري ٩٣،٤٦٠
تفسير سعيد بن جبير

تفسير عبد الرزاق	٢١
تفسير عطاء بن أبي رباح	١٩
تفسير عكرمة	١٩
تفسير القرآن/أبو الحسن الأشعري	٢٢
التفسير الكبير/الرازي	٩٤
تفسير مجاهد	١٩
تفسير محمد بن كعب القرظي	١٩
تفسير المنار/رشيد رضا	٩٤
تفسير النسفي (مدارك التنزيل)	٩٤، ٤٢٧
تفسير النيسابوري	٤٥٩، ٦٠٣
التفسير والمفسرون/الذهبي	٥٧
تقريب التهذيب/ابن حجر	١٤٩، ١٥٠، ٢٧٩، ٢٨٢، ٢٩١، ٢٩٣، ٣٦٢، ٣٦٣
تلخيص الحبير/ابن حجر	٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٣
التلقيح في غرائب علوم الحديث/ابن الأنباري	٢٧، ١٨٤
التلويح في كشف حقائق التنقيح/التفتازاني	٩٤
التمهيد/ابن عبد البر	٩٤، ١٧١، ٢٤٩
التنبيه على فضل علوم القرآن/أبو القاسم النيسابوري	٩٤
تنقيح التحقيق/ابن عبد الهادي	٢٨٩
تهافت التهافت/ابن رشد	٤١٢
تهذيب الأسماء واللغات/النووي	٩٤
تهذيب التهذيب/ابن حجر	٢٧٩، ٢٩١
تهذيب الكمال/للمزي	٢٩٢
الثقات/لابن حبان	١٥٠، ٢٧٩، ٢٩١
جامع الأصول/لابن الأثير	٢٤٩
جامع البيان/أبو عمرو الداني	٩٥
جامع التحصيل في أحكام المراسيل/العلائي	٣٦٣
الجامع في القراءات/للطبري	١٨٠

الجامع لشعب الإيمان/البيهقي	٢/١٥
الجرح والتعديل/ لابن أبي حاتم	٢٨٤
جمال القراء وكمال الإقراء/السخاوي	١٦٩،٩٥،٩٠،٢٦،٢٣
جمع الجوامع/السبكي	٩٥
ا لجواهر في تفسير القرآن الكريم/طنطاوي جوهري	٩٥
جوهرة التوحيد/برهان الدين اللقاني	٤٣٤
حاشية البناني على جمع الجوامع	٩٥
حاشية ترشيح المستفيدين	٩٥
حاشية عبد الحكيم علي المطول/السيالكوتي	٩٥
حاشية على شرح الدردير لمختصر خليل/الدسوقي	٩٥
حاشية على شرح الدواني للعقائد العضدية/محمد عبده	٩٦
الحاوي في علوم القرآن/لابن المرزبان	١٨٥،٢٧،٢٢
الحجة على تارك المحجة/لأبي القاسم الأصبهاني	١٦٢
حسن الإيجاز في إبطال الإعجاز	٦٠
حلية الأولياء/لأبي نعيم	٢٨١
حواشي المنهج في فقه الشافعية	٩٦
الدراية في تخريج أحاديث الهداية/لابن حجر	٢٨٨،٢٨٧
درة التنزيل وغرة التأويل/الرازي	٩٦
دلائل النبوة/البيهقي	٨٤،٨٣
ديوان الأخطل	١٥٣
رد الآيات المتشابهات/ابن اللبان	٩٦
الرد على الجهمية/أحمد بن حنبل	٢١٦
الرسالة/الشافعي	٤٨٥،٩٦
الرسالة العرشية/لابن تيمية	٢٠٩
زاد القراء	٩٦
السنن/لأبي داود	٦١٣،٥٠٠
سنن الترمذي	

السنن/المحاسبي ٩٦
السنن الصغرى/النسائي ٨٥
السنن الكبرى/للبيهقي ٢٥٨
السنن الكبرى/النسائي ٨٥
كتاب السنة/عبد الله بن أحمد ٣٨٨
السيرة الحلبية/الحلبي ٩٦
الشاطبية ٩٦
الشخصية الإنسانية/ميرس الإنجليزي ٩٦
شرح أسماء الكتاب العزيز/ابن القيم ١٢٩
شرح التفتازاني ٩٦
شرح الجوهرة/البيجوري ١٣٩
شرح الزرقاني على المواهب ٩٧
شرح السنة/للبغوي ٢٤٩، ٢٥٨، ٢٨٥
شرح الطيبة/محمد النويري المالكي ٩٧
شرح العقيدة الطحاوية/لابن أبي العز الحنفي ٢٠٤، ٢٠٩، ٢١٥، ٣٨١
شرح العقيلة ٩٧
شرح العيني على البخاري/عمدة القاري، ٩٧
شرح المحلي على جمع الجوامع ٩٧
شرح معاني الآثار/للطحاوي ٢٨٣، ٢٨٥
كتاب الصحابة/لابن مندة ٢٨٤
صحيح ابن حبان ٦٠٧
صحيح البخاري ٨٣، ١٩٥، ٢٢٥، ٢٥٥، ٤٠٤،
٥١١، ٦٠٦، ٦٢٣، ٦٢٥
صحيح مسلم ٨٦، ٥٣٥، ٥٣٧، ٥٥٤، ٥٦٥
الصواعق المرسلة/ابن القيم ٥٤٩
الضعفاء/العقيلي ١٥٠، ٢٨٥، ٤٨٥، ٤٨٧
طبقات القراء/ابن الجزري ٩٧
الطبقات الكبرى/للشعراني ٣٠٣

طبقات المفسرين/السيوطي ٩٧
طيبة النشر/ابن الجزري ٩٧
عجائب علوم القرآن/لابن الأنباري ١٨٥،١٨٣،٢٧،٢٢
عد الآي/ الحسن البصري ١٧١،١٩
كتاب العرش/للحافظ محمد بن عثمان بن أبي شيبة ٢٠٨
عقائد النسفي ٩٨
العلل/لابن أبي حاتم ٢٨٧
العلو للعلي الغفار/للذهبي ٢٠٩،٢٠٣
علوم القرآن/للحوفي ١٨٣
علوم القرآن/عدنان زرزور ٢٥
عواشر القرآن/قتادة ١٧١،١٩
عون المعبود/العظيم آبادي ٢٨٩
غاية النهاية/لابن الجزري ١٨٠
غريب القرآن : أبو بكر السجستاني ٢٢
فتاوى ابن الصلاح ٩٨
فتح الباري/لابن حجر ٦٠٨،٢٩٨،٢٩١،٢٨٧،٢٣٧،١١٨
الفروق اللغوية/أبو هلال العسكري ١٢٥
الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول/لأبي الحسن الكرجي ١٦٣
فضائل القرآن/لابن الضريس ١٧١
فضائل القرآن/لابن كثير ٢٤٩،١٧١
فضائل القرآن/أبو عبيد ٢٨٩،٢٤٩،٢١
الفقه الأكبر/لأبي حنيفة ٢١٧،٢١٥،٢١٤
فنون الأفنان/ابن الجوزي ٢٦،٢٣
فوائد أبي جعفر البحتري ٤٨٥
القاموس المحيط/الفيروزآبادي ٩٨
القدح المعلى ٩٨
القرآن والعلوم العصرية/طنطاوي جوهري ٩٨

القراءات/أبو عمرو بن العلاء ٣٣٩
القراءات/لهشيم بن بشير ١٨١
القراءات للواسطي (تحفة البررة) ٩٨
القراءة/لحمزة الكوفي ١٨١
القراءة/لنافع المدني ١٨١
القراءة/يحيى بن يعمر ١٨، ١٨٠، ٣٣٩
القصيدة النونية/ابن القيم ١٥٥، ٢٠٩، ٤٥٣
الكامل/لابن عدي ٢٨٠
الكُتّاب/لعمر بن شبة ٣٢٣
الكشاف/الزمخشري ٨٧، ٩٨
كشف الأستار في زوائد البزار/الهيثمي ٢٨١
كشف الأسرار في المنطق/الخونجي ٤١١
كشف الخفاء/العجلوني ٤٨٥
كشف الظنون/حاجي خليفة ٩٨، ١٨٢
كنز العمال/تقي الدين الهندي ٢٤٩
الكواكب الدرية ٩٨
الكون الغامض/جيمس جينز ٩٩
لسان العرب المحيط/ابن منظور ٩٩
لسان الميزان/ابن حجر ٢٨٨، ٢٩٣
اللوائح/أبو الفضل الرازي ٩٩
مباحث في علوم القرآن/صبحي الصالح ٢٥، ٥٧
مباحث في علوم القرآن/مناع القطان ٢٥، ٥٧، ٥٨، ١٢٨
المجتبى/ابن الجوزي ٢٣
مجمع البحرين/السيوطي ٢٥
مجمع البيان لعلوم القرآن/الطبرسي ٩٩
مجمع الزوائد الهيثمي ١٥٢، ٢٤٩، ٢٨٢، ٤٤٩، ٤٨٤
المجموع شرح المهذب/النووي ٩٩، ٢٨٠، ٢٨٥، ٣٠٠
محاضرات الفيكنت دي طرازي ٩٩

المحلى/ابن حزم ٩٩،٤٦٦
المحيط البرهاني في الفقه النعماني ١٠٠
مختار الصحاح ١٠٠
المختزن في علوم القرآن/أبو الحسن الأشعري ٢٢،٢٣،١٨٥
مختصر المقاصد الحسنة/الزرقاني ٤٨٦
المدخل إلى السنن الكبرى/البيهقي ٤٨٥
المدخل إلى الصحيح/الحاكم ٥
مدخل إلى القرآن الكريم/دراز ٥٦،٥٧
المدونة/عبد الرحمن بن القاسم المالكي ١٠٠
المرأة الجديدة/قاسم أمين ٤٢
مراقي السعود ٤٧٨،٦١٩
المرشد الأمين للبنين و البنات/الطهطاوي ٤٨
المرشد الوجيز/لأبي شامة ٢٤،٢٦،١٠٠،١٦٩،٢٤٩
المسائل الخمس/أحمد بن فارس ١٠٠
المستخرج/أبو نعيم الأصبهاني ٦٢٤
المستدرك على الصحيحن/الحاكم ١٠٠
المستصفى/الغزالي ١٠٠
مسند أبي يعلى ٦٠٧
مسند الطيالسي ٨٨،٢٨٩
مشكل الآثار/الطحاوي ٢٤٩
مشكل القرآن/ابن قتيبة ٢١
المصاحف لابن أشته ١٦،١٧١
المصاحف/لابن أبي داود ١٧١
مصنف ابن أبي شيبة ١٧١
مصنف عبد الرزاق ١٥٢
المطالب العالية/لابن حجر ١٥٢
معاني القرآن/الفراء ١٠٠

معجم الأدباء/لياقوت الحموي ١٨٢
المعجم الأوسط /الطبراني ١٤٨
المعجم الصغير/الطبراني ١٤٨،١٥٢
المعجم الكبير/الطبراني ٨٩،١٥٢،٤٨٤
المعرفة والتاريخ/يعقوب بن سفيان ٢٨٧
مفتاح السعادة ومصباح السيادة/طاش كبري زاده ١٨٣
المفردات في غريب القرآن/الراغب ١٠٠
المقاصد في علم الكلام/التفتازاني ١٠١
مقدمة ابن خلدون ١٠١
مقدمة في أصول التفسير/ابن تيمية ٨٢،١٠١،٢٤٤
المقطوع والموصول/ابن عامر اليحصبي ١٩،١٧٢
المقنع في رسم المصحف/الداني ١٠١
المقنع (في الفقه الحنبلي)/للمقدسي ٢١٧
المناسبات (البرهان في مناسبات سور القرآن)/
أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي ٨٢،١٠١
مناهل العرفان/الزرقاني ٢٥،٣٠،٥١،٥٣،٥٨،٦٠،
٦٣،٦٤،٨٨،٩٠،٩١،٩٢،٣٢٤، ٣٨٤،٦٢٦
منجد المقرئين ومرشد الطالبين/ابن الجزري ١٠١
منهج الفرقان في علوم القرآن/محمد علي سلامة ٢٥
المنهل الحديث في علوم الحديث/الزرقاني ٥١
الموافقات/الشاطبي ١٠٨،٣٥٠
مواقع العلوم من مواقع النجوم/البلقيني ٢٤،٢٦
الموضح في النحو/للحوفي ١٨٣
الموضوعات/ابن الجوزي ٤٨٧
الموضوعات/الصغاني ٤٨٥
الموطأ/لمالك ٢٣٠
ميزان الاعتدال/للذهبي ١٥٠،٢٨١،٣٦٢،٣٦٣
الناسخ و المنسوخ/ابن الحصار ١٠١

الناسخ و المنسوخ/أبو عبيد	٢١
الناسخ و المنسوخ/حجاج الأعور	٢٠
الناسخ و المنسوخ/الصفار	١٠١
الناسخ و المنسوخ/لعبد الوهاب الخفاف	٢٠
الناسخ و المنسوخ/لقتادة	١٩_١٧١
الناسخ و المنسوخ/للنحاس	٣٤٧،٣٧٨
النبأ العظيم/دراز	٥٦،٥٧،٥٨،٨٦،١٠١،٥٨٧،٥٨٨،٥٩١،٥٩٥
نزول القرآن/للحسن البصري	١٩،١٧١
النشر في القراءات العشر/ابن الجزري	٨٥،١٠١
نصب الراية/للزيلعي	٢٨٧،٢٨٩
النصيحة في صفات الرب/لابن شيخ الحزامين	٢١٧
النكت على كتاب ابن الصلاح/لابن حجر	٣٦٣
نكت الانتصار لنقل القرآن/الباقلاني	١٠٢
النهاية والدراية	١٠٢
نيل الأوطار/الشوكاني	١٠٢،٦١٣
الهيئة والإسلام/الشهرستاني	١٠٢
الوجيز/الغزالي	١٠٢

(٥)

ثبت المصادر و المراجع

- الإبانة عن أصول الديانة ، أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، مطابع جامعة الإمام ، الرياض ، (١٤٠٠هـ) .
- أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي وكتابه التعديل والتجريح لمن خرج له البخاري في الجامع الصحيح ، أبو لبابة حسين ، الطبعة الأولى ، دار اللواء ، الرياض ، (١٤٠٦هـ).
- الإتقان في علم القرآن ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، المكتبة العصرية ، بيروت ، (١٤٠٧) هـ.
- إجابة السائل شرح بغية الآمل ، محمد بن إسماعيل الصنعاني ، تحقيق : حسين بن أحمد السياغي ، حسن بن محمد الأهدل ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، مكتبة الجيل الجديد ، صنعاء . الطبعة الأولى (١٤٠٦) هـ.
- اجتماع الجيوش الإسلامية ، ابن القيم الجوزية ، تحقيق : عواد عبد الله المعتق ، الطبعة الأولى ، مطابع الفرزدق ، الرياض (١٤٠٨ هـ.
- الأجوبة الفاخرة ، شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي القرافي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٦) هـ.
- أحاديث القصاص ، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : محمد لطفي الصباغ ، المكتب الإسلامي ، دمشق ، بيروت ، الطبعة الثانية ، (١٤٠٥) هـ.
- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ، الأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي ، تقديم وضبط :كمال يوسف الحوت ، توزيع : دار الباز ، مكة المكرمة ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٧) هـ.
- الإحكام في أصول الأحكام ، سيف الدين علي بن أبي علي الآمدي (لا يوجد دار نشر ولا تاريخ).
- الإحكام في أصول الأحكام ، علي بن حزم الأندلسي ، الناشر : زكريا علي يوسف ، مطبعة العاصمة ، القاهرة .
- إحياء علوم الدين ، أبو حامد الغزالي ، دار المعرفة ، بيروت ، (١٤٠٣) هـ.

- أخلاق حملة القرآن أحمد بن الحسين الآجري ، تحقيق : عبد العزيز بن عبد الفتاح القاري ، مكتبة الدار ، المدينة النبوية ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٨) .

- الأدلة والشواهد على وجوب الأخذ بخبر الواحد في الأحكام والعقائد ، سليم الهلالي ، الطبعة الأولى ، شركة المطابع النموذجية المساهمة ، الأردن (١٤٠٧هـ).

- الأذكار المنتخبة من كلام سيد الأبرار ، محيي الدين النووي ، المكتبة العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٣٩٩هـ) .

- الأربعين في دلائل التوحيد ، لأبي إسماعيل الهروي ، ومعه : رسالة في الذب عن أبي الحسن الأشعري ، عبد الملك بن عيسى بن درباس ، حققهما : علي بن ناصر الفقيهي ، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ) .

- كتاب الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد ، أبو المعالي عبد الملك الجويني ، تحقيق : أسعد تميم ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٥) هـ.

- أسباب النزول ، علي بن أحمد الواحدي ، الناشر : مكتبة الجمهورية العربية ، مصر .

- الاستقامة ، أبو العباس ، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، مطابع جامعة الإمام ،الرياض ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٣) هـ.

- الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، يوسف بن عبد الله بن عبد البر ، (في هامش الإصابة) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، مصورة عن : الطبعة الأولى (١٣٢٨) هـ.

- الأسماء والصفات ، أحمد بن الحسين البيهقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

- الإسماعيلية ، إحسان إلهي ظهير ، الناشر إدارة ترجمان السنة ، باكستان ، طبع : دار عالم الكتب ، الرياض ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٦هـ) .

- أربح البضاعه في معتقد أهل السنة والجماعة ، جمع : علي بن سليمان آل

تنقل إلى الصفحة التالية مع الملاحظة X

النووي ، تحقيق : عبد الباري السلفي ، مكتبة الإيمان ، المدينة النبوية ، الطبعة الأولى ، طبع : دار البشائر الإسلامية ، بيروت (١٤٠٨هـ) .

- إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول ، محمد بن علي الشوكاني ، توزيع : دار الباز ، مكة المكرمة،طبع : دار المعرفة ، بيروت ، (١٣٩٩هـ) .

- الإرشاد في معرفة علماء الحديث ، الخليل بن عبد الله بن أحمد الخليلي القزويني ، تحقيق : محمد سعيد بن عمر إدريس ، مكتبة الرشد ، الرياض ، الطبعة الأولى (١٤٠٩) هـ.

- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل ، ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى (١٣٩٩هـ) .

- أسباب النزول ، جلال الدين السيوطي ، دار قتيبة ، دمشق ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٧هـ) .

- الإسلام في مواجهة التحديات المعاصرة ، أبو الأعلى المودودي ، دار القلم ، الكويت ، الطبعة الثالثة ، (١٣٩٨هـ) .

- الإصابة في تمييز الصحابة ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار إحياء التراث العربي .

- أصل الاعتقاد ، عمر بن سليمان الأشقر ، الدار السلفية ، الكويت ، الطبعة الأولى ، (١٣٩٩هـ) .

- أصول الدين ، للأستاذ أبي منصور عبد القاهر بن طاهر التميمي البغدادي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، توزيع دار الباز،مكة المكرمة ، الطبعة الثانية ، (١٤٠٠هـ) .

- أصول السنة ، لأبي عبد الله محمد ، أبي زمنين ، (مخطوط) مصور في الجامعة الاسلامية برقم (٩٣٨ ف) .

- أصول علم المواريث ، أحمد عبد الجواد ، مطبعة : محمد هاشم الكتبي ، دمشق ، (١٣٩٥) .

- أصول الفقه ، محمد أبو زهرة ، دار الفكر العربي ، القاهرة .

- أضواء على العقيدة الدرزية ، أحمد الفوزان ، الطبعة الثانية ، (١٤٠٣هـ) .

- أطماع الشيعة في الخليج والجزيرة العربية ، عبد الله بن محمد الغريب ،

الناشر : دار الإسلام ، بيروت .

ـ الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار ، أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان بن حازم الهمداني ، تحقيق : راتب حكمي ، الطبعة الأولى ، مطبعة الأندلس، حمص (١٣٨٦هـ).

ـ الاعتقاد ، على مذهب السلف ، أهل السنة والجماعة ، أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي ، صححه : أحمد محمد مرسي ، الناشر : حديث أكادمي ، باكستان، المطبعة العربية باكستان .

ـ الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، (١٩٨٠م) .

ـ إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين ، محمد بن طولون الدمشقي ، تحقيق : محمود الارناؤوط ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ، (١٤٠٣هـ) .

ـ الإفصاح في فقه اللغة ، حسين يوسف موسى ، عبد الفتاح الصعيدي ، الطبعة الثانية ، دار الفكر العربي ، مطبعة المدني .

ـ الاقتصاد في الاعتقاد ، أبو حامد الغزالي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٣هـ) .

ـ أمل والمخيمات ، عبد الله محمد الغريب ، الطبعة الأولى (١٤٠٦هـ) .

ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة ، جمال الدين القفطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الفكر العربي ، القاهرة . مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، الطبعة الأولى : (١٤٠٦)هـ .

ـ الأنساب ، عبد الكريم بن محمد السمعاني ، تقديم وتعليق عبد الله عمر البارودي ، دار الجنان ، بيروت ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٨) هـ.

ـ الأنساب المتفقة ، أبو الفضل ، محمد بن طاهر ، المعروف بابن القيسراني، مكتبة المثنى ، بغداد .

ـ الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به ، لأبي بكر بن الطيب الباقلاني ، تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٧) هـ

(١٤٠١هـ) .

- الإيمان ، أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة ، تحقيق : الألباني ، توزيع ونشر : دار الأرقم ، الكويت ، طبع :دار مصر للطباعة .

- الإيمان ، أبو عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق : محمد ناصر الدين الألباني ، مطبعة المدني ، مصر .

- الإيمان ، محمد بن إسحاق بن يحيى بن منده ، تحقيق : علي بن ناصر الفقيهي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية (١٤٠٦هـ) .

- الإيمان الأوسط ، أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، توزيع مكتبة الفرقان ، ومكتبة الإيمان .

- الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث ، أحمد شاكر ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٣هـ) .

- البحر الزخار (المعروف بمسند البزار) ، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق العتكي البزار ، تحقيق : محفوظ الرحمن زين الله ، مؤسسة علوم القرآن ، بيروت ، مكتبة العلوم والحكم ، المدينة النبوية ، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ) .

- بحوث في تاريخ السنة المشرفة ، أكرم ضياء العمري ، الطبعة الرابعة . (١٤٠٥هـ) .

- بداية الهداية ، محمد بن محمد الغزالي ، مكتبة الغزالي ، دمشق .

- البداية والنهاية ، الحافظ ابن كثير ، مكتبة المعارف ، بيروت ، الطبعة الثانية (١٩٧٧م) .

- البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع ، محمد بن علي الشوكاني ، دار المعرفة ، بيروت ، (وهي مصورة من الطبعة الأولى بمطبعة السعادة بمصر) ، عام (١٣٤٨هـ) .

- البرهان في أصول الفقه ، لأبي المعالي الجويني ، تحقيق : عبد العظيم الديب ، دار الأنصار ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، (١٤٠٠هـ) .

- البرهان في علوم القرآن ، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم ، طبعة دار المعرفة ، بيروت .

- البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ، أبو الفضل عباس بن منصور السكسكي الحنبلي ، تحقيق ، بسام علي العموش ، مكتبة المنار ، الأردن ، الطبعة

الأولى (١٤٠٨هـ) .

- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي ، تحقيق : محمد علي النجار ، المكتبة علمية ، بيروت .

- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار الفكر ، الطبعة الثانية ، (١٣٩٩هـ) .

- البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز ابادي ، تحقيق : محمد المصري ، الطبعة الأولى،نشر : جمعية إحياء التراث الإسلامي (مركز المخطوطات والتراث) ، الكويت ،(١٤٠٧هـ).

- بيان المختصر (شرح مختصر ابن الحاجب) ، محمود بن عبد الرحمن الأصفهاني ، تحقيق : محمد مظهر بقا ، مطبوعات مركز إحياء التراث الإسلامي ، جامعة أم القرى ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٦هـ) .

- بيان مذهب الباطنية وبطلانه ، محمد بن الحسن الديلمي ، صححه : (شروطمان) ، الطبعة الثانية،ادارة ترجمان السنة ، باكستان ، (١٤٠٢هـ) .

- تاج العروس ، السيد محمد مرتضى الزبيدي (لا يوجد ذكر للطبعة ولا لتاريخها) .

- تاريخ ابن خلدون ، عبد الرحمن ابن خلدون . دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، لبنان ، (١٩٥٧م) .

- تاريخ بغداد ، أحمد بن علي الخطيب البغدادي ، نشر : دار الكتاب العربي ، بيروت .

- تاريخ التراث العربي ، فؤاد سزكين ، ترجمة : محمود فهمي حجازي ، طبع :جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، (١٤٠٣هـ).

- تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار ، عبد الرحمن الجبرتي ، دار الجيل ، بيروت .

- التاريخ الكبير ، محمد بن إسماعيل البخاري ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

- تاريخ الأمم والملوك ، محمد بن جرير الطبري ، دار الفكر ، بيروت، (١٣٩٩هـ) .

الفكر ، دمشق ، تحقيق : محمد حسن هيتو ، (١٤٠٠هـ) .

ـ التبصرة والتذكرة ، زين الدين العراقي ، تحقيق : محمد بن الحسين العراقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، توزيع : دار الباز ، مكة المكرمة .

ـ التبيين لأسماء المدلسين ، إبراهيم بن محمد بن خليل (سبط ابن العجمي) تحقيق : يحيى شفيق ، توزيع دار الباز ، مكة المكرمة ، طبع : دار الكتب العلمية، ببيروت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٦هـ) .

ـ التحرير في أصول الفقه ، كمال الدين محمد بن عبد الواحد الشهير "بابن الهمام"مطبعة البابي والحلبي ، (١٣٥١هـ) .

ـ تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف ، جمال الدين يوسف بن الزكي المزي ، تحقيق : عبد الصمد شرف الدين ، اشراف : زهير الشاويش ، الدار القيمة ، الهند ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، (١٤٠٣هـ) .

ـ تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق: عبد الوهاب عبد اللطيف ، المكتبة السلفية،المدينة النبوية ، مطبعة السعادة بمصر .

ـ التذكار في أفضل الأذكار ، في فضل القرآن وقارئه ومستمعه والعامل به . وحرمة القرآن وكيفية تلاوته ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي ، الناشر :دار الباز ، مكة المكرمة ، طبع : المكتبة العلمية ، بيروت ، تحقيق : جماعة من العلماء .

ـ تذكرة الحفاظ ، محمد بن أحمد الذهبي ، ملتزم الطبع والنشر : دار الفكر العربي ، بيروت .

ـ تذكرة السامع والمتكلم في أدب العالم والمتعلم ، بدر الدين ابن جماعة ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

ـ التراتيب الإدارية ، عبد الحي الكتاني ، دار الكتاب العربي ، بيروت .

ـ ترييب القاموس المحيط على طريقة المصباح المنير وأساس البلاغة ، الطاهر أحمد الزاوي ، الطبعة الثانية ، عيس البابي الحلبي وشركاه .

ـ تسهيل الفرائض ، محمد بن صالح العثيمين ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، مكتبة الرشد ، الرياض ،الطبعة الثانية ، (١٤٠٣هـ) .

ـ التطور والثبات في حياة البشر ، محمد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، (١٤٠٠هـ) .

- التعريفات ، علي بن محمد الجرجاني ، تحقيق : عبد الرحمن عميرة ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٧هـ) .

- تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس ، أحمد بن علي بن حجر ، تحقيق : عبد الغفار سليمان ، محمد أحمد عبد العزيز ، توزيع : دار الباز ، مكة المكرمة ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٥هـ) .

- تعريف القدماء بأبي العلاء ، إصدار :"الثقافة والإرشاد القومي" ، إشراف : الدكتور طه حسين ، تحقيق : مصطفى السقا ، وزملائه :عبد الرحيم محمود عبد السلام هارون ، ابراهيم الأبياري ، حامد عبد المجيد الناشر : الدار القومية للطباعة والنشر ، القاهرة ، (١٣٨٤هـ) .

- تعظيم قدر الصلاة ، محمد بن نصر المروزي ، تحقيق : عبد الرحمن الفيروائي ، مكتبة الدار ، المدينة النبوية ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٦هـ) .

- التعليق المغني على سنن الدار قطني ، محمد شمس الحق العظيم أبادي ، حديث أكادمي ، باكستان ، مطبعة فالكن ، لاهور .

- تفسير أبي السعود ، محمد بن محمد العمادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، نشر : دار المصحف . القاهرة .

- تفسير البغوي ، الحسين بن مسعود الفراء البغوي ، اعداد وتحقيق: خالد العك - مروان سوار،دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٦هـ).

- تفسير الطبري "جامع البيان عن تأويل القرآن" ، محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : محمود شاكر (١).

- تفسير القرآن العظيم ، عماد الدين بن كثير ، دار المعرفة ، بيروت ، (١٤٠٢هـ) .

- التفسير القيم ، جمع : محمد أويس الندوي ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (١٣٩٨هـ) .

- التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة .

---

١ - ملاحظة : اعتمدت الطبعة التي حققها محمود شاكر رحمه الله تعالى ، ولما كانت تنتهي عند آية (٢٧)

- تفسير النسائي ، أحمد بن شعيب بن علي النسائي ، تحقيق : صبري عبد الخالق - سيد الجليمي ، مكتبة السنة ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، (١٤١٠هـ) .

- تقريب التهذيب ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، تحقيق : عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، (١٣٩٥هـ) .

- التقريب لفقه ابن قيم الجوزيه ، بكر بن عبد الله أبو زيد ، مطابع دار الهلال للأوفست ، الرياض .

- التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح ، زين الدين عبد الرحيم العراقي ، تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان ، دار الفكر ، بيروت ، الناشر : المكتبة السلفية ، المدينة النبوية .

- تلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير ، أحمد بن علي بن حجر ، تحقيق : السيد عبد الله هاشم اليماني ، (١٣٨٤هـ) .

- تمام المنة في التعليق على فقه السنة ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتبة الإسلامية ، عمان - دار الراية ، الرياض ، الطبعة الثانية ، (١٤٠٨هـ) هـ.

- تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ، للقاضي أبي بكر محمد بن الطيب الباقلاني ، تحقيق : عماد الدين أحمد حيدر ، مؤسسة الكتب الثقافية ، بيروت ، الطبعة الأولى (١٤٠٧) .

- التمهيد لمافي الموطأ من المعاني والأسانيد ، أبو عمر يوسف بن عبد الله ابن محمد بن عبد البر ، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب .

- تنبيهات هامة على ما كتبه محمد علي الصابوني في صفات الله عز وجل ، عبد العزيز بن باز ، الدار السلفية ، الكويت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٤هـ) .

- تنقيح التحقيق في أحاديث التعليق ، شمس الدين محمد بن أحمد بن عبد الهادي ، تحقيق : عامر حسن صبري ، نشر : المكتبة الحديثة ، الإمارات العربية المتحدة ، الطبعة الأولى (١٤٠٩هـ) .

- التنكيل بما في تأنيب الكوثري من الأباطيل ، عبد الرحمن بن يحيى المعلمي ،تحقيق : الألباني ، الناشر : حديث أكادمي ، فيصل أباد ، باكستان الطبعة الأولى ، (١٤٠١هـ) .

- تهذيب تاريخ دمشق الكبير ، لابن عساكر ، هذبه : عبد القادر بدران ، دار المسيرة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، (١٣٩٩ هـ) .

- تهذيب التهذيب ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار الفكر ، بيروت ، الأولى (١٤٠٤هـ) .

- تهذيب سيرة ابن هشام ، عبد السلام هارون ، دار الفكر ، دمشق .

- تهذيب الكمال في أسماء الرجال ، جمال الدين المزي ، قدم له : عبد العزيز رباح - أحمد يوسف دقاق ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، (مصور عن النسخه الخطية بدار الكتب المصرية) الطبعة الأولى ، (١٤٠٢هـ) .

- التوحيد محور الحياة ، عمر سليمان الأشقر ، مكتبة الفلاح ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٥هـ) .

- كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل ، أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة ، دراسة وتحقيق : عبد العزيز بن ابراهيم الشهوان ، دار الرشد ، الرياض . الطبعة الأولى ، (١٤٠٨هـ) .

- توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار ، محمد بن إسماعيل الصنعاني ، دار إحياء التراث العربي . بيروت ، تحقيق : محمد محيي الدين عبد الحميد ، توزيع : مكتبة الخانجي ، الطبعة الأولى (١٣٦٦هـ) .

- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة الإمام ابن القيم الموسومة بالكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية ، أحمد بن إبراهيم بن عيسى ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثانية ، (١٣٩٢هـ) .

- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، عبد الرحمن بن ناصر السعدي ، المطبعة السلفية ، مصر ، (١٣٧٥هـ) .

- الثقات ، محمد بن حبان البستي ، مؤسسة الكتب الثقافية ، مصورة عن : "مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية "بحيدر أباد الدكن" ، الهند ، الطبعة الأولى ، (١٣٩٣) هـ .

- جامع بيان العلم وفضله ، أبو عمر يوسف بن عبد البر ، الناشر : دار الكتب العلمية ، طبع : إدارة الطباعة المنيرية ، (١٣٩٨هـ) .

- جامع الأصول في أحاديث الرسول ، المبارك بن محمد بن الأثير الجزري ، دار الفكر ، بيروت ، تحقيق : عبد القادر الارناؤوط ، الطبعة الثانية ، (١٤٠٣هـ) .

- جامع التحصيل في أحكام المراسيل ، لصلاح الدين أبي سعيد خليل بن

وزارة الاوقاف العراقية ، الطبعة الأولى ، (١٣٩٨هـ) .

- الجامع الصحيح [سنن الترمذي] ، محمد بن عيسى الترمذي ، تحقيق : أحمد شاكر ، مطبعة الحلبي ، الطبعة الثانية ، (١٣٩٧هـ) .

- جامع العلوم والحكم ، زين الدين أبو الفرج بن رجب الحنبلي ، دار الدعوة .

- الجامع لأحكام القرآن ، محمد بن أحمد القرطبي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، (١٩٦٧م).

- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع ، الخطيب البغدادي ، تحقيق : محمود الطحان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، (١٤٠٣هـ) .

- الجامع لشعب الإيمان ، أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق: عبد العلي عبد الحميد حامد ، الدار السلفية ، الهند ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٨هـ) .

- الجرح والتعديل ، عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، مصور عن : الطبعة الأولى : (١٢٧١هـ) ، والتي صدرت عن : "مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر أبار الركن ، الهند" .

- جلاء العينين ، في محاكمة الأحمدين ، السيد نعمان خير الدين الشهير بابن الآلوسي البغدادي ، مطبعة المدني ، مصر ، (١٤٠١هـ) .

- جمال القراء وكمال الإقراء ، علم الدين السخاوي ، تحقيق : علي حسين البواب ، مكتبة التراث ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، مطبعة المدني ، مصر ، (١٤٠٨هـ).

- حاشية الشيخ محمد بن عمر البقري على شرح متن الرحبيه للمارديني . مطبعة البابي الحلبي ، مصر ، (١٣٤٢هـ) .

ـ حاشية العطار على جمع الجوامع . حسن العطار ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

ـ حاشية على شرح السلم للمولوي ، لأبي العرفان محمد بن علي الصبان ، وبهامشة : شرح السلم المنورق ، أحمد المولولي ، الطبعة الثانية ، البابي والحلبي ، مصر ، (١٣٥٧هـ) .

ـ حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة ، جميل عبد الله محمد المصري ، دار أم القرى ، الأردن ، الطبعة الثانية ، (١٤٠٩هـ) .

ـ الحدود في الأصول ، أبو الوليد سليمان بن خلف الباجي ، تحقيق : نزيه حماد ، مؤسسة الزعبي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٣٩٢هـ) .

ـ الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام ، محمد ناصر الدين الألباني (لم يذكر عليه تاريخ طبع ولا مطبعة).

ـ الحركات الباطنية في العالم الإسلامي ، محمد أحمد الخطيب ، مكتبة الأقصى ، عمّان ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى ، طبع : جمعية عمال المطابع التعاونية ، الأردن ، (١٤٠٤هـ).

ـ الحكمة والتعليل في أفعال الله تعالى ، محمد بن ربيع بن هادي المدخلي ، مكتبة لينة ، دمنهور ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٩هـ) .

ـ حلية الأولياء ، أحمد بن عبد الله الأصفهاني (أبو نعيم) ، دار الكتب العلمية،بيروت .

ـ الخصائص الكبرى ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد خليل الهراس ، مطبعة المدني ، مصر ، دار الكتب الحديثة ، مصر .

ـ خلق أفعال العباد ، محمد بن إسماعيل البخاري ، تخريج وتعليق : بدر البدر ، الدار السلفية ، الكويت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٥هـ) .

ـ درء تعارض العقل والنقل ، لأبي العباس ، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٣هـ) .

ـ دراسة حديث نضر الله امرءاً سمع مقالتي ، عبد المحسن بن حمد العباد ، الأولى ، مطابع الرشيد المدينة النبوية ، (١٤٠١هـ) .

السيد عبد الله هاشم اليماني ، دار المعرفة ، بيروت .

- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، دار الجيل ، بيروت .

- الدرر في اختصار المغازي والسير ، يوسف بن عبد البر النمري ، تحقيق : شوقي ضيف ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثانية .

- الدر المنثور في التفسير بالمأثور . جلال الدين السيوطي ، دار المعرفة ، بيروت .

- دلائل النبوة . أحمد بن الحسين البيهقي ، تحقيق : عبد المعطي قلعجي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الناشر : عباس أحمد الباز ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى : (١٤٠٥هـ) .

- الدين الخالص . السيد محمد صديق حسن خان ، تحقيق : محمد زهري النجار ، مكتبة الفرقان ، مصر .

- الرحبية في علم الفرائض . شرح سبط المارديني ، تعليق : مصطفى ديب البغا ، دار القلم ، دمشق ، الطبعة الثالثة (١٤٠٦هـ) .

- رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ، عثمان بن سعيد الدارمي ، تحقيق : محمد بن حامد الفقي ، مطبعة الأشرف ، لاهور ، (١٤٠٢هـ) .

- الرد الشافي الوافر على من نفى أمية سيد الأوائل والأواخر ، أحمد بن حجر آل بن طامي ، الطبعة الثانية ، مطابع قطر الوطنية ، (١٣٩٩هـ).

- رد شبهات الإلحاد عن أحاديث الآحاد . عبد العزيز بن راشد ، المكتب الإسلامي ،بيروت ، الطبعة الثانية ، (١٤٠١هـ) .

- الرد على الجهمية . أبو سعيد ، عثمان بن سعيد الدارمي ، تحقيق : زهير الشاويش ، تخريج : الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الرابعة (١٤٠٢) .

- الرسالة ، محمد بن إدريس الشافعي ، تحقيق وشرح : أحمد شاكر (لا يوجد ذكر للمطبعة ولا لتاريخ الطبع).

- الرسالة التدمرية . تقي الدين أحمد بن تيمية ، مطبوعات جامعة الإمام ، الرياض ، الطبعة الثانية : (١٤٠٠هـ) .

- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني . شهاب الدين السيد محمود الآلوسي البغدادي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

- الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام . عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي ، توزيع دار الباز ، مكة المكرمة ، تعليق : طه عبد الرؤف سعد ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، توزيع : دار الباز ، مكة المكرمة ، (١٣٩٨هـ) .

- روضة الناظر وجنة المناظر ، موفق الدين بن قدامة المقدسي،وشرحها : "نزهة الخاطر العاطر" ، عبدالقادر بن أحمد بن مصطفى بدران . مكتبة المعارف . الرياض ، الطبعة الثانية ، (١٤٠٤هـ) .

- زاد المسير في علم التفسير ، جمال الدين عبد الرحمن بن الجوزي ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الثالثة ، (١٤٠٣هـ) .

- زاد المعاد في هدي خير العباد . لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الدمشقي ، تحقيق : شعيب الأرنؤوط ، عبد القادر الأرنؤوط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، مكتبة المنار الإسلامية ، الكويت ، الطبعة الثانية ، (١٤٠١هـ) .

- سفر السعادة ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزابادي الشيرازي ، طبع : إدارة الطباعة المنيرية ، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الثانية ، (١٣٩٨هـ) .

- سلسلة الأحاديث الصحيحة . ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

- سمط النجوم العوالي في أنباء الاوائل والتوالي . عبد الملك بن حسين بن عبد الملك العصامي المكي ، المطبعة السلفية ، مصر .

- سنن ابن ماجه ، أبو عبد الله محمد يزيد القزويني ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، المكتبة العلمية ، بيروت .

- سنن الدارمي . عُبد الله بن عبد الرحمن الدارمي ، تحقيق : السيد عبد الله هاشم ، الناشر : حديث أكادمي ، باكستان ، (١٤٠٤هـ) .

- السنن الكبرى . أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، توزيع : مكتبة المعارف ، طبع : دار المعرفة ، لبنان .

- سنن النسائي (بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية السندي) .

ترقيم وفهرسة : عبد الفتاح أبو غدة ، الطبعة الأولى ، طبع دار البشائر الإسلامية ،

الراية ، الرياض ، الطبعة الأولى ، (١٤١٠هـ) .

- السنة . عبد الله بن أحمد بن حنبل . تحقيق : محمد بن سعيد القحطاني ، دار ابن القيم ، الدمام ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٦هـ) .

- السنة . عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني ، تحقيق : الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٠هـ) .

- السنة قبل التدوين ، الدكتور : محمد عجاج الخطيب . دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، (١٤٠٠هـ) .

- سير أعلام النبلاء ، شمس الدين الذهبي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٤هـ) .

- شبهات حول الإسلام ، محمد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، الطبعة الرابعة عشرة ، (١٤٠١هـ) .

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، عبد الحي بن العماد الحنبلي ، نشر : دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم ، أبو القاسم ، هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري اللالكائي ، تحقيق : أحمد سعد حمدان ، الناشر : دار طيبة ، الرياض .

- شرح الألفية (ألفية العراقي في مصطلح الحديث) ، زكريا الأنصاري ، تحقيق : محمد بن الحسين العراقي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، توزيع : دار الباز ، مكة المكرمة .

- شرح تنقيح الفصول في اختصار المحصول في الأصول ، أحمد بن إدريس القرافي ، تحقيق : طه عبد الرؤوف ، دار الفكر ، الطبعة الأولى ، مكتبة الكليات الأزهرية ، القاهرة ، دار الفكر ، بيروت ، (١٣٩٣هـ).

- شرح جوهرة التوحيد ، ابراهيم البيجوري ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٣هـ) .

- شرح السنة ،للبغوي ، تحقيق : زهير الشاويش ، شعيب الأرناؤوط ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٣٩٠هـ) .

- شرح الطحاوية في العقيدة السلفية ، صدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي ، تحقيق : أحمد شاكر ، الطبعة الثانية ، مطابع جامعة الإمام

محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، (١٤٠٠هـ) .

- شرح العقائد النسفية ، سعد الدين التفتازاني ، المكتبة العزيزية ، الناشر : المكتبة الإمدادية بديوبند .

- شرح العقيدة الطحاوية ، عبد الغني الغنيمي الميداني الحنفي ، تحقيق : محمد مطيع الحافظ ، محمد رياض المالح ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، (١٤٠٢هـ) .

- شرح العقيدة الواسطية ، محمد خليل هراس ، راجعه : عبد الرزاق عفيفي ، تصحيح : إسماعيل الأنصاري ، الطبعة الثانية ، طبع : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والافتاء ، الرياض ، (١٤٠٢هـ) .

- شرح العقيدة الواسطية ، صالح بن فوزان الفوزان ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الرابعة ، (١٤٠٧هـ) .

- شرح كتاب الفقه الأكبر ، ملا علي القاري الحنفي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٤هـ)

- شرح الكوكب المنير ، محمد بن أحمد بن عبد العزيز الفتوحي ، تحقيق: محمد الزحيلي ، نزيه حماد ، دار الفكر ، دمشق ، الطبعة الأولى ، نشر : جامعة أم القرى ، مركز البحث العلمي ، مكة المكرمة ، (١٤٠٠هـ) .

- شرح مراقي السعود . محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي ، (مخطوط) .

- شرح معاني الآثار ، أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي ، تحقيق : محمد سيد جاد الحق ، الناشر : مطبعة الأنوار المحمدية ، القاهرة ، (١٣٨٦هـ) .

- الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ، عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري ، تحقيق : رضا بن نعسان معطي ، المكتبة الفيصلية ، مكة المكرمة ، طبع : دار التوفيق النموذجية ، مصر .

- الشفا بتعريف حقوق المصطفى ، عياض بن موسى اليحصبي ، تحقيق : محمد أمين وزملائه : أسامة الرفاعي ، جمال السيروان ، نور الدين قرة علي ، عبد الفتاح السيد ، مكتبة الفارابي ، دمشق ، مؤسسة علوم القرآن ، دمشق .

- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل ،

ـ الصحاح تاج اللغة وصحاح العربيه ، إسماعيل بن حماد الجوهري ، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، (١٤٠٤هـ) .

ـ صحيح ابن خزيمة . محمد بن إسحاق بن خزيمة ، تحقيق : محمد مصطفى الأعظمي ، المكتب الإسلامي ، بيروت .

ـ صحيح البخاري ، محمد بن إسماعيل البخاري ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع ، استانبول .

ـ صحيح الجامع الصغير وزيادته . ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، (١٤٠٢هـ) .

ـ صحيح سنن ابن ماجه . ناصر الدين الألباني ، توزيع : المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٧هـ) .

ـ صحيح سنن الترمذي (باختصار السند) ، تصحيح الألباني ، الناشر : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، الطبعة الأولى ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، (١٤٠٨هـ) .

ـ صحيح سنن النسائي ، ناصر الدين الألباني ، تعليق : زهير الشاويش ، الناشر : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٩هـ) .

ـ صحيح مسلم . مسلم بن الحجاج القشيري ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر ، استانبول .

ـ صحيح مسلم بشرح النووي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

ـ الصراع بين الإسلام والوثنية ، عبد الله بن علي القصيمي ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، (١٤٠٢هـ) .

ـ صريح السنة ، أبو جعفر ، محمد بن جرير الطبري ، تحقيق : بدر بن يوسف المعتوق ، دار الخلفاء للكتاب الإسلامي ، الكويت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٥هـ) .

الصفات الإلهية . محمد أمان الجامي ، الطبعة الأولى ، مطبوعات المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية ، (١٤٠٨هـ) .

ـ الصفدية ، ابن تيمية . تحقيق : محمد رشاد سالم ، الطبعة الثانية ، (١٤٠٦هـ) .

ـ صفة الفتوى والمفتي والمستفتي ، أحمد بن حمدان الحراني ، تحقيق :

الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الرابعة (١٤٠٤هـ) .

- الصواعق المرسلة الشهابية ، سليمان بن سحمان الحنبلي ، تحقيق : عبد السلام بن برجس العبد الكريم ، دار العاصمة ، الرياض ، النشرة الأولى (١٤٠٩هـ) .

- صون المنطق والكلام عن فن المنطق والكلام ، جلال الدين السيوطي ، تعليق : علي سامي النشار ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

- الضعفاء الكبير . محمد بن عمرو العقيلي . تحقيق : عبد المعطي أمين قلعجي . توزيع : دار الباز ، مكة المكرمة ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت.

- ضعيف سنن ابن ماجه . محمد ناصر الدين الألباني ، إشراف : زهير الشاويش ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٨هـ) .

- طبقات الحنابلة ، للقاضي أبي الحسن محمد بن أبي يعلى ، توزيع دار الباز ، مكة المكرمة ، الناشر : دار المعرفة ، بيروت .

- طبقات فحول الشعراء ، محمد بن سلام الجمحي ، شرح محمود شاكر ، مطبعة المدني ، القاهرة .

- الطبقات الكبرى للشعراني ، عبد الوهاب الشعراني ، مكتبة محمد علي صبيح وأولاده ، مصر .

- الطبقات الكبرى ، محمد بن سعد ، دار التحرير ، القاهرة ، (١٣٨٨هـ) .

- طبقات المفسرين ، جلال الدين السيوطي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٣هـ) .

- طبقات المفسرين . شمس الدين محمد بن علي بن أحمد الداوودي ، نشر : دار الباز ، مكة المكرمة ، طبع : دار الكتب العلمية ، بيروت .

- طريق الهجرتين وباب السعادتين ، شمس الدين محمد بن أبي بكر بن القيم ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٢هـ) .

- الطريقة المثلى للمحافظة على كرامة الإسلام ، ورد عادية الطاعنين عليه . محمد أحمد الغمراوي ، المطبعة السلفية ، القاهرة ، (١٣٥٧هـ) .

- العبر في خبر من غبر ، شمس الدين الذهبي ، تحقيق : محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٥هـ) .

الإسلامي ، القاهرة (١٤٠٦هـ) .

ـ كتاب العرش وما ورد فيه ، محمد بن عثمان ابن أبي شيبة ، تحيق : محمد بن حمد الحمود ، مكتبة المعلا ـ الكويت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٦هـ) .

ـ العظمة ، عبد الله بن محمد بن جعفر الأصبهاني (أبو الشيخ) ، تحقيق : رضاء الله بن محمد إدريس المبارك كفوري ، دار العاصمة ، الرياض ، النشرة الأولى ، (١٤٠٨هـ) .

ـ العقيدة أولا لو كانوا يعلمون ، عبد العزيز القاريء ، الطبعة الأولى ، الناشر : مكتبة الدار ، المدينة النبوية (١٤٠٤هـ) .

ـ علاقة الإثبات والتفويض بصفات رب العالمين . رضى نعسان معطي ، الطبعة الأولى ، مطابع التراث ، مكة المكرمة ، (١٤٠٢هـ) .

ـ علل الحديث . عبد الرحمن بن أبي حاتم ، دار المعرفة ، بيروت ، (١٤٠٥هـ) .

ـ العلل الواردة في الأحاديث النبوية . علي بن عمر الدار قطني ، تحقيق : محفوظ الرحمن زين الله ، دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٥هـ) .

ـ العلل ومعرفة الرجال . أحمد بن حنبل ، تحقيق : وصي الله عباس ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، دار الخاني ، الرياض ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٨هـ) .

ـ العلم والعلماء . أبو بكر جابر الجزائري ، دار الكتب السلفية ، القاهرة .

ـ عمدة القاريء شرح صحيح البخاري ، بدر الدين العيني ، الطبعة الأولى ، مطبعة الحلبي ، (١٣٩٢هـ) .

ـ عون المعبود شرح سنن أبي داود . أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي ، تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان ، طبعة : دار الفكر ، الناشر : المكتبة السلفية ، المدينة النبوية ، الطبعة الثالثة ، (١٣٩٩هـ) .

ـ العين والأثر في عقائد أهل الأثر . عبد الباقي المواهبي الحنبلي ، تحقيق : عصام رواس قلعجي ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٧هـ) .

ـ غاية النهاية في طبقات القراء . لابن الجزري ، نشرة . ج ـ برجستراسر ، دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ، (١٤٠٠هـ) .

ـ الفتاوى الكبرى ، تقي الدين أحمد بن تيمية ، الناشر : دار المعرفة ،

بيروت ، (١٣٩٨هـ) .

- فتح الباري شرح صحيح البخاري . أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ، ترقيم : محمد فؤاد عبد الباقي ، تصحيح : محب الدين الخطيب ، توزيع : دار الباز للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، طبع : دار المعرفة ، بيروت .

- الفتح الرباني ترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني ، أحمد عبد الرحمن البنا ، دار الشهاب ، القاهرة .

- فتح القدير الجامع بيبن فني الرواية والدراية من علم التفسير . محمد بن علي الشوكاني ، دار الفكر ، بيروت .

- الفرائض ، عبد الصمد بن محمد الكاتب ، مطابع الجامعة الإسلامية ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٨هـ) .

- الفرق بين الفرق ، عبد القاهر بن طاهر البغدادي ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت .

- الفروق اللغوية ، أبو هلال العسكري ، تحقيق : حسام الدين القدسي ، توزيع دار الباز ، مكة المكرمة ، طبع : دار الكتب العلمية ، بيروت ، (١٤٠١هـ) .

- الفصول في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم ، للحافظ إسماعيل بن كثير ، توزيع : دار الباز للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة ، طبع : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٥هـ) .

- فضائح الباطنية ، أبو حامد الغزالي ، تحقيق : عبد الرحمن بدوي ، مؤسسة دار الكتب الثقافية ، الكويت .

- فضائل القرآن ، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي ، تحقيق : محمد تجاني جوهري ، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الملك عبد العزيز ، كلية الشريعة ، مكة المكرمة ، عام (١٣٩٣هـ) ، إشراف : د - محمد مصطفى الأعظمي .

- فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم . إسماعيل بن إسحاق القاضي ، تحقيق : الألباني ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، (١٣٩٧هـ) .

- فقه السيرة . محمد الغزالي ، بتخريجات الشيخ ناصر الألباني ، الطبعة السابعة ، (١٩٧٦م) . دار الكتب الحديثة ، مصر .

الطبعة الرابعة ، الناشر : مكتبة الرياض الحديثة ، الرياض ، (١٣٩٢هـ).

ـ القرامطه ، عبد الرحمن بن الجوزي ، تحقيق : محمد الصباغ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة السادسة ، (١٤٠٤هـ) .

ـ قصيدة الحافظ أبي محمود المقدسي في المدلسين ، شهاب الدين أحمد بن محمد المقدسي ، تقديم وشرح : عاصم بن عبد الله القريوتي ، الطبعة الأولى ، مركز الصرف الألكتروني ، جدة ، (١٤٠٧هـ) . .

ـ القصيدة النونية . ابن قيم الجوزية ، دار المعرفة ، بيروت .

ـ قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث . محمد جمال الدين القاسمي ، دار إحياء السنة النبوية ، طبع : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٣٩٩هـ) .

ـ قواعد العقائد ، أبو حامد الغزالي ، تحقيق : موسى محمد علي ، عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الثانية ، (١٤٠٥هـ) .

ـ القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى ، محمد الصالح العثيمين ، دار ابن القيم ، الدمام ، مكتبة ابن الجوزي ، الدمام ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٦هـ) .

ـ القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ، شمس الدين السخاوي . الطبعة الثانية ، مطبعة الإنصاف ، بيروت ، (١٣٨٣هـ) .

ـ الكافية في الجدل ، إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني ، تحقيق الدكتورة : فوقية حسين محمود ، مطبعة عيسى البابي الحلبي ، مصر ، (١٣٩٩هـ) .

ـ الكامل في التاريخ ، عز الدين بن الأثير ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، (١٤٠٥هـ) .

ـ الكامل في ضعفاء الرجال ، عبد الله بن عدي الجرجاني ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، (١٤٠٥هـ) .

ـ كشاف اصطلاحات الفنون ، محمد علي بن علي التهانوي . دار قهرمان للنشر والتوزيع "استانبول" ، بتصحيح : محمد وجيه ، والمولوي عبد الحق ، وغلام قادر ، باهتمام : اسبرنكر التيرولى ، ووليم ناسوليس الارلندي ، كلكته ، سنة (١٨٦٢م) ، وأعيد طبعه بالأوفست ، باستانبول ، سنة (١٤٠٤هـ) .

ـ كشف الأستار عن زوائد البزار على الكتب السته . نور الدين على بن

أبي بكر الهيثمي ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، (١٤٠٤هـ) .

ـ كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على السنة الناس ، إسماعيل بن محمد العجلوني ، تحقيق : أحمد القلاشى ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، (١٤٠٣هـ) .

ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، حاجي خليفة ، دار الفكر ، بيروت ، (١٤٠٢هـ) .

ـ الكليات "معجم في المصطلحات والفروق اللغوية" ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، تحقيق : عدنان درويش ـ محمد المصري ، نشر : وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق .

ـ الكنى والأسماء . محمد بن أحمد الدولابي ، نشر دار الباز ، مكة المكرمة ، الطبعة الثانية ، طبع : دار الكتب العلمية ، بيروت ، (١٤٠٣هـ) .

ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال ، علاء الدين على المتقي بن حسام الدين الهندي البرهان فوري ، ضبطه : بكري حياني ، صححه : صفوة السقا ،مؤسسة الرسالة ، بيروت ،الطبعة الخامسة ، (١٤٠٥هـ) .

ـ الكواكب النيرات . في معرفة من اختلط في الرواة الثقات ، محمد بن أحمد المعروف بابن الكيال ، تحقيق : عبد القيوم عبد رب النبي ، دار المأمون ، دمشق ، الطبعة الأولى ، (١٤٠١هـ) .

ـ اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان .

ـ لسان العرب المحيط . ابن منظور ، إعداد وتصنيف : يوسف خياط ، دار لسان العرب ، بيروت .

ـ لمحات من تاريخ العالم . جواهر لال نهرو ، نشر دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، (١٤٠٣هـ) .

ـ اللمع في أصول الفقه . أبو إسحاق ابراهيم بن علي الشيرازي ، الناشر : دار الباز ، مكة المكرمة ، طبع : دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٥هـ) .

مكتبة أسامة ، الرياض .

ـ ما أصل الإنسان ؟ "إجابات العلم والكتب المقدسة" ، موريس بوكاي ، ترجمة ونشر : مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض ، (١٤٠٦هـ) .

ـ مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ، مؤسسة الرسالة ، بيروت . الطبعة الثانية عشر ، (١٤٠٣هـ) .

ـ متن الرحبية في الفرائض والميراث على المذاهب الأربعة ، محمد بن علي الرحبي ، مكتبة القاهرة ، طبع : دار القاهرة للطباعة .

ـ المجروحين من المحدثين والضعفاء والمتروكين ، محمد بن حبان البستي ، تحقيق : محمود ابراهيم زايد ، نشر : دار الوعي ، حلب ، الطبعة الثانية ، (١٤٠٢هـ)

ـ مجلة البحوث الإسلامية ، (مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والارشاد) ، الرياض .

ـ مجلة الجامعة الإسلامية ، (مجلة دورية تصدر أربع مرات في العام) ، مطابع الجامعة الإسلامية ، المدينة النبوية .

ـ مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، بتحرير الحافظين : العراقي وابن حجر ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، (١٤٠٢هـ) .

ـ المجموع شرح المهذب ، محيي الدين النووي ، دار الفكر ، بيروت .

ـ مجموع فتاوي شيخ الإسلام أحمد ابن تيمية ، جمع وترتيب : عبد الرحمن ابن محمد بن قاسم وابنه محمد ، إشراف : الرئاسة العامة لشئون الحرمين ، تنفيذ : مكتبة النهضة الحديثه ، مكة المكرمة ، طبع إدارة المساحة العسكرية بالقاهرة ، (١٤٠٤هـ) .

ـ مجموعة الرسائل الكبرى ، ابن تيمية ، دار الفكر ، بيروت .

ـ مجموعة الرسائل الكمالية ، الناشر : مكتبة المعارف ، الطائف .

ـ مجموعة الرسائل المنيرية ، الناشر : إدارة الطباعة المنيرية .

ـ مجموعة الرسائل والمسائل ، ابن تيمية ، توزيع : دار الباز ، دار الكتب ا لعلمية ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٣هـ) .

ـ محاسن التأويل "تفسير القاسمي" ، محمد جمال الدين القاسمي ، تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، (١٣٩٨هـ) .

- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي ، تحقيق : المجلس العلمي بفاس ، مطبعة فضالة ، المغرب ، (١٣٩٩هـ) .

- المحرر الوجيز في عد آي الكتاب العزيز ، عبد الرزاق بن علي بن ابراهيم بن موسى ، مكتبة المعارف ، الرياض ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٨هـ) .

- المحصول في علم أصول الفقه ، فخر الدين الرازي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٨هـ) .

- المحلى ، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم ، دار الفكر ، بيروت .

- محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، محمد رضا ، دار الفكر ، بيروت ، دار الكتب العلمية ،بيروت ، (١٣٩٥هـ) .

- محيط المحيط ، تأليف : بطرس البستاني ، مكتبة لبنان ، بيروت ، مطابع مؤسسة جواد للطباعة ، (١٩٧٧هـ) .

- مختصر سنن أبي داود ، عبد العظيم بن عبد القوي المنذري ، تحقيق : أحمد شاكر ، محمد الفقي ، دار المعرفة ، بيروت ، (١٤٠٠هـ) .

- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة ، ابن القيم ، اختصره : محمد بن الموصلي ، دار الندوة الجديدة ، بيروت ، (١٤٠٥هـ) .

- مختصر العلو للعلي الغفار ، اختصره وحققه : ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، (١٤٠١هـ) .

- مختصر قيام الليل ، محمد بن نصر المروزي ، اختصره : أحمد بن علي المقريزي ، حديث أكادمي ، باكستان ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٢هـ) .

- مختصر المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة ، محمد عبد الباقي الزرقاني ، تحقيق : د ـ محمد لطفي الصباغ ، منشورات : مكتب التربية العربي لدل الخليج ، الرياض ، (١٤٠١هـ) .

- المختصر في أصول الفقه ، علي بن محمد بن علي البعلي ، المعروف "بابن اللحام" ، تحقيق : محمد مظهر بقا ، جامعة الملك عبد العزيز ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، (١٤٠٠هـ) .

- مدارج السالكين ، ابن القيم ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، (١٣٩٢هـ) .

العظيم علي ، دار التعلم ، الكويت ، (١٤٠٤هـ) .

ـ مذاهب الإسلاميين ، عبد الرحمن بدوي ، دار العلم للملايين ، بيروت ،الطبعة الثالثة ، (١٩٨٣هـ) .

ـ مذاهب فكرية معاصرة ، محمد قطب ، دار الشروق ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٣هـ) .

ـ مذكرة أصول الفقه ، محمد الأمين بن المختار الشنقيطي ، المكتبة السلفية ، المدينة النبوية .

ـ المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالقرآن العزيز ، أبو شامة ، تحقيق : طيار آلتي قولاج ، (١٣٩٥هـ) .

ـ مرويات غزوة الحديبية ، حافظ بن محمد الحكمي ، الجامعة الاسلامية ـ المجلس العلمي ـ إحياء التراث الاسلامي ، المدينة النبوية .

ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، جلال الدين السيوطي ، تحقيق : محمد أحمد جاد المولى ، وزملائه : على محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل ابراهيم ، دار إحياء الكتب العربية (الحلبي) .

ـ مسألة القضاء والقدر ، عبد الحليم محمد قنبس ، خالد عبد الرحمن العك ، دار الكتاب العربي ، دمشق .

ـ مسائل الإمام أحمد ، أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني ، توزيع : دار الباز ، مكة المكرمة ، طبع : دار المعرفة ، بيروت .

ـ المستدرك على الصحيحين ، أبو عبد الله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم .النيسابوري ، توزيع : دار الباز ، مكة المكرمة .

ـ المستصفى من علم الأصول ، أبو حامد الغزالي ، دار العلوم الحديثه ، بيروت .

ـ مسند الإمام أحمد ، الإمام أحمد بن حنبل ، المكتب الاسلامي ، بيروت .

ـ مسند ابن الجعد ، علي بن الجعد بن عبيد الجوهري ، تحقيق : عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٥هـ) .

ـ مسند أبي داود الطيالسي ، سليمان بن داود بن الجارود . [ابو داود الطيالسي] ، دار المعرفة ، بيروت .

- مسند أبي يعلى الموصلي ، أحمد بن علي بن المثنى التميمي ، تحقيق : حسين سليم أسد ، دار المأمون للتراث ، دمشق ، الطبعة الأولى (١٤٠٤هـ) .

- المسند للحميدي ، عبد الله بن الزبير الحميدي ، تحقيق : حبيبٌ الرحمن الأعظمي ، عالم الكتب ، بيروت ، توزيع : مكتبة المتنبي بالقاهرة ، مكتبة سعد الدين دمشق ، .

- المسودة في أصول الفقه ، أل ابن تيمية ، جمعها : شهاب الدين أبو العباس الحنبلي ، تحقيق : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الكتاب العربي، بيروت .

- مشكاة المصابيح ، محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي ، تحقيق : الألباني ، المكتب الإسلامي ، بيروت . الطبعة الثالثة ، (١٤٠٥هـ) .

- المصنف ، أبو بكر ، عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، توزيع المكتب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، (١٤٠٣هـ) .

- مصنف ابن أبي شيبة ، عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي ، تحقيق : عبد الخالق الأفغاني ، نشر : إدارة القرآن والعلوم الإسلامية ، كراتشي ، (١٤٠٦هـ).

- المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق : حبيب الرحمن الأعظمي ، توزيع : عباس أحمد الباز .

- معارج القبول ، حافظ بن أحمد حكمي ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٣هـ) .

- المعارف ، عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، تحقيق : ثروت عكاشة ، الطبعة الرابعة ، دار المعارف ، القاهرة .

- معالم السنن ، أبو سليمان الخطابي ، تحقيق : أحمد شاكر ، محمد الفقي، دار المعرفة ، لبنان .

- معالم الانطلاقة الكبرى ، اعداد : محمد عبد الهادي المصري ،دار طيبة ، الرياض ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٨هـ) .

- معجم الأدباء ، ياقوت الحموي ، دار الفكر ، الطبعة الثالثة ، (١٤٠٠هـ) .

- المعجم الصغير للطبراني ، الحافظ أبي القاسم سليمان أحمد

السلفية بالمدينة النبوية ، دار النصر للطباعة ، القاهرة ، (١٣٨٨هـ).

ـ المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية .

دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٩٧٣م) .

ـ المعجم الكبير ، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني ، تحقيق : حمدي السلفي ، الطبعة الثانية ، (١٤٠٥هـ) .

ـ معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، دار إحياء التراث العربي بيروت .

ـ معرفة علوم الحديث ، الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ النيسابوري ، تحقيق : لجنة إحياء التراث العربي في : دار الآفاق الجديدة ، تعليق : السيد معظم حسين ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت .

ـ معرفة القراء الكبار ، محمد بن أحمد الذهبي ، تحقيق : بشار عواد ، شعيب الأرناؤوط ، صالح مهدي عباس ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٤هـ) .

ـ المعرفة والتاريخ ، يعقوب بن سفيان البسوي ، تحقيق : أكرام ضياء العمري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الثانية ، (١٤٠١هـ) .

ـ مفتاح السعادة ومصباح السيادة في موضوعات العلوم ، تأليف أحمد بن مصطفى ، توزيع دار الباز ، مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ، طبع دار الكتب العلمية ، بيروت ، (١٤٠٥هـ).

ـ مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، لأبي الحسن على بن إسماعيل الأشعري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، صححه : هلموت ريتر ، الطبعة الثالثة .

ـ مقدمة ابن خلدون ، عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ، نشر : دار الأعلمي للمطبوعات ، بيروت .

ـ مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث أبو عمرو ابن الصلاح ، دار الكتب العلمية ، (١٣٩٨هـ) .

ـ مناهل العرفان في علوم القرآن ، محمد عبد العظيم الزرقاني . دار إحياء الكتب العربية (البابي الحلبي) ، الطبعة الثالثة .

ـ المنتقى من السنن المسنده عن الرسول صلى الله عليه وسلم ، عبد الله بن على بن الجارود ، تخريج : السيد عبد الله هاشم اليماني ، مطبعة الفجالة الجديدة ،

القاهرة ، (١٣٨٢هـ).

- منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس ، عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن آل الشيخ ، دار الهداية ، الرياض ، الطبعة الثانية ، (١٤٠٧هـ) .

- منهاج السنة النبوية ، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن تيمية ، تحقيق : محمد رشاد سالم ، الطبعة الأولى ، مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (إدارة الثقافة والنشر بالجامعة) ، (١٤٠٦هـ) .

- منهج الأشاعرة في العقيدة ، سفر بن عبد الرحمن الحوالي ، الدار السلفية ، الكويت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٧هـ) .

- موارد الظمآن لزوائد ابن حبان ، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي ، تحقيق : محمد عبد الرزاق حمزة ، دار الكتب العلمية ، بيروت .

- الموافقات في أصول الشريعة ، ابراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي الشاطبي ، تعليق : عبد الله دراز ، ضبطه : محمد عبد الله دراز ، المكتبة التجارية الكبرى . ، مصر .

- المواقف في علم الكلام ، عضد الله والدين القاضي : عبد الرحمن بن أحمد الإيجي ، عالم الكتب ، بيروت .

- موسوعة تاريخ مصر ، أحمد حسين ، مطابع دار الشعب ، القاهرة .

- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، الرياض ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٩هـ) .

- الموضوعات ، عبد الرحمن بن الجوزي ، تحقيق : عبد الرحمن محمد عثمان ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الثانية ، (١٤٠٣هـ) .

- موضوعات الصغاني ، أبو الفضائل الحسن بن محمد الصغاني ، تحقيق : نجم عبد الرحمن خلف ، الطبعة الأولى ، دار نافع للطباعة والنشر ، (١٤٠١هـ).

- موطأ الامام مالك ، الإمام مالك بن أنس ، رواية يحيي بن يحيي الليثي ، دار النفائس ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، (١٤٠١هـ) .

- موقف الإسلام من نظرية ماركس للتفسير المادي للتاريخ ، أحمد العوايشة ، المكتبة الإسلامية ، عمّان ، الطبعة الثانية ، (١٤٠٤هـ) .

الجاوي ، توزيع : دار الباز ، مكة المكرمة ، طبع : دار المعرفة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٣٨٢هـ) .

- الناسخ والمنسوخ ، أحمد بن إسماعيل النحاس . تحقيق : شعبان محمد إسماعيل . الطبعة الأولى ، الناشر : مكتبة عالم الفكر ، مصر ، (١٤٠٧هـ) .

- الناسخ والمنسوخ ، قتادة بن دعامة السدوسي ، تحقيق : حاتم صالح الضامن ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٤هـ) .

- الناسخ والمنسوخ ، هبة الله بن سلامة ، تحقيق : زهير الشاويش ، محمد كنعان ، المكتب الإسلامي ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٤هـ) .

- النبأ العظيم ، محمد عبد الله دراز ، دار القلم ، الكويت ، الطبعة الثانية ، (١٣٩٠هـ) .

- نزهة النظر شرح نخبة الفكر ، علي بن حجر العسقلاني ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، (١٤٠١هـ) .

- النسخ في القرآن الكريم ، مصطفى زيد ، دار الوفاء ، مصر ، الطبعة الثالثة ، (١٤٠٨هـ) .

- نشر البنود على مراقي السعود ، سيدي عبد الله بن ابراهيم العلوي الشنقيطي ، إشراف اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي ، بين حكومة المغرب والامارات ، (صندوق إحياء التراث الإسلامي) .

- النشر في القراءات العشر ، محمد بن محمد الدمشقي [ابن الجزري] ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، تحقيق : على محمد الضباع .

- نصب الرايه لأحاديث الهدايه ، عبد الله بن يوسف الزيلعي ، تحقيق ، المجلس العلمي بكراتشي ، الطبعة الأولى ، (١٣٥٧هـ) دار المأمون، القاهرة .

- النصيحة في صفات الرب جلا وعلا ، (وتتضمن عقيدة الإمام عبد الله بن يوسف الجويني) ، أحمد بن ابراهيم الواسطي الشافعي المعروف بابن شيخ الحزاميين ، تحقيق : زهير الشاويش ، المكتب الاسلامي ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، (١٤٠٣هـ) .

- نظرة في تاريخ العقيدة ، عمر الأشقر ، مكتبة الفلاح ، الكويت ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٥ هـ) .

- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب ، أحمد بن محمد المقري ، دار

صادر ، بيروت .

- النكت الظراف على الأطراف ، أحمد بن علي بن حجر ، تحقيق : عبد الصمد شرف الدين ، إشراف : زهير الشاويش ، الدار القيمة ، الهند ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، الطبعة الثانية ، (١٤٠٣هـ) .

- النكت على كتاب ابن الصلاح ، ابن حجر العسقلاني ، تحقيق : ربيع بن هادي المدخلي ، مطابع الجامعة الاسلامية ، المجلس العلمي ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٤هـ) .

- نهاية الاغتباط ، بمن رمي من الرواة بالاختلاط ، علاء الدين علي رضا ، دار الحديث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٨هـ) .

- النهاية في غريب الحديث والأثر ، مجد الدين بن الأثير ، تحقيق : طاهر أحمد الزاوي ، محمد محمود الطناحي المكتبة الإسلامية ، .

- نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار ، محمد بن علي بن محمد الشوكاني ، دار القلم ، بيروت .

- هدية العارفين ، إسماعيل باشا البغدادي ، دار الفكر ، بيروت ،(١٤٠٢هـ) .

- واقعنا المعاصر ، محمد قطب ، مؤسسة المدينة للصحافة ، جده ، الطبعة الأولى ، (١٤٠٧هـ) .

- وجاء دور المجوس ، عبد الله محمد الغريب ، دار الجيل للطباعة ، مصر ، (١٩٨١م) .

- الوصية الكبرى ، ابن تيمية ، دار ابن الجوزي ، الدمام ، الطبعة الأولى (١٤٠٧هـ) .

- وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى ، نور الدين السمهودي ، تحقيق : محمد محيى الدين عبد الحميد ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، (١٤٠٤هـ) .

- يحيى بن معين وكتابه التاريخ ، دراسة وتحقيق أحمد محمد نور سيف، الطبعة الأولى ، جامعة الملك عبد العزيز ، مركز البحث العلمي ، وإحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، (١٣٩٩هـ).

(٦)

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	
توطئة	٢
أولا : أهمية هذا الموضوع	٤
ثانياً : سبب اختياره	٤
ثالثاً : ذكر الصعوبات التي واجهتها أثناء كتابة هذا الموضوع	٥
رابعاً : منهج البحث	٦
خامساً : خطة البحث	٦
التمهيـــد	
أولا : معنى علوم القرآن	١٠
العلوم	١٠
القرآن في اللغة	١٠
القرآن في الاصطلاح	١٢
محترزات التعريف	١٢
تنبيه	١٢
تعريف علوم القرآن باعتباره علماً على ذلك الفن	١٣
ثانياً : موضوعه	١٤
ثالثاً :فائدته	١٤
رابعاً : أهميته	١٤
خامساً : غايته	١٥
سادساً : نشأة هذا العلم وتطوره و المراحل التي مر بها	١٥
١ ـ القرن الأول للهجرة	١٥
أ ـ العهد النبوي	١٥

ب ـ عهد الخلفاء الراشدين ١٥
جـ ـ فترة ما بعد الخلافة حتى نهاية القرن الأول الهجري ١٧
٢ ـ القرن الثاني للهجرة ١٩
٣ ـ القرن الثالث للهجرة ٢٠
٤ ـ القرن الرابع للهجرة ٢١
سابعاً : ذكر أول كتاب أُلّف في علوم القرآن بمعناه المصطلح عليه ٢٦

القسم الأول دراسة المؤلف ٢٩

أولا : اسمه ونسبه ٣٠
ثانياً : مولده ٣٠
ثالثاً : حياته العلمية ٣٠
رابعاً : عقيدته من خلال كتابه "مناهل العرفان" ٣٠
خامساً : عصره ٣٢

أ ـ من الناحية السياسية والاجتماعية ٣٢
ب ـ من الناحية العلمية ٤٦

سادساً : مؤلفاته
تنبيه ٥٢
سابعاً : وفاته ٥٢
تنبيه ٥٢

القسم الثاني : الدراسة الاجمالية للكتاب ٥٣

التأليف في هذا الفن ٥٤
أمثلة على المواضع التي استفادها المؤلف من غيره ٥٥
المطلب الثاني : أثر الكتاب على ما كتب بعده في هذا الفن ٥٧
المطلب الثالث : في بيان مدى استيفاء المؤلف لمباحث هذا العلم ٦٠
أـ ذكرالمباحث الزائدة على ماذكر الزرقاني ـ من كتاب "البرهان للزركشي" ٦١
تنبيه : ٦٣
ب ـ ذكر الانواع الزائدة في التحبير على مناهل العرفان ٦٤
جـ ـ الموضوعات الزائدة في كتاب "الإتقان" على المناهل ٦٨
المطلب الرابع:في ذكر إضافات المؤلف في هذا الكتاب إجمالا ٧٤
تنبيه ٧٥
المطلب الخامس : في بيان منهج المؤلف في هذا الكتاب ٧٦
المطلب السادس : في أسلوب المؤلف ٧٨
المطلب السابع : ذكر الأهداف التي رمى المؤلف لتحقيقها في هذاالكتاب ٨٠
المطلب الثامن : ذكر مباحث الكتاب ٨١
المطلب التاسع : في توثيق المادة العلمية ، والاهتمام بالعزو ، مع الدقة في النقل ٨٢
ذكر بعض الأمثلة على النقل من كتاب بواسطة كتاب آخر مع وجود الأول ٨٢
ذكر بعض الأمثلة على عدم العزو في النقل والاقتباس ٨٣
ذكر بعض الأمثلة المشتركة بين بعض تلك المؤاخذات ٨٥
المطلب العاشر : ذكر المميزات الخاصة في "مناهل العرفان" وبيان منزلته بين الكتب المؤلفة في هذا الفن ٩١
المطلب الحادي عشر : في ذكر مصادر المؤلف ٩٢
المطلب الثاني عشر : في التنبيه على بعض المآخذ المشتركة بين بعض مباحث هذا الكتاب ١٠٣

١ ـ نقل بعض عبارات الصوفية ١٠٣
٢ ـ الاتجاه الأشعري و الخلط في كثير من مسائل الاعتقاد ١٠٤
٣ ـ تأثر المؤلف بمدرسة الأفغاني وتلميذه محمد عبده ١٠٤
٤ ـ عدم الدقة في التعريفات و التعمق في بعض المواضع ١٠٧
٥ ـ الوقوع في الاسهاب و الاستطراد ١٠٨
٦ ـ الاقتصار على سبعة عشر مبحثاً فقط ١٠٨
٧ ـ تقصي الشبه ومحاولة الرد عليها ١٠٨
أنواع الشبه التي يوردها المؤلف ١٠٩
موقف أهل السنة من عرض الشبه و الرد عليها ١١٠
١ ـ الأحوال التي يمنعون فيها من الرد على الشبهة ١١٠
٢ ـ الأحوال التي يرخصون فيها بسماع الشبهة ومناقشتها ١١٥
تنبيه ١١٦
كيفية معالجة الشبه ١١٧

القسم الثالث الدارسة التفصيلية لكل مبحث ١٢٠
(المبحث الأول : في معنى علوم القرآن) ١٢١
أولا : مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ، وذكر القضايا التي ناقشها فيه ١٢٢
ثانياً إضافات المؤلف في هذا المبحث ١٢٣
ثالثاً : مناقشة المؤلف في مسائل تتعلق بهذا المبحث ١٢٤
المسألة الأولى : هل العلم في اللغة مصدر يرادف الفهم ؟ ١٢٥

لفظه ومعناه،وليس عبارة أو حكاية عن كلام الله تعالى ١٣١
الأمر الأول : في بيان أصل قول الأشاعرة منشئه ١٣٣
الأمر الثاني : ذكر حقيقة قولهم ١٣٦
الأمر الثالث : ذكر شبهتهم و الجواب عنها ١٤٠
ذكر مسمى الكلام عند الإطلاق وبيان بعض ما
يتعلق بذلك من مهمات ١٤٠
النوع الأول من هذه الشبه(الاستدلال ببعض الآيات
القرآنية) ١٤٥
النوع الثاني من هذه الشبه (الاستدلال ببعض
الأحاديث النبوية) ١٤٨
النوع الثالث من شبههم (الاستدلال ببيت الأخطل) ١٥٣
النوع الرابع من شبههم (شبهة عقلية) ١٥٦
بيان مذهب أهل السنة والجماعة في كلام الله تعالى ١٦٢
ذكر كلام بعض الأئمة من أهل السنة في كلام الله ١٦٢
ذكر بعض ما استدل به أهل السنة على صحة مذهبهم ١٦٣
تنبيه (١) [حول إطلاق "القديم" على كلام الله تعالى] ١٦٥
تنبيه (٢) [حول تقرير المؤلف لمذهب أهل السنة
وتناقضه في ذلك] ١٦٥

المبحث الثاني "تاريخ علوم القرآن" ١٦٧

أولا مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ،وذكر القضايا
التي ناقشها فيه ١٦٨
ثانياً :إضافات المؤلف في هذا لمبحث ١٦٩
ثالثاً مناقشة المؤلف في مسائل هذا المبحث ١٧٠

المسألة الأولى ذكر أول ما اتجهت إليه الهمم في التدوين(فيما
يتعلق بالتفسير وعلوم القرآن) ١٧١

المسألة الثانية : في ذكر أوائل المدونين للتفسير ١٧٣
المسألة الثالثة : في ذكر أوائل المؤلفين في ناسخ القرآن ومنسوخه ١٧٦
المسألة الرابعة : في ذكر أوائل المؤلفين في غريب القرآن ١٧٨
المسألة الخامسة : في ذكر أوائل المؤلفين في إعراب القرآن ١٧٩
المسألة السادسة : في ذكر أوائل المؤلفين في القراءات ١٨٠
المسألة السابعة : في ذكر أول من ألف في علوم القرآن ١٨٢
المسألة الثامنة : ذكر أول عهد لظهور هذا الاصطلاح ١٨٥

المبحث الثالث "في نزول القرآن" ١٨٧

أولا مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ،وذكر القضايا التي ناقشها فيه ١٨٨
ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث ١٩٨
ثالثاً : مناقشة المؤلف في مسائل من هذا المبحث ١٩٠
المسألة الأولى : حول نزول القرآن ١٩١
أ ـ معنى نزول القرآن عند أهل السنة ١٩١
ب ـ في إثبات صفة العلو لله تعالى٢٠٣

فائدة : في ذكر بعض من صنف في العلو خاصة ٢٠٨

المسألة الثانية : أهمية مسائل العقيدة ، وخطورة الانحراف في فهمها ٢١٠
المسألة الثالثة : حول تشبيه الوحي بالتنويم المغناطيسي ٢١٨

المبحث الرابع "في أول ما نزل وآخر ما نزل ٢٢٠

ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث ٢٢٢
ثالثاً : مناقشة المؤلف في مسائل من هذا المبحث ٢٢٣

المسألة الأولى : في حكم الصلاة والتسليم على غير الأنبياء ، وكذا الترضي على غير الصحابة ٢٢٤

١ ـ حكم الصلاة والتسليم على سائر الأنبياء غير الرسول صلى الله عليه وسلم ٢٢٥
٢ ـ حكم الصلاة على غير الأنبياء والمراد :
أ ـ الملائكة ٢٢٦
ب ـ الصلاة على غير الأنبياء والملائكة استقلالا ٢٢٦
هل السلام بمعنى الصلاة ؟ ٢٣٢
الترضي على الصحابة والترحم على من بعدهم ٢٣٤

المسألة الثانية آخر ما نزل من القرآن ٢٣٥
تنبيه ٢٣٧

المبحث الخامس "في أسباب النزول ٢٤٠
أولا مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ،وذكر القضايا التي ناقشها فيه ٢٤١
ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث ٢٤٢
تنبيهات : ٢٤٣

الأول : حول بعض ما شرطه المؤلف لقبول المرسل ٢٤٣
الثاني: حول الإشارة إلى ما وقع من التحريف لنص نقله المؤلف من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ٢٤٣

المبحث السادس "في نزول القرآن على سبعة أحرف" ٢٤٥

أولا مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ،وذكر القضايا
التي ناقشها فيه ٢٤٦
ثانياً : مناقشة المؤلف في قضايا متعددة من هذا المبحث ٢٤٧

المسألة الأولى : حول تواتر حديث الأحرف السبعة ٢٤٨
المسألة الثانية : معنى نزول القرآن على لغات متعددة من لغات
العرب ٢٥٠
المسألة الثالثة : حول إمكانية تحديد الأوجه السبعة ٢٥٣
المسألة الرابعة:هل المصاحف العثمانية مشتملة على جميع
الأحرف أو بعضها؟ ٢٥٥
تنبيه : حول وهم المؤلف بنسبته ابن مسعود إلى قريش ٢٦٢

المبحث السابع "في المكي والمدني من القرآن" ٢٦٤
أولا مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ،وذكر القضايا
التي ناقشها فيه ٢٦٤
ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث ٢٦٥
تنبيه : حول ما ذكره المؤلف من الحكمة في طول السور
المدنية وقصر السور المكية ٢٦٦

المبحث الثامن "في جمع القرآن الكريم وما يتعلق به" ٢٦٨
أولا مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ،وذكر القضايا
التي ناقشها فيه ٢٦٩
ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث ٢٧٠
ثالثاً : مناقشة المؤلف في قضايا من هذا المبحث ٢٧١

المسألة الأولى : في مدى اشتمال مصحف أبي بكر ، ومصاحف
عثمان (رضي الله عنهما) على الأحرف السبعة ٢٧٢

الجنب ٢٧٣
تنبيهات : ٣٠٢
التنبيه الأول : ٣٠٢
التنبيه الثاني : ٣٠٥

المبحث التاسع "في ترتيب آيات القرآن وسوره" ٣٠٨
أولا مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ،وذكر القضايا
التي ناقشها فيه ٣٠٩
ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث ٣١١
تنبيهات : ٣١٢
التنبيه الأول : ٣١٢
التنبيه الثاني : ٣١٣
التنبيه الثالث : ٣١٣
التنبيه الرابع : ٣١٤

المبحث العاشر "في كتابة القرآن ورسمه ومصاحفه" ٣١٥
أولا : بيان مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ،وذكر
القضايا التي ناقشها فيه ٣١٦
ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث ٣١٧
ثالثاً : مناقشة المؤلف في مسائل من هذا المبحث ٣١٨

المسألة الأولى : إثبات أمية الرسول صلى الله عليه وسلم ٣١٩
المسألة الثانية : حول الأسرار التي يقال إن الرسم العثماني
تضمنها ٣٢٦
المسألة الثالثة:المراد بقوله تعالى﴿في كتاب مكنون لا يمسه إلا
المطهرون﴾ ٣٢٩
المسألة الرابعة : حكم مس المحدث ما يتصل بالمصحف من

خريطة أو غلاف
وصندوق ٣٣٣
تنبيهات ٣٣٤
التنبيه الأول :(حول ما ذكره المؤلف من اشتمال المصاحف
العثمانية بمجموعها على الأحرف السبعة) ٣٣٤
التنبيه الثاني : (في حكم القيام للمصحف) ٣٣٤

المبحث الحادي عشر "في القراءات والقراء و الشبهات فيهما" ٣٣٦
أولا مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ،وذكر القضايا
التي ناقشها فيه ٣٣٧
ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث ٣٣٨
تنبيهات : ٣٣٩
التنبيه الأول : "حول كلام للمؤلف يتعلق بأول من ألف في
القراءات" ٣٣٩
التنبيه الثاني : "هل كان اقتصار ابن مجاهد على أولئك القراء
السبعة ، مصادفة ؟ ٣٤٠

المبحث الثاني عشر "في التفسير والمفسرين وما يتعلق بهما" ٣٤١
أولا مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ،وذكر القضايا
التي ناقشها فيه ٣٤٢
ثانياً : ذكر إضافات المؤلف في هذا المبحث ٣٤٦
ثالثاً : مناقشة المؤلف في مسائل من هذا المبحث ٣٤٧

المسألة الأولى : في بيان جواز قراءة الحائض و الجنب للقرآن
[تذكير بما سبق] ٣٤٨
المسألة الثانية : في بيان أن نصوص الصفات من المحكم و

المسألة الثالثة : في الكلام على بعض الأسانيد إلى ابن
عباس رضي الله عنهما ٣٦٢
المسألة الرابعة : في إثبات حجية خبر الآحاد في العقائد،
كما هو حجة في الأحكام ٣٦٤
المسألة الخامسة: في الإشارة إلى أن كتاب الواحدي في(أسباب
النزول)
،والنحاس في (الناسخ و المنسوخ) ليسا من كتب التفسير ٣٧٨
المسألة السادسة : الموقف الصحيح من الخلافات في قضايا
الاعتقاد ٣٧٩
تنبيهان ٣٨٢
الأول : في أن الحكم على المذهب لا يعني الحكم على أتباعه
المعينين ٣٨٢
الثاني:في ثبوت حكمة الرب تبارك وتعالى ،وموقف الأشاعرة
والمعتزلة منها ٣٨٢
متابعة الكلام في المسألة السادسة ٣٨٤
المسألة السابعة : في الكسب وفعل العبد بين أهل السنة
والأشاعرة ٣٩١
المسألة الثامنة : في بيان أن السلف تكلموا في أن الله
تعالى خالق أفعال العباد،وأظهروا ذلك ٣٩٨
المسألة التاسعة : هل اندثرت طوائف الباطنية ؟ ٤٠١
المسألة العاشرة : المتكلمون ليسوا حراساً للعقيدة ٤٠٧
المسألة الحادية عشرة :في أول واجب على المكلف ٤١٦
إيقاظ (حول كلام نقله المؤلف عن محمد عبده) ٤٢١
المسألة الثانية عشرة : في الترجيح بين التفسير بالرأي
والاجتهاد ،وبين التفسير بالأثر عند التعارض ٤٢٣
المسألة الثالثة عشرة : حول مصطلح أهل السنة والجماعة ٤٢٧
المسألة الرابعة عشرة : حقيقة الإيمان ٤٣٤
إيقاظات :

الإيقاظ الأول : (حول إشارة المؤلف إلى نفي العلو وما يسمونه بـ "الجهة" ٤٥٥
الإيقاظ الثاني : (حول تسمية المؤلف علم التوحيد بـ "علم الكلام" ٤٥٦
الإيقاظ الثالث : "وصف المؤلف بعض الشيعة بالاعتدال" ٤٥٧
تنبيه : وصف المؤلف للزمخشري بنحو ما سبق ٤٥٧
الإيقاظ الرابع : (حول شروط قبول التفسير الإشاري عند المؤلف) ٤٥٨
الإيقاظ الخامس : (حول تفسير التستري)
الإيقاظ السادس : (حول ترجمة كتب الأمم الداخلة في الإسلام ومحاولة التوفيق بين ما تضمنته من جهة وبين ما تضمنه القرآن من جهة أخرى ٤٦١

المبحث الثالث عشر "في ترجمة القرآن الكريم وحكمها تفصيلا" ٤٦٢
أولا مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ،وذكر القضايا التي ناقشها فيه ٤٦٣
ثانياً : ذكر إضافات المؤلف في هذا المبحث ٤٦٥
تنبيهان
الأول : "حول كلام الله تعالى" ٤٦٦
الثاني : "عد المؤلف ابن حزم من أتباع مذهب الإمام أحمد ٤٦٦

المبحث الرابع عشر "في النسخ" ٤٦٧

أولا مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ،وذكر القضايا التي ناقشها فيه ٤٦٨
ثانياً : ذكر إضافات المؤلف في هذا المبحث ٤٧٠

المسألة الأولى : في التحسين و التقبيح ٤٧٢
المسألة الثانية : نسخ الآحاد للمتواتر ٤٧٥
المسألة الثالثة : في تخصيص الآحاد للمتواتر ٤٨٣
إيقاظات : ٤٩٤
الأول:هل سقوط التكليف بالموت أو الجنون أو الغفلة، بدليل العقل ؟! ٤٩٤
الثاني:حول مثال أرادالمؤلفة تطبيقه على لزوم تحقق شروط النسخ ٤٩٤
الثالث : حول إطلاق "القديم" على علم الله عزوجل ٤٩٥
الرابع : في رد كلام للمؤلف وافق فيه بعض ما يقوله أصحاب نظرية التطور ٤٩٥
الخامس : في أن كتاب السنن لأبي داود لا يسمى بـ "صحيح أبي داود" ٥٠٠
السادس : حول ما فسر به المؤلف قوله تعالى ﴿فأينما تولوا فثم وجه الله﴾ ٥٠٠
المبحث الخامس عشر في محكم القرآن ومتشابهه ٥٠٣
أولا مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ،وذكر القضايا التي ناقشها فيه ٥٠٤
ثانياً : ذكر إضافات المؤلف في هذا المبحث ٥٠٥
ثالثاً : مناقشة المؤلف في بعض مسائل هذا المبحث ٥٠٦
المسألة الأولى : في بيان غلط من زعم أن ظواهر نصوص الصفات غير مرادة ٥٠٧
المسألة الثانية : في ثبوت صفة الاستواء لله عزوجل ٥١١
المسألة الثالثة : في إبطال القول بأن ظاهر النصوص يقتضي التشبيه ٥٢٩
المسألة الرابعة : في إثبات جملة من الصفات التي نفاهاالمؤلف ٥٣٣

الصفة الأولى : الوجه ٥٣٤
الصفة الثانية : العينان ٥٣٨
الصفة الثالثة : اليد ٥٤١
تنبيه "في بيان أن قوله تعالى ﴿والسماء بنيناهابأيد ﴾
ليست من الآيات الدالة على ثبوت صفة اليد ٥٤٤
الصفة الرابعة : الفوقية ٥٥٠
الصفة الخامسة : المجيء ٥٥١
المسألة الخامسة:الكلام على قوله تعالى﴿وعنده مفاتح الغيب﴾ ٥٥٣
المسألة السادسة:في بيان جواز الإشارة إلى الله تعالى بالعلو ٥٥٥
ذكر بعض التعقبات المجملة على تحذير المؤلف من مذهب
أهل السنة والجماعة ٥٥٦
المسألة السابعة : في إثبات النزول لله عزوجل كما أخبر ٥٥٩
التعقيب على ما نقله المؤلف عن محمد عبده(حول كلام الله
تعالى وعلوه﴾ ٥٦٨
التعقيب على ما نقله المؤلف عن ابن اللبان (حول نصوص
الصفات) ٥٧١
المسألة الثامنة : في بيان موقف أهل السنة من التأويل
لنصوص الصفات ٥٧٢
إيقاظات : ٥٧٦
الأول : (في أن نصوص الصفات ليست من المتشابه في
المعنى) ٥٧٦
الثاني :(حول ما نقله المؤلف عن الرازي فيما يتعلق
بنصوص الصفات) ٥٧٦
الثالث : حول بعض العبارات التي نقلها المؤلف عن بعض
العارفين (كما وصفهم المؤلف) ٥٧٨
الرابع : (فيما نقله المؤلف عن الرازي من الحِكَم من
وجود المتشابه في القرآن

"متشابه الصفات" كما أطلق عليه ٥٧٩
السادس : في نسبة المؤلف التفويض إلى السلف ٥٨١
السابع : فيما ساقه المؤلف على أنه أدلة للسلف على مذهبهم الذي نسبهم إليه ٥٨٢
الثامن : في القول بأن الله في جهة ، أو ليس في جهة ! ٥٨٢

المبحث السادس عشر "في أسلوب القرآن" ٥٨٦

أولا : مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ،وذكر القضايا التي ناقشها فيه ٥٨٧
ثانياً : ذكر إضافات المؤلف في هذا المبحث ٥٨٨
ملاحظة حول العنوان الذي وضعه المؤلف ليدل على مضمون ذلك المبحث ٥٨٩
المبحث السابع عشر (في إعجاز القرآن الكريم وما يتعلق به) ٥٩٠
أولا مدى استيفاء المؤلف لمادة هذا المبحث ،وذكر القضايا التي ناقشها فيه ٥٩١
تنبيه ٥٩٣
ثانياً : إضافات المؤلف في هذا المبحث ٥٩٥
ثالثاً : مناقشة المؤلف في مسائل من هذا المبحث ٥٩٦

المسألة الأولى : في أنه لا يقال : "الإنسان خليفة الله في الأرض" ٥٩٧
تنبيه ٦٠٠
المسألة الثانية : حول نظرة الإسلام للرق ٦٠١
المسألة الثالثة : في بيان المراد بالأرضين السبع المذكورة في قوله تعالى ﴿ومن الأرض مثلهن﴾ ٦٠٣
المسألة الرابعة : في حكم إسلام الكافر إن عُلق بشرط فاسد ، وهل يُقبل منه ذلك تأليفاً له ؟ ٦١١

إيقاظات متنوعة :
الإيقاظ الأول : (حول كلام للمؤلف قد يُفهم منه أن الجهاد إنما شُرع للدفاع فقط) ٦٢٠
الإيقاظ الثاني : (حول كلام المؤلف عن فوائد الصيام) ٦٢٠
الإيقاظ الثالث : (حول بيان سبب نزول بعض الآيات) ٦٢١
الإيقاظ الرابع : (حول ما نقله من عزم النبي صلى الله عليه وسلم على التردي من شاهق جبل لما فتر عنه الوحي) ٦٢٣
الخاتمة ٦٢٦
الفهارس ٦٢٩